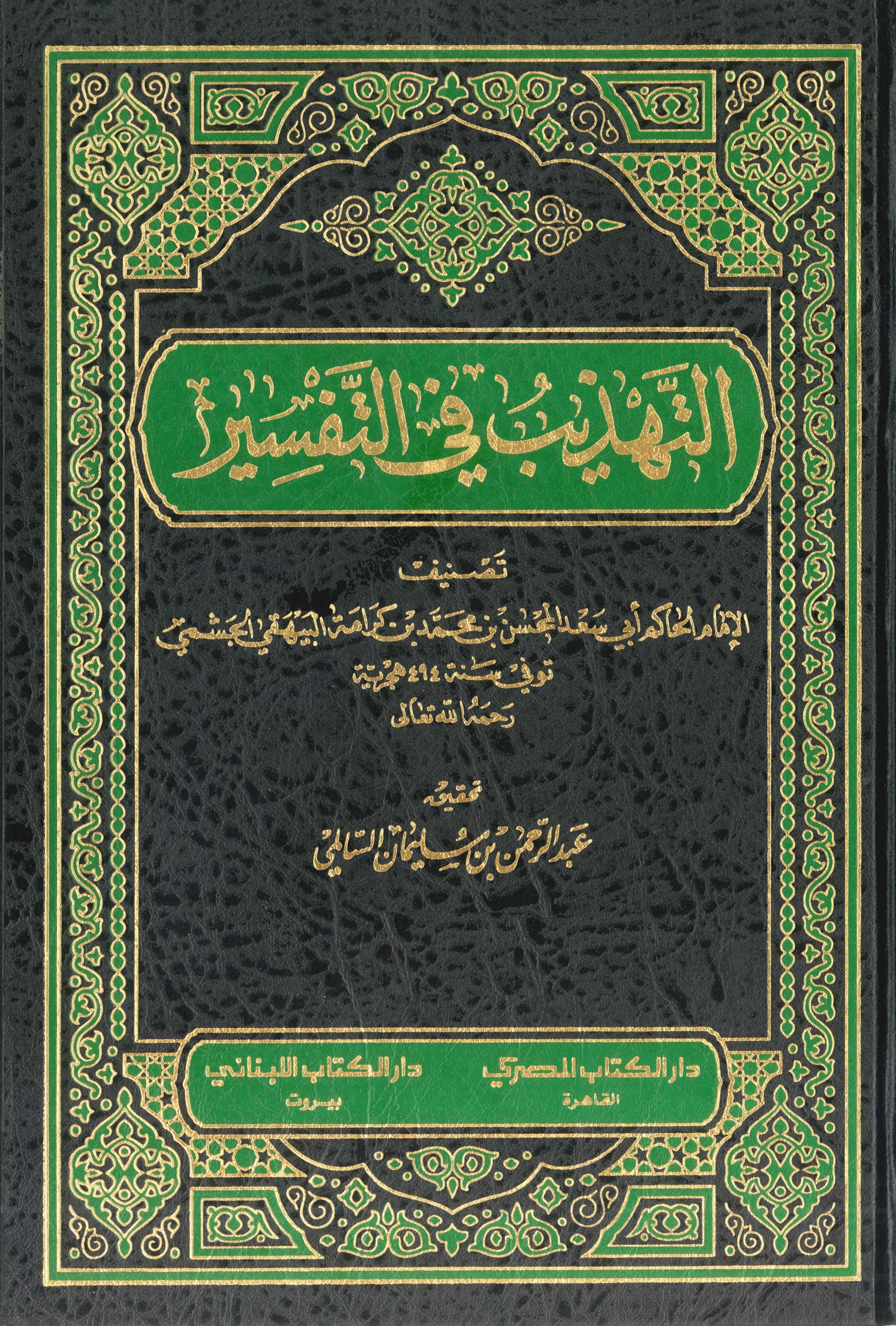

التهذيب في التفسير
تصنيف
الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي
توفي سنة ٤٩٤ هجرية
رحمه الله تعالى
تحقيق
عبد الرحمن بن سليمان السالمي
دار الكتاب المصري
القاهرة
دار الكتاب اللبناني
بيروت

التَّهْذِيبُ فِي التَّفْسِيرِ

التهذيب في التفسير

تصنيف

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي

توفي سنة ٤٩٤ هجرية

رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

الجزء السادس

سورة الحجر - سورة طه

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت



سُورَةُ الحِجرِ

سورة (الحِجْر) تسع وتسعون آية، وهي مكية، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة. وذكر الأصم أنها مكية بإجماع.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الحِجْر) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ».

ولما ختم سورة (إبراهيم) بذكر القرآن، وأنه بلاغ للناس في دينهم افتتح هذه السورة بذكر القرآن، وأنه مبين للأحكام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

القراءة

«قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم: «**ربما** [(١)]» خفيفة الباء، وروي ذلك عن أبي بكر بن عياش[(٢)]، وروي عنه[(٣)] ضم الباء والتخفيف، وقرأ الباقون مشددة الباء مفتوحة،

(١) ربما: ربما يود، د.
(٢) أبي بكر بن عياش: أبي بكر وابن عباس، و.
(٣) عنه: ـ، د؛ عند، و.

وهو قراءة الحسن، وهما لغتان، قال أبو حاتم: أهل الحجاز يخففون (ربما)، وقيس وبكر وتميم يثقلونها.

اللغة

اللهو معروف وهو ضد الجد، وكل شيء شغلك فقد ألهاك، و«لهوت» من «اللهو»، و«لهيت» عنه شغلت عنه.

والأمل: الرجاء، أملت الشيء فهو مأمول.

رُبّ: أصله مشددة، وهو كلمة تذكر ويراد بها التقليل، (رب) حرف وصلت[1] به (ما)، عن الزجاج. وإنما دخلت على (رب) ليتكلم بالفعل بعده.

والتمتع: التلذذ، وهو طلب اللذة حالاً بعد حال، فهو كالتقرب في أنه طلب القرب حالاً بعد حال.

الإعراب

قوله: «**وقرآن**» عطف على الكتاب، وإنما عطف عليه لاختلاف اللفظين كقوله:

يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ[2]

وقيل: لاختلاف[3] فائدة اللفظين، وإن كانا لموصوف واحد، لأن الكتاب يفيد أنه يكتب، والقرآن يفيد أنه يجمع بعض حروفه إلى بعض، قال الشاعر:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمَامِ ... وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ

«**ذرهم**» تهديد وليس بأمر، و«**يأكلوا**» جواب فلذلك جزم.

---

(١) وصلت: وصل، د.

(٢) البيت لطرفة بن العبد فى معلقته، وتمامه:

فَمَا لي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّيَ مَالِكاً ... مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّى وَيَبْعُدِ

(٣) لاختلاف: لا اختلاف، د.

۞ المعنى

قد تقدم الكلام في هذه الحروف وما قيل فيه، وأن الاختيار وقع على ثلاثة:

أحدها: أنه اسم للسورة، ومفاتيح لها، كما روي عن الحسن، وقتادة، وأبي علي.

وقول ابن عباس: إنها حروف من أسماء الله تعالى، قالوا: أنا الله أرى.

وقول أبي مسلم: أنها إشارة إلى إعجاز القرآن، ولذلك عقبها في جميع المواضع بذكر القرآن، يعني أنه[1] من هذه الحروف، وبها يتكلمون، فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا أنه معجز، وهو كلام الله تعالى.

«**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**» قيل: أراد بالكتاب التوراة والإنجيل، عن مجاهد. وقيل: الكتب التي كانت قبل القرآن، عن قتادة. وقيل: المراد به القرآن، عن ابن عباس، والحسن، والأصم. وقيل: تلك الآيات التي أخبرت أني أنزلها على الرسول هي آيات كتاب مبين، عن أبي علي، وقيل: تلك إشارة إلى السورة «**وَقُرْآنٍ مُبِينٍ**» أي: يبين الحق من الباطل، ويبين الأحكام. وقيل: المبين الواضح، عن أبي مسلم. فوصف القرآن بأربع[2] صفات:

آيات: من حيث هو حجة يستدل بها[3] على الأحكام ويحتج بها[4] في الديانات.

وكتاب: من حيث جمع ودون، وينتفع به[5] على الأزمان.

وقرآن: من حيث قرن بعضه إلى بعض على رتبة عالية في الفصاحة وحسن المعاني، وصار معجزة ومبيناً، بان من لفظ كثير من المعاني.

---

(١) أنه: أنها، د.

(٢) بأربع: أربع، و.

(٣) بها: به، و.

(٤) بها: به، و.

(٥) به: بها، د.

ومبين: من حيث يبين الأدلة والأوامر[1] والنواهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وغير ذلك مما يتضمنه القرآن.

«رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ» أي: يتمنون ذلك، ولا خلاف بين المفسرين أنهم يتمنون ذلك وقطعوا عليه، وإنما اختلفوا في أي وقت يتمنون قيل: في وقت المعاينة إذا عاينوا أحكام الآخرة تمنوا ذلك، عن الضحاك، والأصم. وقيل: يتمنون ذلك في الآخرة، عن جماعة، ثم اختلف هؤلاء، فقال بعضهم: عند مشاهدتهم المسلمين، وقد دخلوا الجنة آمنين وهم في عذاب دائم في الحال والاستقبال، فتمنوا أن لو كانوا مؤمنين فيأمنون العذاب، عن الحسن، وقتادة، وأبي علي. وقيل: ودوا أنه لا يغفر لمشرك أن لو كانوا مؤمنين، وروي عنه: «إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين خلقه، يقول: من كان مسلماً فليدخل الجنة فعنده يود الذين كفروا»، ورواه عن ابن عباس، قيل: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار احتبس[2] قوم من أهل القبلة من المنافقين على الصراط فيقول المنافقون: حبسنا بنفاقنا فما ينفعكم إيمانكم بمحمد، فيصيحون صيحة بما عيروا به، فعند ذلك يشفع لهم النبي ﷺ فيدخلون الجنة، ويود المنافقون لو كانوا مسلمين ليدخلوا معهم، عن ابن عباس. وقيل: لما دخل بعض أهل القبلة النار عيرهم الكفار بأنه لم ينفعهم الإيمان بمحمد ﷺ، فسألوا محمداً فشفع لهم، وأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، عن أبي[3] موسى، وابن عباس، وأنس، وإبراهيم، قال أبو العالية: نزلت في الذين يخرجون من النار، قال القاضي: وهذا بعيد لأنهم إن كانوا مؤمنين فمصيرهم إلى الجنة فلا يصح ذلك، وإن كانوا من أهل الكبائر فقد ثبت أنهم يدخلون النار، وثبت أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل الجنة في مزيد الفضل، فأما ما روي عن ابن عباس أنهم يحتبسون[4] فلا يبعد ليزداد غم المنافقين، ولا يلحق المؤمنين أذى، وتكون شفاعة لهم في مزيد الفضل، قال: وفي الخبر ما لا يمكن تأويله، وفيه اضطراب. «ذَرْهُمْ»

(١) والأوامر: والأمر؛ د، و.
(٢) احتبس: اجتلس، د.
(٣) أبي: ابن، و.
(٤) يحتبسون: يحتسبون، د، و.

أي: دعهم «**يَأْكُلُوا**» وهذا وعيد لهم «**وَيَتَمَتَّعُوا**» أي: ينتفعوا، أي يقصروا نفوسهم[1] على ذلك، لأنه[2] على هذا يكون وعيداً «**وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ**» أي: تشغلهم آمالهم عن اتباع القرآن والرسول[3]، آمالهم أنهم على دين، وظنهم أن الآخرة ليس بشيء، عن الأصم، وقيل: يغترون بآمالهم الكاذبة في البقاء في الدنيا، وقيل: آمالهم ما كانوا يأملون في عبادة الأصنام من النفع «**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**» حين يحل بهم العذاب يوم القيامة، وصاروا إلى ما يجحدون به، وقيل: يوم بدر، وقيل: دع أذاهم إلى الوقت الذي افترض عليك قتالهم.

❁ الأحكام

تدل الآية على وجوب اتباع القرآن والعمل به.

وتدل على بطلان قول من يقول: إن معرفة المراد به يحتاج إلى غيره من إمام ونحوه[4]، وكذلك يبطل قول من يقول: أنه لا يعرف المراد به[5] بنفسه.

وتدل على أن كل كافر ومبطل يتمنى أن يكون مسلماً، وقد بينا ما قيل فيه، والصحيح أنه يتمنى ذلك عند المعاينة ويوم القيامة لما رأى من كرامة الله للمؤمنين وما أعد لهم.

ومتى قيل: إذا كان (رُبّ) للتقليل فلم ذكر ههنا؟

فجوابنا: للمبالغة في التهديد، كأنه قال: يكفيك قليل الندم فكيف كثيره، وقيل: يشغلهم العذاب عن تمني ذلك إلا القليل.

ومتى قيل: (ربما) تكون[6] لما وقع، فكيف ذكر ههنا للاستقبال[7]؟

---

(١) نفوسهم: أنفسهم.
(٢) ذلك لأنه: ذلك لأنه يكون لأنه.
(٣) والرسول: والرسل.
(٤) ونحوه: أو نحوه.
(٥) به: فيه، د.
(٦) تكون: يكون.
(٧) للإستقبال: الاستقبال.

فجوابنا: أن يصدق الوعد ويحقق[1] الكون كأنه واقع، لأن وعيد القرآن كأنه عيان، عن الفراء. وقيل: أينما لحقت (رُبّ) غيرتها فألحقتها بالمستقبل.

وتدل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يعلق كل همه بالدنيا وزينتها، ويقصر نفسه عليها بل أن يكون مقصوده الآخرة.

وتدل على أنه لا ينبغي أن يأمل الآمال البعيدة المؤدية إلى الصد عن الاستعداد للموت، بل يجب أن يكون الموت بين عينيه، ويتسارع إلى التوبة، عن النبي ﷺ: «يهرم ابن آدم، ويشيب منه[2] اثنتان: الحرص والأمل»، وعن أبي علي: (إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق).

وحكى الأصم عن بعضهم أن قوله: «ذرهم» نسخ بآية القتال، وأنكره لأنه ليس فيه ما يوجب النسخ، لأنه تهديد.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «ما ننزل[3]» بالنون وكسر الزاي والتشديد[4] «الملائكة» بالنصب لوقوع الإنزال عليه، والإنزال مضاف إلى الله تعالى.

(١) ويحقق: تحقيق، د.
(٢) منه: فيه، د.
(٣) ما ننزل: وما ننزل، د.
(٤) والتشديد: تشديد، و.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «**ما تنزل**» بالتاء برفعها[1] وفتح الزاي، «**الملائكة**» بالرفع على ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون: «**تنزل**» بالتاء[2] والزاي، «**الملائكة**» بالرفع على أن النزول مضاف إلى الملائكة.

۞ اللغة

السبق: مصدر سبق يسبق[3] سبقاً، ومنه: المسابقة: طلب التقدم.

والأمة: الجماعة وأصله القصد، كأنهم أمُّوا أمراً واحداً.

والأجل: الوقت، وجمعه: آجال. والإمهال: الإنظار.

۞ الإعراب

«**لو ما**» قال الكسائي: معناه لولا سواء في الخبر والاستفهام، وقيل: هلا كذلك، قال ابن مقبل:

لو ما الحياء ولو ما الدين عِبتكما[4] ببعض ما فيكما إذ عبتما عورِي[5]

﴿وَلَهَا كِتَابٌ﴾ سواء فيه الواو ولو حذفت كلاهما صواب، عن أبي القاسم. كقولك: ما رأيت أحداً إلا وعليه ثياب، فأما إذا قال: ما كان رجل إلا قائم فلا بد من الواو، فتقول: إلا وهو قائم، والعلة فيه: أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد التمام فلك إن عني بالواو، ولك حذفه، فأما إذا كان الكلام ناقصاً لم يجز فيه الواو، كقولك: ما أظن درهمك إلا كافيك، لأن بذلك يتم الكلام.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ نصب (الأجل) بـ (الأمة)، وتقديره: ما تسبق أمة أجلها، وأنث لتأنيث الأمة ووحد وأراد الجنس، ثم قال: ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ جمع وذكر لأنه ذهب إلى معنى الرجال.

---

(١) ما تنزل بالتاء ورفعها: ما ينزل بالياء برفعها، و.

(٢) تنزل بالتاء: ينزل بالياء، و.

(٣) يسبق: +، د.

(٤) وورد برواية أخرى: لولا الحياء ولولا الدين عبتكما.

(٥) ديوان تميم بن أبي بن مقبل، تحقيق عزة حسين، دار الشروق العربي١٩٩٥، حلب، سوريا.

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ أي: لو.

و﴿مُّنظَرِينَ﴾ نصب على خبر كان.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا﴾ جواباً لقولهم حين سألوا العذاب فأخبر أنه كتب ذلك لهم في وقت فلا بد أن يفعل ذلك في ذلك الوقت، عن الأصم.

وقيل: نزل جواباً عن قولهم ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إذا جاءوا لم يؤخروا ولم يمهلوا، عن أبي القاسم.

النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا﴾ بما قبله؟

قيل: لما تقدم الوعيد للمكذبين بقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ﴾ عقبه بما يؤكد الزجر والوعيد من ذكر إهلاك من تقدم، عن القاضي.

وقيل: إن لهؤلاء وإن تمتعوا أطالوا الأمل كتاب معلوم في الهلاك كالذين تقدموا، وإنما يقع فيه التقديم والتأخير، فمن تقدم كان وقت هلاكهم معجلاً، وهؤلاء وقت هلاكهم مؤخر، عن القاضي.

وقيل: ينبغي أن لا يغتروا بالتأخير، فإن هؤلاء كسائر الأمم حيث أهلكناهم، ولهم وقت معلوم كذلك هؤلاء، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: كيف يتصل قوله: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾؟

قلنا: ما ذكر من الوعيد لهم(١) قابلوه استهزاء ورموه بالجنون.

المعنى

«**وَمَا أَهْلَكْنَا**» قيل(٢): بعذاب الاستئصال، وقيل: بالموت، قال القاضي: والأول

---

(١) لهم: ـ ، د.

(٢) قيل: ـ ، د.

أقرب، لأنه أبلغ في الزجر «**مِنْ قَرْيَةٍ**» أي: من أهل قرية بكفرهم «**إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ**» ولأهل[١] القرية كتاب «**مَّعْلُومٌ**» أي: كتاب كتب الله فيه وقت هلاكهم، عن ابن عباس، وأبي علي. وقيل: كتاب يأتيه الرسول[٢] حجة عليهم، عن الحسن. وقيل: «**كتاب**» أي: كتب لهم أجلاً يبلغونه لا يتقدم ولا يتأخر، عن الأصم. وقيل: «**كِتَابٌ مَّعْلُومٌ**» أجل معلوم، عن أبي مسلم. «**مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**» قيل: (من) صلة أي: ما تسبق من[٣] أمة أجلها، يعني لا يسبق الأجل عن وقته ولا يتأخر، كذلك هؤلاء إذا جاء وقت أجلهم لا يتقدم ولا يتأخر «**وَقَالُوا**» يعني المشركين للنبي ﷺ «**يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ**» يعني: الذي يدعي أنه أنزل عليه الذكر[٤] وهو القرآن، لأنهم كانوا لا يؤمنون به، ولو قالوا ذلك إيماناً لما قالوا: إنك لمجنون، فأما إن قالوا: على زعمك، أوقالوه استهزاء «**إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**» أي: زائل العقل، قيل: قالوا ليستهزأ به[٥]، وإلا كانوا علموا عقله، وقيل: نسبوه إلى الجنون لتعد دعواهم عنده تشبيهاً «**لَّوْ مَا تَأْتِينَا**» أي: هلا تأتينا «**بِالْمَلائِكَةِ**» للعذاب إن كان ما نحن عليه يوجب العذاب استعجالاً، وقيل: هلا تأتي بالملائكة يشهدون[٦] لك بالنبوة إن كنت صادقاً في دعواك أنك نبي، عن ابن عباس، والحسن، وأبي علي. وقيل: لوما تأتينا بالملائكة إن كنت صادقاً في أن الله يعذبنا، عن الأصم. فأجابهم بالمقنع فقال سبحانه: «**مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ**» قيل: لا ينزلون إلا بالحق الذي هو الموت لا يقع فيه تقديم ولا تأخير، عن ابن عباس. وقيل: لا ينزلون إلا بعذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا، عن الحسن، ومجاهد، وأبي علي. يعني إذا نزل ما طلبوا لم يمهلوا، وقيل: ما ننزلهم إلا بالوحي والقرآن الذي هو الحق، وقيل: ما ننزل الملائكة إلا في الدنيا، وإنما ينزل بالحق عند قيام الساعة لتحقيق ما وعد الله به من قيام الساعة، عن

---

(١) ولأهل: ولهذه، د.
(٢) الرسول: الرسل، د.
(٣) من: +، د.
(٤) يعني الذي يدعي أنه أنزل عليه الذكر: +، د.
(٥) ليستهزأ به: استهزاء به، د.
(٦) يشهدون: تشهد، د.

أبي مسلم. قال القاضي: والأقرب أنهم طلبوا نزول الملائكة استعجالاً للعذاب فأجيبوا بما قال، وقيل: «**مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ**» يعني جبريل «**إِلاَّ بِالْحَقِّ**» بالآيات وبالأدلة وحمل الحق أولى «**وَمَا كَانُوا إِذاً**» حين تنزل الملائكة «**مُنْظَرِينَ**»أي: لا يمهلون ولا يؤخرون.

ثم بين جواب قولهم «**يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**» فقال سبحانه: «**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**» يعني القرآن، عن الضحاك، والحسن[(١)] «**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**» قيل: المحفوظ هو القرآن، وقيل: هو محمد ﷺ، فأما حفظه ﷺ، قيل: يحفظه من أعدائه ويعصمه، وقيل: نحفظه بأوليائنا من المؤمنين ممن تبعه، فأما القرآن فاختلفوا في حفظه، قيل: بأن جعله معجزاً لا يجوز فيه الزيادة ولا النقصان، عن قتادة. وقيل: يحفظه من كيد المشركين حتى لا يمكنهم إبطاله، ولا أن يحرفوه، ولا يندرس، ولا ينسى، عن أبي علي. وقيل: تكفل بحفظه على ما هو عليه إلى آخر التكليف، فتنقله الأمة وتحفظه عصراً بعد عصر إلى آخر الدهر، وقيل: حفظه أن لا ينسخه إلى يوم القيامة كما نسخ سائر الكتب، وقيل: يحفظه بألا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يقع من أحد فيه تغيير وتبديل، والباطل قيل: الشياطين، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: إبليس، وقيل: حافظون لوعده ووعيده حتى يوجد في الآخرة على ما ذكر في الدنيا، وقيل: حافظون لأحكامه.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنهم نسبوه إلى الجنون، ثم اختلفوا، فالأكثر على أنهم شبهوه وقالوا ذلك لبعد ما كان يدعي عندهم، ثم بين[(٢)] في الآية الثانية لو تفكروا لما نسبوه إلى الجنون، عن القاضي.

وقيل: بل اعتقدوا فيه ذلك حقيقة، ولذلك قال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ [**الأعراف: ١٨٤**]، عن أبي مسلم.

(١) الضحاك والحسن: الحسن والضحاك، د.
(٢) بين: تبين، د.

وتدل على أنه إنما يعذب بالاستئصال متى علم أنه لا يؤمن منهم أحد، وأنه إنما يؤخرهم ليتوبوا.

وتدل على أن هلاك[1] كل قوم مكتوب، وفيه لطف للملائكة، وفي الخبر عنه لطف لنا.

وتدل على أن وقت الموت لا يتقدم ولا يتأخر، فتدل على أن الأجل واحد خلاف قول البغدادية.

وتدل على أن القرآن منزل محفوظ عن التغيير، فيبطل قول من قال: إنه قديم، إذ القديم لا يصح أن يكون منزلاً ومحفوظاً، فثبت أنه محدث، عن أبي القاسم، والقاضي، ويبطل قول الإمامية في جواز الزيادة والنقصان في القرآن، ويبطل قول من يقول: إن الذي تولى جمعه عثمان، لأنه إذا تكفل بحفظه فلا حاجة إلى غيره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ
سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟
إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير: «**سكرت**» خفيفة الكاف، وقرأ الباقون مشددة الكاف، فأما التخفيف فحكى الفراء عن العرب: سكرت الريح أي: أسكنت وركدت، وبالتشديد: سدت[2]، وأصل السكر: السد[3]، قال الزجاج: يجوز سكرت بفتح السين ولا يقرأ به.

(١) هلاك: إهلاك، د.

(٢) سدت: شدت، د.

(٣) السد: الشد، د.

۞ اللغة

الشيع: قال الزجاج: الفرق، وقيل: هو القرون والجماعات، كل فرقة منها شيعة، وأصله: المشايعة، وهي المتابعة، شايع فلان فلاناً على أمره أي: تابعه عليه، ومنه: شيعة علي عليه السلام[1]، لأنهم تابعوه في[2] أمره، وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ[3]: «شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة»، ولا شبهة أن عليّاً عليه السلام[4] كان على الحق، فمن كان على الحق فهو من شيعة علي لا ما تدعيه الرافضة، والأمة شيعة لمتابعة بعضهم بعضاً فيما يجتمعون عليه في[5] أمر دينه.

والاستهزاء: طلب الهزؤ، وهو إظهار ما يقصد به العيب على إيهام المدح، والهزؤ واللعب والسخرية نظائر[6].

ونسلكه من سلك فيه يسلكه سلكاً وسلوكاً، وأسلكه إسلاكاً، وسلكت وأسلكت لغتان، وبطرح الألف أفصح، وهو أن يوصلها إليه بإخطارها بباله. والسنة: الطريقة.

والعروج: الصعود في الدرج، عن أبي القاسم. عرج الملك يعرج عروجاً، ويعرجون بضم الراء وكسرها لغتان.

والسكر: أصله السد[7]، ومنه: السكر بالشراب، والسكر: السد[8] بالتراب، ويقال: سكرت الريح سكنت، قال الزجاج والفراء: والسكر حَبْسُكَ الماءَ.

والسحر: إخراج الباطل في صورة الحق، وقيل: السحر: الخديعة، حكاه المبرد عن أبي عمر[9] الجرمي.

---

(١) عليه السلام: +، د.
(٢) في د على. وكتب فوقها كلمة: (في).
(٣) وآله: +، د.
(٤) عليه السلام: +، د.
(٥) في: من، د.
(٦) نظائر: ـ ، د.
(٧) السد: الشد، د، و.
(٨) السد: الشد، د.
(٩) أبي عمر: أبي عمرو، د.

۞ الإعراب

الكاف في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ كاف التشبيه، وتقديره: كما عملنا فيمن تقدم من الرسل وفي كتبهم كذلك نسلك القرآن في قلوب المشركين من أمتك، من قرأ «نسلكه» فهو من أسلك، ولا تجوز القراءة به لأنه خلاف المستفيض.

وفي قوله: ﴿أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ حذف تقديره: أرسلنا من قبلك رسلاً في شيع الأولين فحذف لدلالة «**أَرْسَلْنَا**» عليه.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر استهزائهم بالرسول عقبه بذكر ما جرى من الأمم على الرسل تسلية له، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ**» يا محمد رسلاً، عن ابن عباس، وقتادة. «**فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ**» قيل: أمم الأولين، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأبي علي، وأبي القاسم. وقيل: في فرق الأولين، عن ابن عباس، والزجاج، وأبي مسلم. وهما متقاربان «**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**» أي: يسخرون به مع تكذيبهم له كما فعل قومك بك.

ثم بين الحجة عليهم وأنه أزاح عللهم، فقال سبحانه: «**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ**» يعني نوصله إليه ونجعله فيه، أي: نوصل القرآن في قلوب المشركين، وقيل: نجعل الحجج في قلوبهم، وقيل: بإخطار ذلك ببالهم حتى عرفوه، عن الأصم. وقيل: باستماعهم القرآن من الرسول ﷺ وحفظهم ومعرفتهم بمعانيه، وخلقه حفظ ذلك في قلوبهم، عن أبي علي، وأبي مسلم. والهاء في قوله: «**نَسْلُكُهُ**[1]» قيل: القرآن نسلكه في قلوب الكفار، وهو قول الأكثر، وأبي علي، وأبي مسلم، وأبي القاسم. وقيل: الحجج، عن الأصم. وقيل: نسلك الاستهزاء بإخطاره على البال لكي يجتنب عليهم في معنى قول الحسن، وقتادة، والأول أصح «**فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**» أي: المشركين من أمتك لإقامة الحجة عليهم «**لا يُؤْمِنُونَ**» أي: مع ذلك لا يؤمنون بالقرآن عناداً وجهلاً.

---

(١) نسلكه: نسلك، و.

ومتى قيل: أليس روي عن جماعة من المفسرين أن المراد بقوله: «**نَسْلُكُهُ**» الشرك كما رووه عن الحسن، أو التكذيب كما رووه عن ابن جريج، وعن عكرمة المراد به القسوة؟

فجوابنا: كل ذلك لا يصح، لأن ذلك فعل العبد، ولا يضاف إليه تعالى، ولأنه لم يجر للكفر ذكر، وقد جرى ذكر القرآن، فنسق الكلام[1] يقتضي أنه كناية عن القرآن، ولأنه لو خلق فيهم الكفر والعناد لكانوا معذورين، ولما توجه الذم عليهم، ولما استحقوا العذاب[2]، ولما أفاد البعثة، والآية ذم لهم واحتجاجاً عليهم، فكان على ذلك عذراً لهم وإسقاط للآئمة، ولأن قوله: «**لا يُؤْمِنُونَ بِهِ**» كالمناقضة، لأن الكافر يكون مؤمناً بكفره، قال شيخنا أبو القاسم: ولو حمل على أنهم لا يؤمنون بالشرك لكانوا محمودين «**وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**» أي: مضت طريقة الأمم المتقدمة، قيل: كانت الرسل تدعوهم إلى كتب الله، ويسلك الله ذلك في قلوب أممهم لا يؤمنون، كما هو سنة قومك، عن أبي علي، والقاضي. وقيل: سنة الأولين في أن عوجلوا بعذاب الاستئصال لإصرارهم على الكفر، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: في إهلاك من أقام على الكفر بعد مجيء ما طلب من الآيات، وقيل: هكذا سنتهم في التكذيب، كما كذبك قومك، عن ابن عباس، وقيل: منهم من تعمد وجحد الرسول بعد اليقين كما في قومك، عن الأصم. وقيل: وقائع الله ممن قبلكم من الأمم، عن قتادة.

ولما تقدم اقتراحهم الآيات ونزول الملائكة أتبعه بالجواب، فقال سبحانه: «**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ**» قيل: على أهل مكة، عن ابن عباس. وقيل: على أهل العناد، عن الأصم. وقيل: على كفار قومه، عن أبي مسلم. «**بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ**» يعني: تظل الملائكة تصعد وتنزل في ذلك الباب وهم يرونها[3]، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وهو اختيار القاضي. وقيل: يظل هؤلاء المشركون يعرجون إلى

(١) الكلام: القرآن، د.
(٢) العذاب: العقاب، د.
(٣) يرونها: يرونه، د، و.

السماء وهم يشاهدون ذلك، عن الحسن، والأصم، وأبي علي، وأبي مسلم. «**لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا**» يعني هؤلاء الكفار قالوا عند مشاهدة ذلك، عن الحسن. و«سُكِّرَتْ[1] أَبْصَارُنا»، قيل: سدت، عن مجاهد، والضحاك، وابن كثير. وقيل: أغشيت، عن ابن عباس، والكلبي، وأبي عمرو، وأبي عبيدة. وقيل: خيلت، ومعنى السكر التخييل الفاسد أي: لقالوا: هذا يخيل إلينا من غير أن يكون له حقيقة كما يخيل إلى السكران، عن الأصم، وأبي مسلم. وقيل: سحرت، عن الحسن، وقيل: أخذت، عن قتادة. وقيل: عميت، عن الكسائي. وقيل: تحيرت وسكنت عن أن تنظر، كما يقال: سكرت الريح سكنت، عن الزجاج. وقيل: سكرت حبست ومنعت[2] عن أن تنظر على حقيقة، وأما التخفيف فقيل: سحرت، «**بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ**» قيل: مخدوعون، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: سحرنا محمد فلا ننظر على ما يذهب إليه العوام.

ومتى قيل: كيف يجوز على الجماعة الكثيرة أن يشاهدوا الملائكة مع عظم هذا الأمر أن يكونوا يشكون[3] فيما عاينوا؟

فجوابنا أنه تعالى[4] لم يصفهم بالشك فيما عاينوا، وإنما وصفهم بأنهم يقولون ذلك، ومثل ذلك يجوز، ويكونون معاندين، ويصح العناد على جماعة إذا جمعهم أمر من مواطأة أو غيرها على أن هذا حكاية عن قوم مخصوصين سألوا عن[5] إنزال الملائكة، وهم الرؤساء، وفي عددهم قلة.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الموصوفين فيها كانوا معاندين.

---

(١) سكرت: أسكرت، و.

(٢) عن أن تنظر . . . ومنعت: ـ ، د.

(٣) يشكون: يشكوا؛ د، و.

(٤) تعالى: +، د.

(٥) عن: ـ ، د.

وتدل على أنهم لا يؤمنون أبداً، لأنه تعالى أخبر عن طريقتهم في جميع الأوقات، عن الشيخ أبي حذيفة، وواصل بن عطاء.

وتدل على أنه لا لطف لهم يؤمنون عنده، لأن ما ذكره مبالغة في أنهم ينتفعون بما[١] يظهره الله تعالى.

وتدل على أن السحر ما يرق ويلطف من الحيل[٢] حتى يلتبس بالمعجز، ويحتاج إلى تأمل للتمييز.

وتدل على بطلانه، وكذلك سد الأبصار، وأنه من اعتقاد الكفرة، ولذلك حكى ذلك عنهم ذماً وتهجيناً، قال شيخنا أبو علي: ومن جوز ذلك لا يمكنه الاستدلال على التوحيد والنبؤات، لأنه لم يثق بالمشاهدات، ولا بما يظهر من المعجزات.

ومتى قيل: فمع هذا الاعتقاد كيف نكلف؟

قلنا: نكلف[٣] أولاً بإزالة هذا الاعتقاد، ثم النظر في الأدلة، كما كلف البرهمي أن يزول عن اعتقاده أن البعثة لا تجوز، ثم ينظر في علامات الأنبياء.

وتدل على أن اعتقاد الباطل ربما أثر فيما يؤثر بالبصر كما قال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ **[الأعراف: ١١٦]**.

﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾﴾

---

(١) بما: بها بما، د.
(٢) من الحيل: من الخيل، د.
(٣) قلنا نكلف: ـ ، د.

۞ اللغة

البرج: أصله الظهور، ومنه: برج السماء، وبرج الحصون، وجمعه: بروج، سميت بذلك لظهورها، ومنه: تبرجت المرأة أظهرت زينتها.

والرجيم: فعيل من الرجم، وهو بمعنى مرجوم، والرجم: الرمي بالحجارة، والرجام: الحجارة، ورجمت فلاناً رميته بالحجارة، ورجمته شتمته، وقد فسر الرجم في القرآن على القتل والشتم، وفي قوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦] قال الكسائي: الرجم في كل القرآن الشتم.

والشهاب: القطعة من النار، وجمعه: شهب، قال الزجاج: الشهب الكواكب المنقضّة من آيات الرسول، وكانت بعد مولده، لأن شعراء العرب لم تذكر[1] ذلك في أشعارها، فلما حدثت ذكرها الشعراء.

۞ الإعراب

الهاء في قوله: ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ تعود إلى السماء لأنها مؤنثة.

وقوله﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ﴾ قيل: استثناء خارج كما يقال: ما اشتكي إلا خيراً، أي: اذكر خيراً، عن أبي القاسم وبعض نحاة البصرة، وقيل: هو بمعنى لكن، وقيل: هو استثناء صحيح على تقدير: إن السماء محفوظة[2] عن جميع الشياطين إلا من هؤلاء، فإنا لم نمنعهم بالحيلولة، فإذا راموها أتبعهم شهاب ثاقب، عن الأصم، وأبي علي.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر تكذيبهم للرسل أتبعه بذكر دلالات التوحيد مبيناً أنهم مع ظهور هذه الدلالات ذهبوا عنها، وتمسكوا بالشرك، فلا عجب ذهابهم عن دلالات النبوة، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ جَعَلْنَا**» أي: جعلنا وهيأنا «**فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا**» قيل: البروج النجوم،

---

(١) لم تذكر: لم يذكروا، و.

(٢) محفوظة: محفوظ، د.

عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد، والضحاك. وقيل: البروج منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر برجاً، لكل برج اسم، عن الأصم، وأبي القاسم. وقيل: أماكن النجوم، عن أبي مسلم. «وَزَيَّنَّاهَا» أي: حسّنّا السماء بالنجوم النيرة «لِلنَّاظِرِينَ» لمن ينظر إليها «وَحَفِظْنَاهَا»أي: حفظنا السماء «مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ» قيل: جعلناها ومنع دخول الشياطين فيها لاستماع الأخبار لتفسد الناس[1] «رَجِيمٍ» قيل: مرمي بالشهب أي: النار، عن أبي علي، وأبي القاسم، وأبي مسلم. وقيل: ملعون، عن ابن عباس. قال القاضي: والأول أقرب لأن استعماله في اللعن والطرد تشبيهاً بالرجم بالحجارة وغيرها «إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» السرقة عند العرب أن يأتي خفية إلى حرز فيأخذ منه ما ليس له، والمراد بالسمع المسموع، أي: إلا من حاول أخذ مسموع من السماء في خفية «فَأَتْبَعَهُ» يعني ممتنع من استراق السمع بالشهاب، ومعنى (أتبعهم) لحقهم، وتبعهم مضى في أثرهم، عن أبي علي. «شِهَابٌ» نار، وقيل: كوكب «مُبِينٌ» أي: بين مضيء لمن رآه، وقيل: إن الشُّهُب[2] تحرقهم وتقتلهم[3]، عن الحسن. وقيل: تؤثر فيه بجرح وحرق[4] ولا يقتل، عن ابن عباس.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن في السماء بروجاً، وأنه تعالى خلقها، وهي أمكنة النجوم، وكانت العرب تعرف تلك البروج وتسميها، وهي اثنا عشر[5]: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهذا مما لا يعلم عقلاً ولا مشاهدة، فلا بد أن يعلم بخبر نبي يبين البروج والنجوم، وكيفية سيرها وأماكنها ومنازلها، وكل ذلك دليل على أنه صنع قادر حكيم دبرها على ما هي عليه.

---

(١) الناس: الناس قيل، د.
(٢) الشهب: الشهاب؛ د، و.
(٣) تحرقهم وتقتلهم: يخرقهم ويقتلهم، د.
(٤) وحرق: وخزق، د.
(٥) اثنا عشر: اثني عشر، د.

وتدل على ثبوت السماوات خلاف ما يقوله المنجمون: إنها الأفلاك.

وتدل على[1] أن السماء محفوظة[2] من دخول الشياطين، فإنهم كانوا يدخلون قبل ذلك ويسترقون السمع.

وتدل على أنهم منعوا بالنهي، فلما لم يمتنعوا منعوا بالقهر لما فيه من المصلحة وأنه يتبعهم شهاب ثاقب.

۞ فصل

وللملحدة وغيرهم أسئلة في هذه الآية نشير إلى ذكرها، وإلى أجوبة الموحدين عنها.

قالوا: كيف كانوا يسترقون السمع؟

قلنا: قيل: كانوا يأتون السماء وقد مكنوا من ذلك بما أعطوا من الآلات فيسمعون ما هو كائن في الأرض، فينزلون ويخبرون بذلك، وكانوا لا يمنعون من ذلك قبل المبعث.

وقيل: كانت الملائكة تنزل من السماء ولها في الجو مكان تتخاطب فيه، فكان[3] استراق السمع من تلك الجهة.

فقالوا: هلا مُنِعُوا من الصعود أصلاً؟

قلنا: منعوا بالنهي، فلما أدى تخليتهم إلى فساد منعوا بالقهر، وإنما كان وجه المفسدة ما يفسد بعضهم بعضاً، أو يفسدون غيرهم بالوسوسة.

قالوا: فهذه الشهب هل تكون معجزة؟

قلنا: نعم، وقيل: حدوثها معجزة لأنه لم يكن، وقيل: كثرتها معجزة، وقيل:

---

(١) على: ـ، د.

(٢) محفوظة: محفوظ، د.

(٣) فكان: وكان، د.

إصابة الشيطان بها معجزة، فعلى هذا التأويل تكون معجزة بين الجن، لأنه مبعوث إليهم.

قالوا: فهل تنقض الكواكب؟

قلنا: لا، ولكن ينفصل منها شهب حتى ترى[١]، والكواكب بحالها.

قالوا: أليس الشهب ما يقرب من الأرض ونحن نراه، فكيف تكون السماء؟

قلنا: من صار منهم قريباً من السماء تأتيه الشهب من حيث لا ينتبه[٢]، ومن كان قريباً من الأرض يأتيه شهاب يراه وينتبه[٣]، عن أبي علي.

وقيل: ترى لسرعة حركاتها، إذ ليس في خللها[٤] سكون يشكل بها.

قالوا: كيف يجوز فيهم أن يذهبوا إلى حيث تحرقهم[٥] الشهب من طول تجربتهم وهم عقلاء؟

قلنا: لا يعرفون كل المواضع التي إذا صاروا إليها أحرقهم[٦] الشهاب، بل يحترقون[٧] في موضع دون موضع، وإذا اختلف ذلك لم يمتنع وقوع ذلك منهم إذا رجوا السلامة، فهو كراكب السفينة في البحر يخاف الهلاك ويرجو السلامة.

ويقال: كيف السماء؟

قلنا: هو سبع سماوات فوق الأفلاك الدائرة والنجوم السائرة، وسماء الدنيا مخصوص بالزينة، وجميعها مقر الملائكة، عن أبي علي.

---

(١) ترى: يرى، د.
(٢) لا ينتبه: لا يشتبه، و.
(٣) وينتبه: ويشتبه، و.
(٤) خللها: حللها، و.
(٥) تحرقهم: يخزقهم، د.
(٦) أحرقهم: أخزقتهم، د.
(٧) يحترقون: يخترقون، د.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

۞ القراءة

اتفق القراء على أن «**معايش**» غير مهموز، وروي عن الأعرج أنه كان يهمزها، وروي ذلك عن نافع، وأكثر النحويين على أن الهمز فيه لحن، وبعضهم قال[1]: له وجه وإن كان بعيد، قال أبو القاسم: فكما اتفقوا أنه بغير همز اتفقوا أن (خزائن) مهموز وعجائز وصحائف وكبائر ونحوها.

وقرأ حمزة «**الريح**» على واحد، وأراد الجنس، والباقون «**الرياح**» على الجمع.

۞ اللغة

قال الفراء: المد البسط في الأرض، عن أبي مسلم، وأصله الثبوت، يقال: رست السفينة إذا ثبتت.

والمعايش جمع معيشة، وهو[2] كل ما يعيش به الناس، ولا يهمز، لأنه من عاش يعيش، فالياء أصلية.

واللواقح: جمع لاقح، وهي الحامل، يقال: لقحت الناقة إذا حملت، وألقحها إذا ألقى عليها الماء فحملت، فالرياح كالفحل للسحاب على طريق العادة لا الوجوب، قال الزجاج: يقال للريح إذا أتت بالحيا: لقحت، كما قيل فيها: عقيم.

والخزن: وضع الشيء بالمكان المهيأ للحفظ، خزنه يخزنه خزنا، نحو: نصره

(١) قال: قالوا، د.
(٢) هو: +، د.

ينصره نصراً، وهو خازن والشيء مخزون، ويقال: سقيته بغير ألف فيما يشربه أسقيه[1]، وأسقيته بالألف فيما تشربه أرضه، وقال علي بن عيسى: وقد يجيء أحدهما بمعنى الآخر، قال أبو القاسم: لا يقال في اسقه[2] إلا سقيته، ومنه: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

الإعراب

يقال: ما موضع (من)[3] من الإعراب في قوله: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾؟

قلنا: قيل: في محل الخفض عطفاً على الكاف والميم في قوله: «**لكم**» قال الفراء: تقديره: وجعلنكم ومن لستم له برازقين. «**معايش**» قال: ويجوز عطف الظاهر على المكني، وقيل: لا يجوز عطف الظاهر على المكني المخفوض، لا يقال: أخذت منك وزيد إلا بإعادة الخافض، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] ويجوز عطف الظاهر على المكني المرفوع نحو: جاء هو وزيد، قيل: (من) موضعه نصب عطفاً[4] على (معايش)، عن علي بن عيسى.

و(**لواقح**) هي ملقحات إلا أن الفاعل قد يكون بمعنى مفعل، قال الشاعر:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ[5]

أراد: منصب، وقيل في قوله: «إن عذابك بالكفار ملحق»[6]، أي: لاحق.

المعنى

لما تقدم ذكر السماء وما فيها من أدلته ونعمه تعالى، أتبعه بذكر الأرض وما فيها من الأدلة والنعم، فقال سبحانه: «**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا**» أي: بسطناها، لأن ببسط الأرض

---

(١) أسقيه: لنفسه، د.
(٢) اسقه: لسقيه، د.
(٣) من: +، د.
(٤) عطفا: عطف، د.
(٥) البيت للنابغة الذبياني، انظر: الديوان ص: ٤٠.
(٦) ملحق: يلحق، د.

تتكامل النعم من تمكن التصرف، والزرع والغرس[١] والبناء وغير ذلك «**وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**» أي: الجبال الثوابت لأن بها تتم النعم من سكون الأرض، وهي كالكنوز للماء والجواهر المخلوقة فيها من الذهب والفضة والنحاس وغير ذلك، كالأعلام لهداية الطرق، فجعل تعالى الجبال سبباً لهذه المنافع على سبيل العادة، وهو قادر على تسكين الأرض، وخلق هذه المنافع من غير حيل[٢] «**وَأَنْبَتْنَا فِيهَا**» قيل: في الأرض من أنواع النبات، وهو الوجه، وقيل: في الجبال من أنواع الجواهر «**مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ**» قيل: ما يوزن في العادة كالذهب والفضة والصفر والنحاس ونحوه[٣]، وقيل: ما يصلح أن يوزن فيدخل فيه الحبوب، وقيل: هو ما تخرجه الأرض فيدخل المكيل فيه، لأنه وإن أكيل حبا فعاقبته إلى الوزن، كالطعام وغيره، عن أبي مسلم، وقيل: معلوماً تشبيهاً بالوزن، لأنه به يعلم مقادير الأشياء، عن الضحاك، وابن عباس، وقتادة، وسعيد بن جبير. وقيل: موزوناً، أي: مقدراً بحسب الحاجة إليه، كما يتقدر الموزون، عن أبي صالح، ومجاهد، وعكرمة، وهو قول أبي علي، وأبي القاسم. قال القاضي: ويعد هذا الوجه أقرب، وقيل: كل ما فيها صواب وحكمة يدل على مدبرها، كما يقال لكل صواب من قول أو فعل: موزون، يقال: هذا كلام معه موزون، عن الأصم. «**وَجَعَلْنَا لَكُمْ**» أي: خلقنا لكم «**فِيهَا**» في الأرض «**مَعَايِشَ**» قيل: من زرع ونبات، عن ابن عباس والحسن[٤]، وابن زيد. وقيل: رزقاً تعيشون به من أنواع الحبوب والزروع والثمار، ووجه المعيشة في ذلك بوجهين[٥]: أحدهما: بانتفاعهم به، والآخر: تقلبهم[٦] في التجارات «**وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**» يعني جعلنا فيها معيشة لمن لستم له برازقين وقيل: جعلنا لكم معايش، وجعلنا لكم العبيد والإماء من لستم له برازقين، واختلفوا، قيل: من لستم له برازقين[٧] الدواب والأنعام، عن

---

(١) والغرس: الفرش، د.
(٢) حيل: حيلة، د.
(٣) ونحوه: وغيره، و.
(٤) عن ابن عباس والحسن: عن الحسن وابن عباس، و.
(٥) بوجهين: لوجهين، د.
(٦) تقلبهم: تقليبهم، د.
(٧) وقيل جعلنا. . . له برازقين: ـ ، و.

مجاهد. وقيل[١]: لكم فيها معايش، وجعلنا لكم من[٢] العبيد والإماء، عن أبي مسلم[٣]. وقيل: البهائم والطيور، عن ابن عباس، والحسن، والأصم، وأبي علي. وقيل: المراد به العبيد والإماء والدواب والأنعام والأجنة والأطفال وسائر الحيوانات، عن القاضي، ونحوه عن الزجاج. وقيل: (من)؛ لأنه غلب العقلاء على غيرهم، كقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم﴾ [النور: ٤٥] قيل: (من) بمعنى (ما). «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ» أي: ما من شيء، قيل: من المطر، عن ابن عباس، والحسن وابن جريج. وقيل: ما من شيء مما جعله الله معاشاً ورزقاً لمن يحتاج إليه، عن الأصم، وأبي علي. «إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ» قيل: إن في مقدوراتنا منها ما نريد، فشبه مقدوره بالخزائن لإخراج الشيء منها يعني أنه قادر على إحداث[٤] ما يشاء من غير حصر، عن أبي علي. وقيل: المراد به الماء الذي منه النبات، وينزله إلى السحاب، وقيل: لفظ الخزائن مستعار والمراد أن الخير كله من الله تعالى «وَمَا نُنَزِّلُهُ» يعني الماء من السماء «إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» بحسب المصلحة، وبحسب الحاجة، لا يتجاوز حسب الحاجة، ولا ينقص منه.

ثم بين كيفية إنزاله فقال سبحانه: «وَأَرْسَلْنَا» قيل: أنشأنا والإرسال الإطلاق، وقيل: أجرينا «الرِّيَاحَ» قيل: هي أربعة تعمل حتى تمطر، فالصبا تهيجه، والدبور تلقحه، والجنوب تدبره، والشمال تفرقه، عن أبي بكر بن عياش، وعن النبي ﷺ: «الريح الجنوب من الجنة»، وهي اللواقح، وكل ذلك عادة الدنيا بها[٥]، وإلا فهو قادر على أن يرسل المطر من غير سحاب وريح، وأن ينبت الأشياء من غير ماء، ولكن دبرها على هذا التدبير لما علم فيه من المصلحة «لَوَاقِحَ» قيل: تلقح السحاب فتلقي فيه الماء، عن ابن عباس، والحسن، وأبي علي، وقتادة، وإبراهيم، والضحاك.

(١) عن مجاهد وقيل: ـ، و.
(٢) لكم فيها معايش وجعلناكم من: +، و.
(٣) عن أبي مسلم: عن أبي علي مسلم، و.
(٤) إحداث: إحداثه، د.
(٥) بها: ـ، و.

ومعناه: ذات لقاح، كقولهم: هَمٌّ ناصب[١] أي: ذو نصب[٢]، ويقال: رجل رامح وتارس[٣] ونابل، وقيل: حوامل للخير والماء لا تمر بزرع ولا ثمر إلا أصلحته، وتؤلف السحاب، وتلقحها، فشبه الرياح بالسحاب الحوامل لما فيها من المنافع وإن كانت مشبهة[٤] بالرجل العقيم، قال أبو القاسم: لقحت بخير، وقيل: معناه: ملقحة، فقيل: لاقح، كقولهم[٥]: ليل نائم، عن الفراء. قال أبو عبيدة: والعرب تفعل ذلك فتعيده إلى الأصل. قال القاضي: والأقرب أن هذه الرياح يرسلها تعالى حوامل للماء، لأن الرياح إذا تراكبت[٦] واختلط بها غيرها صارت سحاباً، وقيل: اللواقح هي الجنوب، عن ابن عباس، وأبي علي. والغيم هو الشمال، عن ابن عباس. «**فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ**[٧]» أي: جعلناه سقياً لكم لزرعكم وأنعامكم فتحيا بها البلاد، وينمو به الزرع والثمار، «**وَمَا أَنْتُمْ**» أيها الناس «**لَهُ**» قيل: للمطر، وقيل: لهذه النعم والمعايش «**بِخَازِنِينَ**» أي: حافظين، قيل: ليس بمقدور لكم، ولا صنع لكم فيه، وهو الخالق لذلك، وقيل: ما أنتم للماء بحافظين، بل الله يحفظه ويرسله من السحاب ثم يحفظه في الأرض ثم يخرجه من العيون بقدر الحاجة.

۞ الأحكام

تدل الآية أنه بسط الأرض لمنافع الخلق من التصرفات المختلفة.

وتدل أنها مسطحة، لأن لفظ المد لا يليق إلا بذلك على ما يقوله أبو علي، وقيل: إنها كرة عظيمة فيصح فيه المد، قال القاضي: أشكال الأجسام لا تعرف إلا بالسمع ولم يرد في ذلك سمع قاطع.

---

(١) ناصب: ناضب، د.
(٢) نصب: نضب، د.
(٣) تارس: قاس، د.
(٤) مشبهة: مفسدة، د، و، والتصحح من هامش و.
(٥) كقولهم: لقولهم، د.
(٦) تراكبت: تراكمت، د.
(٧) فأسقيناكموه: وأسقيناكموه، د.

وتدل على أنه[1] أنشا الجبال لما فيها من المنافع، ولتسكين الأرض، فقد بينا ما قيل في سكون الأرض، وإن أبا علي يقول: إنه تعالى يسكنها حالاً بعد حال، وأبو هاشم يجوز ذلك، ويجوز أن فيها اعتمادان سفلي وعلوي يتكافآن فيقف[2] والله تعالى قادر على أن يسكنها من غير جبل، إلا أنه يسكنها[3] بالجبال لما علم من المصلحة، ولما في الجبال من المنافع الآخرة.

ويدل قوله: ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ أنه خلق الأشياء بقدر الحاجة.

ويدل قوله: ﴿لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ أنه يرزق جميع الحيوانات.

وتدل على أن الريح سبب للمطر سبب عادة لا سبب وجوب.

وتدل على أن المطر والنبات فعل الله تعالى، يعني لا تأثير لغيره فيه[4].

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٢٥﴾

۞ اللغة

الوارث: من يستحق تركة الميت.

والحشر: الجمع، ومنه: الحاشر والحشّار الذين يجمعون الناس إلى ديوان الخراج.

---

(١) أنه: أن، د.

(٢) فيقف: فيق، د.

(٣) يسكنها: أسكنها، د.

(٤) فيه: ـ ، د.

۞ النزول

قيل: كان[١] النساء يخرجن إلى الجماعات، فتقوم صفوف النساء خلف صفوف الرجال، فربما كان في قلب أحد شك[٢] من الرجال والنساء فيتقدم ويتأخر ليرى النساء والرجال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ ، عن ابن عباس.

وقيل: حث النبي ﷺ الناس على الصف الأول في الصلاة فازدحموا، وكان دور بني عذرة بعيدة من المسجد، فقالوا: نبيع دورنا، ونشتري دوراً قريبة من المسجد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ النظم

ويقال: كيف تتصل هذه الآيات بما قبلها؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل[٣]: لما بين أنواع نعمه بين أنه يحيي ويميت، وأنه يرثهم كما[٤] خولهم، تزهيداً في الدنيا وترغيباً في الآخرة، عن أبي مسلم.

وقيل: لما بين أنواع ما أنعم عليهم عرفهم أنه لم يخلق ذلك للبقاء، وإنما أنعم ليكون طريقاً إلى الآخرة، عن القاضي.

وقيل: لما ذكر نعم الدنيا نبه بالإحياء والإماتة، وعلم بالأشياء، وكون رجوعهم إليه، والجزاء على أن الواجب على العبد أن يعبده، وينقطع إليه.

۞ المعنى

«وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ» قيل: نحيي الخلق ونكلفهم[٥] في الدنيا، ثم

---

(١) كان: كانت، و.

(٢) شك: ـ، و.

(٣) قيل: ـ، و.

(٤) كما: كلما، و.

(٥) ونكلفهم: ونكلفه، د.

نميتهم[1] للبعث والجزاء، عن أبي علي. وقيل: نحيي الأرض بالنبات بعد موتها، كذلك نحييكم بعد الموت، عن الحسن. قال القاضي: وهو مجاز والأول هو الحقيقة فكان أولى «**وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**» قيل: لأن جميع أملاك الخلق تزول، ولا يملك أحد سواه، تشبيهاً بانتقال الملك عن الميت إلى الوارث «**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**» قيل: من مضى ومن بقي، عن قتادة، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد. لأنه لولم يعلم ذلك لما صح الحشر، وقيل: أول الخلق وآخره، عن الشعبي. وقيل: المتقدمين في الخيرات والمثبطين عنها[2]، عن الحسن. وفيه حث على الخير، وقيل: من تقدم موته ومن تأخر[3]، والعمر القصير والعمر الطويل، عن أبي علي. وقيل: المستقدمين في صفوف الصلاة والمستأخرين، عن ابن عباس. وقيل: المصلي في أول الوقت والمصلي في آخره، عن الأوزاعي. وقيل: هو في صف[4] القتال، عن مقاتل. وقيل: من أسلم ومن لم يسلم، عن ابن عيينة. وقيل: علمنا الكفار الذين أهلكوا بالاستئصال والمستأخرين الذين يستمرون على كفرهم، عن الأصم. وقيل: من خلق ومن لم يخلق، عن عكرمة. وقيل: من تقدم في الفضل والسبق ومن تأخر «**وَإِنَّ رَبَّكَ**» يا محمد أو أيها السامع «**هُوَ يَحْشُرُهُمْ**» أي: يجمعهم إلى يوم القيامة للمجازاة «**إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**» يعني عليم بمقادير الأعمال والجزاء، الحكيم في فعلها لا يتعدى الصواب.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى يحيي ويميت، ويحشر للجزاء.

وتدل على أنه المختص بالقدرة عليها.

ويدل قوله: ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ على أنه لا يبقى حي سواه ولا مالك.

---

(١) نميتهم: نميته، د.

(٢) عنها: عنه، د.

(٣) تأخر: يتأخر، د.

(٤) صف: صفة، د.

وتدل على أنه لا يفعل القبيح ولا يريده لأنه ينافي[1] الحكمة.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**والجان**» بغير همز، وعن الحسن بهمزة ساكنة، قال أبو القاسم: وهي لغة ردية.

اللغة

الصلصال: القعقعة، وهو صوت شديد متردد في الهواء، يقال لصوت الرعد: صلصلة، ولصوت الحديد: قعقعة، والصلصال قيل: هو الطين اليابس الذي لم تصبه نار، أخذ من الصوت، يقال: صل وصلصل صلصلة إذا صوت، وقيل: إذا خلط الرمل بالطين كان له صوت عند[2] المس والتحريك، وقيل: الصلصال المنتن، أخذ من صل اللحم وأصل إذا أنتن.

والحمأ: جمع حمأة، وهو الطين المتغير إلى السواد.

والمسنون: قيل: المصبوب أخذ من سننت الماء على الوجه وغيره إذا صببته، وقيل: سننت ـ بالسين[3] غير معجمة: ـ أرسلت الماء على الوجه، وشننت ـ بالشين معجمة ـ صببت، والمسنون قيل: المنتن، والسنة: السيرة والطريقة، وأصل الباب: الاستمرار في جهة[4]، ومنه: «هو على سنتي» وأخذ من سنة الوجه صورته.

(١) لأنه ينافي: لا ينال، د.
(٢) عند: عن، د.
(٣) بالسين: بالشين، و.
(٤) جهة: جهته، د.

والجان من الجن، وسموا جناً لاستتارهم عن العيون، ومنه: الجنون والجنين والجنان والجَنة والجِنة والجُنة.

والسموم: الريح الحارة أخذ من دخولها بلفظها في مسام البدن، ومنه: السم القاتل، يقال: سم يومنا يسم سموماً إذا هبت به[1] ريح السموم.

والتسوية: جعل كل واحد من الشيئين على مقدار الآخر، ثم يسوى بين الشيئين في الصورة كما يسوى بين بني آدم في الصورة الإنسانية، وقد يسوى في الحكم وغير ذلك.

والنفخ: إجراء الريح في الشيء، نفخ ينفخ نفخاً.

۞ الإعراب

(قبل) و(بعد) مبنيان عند الانفراد، فإذا أضيفا أعربا[2]، قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] وقال: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [هود: ١٧، **الأحقاف: ١٢**].

وإنسان تصغيره: أنيسان، قيل: أخذ من النسيان، وأصله أنيسان[3] على وزن أفعلان، فأسقطت[4] الياء منه لكثرة جريانه على الألسن، فإذا صغرت ردت إلى الأصل، ولم تحذف الياء لأنه لا يكثر استعماله[5]، وقيل: سمي بذلك لظهوره، وإدراك البصر إياه، وإليه ذهب نحاة البصرة، ووزنه فعلان فزيدت الياء في التصغير، كما زيد في تصغير راجل، فيقال: رويجل.



۞ المعنى

لما تقدم ذكر الإحياء والإماتة والنشأة الثانية أتبعه ببيان النشأة الأولى من خلق

---

(١) به: له، د.

(٢) اضيفا أعربا: أضيف عرب، د.

(٣) أنيسان: إنسيان، د.

(٤) فأسقطت: وأسقطت، د.

(٥) استعماله: الاستعمال، و.

آدم، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ**» يعني آدم «**مِنْ صَلْصَالٍ**» قيل: من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة أي: صوت، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأكثر المفسرين. قال مجاهد: هو مثل الخزف[١] الذي يصلصل، وقيل: الصلصال المنتن، عن مجاهد، والكسائي. وقيل: طين صلب يخالطه الكثيب، عن الضحاك. «**مِنْ حَمَإٍ**» أي: من طين متغير «**مَسْنُونٍ**» قيل: مصبوب، يعني: الحمأة قد اشتدت وانبسطت، وقيل: كأنه أفرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة، وقيل: رطْب، عن ابن عباس. وقيل: متغير منتن، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وأبي علي. وقيل: مسنون، أي: سنه لولده، يخلق ولده على سنته أي[٢]: صورته، وقيل: مسنون مصور، أي: خلقنا الإنسان مصوراً من طين متماسك له[٣] صوت، عن أبي مسلم. وقيل: منصوب قائم على مثال كنه الوجه أي: صورته، قال القاضي: والذي خلق منه أولاً كان تراباً، ثم طيناً، ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصالاً كالفخار «**وَالْجَانَّ**» قيل: أبو[٤] الجن، عن ابن عباس، والأصم. وقيل: هو إبليس، عن الحسن، وقتادة، ومقاتل. وقيل: هم الجن نسل إبليس، قال أبو مسلم: الجان واحد الجن «**خَلَقْنَاهُ**» أي: أنشأناه «**مِنْ قَبْلُ**» أي: من قبل خلق آدم «**مِنْ نَارِ السَّمُومِ**» قيل: من نار [لها] ريح، وقيل: من نار جهنم، عن ابن عباس، وقيل: من لسان النار ولهبه، عن الأصم، والحسن، وقيل: خلقه من نار ووصفها بالسموم لإحراقها[٥]، عن أبي علي. وقيل: النار الملتهبة، عن أبي مسلم «**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ**» الذين كانوا سكان الأرض، عن ابن عباس، والأصم، وقيل: هو عام «**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ**» بإتمام خلقه وكماله، وقيل: عدلت صورته وأكملت[٦]«وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» كناية عن إحيائه، وأضافه إلى نفسه لأنه القادر

(١) الخزف: الخرز، د.
(٢) سنته أي: سنته التي هي، د.
(٣) له: لو، و.
(٤) أبو: أب، و.
(٥) لإحراقها: لا إحراقها، د.
(٦) وأكملت: ـ، د.

عليه، وقيل: تشريفاً وتعظيماً «فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» قيل: سجود تحية لا سجود عبادة، فالعبادة لله والتحية لآدم، عن أبي القاسم، وقيل: هو قبلة السجود كالكعبة، عن أبي علي «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ» المأمورون «كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» قيل: إنه تأكيد على تأكيد، عن الخليل، وسيبويه، والزجاج. قال المبرد: «كُلُّهُمْ» تدل على أنهم[1] اجتمعوا في السجود و«أَجْمَعُونَ» تدل على اجتماعهم على السجود في حالة واحدة، قال الزجاج: ولا يجوز ذلك، لأن (أجمعون)[2] معرفة فلا يكون حالاً.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى خلق آدم من صلصال كما بين، ولو أوجده ابتداء كان مقدوراً عليه إلا أنه خلقه منه لمصلحة كما خلق أولاده من ماء مهين، وقد رووا فيه أنه أخذ التراب من جميع وجه الأرض وأنه بعث ملكاً بعد ملك، فاستعاذ ولم يأخذ، وذلك[3] مما ينكره العقل.

وتدل على أنه خلق الجان من نار، وأنه خلق قبل خلق[4] آدم، وقيل: إن[5] الجن غير الشياطين، وذلك بعيد لأن الجن اسم لجنس مخصوص، ثم كافرهم يسمى شيطاناً، ولا خلاف بين مشايخنا أنهم مكلفون كما نحن، وقد نطق القرآن بذلك، ومن قال: إنهم مجبورون لا يستحقون ثواباً وعقاباً ليس بشيء.

وتدل أنه أكرم آدم بالأمر بالسجود له.

ومتى قيل: أفيدل ذلك على أنه أفضل منهم؟

فجوابنا: لا، لأنه لا يمتنع أن يأمر الأفضل بتعظيم المفضول، وقد أمر العبد بتعظيم مولاه، وإن كان أفضل منه.

وتدل على أن السجود فعلهم حادث من جهتهم لذلك صح الأمر به والعقاب على تركه.

---

(١) أنهم: أنه؛ د، و.

(٢) أجمعون: أجمعين، و.

(٣) ولم يأخذ وذلك: ولم يأخذوا ذلك، د.

(٤) خلق: ـ، د.

(٥) وقيل إن: وقبل أن يخلق، و.

قوله تعالى:

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣١) قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ[1] أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ (٣٣) قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ (٣٥)﴾

اللغة

إبليس أخذ من الإبلاس، وهو اليأس من رحمة الله، إلا أنه يشبه الأسماء الأعجمية من جهة أنه لا يستعمل إلا على[2] جهة العلم فلم يصرف، وقيل: إنه ليس بمشتق لأنه أعجمي بدليل أنه لا ينصرف. والإباء: الامتناع.

والرجيم: فعيل معدول عن مفعول، وقد يكون معدولاً عن فاعل كرجيم وراجم، ورجيم بمعنى مرجوم أي: مرمي بالذم.

الإعراب

«**إلا إبليس**» استثناء من غير جنس، كقوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] وكقول النابغة:

وما بالربع من أحد

إلا أواري[3] [4]

«**أن لا**» محل (أن) نصب قيل: بنزع الخافض، وقيل: تقديره: ما منعك أن تسجد؟ يعني: ما منع السجود؟

---

(١) ما لك: ما منعك، و.

(٢) على: من، و.

(٣) إلا أواري: أواري؛ د، و.

(٤) وجزء البيت من معلقة النابغة الذبياني، تمام البيت:

وقفت فيها أصيلاناً اسائلها ... عيت جوابا وما بالربع من أحد

إلا الأواري لأيا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

المعنى

ثم بين تعالى ما كان من إبليس عند أمره بالسجود، فقال سبحانه: «إِلاَّ إِبْلِيسَ» قيل: لكن إبليس، عن الزجاج وجماعة، وقيل: لم يكن من الملائكة بل هو[١] كان من الجن، وقيل: هو أب الجن، وإنما أمر معهم بالسجود، عن الحسن، والأصم، وأبي علي، وقيل: كان من الملائكة، وروي ذلك عن جماعة، والأول هو الصحيح، لأن صفته تباين[٢] صفة الملائكة، فإنهم لا يأكلون ولا يتناسلون، وخلقوا من غير ما يخلق[٣] منه الجن، ووصفوا بأنهم لا يعصون، وإنما صح الاستثناء لدخوله معهم في الأمر بالسجود، أي: إلى أن[٤] امتنع «أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» لآدم «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» أي ما منعك من السجود «قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» قال قتادة: حسده، فقال: أنا ناري وهذا طيني، وقد غلط لأن الفضل لا يحصل بما[٥] خلق منه، وإنما يحصل بمعاني أخر على أن التراب أفضل من النار بما فيه من خصال المنفعة، وقد بينا ذلك فيما تقدم.

«قَالَ» الله تعالى: «فَاخْرُجْ مِنْهَا» قيل: قاله له على لسان بعض رسله، عن أبي علي، وقيل: بل كلمه إهانة وإنكاراً نحو قوله: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] واختلفوا في قوله «مِنْهَا» قيل: من الجنة عند أكثر المفسرين، وهو قول أبي علي، وقيل: من الأرض فألحقه بالبحار[٦] لا يدخل الأرض إلا كالسارق، عن ابن عباس، وقيل: عن السماء، عن أبي مسلم. «فَإِنَّكَ رَجِيمٌ» أي: ملعون، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وابن جريج، والأصم، وقيل: رجيم أي: مرجوم،

---

(١) هو: ـ ، د.

(٢) تتباين: بيان، د.

(٣) ما يخلق: ما خلق، د.

(٤) إلى أن: ـ ، و.

(٥) بما: لما، و.

(٦) بالبحار: بالحفار، و.

يعني إن رجعت إلى السماء رجمت بمثل الشهب التي رجم بها[1] الشياطين، عن أبي علي، وقيل: مبعد من الخير طريد عن الجنة، عن أبي علي «**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**» أي: يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، قيل: أراد يلعنك أهل السماء وأهل الأرض إلى يوم القيامة، قيل: أراد أن عقوبته التي هي الإبعاد عليه أبداً، وقيل: هي بيان أنه لا يؤمن قط.

۞ الأحكام

تدل الآية أن جميع الملائكة سجدوا، وأن إبليس لم يسجد، فقول من يقول كانت ملائكة فأحرقت[2]، وخلق ثانياً، فأطاعت غير إبليس لا وجه له على ما ذكره ابن جرير.

وتدل على أن جميع الملائكة أمروا بالسجود، لأنه عم فيبطل ما روى عن بعضهم أنه أمر بها ملائكة السماء الدنيا فقط، أو الملائكة التي كانت في الأرض مع إبليس على ما حكاه الأصم.

وتدل على أن الفضل ليس[3] بالخلقة.

وتدل على أن إبليس كفر، وقيل: إنه كفر بوجوه:

منها: أنه لم ير لأمر[4] الله وإيجابه وجه الحسن والوجوب.

ومنها: أنه ترك أمره تكبراً ورداً.

ومنها: أنه كفر بآدم وفضله مع كونه نبياً.

ومنها: أنه لم يعلم أن الفضل لا يتعلق بالخلقة وكذلك التكليف.

وتدل على أنه يلعن إلى يوم الدين.

---

(١) بها: ـ، و.

(٢) فأحرقت: فأخرقت، د.

(٣) ليس: ليست، د، و.

(٤) أنه لم ير لأمر: أنه لم يولي من، د.

ومتى قيل: هل ينقطع بعد ذلك؟

فجوابنا: لا بل يتأبد اللعن والعقوبة عليه.

وتدل على أن السجود فعله لذلك صح الأمر به والوعيد على تركه.

وتدل على أنه كان[1] قادر عليه، لأنه لا يقال: (أبى) فيما لا يقدر عليه، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

القراءة

قرأ يعقوب وحده «**هذا صراطٌ عليّ**» بالرفع والتنوين على أنه صفة للصراط، وهو قراءة مجاهد وابن سيرين والنخعي، والقراء[2] كلهم قرؤوا[3] «**عليَّ**» بفتح الياء والتشديد بغير تنوين.

وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب: «**المخلِصين**» بكسر اللام[4] كل القرآن أي: أخلصوا[5] العبادة لله، فجعلوا الفعل لهم، وقرأ الباقون بفتح اللام، يعني: المقربين، وقيل: أخلصهم بالألطاف.

(١) كان: ـ، و.

(٢) والقراء: والفراء، و.

(٣) كلهم قرؤوا: كلهم قرؤوا كلهم، و.

(٤) يكسر اللام: ـ، د.

(٥) أخلصوا: أخلص، د.

۞ اللغة

الإنظار: الإمهال وهو التأخير.

والإغواء: الدعاء إلى الغي، وخلافه الإرشاد: الدعاء إلى الرشد، وقد يكون الإغواء بالحكم ذماً، والإغواء: الإضلال، وهو التحبيب ومنع الخير.

والغي الخيبة، قال الشاعر:

وَمَنْ يَغْوَ لاَ يَعْدَمْ عَلَى الغَيِّ لاَئما[1]

أي: من خاب لامه الناس على خيبته.

والإخلاص: إفراد الشيء عما يشوبه من غيره. والصراط: الطريق.

۞ الإعراب

الباء في قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ قيل: للقسم كقوله: **(تالله[2] لأغوينهم)**[3] وقيل: بخيبتي لأغوينهم كأنها سبب لإغوائهم كقولهم: بمعصيته دخل النار.

و(ما) مع الفعل بمنزلة المصدر كقولهم: ما أعطيتني قليل، أي: عطاؤك[4]، وكقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ **[الشمس: ٥]** أي: وبناها.

«**إلا عبادك**» نصب على الاستثناء. و«**صراط**» رفع لأنه خبر الابتداء و«**مستقيم**» نعته.

وقوله: «**علي**» كقولهم: الطريق علي أنا القائم به والحافظ له، وعلى القراءة الأخرى من نعت **(الصراط)** كقولك: صراط عال مستقيم.

---

(١) البيت لطرفة بن العبد، وصدره:

فمن يلقَ خيرا يحمد الناس أمره

(٢) تالله: بالله، د.

(٣) هكذا في و. ولم نجد آية في القرآن بهذا اللفظ.

(٤) عطاؤك: إعطاؤك، د.

۞ المعنى

ثم بين تعالى[1] ما سأل إبليس عند إياسه[2] من الآخرة، فقال سبحانه: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ أي: أمهلني وأخرني، وله تعلق بما تقدم، فكأنه قال: إذ جعلتني رجيماً فأنظرني طلباً للبقاء في الدنيا «إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» قيل: إلى يوم القيامة يبعث الله الخلق للجزاء، «قَالَ» تعالى «فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» قيل: إلى يوم القيامة، عن الحسن، وأبي علي، وأبي مسلم. وقيل: النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم، عن ابن عباس. وقيل: إلى وقت فنائك وعذابك دون يوم القيامة، عن الأصم. وقيل: الوقت الذي يعلمه[3] ولا يعلمه إبليس فأبهم ولم يبين، لأن في البيان إغراء بالمعصية، عن أبي القاسم.

ومتى قيل: هل أجاب دعاءه؟

فجوابنا: لا، لأن في إجابة دعائه تعظيم له، عن أبي علي. وقيل: يجوز استصلاحاً ولطفاً، عن أبي بكر أحمد بن علي.

ومتى قيل: كيف أعلمه أنه يبقيه وفيه إغراء بالمعصية؟

فجوابنا: من حمله على وقت مبهم فلا سؤال عليه، ومن حمله على يوم القيامة فإذا كان غير معلوم متى يكون وقد كتم أمره عن[4] العباد لم يكن وقت موته أيضاً معلوماً فلا إغراء فيه.

ومتى قيل: في إعلامه أنه يبقى ملعوناً إغراء.

فجوابنا: متى علم أنه ينصرف عن الدين لوجوه من الدواعي[5] فلا مفسدة في إعلامه.

---

(١) تعالى: ـ، د.

(٢) إياسه: يأسه، و.

(٣) يعلمه: يعلم، د.

(٤) عن: على، د.

(٥) الدواعي: الدعاوي، و.

«**قَالَ**» إبليس: «**رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ**» قيل: الإغواء الأول والثاني بمعنى الإضلال، أي: كما ضللتني أضلهم، وهذا لا يجوز لأنه تعالى لا يضل عن الدين، إلا أن يحمل على أنه قال ذلك معتقداً للخير، ويحمل ما بعده على الإنكار، وقيل: الإغواء الأول والثاني بمعنى الخيبة أي: كما خيبتني من رحمتك لأخيبنهم بالدعاء إلى معصيتك، عن أبي علي. وقيل: كما أضللتني عن طريق الجنة أضلهم بالدعاء إلى معصيتك، وقيل: بما[1] خيبتني لأضلنهم، فإغواءه يكون بالدعاء والوسوسة والتزيين، وغوايتهم تكون بوجهين: أحدهما: بطاعته، والثاني: باعتقاد الكفر، ومعنى «**لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ**»؟ قلنا: بالشهوات، وقيل: الأفعال القبيحة «**إِلاَّ عِبَادَكَ**» لما علم أن إغواءه لجميع العباد غير ممكن استثنى فقال: «**إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**» قيل: من أظهر لك الدين والتوحيد وهم المؤمنون، عن ابن عباس، والحسن، والأصم. وقيل: المؤمنون، عن الضحاك. «**قَالَ**» الله تعالى «**هَذَا**» يعني الإخلاص والتوحيد «**صِرَاطٌ**» قيل: الطريق، وقيل: دين يدل عليّ، عن الحسن. وقيل: طريقهم عليَّ ومرجعهم، وهو تهديد[2] كما تقول لمن عصاك: طريقك عليّ، وقيل: هذا دين تكفلت بحفظه وبيانه، ونفي الشبه عنه فعليّ ذلك، وقيل: أراد تعالى بقوله: «**عَلَيَّ**» إليّ أي: هذا طريق إلي أي: إلى رحمتي وجنتي، عن الحسن وجماعة. قال مجاهد: الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه، وعلى قراءة يعقوب: (صراط) رفيع «**مُسْتَقِيمٌ**» لا عوج فيه، وقيل: يسلك بصاحبه حتى يهجم به على الجنة، عن الحسن.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن لدعاء إبليس تأثيراً في الإفساد على ما يقوله أبو هاشم خلاف ما يقوله أبو علي.

وتدل على بطلان قول المجبرة؛ إذ عندهم الإغراء[3] والإضلال كله من الله تعالى.

---

(١) بما: ما، و.

(٢) وهو تهديد: ـ، و.

(٣) الإغراء: الإغواء، د.

وتدل على أن في عباده من لا يتبعه ولا يؤثر دعاؤه فيهم، وهم المخلصون.

وتدل على أنه يزين، فيبطل قول المجبرة أن المزين للقبيح هو الله تعالى.

ومتى قيل: كيف يزين؟

فجوابنا: بالوسوسة والدعاء إلى الشهوات والقبائح، وموافقة النفس في ارتكاب المحظورات وترك الواجبات.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

اللغة

المقسوم: الشيء المميز من غيره، قسم يقسم فهو قاسم، وذلك[١] مقسوم، والقسم[٢] قد يكون[٣] بالتمييز كالموزونات ونحوه، وقد يكون[٤] بالمعاوضة[٥] كالقسمة في الأشياء المختلفة.

الإعراب

«جهنم» لا تنصرف[٦]، لأنها معرفة مؤنثة، «وموعدهم» خبر، و(أجمعون) نعت له وتأكيد[٧]، و(جهنم) نصب بـ (أن) وهو مبتدأ.

(١) وذلك: وذاك، د.
(٢) والقسم: والقسمة، د.
(٣) يكون: تكون، د.
(٤) يكون: تكون، د.
(٥) بالمعاوضة: بالمعارضة، د.
(٦) تنصرف: ينصرف، و.
(٧) وتأكيد: ـ، و.

۞ المعنى

لما استثنى المخلصين بيّن تعالى حالهم، فقال سبحانه: «إِنَّ عِبَادِي» أضافهم إلى نفسه تشريفاً لهم «لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» أي: قوة «إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» قيل: لا تقدر على ضرهم، وإنما لحقهم الضرر باتباعهم إياك وقبولهم منك، عن الحسن، وأبي علي. وعلى هذا الاستثناء لا يكون حقيقة لكنه منقطع، وقيل: المراد لكن من اتبعك جعل لك على نفسه سلطاناً، وقيل: ليس لك عليهم حجة، بل حجة الله في دينه ظاهرة، لكن من اتبعك يلتزم باتباعك ما لا تقتضيه الحجة، وقيل: لا حجة لك ولا شبهة وإنما مرادك الإغواء، عن الأصم. وقيل: لا يمكنك إلا الوسوسة، وهي لا تؤثر إلا فيمن اتبعك، ولا سلطان لك سواه، والغاوي: الضال الهالك «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ» يعني موعد الغاوين «أَجْمَعِينَ»، «لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ» قيل سبع درجات، عن الحسن. وقيل: سبع منازل، عن الزجاج. وقيل: سبع موارد، عن الأصم. وقيل: سبعة أبواب ينفرد بعضها عن بعض، باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للمجوس، وباب للصابئين، وباب لعبدة الأوثان، وباب للمنافقين، وباب للفساق، عن الحسن، والضحاك، والأصم، وأبي مسلم. وقيل: سبعة أبواب، وأنها أطباق بعضها فوق بعض، عن علي (عليه السلام)[1]، وعكرمة، ومجاهد، وأبي علي. وقيل: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سقر، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، عن ابن جريج. «لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ» أي: من الغاوين «جُزْءٌ مَقْسُومٌ» قيل: نصيب معروف، عن ابن عباس. وقيل: جزّأ الله جهنم فقسمها أجزاء بينهم، عن الحسن. وقيل: لكل باب نصيب من الأولين والآخرين معذبون[2] فيها على قدر ذنوبهم، عن الأصم، وأبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه لا سبيل[3] للشيطان على الآدميين، فيبطل قول من يقول: إنه

(١) عليه السلام: ـ، و.
(٢) معذبون: معدون، د.
(٣) لا سبيل: لا سلطان، د.

يخيل ويصرع ويتكلم على لسانه، ويتراءى ويصور نفسه إذ لو صح هذا لكان هذا أقوى سلطان.

وتدل على أن لجنهم سبعة أبواب أو سبع طبقات.

وتدل على أن أهل كل طبقة متفاوتون في العذاب، فتدل[1] على أن تفاوت أحوال العصاة، لولا ذلك لم يكن للتفريق معنى، وقد بينا ما قيل فيه.

ويدل قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ على بطلان الجبر، لأنه لو كان هو[2] الخالق للاتباع والدعاء والإجابة[3] فلا شيء في الجانبين مضاف إليهم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**ادخلوها بسلام**» بضم الهمزة والخاء على الأمر لهم بالدخول، وفيه

حذف أي: ويقال لهم. وقرأ الحسن بفتح الهمزة وكسر الخاء على تسمية الفاعل للإدخال المأمور به.

اللغة

الجنات: الحدائق والبساتين وأصلها من الستر، وهو أن الشجر تجنها.

---

(١) فتدل: فيدل، د.

(٢) هو: ـ، و.

(٣) والإجابة: والفانة، ولعله، د. يريد: والغاية.

والعيون: واحدها عين، وهي معادن ينبع الماء عنه.

والسرر: جمع سرير، وأسرة، وهو مجلس رفيع أخذ من السرور، فسرير وسرر كخديد وخدد[1].

والغل: الحقد.

والنصب: التعب عن العمل، ونظيره: الإعياء، وأصله من الانتصاب، لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن[2] الذي يلحق.

۞ الإعراب

«**إخواناً**» نصب على الحال، وقيل: يحتمل جعلناهم إخواناً فيكون مفعولاً.

«**متقابلين**» من نعت[3] الإخوان.

«**وأن عذابي**» فتحت (أن) بقوله: «**نبئ عبادي**[4]» محله نصب عني.

۞ النزول

قيل: مر رسول لله ﷺ بنفر من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «أتضحكون، وقد ذكر الجنة والنار بين أيديكم»؟ فنزل ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ﴾ الآية، عن قتادة.

وقيل: قال لهم: «ألا إياكم تضحكون»، ثم أدبر ورجع[5]، فقال: «إني لما خرجت جاءني جبريل فقال: يا محمد إن الله تعالى يقول: لم تقنّط عبادي ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ﴾ الآية».

۞ المعنى

لما تقدم الوعيد لمن اتبع إبليس والشياطين أتبعه بالوعد لمن اتبع أمر الله تعالى

---

(١) كخديد وخدد: كجديد وجدد، و.

(٢) للوهن: بالوهن، و.

(٣) نعت: فعل، د.

(٤) عبادي: ـ، و.

(٥) ورجع: ثم رجع، د.

على عادة القرآن في اقتران الوعد والوعيد، فقال سبحانه: «**إِنَّ الْمُتَّقِينَ**» قيل: من يتقي الكبائر، عن ابن عباس وجماعة. وقيل: المتقي اسم يشتمل على صفات المؤمنين، عن أبي مسلم. «**فِي جَنَّاتٍ**» بساتين «**وَعُيُونٍ**» قيل: عيون الماء، وقيل: الأنهار التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [محمد: ١٥ الآية] «**ادْخُلُوهَا**» إباحة وقيل: إنه أمر، وهو الصحيح «**بِسَلَامٍ**» أي: بسلامة[١]، وهو البراءة من كل[٢] آفة ونيل كل محبوب «**آمِنِينَ**» أي: يأمن كل ما يكره[٣] «**ونَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**» قيل: في الجنة، عن ابن عباس، والحسن، وأبي علي، وأبي القاسم. ليعلم أن الآخرة بخلاف الدنيا، ثم اختلفوا، فقيل: برفع الدواعي[٤]، وقيل: بالاستغناء، وقيل: يكون ذلك في الموقف قبل دخول الجنة، وقيل: في الدنيا بالتقوى بنزع غل الجاهلية، عن الأصم. «**مِنْ غِلٍّ**» أي: من خيانة وغدر، عن أبي مسلم. وقيل: هو الحقد، عن الزجاج. وقيل: الحسد والتباغض[٥]، عن الحسن. وقيل: العداوة، عن الضحاك. وعن علي(كرّم الله وجهه): إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ ، فقال رجل من همدان: إن الله أعدل من ذلك، فصاح عليهم صيحة واحدة، ثم قال: إذا[٦] لم يكن نحن فمن! «**إِخْوَانًا**[٧]» في المودة والإخلاص، هم كالإخوان «**عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**» أي: يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحد منهم[٨] في[٩] قفاء أخيه «**لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ**» أي: لا ينالهم فيها تعب، وقيل: حزن «**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**» أي: لا يخرجون من الجنة أبداً «**نَبِّئْ عِبَادِي**» أخبر يا محمد عبادي «**أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**» لمن تاب «**وَأَنَّ**

(١) بسلامة: سلامة، د.
(٢) من كل: لكل، د.
(٣) يكره: تكره، و.
(٤) برفع الدواعي: رفع الدعاوي، و.
(٥) والتباغض: والتناقض، و.
(٦) إذا: ـ ، و.
(٧) إخوانا: إخواننا، د.
(٨) منهم: ـ ، د.
(٩) في: إلى، د.

عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ» الوجيع لمن أصر[1]، وذكر شيخنا أبو القاسم عن قتادة عن النبي ﷺ: «لو يعلم العبد قدر عفو الله ما[2] تورع عن[3] حرام، ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه أو قتلها».

۞ الأحكام

تدل الآية على[4] أن الجنة تستحق بالتقوى خلاف قول المرجئة: أن التقوى ليس بشرط، وخلاف قول المجبرة: أنها ليست بجزاء أصلاً.

وتدل على أنهم فيها آمنون سالمون من كل آفة.

وتدل على عيون لهم، ويحتمل لكل واحد عيوناً، ويحتمل لجميعهم عيوناً تجري من بعضهم إلى بعض.

وتدل على أنه لا حسد ولا تباغض ثَمّ، وأنهم[5] متحابون متقابلون إخواناً على سرر، فبذلك تتم النعم.

قوله تعالى:

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

۞ القراءة

قرأ نافع: «تُبشّرونِ» بكسر النون خفيفة كل القرآن، وقرأ ابن كثير بكسره وتشديده، وقرأ الباقون بفتح النون خفيفة.

---

(١) أصر: صبر، د.
(٢) ما: لما، د.
(٣) عن: من، د.
(٤) على: ـ ، د.
(٥) وأنهم: أنهم، د.

أما الكسر والتشديد فتقديره: تبشرونني، أدغمت نون الجمع في نون الإضافة.

وأما الكسر والتخفيف: فعلى حذف نون الجمع استثقالاً[1] لاجتماع المثلين[2].

قال الزجاج: وقيل في الحذف: إنه من الإدغام ثم خفف، قال: والفتح أجود ونظيره: ﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ [النحل: ٢٨].

فأما فتح النون: فعلى حذف نون الإضافة.

وقرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب: «**يقنِط**» بكسر النون، و(**لا تقنِطوا**) كذلك، والباقون بفتح النون، وهما لغتان، قنط يقنط نحو: ضَرَبَ يَضْرِبُ، وقَنَطَ يَقْنَطُ نحو عَلِمَ يَعْلَمُ، وكلهم قرؤوا ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [**الشورى**: ٢٨] بفتح النون، وكلهم قرؤوا «**من القانطين**» بالألف غير[3] يحيى بن وثاب، فإنه[4] قرأ: «**من القَنِطين**» بغير ألف.

❁ اللغة

الضيف: واحد، وجمعه: أضياف وضيفان وضيوف، عن أبي مسلم، قال: هو هاهنا جمع واحده ضايف، وهو الذي يطرق القوم ويلجأ إليهم، ونظيره: طائر وطير، وراكب وركب، وقيل: الضيف يصلح للواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث.

والتبشير: مصدر بشر تبشيراً، وأصله البشارة، وهو الخبر عما يسر حتى يظهر السرور في بشرة وجهه.

والقنوط: اليأس من رحمة الله، مصدر قنط فهو قانط.

والضال: السالك طريق الضلال، وهو طريق الهلاك، ونقيضه: المهتدي.

❁ الإعراب

(**سلاماً**) نصب على المصدر، تقديره: سلمت سلاماً، أو سلمت سلاماً على

---

(١) استثقالاً: اشتغالاً، و.

(٢) المثلين: الساكنين، د.

(٣) غير: عن، د.

(٤) فإنّه: وإنه، د.

معنى الدعاء والتحية، فأما قوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي: سلمنا منكم سلاماً.

المعنى

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والثواب والعقاب عقبه بقصة إبراهيم(عليه السلام)[١] وقوم لوط مضافاً لذلك وتنبيهاً[٢] بالعاجل على الآجل، فقال سبحانه: «**وَنَبِّئْهُمْ**» أي: أخبرهم، يعني العباد «**عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ**» وهم الملائكة الذين دخلوا عليه، وسماهم ضيفاً وإن لم يأكلوا قيل: توسعاً، لأنهم جاءوا مجيء الأضياف، وأعد إبراهيم لهم ما يعد للأضياف، عن أبي علي. وقيل: كل من دخل إلى قوم ولجأ إليهم يوصف بأنه ضيف وإن لم يأكل[٣]، عن أبي مسلم. وكانوا أرسلوا إليه بالبشارة بالولد وبإهلاك قوم لوط «**إِذْ دَخَلُوا**» على إبراهيم «**فَقَالُوا سَلاَمًا**» أي: سلمنا سلاماً، قالوا ذلك تحية، وقيل: أظهروا على ما يدل أنه آمنٌ[٤] من جهتهم، «**قَالَ**» إبراهيم «**إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ، قَالُوا لاَ تَوْجَلْ**» لا تخف «**إِنَّا نُبَشِّرُكَ**» أي[٥]: نخبرك بما يسرك «**بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ**» بأن يولد لك ويكون عليماً، وقيل: بشروه بنبوته بعده، عن الأصم، وقيل: بشروه بأنه يكون[٦] عالماً بالدين «**قَالَ**» إبراهيم «**أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ**» أي: كبرت وأصابني[٧] الشيب «**فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**» كيف تبشرون، وقيل: عجب من ذلك لكبره وكبر امرأته فقال ذلك تعجباً[٨]، عن مجاهد. قيل: استفهم أبأمر الله تبشرون أم من عند أنفسكم، عن أبي علي. وقيل: استفهم أنه مبشر بالغلام وهو على هيئته[٩] في الكبر والضعف أو

---

(١) عليه السلام: ـ، و.
(٢) وتنبيهاً: وتنبهاً، د.
(٣) يأكل: يأكلوا، و.
(٤) آمن: ـ، و.
(٥) أي: ـ، و.
(٦) يكون: يولد، د.
(٧) وأصابني: أصابني، و.
(٨) تعجبا: تعجيباً، د.
(٩) هيئته: هيئة، و.

يحول شاباً قوياً، عن الحسن، والأصم والقاضي. «**قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ**» قيل: بالولد أنه كائن لا محالة، عن ابن عباس، والأصم. وقيل: بالصدق، عن أبي مسلم. أي: لا خلف فيه، وقيل: بأمر ينبغي أن يحقه ويقطع[1] به، وقيل: بأمر الله وأنت على حالتك في الكبر «**فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ**» الآيسين من رحمة الله، ولم يكن فيه قنوط، فـ«**قَالَ**[2]» إبراهيم «**وَمَنْ يَقْنَطُ**» ييأس «**مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ**» قيل: من يضل عن المعرفة بالله تعالى وما يقدر عليه وما ينعم على[3] عباده، وقيل: إلا من يضل عن ثوابه في الآخرة، ويكون هو من أهل القنوط، ذكر الوجهين أبو علي.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب لذلك لم يعرفهم وحاجهم وبشروه، وإذا كان النبي لا يعلم الغيب فالإمام أولى، فيبطل قول الإمامية الرافضة.

وتدل على أنهم نزلوا بصورة الآدميين لذلك قدم إليهم الطعام وظنهم ضيفاً.

وتدل على أنه تعالى قادر على خلق الولد بعد الكبر وإن كانت العادة بخلافه، فيبطل قول الطبائعية.

وتدل على أن القنوط صفة ذم، لأن مع سعة رحمة الله كيف يصح القنوط.

قوله تعالى:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

---

(١) يحقه ويقطع: نحقه ونقطع، د.

(٢) فقال: قال، د.

(٣) على: إلى، د.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «**لمنجوهم**» خفيفة والباقون مشددة، وهما لغتان، أَنْجَى ينجِي، ونَجّى ينجّي.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «**قدرنا**» وفي (النمل) بالتخفيف، والباقون فيهما بالتشديد.

قراءة العامة: «**أن دابر**» بنصب الهمزة، وفي قراءة عبد الله بكسرها، ذكره شيخنا أبو القاسم.

والقراءة الظاهرة: «**فأسر بأهلك**[1]» بقطع الألف، وأصلها من الإسراء، وعن بعضهم: فسر من المسير[2]، قال أبو القاسم: وله وجه غير أن الناس على خلافه، قال الزجاج: يقرأ بقطع الألف ووصلها.

۞ اللغة

الخطب: الأمر الجليل، يقال: ما خطبك؟ أي: ما شأنك[3]، ومنها[4] الخطبة لأنها في الأمر الجليل.

والمجرم: أصله من الجرم، وهو القطع، كأنه انقطع من الحق إلى الباطل.

والغابر: الباقي.

والإسراء: سير الليل، سرى يسري سرياً، وأسرى يسري إسراءً، قال الزجاج: أسرى به[5] وسرى لغتان.

والقطع: جمع قطعة، كتمر وتمرة.

---

(١) بأهلك: ـ ، و.

(٢) المسير: السير، د.

(٣) أي ما شأنك: وما شأنك، د.

(٤) ومنها: ومنه، د.

(٥) به: ـ ، د.

والاتباع والاقتداء نظائر، وهو اقتفاء الأثر، وخلاف الاتباع ابتداع.

والأدبار: جمع دبر، وهو جهة الخلف، كما أن القُبُل جهة القدام، وجمعه: أقبال.

والقطع[1]: مصدر[2] قطّعه قطعاً إذا فصّله.

۞ الإعراب

«**أن دابر**» موضع (أن) نصب على البدل من الأمر، ويجوز أن يكون نصباً على فقد[3] الخافض على معنى أن دابر هؤلاء.

«**إلا آل لوط**» «**إلا امرأته**» استثناء من الاستثناء يرجع إلى الأول، كقولهم: له علي عشرة دراهم إلا خمسة درهم يلزمه ستة، ويعود كل استثناء إلى ما يليه، ونصب «**امرأته**» على الاستثناء.

«**أجمعين**» جر لأنه من نعتهم في (**منجوهم**)، لأنك تقول: نحن منجي القوم[4].

«**مصبحين**» نصب على الحال.

۞ المعنى

ولما علم إبراهيم حالهم، وعلم أن جمعاً[5] من الملائكة لا يرسلون إلا لأمر عظيم، سألهم عن ذلك، فقال سبحانه: «**قَالَ**» يعني إبراهيم «**فَمَا خَطْبُكُمْ**» أي: ما شأنكم، وما الأمر الذي له أرسلتم «**قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ**» أي: كافرين، قيل: أخبروه بهلاكهم، وقيل: اقتصروا على هذا لما كان الملائكة تبعث إلى المجرمين للهلاك «**إِلاَّ آلَ لُوطٍ**» من أهله وأتباعه، قيل: إنما استثناهم وإن لم يكونوا

(١) والقطع: ـ ، د.
(٢) مصدر: والمصدر، د.
(٣) فقد: قصد، د.
(٤) القوم: للقوم، د.
(٥) جمعاً: جمعياً، د.

مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط، وممن بعثوا إليهم، وقيل: إنه بمعنى (لكن) لا بمعنى الاستثناء الحقيقي، وقيل: معناه إلا آل لوط فليسوا[١] المجرمين، عن الأصم. «**إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ**» أي: نخلص[٢] من العذاب جميع آله «**إِلاَّ امْرَأَتَهُ**» يعني امرأة لوط كانت كافرة «**قَدَّرْنَا**» قيل: أخبرنا وكتبنا[٣]، عن أبي علي. وقيل: علمنا، عن الزجاج. وقيل: دبرنا «**إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**» أي: الباقين في العذاب بكفرها «**فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ**» يعني الملائكة لما خرجوا من عند إبراهيم أتوا لوطاً مبشرين بهلاك قومه «**قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**» أي: لا أعرفكم، لأنه رآهم في صورة حسنة وزي حسن فأنكرهم، وقيل: إنكم على الوصف الذي أنكر مجيئكم إلي مع خوفي من قومي عليكم، فأزالوا الخوف عن قلبه، و«**قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ**» قيل: العذاب الذي كانوا يشكون فيه ويتهمونك في ذكره إذا خوفتهم به، عن الحسن، وأبي علي، وأبي مسلم، وجماعة. وقيل: بل[٤] أتيناك بالرسالة من عند الله بنجاتك وهلاكهم، عن الأصم. «**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**» فيما نخبرك به[٥]، ثم بينوا له ذلك قالوا: «**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ**» أي: أَسْرِ[٦] بقومك، وهم أولاده، وامض «**بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ**» قيل: بقطعه، عن ابن عباس، والأصم. وقيل: ببعض، وقيل: ببقية، وقيل: أَسْرِ[٧] بهم إذا بقي من الليل قطعة، عن أبي علي. وذلك وقت السحر، وقيل: بسواد[٨] من الليل، عن الحسن. «**وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ**» أي: أدبار الأهل، يعني كن خلفهم لتكون عيناً عليهم فلا يتخلفوا، وقيل: لينجوا من العذاب، «**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ**» قيل: لا يتخلف[٩] منكم أحد[١٠]، عن ابن عباس، وأبي مسلم. يعني: لا يتخلف عن السير، وقيل: لا يلتفت،

---

(١) فليسوا: فنسبوا، و.
(٢) نخلص: نخلصهم، د، و.
(٣) أخبرنا وكتبنا: أخرنا ولبثنا، د.
(٤) بل: ـ، و.
(٥) به: ـ، و.
(٦) أسر: سر، د.
(٧) أسر: سر، د.
(٨) بسواد: سواد، د.
(٩) لا يتخلف: لا يلتفت، د.
(١٠) منكم أحد: ـ، د.

قيل: لا ينظروا[1] وراءهم، ولا يعاينوا العذاب فيلحقهم رعب، عن الحسن، والأصم، وأبي مسلم. وقيل: لا يشغلن أحداً منكم ما يخلفه من متاع أو غيره عن المضي، كأنه قال: لا يعرج على شيء ويسرع في الذهاب «**وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**» قيل: إلى الشام، عن السدي. وقيل: إلى مصر، عن مقاتل. وقيل: إلى الموضع المأمور به «**وَقَضَيْنَا**» أي[2]: أعلمنا وأوحينا، عن الحسن، والأصم، وابن زيد، وأبي علي، وأبي مسلم. «**إِلَيْهِ**» إلى لوط «**ذَلِكَ الْأَمْرَ**».

ثم فسر ذلك الأمر، فقال سبحانه: «**أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ**» أي: يقطع أصلهم بالاستئصال، فلا يبقى منهم باقية، وقيل: يهلكهم مصبحين أي: كائن ذلك عند[3] الصباح.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ينجي المؤمنين[4] ويهلك الكافرين[5]، وأن ذلك جزاء خلاف ما تقوله المجبرة.

وتدل أن القدر يستعمل بمعنى العلم والكتابة[6]، لذلك قال: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا﴾ وكذلك[7] القضاء خلاف ما يقولون أنه بمعنى الخلق فقط.

ويدل قوله: «**إلا امرأته**» على جواز الاستثناء.

ويدل قوله: ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أن الرسل تعين لهم الموضع المقصود.

وتدل على أن هلاكهم وقت الصبح.

---

(١) لا ينظروا: لا ينظر، د.

(٢) أي: ـ ، د.

(٣) عند: بعد، د.

(٤) المؤمنين: المؤمن، د.

(٥) الكافرين: الكافر، د.

(٦) والكتابة: والكناية، و.

(٧) وكذلك: فكذلك، د.

قوله تعالى:

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ
فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾
فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

اللغة

الفضيحة: ظهور السيئة التي يلزم منها العار لصاحبها عند من علمها، فضحه يفضحه فضيحة، وافتضح افتضاحاً.

والخزي والعار والعيب نظائر، والإخزاء والإذلال والإهانة نظائر، خزي خزياً، وأخزاه الله إخزاء.

والعَمر والعُمر واحد، إلا أنه في القسم لا يجوز إلا الفتح، وهو مدة بقائه حياً، قال الزجاج: إنما فتحوه في القسم، لأنه أخف، وهم يكثرون القسم.

والسكرة: غمور السهو للنفس، ومنه: سكرة الشراب، وسكرة الجهل.

والعمه: التحير. والصيحة: الصوت الشديد.

والإشراق: ضياء الشمس بالنهار، شرقت الشمس تشرق[1] شروقاً إذا طلعت، وأشرقت إشراقاً إذا أضاءت وَصَفَتْ، ومنه: المشرق[2].

والمتوسم: الناظر في السمة الدالة وهي العلامة، يقال: وسمت الشيء وسماً إذا أثرت فيه سمة، ومنه: الوسمي أول المطر؛ لأنه يسمُ الأرض بالنبات، وتوسم الرجل طلب كلأ الوسمي، قال الشاعر:

---

(١) تشرق: شرق، د.

(٢) المشرق: المشروق، د.

وَأَصْبَحْنَ كَالدَّومِ النَّوَاعِمِ غُدْوَةً عَلَى وَجْهِهِ مِنْ طَاعِنٍ مُتَوَسِّمِ[1]

الدوم: شجرة، والميسم[2]: العلامة، توسمت فيه الخير إذا عرفت وسم ذلك فيه.

الإعراب

«**مشرقين**» نصب على الحال أي: العذاب[3] في حال الشروق.

المعنى

ثم بيَّن ما جرى بينهم من قوم لوط إلى أن أهلكوا، فقال تعالى: «**وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ**» أي: قوم لوط، يعني جماعة منهم، والمدينة قيل: سدوم، وإنما أخبرهم بهم امرأة لوط، وفي الكلام حذف يدل عليه ما قبله وما بعده، وهو أنهم جاؤوا إلى دار لوط «**يَسْتَبْشِرُونَ**» قيل: يظهرون السرور، عن أبي مسلم. وقيل: يبشر بعضهم بعضاً لما رأوا من حسن صورتهم، عن الأصم. وقيل: كان سرورهم طمعاً في عملهم الخبيث، عن ابن عباس، وقتادة، وجماعة. وقيل: طمعوا أن يظفروا بهم، فـ«**قَالَ**» لهم لوط «**إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي**» أي: أضيافي، ويجب مراعاة حق الضيف «**فَلَا تَفْضَحُونِ**» بالإقدام على ما يكون عاراً عليّ، ثم ذكرهم الله تعالى فقال: «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» فيما نهى عنه واتقوا عذابه «**وَلَا تُخْزُونِ**» أي: لا تفعلوا ما ينالني فيه من الخجل والخنا[4] الذي هو مثل الذل والعار، وقيل: لا تخزوني أي: تقهروني بلغة بجيلة، عن المؤرج. «**قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ**» أي: عن ضيافة أحد من الغرباء يأتيك[5]، جواباً لقوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي[6]﴾ وكانوا ينهونه عن الضيافة، وهو يستمر على قدر الإمكان، وقيل: أولم ننهك عن منع أحد منا، عن أبي علي. فلما قالوا ذلك لم يجد ما يمنع أضيافه، فـ«**قَالَ**

(١) البيت للنابغة الجعدي، وفي رواية: على وجهه من ظاعن يتوسم، انظر ديوان النابغة الجعدي، جمع واضح الصمد، دار صادر، ١٩٩٨.

(٢) والميسم: المنسم، د.

(٣) العذاب: العذاب اسم، د.

(٤) والخنا: الخنا.

(٥) يأتيك: تأتيك، و.

(٦) ضيفي: بناتي، د.

﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ يعني: إن لم تشفعوني في أضيافي فهؤلاء بناتي، وقيل: أراد بناته لصلبه يعني بناتي فتزوجوهن إن كان لكم رغبة في التزويج، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين، قيل: قال ذلك للرؤساء الذين يكفون الأتباع، عن أبي علي. قالوا: وكان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وفي صدر شريعتنا، ثم حرم، عن الحسن وأبي علي[١] . وقيل: أراد إن كنتم تسلمون فيحل لي تزويج[٢] بناتي منكم، عن الأصم، وأبي مسلم. قال الأصم[٣]: وكان سادتهم تخطب إليه بناته[٤] فلا يزوجهم[٥] إلا أن يسلموا[٦]، فطمع في إسلامهم، وقيل: أراد نساء أمته، فهم كبناته[٧] في الحكم، عن الزجاج. والأول أصح لأنه الحقيقة، ولا مانع من حمله عليه ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قيل: إنه قسم على هذا الحد من غير إضافة، كما يقول الرجل: لعمري ولعمرك، عن الأصم، والأكثر على أن المراد به الرسول، أقسم بذكره تشريفاً له وتعظيماً، أي: لحياتك، عن ابن عباس، والأعمش، والزجاج. وإذا كان العمر الحياة فلا بد أن يكون مضافاً إلى أجداثهم، قيل: هم جميع العصاة، وقيل: هم قوم لوط قبل أن أهلكو﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ قيل: في جهلهم، عن ابن عباس، وأبي علي. وقيل: في حياتهم، عن الحسن. يعني فيما تعاطوه من الفاحشة، وقيل: في سكرة الموت، عن الأصم. وقيل: في غفلتهم، عن الأعمش، وأبي مسلم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ قيل: يترددون، عن مجاهد. وقيل: يتمارون، عن ابن عباس. وقيل: يتحيرون، عن الزجاج. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ قيل: صاح بهم جبريل صيحة عظيمة ثم خسف بهم الأرض، وقيل: جاءهم صوت عظيم من جهة الله تعالى، وقيل: صاح بهم جبريل صيحة[٨] لم يبق ذو روح إلا خر لوجهه، ثم قلب الأرض،

(١) الحسن وأبي علي: أبي علي، والحسن، د.
(٢) تزويج: إزواج، و.
(٣) قال الأصم: ـ ، د.
(٤) بناته: ـ ، و.
(٥) يزوجهم: يزوجه، د.
(٦) يسلموا: يسلم، د.
(٧) كبناته: كناية، و.
(٨) ثم خسف بهم. . . جبريل صيحة: ـ ، د.

وقيل: المراد بالصيحة العذاب الذي نزل بهم، عن ابن عباس، وابن جريج، وأبي علي، وأبي مسلم، والأصم[1]. قال الأصم[2]: سمي بذلك لسرعته، وقال أبو مسلم: هو صيحة العذاب، وقال ابن جريج: الصاعقة «مُشْرِقِينَ» أي: حين شرقت الشمس، أي: طلعت، ومشرقين أي: داخلين في الشروق، عن ابن زيد، وجماعة المفسرين. «**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً**» قيل: أمطرنا[3] على المقيمين، عن الحسن، وأبي علي. «**مِنْ سِجِّيلٍ**» قيل: من طين وحجارة، عن ابن عباس، وأبي علي، وأبي مسلم. وقيل: هي الحجارة المعدة عند الله لهلاك الكفار سمي بذلك، وأصله سجين، أبدلت النون لاماً، وقيل: هو من السجل، لأنه كان عليها أمثال الخواتم، وشاهده قوله تعالى[4]: ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٣، الذاريات: ٣٤]، وقيل: إنه عربي، وقيل: معرب، فأما من يقول: إنه فارسي، فقوله فاسد، لأنه ليس في القرآن إلا[5] لغة العرب ولأنه ليس في لغة الفرس سجيل، وقول الأصم أنه أضاف الحجارة إلى ما كان معلوماً وليست من لغة العرب[6]، ليس بشيء، ولأنه لو كان كذلك لكانوا يقولون[7]: كيف يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وهذا فارسي، «**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ**» أي: علامات وحجج «**لِلْمُتَوَسِّمِينَ**» أصله الناظر في السمة وهي[8] العلامة، وقيل: للمتفكرين، عن ابن عباس، والحسن، والأصم، وابن زيد، ومقاتل. يعني تفكروا فعلموا أنه قادر على ما يشاء وعلى إهلاكهم كما أهلك الكفار قبلهم، وقيل: المستدلين، عن أبي علي. وقيل: المتفرسين، عن مجاهد. وقيل: الناظرين، عن الضحاك. وقيل: المعتبرين[9]، عن قتادة. «**وَإِنَّهَا**» يعني: من

---

(١) الذي نزل بهم. . . وأبي مسلم والأصم: ـ ، د.
(٢) الأصم: ابن جريج، د.
(٣) أمطرنا: أمطر، د.
(٤) تعالى: ـ ، د.
(٥) إلاّ: إلى، د.
(٦) ولأنه ليس في لغة. . . لغة العرب: ـ ، و.
(٧) لكانوا يقولون: لقالوا، د.
(٨) وهي: وهو، د.
(٩) المعتبرين: للمعتبرين، د.

مات من قوم لوط، وقيل: الآيات «لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ» أي: بطريق واضح معلوم لمن[1] شاهد فسمع الأخبار، عن الحسن، وقتادة، والضحاك، ومجاهد. وقيل: تلك الآيات معلومة قائمة، عن الأصم، وأبي علي. قال قتادة: دور قوم لوط بين المدينة والشام «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً» لعبرة ودلالة «لِلْمُؤْمِنِينَ» قيل: للمصدقين بالأخبار، عن الأصم. وقيل: عبرة لكل أحد، إلا أنه خص المؤمنين لأنهم يتعظون، عن أبي علي. وقيل: إن في عجائب القرآن دلالة على نبوة محمد ﷺ، والمراد بهذه الآية غير ما تقدم، لأن الأول عبرة لمن تدبر الآيات، والثاني موعظة لهم[2] لتقدم علمهم بالله، وقيل: ذلك في شيء، وهذه[3] في شيء آخر على ما ذكرنا أن الآخرة في الدلالة على نبوة محمد ﷺ.

۞ الأحكام

تدل الآية على إهلاك قوم لوط ونجاة من آمن من أهله.

ويدل قوله: ﴿لَآيَٰتٖ[4] لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ على وجوب النظر، لأن النظر فيها يحث على الحق، ويزجر[5] عن الباطل.

وتدل على أن آثارها باقية ليعتبر بها، وأن فيها لطف لنا.

قوله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ۝٧٩﴾

---

(١) لمن: لم، د.

(٢) لهم: ـ، د.

(٣) وهذه: وهذا، د.

(٤) لآيات: آيات، د، و.

(٥) ويزجر: وزجر، و.

۞ القراءة

قرأ [القراء] كلهم: (**الأيكة**) هاهنا وفي (ق) بالهمز وكسر التاء لأنها مكتوبة بالألف، إلا ورشاً فإنه يترك الهمزة ويرد حركتها إلى اللام.

وأما في سورة (الشعراء) و(ص) فقرأها بغير همز وفتح التاء أبو جعفر ونافع، وابن كثير، وابن عامر، والباقون بالهمز وكسر الياء.

۞ اللغة

الأيكة: الغيضة، وهي الشجرالملتفة.

والإمام: الطريق، وأصله: المقدم الذي يتبعه من بعده.

۞ المعنى

لما بين تعالى ما تقدم من قصة قوم لوط، وما نزل بهم أتبعه بقصة أصحاب الأيكة، فقال سبحانه: «**وَإِنْ كَانَ**» قيل: قد كان «**أَصْحَابُ الأَيْكَةِ**» قيل: الأيكة الشجر، عن الحسن، والزجاج. وجمعه: الأيك، كشجرة وشجر، وقيل: الشجر الملتف، عن قتادة، وأبي مسلم. وقيل: الغيضة، عن ابن عباس، والضحاك، وسعيد بن جبير، وأبي علي، والأصم. وقيل: كانوا من كثرة أشجارهم يأكلون في الصيف الفواكه الرطبة، وفي الشتاء اليابسة، وهم قوم شعيب بإجماع، إلا أنه تعالى أضافهم إلى بقعتهم، وقيل: إنه تعالى[١] أرسل شعيباً (عليه السلام) إلى أمتين: إلى مدين، وأصاحب الأيكة، فكفروا[٢] فعذبوا، أما أهل مدين بالصيحة، وأما أصحاب الأيكة بعذاب الظلة، فهو أنه سلط عليهم الحر سبعة أيام، ثم بعث سحابة[٣] فاستظلوا بها يلتمسون الروح فجعلها الله[٤] عليهم ناراً فاحترقوا، عن قتادة، وجماعة. «**فَانْتَقَمْنَا**

(١) تعالى: ـ، و.

(٢) فكفروا: وكفروا، و.

(٣) سحابة: سحابتا، د.

(٤) الله: ـ، و.

مِنْهُمْ» أي: عذبناهم بما نقمناه منهم، والانتقام هو المجازاة على جناية سابقة، وأضاف الانتقام إلى نفسه لأنه إما أن وقع بفعله أو بأمره «وَإِنَّهُمَا» يعني أصحاب الأيكة وقوم لوط «لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ» قيل: الخبر عنهما مثبت في أم الكتاب فوقع بهما ما كان مكتوباً، عن أبي علي. وقيل: في كتاب بلغة حمير، عن المؤرج. وقيل: النبأ عنهما بالقرآن المبين، بين أن هذا المجمل هاهنا مفسر في مواضع من القرآن، وقيل: أراد بطريق واضح بيّن يؤم[1] الناس، أي: آثارهم باقية بطريق مسلوك واضح ليعتبروا، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وأبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن العذاب لا يكون إلا مستحقاً لذلك قال: «فانتقمنا» بعد قوله: «لظالمين[2]».

وتدل على أن الظلم فعلهم لذلك استحقوا العذاب.

وتدل على وجوب النظر والاعتبار، لذلك قال: ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

وتدل على أن من فعل الظلم يسمى ظالماً، ولو كان تعالى هو الخالق والموجد لكل ظلم لكان يسمى ظالماً بذلك تعالى الله عن ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

۞ اللغة

أصل الحِجْر: المنع، ومنه سمي العقل حجراً، لأنه يمنع من القبائح، والحِجْر

(١) يؤم: يأمر، د؛ يأم، و.

(٢) لظالمين: الظالمين، و.

على السفيه والصبي[١] من التصرف، ومنه: الحِجْر، لأنه يمنع من التصرف فيه، وحجرة القوم ناحية دارهم لأنهم يمنعون منها، والحِجْر الحرام للمنع منه، والحِجْرة معروفة، والحِجْر القرابة، والحِجْر موضع ثمود من ذلك، والحِجْر حجر الإنسان من ذلك.

والنحت: قلع جزء بعد جزء من الجسم، نحت ينحت نحتاً، فهو ناحت ونحات.

الصيحة: الصوت، والصيحة: الهلاك، قال شيخنا أبو القاسم: يقال: صيح بهم إذا هلكوا، قال الشاعر:

صَاحَ الزَّمَانُ بِآلِ بَرْمَكَ صَيْحَةً ... خَرُّوا لِشِدَّتِهَا عَلَى الأَذْقَانِ

ويقال: أصبحنا: دخلنا في[٢] وقت الصباح[٣]، وأمسينا: دخلنا في وقت المساء.

۞ الإعراب

«مصبحين» نصب على الحال، وأضافهم إلى الحِجْر لأنهم سكانها، وكسر لأنه مضاف إليهم.

۞ المعنى

ثم بين تعالى ما أنزله بقوم صالح، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ**» يعني قوم صالح، فنسبهم إلى مكانهم، وسماهم أصحاب لملازمتهم إياه، كما قال أصحاب الجنة وأصحاب النار، و(**الحِجْر**) قيل: مدينة ثمود قوم صالح، عن ابن شهاب. وقيل: الحِجْر الوادي، عن قتادة، والزجاج، والأصم، وأبي مسلم. وقيل: هي بين المدينة والشام «**الْمُرْسَلِينَ**» أي: كذبوا الرسل، وإنما وصفوا بذلك وإن كان[٤] صالحاً، لأن في تكذيبه تكذيب الرسل، فكذبوا الكل، وقيل: بعث الله إليهم

---

(١) والصبي: والصبر، د.
(٢) في: ـ، د.
(٣) الصباح: الصبح، د.
(٤) كان: كانوا، د.

رسلاً منهم صالح، عن أبي علي. «**وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا**» يعني أصحاب الحِجْر الآيات الحجج[1]، وقيل: آتينا الرسل الآيات، وقيل: أتينا، عن الحسن. وقيل: الآيات معجزات الرسل، وقيل: هي الناقة وما فيها من الآيات من خلقها، وخروجها من الصخرة الصماء، وشربها، ولبنها، وقيل: ظهرت آيات على صالح سوى الناقة «**فَكَانُوا عَنْهَا**» عن الآيات «**مُعْرِضِينَ**» أي: أعرضوا عن التفكر فيها والاستدلال، وقيل: معرضين مكذبين، عن ابن عباس. «**وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا**» من قوتهم[2] وطول آمالهم، اتخذوا منازل في الجبال لئلا تتهدم «**آمِنِينَ**» قيل: آمنين من أن تقع عليهم، عن ابن عباس، وأبي علي. وقيل: آمنين من عذاب الله، وقيل: آمنين من أن يسلبوا[3] دنياهم، حكاه الأصم. وقيل: آمنين من الموت، حكاه[4] أبو القاسم عن بعضهم، قال القاضي: ويبعد ذلك من العاقل في العادة إلا أن يحمل على قرب الموت، أو يحمل على التشبيه، كأنهم آمنون من الموت، وقيل: آمنين من الخراب «**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ**» قيل: الهلاك، وقيل: صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا «**مُصْبِحِينَ**» أي: عند الصبح «**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ**» أي: ما كفى ولا دفع عنهم ما نزل بهم «**مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**» وقيل: ما جمعوه من المال والولد، عن أبي علي. وقيل: ما كسبوا من كفرهم، عن الأصم. وقيل: لم تنفعهم عبادة غير الله تعالى، وقيل: ما نحتوه من الجبال ظناً أن ذلك يمنع، وقيل: ما كانوا يظهرون بصالح[5] من المكر.

الأحكام

في الآية تنبيه وتحذير بأن أولئك مع شدة بأسهم لم يثبتوا لصيحة فكيف أنتم مع ضعفكم.

(١) الحجج: والحجج، د.
(٢) قوتهم: فوقهم، د.
(٣) يسلبوا: يسكنوا، د.
(٤) حكاه: ـ، و.
(٥) بصالح: لصالح، د.

وتدل على أنه أهلكهم بعد الآيات إتماماً للحجة عليهم، ولو كان العبد لا يقدر أو كان الكفر خلقاً لله تعالى ومنعهم من الإيمان لكان الحجة آكد، يتعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾



اللغة

الصفح والعفو نظائر، يقال: صفحت عنه وعفوت.

والجميل والحسن نظائر.

المعنى

لما تقدم ذكر الأمم وأنه أهلكهم لاتباعهم الباطل بيّن أنه ما خلق شيئاً إلا بالحق والجزاء، فقال سبحانه: «**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا**» من سائر الأشياء الحيوانات والجمادات «**إِلاَّ بِالْحَقِّ**» قيل: معناه ليكون الحق، وهو عبادته تعالى، ولا يكون الباطل وهو الكفر، عن أبي علي. وقيل: إلا بحكمة توجب حق الله تعالى[(١)]، وأن مدبرها واحد، عن الأصم. وقيل: إنه يصير إلى الحق وهو المعاد، عن الحسن. وقيل: بالحق الذي يجب عليهم من معرفة الله تعالى وتوحيده وعدله، وقيل: بالحق أي: للحق، أي: ليعبدوا الله وما هو غير مكلف فلمنفعة المكلفين ولطف لهم[(٢)] «**وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ**» قيل: القيامة، عن الأصم. وقيل: كل ما[(٣)] بعد الموت إلى الاستقرار في الجنة أو النار، يعني: لا يغتر هؤلاء وإن لم يعاجلوا بعقوبة[(٤)] الاستئصال فإن الساعة

---

(١) تعالى: ـ، د.

(٢) ولطف لهم: ولطفهم، د.

(٣) كل ما: كان ما، و.

(٤) بعقوبة: بعذاب، د. وكتب فوقها: بعقوبة.

قريبة «فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ» قيل: اعف عنهم، عن الحسن، والأصم. وهذا في هذا[1] خاصة لا فيما أمر به من البلاغ، وقيل: لا تقاتلهم[2] على ما ينالك منهم من مكروه بل تستمر على الدعاء إلى الله تعالى، وقيل: لا تعاقبهم، عن أُبَي. وقيل: أراد أن ينكر عليهم، وفي ذلك نصحهم، عن أبي مسلم. وقيل: استعمل الحلم، عن الحسن، والأصم. وقيل: أراد الكف عن قتالهم، عن ابن عباس. «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ» لكل شيء مخلوق من الأجسام والأعراض التي لا يقدر عليها غيره تعالى «الْعَلِيمُ» بكل شيء، ويخلق[3] ما تقتضيه الحكمة.

۞ الأحكام

تدل الآية أنه تعالى خلق جميع الأشياء بالحق، فتدل على[4] أن الباطل ليس من خلقه.

وتدل على الأمر بالصفح عنهم.

قيل: الآية منسوخة بآية القتال، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك.

وقيل[5]: نزلت قبل آية القتال، ثم أمر بالقتال، عن عكرمة، وسفيان بن عيينة.

وقيل: لا نسخ فيه بل أمره بالصفح في موضع الصفح، كقوله:

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ﴾ [النساء: ٦٣]، قال القاضي: والصفح ممدوح في سائرالحالات، وهو الحلم والتواضع، وذلك لا ينسخ، وقد يلزمنا الصفح الجميل مع التشدد في أمر الجهاد.

وتدل على وجوب الرفق في الدعاء إلى الدين.

وتدل على إثبات المعاد للجزاء.

(١) هذا: ـ ، د.
(٢) لا تقاتلهم: لا تعاملهم، د.
(٣) ويخلق: فيخلق، د.
(٤) على: ـ ، و.
(٥) قيل: ـ ، د.

قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾

اللغة

المثاني: التي تثنى، وأصله من الاثنين، ومنه الحديث: «لا تثني في الصدقة» أي: لا تؤخذ في السنة مرتين، والثناء[1] المنهي عنه في البيع، قيل: أن يستثنى منه شيء[2] مجهول فيفسد، وقيل: أن يبيع[3] شيئاً جزافاً.

والمد: البسط، مده يمده مداً إذا بسطه.

والخفض: ضد الرفع، ونظيره: الوضع[4].

الإعراب

(من): قيل: للتبعيض، وقيل: للتمييز، فالمثاني[5] هي القرآن كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ **[الحج: ٣٠]** و**(القرآن)** نصب بـ**«آتيناك»** عطفاً على **(سبعاً)**، ويجوز الخفض عطفاً على **(المثاني)** ولم يقرأ به.

المعنى

لما أمره تعالى بالصفح عنهم فيما يلحقه من أذاهم وتكذيبهم بيّن ما خصه به من النعم والحجة عليهم، فقال سبحانه وتعالى: **«وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ»** أعطيناك **«سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي»** قيل: هو فاتحة الكتاب، عن عمر، وعلي[6]، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن،

(١) والثناء: والريا، د.
(٢) شيء: بشيء، د.
(٣) يبيع: يبتع، د.
(٤) الوضع: الرفع، و.
(٥) فالمثاني: والمثاني، د.
(٦) عن عمر وعلي: عن علي عليه السلام وعمر، و.

وأبي العالية، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، ويحيى بن يعمر، وروي مرفوعاً. وقيل: السبع الطوال، عن ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، والضحاك، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وروي مرفوعاً، وهي: (البقرة)، و(آل عمران) و(النساء) و(المائدة) و(الأنعام) و(الأعراف)، ثم اختلفوا في السابع، فقيل: (يونس)، عن الضحاك. وقيل: (الأنفال) و(التوبة) معاً، وقيل: السبع المثاني القرآن كله، عن أبي[1] مالك، ومجاهد، وطاووس، وروي نحوه عن ابن عباس، قالوا: لقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] وقيل: هي سبعة أجزاء القرآن: الأمر، والنهي، والبشارة، والإنذار، والأمثال، وذكر النعم، والقصص، عن زياد بن أبي مريم.

فأما من قال: هي فاتحة الكتاب اختلفوا، لِمَ سميت[2] مثاني؟ قيل: لأنها تثنى[3] قراءتها في كل ركعة في الصلاة، عن الحسن.

وقيل: لما فيها من الثناء على الله عز وجل بتوحيده ورحمته.

وقيل: لأنه تعالى استثناها لمحمد ﷺ دون أنبيائه، عن ابن عباس.

وقيل: لأن فيها الثناء مرتين، وهو **(الرحمن الرحيم)**.

وقيل: لأنها مقسومة بين الله وبين عبده، على ما روي في الخبر.

وقيل: لأن فيها الثناء، نصفها ثناء، ونصفها دعاء.

وقيل: أنزلت مرتين تعظيماً.

وقيل: لأن حروفها كلها مثناة[4]، نحو: **(الرحمن الرحيم)**، **(إياك، وإياك)**، **(الصراط، وصراط)**.

وقيل: لأنها تثني[5] أهل الفسق عن الفسق، عن ابن زيد البلخي. وإنما

---

(١) أبي: ـ، د.
(٢) سميت: سمي، د.
(٣) لأنها تثني: لأنه يثنى، د.
(٤) مثناة: مثنا، د.
(٥) تثني: تنهى، د.

ذكرت تفخيماً وإن كانت[١] من القرآن كقوله: **(ملائكة وجبريل، والصلاة الوسطى)**.

فأما[٢] من قال: هي السبع الطوال، قيل: لأنه تثنى فيه الأمثال والقصص والفرائض.

وقيل: تثنى فيها الوعد والوعيد.

وقيل: لأن فيها الثناء على الله بعد الثناء، و(من) صلة.

وأما من قال: القرآن كله، قال: لأنه تثنى فيه الأمثال والحكم والأوامر والنواهي والقصص[٣] والأخبار.

وقيل: تقديره: آتيناك سبعاً هي القرآن، وذكر القرآن[٤] تفخيماً، كقول الشاعر:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ ... وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ

قال القاضي: لا بد في العدد من فائدة، فإما أن[٥] يريد سبع آيات، أو سبع سور، أو سبعة أجزاء، ويبعد أن يريد كل القرآن من حيث أضاف إليه، وفصل بينهما.

«**وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**» لأنه معجز، ويتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ وأفصحها، وأحسن نظم ومعنى ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ قيل: أي[٦]: لا تنظر إلى ما في أيديهم من النعم، فما[٧] أنعم عليك وعلى من تبعك أكثر وهو النبوة والإسلام والقرآن والفتوح وغيره، وقيل: لا يعظم في عينيك ما في أيديهم، وقيل: لا ترغب في الدنيا، ولا تغتر بها[٨] كما اغتر بها[٩] هؤلاء الكفار،

(١) كانت: كان، د.
(٢) فأما: وأما، د.
(٣) والقصص: ـ، و.
(٤) القرآن: الواو، د.
(٥) أن: من، د.
(٦) أي: ـ، و.
(٧) فما: فيما، د.
(٨) بها: به؛ د، و.
(٩) بها: به، د.

فقد خصك الله ومن تبعك بالآخرة، وهي خير وأبقى، وقيل: لا تحسدن أحداً على ما أوتي من الدنيا، ولا يجوز في صفته ﷺ الحسد، لأنه قبيح، إلا أن يحمل على أنه أراد غيره «**إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ**» أي: أعطينا ما ينتفعون به «**أَزْوَاجًا**» قيل: أصنافاً وألواناً، عن الأصم. وقيل: أفراداً وآحاداً[(١)] من المال والولد، عن ابن عباس، وأبي مسلم. قال أبو مسلم: وذكر الأزواج وأراد به[(٢)] الأفراد، وقيل: الأزواج الأمثال والأشباه، عن مجاهد. وقيل: أمثالاً في النعم «**وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**» أي: لا تغتم على ما فاتك مما في أيديهم فالمدخر لك أعظم [(٣)]، عن أبي علي. وقيل: لا تحزن على الكفار إذا كذبوك فإنهم لا يضرونك، عن الأصم، وأبي مسلم. «**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**» هذا توسع أي: ألن جانبك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم «**وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ**» أي: المخوف بالعقاب، مبين الأحكام[(٤)] وما فيه نجاتهم، قيل: معناه لا أدعي درجة سوى النبوة بل أنا نبي أنذركم وأبين لكم.

الأحكام

تدل الآية على عظيم نعمة الله تعالى بالقرآن، وروي عن النبي ﷺ: «من أوتي القرآن فرأى أن أحداً من الناس أوتي أفضل منه فقد استصغر عظيماً واستعظم صغيراً».

وتدل على جواز عطف البعض على الكل، عن أبي علي.

وتدل على أنه لا ينبغي أن يتلهف على فوت الدنيا متى تكامل أمر دينه.

وتدل على حسن التواضع وقبح الكبر.

وتدل على أن للعبد فعلاً ليصح الإنذار.

وتدل على أنه مختار يقدر على الخير والشر.

---

(١) وآحادا: واحداً، د.

(٢) وأراد به: والمراد، د.

(٣) أعظم: ـ ، و.

(٤) الأحكام: للأحكام، د.

قوله تعالى:
﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ (٩١)﴾.

اللغة

عضين: جمع مأخوذ من قوله: عضيت الشيء، أي: فرقته[١] وبعضته، قال رؤبة:

وَلَـيْـسَ دِيـنُ الـلـهِ بِـالـمـعَـضَّـى[٢]

وواحد العضين: عضة، نحو: عزة وعزين[٣]، قال أبو القاسم: واحده عضو وعضة، وأصله: عضهة، ذهبت هاء الأصلية كما حذفت الهاء من السفه، وأصلها سفهة، ومن الشاة وأصلها شاهة، يدل عليه التصغير، يقال: سفيهة وشويهة.

الإعراب

«**كما**» الكاف للتشبيه، أي: أنزلنا عليك كما أنزلنا على المقتسمين، وقيل: أنذركم عذاباً كعذاب المقتسمين، و«**عضين**» نصب بـ«**جعلوا**».

النزول

قيل: نزلت الآية في أهل الكتاب، عن ابن عباس، والحسن وجماعة.

وقيل: لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض نزلت[٤] فيهم، عن جماعة من المفسرين.

وقيل: نزلت في أهل مكة تفرقوا على طرق[٥] الناس ويصدونهم عن الإيمان، عن الأصم وجماعة.

قال مقاتل: وكانوا ستة عشر رجلاً[٦]، فيهم أبو جهل عليه اللعنة.

---

(١) فرقته: نقصته، د.
(٢) في د: بالمعضي، د. انظر: ديوان رؤبة، ص٨١.
(٣) عزين: عزيز، د.
(٤) نزلت: نزل، و.
(٥) طرق: طريق، د.
(٦) رجلا: +، د.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قيل: تتصل بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ تقديره: كما أنزلنا عليك أنزلنا على المقتسمين، قيل: يتصل بقوله: ﴿أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ بعد أن أنزل إلي كما أنزل على المقتسمين

۞ المعنى

«كَمَا أَنْزَلْنَا» الكتاب «عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ» قيل: أهل الكتاب اقتسموا الكتاب، وهو القرآن فآمنوا ببعضه، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن. وقيل: اقتسموا[1] كتابهم وفرقوه، عن مجاهد. وقيل: حرفوه، عن الأصم. وقيل: هم من قريش عضوا كتاب الله فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، عن قتادة. وقيل: قوم اقتسموا طرق مكة ينفرون الناس عن النبي ﷺ بأنه ساحر وكاهن ومجنون، فأنزل الله بهم عذاباً، عن الفراء، والأصم. وقيل: هم قوم صالح، تقاسموا بالله لنبيتنه، عن ابن زيد. وقيل: سموا مقتسمين، لأنهم كانوا يستهزئون[2]، فيقول بعضهم: هذه السورة لي سورة (البقرة)، وهذا لي سورة (آل عمران)، عن عكرمة. «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» أي: عضوه أعضاء وأجزاء فآمنوا ببعض وكفروا ببعض[3]، عن مجاهد، والأصم، وأبي علي، قال أبو علي: لأن كل فريق صدقه فيما يوافق كتابه، وقيل: عضهوه بأن وصفوه بخلاف صفته ونسبوه إلى السحر، واختلفوا في هذا الكتاب، فقيل: أراد بالقرآن كتبهم، عن الحسن. وقيل: بل أراد الكتاب المنزل على نبينا، وعليه الأكثر، وهو الصحيح، واقتسموا على ما ذكرنا.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب الإيمان بجميع القرآن.

(١) اقتسموا: قسموا، د.
(٢) يستهزئون: يستهزون، د.
(٣) ببعض: بالبعض، و.

وتدل على أن التفريق في ذلك كفر، والأصح أنه أراد القرآن فإن أهل الكتاب فرقوه، فما وافق ما في كتابهم آمنوا به وما لم يوافقه كفروا به، وأراد المشركين وتفريقهم وصفهم[1] إياه بما لا يجوز.

فأما قول الحسن: إن المراد به كتبهم، وإن أهل التوراة تكذب ما[2] في الإنجيل، وأهل الإنجيل تكذب ما في التوراة مخالفاً للإنجيل، فهو وإن كان محتملاً فهو خلاف الظاهر، لأن القرآن اسم لكتابنا فلا نترك الظاهر.

وتدل على أن ذلك الاقتسام فعلهم، لذلك أضافه إليهم وذمهم عليه، فيبطل قول مخالفينا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

اللغة

الصدع والانشقاق[3] والافتراق نظائر، والصدع[4] والفرق والفصل سواء، عن أبي مسلم. وصدعت الشيء فانصدع، وصدع بالحق تكلم به جهاراً، والصديع: الفجر، وتصدع القوم: تفرقوا.

الإعراب

«**بما تؤمر**» أي: بالأمر، أقامه مقام المصدر، كقولك[5]: ما أحسن ما تنطلق

---

(١) وصفهم: ووصفهم، د.

(٢) ما: بما، د.

(٣) والانشقاق: والاشتقاق.

(٤) نظائر والصدع: ـ ، د.

(٥) كقولك: كقوله، د.

أي: ما أحسن انطلاقك، عن الفراء، قال الكسائي: جاز ذلك، لأنك تقول: أمرتك أمراً، وأمرتك بأمر، وقيل: أراد ما تؤمر به فحذف به، وروي أن رؤبة كان يقول: ما سمعت في كتاب الله حرفاً أعرب[1] من قوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾.

۞ النزول

قيل: كان النبي ﷺ مستخفياً حتى نزل جبريل بقوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ أي أظهر وأعلن، عن ابن عباس.

۞ المعنى

لما بين تعالى كفرهم بالقرآن، وجعلوه عضين بين لرسوله أن لا يحزن، فإنه يسألهم عن فعلهم، ويجازيهم بذلك، وأنه لا ينبغي له أن يلتفت إليهم بل يبلغ كما أمر، فقال سبحانه: «**فَوَرَبِّكَ**» قسم بنفسه «**لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**» قيل: أسأل المقتسمين، لأنه وعيد لهم متصل بالحكاية عنهم، وقيل: عنى به جميع المكلفين وهو الوجه، والمقتسمون داخلون في جملتهم، واختلفوا عما يسأل، فقيل: عن الإيمان والكفر، وقيل: عن كل عمل وهو الوجه.

ومتى قيل: كيف يصح الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟

فجوابنا: فيه وجوه:

منها: أنه سؤال توبيخ لِمَ فعلت[2] لا سؤال تعريف ماذا فعلت، عن ابن عباس.

وقيل: في القيامة أحوال في بعضها يسأل وفي بعضه لا يسأل.

وقيل: لا يسأل بعد التوبة ويسأل قبلها.

وقيل: لا يسأل حقيقة السؤال، ولكن[3] توبيخاً وتهجيناً.

---

(١) أعرب: أغرب، د.

(٢) لم فعلت: ثم يقلب، د.

(٣) ولكن: لكن، د.

وقيل: يسأل عن ذنب نفسه، ولا يسأل عن ذنب غيره.

وقيل: يسأل المختار دون المضطر.

«عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أي: عن أعمالهم في الدنيا «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ» أي: أظهر وأعلن غير خائف، عن ابن عباس، وابن جريج، ومجاهد. وقيل: فامض لما أمرت به، عن أبي علي، والأخفش. وقيل: اقض، عن سيبويه. «وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» أي: لا تقاتلهم[1]، ثم نسخ، عن ابن عباس، والضحاك. وقيل: لا تلتفت إليهم ولا تخف عنهم، عن أبي مسلم، والقاضي. ولا نسخ فيه، وقيل: أعرض عن مجاوبتهم إذا آذوك، عن أبي علي. «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» أي: كفيناك أمرهم وشرهم، واختلفوا في المستهزئين، قيل: هم خمسة: العاص بن وائل، والحرث بن قيس، والأسود بن المطلب بن الحارث[2]، والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والأصم، وجماعة. وقيل: كانوا ثمانية رهط، عن محمد بن ثور. والحارث[3] أبوه الطلاطلة، وأمه عيطلة[4]، فلذلك اختلفت الأخبار في انتسابه، وقيل: إن جبريل أتى النبي صلى الله عليهما والمستهزئون[5] يطوفون بالبيت، فقام جبريل ورسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الوليد بن المغيرة المخزومي، فأومى جبريل إلى ساقه، فمر بنبال قريش نبلاً، وهو يجر إزاره فتعلقت شظية بإزاره وخدش رجله ومرض ومات منه، ومر به العاص بن وائل السهمي، فأشار جبريل إلى رجله فنزل شعباً ووطىء شوكة، فدخلت في أخمص رجله، فقال: لدغت[6]، وانتفخت رجله ومات مكانه، ومر به الأسود بن عبد[7] المطلب بن عبد مناف، فأشار

(١) لا تقاتلهم: لا تعاملهم، د.

(٢) الحارث: الحرث، د.

(٣) الحارث: الحرث، د.

(٤) هكذا في المخطوطات. وفي مجمع البيان: المجلد الرابع، ج١٤/٤٦: وأمه عطيلة.

(٥) والمستهزئون: والمستهزون، د.

(٦) لدغت: نزعت، د.

(٧) عبد: ـ ، د.

إلى عينه ومات، وقيل: رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك، ومر به الأسود بن عبد[١] يغوث، فأشار إلى بطنه فاستسقى[٢] بطنه فمات، وقيل: هلك أصابه السموم فصار أسوداً وأتى أهله فلم يعرفوه، ومات وهو يقول: قتلني رب محمد، ومر به الحارث[٣] بن الطلاطلة، فأومى إلى رأسه، فامتخط قيحاً فقتله، وعن ابن عباس: أكل حوتاً مالحاً وأصابه العطش فما زال يشرب حتى انقد بطنه فمات. وقيل: هم مشركوا العرب، عن الحسن. وقيل: مردة أهل مكة، عن الأصم. ومعنى قوله: «**كَفَيْنَاكَ**» أي: سنكفيك «**الْمُسْتَهْزِئِينَ**» بك وبالقرآن «**الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**» أي: يعبدون معه غيره[٤]، وقيل: يصفونه بالشريك «**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**» ما[٥] نزل بهم، وهذا وعيد لهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن كل مكلف مسئول عن عمله، وإنما ذاك سؤال تعظيم المؤمنين[٦] وخزي[٧] الكافرين[٨] لا أنه تعريف، وقيل: ليعلم أهل الحشر أن كل أحد يجازى[٩] بعمله، وفيه لطف لنا أيضاً، ثم المؤمن يحاسب حساباً يسيراً كالعرض فيزيده سروراً، ويناقش الكافر فيدعو ثبوراً ويصلى سعيراً، قال الحسن: لم يرض بالخبر حتى أقسم بنفسه أنه يسأل.

وتدل على وجوب الإبلاغ، والفرق بين الحق والباطل، وإقامة الحجة وإظهارها، فيبطل قول الرافضة: أنه كان يخفي بعضاً ويظهر بعضاً.

---

(١) عبد: ـ ، و.
(٢) فاستسقى: واستقى، د.
(٣) الحارث: الحرث، د.
(٤) غيره: ـ ، د.
(٥) ما: بما، د.
(٦) المؤمنين: للمؤمنين، د.
(٧) وخزي: وجزى، د.
(٨) الكافرين: ـ ، د.
(٩) يجازي: مجازى، د.

وتدل على معجزة لنبينا ﷺ[1] في أخباره عن هلاك المستهزئين، ثم أهلكهم[2]، وقيل: هلكوا في يوم واحد وليلة بأسباب قد أشرنا إليها، وقيل: كان يمر الواحد[3] منهم بجبريل فيقول للنبي[4] ﷺ: كيف هذا فيقول: رجل سوء[5]، فيشير إشارة فيها هلاكه.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

اللغة

اليقين والتيقن: زوال الشك، يقال: أيقن الرجل بالشيء، واستيقن وتيقن بمعنى.

النظم

قلنا: فيه وجوه:

قيل: من اعتقد تنزيه الله ووثق بوعده ووعيده هان عليه تحمل المشاق، ومن جوز عليه القبائح والخلف في وعده ووعيده لا يهون عليه، فكأنه قال: وإن ضاق صدرك فالله تعالى منزه عن الظلم، يثيبك على صبرك، وينتصف لك منهم.

وقيل: من قام بأمر الله معتقداً ما أعد الله له لا يعتد بما يناله من الأذى، ويخفف ضيق صدره.

وقيل: نعلم ضيق صدرك بكفر هؤلاء، فثق بالله فإنه كما يكفيك[6] ينصرك، وينتقم منهم، وقد تكفل بذلك، وهو منزه عن خلاف ذلك.

---

(١) صلى الله عليه وعلى آله وسلم: عليه السلام، د.
(٢) أهلكهم: هلاكهم، د.
(٣) كان يمر الواحد: كان من واحد منهم، د.
(٤) للنبي: النبي، د.
(٥) سوء: نبق، د.
(٦) كما يكفيك: بعثك، د.

۞ المعنى

«وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ» أي: قلبك، وعبر عن القلب بالصدر لأنه محله «بِمَا يَقُولُونَ» من[1] تكذيبك في توحيد الله وعدله «فَسَبِّحْ» قيل: نزه الله وعظمه بإضافة النعم إليه، عن أبي مسلم، والقاضي. وهو الأولى، لأنه حمل الكلام على حقيقته، وقيل: سبح بحمده لتستحق[2] المزيد، وقيل: نزهه معتقداً أن المنة في تدينه[3] له عليك إذ هداك إليه، وقيل: صلِّ بأمر ربك «وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ» قيل: المتواضعين، عن ابن عباس. وقيل: قل سبحان الله وبحمده «وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ» أي: من المصلين[4]، عن الضحاك. وقيل: كن من المصلين[5] وَاعْبُدْ رَبَّكَ» بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه «حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» قيل: الموت[6]، عن ابن عباس، والحسن، والأصم، وأبي علي، ومجاهد، وسالم بن عبد الله، وابن زيد. وقيل: «حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» من الخير والشر عند الموت، عن قتادة. وقيل: تقديره: اعبد ربك ما دمت حياً، عن الزجاج. وقيل: سمي الموت يقيناً لأن الكل يوقنون به من غير شك من أحد، وقيل: حتى يأتيك ما أعد الله[7] لك من الثواب والمنزلة، قال القاضي: وهذا أليق بالكلام، لأنه ترغيب[8] في العبادة، وقيل: حتى يأتيك وعد الله إياك بالنصرة، وقيل: اصبر على ما ينالك حتى يأتيك[9] الفرج الموعود به.

وروي عن النبي ﷺ قال: «ما أوحي إلي أن اجمع المال وكن[10] من التاجرين،

---

(١) من: في، د.
(٢) لتستحق: استحق، د.
(٣) في تدينه: فيما يدينه، د.
(٤) المصلين: المصليين، د.
(٥) المصلين: المصليين، د.
(٦) قبل الموت: من قبل الموت، د.
(٧) الله: ـ، و.
(٨) ترغيب: يرغب، د.
(٩) وعد الله إياك... حتى يأتيك: ـ، د.
(١٠) وكن: واكن، د.

ولكن أوحي إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين».

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب الانقطاع إلى الله فيما ينوب، والصبر، وانتظار الفرج، وإدامة العبادة.

وتدل على قدر علماء الحق فيما لقوا من المخالفين من الأذى حيث سلكوا ما سلكه رسول الله ﷺ من الصبر والقيام بالدين والدعاء إلى التوحيد والعدل.

وتدل على أن الصبر على سماع المكروه في الدين مما[١] يعظم محله.

وتدل على وجوب العبادة ما دام التكليف قائماً.

وتدل على[٢] أن العبادة فعل العبد[٣] ليصح الأمر به، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) مما: بما، د.

(٢) على: ـ ، د.

(٣) العبد: العبيد، د.



سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية، وهي مكية، عن الحسن، وعكرمة، وقيل: مدنية، عن قتادة، وقيل: مكية إلا أربع آيات: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ ,﴿وَاصْبِرْ﴾ ,﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ ,﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾.

وقيل: مكية إلا قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ ، عن الشعبي.

وقيل: مكية إلا أربعين آية من أولها إلى قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ **[النحل: ٤٠]**، حكاه الأصم. فإذا لم يتعلق بالآية نسخ وفائدة كونها مكية ومدنية واحدة، فإذا لم يتعلق به حكم جاز أن لا يتشددوا في نقله، فيقع فيه الاختلاف.

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (النحل) لم يحاسبه الله بالنعيم(١) الذي أنعم عليه في دار الدنيا، ويعطى من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية».

ولما ختم سورة (الحِجْر) بوعيد الكفار افتتح [سورة](٢) النحل بوعيدهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)﴾

---

(١) بالنعيم: النعم، د.

(٢) سورة: ـ، و.

۞ القراءة

قرأ يعقوب: «**ينزل**» بفتح الياء وكسر الزاي، «**الملائكة**» بالرفع، وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم وحمزة الكسائي: «**ينزل**» بالياء وكسر الزاي[1] وتشديدها «**الملائكة**» بالنصب على المفعول[2] مضاف إلى الله تعالى بأنه أنزلهم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «**ينزل**» بضم الياء وكسر الزاي وتخفيفه على أصلهم، وهما لغتان: نزل وأنزل، وقرأ أبو بكر عن عاصم: «**ينزل**» بضم الياء واللام على ما لم يسم فاعله.

«**يشركون**» أكثر القراء بالياء على الحكاية، وقرئ بالتاء على الخطاب.

۞ اللغة

الأمر في الأصل هو قول القائل لمن دونه: افعل إذا أراد المأمور به، ثم يستعمل في الشأن والحال كقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [**هود: ٩٧**] وقوله: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ [**يونس: ٧١**] وإنما يقع على كل شيء، كقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [**الحج: ٤١**]، قال[3] الشاعر:

لأمـــر مـــا يـــســـود مـــن يـــســـود[4]

ويستعمل بمعنى الإرادة كقوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [**الأحزاب: ٣٨**] و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ [**الطلاق: ٣**] **في معنى قول أبي مسلم.**

والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه وذلك مذموم.

وتعالى: من العلو، ومعناه: تعظم بأعلى صفات المدح عن جواز صفة النقص عليه، والنقص من ثلاثة أوجه: نقص في الصفة، ونقص في الفعل، ونقص في العدد.

---

(١) وكسر الزاي: ـ، د.

(٢) المفعول: الفعل، د.

(٣) قال: وقال، د.

(٤) البيت من قول أنس بن نهيك، وصدره:

عـــزمـــت عـــلـــى إقـــامـــة ذي صـــبـــاح

أما الأول: فالنقص في الصفة، وذلك على وجوه:
منها: صفة يكون إثباته مدحاً، ونفيه نقصاً، ككونه عالماً وقادراً[١].
ومنها: ما يكون إثباته في حال نقصاً، وفي حال مدحاً، ككونه مدركاً ومريداً.
ومنها: صفات تكون للقديم تعالى نقصاً ولغيره لا تكون نقصاً، ككونه جسماً ونحوه.
وأما الثاني: فالنقص[٢] في الفعل على وجوه:
منها: ما يكون فعله مدحاً وتركه ذماً كالواجبات.
ومنها: ما يكون فعله ذماً وتركه مدحاً كالقبائح.
ومنها: ما يستوي فعله وتركه في الحسن، إلا أن لإحدى الوجهين مزية[٣] كالإحسان.

وأما النقص في العدد في إثبات الوحدانية مدح، وإثبات ثانٍ أو ولد أو صاحبة[٤] نقص، وقوله سبحانه وتعالى تنزيه له عن جميع ما يكون نقصاً في الوجوه الثلاثة.

۞ الإعراب

(**أتى**)[٥] لفظه للماضي، والمراد به المستقبل، وجاز ذلك لتحقيق كونه، كقولك للمستغيث: أتاك النصر.

«**أن أنذروا**» محله خفض بتقدير[٦] بأن أنذروا، وقيل: محله نصب بوقوع الإنذار عليه. «**سبحانه**» مصدر إلا أنها لا تستعمل إلا مضافة، قال: وجاء مفرداً في الشعر قال:

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَاناً نَعُوذُ بِهِ ... وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الجُودِي والجَمَدُ[٧]

(١) عالماً وقادراً: عالماً قادراً، د.
(٢) فالنقص: بالنقص، د.
(٣) مزية: من قال، د.
(٤) أو ولد أو صاحبة: أو ولداً وصاحبة، د.
(٥) أتى: لما، د.
(٦) بتقدير: +، د.
(٧) البيت لأمية بن أبي الصلت، اللسان، والصحاح: مادة (جمد).

۞ النزول

قيل: لما نزل: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] مكثوا زماناً لا تأتيهم[١]، فقالوا: ما نرى مما[٢] خوفنا محمد شيئاً، فنزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، عن ابن عباس، فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم، فأتى جبريل، وقال: لا تستعجلوه، فاطمأنوا، فقال ﷺ: «بعثت والساعة كهاتين ـ وأشار بإصبعه».

وقيل: قال المشركون للنبي ﷺ: ائتنا بعذاب الله؟ فقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: هو آت إلى قريب، عن الحسن.

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، فاستعجل العذاب، فنزلت الآية، وهي الجواب المفصول، فقتل النضر يوم بدر صبراً.

۞ النظم

ومتى قيل: أي تعلق لقوله[٣] سبحانه وتعالى بما تقدم؟ وكيف[٤] وجه الاتصال؟

فجوابنا: أنهم كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به وبالقيامة والبعث، فبين أنه تعالى منزه عما يصفونه به، لأن الحكيم لا بد إذا كلف أن[٥] يجازي فترك المكافأة[٦] قبيح، وكذلك الإنصاف والانتصاف، وقيل: كانوا منكرين للقدرة على الإعادة، فنزه نفسه عن قولهم، وقيل: كانوا يعتقدون أن أصنامهم تدفع عنهم ما يوعدون من العذاب، وتقربهم إلى الله، فنزه نفسه عن ذلك، وإذا قرئ بالياء فهذا الوجه أقوى.

---

(١) لا تأتيهم: لا يأتيهم، د.
(٢) ما نرى مما: لا مما، و.
(٣) لقوله: بقوله، د.
(٤) وكيف: فكيف، د.
(٥) أن: ـ ، د.
(٦) المكافأة: المجازاة، د.

ومتى قيل: أي: تعلق لقوله[١] بما تقدم؟

فجوابنا: أنه يبين[٢] أن الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب، وأن الصلاح نزول الملائكة بالوحي والكتاب إلى النبي للإنذار، وأدلة الدين وبيانه، ولذلك أتبعه بذكر الأدلة.

وقيل: أراد بالأمر الأحكام والفرائض، فبين أن ذلك تنزله الملائكة إلى النبي ﷺ، ولما أوعدهم بالعذاب بين أن الملائكة تنزل بالتخويف، وأنه لا يأخذهم حتى يحتج عليهم بالرسل والإنذار.

۞ المعنى

«**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ**» أي: جاء أمر الله، قيل: عقابه لمن أقام على الكفر والتكذيب، عن الحسن، وابن جريج. وقيل: القيامة، عن أبي علي، وروي نحوه عن ابن عباس. وقيل: الأحكام والحدود والفرائض، عن الضحاك. وقيل: وقت العذاب، عن الأصم. وقيل: العذاب بالسيف، وقيل: نصرة الله للمؤمنين، وكانوا استعجلوا النصر، فقال: لا تستعجلوا فقد جاءكم النصر، والأقرب أن المراد به العذاب، لأنهم[٣] استعجلوا[٤] العذاب، فأما الأحكام والفرائض على ما روي عن الضحاك فليس بالوجه، لأنهم لم يستعجلوا ذلك، ولأنهم لم يؤمنوا به فكيف سألوه عن الفرائض.

ومتى قيل: لِمَ لَمْ[٥] يأتهم العذاب ليقطع كلامهم؟

قلنا: العذاب في حال التكليف مرة يكون صلاحاً ومرة يكون فساداً، ولهذا يجب في فنون مخصوصة كالحدود، وإن كان أكثر منها ما لا حد فيه، والمصالح لا تتغير

---

(١) لقوله: بقوله، د.

(٢) يبين: بين، د.

(٣) استعجلوا النصر... العذاب لأنهم: ـ، د.

(٤) استعجلوا: يستعجلوا، د.

(٥) لِمَ لَمْ: ألم، د.

بسؤال الجهال واستعجالهم، وهو أعلم بالمصالح، ولأنه تعالى لا يعذب بعذاب الاستئصال، إذا كان في المعلوم أن منهم من يؤمن أو يلد من يكون مؤمناً.

«**فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**» أي: لا تطلبوا تعجيله «**سُبْحَانَهُ**» أي: تنزيهاً له عما لا يليق به من صفات النقص، وفعل القبيح «**وَتَعَالَى**» تعظم عن ذلك «**عَمَّا يُشْرِكُونَ**» أي: عن إشراكهم الأصنام[1] معه في العبادة، أو وصفهم له بالشريك في الإلهية «**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ**» قيل: بالقرآن، عن ابن عباس، والأصم، وأبي علي، وأبي مسلم، وسمي روحاً لأنه حياة النفس بالإرشاد إلى الدين، وقيل: بالنبوة، عن الحسن، وقيل: بالرحمة، عن قتادة، وقيل: بنعم الدين، عن عطاء، وقيل: الروح كلام الله، عن الربيع بن أنس، وقيل: اسم لملك ينزل مع الملائكة، عن مجاهد، وقيل: أراد مع الروح وهو جبريل، عن أبي عبيدة. «**مِنْ أَمْرِهِ**» أي: وحيه وتنزيله «**عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**» وهو من يعلم أنه يصلح للنبوة «**أَنْ أَنْذِرُوا**» أي: أوحى إليهم لينذروا أممهم أي: يخوفونهم، وقيل: أنذروا أعلموا، وقيل: خوفوا عبدة غير الله، عن ابن عباس. «**أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**» أي: علموهم ليعلموا أنه لا إله إلا أنا «**فَاتَّقُونِ**» قيل: اتقوا أن تتخذوا غيري إلهاً، وقيل: فاتقوا معاصي الله.

۞ الأحكام

تدل الآية على قرب الساعة، وأنها تبعث على هذه الأمة.

ومتى قيل: أليس قوله[2] ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ مناقضة؟

قلنا: إذا كان معناه قرب مجيئه، ولأنه بالإضافة إلى ما تقدم يكون أقرب جائي[3]، ويقال: قرب فأتى.

وتدل على أنه منزه عن الشرك، وأنه لم يخلقه ولم يرده ولم يرض به إذ لو خلقه وأراده لما كان منزهاً عنه، ولما كان أحد أولى به منه.

---

(١) إشراكهم الأصنام: اشتراكهم للأصنام، د.

(٢) أليس قوله: ـ ، و.

(٣) جائي: جاءك، د.

وتدل أنه يوحي إلى أنبيائه على لسان ملائكته خلاف ما تقوله الباطنية.

وتدل على أن الغرض بالبعثة الإنذار والدعاء إلى الدين من العقليات وبيان الشرعيات.

وتدل على أن أهم الأمور[1] التوحيد لذلك بدأ كل نبي بذلك، ثم ثنى[2] بالشرائع.

قوله تعالى:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾

اللغة

الخصم: معروف، ويستوي فيه الواحد والجماعة، والذكر والأنثى، يقال: رجل خصم و[3]رجال خصم، وامرأة خصم، ونساء خصم، ونظيره قولنا: عدل، والأصلح أن يكون كذلك لأنه[4] مصدر خصمته خصماً، كأنه يقول[5]: هو ذو خصم، وقد يثنى فيقال: خصمان، ويجمع فيقال: خصوم، والخصام يكون جمعاً، ويكون مصدر خاصمته مخاصمة[6] وخصاماً، والخصم المخاصم[7]، قال أبو مسلم: الخصيم القوي على منازعة الخصوم.

---

(١) الأمور: الأمر، و.
(٢) ثنى: بين، د.
(٣) رجل خصم و: ـ، و.
(٤) لأنه: ـ، و.
(٥) كأنه يقول: كأنك تقول، د.
(٦) مخاصمة: ـ، د.
(٧) والخصم المخاصم: الخصم والمخاصم، و.

والأنعام: البهائم، وهي الإبل والبقر والشاء، فإذا قيل: نِعم فهي الإبل خاصة، قال الفراء: فهو ذكر لا يؤنث، وإنما سميت نعماً للين مشيه، وخرج من ذلك الحافر لصلابة وقعها.

والدفء: خلاف البرد، رجل دفآن، وامرأة دفآني، وبيت دفيء، قال الفراء: الدفء ما يستدفأ به من أشعارها وأوبارها، وقد يدفأ الرجل بالمكان، ودفؤ الزمان فهو دفئ، ودفئ الرجل فهو دفآن، وقيل: الدفء الحر المعتدل من حر البدن الذي يكون بالدثار.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في أبي بن خلف الجمحي، حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم؟ فنزلت الآية فيه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [يس: ٧٧]، عن ابن عباس، والحسن.

۞ المعنى

لما بيّن تعالى أنه يبعث الملائكة للإنذار وبيان التوحيد والدين أتبعه بذكر الدلائل والنعم التي بها تلزم العبادة، فقال سبحانه: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ» قيل: جمع السماوات ولم يجمع الأرض لأنه أراد الجنس «بِالْحَقِّ» قيل: لينتفع بها في الدنيا والدين، وقيل: استدل بهما عليه، ويتوصل بالنظر فيهما إلى معرفته ومعرفة صفاته وحكمته، فكان بالحق(١)» تعظم «عَمَّا يُشْرِكُونَ» عن وصفهم له بالشريك.

ثم بين دلالة أخرى في نفس الإنسان، فقال سبحانه: «خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ» قيل: ماء الفحل، وقيل: يخلق من ماء الرجل وماء المرأة، والماء القليل يسمى نطفة، والكثير أيضاً يسمى نطفة غير أنه بالتقارب غلب على ماء الفحل «فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِيْنٌ» قيل: أخرج من النطفة ماء هذه صفته، وهو أنه يخاصم عن نفسه، ويتبين(٢) أحواله وما في ضميره، فبين تعالى أنقص أحواله، وأكمل أحواله منبهاً على كمال قدرته

(١) بالحق: ـ، د.
(٢) ويتبين: ويبين، د.

وعلمه، عن أبي علي، وأبي مسلم، وقيل: «**خَصِيمٌ**» يجادل بالباطل «**مُبِينٌ**» ظاهر الخصومة، عن ابن عباس، والحسن، يعني: خلقه ومكنه فأخذ يخاصم في نفيه(١) وفي آياته(٢) [وفيه تعريض] بفاحش(٣) ما ارتكب وضيع من نعمة الله تعالى عليه، وقيل: فيه بيان نعمه بأن بلغه بعد أن كان نطفة إلى هذه المنزلة.

ثم بين قدرته ونعمته في خلق الأنعام، فقال سبحانه: «**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ**» قيل: الإبل والبقر والغنم، عن الحسن وجماعة «**فِيهَا دِفْءٌ**» قيل: الدفء اللباس، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: ما يستدفأ به بما يعمل من صوفها ووبرها وشعرها، عن الحسن وجماعة(٤)، فيدخل فيه الأكسية واللحف والملبوسات والمبسوطات وغيره، وقيل: الدفء نسل كل دابة، عن ابن عباس، قال الأموى: الدفء عند العرب نتاج الإبل والانتفاع بها، وقيل: الدفء صغارها، والمنافع بكبارها، حكاه الأصم، «**وَمَنَافِعُ**» يعني سائر ما ينتفع به من اللبن والركوب والحمل والنسل وغيره «**وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**» يعني لحومها وشحومها عند التذكية عند الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على خلق السماوات والأرض وغيره(٥)، وعلى عظيم قدرته وجسيم نعمه، ووجوه الاستدلال بالسماء خلقها ورفعها وسكونها وما فيها(٦) من النجوم، وسيرها على قدر معلوم في منازلها والمنافع.

وتدل على أنه خلقه من نطفة، ونقله من حال إلى حال حتى جعله بشراً سوياً، ناطقاً، عالماً، سميعاً، بصيراً، وذلك من أعظم العبر.

وتدل على عظيم(٧) نعمه في خلق الأشياء، لأنه تعالى خلق كل ذلك للمكلفين.

---

(١) نفيه: نفسه، د، و.
(٢) الزيادة من: مجمع البيان للطبرسي: ٦/ ١٢٢.
(٣) بفاحش: لفاحش، د.
(٤) فيها دفء... الحسن وجماعة: ـ، و.
(٥) وغيره: ـ، د.
(٦) خلقها ورفعها وسكونها وما فيها: خلقه ورفعه وسكونه وما فيه، د.
(٧) عظيم: ـ، د.

وتدل على عظيم قدرته ونعمه في الأنعام وكثرة المنافع، وكل ذلك دال[1] على توحيده.

قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**بشق الأنفس**[2]» بكسر الشين، قيل: أخذ من المشقة وهو الجهد، وقيل: من الشق وهو النصف، أي: لم تبلغوه إلا بذهاب بعض قواكما، وهو النصف.

وقرأ أبو جعفر بفتح الشين، وقيل: هما لغتان كَرِطْل ورَطْل، وقيل: هو بمعنى المصدر من شققت عليه أشق شقاً، وبالفتح المشقة، عن أبي القاسم.

اللغة

الجمال: ضد القبح، رجل[3] جميل وجمال بالتشديد، ويقال: جمالكَ أي: أجمل، ولا تفعل ما يشينك، قال الشاعر:

جَمَالَك أَيُّهَا القَلْبُ القَرِيحُ[4]

وقيل: الجمال ما يستحسن بعضه من بعض.

ويقال: أراح ماشيته يريحها إراحة، وهو ردها بالعشي من مراعيها إلى مباركها، والمكان الذي يراح إليه مراح.

والسروح: خروج الماشية إلى المرعى بالغداة، سرحت الماشية سرحاً وسروحاً،

---

(١) دال: دالة، د.
(٢) الأنفس: ـ ، و.
(٣) رجل: ورجل، د.
(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي: وتمامه:
ستلقى من تحب فتستريح

وسرحها أهلها[1]، ومنه: سرحت فلاناً إذا أطلقته، قال أبو عبيدة: السرح لازم ومتعد[2]، يقال: سرحته فسرح، ويقال: لجماعة الإبل والغنم والبقر: سرح.

والحمَل: رفع الجسم، ونقيضه: الحطّ، حمل حملاً، والحمل ما يكون[3] على رأس شجرة أو في بطن، والحِمل بالكسر: ما هو[4] على الظهر.

والثقل: المتاع الذي يثقل حمله، وأصله من الثقل، وجمعه أثقال، اختلفوا في الثقل، فقال أبو علي: يرجع إلى الأجزاء، وقال أبو هاشم[5]: يرجع[6] إلى الاعتماد اللازم السفلي.

۞ الإعراب

﴿فِيهَا﴾ الكناية ترجع إلى الأنعام ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ مبتدأ وخبر، و[7]﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ في محل النصب على الحال.

و﴿بَالِغِيهِ﴾ نصب بخبر (كان)، وأصله: (بالغين) حذفت النون مع المضمر وهو الهاء.

۞ المعنى

لما بدأ تعالى بذكر أصول النعم من خلق النفس والسموات[8] والأرض ثنى بالحيوان[9] وما ينتفع بها، ثم ثلث[10] بذكر ما فيها من المنافع، فقال سبحانه: «**وَلَكُمْ فِيهَا**» أي: في الأنعام، وقيل: الإبل «**جَمَالٌ**» أي: حسن منظر، عن ابن عباس،

(١) مراح والسروح... وسرحها أهلها: ـ، د.
(٢) ومتعد: ومتعدي، د.
(٣) يكون: كان، د.
(٤) هو: +، و.
(٥) أبو هاشم: أبو علي، و.
(٦) يرجع: ـ، و.
(٧) و: ـ، و.
(٨) والسموات: والسماء، د.
(٩) بالحيوان: من الحيوان، و.
(١٠) ثلث: ثنى، د.

وقيل: يستحسن بعضكم من بعض، ويتجمل أهل الغنى، عن الأصم، وقيل: النيل الذي يناله عند من يرى إبله، عن أبي علي «حِينَ تُرِيحُونَ» أي: تردونها بالعشي من مراعيها إلى مباركها، قال قتادة: وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاماً ضروعها طوالاً أسنمتها[1] «وَ[حِيْنَ] تَسْرَحُونَ» أي: حين ترسلونها إلى المرعى «وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ» أي: أمتعتكم «إِلَى بَلَدٍ» غير بلدكم، قيل: مكة، عن ابن عباس، وعكرمة، وقيل: سائر البلدان، عن الحسن وغيره. «لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ» أي: لا تصلون إليه إذا أردتم المصير إليه «إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ» قيل: بجهد الأنفس، عن قتادة، وما هو يقاسيه من المشقة «إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ» أي: ذو رأفة ورحمة لذلك أنعم عليكم بهذه النعم، وقيل: رؤوف حيث أنعم بهذه النعم، رحيم إذ ابتدأ بها من غير مسألة، عن الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن ارتباط ما يتجمل به المرء من[2] المباحات لا يكره[3]، وخص الوقتين البكرة والعشي، لأن المالك يتجمل باجتماعها في هاتين الحالتين.

وتدل على عظيم نعمه بخلق هذه الأنعام لحمل الأثقال، وما فيها من المنافع من الأكل والتجمل والحمل وغير ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾

---

(١) أسنمتها: أسنمها، د.
(٢) به المرء من: به المؤمن، و.
(٣) لا: لا تكره، د.

۞ القراءة

قراءة العامة: «**ومنها جائر**» يرجع إلى السبيل، وعن ابن مسعود: «**ومنكم جائر**» يرجع إلى المكلفين، ولا يجوز القراءة بالشاذ، وإنما يقرأ بالشائع المستفيض، فأما ما يحكى من قراءة ابن مسعود وأبي وغير ذلك، فإما أن يحمل على التفسير أو النسخ، أو يرد، لأنه من الآحاد؛ إذا لم يحتمل تأويلاً إلا[1] بتعسف.

۞ اللغة

الخيل: اسم جنس لا واحد له من لفظه، كإلابل والشاء[2].

والسوم: الأنعام في المرعى، والإبل السائمة، وهي[3] العلامة، ومنه: السيماء[4]، فهي معلمة للإرسال في المرعى.

۞ الإعراب

نصبت[5] الخيل) و(**البغال**)، قيل: بمحذوف أي: خلق الخيل[6]، وقيل: عطفاً على الأنعام، تقديره: خلق السماوات والأنعام والخيل.

(**تركبوها**) في[7] محل النصب على الحال. «**وزينة**» عطف على محل قوله: «**لتركبوها**»، عن أبي مسلم، وقيل: تقديره: جعل ذلك زينة لكم.

۞ المعنى

ثم بين تعالى من دلائل توحيده وسوابغ نعمه عطفاً على ما تقدم من ذلك، فقال

---

(١) إلاّ: لا، د.
(٢) والشاء: والشاة، و.
(٣) وهي: وهو، د.
(٤) السيماء: السماء، د.
(٥) نصبت: نصب، د.
(٦) الخيل: الخلق، د.
(٧) في: ـ ، د.

سبحانه: «**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ**» أي: خلق هذه الأشياء «**لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**» أي: لكي تركبوها، وليكون ذلك زينة لكم مع المنافع[1] التي فيها «**وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**» قيل: في الجنة من النعيم لأهلها، وفي النار العقوبات لأهلها، وقيل: السوس في الثياب، والدود في الفواكه[2]، عن قتادة، وقيل: هو عام في كل شيء خلقه[3] ولا نعلمه، عن أبي علي. «**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**»، عن ابن عباس أي: بيان الهدى من الضلال، قال جابر: أراد بيان الشرائع والفرائض، وقيل: بيان الذي كلف الخلق، عن أبي علي. و(على) كلمة وجوب، وقيل: «**وَعَلَى اللَّهِ**» بيان سبيل الجنة، فمتى بينه ولم يعمل العبد فقد أتي من جهته، وقيل: على الله مجازاة من استقام على الطريق، ومجازاة من عدل عنه، وقيل: السبيل القاصدة أمرها راجع إلى الله، عن أبي مسلم. «**وَمِنْهَا**» الكناية ترجع إلى السبيل، والسبيل يذكر ويؤنث أيضاً في لغة الحجاز «**جَائِرٌ**» قيل: من السبيل ما هو جائر أي: عادل عن الحق جار عن طرق الهدى والحق، والجائر: اليهودية والنصرانية وأنواع الكفر، وقصد السبيل: الإسلام، وقيل: الجائر البدع، والأهواء، وقصد السبيل: هو سنة رسول الله ﷺ، عن ابن المبارك. «**وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**» قيل: بالإلجاء إلى الهدى، عن الحسن، والأصم، وقيل: هي بمعنى القدرة، وقيل: لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلاً، عن أبي علي، وأبي مسلم. «**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**» عد نعمة أخرى دالة على وحدانيته، وهو إنزال المطر من السماء، قيل: من السماء[4] حقيقة، ولا مانع منه، فلا معنى للعدول عنه، وقيل: إنه[5] خلق «**لَكُمْ**» أي: الخلق[6] «منه» من الماء «**شَرَابٌ**» تشربون، وبه قيام الحيوان «**وَمِنْهُ شَجَرٌ**» أي:

---

(١) مع المنافع: منافع، د، و. وما أثبتناه من الكشف والبيان؛ للثعلبي: ٧/ ٣٧٥، تفسير الخازن: ٤/ ١٦٤، تفسير الطبري: ١٧/ ١٧٢ .

(٢) والدود في الفواكه: الدور والفواكه، د.

(٣) خلقه: خلق، د.

(٤) قيل من السماء: ـ ، د.

(٥) إنه: من، د.

(٦) الخلق: للخلق، د.

ينبت الشجر[1] بسببه عادة وإن[2] قدر على إنباته[3] من غير ماء إذ لا[4] تأثير للماء «فِيهِ» في الشجر «تُسِيمُونَ» أي: ترعون[5] أنعامكم، ترسلونها في الرعي.

الأحكام

تدل الآية على تحريم لحوم الخيل من وجهين:

أحدهما: أنه ميزه من الأنعام وقرنه بالحمير.

والثاني: أنه عد منافعه ولم يعد فيه الأكل، مع أنه معظم المنافع في المأكولات.

وذكر ابن موسى القمي[6]، عن ابن عباس أنه يكره لحوم الخيل، وتلا هذه الآية، فالأول مذهب يحيى (عليه السلام)، ورواية عن أبي حنيفة، وروي عنه أنه يكره، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي: تحل، فأما الحمير فحرام عند الأكثر، وقال بشر[7] المريسي[8]: تحل، ويحكى عن مالك.

وتدل على أنه تعالى تضمن بيان الحق.

وتدل على أن في الطرق ما هو جائر حثاً على اجتنابه، والنظر في الطريق ليعلم قصد السبيل فيتبعه، وهو قد فعل ذلك، ونصب الأدلة، وإنما أتى العبد في التقصير من جهته.

---

(١) أي ينبت الشجر: ـ ، د.
(٢) وإن: وإنه، د.
(٣) إنباته: إثباته، د. وهو تصحيف.
(٤) ماء إذ لا، ـ ، و.
(٥) ترعون: ترتعون، د.
(٦) موسى القمي: موسى والقمي، و.
(٧) وقال بشر: وقال ش، د.
(٨) المريسي: الموسوي، و. وكتب فوق لفظة (الموسوي): المريسي.

قوله تعالى:

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم برواية[١] أبي بكر عنه: «**ننبت**» بالنون على التفخيم، والباقون بالياء تعود الكناية إلى قوله: «**هو الذي أنزل**» أي[٢]: وهو الذي ينبت.

وقرأ ابن عامر: «**والشمسُ والقمرُ والنجومُ**» كلها بالرفع على الابتداء، والخبر قوله: «**مسخرات**».

وقرأ حفص عن عاصم: «**والنجوم**» مرفوعاً «**مسخرات**» بكسر التاء على أن النجوم ابتداء «**والشمس والقمر**» بالنصب، وقرأ الباقون الجميع بالنصب نسقاً على ما قبله، وهو الليل والنهار.

اللغة

الإنبات: إخراج الزرع، فالإنسان[٣] يزرع، والله ينبت على ما أجرى العادة به، وعلى ما دبره على مصالح عباده.

والتسخير: التذليل، سخره الله ذلله، وتسخير غير الحي توسع، يعني: يصرفها على طريقة واحدة في وجوه تتصل بمنافع العباد، قال أبو مسلم: التسخير: القهر.

والذرأ: إظهار الشيء بإيجاده، ذرأه يذرؤه ذرءاً، وذرأه وأحدثه وأنشأه وفطره نظائر، وملح ذرآني: ظاهر البياض.

---

(١) برواية: في رواية، د.

(٢) أي: ـ، د.

(٣) فالإنسان: والإنسان، د.

۞ الإعراب

«**مختلفاً**» نصبه على الحال.

۞ المعنى

ثم بين تعالى تفصيل ما أجمله في قوله: «ينبت» ما فيه دليل ربوبيته، ثم عطف ما لا يتم تدبير الدنيا إلا به مما يدل على وحدانيته، فقال سبحانه: «**يُنْبِتُ**» أي: يخرج من الأرض «**لَكُمْ**» أي: لأجلكم ومنافعكم «**بِهِ**» أي: بالماء الذي ينزل من السماء «**الزَّرْعَ**» هو ما يزرع الناس لأقواتهم وأقوات دوابهم من الحبوب ونحوها «**وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**» لحجة «**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**» في الدلائل، فتعلم أن لجميع ذلك صانعاً، ومدبراً، وخص المتفكر لأنهم المنتفعون به، وإلا فهو حجة للجميع «**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» أي: ذلك لمنافعكم «**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**».

ومتى قيل: إذا كان الليل والنهار تحصل بحركات الشمس فلم أفردها بالذكر؟

فجوابنا: لما فيها من الانتفاع سوى الليل والنهار «**بِأَمْرِهِ**» أي: بخلقه، ولا يحمل على حقيقة الأمر، لأنه جماد «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ**» لحجج «**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**» يستعمل عقله فيعرف كيفية دلائله، وقيل: للعقلاء لأن ما لا يعقل لا يصح منه الاستدلال به «**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ**» أي: وسخر لكم ما خلق لكم «**فِي الأَرْضِ**» سوى ما تقدم ذكره من أنواع النبات وأجناس الحيوانات كالدواب والسباع والطيور، وقيل: المراد به المعادن وسائر النعم «**مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ**» أي[1]: أجناسه، وقيل: هيئاته «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**» لحجة «**لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**» الأدلة فينظرون فيها دون من يغفل ويسهو فلا يتذكرون[2]، وخصهم به لأنهم المنتفعون به إذا نظروا فيه.

---

(١) أي: قيل، د.

(٢) يتذكرون: أفلا يذكر، و.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظيم نعمه تعالى بما خلق وسخر من أنواع الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك.

وتدل على أنه خلق جميع ذلك لمنافع خلقه.

وتدل على أنه أراد من خلقه التفكر فيه فيوجب النظر ويفسد التقليد[1].

وتدل على أن النظر والتفكر فعل العبد ليصح الأمر به، والبعث عليه.

قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً
تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

۞ اللغة

المخر: شق الماء عن يمين وشمال، وقال أبو مسلم: المخر القطع للشيء، يقال: مخرت السفينة الماء تمخره مخراً ومخوراً، وهي ماخرة، والجمع: مواخر، والمخر أيضاً صوت هبوب الرياح إذا اشتد هبوبها، ومخر الأرض شقها للزراعة، ومخرها بالماء إذا أرسل عليها الماء لتطيب.

والميد: الاضطراب، ماد يميد ميداً إذا تحركت ومالت يميناً ويساراً، ومادت الغصن تمايلت. والمائدة معروفة، قيل: هي من ماد تميد إذا أطعم. وقيل: مادني يميدني إذا تعشى، والمائدة منه.

---

(١) التقليد: القلب، د.

والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط أو لفظ أو اشارة أو غيرها.

۞ الإعراب

قيل: نصب ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾ بمحذوف، و[تقديره]: جعل أنهاراً وسبلاً.

وقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ يدل على الحذف. ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ عطف على (سبيل)، ومحله نصب، وتقديره: وجعل فيها علامات.

ومتى قيل: لم قيل: ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وما لا يعقل يعبر[1] عنها بـ(ما) كالأوثان ونحوها؟

فجوابنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنه ذكر الخلق، وهو من فعل العالم.

وثانيها: أنه على تقدير ما يعقل لعبادتهم له.

۞ المعنى

ثم عد تعالى من نعمه وآثار قدرته في البحر عطفاً على ما تقدم، فقال سبحانه: «**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ**» أي: ذلّله[2] حتى يصح فيه الركوب والدخول فيه والصيد منه «**لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**» يعني السمك «**وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**» يعني أنواع الحلي المستخرج من البحر كاللؤلؤ وغيره، «**وَتَرَى**» أيها الإنسان «**الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ**» قيل: قواطع للماء تشقه[3] لحاجتها، عن عكرمة، والفراء، والأخفش، وأبي مسلم. وقيل: جواري، عن ابن عباس. وقيل: مقبلة ومدبرة بريح واحدة، عن قتادة، ومقاتل. وقيل: مواخر مشحونة، عن الحسن، والأصم. وقيل: صوالح، عن أبي عبيدة. «**وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**» أي: لتطلبوا من رزقه بركوب البحر طلباً للتجارات والمنافع

---

(١) يعبر: يغني، د.

(٢) ولله: ذلك ذلك، و.

(٣) تشقه: فيه، د.

«**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**» أي: لكي تشكروا «**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ**» أي: جبالاً ثوابت «**أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**» أي: لئلا تميد بكم[1]، أي: تتحرك وتضطرب وتميل «**وَأَنْهَارًا**» أي: وجعل فيها الأنهار للماء لمنافعكم «**وَسُبُلاً**» أي: وجعل فيها طرقاً مختلفة «**لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**» أي: لكي تهتدوا إلى مقاصدكم، وقيل: لتهتدوا بها إلى توحيد الله بأن تفكروا فتعلموا أن ذلك من تدبير قادر حكيم «**وَعَلاَمَاتٌ**» أي: معالم يعلم بها الطريق، قيل: هو الجبال ونحوها، عن محمد بن كعب، والكلبي. فالجبال علامات النهار، والنجوم علامات الليل، وقيل: تم الكلام عند قوله: «**وَعَلاَمَاتٍ**» ثم ابتدأ «**وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**» قال قتادة: خلق الله تعالى النجوم لثلاثة أشياء: زينة للسماء، ومعالم للطرق، ورجوماً للشياطين، وقيل: في سير بعضها دلالات على الأشياء «**أَفَمَنْ يَخْلُقُ**»: يعني الله سبحانه في استحقاق العبادة والإلهية «**كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ**» يعني الأصنام، ومعناه: أيستوي من يفعل[2] وينفع ويضر ومن هو جماد لا يخلق شيئاً ولا ينفع ولا يضر حتى يسوى بينهما في العبادة «**أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**»؟

ثم عطف عليه بذكر النعم كأنه قيل: أفمن يخلق كمن لا يخلق أفمن ينعم كمن لا ينعم، فقال سبحانه: «**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**» أي: لا يمكنكم إحصاؤها من كثرتها «**إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ**» لما كان منكم إذا تبتم «**رَحِيمٌ**» بكم حيث وسع النعم عليكم، ولم يمنعها بمعاصيكم[3].

الأحكام

تدل الآية على عظيم نعمه تعالى على عباده في البحر من استخراج الزينة والصيد،

وركوب السفن للتجارات، ومتى تفكر العاقل في كل واحد منها علم أن لجميع ذلك صانعاً مدبراً.

(١) أي لئلا تميد بكم: ـ ، د.

(٢) يفعل: يعقل، د.

(٣) بمعاصيكم: لمعاصيكم، د.

ويدل قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أنه أراد من الجميع الشكر خلاف ما تقوله الجبرية.

وتدل على عظيم محل القرآن لما تضمن من تفصيل هذه الأدلة وعجائب الصنعة بأحسن لفظ وأوجزه وأفصحه، وأتم معنى وأبينه، فبين سبحانه أن من تفكر في هذه الأشياء يتوصل إلى معرفة المنعم، فيتبع أمره ونهيه دون هواه، ثم خص من يعقل، لأن من لا يعقل لا يصح منه ذلك، ثم قد يعقل الإنسان عن ذلك في بعض أوقاته، فبين أن فيه حجة[1] لقوم يتذكرون[2] الحجة والمعرفة، وطرق الاستدلال، فيعقلون[3] المعرفة، ولا يحتاج في كل مرة إلى التفكر في الأدلة فإذا تفكر وعلم شكر المنعم، تبين[4] أن غرضه شكر المنعم، ثم بين أنه فعل جميع ذلك لمنافعهم وليهتدوا، ولما تمم الحجج ودل بذلك على صحة الحجاج في الدين حاجهم في الأوثان بأنها لا تخلق، ولا تنفع، ولا تضر[5]، فلا تستحق العبادة، فإن العبادة يستحقها من[6] قدر على أصول النعم، وأنعم بها حتى[7] لا يمكن عدها لكثرتها.

قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ
شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) حجة: حجر، د.
(٢) يتذكرون: يذكرون، د.
(٣) فيعقلون: فيعرفون وكتب فوقها لفظة: فيعقلون.
(٤) تبين: يبين، د، و.
(٥) بأنها لا تخلق ولا تنفع ولا تضر: بأنه لا يخلق ولا ينفع ولا يضر، د.
(٦) يستحقها من: تستحق لمن، د.
(٧) حتى: ـ، و.

القراءة

قرأ حفص عن عاصم: «**يسرون ـ ويعلنون ـ ويدعون**» كلها بالياء على الحكاية عن الغائب، وقرأ أبو بكر عن عاصم: «**والذين يدعون**» بالياء خاصة على المعاينة[1] و«**تسرون**» و«**تعلنون**» بالتاء على الخطاب وهو قراءة يعقوب الحضرمي، وقرأ الباقون كلها بالتاء على الخطاب على ما قبله.

اللغة

البعث: الإقامة، وسمي يوم القيامة يوم البعث، لإقامة الناس عن قبورهم، عن أبي مسلم.

(أيان) سؤال عن الزمان، ونظيره: متى، إلا أن متى أوضح، لأنه أغلب في الاستعمال، كما أن (أين) سؤال عن المكان.

والإنكار نفي المعنى، ونقيضه: الإقرار.

والاستكبار: الامتناع من قبول الحق أنفة من أهله، والاستكبار: طلب الترفع بترك الإذعان للحق.

الإعراب

تم الكلام عند قوله: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾ أي: هم أموات، ونصب «ايان» لأنه ظرف[2] أي: متى يبعثون.

المعنى

لما تقدم الدعاء إلى عبادته تعالى ببيان قدرته ونعمته، وأنه خالق الأشياء خاطب في هذه الآية المشركين دالاً على بطلان قولهم في عبادة من سواه بما لا يذهب عنه عاقل متى فكر فيه، فقال سبحانه: «**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**» يعني يعلم الخفي

---

(١) المعاينة: المعاتبة، و.

(٢) ظرف: ـ ، د.

والعلن **«وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ(١)» أي: تدعونه إلهاً، وهو الأصنام «لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا»** أي: لا يقدرون على خلق شيء ولا نفع ولا ضر **«وَهُمْ يُخْلَقُونَ»** لأنهم محدثون فلا بد لهم من محدث صانع، وإذا كان القادر بالقدرة(٢) لا يصح منه خلق الجواهر والأجسام فلا بد لها من صانع مخالف للأجسام، فبهذا الترتيب تدل على الصانع جل جلاله.

ثم وصف الأوثان فقال سبحانه: **«أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ»** يعني هذه الأصنام **«أَمْوَاتٌ»** أي: في حكم الأموات **«وَمَا يَشْعُرُونَ [أَيَّانَ يُبْعَثُونَ]»** أي: ما يعلمون متى يبعثون، وعبر عنها كما يعبر عن العقلاء على حسب اعتقادهم فيها، عن أبي مسلم. وقيل: هؤلاء الكفار في حكم الأموات لكفرهم وذهابهم عن الدين، وما يدرون متى يبعثون، وقيل: لا يدري العابد ولا(٣) المعبود متى يبعثون، حكاه الأصم، قال أبو علي: لا تدري الأصنام متى يبعث الخلق(٤)، وهو نسق الكلام، وقوله: **«غَيْرُ أَحْيَاءٍ»** ذكر تأكيداً، وقيل: لأنه يقال للحي: ميت تشبيهاً، فأكد أن هؤلاء الأصنام أموات، وقيل: لأنه أخبر بأنهم ما كانوا أحياء ولا يكونون أحياء أبداً، إذ الميت يجوز أن يحيا في الثاني، ويجوز أن يحيا أولاً ثم(٥) يموت ثانياً.

ثم بين(٦) أن الأصنام قط لا يكونون أحياء **«إِلَهُكُمْ»** أي: خالقكم الذي دبر هذه الأشياء فاستحق العبادة عليكم **«إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ»** قيل: مشركي العرب، وقيل: جميع الكفار **«قُلُوبُهُمْ مُنكِرَةٌ»** جاحدة للتوحيد غير عارفة به **«وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ»** يتعظمون ويأنفون عن أن يكونوا أتباعاً للأنبياء ويدينون بدينهم، عن أبي علي، وقيل: استكبروا عن(٧) أن يعبدوا رباً واحداً **«لاَ جَرَمَ»** قيل: الجرم القطع

(١) دون الله: دونه، و.
(٢) بالقدرة: بقدرة، د.
(٣) لا: ـ ، د.
(٤) الخلق: الخالق، و.
(٥) ثم: ـ ، و.
(٦) ثم بيّن: فبين، د.
(٧) عن: ـ ، د.

أي: قولاً مقطوعاً به، وقيل: حقاً، وقيل: كلمة تحقيق، وقيل: أصله من الكسب، لأنه يقول: لا يحتاج في معرفة هذا الأمر إلى اكتساب علم، بل هو معلوم، عن أبي مسلم. «**أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**» وهو تهديد لهم بأنه عالم بجميع أحوالهم فيجازيهم «**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**» أي: لا يريد تعظيمهم، وهم الذين يأنفون عن قبول الحق، ويتكبرون على المؤمنين.

❁ الأحكام

تدل الآية على أن العبادة تستحق لمن[١] قدر على أصول النعم دون الأجسام، ثم بين أنه واحداً تحقيقاً وتأكيداً.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على قبح إنكار الحق والاستكبار عن قبوله، وأن الواجب اتباع الحق والتواضع لأهله.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

 اللغة

السطر: الصف من كل شيء كالكتاب والشجر وغيرها، وسطر فلان أي: جاء بالأباطيل، وواحد الأساطير: أسطار وأسطورة، وقيل: إنه من الجمع الذي لا واحد له، كالصناديد.

والوزر: الثقل، ومنه: الوزير، لأنه يحمل الأثقال عن الملك، ووازره على أمره عاونه بتحمل الثقل معه، والوزر: الإثم. قال أبو مسلم: ووزر يزر وزراً بفتح الواو،

---

(١) تستحق لمن: يستحقها من، و.

والاسم الوِزر بكسر الواو، ونحو حمل يحمل حَملاً بفتح الحاء، والاسم الحِمل بكسرها.

والكمال: التمام من غير إخلال.

۞ الإعراب

الكناية تعود إلى من تقدم ذكره في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ ورفع **(أساطير)** لأنه خبر ابتداء محذوف، أي: هذه أساطير الأولين.

۞ النزول

قيل: نزلت في مشركي مكة وأشرافهم الذين اقتسموا على عقاب مكة لتسألهم(١) الوفود عن النبي ﷺ وعما أنزل إليه، فقالوا: أساطير الأولين(٢)، حكاه الأصم وغيره.

۞ المعنى

ثم بين أحوال الكافرين وأقوالهم، فقال سبحانه: «**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**» لمشركي مكة «**مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ**» على محمد «**قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**» قيل: أحاديثهم، عن ابن عباس، لأنهم كانوا يسطرونها في الكتب، وقيل: أباطيل الأولين، والمراد أنه شيء(٣) سمعه من أخبار الأولين ممن عرفه وليس بوحي «**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ**» أي: ذنوب أنفسهم التي يفعلونها، والمراد عقاب الذنوب التي تلزم على الأفعال «**كَامِلَةً**» أي: تامة، أي: فعلوا المعاصي على أقبح الوجوه، فلزمهم عقابها على أكمل الوجوه، وهو عقاب الكفر(٤)، وقيل: تامة لا يفوت منها سيئة بل يؤاخذون بها كلها «**يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**» أي: يصدونهم عن الإيمان، يعني يلزمهم عقاب إضلالهم، وهو ما روي عن النبي ﷺ: «أيما داع دعا إلى هدى فاتبع فله مثل أجور من اتبعه من غير

(١) لتسألهم: يسألهم، د.
(٢) الأولين: ـ ، د.
(٣) شيء: سمى، د.
(٤) الكفر: الكفرة، د.

أن ينقص من أجورهم شيئاً، وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»، «**بِغَيْرِ عِلْمٍ**» بما يلزمهم على ذلك الإضلال، وقيل: لا يعلمون الحق، وإنما يتبعون الهوى تقليداً أو عناداً «**أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ**» أي: بئس الحمل حملهم، واللام في قوله: «**ليحملوا**» قيل: لام العاقبة، لأنهم دعوا إلى الضلال ظناً منهم بأنهم على حق، ولكن لما كان عاقبة أمرهم ذلك صار كأنهم فعلوا ذلك لأجله. وقيل: هو لام كي، وكانوا معاندين.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن من يضل غيره يستحق مثل عقاب من ضل إذ المعلوم أن غير[1] الأول لا يحملها، فلا بد من الحمل على مثل، والمراد العقاب، ولا شبهة أنه لا يلزمه العقاب بفعل من أضله فلا بد من حمله على أنه يلزمه بالإضلال والدعاء إلى الضلال.

وتدل على أن هذا القول من رؤسائهم ومقدميهم دون أتباعهم.

وتدل على أنهم أضلوا الأتباع خلاف ما يقوله أهل الجبر: أن المضل هو الله تعالى.

وتدل على أن المعارف مكتسبة لذلك جاز قوله: ﴿يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

قوله تعالى:

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) غير: عين، و.

۞ القراءة

قرأ نافع وحده: «**تشاقون**» بكسر النون على الإضافة، وقرأ الباقون بفتح النون على الجمع.

قرأ حمزة: «**يتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**» وبعده «**يتوفاهم الملائكة طيبين**» بالياء في الحرفين، لأن الملائكة ذكور، وقرأ الباقون بالتاء للفظ.

۞ اللغة

المكر: التدبير الخفي، وإذا أضيف إلى العبد فهو خبث وخداع، وإذا أضيف إلى الله تعالى فهو جزاء واستدراجهم من حيث لا يعلمون، عن الأزهري. مكر يمكر مكراً فهو ماكر ومكار.

والقواعد: الأساس، واحدها قاعدة، وقواعد الهودج خشبات أربع معترضات في أسفله، والقعدات: السروج والرحال، وأصله من القعود، والمقاعد: مواضع القعود، والقعود ضد القيام، وهو من جنس الأكوان، وقد يكون القيام والقعود مثلين.

وخر: سقط، يخر خروراً، يقال للحجر إذا تدهدا[1] من الجبل: خر يخر خروراً، بضم الخاء، وخر الماء يخر بكسر الخاء[2]: إذا صوت[3]، وخر الميت يخر خريراً بكسر الخاء، ومنه حديث حكيم بن حزام قال: بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخر إلا قائماً، قيل: معناه ألاّ[4] أموت إلا متمسكاً بالإسلام، عن أبي عبيدة[5]. وقيل: لا أغبن ولا أغبن[6]، ولذلك قال النبي ﷺ: «لست تغبن في دين ولا في شيء من قبلنا ولا بيع»، عن الفراء. وقال الجرمي: معناه: لا أقع في شيء من تجارتي وأموري إلا قمت به منتصباً له.

---

(١) تدهدا: ترد، د.
(٢) بكسر الخاء: ـ، د.
(٣) صوت: ضرب، د.
(٤) ألاّ: لا، د.
(٥) أبي عبيدة: أبي عبيد، د.
(٦) لا أغبن ولا أغبن: لا أغير ولا أُغير، د.

والسقف: سقف البيت، والسقف: السماء، وجمعه: سُقُف، مثل: رهن يرهن.

والشقاق: الخلاف، وفلان شق العصا إذا فارق الجماعة، وهو مأخوذ من الشق النصف، كأنه صار في غير شقهم، ومنه: ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢] أي: عصيان.

۞ الإعراب

﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ نصب على الحال، أي: في حال ظلمهم أنفسهم بالكفر، ودخلت اللام في قوله: «فَلَبِئْسَ» للتوكيد، وهي اللام التي تدخل بعد القسم توكيداً، عن أبي مسلم.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ﴾ في قصة نمرود(١) بن كنعان، عن ابن عباس، وزيد بن أسلم، وقيل: في بخت نصر، وقيل: هو عام.

وقيل: نزل قوله: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ﴾ في أهل القليب الذين قتلوا ببدر من قريش وأهل مكة، وقد أخرجوا كرهاً، عن عكرمة.

۞ المعنى

ثم بين تعالى ما جرى على الأمم تسلية للنبي ﷺ، ووعيداً لقومه، فقال سبحانه: «قَدْ(٢)» تحقيق للكلام «مَكَرَ(٣)» دبر واحتال في إبطال الحق «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأمم كما مكر هؤلاء في قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ليضلوا الناس وتدبيرهم القعود في الطرق، وقيل: هو نمرود بنى الصرح ببابل ورام الصعود إلى السماء، وكان طوله في السماء خمسة آلاف ذراع، عن ابن عباس، ووهب. فهبت ريح فخر عليهم، وقيل: هو عام في جميع الكفار فيما احتالوا على رسلهم، عن الأصم،

---

(١) نمرود: نمروذ، و.

(٢) قد: وقد، د.

(٣) مكر: قد مكر، و.

وأبي علي وجماعة. «فَأَتَى اللَّهُ» يعني أتى الله «بُنْيَانَهُمْ» وقيل: كان الخراب من جهة الله تعالى[1] بأن فعله كما يقال: أتيت من جهة فلان، إذا كان هو الفاعل «مِنَ الْقَوَاعِدِ» أي: الأساس «فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ» أي: سقط عليهم أعالي بيوتهم، وقيل[2]: وقعت الزلزلة والعذاب فيها حتى سقط عليها بنيانهم، وقيل: أتى أمر الله ما بنوا[3] من مكر واحتيال فأحبطه وأبطله، وخرَّ عليهم ما بنوا ومكروا بالمرسلين من الظلم والتكذيب، فأهلكهم الله به، عن الأصم، وهذا يبعد.

ومتى قيل: لما قيل: «مِنْ فَوْقِهِمْ» والسقف لا يكون إلا من فوق؟

قلنا: فيه وجهان:

الأول: للتأكيد نحو قلت: إنه كذا، عن أبي علي.

والثاني: لتدل أنهم كانوا تحته، إذ يقول القائل: تهدمت علي المنازل، وإن لم يكن تحتها.

«وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ» يعني عذاب الاستئصال «مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ» لا يعلمون أي: من حيث لم يتوقعوا ومن مأمنهم، لأنهم اعتقدوا أنهم على حق فما ظنوا أنهم يعاقبون «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ» يذلهم بأنواع العذاب والنكال، وقيل: يفضحهم بأن يسألهم فيقول: «أَيْنَ شُرَكَائِي» وفيه إشارة إلى أنه يفضحهم بشيئين[4]:

أحدهما: أنهم عبدوا حجراً لا تنفع ولا تضر.

وثانيهما: تركوا عبادة المنعم المالك للنفع والضر.

«وَيَقُولُ» توبيخاً لهم وتهجيناً «أَيْنَ شُرَكَائِي» على زعمكم «الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ» فيل: تخالفون فيهم أولياء الله وأنبياءه، عن ابن عباس، فما لهم لا يحضرونكم ولا يدفعون عنكم «قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» يعني العلماء بالله وشرائعه «إِنَّ الْخِزْيَ

---

(١) تعالى: ـ ، و.

(٢) وقيل: قيل، و.

(٣) بنوا: ما يُنوا، د.

(٤) بشيئين: شيئين، د.

﴿الْيَوْمَ﴾ أي: الهوان **﴿وَالسُّوءَ﴾** يعني العذاب الذي يسؤهم **﴿اليوم﴾** يعني يوم القيامة **﴿عَلَى الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾** يعني تقبض أرواحهم، وتوفى واستوفى بمعنى، وقيل: تستوفي عددهم **﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾** بالكفر. إلى هاهنا حكاية كلام الذين أوتوا العلم، ثم عاد الكلام إلى الحكاية عن المشركين، فقال: **﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾** أي: انقادوا واستسلموا وتركوا النكير **﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾** من شرك وكفر، وقيل: ما كنا نعمل من سوء عند أنفسنا في اعتقادنا، لأنهم لا[1] يكونوا ملجئين إلى ترك التكذيب إذ لا[2] تكليف عليهم، عن أبي علي، وأبي هاشم وأصحابهما، فيتحيرون في[3] اعتقادهم، لأنهم يكذبون في خبرهم، وقيل: الآخرة منازل ومواطن، في بعضها يلجؤون إلى ذلك دون بعض، عن الحسن، وأبي بكر أحمد بن علي، والأول الصحيح، فتقول الملائكة **﴿بَلَى﴾** كنتم كافرين عاملين بالسوء، اتبعتم الآباء وعلماء السوء **﴿إِنَّ اللَّهَ[4] عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** من ذلك، وقيل: هو من كلام الله تعالى لهم.

ومتى قيل: (بلى) تكذيب، فإن كانوا أخبروا عن اعتقادهم فلم كذبوا؟

فجوابنا: لم يكذبوهم في خبرهم، ولكن ردوا عليهم قولهم **﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾** فقال: بلى عملتم سوءاً.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين **﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** أي: بئس منزل المتعظمين عن قبول الحق.

❁ الأحكام

تدل الآية على مجادلة تجري في القيامة بين أهل النار وأهل الجنة.

وتدل على أن الملائكة موكلون[5] بقبض الأرواح، لأن الموت لا يقدر عليه غير الله تعالى، فأما الروح فهي النفس، وهي أجزاء مختلطة ببدن الإنسان فتجذبها الملائكة.

---

(١) لا: ـ، د.
(٢) إذ لا: إلا، د، و.
(٣) في: عن، د.
(٤) إن الله: والله، د، و.
(٥) موكلون: يوكلون، د.

وتدل على أن المعاذير لا تنفع، وعلى أنه يعذب من لا يعلم أنه على باطل وأن الجهل ليس بعذر، فيبطل قول أصحاب المعارف[1].

وتدل على أن المعاذير لا تنفع إذا لم يكن عذراً في الحقيقة.

وتدل على قبح التكبر.

وتدل على أن التكبر والظلم وعمل السوء من جهتهم لا من خلق الله تعالى، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾

القراءة

قرأ حمزة: «**يتوفاهم الملائكة**» بالياء، والباقون بالتاء، وقد بينا.

قال أبو مسلم: الوقف على قوله: «**دار المتقين**» غير[2] مختار حتى يصل به «**جنات**» والوقف على ﴿عَدۡنٖ﴾ حسن، ولكن الأحسن على قوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾.

اللغة

الطيب: الحلال، والطيب: الملتذ، والطيب: الطاهر.

---

(١) وتدل على أن المعاذير... أصحاب المعارف، ـ ، د.

(٢) غير: خير، د.

۞ الإعراب

يقال: لما نصب «خيراً» ورفع «أساطير» والسؤال فيهما على صورة واحدة؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: لأنه في الرفع على[1] التقدير[2]: ما الذي أنزل ربكم، فيكون (ذا) بمعنى (الذي)، وفي النصب على تقدير: ما أنزل ربكم، على أن يكون ذا وما بمنزلة اسم واحد، هذا قول سيبويه.

الثاني: أنهم جحدوا التنزيل، فقالوا: إنما هي أساطير الأولين، والمؤمن آمن بالتنزيل فقال: أنزل ربنا خيراً.

(نعم) و(بئس) يرفعان الاسم والخبر إذا كانا معرفتين، وينصبان الاسم إذا كانا نكرة، ويرفعان خبره، تقول: نعم الرجل زيد، ونعم رجلا زيد[3].

ويقال: لما رفع ﴿جَنَّٰتُ﴾؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

أولها: خبر ابتداء محذوف تقديره تلك جنات عدن.

وثانيها: الابتداء، وخبرها: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾.

الثالث: ابتداء وخبرها: ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ وقيل: هو بدل من الدار فلذلك ارتفع.

۞ النزول

قيل: نزلت في أصحاب النبي ﷺ، وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ، فإذا جاء إلى مكة سأل الذين قعدوا السائل، فيقول: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة واستطلع أمر محمد

---

(١) الرفع على: ـ، و.

(٢) التقدير: تقدير، و.

(٣) ونعم رجلا زيد: ـ، د.

وألقاه، فيدخل مكة، ويرى[1] أصحاب النبي ﷺ ويسألهم عنه فيخبرونه بصدقه، وأنه نبي مبعوث فذلك قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ﴾.

وقيل: نزل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ في صهيب، وبلال، وخباب، وسلمان، وعمار، حكاه الأصم.

۞ المعنى

لما تقدم قيل الكفار فيما أنزل الله عليه عقبه بقيل المؤمنين، فقال سبحانه: «**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا**» قيل: الشرك، وقيل: المعاصي، وهو الوجه، وهم المؤمنون «**مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ**» من القرآن على محمد «**قَالُوا خَيْرًا**» يعني قالوا أنزل خيراً، وقيل: أجابوا بخير جواب، وهو قولهم: إنه نبي مبعوث أوحى الله[2] إليه، واختلفوا في قوله: «**خيراً**» يعني قالوا: أنزل خيراً، وقيل[3]: القرآن والإسلام وسائر الأحكام المؤدية إلى ثواب الأبد، وقيل: هو قوله: «**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ**» للذين أحسنوا قيل: هذا كله من كلام المتقين إلى قوله: «**طيبين**» وقيل: إلى قوله: «**جنات**» وقيل: إلى قوله: «**وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ**»، عن أبي مسلم، وقيل: بل تم الكلام عند قوله: «**قَالُوا خَيْرًا**» ثم ما بعده ابتداء كلام من جهة الله تعالى، وأجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين، والأظهر أنه كلامه تعالى لأنه أبلغ في الدعاء إلى الإحسان، والمعنى: للذين أحسنوا في طاعة الله كما هو حقه «**فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ**» ثواب وإحسان، قيل: هو ما يستحقه من التعظيم والمدح، وقبول الشهادة، وحقن الدماء والأموال وغير ذلك من إكرامه، وقيل: هو الظفر على الأعداء بالحجة والقهر والغنيمة، عن الأصم، وقيل: لما أحسنوا أحسن الله إليهم بالتوفيق والألطاف كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد: ١٧]، «**وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ**» لهم مما أعطاهم في الدنيا «**وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**» فيه مبالغة من وجهين:

---

(١) ويرى: فيرى، د.
(٢) الله: ـ، د.
(٣) وقيل: قيل، د.

أحدهما: قوله: «لنعم»، وهي إشارة إلى حصول الأماني.

والثاني: إضافة الدار إليهم، كأنها معدة لهم.

ثم فسر ووصف الدار فقال سبحانه: «**جَنَّاتُ عَدْنٍ**» أي: إقامة لا تفنى ولا تزول «**يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**» أي: من تحت أشجارها وأبنيتها الأنهار أي: ماء الأنهار. وقيل: هي أنهار العسل واللبن والخمر «**لَهُمْ**» للمتقين «**فِيهَا**» في الجنات «**مَا يَشَاءُونَ**» قيل: يريدون، وهو حقيقته، وقيل: يشتهون «**كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ**» أي: بمثل هذا يكافئ المتقين، عن أبي علي «**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ**» أي: تقبض أرواحهم «**طَيِّبِينَ**» قيل: صالحين بأعمالهم الجميلة، وقيل: مؤمنين مجانبين لمعاصي الله، عن أبي علي[1]، وأبي مسلم، وقيل: زاكية طيبة أفعالهم وأقوالهم، عن مجاهد، والأصم، وقيل: طاهرين من دنس الكفر والفسق، وقيل: تطيب لهم قبض أرواحهم لما بشروهم بالجنة فيفرحون بقبض أرواحهم، «**يَقُولُونَ**» يعني الملائكة للمؤمنين «**سَلَامٌ عَلَيْكُمُ**» قيل: سلموا[2] عليهم سلام تحية، وقيل: يقولون: الله يقرأ عليكم السلام، عن محمد بن كعب القرظي، وقيل: معناه السلامة لكم «**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ**» قيل: لما بشروهم بالسلامة والجنة صارت الجنة كأنها دارهم، وهم فيها لأنهم قالوا ادخلوا الجنة يعني حصلت لكم، وقيل: يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم: سلام عليكم ادخلوا الجنة، وقيل: المراد أنكم ستدخلونها، عن أبي علي «**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**» أي: جزاء على أعمالكم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الملائكة تخاطب المحسن والمسيء عند قبض الأرواح ويوم القيامة بعواقب أمرهم، فيزيد[3] المؤمنين سروراً، والكافرين غماً، والعلم بذلك لطف للمكلفين.

---

(١) علي: ـ، و.

(٢) سلموا: يسلموا، د.

(٣) فيزيد: ويزيد، د.

وتدل على أن المؤمن[١] قد يثاب[٢] في الدنيا بعض الثواب.

وتدل على أن الجنة تنال بالتقوى، لأنه خصها بهم، وهو من اجتنب الكبائر.

قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة: «**يأتيهم الملائكة**» بالياء لتذكير الملائكة، والباقون بالتاء للفظ.

اللغة

النظر يستعمل على وجوه:

منها: بمعنى التفكر في القلب.

ومنها: بمعنى النظر بالعين، وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته.

ومنها: بمعنى الانتظار، يقال: نظرت فلاناً أي: انتظرته.

ومنها: قولهم: نظر الدهر إلى بني فلان أي: أهلكهم، والنظر المثل، كأنه إذا نظر[٣] إليهما كانا سواء.

قال ابن عرفة: حاق به الأمر يحيق إذا لزمه ووجب عليه.

وقال الأزهري: الحيق في اللغة: ما يشتمل[٤] على الإنسان من مكروه فعله،

---

(١) المؤمن: المؤمنين، د.

(٢) يثاب: يثابوا، د.

(٣) نظر: ـ، د.

(٤) ما يشتمل: ما يستعمل، و.

ويقال: حاق به الشيء يحيق نزل، ومنه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

والهزؤ: السخرية، والاستهزاء: طلب السخرية.

النزول

قيل: نزلت الآية في أهل مكة، عن الأصم.

المعنى

لما تقدم الوعيد للكافرين والمستهزئين والمستكبرين بين متى يكون، فقال سبحانه: «**هَلْ يَنظُرُونَ**» أي: هل[١] يترقب هؤلاء المشركون، وقال أبو علي: ينتظرون ما وعدهم الله من العذاب، وإنما قال ذلك لما استطالوا[٢] العذاب، وقيل: أشار[٣] إلى أنهم أمهلوا للتوبة، فإذا لم يتوبوا أتاهم ما ذكر، عن أبي مسلم، واختلفوا من وجه آخر، فقيل: هل ينتظرون بإيمانهم إلا[٤] هذه الأحوال فيؤمنوا فلا ينفعهم، وقيل: هل يترقبون بتكذيبهم إلا[٥] هذه الأحوال «**إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ**» بعذاب الاستئصال «**أَوْ [يَأْتِيَ] أَمْرُ رَبِّكَ**» بالعذاب، والمراد بأمر ربك فعله، وقد يعبر بالأمر عن الفعل كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، «**كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» أي: عصوا كما عصى هؤلاء فأهلكهم الله «**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ**» بعقوبتهم «**وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**» حيث عصوا فاستحقوا العذاب[٦] «**فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا**» قيل: نالهم جزاء أعمالهم، وقيل: عاد وبال معصيتهم عليهم وإعمالهم الحيلة[٧] «وَحَاقَ بِهِمْ» أي:

---

(١) أي هل: - ، و.
(٢) لما استطالوا: لما استبطأوا، د.
(٣) أشار: إشارة، د.
(٤) إلاّ: إلى، د.
(٥) إلاّ: بإلا، و.
(٦) العذاب: العقاب، د.
(٧) الحيلة: الخبيثة، د.

نزل بهم وحل من عقوبات الله «**مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**» أي: يستهزئون به عند ذكره تكذيباً.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن العذاب قد يكون فعل الله تعالى وقد يكون فعل الملائكة.

وتدل على أنه منزه عن الظلم لذلك قال: «**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّه**[1]» وعلى أن ما فعلوه هم أحدثوه فاستحقوا العذاب[2] إذ لو كان فيهم الكفر ومنعهم الإيمان ولم يعطهم قدرة الإيمان ثم عاقبهم مخلداً لما قال: «**وما ظلمهم**[3]» وأي ظلم أعظم من هذا، يتعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وتدل على أن العمل والاستهزاء فعلهم أيضاً.

وتدل على أنه لا يريد منهم الكفر، ولا يخلق القدرة الموجبة للكفر ثم يعاقب، لأن كل ذلك ظلم.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

---

(١) الله: ـ، و.

(٢) العذاب: العقاب، د.

(٣) لما قال وما ظلمهم: لما كان ما خلقت، د.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر[1] ويعقوب: «**لا يُهدَى من يضل**» بضم[2] الياء وفتح الدال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: «**يَهدِي**» بفتح الياء وكسر الدال. واتفقوا في «**يُضِل**» أنها مضمومة الياء مكسورة الضاد.

۞ اللغة

البلاغ والإبلاغ: اتصال المعنى إلى الغير.

وحق: وجب، يقال: حققت عليه القضاء حقاً، وأحققته أوجبته، ومنه: ﴿ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ [المائدة: ١٠٧] أي: استوجباه.

والحرص: طلب الشيء بجد واجتهاد، وحرص يحرص نحو حسب يحسب، وفيه لغة أخرى حرِص بكسر الراء يحرَص بفتحها، نحو: علم يعلم.

۞ الإعراب

«**أن اعبدوا الله**» محله نصب على تقدير: قولوا اعبدوا الله، أو قالوا، وقيل: بنزع الخافض، بتقدير: بأن اعبدوا الله.

۞ النزول

قيل: إن النبي ﷺ أقبل على رجل من أهل بيته فسأله أن يسلم فأبى، فأنزل الله تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ ، عن الأصم.

۞ المعنى

ثم عاد الكلام إلى حكاية قول المشركين والرد عليهم، فقال سبحانه: «**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**» أي: لو أراد أن نعبده وحده ولا

(١) عامر: عباس، د.

(٢) بضم: بفتح، د.

نعبد معه غيره لفعلنا كذلك «**وَلاَ آبَاؤُنَا**» أي: ولو أراد من آبائنا أيضاً عبادته وحده لفعلوا «**وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**» أي: لو أراد أن لا نحرم شيئاً لما حرمنا، وهو ما كانوا عليه من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فحكى عنهم ما يعتقده أهل الجبر، أي: لولا أنه أراد منا الشرك والتحريم وإلا ما كانوا عليه، وهذا بعينه مذهب القوم «**كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» من الأمم الكفرة قالوا مثل قولهم وفعلوا مثل فعلهم في الكفر والعصيان، وإنما شبه فعلهم بفعل أولئك ذماً وتهجيناً وتحذيراً أن ينالهم مثل ما نال أولئك «**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**» أي: ليس عليهم إلا أداء الرسالة، وإظهار الأدلة، وبيان الشرائع، وليس عليه الإلجاء إلى القبول، فبين أن على الرسول[١] رد قولهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾ بإقامة[٢] الحجة على بطلان مذهبهم، وقيل: ليس عليه بيان فساد الاعتقادات بما يرجع إلى العقليات، ولكن عليه أداء الشرائع، وليس بالوجه، لأن عليه بيان الحجج والدعاء إلى النظر، ولذلك بدأ الرسل كلهم بالدعاء إلى التوحيد، وكما يحكى عن القوم خلاف الحق في مشيئته.

ورد عليهم ونبه[٣] على أن إرادته فيما أمرهم[٤] به، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ**» جماعة وقرن ممن تقدم «**رَسُولاً**» ليدعوهم إلى الحق «**أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ**» أي: وحدوه واعبدوه وحده، يعني لو شاء عبادة غير الله والشرك لما بعث الرسل إلى خلاف مشيئته، ولما أمر بخلاف مشيئته، ولما عاقب على وجود ما شاء «**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**» واتباعه، عن أبي علي، وقيل: إغواءه، واختلفوا فقيل: الطاغوت الشيطان، عن الأصم، وقيل: ما عبد من دون الله، عن أبي علي، وأبي مسلم، وقيل: شياطين الإنس والجن «**فَمِنْهُمْ**» من تلك الأمم «**مَنْ هَدَى اللَّهُ**» أي منهم من اهتدى بهدي الله فأوجب له الجنة، عن أبي مسلم، وقيل: فمنهم من هداه إلى جنته

(١) الرسول: الرسل، د.
(٢) بإقامة: فإقامة؛ د، و.
(٣) ونبه: نبه، د، و.
(٤) أمرهم به: أمره به، د، و.

وتوليه، وهم المؤمنون، عن أبي علي، وأبي مسلم، قال: والضلال عن طريق الجنة والرحمة، والضلال بمعنى الهلاك، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]، عن أبي علي. وقيل: منهم من استحق الضلالة بكفره وتكذيبه، عن الأصم، ومعناه: حقيق أن يضل لما لم يقبل الهداية.

ثم أمر بالاعتبار بحال أولئك مبيناً أنه تعالى لم يشأ كفرهم بل كره، لذلك عاقبهم، فقال سبحانه: «**فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ**» خطاب لهذه الأمة «**فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**» ممن تقدم فكذبوا الرسل، لما قال الله تعالى لا يريد الكفر فكذبوه في ذلك، فأهلكهم، لأن المكذب يكذب غيره فيما يقوله، فلما قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ وكذبوا الرسل في هذه المسألة دل أن مذهب الرسل أنه لا يشاء[1] الشرك «**إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ**» قيل: على إسلامهم وكان حريصاً على إيمانهم، وقيل: على نجاتهم ودخولهم الجنة، عن أبي علي. «**فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ**» بفتح الياء[2] على قراءة الكوفيين، قيل: من حكم بضلالته[3] لا يحكم بهدايته أحد، وقيل: من يجده ضالاً عند إرشاده، وقيل: لا يلطف لمن يضل، وقيل: لا يثيب ولا يهدي إلى الجنة من يعاقب، لأن الجمع بين الثواب والعقاب لا يجوز، عن أبي علي، وقيل: لا يهدي بالضلال الذي جعله كفراً، أي: لا يكون العبد مهتدياً بالشرك، عن الأصم، وقيل: لا يدخل الجنة من يضل عن أمره، عن أبي مسلم، وقيل: يهدي بمعنى يهتدي، يعني من أضله الله لا يهتدي، فأما إذا قرئ بضم الياء وفتح الدال «**من يُهدَى**» على قراءة الحجاز والشام والبصرة، فقيل: من يهلكه لا ينجيه أحد، وقيل: من يحكم بضلاله لا ينفعه هداية أحد، وقيل: من أضله عن طريق الجنة لا يهديه إليه أحد، عن أبي علي، وتقدير الكلام على هذه القراءة: فإن الله من يضله لا يهدى «**وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**» يدفع العذاب عنهم، وذلك دليل أنه أراد بالضلال إما العذاب وإما[4] الحكم بالضلال.

---

(١) لا يشاء: لا يسأل، د.
(٢) بفتح الياء: ـ ، د.
(٣) بضلالته: بضلاله، د.
(٤) وإما: أو، د.

۞ الأحكام

تدل الآية أن القوم كانوا مع شركهم مقرين بالله، وأن المعارف بالله قد تكون شركاً.

وتدل على أن القوم كانوا متمسكين بمثل مذهب المجبرة في الإرادة وأنه تعالى يريد الكفر والمعاصي.

وتدل على أنهم احتجوا به وظنوه عذراً كما ظن هؤلاء فكذبهم الله، وبين أن مقالة الرسل خلاف مقالتهم، ولا يقال: إن القوم قالوه استهزاء لأن القوم اعتقدوا ذلك، وقالوه حجاجاً، ولو كان مدحاً ما كان استهزاء ولا كذبهم فيه.

وتدل على أن على الرسول الإبلاغ، فتدل على أنه لا بد أن يبقى حتى يؤدي.

ويدل قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا﴾ أي: أنه بعث في كل أمة رسولاً.

وتدل على أنهم كما[1] بينوا الشرائع دعوا إلى التوحيد والعدل وحثوا على النظر في الدلائل، وأنهم بدأوا به لأن الشرائع تترتب عليه.

ويدل قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أنه لا شفاعة لأهل الكبائر.

قوله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن عامر والكسائي: «**فيكون**» بنصب النون، وقرأ الباقون: «**فيكون**» برفع النون.

أما النصب فعلى العطف على قوله: ﴿نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونَ﴾.

---

(١) كما: لما، د.

وأما الرفع على تقدير: هو يكون، وقيل: هو نصب على جواب الأمر، وأجازه الزجاج، قال علي بن عيسى: وهو غلط من قبل أن جواب الأمر في فعل أمر[(١)] يجب من أجل الأول كقولك: ائتني فأكرمك، فالإكرام[(٢)] يجب لأجل الإتيان، وليس كذلك كن فيكون، إنما هو فعل واحد أَمَرَ وأخبر أنه يكون.

۞ اللغة

القسم والحلف واليمين نظائر، وأصل القسم من القسامة، وهي الأيمان تقسم على المدعى عليهم في قتيل وجد لا يدرى من قتله.

والإرادة والمشيئة والمحبة نظائر.

۞ الإعراب

«وعداً» نصب على المصدر أي: وعد وعداً حقاً.

۞ النزول

قيل: كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه، فكان مما تكلم به: والذي أرجو[(٣)] بعد الموت أنه لكذا[(٤)]، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت، وأقسم بالله لا يبعث الله من يموت. فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن أبي العالية.

وقيل: إن رجلا قال لابن عباس: إن ناسا بالعراق يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأولون عليه الآية، فقال ابن عباس: كذب أولئك إنما هذه الآية عامة للناس، لو كان مبعوثاً قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه.

---

(١) أمر: ماض، د.

(٢) فالإكرام: والإلزام، د.

(٣) أرجو: أرجوه، د.

(٤) لكذا: الكذا، د.

۞ المعنى

ثم حكى تعالى عنهم[١] كفرا آخر، فقال سبحانه: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ» أي: حلفوا بالله[٢] «جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» أي: مجتهدون في يمينهم، أي: حلفوا وأكذبوا متعمدين لا على سبيل اللغو من غير اعتقاد «لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ» أي: لا يحييهم بعد الموت ولا يقيمهم من قبورهم للجزاء والحساب، «بَلَى[٣]» هو كلام الله تعالى رداً عليهم وتكذيباً لهم، وتقديره: ليس كما تقولون بل يبعثهم بعد موتهم «وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا» قيل: وعداً منه حقاً، وقيل: وعده وعداً عليه إنجازه وتحقيقه من حيث الحكمة؛ إذ لولا البعث لما حسن التكليف، لأن التكليف إنما يحسن للثواب من حيث عرض له[٤]، ولا يجوز الإثابة إلا مستحقة، فإذا لم يثبت في الدنيا فلا بد أن يعيدهم[٥] لذلك، وقيل: لما خلى بين الظالم والمظلوم في الدنيا وجب البعث للانتصاف «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ» أنه مبعوث، وأن الله تعالى قادر على ذلك، فهم متمكنون من المعرفة، فإذا لم يعرفوا استحقوا الذم والعقاب «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» قيل: هو يتصل بقوله: «بلى» يعني: بل[٦] يبعثهم «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ» لهؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله لا بعث[٧]، الذين يختلفون فيه[٨] من البعث، وقيل: ليميز بين العالم الموحد والجاهل المشرك، وقيل: ليبين لهم جميع ما اختلفوا فيه من أمور[٩] دينهم ويميز[١٠] الحق من الباطل «وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ» في قولهم «لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ»[١١] وقيل: اعتقادهم الكفر، وإنما يظهر في الآخرة أنهم كذبوا

---

(١) عنهم: ـ، د.
(٢) بالله: به، د.
(٣) بلى: بل، و.
(٤) له: به، د.
(٥) يعيدهم: بعدهم، د.
(٦) يعني بل: بمعنى بلى، د.
(٧) بعث: يبعث، د.
(٨) فيه: ـ، د.
(٩) أمور: أمر، د.
(١٠) ويميز: بمنزلة، د.
(١١) لا يبعث الله من يموت: لا بعث ولا نشور، د.

في الدنيا. «**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ**» يعني إذا أردنا أن نبعث من يموت، فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائه، كما في[1] جميع أحواله، فإنما قولنا لشيء إذا أردنا إيجاده «**أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**» لسرعته ولوجوده كما شاء، تدل على أن المراد التشبيه، ولأن المعدوم لا يخاطب، وكذلك الجماد، ولأن ذلك الشيء هو الذي يكونه، وهو قول أبي علي، وأبي مسلم وأكثر مشائخنا، وقيل: إن قوله: «**كن**» علامة للملك أنه يحدث أمراً عند سماعه، عن أبي الهذيل، والأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الرد على من أنكر البعث ولا وجه لإنكاره، لأنه لا يخلو إما أن ينكر لأن الشيء لا يجوز وجوده في[2] وقتين، أو لأنه لا يقدر على إيجاده، وبعد إعدامه كالقدر فينا، فإذا ثبت أنه تعالى قادر على الأشياء لنفسه، وثبت أن الجواهر يجوز عليها البقاء وبعض الأعراض جاز إعادته.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدل على أنه تعالى يبعث جميع الخلق، وهذا يعرف بالسمع، والذي يجب إعادته عقلاً المثاب ومن له عوض لم يوفر عليه في الدنيا، فأما المعاقب فكان يجوز أن لا يبعث لأن العقاب حق الله تعالى فيجوز أن يستوفيه[3]، ومن له ثواب ولا عوض يجوز أن لا يبعث، إلا أن السمع دل أنه يبعث الجميع.

وتدل على[4] أن الحق يظهر ويرتفع الخلاف يوم القيامة، إما بالقول أو العلم الضروري يخلقه فيهم.

واستدل بعضهم بالآية على قدم الكلام، لأنه يفعل بكن، ولو كان محدثاً لاحتاج إلى كن آخر، ثم كذلك إلى ما لا نهاية له، وهذا فاسد، لأن كن ليس بعلة موجبة

(١) كما في: كافي في، د.
(٢) في: ـ ، و.
(٣) يستوفيه: يستوي فيه، د.
(٤) على: ـ ، د.

للفعل حتى لا يصح إلا به، فيجوز أن يفعل الأفعال بكن، ويفعل كن لا بكن آخر، على أنا بينا أن المراد التشبيه لا حقيقة كن.

وبعد فإنه يدل على حدث الكلام من وجوه:

أحدها: لأن ظاهره يوجب أن تكون المحدثات عقيب كن، وما لم يتقدم المحدث لا بوقت واحد يكون محدثاً.

وثانيها: أن الفاء للتعقيب فتوجب أن يكون الفعل عقيب كن.

وثالثها: أن كن الكاف قبل النون والقديم ما لا يكون قبله شيء، وإن كان الحرفان قديمان فليس بأن يكون كن أولى من أن يكون يَكُ، وإن كان أحدهما محدثاً، فالقديم والمحدث لا يتآلف.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ (٤١) ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)﴾

۞ اللغة

الهجرة: النقلة[1] من الوطن إلى بلد غيره، وأصله من الهجر، هجر يهجر هجراً إذا أعرض عنه.

والتبوؤ: الحلول بالمكان للمقام فيه، تبوأ منزلاً تبوؤاً إذا اتخذه، وبوأه غيره يبوئه إذا أحله إياه، ومنه: ﴿بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ [يونس: ٩٣].

۞ النزول

قيل: نزلت في المعذبين بمكة مثل: صهيب، وعمار، وخباب وغيرهم، فمكنهم الله بالمدينة.

---

(١) النقلة: ـ، و.

وقيل: إن صهيباً قال للكفار: ما تريدون مني؟ إن كنت معكم لم أنفعكم[1]، وإن كنت عليكم لم أضركم[2]، ولي مال كثير فخذوه ودعوني وديني، فقالوا: قبلنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فقال أبو بكر: نعم البيع بيعك يا صهيب، فقال: ما ذاك؟ فقال: «أخبرنا رسول الله ﷺ أن هذه الآية نزلت فيك»، حكاه الأصم.

وقيل: نزلت في جميع أصحاب محمد، ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم فلحق[3] طائفة بالحبشة[4]. ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك، وجعل لهم بها أنصاراً، عن قتادة.

وعن عمر (وكان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءه قال له: خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا وما أخره لك أفضل، ثم تلا هذه الآية).

النظم

يقال: كيف يتصل ذكر المهاجرين بما قبله؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل: يتصل بقوله: ﴿لِيُبَيِّنَ[5] لَهُمُ﴾ تقديره: بل[6] يبعثهم ليُبين[7] لهم الذي يختلفون فيه، وليُعْلِمَ الكافرين كذبهم، وليجزي المؤمنين المهاجرين على ما فعلوا ما أتاهم في الدنيا.

وقيل: لما تقدم ذكر الكفار وما أعد لهم عقبه بذكر المؤمنين، وبين حالهم حثاً على الاقتداء بهم، فاتصل به اتصال النقيض بالنقيض.

---

(١) أنفعكم: ننفعكم.
(٢) أضركم: نضركم.
(٣) فلحق: فحلق، و.
(٤) بالحبشة: الحبشة، د.
(٥) ليبين: إلا لتبين، و.
(٦) بل: بلى، د.
(٧) ليُبين: لنُبين، د، و.

وقيل: لما تقدم أنه لا[(١)] يبعث، بين بعده حكمه يوم البعث في خلقه، وأنه ينتصف للمظلوم وينتقم من الظالم.

المعنى

«وَالَّذِينَ هَاجَرُوا» أي: هجروا ديارهم وعشائرهم، والهجرة وإن كان في أصل اللغة من المهاجرة فقد صار في الشرع اسم مدح لمن خرج من دياره وأمواله وعشائره في دين الله وابتغاء مرضاته، ولذلك لا يطلق في كل خروج، «فِي اللَّهِ» في[(٢)] دينه ومرضاته «مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا» قيل: عذبوا، وقيل: أخرجوا من ديارهم وأموالهم «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» أي: ننزلهم من[(٣)] الدنيا منزلاً كريماً، وقيل: لنحسنن إليهم في الدنيا ونعطيهم «وَلأَجْرُ الآخِرَةِ» أي: جزاؤهم في الآخرة «أَكْبَرُ» أي: أعظم وقيل: لنبوئنهم ننزلهم، عن أبي علي وقيل: لنمكنن لهم، عن أبي مسلم «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» قيل: لو علم الكفار ذلك لآمنوا ولبادروا إلى اتباعك، وقيل: لو يعلم المؤمنون تفاصيل ذلك لازدادوا سروراً وحرصاً على الطاعة.

ثم وصف الذين هاجروا، فقال سبحانه: «الَّذِينَ صَبَرُوا» قيل: على طاعة الله، وقيل: على ما ينالهم في الدين من الأذى «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» أي: يكتفون بعلم الله بحالهم، ويتقون بلطفه وتدبيره، فبين أن مجرد الهجرة لا تكفي ما لم ينضم إليه الصبر على طاعاته وعن معاصيه والتوكل عليه في جميع أموره.

الأحكام

تدل الآية على أن الجنة لا تنال الا بهذه المعاني، فيدخل فيه جميع خصال الإيمان خلاف قول المرجئة.

وتدل على أن الهجرة إنما تنفع وتقع عبادة إذا فعل لله تعالى.

---

(١) لا: ـ، و.

(٢) في: وفي، و.

(٣) من: في، د.

وتدل[1] على أن كل طاعة هذا سبيلها متى لم تفعل[2] لهذا الوجه لم يستحق بها الثواب.

وتدل على وجوب الهجرة عند خوف الفتنة والأذى لذلك قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ فشرط ذلك في وجوب الهجرة.

وتدل على وجوب الصبر والتوكل على الله.

قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

اللغة

الزبور: جمعها زبر، وهو الكتب، زبرت الكتاب أزبره زبراً[3] إذا كتبته، قال الشاعر:

عَـرَفْـتُ الـدِّيَـارَ كَـرَقْـمِ الـكِـتَـابِ ... يَـزْبِـرُهـا الـكَـاتِـبُ الـحِـمْـيَـرِيُّ[4]

أي: يكتبه.

الإعراب

العامل في الباء في قوله ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ﴾ قيل: أرسلنا، بتقدير: ما أرسلنا قبلك إلا رجالاً بالبينات.

وقيل: العامل محذوف تقديره: أرسلهم بالبينات.

---

(١) وتدل: فتدل، د.

(٢) لم تفعل: لم يفعل، د.

(٣) زبرا: ـ، و.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي: انظر: لسان العرب مادة «زبر»، وفي رواية:

عـرفـت الـديـار كـرقـم الـدواة ... يـزبـرهـا الـكـاتـب الـحـمـيـري

۞ النزول[1]

قيل: نزلت في مشركي مكة لما أنكروا نبوة محمد ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يبعث بشراً هلا بعث ملكاً.

۞ المعنى

ثم خاطبهم بالرد عليهم في إنكارهم النبوة، فقال: «**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي**[2] **إِلَيْهِمْ**» يعني ما بعثنا في أمة من الأمم إلا رجالاً من البشر يوحى إليهم كما يوحى إليك «**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**[3]» قيل: أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم، وما أتاهم من الرسل، وقيل: هم أهل الكتاب، عن ابن عباس، ومجاهد، والأصم، وقيل: هم مؤمنوا أهل الكتاب، وقيل: هم أهل القرآن «**إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**» ذلك أنتم[4] أي: أرسلناهم بالحجج، وهي المعجزات «**وَالزُّبُرِ**» أي: الكتب أي: أعطيناهم الكتب، وقيل: أراد بالبينات حجج العقول، والزبر الشرعيات التي تعرف بالكتب والسمع «**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ**» أي: القرآن والأحكام «**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**» من أمور شرائعهم، وقيل: وجه إعجاز القرآن ليؤمنوا بنبوتك وليميزوا به بين الحق والباطل «**وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**» أي: ليتفكروا فيه ليعلموا أنه حق، وقيل: ليتفكروا في أمور دينهم فيعلمون الحق.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه لم يبعث صبياً نبياً ولا امرأة، ولا يعترض على هذا حديث عيسى (عليه السلام) لأنه بلغ، وبعث في المهد إلى أن صار كهلاً، فدخل في جملة الرجال.

---

(١) النزول: ـ، و. ويوجد في هامشها

(٢) نوحي: يوحي، د.

(٣) إن كنتم لا تعلمون: +، و.

(٤) أنتم: أتتهم، د.

وتدل على أن مع كل نبي وحي وكتاب.

وتدل على جواز الرجوع إلى المخالف في الاحتجاج عليه.

ومتى قيل: كيف يعتمد قولهم؟

فجوابنا: أن فيه وجوهاً:

أحدها: قيل: إنه يعلم بالتواتر، فلا يفترق فيه نقل المؤمن والكافر.

وقيل: لأنهم كانوا معترفين بذلك فاحتج عليهم به، وهذا جائز.

وقيل: لأنهم يخبرون عن الكتب المنزلة.

وتدل على أنه أنزل القرآن ليبين للناس، وبيانه من وجهين، أحدهما: محمد صلى الله عليه وآله[1] يبينه ويفسره، ومبين يبلغه، ومعلوم يؤكده[2].

وتدل على وجوب التفكر.

وتدل على أنه أراد من جميعهم التفكر خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الفكر فعلهم حادث من جهتهم خلاف قولهم.

قوله تعالى:

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

اللغة

الخسف: سوخ[3] الأرض بما عليها، يقال: خسف الله به الأرض، وهو

(١) صلى الله عليه وآله: ـ، و.

(٢) يؤكده: تؤكده، د.

(٣) سوخ: سروخ، د.

الخُسف بضم الخاء أيضاً، وخسف القمر: كسف[1]، وقيل: الخسوف للقمر والكسوف للشمس، وقيل: إذا ذهب بعضها فهو الكسوف، وإذا ذهب كلها فهو الخسوف، والخسف: النقصان أيضاً.

والتخوف: تفعل من الخوف، وقيل: التخوف التنقص[2]، لأنه يؤخذ الأول فالأول لا يبقى أحد فيهم، وتلك حال يخاف معها الفناء ويتخوف الهلاك، ويقال: تخوفه الدهر تنقصه.

۞ الإعراب

أفأمن» استفهام والمراد الإنكار، أي: لا ينبغي لهم أن يأمنوا، و(أو) حرف عطف والمراد به التخيير[3] كقولك: جالس الحسن وابن سيرين، وتقديره: إن يشأ يخسف بهم الأرض، وإن يشا أخذهم في تقلبهم، وإن يشا أخذهم على تخوف، أي ذلك شاء فإنه قادر على ذلك.

۞ المعنى

عاد الكلام إلى وعيد المشركين فقال: «**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ**» قيل: أي: شيء أمن هؤلاءالقوم الذين دبروا التدابير السيئة في أمور الدين وإطفاء نوره، وقيل: مكروا بالرسل، عن أبي علي. «**أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ**» أي: يعود[4] بهم في الأرض «**أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ**» أي: عذاب الاستئصال «**مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ**» أي: لا يعلمون كيف جاءهم وكيف أخذهم، وقيل: لا يعلمون له أمارة، «**أَوْ يَأْخُذَهُمْ**» العذاب «**فِي تَقَلُّبِهِمْ**» قيل: تصرفهم في التجارات والأسفار ليلاً ونهاراً، وقيل: تقلبهم على الفراش، وهي حال الأمن، وقيل: في حال تقلبهم في المكر والخديعة «**فَمَا هُمْ**

---

(١) وخسف القمر كسف: وخسفت القمر كسفت، د.

(٢) التنقص: النقص، و.

(٣) التخيير: التحسر، و.

(٤) يعود: تعود، د.

بِمُعْجِزِينَ» أي: لا يسبقون الله فيعجزونه من عذابهم «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ» من أن ينزل بهم ما نزل بغيرهم، وهو من الخوف، وهو أن يهلك قرية ولا يهلك أخرى، فيخاف هؤلاء أن يصيبهم ما أصاب الآخرين، عن الحسن، والضحاك، والكلبي، وقيل: على تنقص، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وأكثر المفسرين، ثم اختلفوا، فمنهم من قال: تنقص من أطرافهم ونواحيهم[1] الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، ومنهم من قال: في حال تنقص[2] من أموالهم وأنفسهم، وقيل: تخوفهم بما ينزل فيحذروا الاستئصال: أخذهم بالنقص من أموالهم وأنفسهم[3]، عن الأصم، وقيل: التخوف ضد البغتة، عن أبي مسلم، وقيل: في حال لا يؤمنون فيه الهلاك ويخافونه «فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ» بكم حيث لم يمنع إحسانه بعصيانهم «رَحِيمٌ» بأن لم يعجلهم العقوبة، عن الأصم، وقيل: رؤوف في الدنيا بالبر والفاجر، رحيم في الآخرة بالمؤمنين.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه لا ينبغي لمن عصى الله أن يأمن حالاً بعد حال أن يأخذه من حيث لا يشعر، وفي[4] ذلك تهديد وحث على التوبة والمبادرة إليها.

وتدل على أن عذاب الاستئصال كان يجوز أيام الرسول.

وتدل على أن المكر فعلهم لذلك ألحق بهم كل هذا الوعيد، فيبطل قول المجبرة في المخلوق، يوضحه أنه على قولهم خلق فيهم المكر، ثم أوعدهم لماذا كان ما خلقت، وهلا كان ما لم أخلق، ولو لم يخلق المكر لما كان في الدنيا مكر ولا احتيج إلى وعيد ولا رسول ولا دعاء، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

---

(١) ونواحيهم: ونواصيهم، د.

(٢) تنقص: ينقص، د، و.

(٣) فيحذروا الاستئصال: تخوفهم بما ينزل فيحذروا الاستئصال، و.

(٤) في: ـ ، د.

قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**أولم ترو**» وكذلك في سورة (العنكبوت) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ[(١)]﴾ [**العنكبوت**: ١٩] بالتاء على الخطاب، وقرأ الباقون بالياء فيهما، كناية عن الذين مكروا السيئات.

قرأ أبو عمرو وحده: «**تتفيأ**» بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، وكلاهما جائز لتقدم الفعل على الجمع.

اللغة

الفيء: الرجوع، فاء يفيء فيئاً: إذا رجع، ومنه: الفيء[(٢)]، ما رجع من أموال المشركين إلى المسلمين، وفاء الظل يفيء فيئاً: إذا رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق، وتفيأ يتفيأ[(٣)] تفيُّؤاً[(٤)] بمعنى، وكل رجوع فيء، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [**الحجرات**: ٩] والفأفأ الذي يتردد في كلامه في الفاء، كأنه يرجع إليها.

والدابة: ما يدب[(٥)]، دب يدب[(٦)] دبيباً، والدبيب والمشي سواء.

والسجود: أصله الخضوع.

(١) أو لم يروا... ثم يعيده: أولم تروا أن الله يبدأ، د، و. وما أثبتناه من المصحف من سورة (العنكبوت).

(٢) ومنه الفيء: منه والفيء، د.

(٣) يتفيأ: يتفيؤا، د.

(٤) تفيئوا: ـ ، د.

(٥) ما يدب: ما تدب، د.

(٦) يدب: ـ ، د.

والداخر: الصاغر، دخر يدخر دخوراً إذا ذل وخضع، وادخر غيره.

۞ الإعراب

ويقال: لما قيل: باليمين على الواحد والشمائل على الجمع؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: لأن الابتداء عن اليمين في أول النهار، وينتقص حالاً بعد حال عن الشمائل، فهو بمعنى الجمع بعد الابتداء إلى أن ينتهي فقيل: شمائل للإشعار بهذا المعنى.

والثاني: أن[1] بمعنى الإيمان فهو متقابل في المعنى، قال الشاعر:

بِفي الشامِتينَ الصَخرُ إِن كانَ هدَّني رزيَّة[2] شِبلي مُخدِرٍ في الضَراغِمِ

وقيل: لأن العرب إذا اجتمعت علامتان[3] في شيء تبقي أحدها وتنفي[4] الآخر تخفيفاً كقوله: ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وكقولهم: سمعهم وأبصارهم.

﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ **(ظلاله)** ابتداء وما بعده خبر. «**سجداً**» نصب على الحال أي: في حال السجود.

۞ المعنى

«**أَوَلَمْ يَرَوْا**» هذه الآية تتصل بقوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ والضمير[5] يرجع إليهم، عن أبي مسلم. لما أوعدهم بيّن دلائل قدرته، فقال سبحانه: «**أَوَلَمْ يَرَوْا**» هؤلاء الماكرون إلى قدرة الله تعالى «**إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**» أي: أجسام قائمة ذات ظلال «**يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ**» قيل: يرجع ويتحول من موضع إلى موضع بدوران الشمس، وقيل:

---

(١) أن: ـ، و.

(٢) هدني رزيّة: هلكن به، د؛ البيت قائله الفرزدق، أنظر الديوان؛ وفي رواية: بفي الشامتين إن كان مسني.

(٣) علامتان: علامات، د.

(٤) وتنفي: ونفي، و.

(٥) والضمير: الضمير، د.

يميل، عن ابن عباس، فلكل[١] جسم ظل لازم لا يقدر على الامتناع منها «**عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ**» قيل: في أول النهار وآخره، عن قتادة، والضحاك، وابن جريج، وذلك لأنه بالغداة يتقلص من جهة اليمين، وبالعشي يتقلص من جهة الشمال[٢] «**سُجَّدًا لِلَّهِ**» أي: خاضعة له بما فيها من الدلالة إلى حاجتها[٣] إلى صانع ومدبر[٤]، وقال[٥] الحسن: أما[٦] ظلك[٧] فيسجد لله، وأما أنت فلا تسجد لله، بئس والله ما صنعت. «**وَهُمْ دَاخِرُونَ**» خاضعون أذلاء، فنبه أنه[٨] إذا كان جميع الأشياء تخضع له فكيف لا يسجدون هؤلاء.

ثم بين ذلك، فقال سبحانه: «**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ**» يخضع حتى يصير[٩] كيف شاء[١٠] لا يمتنع على تصرفه شيء[١١] «**مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ**» كل حيوان يدب، وذكره لتغليب ما لا يعقل على ما يعقل من جهة العدد، فخضوع المؤمن اعترافه بالله وعبادته، وخضوع الكافر اعتقاده في الجملة أن له مدبراً، وخضوع ما لا يعقل هو ما يدل عليه خلقته وآثار صنعته، وأنه يصرفه كيف شاء «**وَالْمَلَائِكَةُ**» أي: تسجد الملائكة له طوعاً، وأفردهم بالذكر تشريفاً، وصفة ملك صفة مدح، لأنه بمنزلة قولنا: رسول، لأنه مأخوذ من الرسالة، قال الشاعر:

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُولِ ... أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرْ[١٢]

---

(١) فلكل: حول كل، د.
(٢) الشمال: اليسار، د.
(٣) إلى حاجتها: على حاجته، د.
(٤) ومدبّر: مدر، و.
(٥) وقال: قال، د.
(٦) أما: ما، د.
(٧) ظلك: أظلك، د.
(٨) أنه: بأنه، د.
(٩) يصير: ينصرف، د، يتصرف، و. وما أثبتناه من: تفسير الأعقم: ١/٣٤٩.
(١٠) شاء: ـ، و.
(١١) شيء: بشيء، د.
(١٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر الديوان.

أي: أرسلني، وقيل: أفردهم بالذكر لخروجهم مما يدب لكونهم ذي أجنحة يطيرون، فصفة الطيران أغلب عليهم[1]، وإن كانوا يمشون أيضاً كالطيور، وقيل: أراد «**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**» يعني: ما في السماوات من الملائكة[2]، وما في الأرض من المؤمنين وملائكة الأرض، عن الأصم «**وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**» لا يتعظمون عن قبول الحق، ولا يأنفون، «**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**» قيل: يخافون عقاب ربهم من فوقهم، لأنه يأتي من فوق، عن أبي علي، وقيل: يخافون ربهم الذي هو فوقهم بالقهر والقدرة والعلو، «**وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**» صفة للملائكة فوصفوا بالخوف لفظ التحرز من العقاب وبأنهم يفعلون[3] ما أمرهم ربهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظيم قدرته في خلق الأجسام وظلالها[4]، وذلك مما لا يقدر عليه أحد.

ومتى قيل: ما الظل؟ وكيف يدل على الصانع؟

قلنا: الظل هو منع أجزاء النور أن تقع مكانه، ودلالته من وجوه:

أحدها: أنه لا ظل إلا للأجسام وهو منفرد بالقدرة على الأجسام[5].

وثانيها: أن الظل يتغير بجريان الشمس، وذلك مما لا يقدر عليه أحد[6] غيره تعالى، وذلك أن أجزاء الشعاع تنفصل من عين[7] الشمس وتقع على الأرض، ثم يمنع ذلك الأجسام، ويزيد وينقص[8]، وكل ذلك مما تفرد بالقدرة عليه.

---

(١) عليهم: ـ، و.
(٢) الملائكة: الملك، و.
(٣) ما يؤمرون. . . وبأنهم يفعلون: ـ، و.
(٤) وظلالها: ظلاله، د.
(٥) وهو منفرد بالقدرة على الأجسام: ـ، د.
(٦) أحد: ـ، د.
(٧) عين: غير، د.
(٨) ويزيد وينقص: وتزيد وتنقص، د.

وتدل على أن كل شيء في العالم دالة عليه خاضعة له.

وتدل على أن الملائكة مكلفون.

وتدل على أنهم معصومون، لا يعصون، ومع ذلك يخافون العقاب.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ
ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم
بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

اللغة

الرهبة: الخوف، وهو الرَّهْب والرَّهَب، وقرئ: ﴿مِنَ ٱلرَّهَبِۖ﴾ [القصص: ٣٢] بفتح الهاء وسكونها.

والوصب: المرض، رجل وصب[١] وموصب كثير الأوصاب، والوصب: الألم عن إعياء لدوام العمل، تقول: وصِب بكسر الصاد، يوصَب بفتحها، وصباً فهو وصب، قال الشاعر:

لا يغمز الساق[٢] من أين ولا وصب ... ولا يعض على شرفوفه[٣] الصغر[٤]

ووصَب الشيء بفتح الصاد وصوباً: دام، ووصب الدين: وجب، ومفازة

---

(١) وصب: واصب، د.

(٢) الساق: الشاق، د.

(٣) شرفونه: شرفه، د.

(٤) والبيت لأعشى باهلة برواية أخرى:

لا يغمز الساق من أينٍ ولا وصبٍ ... ولا يزال أمام القوم يقتفر

لا يتأذى لما في القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

انظر: لسان العرب، مادة (قفر).

واصبة: بعيدة لا غاية لها، وأصل الباب: الثبوت، ومنه قيل للعليل: وصب[1]، ومنه: واصب على الأمر وواكب وواظب أي: داوم عليه.

والجؤار: الاستغاثة ورفع الصوت بها، ومنه: الخبر: «كأني أنظر إلى موسى له جُؤَارٌ إلى ربه بالتلبية» معناه: رفع الصوت، وأصله من جؤار الثور جأر يجأر جؤاراً، إذا رفع صوته من جوع أو غيره.

۞ الإعراب

يقال: لِمَ دخلت[2] الفاء في قوله: «**فمن الله**»؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أن (ما) بمعنى (الذي)، وفيه شبه الجزاء، كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [**الجمعة**: ٨].

الثاني: على[3] أن (ما) في معنى الجزاء، وحذف فعل الجزاء بتقدير: ما يك بكم من نعمة فمن الله، لذلك دخلت الفاء، عن الفراء.

ويقال: ما معنى اللام في قوله: «**ليكفروا**»؟

قلنا: قيل: البيان عما هو بمنزلة العلة التي لأجلها يقع الفعل، وذلك أنهم أشركوا في العبادة، ليكفروا بما أوتي من النعمة، كأنه لا غرض له في شركه إلا هذا.

وقيل: لام العاقبة يتصل بقوله: ﴿إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ﴾ ، فكان مصيرهم عند ذلك إلى ما علم وقوعه من كل فريق، عن أبي مسلم، ويحتمل أن يكون لام الوعيد كقوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ [**العنكبوت**: ٦٦].

﴿وَاصِبًا﴾ نصب على الحال.

---

(١) وصب: وصيب، د.
(٢) دخلت: دخل، و.
(٣) على: ـ ، د.

۞ النزول

قيل: قال المشركون للنبي ﷺ: إنه كان يدعو إلى إله واحد، وهو اليوم يدعو إلى إلهين، إلى الله وإلى الرحمن، فنزلت الآية، حكاه الأصم.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الأدلة وأنه مالك السماوات والأرض بيّن أن من هذه حقيقته[١] إله واحد، وأنه لا ثاني له، فقال سبحانه: «**وَقَالَ اللَّهُ**» لعباده «**لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ**» قيل: لا تصفوا الله بالشريك، وقيل: لا تجعلوا العبادة لإلهين، وقيل: لا تقولوا للعالم صانعان إلهان «**إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**» هو الخالق والمنعم، لو كان إلهين لفسدت السماوات والأرض، وعن بعض الحكماء: نهاك ربك أن تتخذ إلهين فاتخذت آلهة عبدت نفسك ودنياك[٢] وهواك وطبعك ومرادك، وعبدت الخلق، فأنى تكون موحداً، «**فَإِيَّايَ**[٣] **فَارْهَبُونِ**» أي: خافوا عقابي أي[٤]: فلا[٥] تصفوني بما لا يجوز عليّ، «**وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» خلقاً وملكاً «**وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا**» قيل: الطاعة دائماً، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ومعناه: ليس من أحد يدان إلا وينقطع ذلك عنه سوى الله تعالى فإنه تدوم طاعته بدوامه[٦]، وقيل: له الجزاء الشديد، والوصب: الألم، وقيل: الدين: والملك[٧]، ومنه قيل له: الديان، أي: له الملك دائماً لا يزول، وقيل: له الدين خالصاً، عن الفراء، أي: يجب على العبد أن يطيعه مخلصاً، وقيل: له الدين واجباً من قولهم: دين واصب، عن ابن عباس. «**أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ**» قيل: تعبدون وتدينون، عن الأصم، وقيل: هو الإله المالك فكيف تعبدون غيره ولا تعبدونه، عن أبي علي، وقيل: تتقون غيره ولا تتقونه، وقيل: هو

---

(١) حقيقته، غير واضحة في د.
(٢) ودنياك: دنياك، و.
(٣) فإياي: وإياي، د، و.
(٤) أي: ـ، و.
(٥) فلا: لا، د.
(٦) بدوامه: لدوامه، د.
(٧) الملك: والملك، د.

إنكار أي: يجب اتقاء مخالفته لا[1] مخالفة غيره «**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ**» في الدين والدنيا، فهو من الله «**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**» ليصرفها عنكم «**ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ**» البلاء «**إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**» يصفه بالشريك، ويجعل العبادة له ولغيره «**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ**» قيل: ليكفروا بما أعطيناهم من القرآن، وقيل: ليجحدوا نعمة[2] الله فيما أعطاهم، وقيل: ليكفروا بما آتيناهم تهديداً أي: ليفعلوا ما شاؤوا فسننزل[3] بهم عاقبة كفرهم، وليتمتعوا بما شاؤوا من دنياهم من غير تفكر في العاقبة «**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**» ما ينزل بهم من عذاب الله، وقيل: ليتمتعوا بنعم الله فإنه يزول، وسوف يعلمون عند انقطاعه إذا جاءهم ما يوعدون.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن كل من عبد أحداً فقد اتخذه إلهاً.

وتدل على أن الإله واحد، وهو القادر على خلق الأشياء، وأن العبادة تجب له.

وتدل على قبح عبادة الأوثان، لأنها حجر[4] لا تنفع ولا تضر.

وتدل على قبح كفر النعمة.

وتدل على أن اتخاذ الآلهة والتقوى والشرك فعل العبد حادثة من جهته ليصح هذا الوعيد وتوجهه إليهم.

قوله تعالى:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) لا: ولا، د، و.
(٢) نعمة: نعمته، د.
(٣) فسننزل: فتنزل، د.
(٤) لأنها حجر: لا حي، د.

۞ اللغة

يقال: ظل يفعل كذا إذا فعلها في صدر النهار، ومنه: أضحى، ويقال: ظل يفعله إذا فعله نهاراً، وبات إذا فعله[1] ليلاً، الا أنه كثر حتى صار بمنزلة أخذ يفعل، ظللت أظل ظلولاً، وهذا مصدر فيما ذكره الفراء.

والكظم: اجتراع الغيظ، والكظم: تحرج النفس، وأصله: من الكظامة شد فم القربة، فكأن الكظيم يضيق فمه من الغم، فلا يتكلم للذي به، يقال: رجل كظيم أي[2]: ممسك على غيظ.

والهون: الهوان في لغة قريش.

ودسست الشيء في التراب أدسه دساً إذا أخفيته، وكل شيء أخفيته فقد دسسته[3]، والدساسة: حية صماء تندس تحت التراب.

۞ الإعراب

قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ قيل: موضع (ما) نصب بمعنى[4]: يجعلون لهم البنين الذين يشتهون، وقيل: الرفع بمعنى: ولهم ما يشتهون، وقيل: الرفع بمعنى: ولهم على الاستئناف.

ويقال: لم ذكر الكناية في قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ[5] أَمْ[6] يَدُسُّهُۥ﴾ وإنما يعود إلى الأنثى؟

قلنا: لأنه يعود[7] إلى (ما) في قوله: ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ فلذلك ذكر.

---

(١) فعله: فعلها، د.

(٢) أي: ـ، و.

(٣) فقد دسسته: ـ، و.

(٤) بمعنى: تعود، و.

(٥) على هون: +، د.

(٦) أم: أو، و.

(٧) يعود: تعود، و.

۞ المعنى

ثم حكى عنهم من خبيث أفعالهم وإفراط جهلهم معجباً، فقال سبحانه: «وَيَجْعَلُونَ» يعني هؤلاء المشركين «لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ» قيل: تنصرف الكناية إلى المشركين أي: أن المشركين[1] لا يعلمون، وقيل: تعود إلى الأصنام أي[2]: لا تعلم الأصنام ما يفعل عبادها، ولا تكافئهم عليها، والأول الوجه لأن[3] نفي العلم عن الحي حقيقة، ولأنه أظهر في الكلام لرجوعه إلى قوله[4]: «وَيَجْعَلُونَ». ومن قال بالوجه الأول اختلفوا فقيل: يجعل المشركون للأصنام نصيباً، ولا يعلمون لهم نصيباً، عن الأصم، وقيل: يجعلون لما لا يعلمون أنه يضر وينفع نصيباً مما رزقناهم، أي: يتقربون إليه، عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، وقيل: ادعوا لله شركاء وهم لا يعلمون، وما لا يعلم هو ما لا حقيقة له ولا وجود، عن أبي مسلم، وقيل: لأنهم بجهلهم بالله اتخذوها آلهة، عن أبي علي وتقديره: لا يعلمون أنها لا تصلح أن تكون إلهاً، وأنه لا شريك له، «نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» أي: حظاً مما أعطيناهم من الأموال، يعني هم[5] لا يقدرون على شيء من الأرزاق، ونحن نعطيهم النعم، ثم هم يجعلون لهم من ذلك نصيباً، وجعل النصيب لهم يحتمل ثلاثة أشياء:

أحدها: ما عنى بقوله: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] يتقربون بها إلى الأصنام.

وثانيها: أنها البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، عن الحسن.

وثالثها: أن بعض ذلك أعطوا من جهتهم كما يقوله[6] المنجمون في بعض النعم: إنه من السعدين ونحوه.

---

(١) أي أن المشركين: ـ و.
(٢) أي: ـ، د.
(٣) لأن: لأنه، و.
(٤) قوله: غيره، و.
(٥) هم: ـ، د.
(٦) يقوله: يقولون، و.

ثم عاد الكلام إلى الخطاب وعيداً وتصرفاً في الكلام، فقال سبحانه: «**تَاللَّهِ**» قسم أقسم به «**لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ**» تكذبون في وصفه بالشريك وإضافة النعم إلى غير مسديها، وتوجيه العبادة إلى غير مستحقها، والمراد به السؤال يوم القيامة للجزاء.

ثم حكى من جهالاتهم شيئاً آخر، فقال سبحانه: «**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ**» أي: يصفونه بأن له البنات، قيل: هم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله. «**سُبْحَانَهُ**» أي هو منزه[1] عن ذلك «**وَلَـهُمْ مَا يَشْتَهُونَ**» أي: يحبون، أي: البنين، أي: يصفونه بما لا يرضونه لأنفسهم، «**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى**» أي: بولادة بنت له كرهها «**ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا**» أي: يتغير إلى السواد من الكراهة، قيل: كان المشرك إذا مخضت[2] امرأته توارى حتى يعلم ما تلد، فإذا بشر بالأنثى اسود وجهه، عن الأصم. واسوداد الوجه عبارة عن العبوس ونزول المكروه، وهو مجاز، عن أبي علي. «**وَهُوَ كَظِيمٌ**» قيل: حزين، عن ابن عباس، وقيل: كميد، عن الضحاك، وهو الممتلئ غمّاً وغيظاً، عن الأصم، و«**يَتَوَارَى**» يختفي «**مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ**» حزناً وحياءً، ثم يتفكر ما يصنع به فقال سبحانه: «**أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ**» أي: يستبقيه على هوان، وقيل: يمسكه[3] على هون وذل بإمساكه، عن أبي مسلم. «**أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**» قيل: يخفيه، عن[4] قتادة. وذلك أن مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء، زعموا خوف الفقر عليهن، وطمع غير[5] الأكفاء فيهن، «**أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**» في دفن البنات «**لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**» يعني هؤلاء الكفار الذين وصفوا الله بالولد «**مَثَلُ السَّوْءِ**» أي: صفات النقص من الولد والحرث والحاجة وغير ذلك، وقيل: المثل السوء النار، عن ابن عباس، وقيل: لهم صفة الجهل والكفر «**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى**» قيل: الصفات العلى والأسماء الحسنى، وقيل: التوحيد ونفي الحاجة والولد، وقيل: صفة

(١) أي: هو منزه: أي منزه هو، و.

(٢) مخضت: تمخضت، د.

(٣) يمسكه: أيمسكه، د.

(٤) عن: ـ، و.

(٥) غير: عن، د.

الإلهية وهو كونه قديماً، قادراً، عالماً، سميعاً، بصيراً، ليس كمثله شيء، ومن كان بهذه الصفة لا يجوز عليه اتخاذ الولد فكيف يجوز اتخاذ البنات، وفيه جواب لهم وتهديد «**وَهُوَ الْعَزِيزُ**» القادر الذي لا يمتنع عليه شيء «**الْحَكِيمُ**» في صنعه وتدبيره لا يجوز عليه فعل القبيح، عن أبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى يرزق الكافر مع كفره، وينعم عليه لذلك قال: ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ﴾.

وتدل على أن الرزق كله منه تعالى، بمعنى أنه الخالق لذلك لا يقدر عليه غيره.

وتدل على أنهم يُسألون(1) يوم القيامة عن افترائهم.

وتدل على أن كل من زعم على الله شيئاً لا حجة عليه أنه مفتر.

ويدل قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ﴾ على سخف طريقتهم حيث اشتهوا البنين، وكرهوا البنات، وعدوه نقصاً، ثم أضافوه إلى الله تعالى، وهذه طريقة المجبرة، كرهوا إضافة القبائح إليهم ثم أضافوها إلى الله سبحانه(2).

وتدل على أنهم كانوا يئدون، قال(3) تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ [التكوير: 8].

ويدل قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ أنه يوصف بأعظم الصفات والأسماء، فيبطل قول المجبرة في إضافة القبائح إليه، وهو منزه عن ذلك، وجعل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ كالعلة في ذلك، لأنه إذا كان قادراً على ما يشاء عالماً بقبح القبيح وبغناه عنه فلا داعي له إلى فعله فلا يفعله.

وتدل على أن الافتراء ووصف الله بالشريك والولد فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(1) يسألون: يتساءلون، و.

(2) سبحانه: تعالى، د.

(3) قال: وقال، د، و.

قوله تعالى:
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر: «**مفَرّطُون**» بفتح الفاء وكسر الراء وتشديدها من التفريط في الواجب، وقرأ نافع وقتيبة عن الكسائي: «**مفْرِطون**» ساكنة الفاء بكسر الراء وتخفيفها بمعنى: مسرفون في الذنوب من الإفراط الذي هو الإسراف في الشيء. وقرأ الباقون: «**مفْرَطون**» بسكون الفاء وفتح الراء وتخفيفها من قولهم: أفرطنا فلاناً في طلب الماء أي: قدمناه، ومنه: الفرط، وروي[1] عن الأعرج بفتح الفاء والراء وتشديدها.

قراءة العامة: «**الكَذِبَ**» بفتح الكاف وكسرالذال وفتح الباء، وعن ابن عباس، والحسن: بضم الكاف والذال والباء على أنه نعت للألسنة. والكذب جمع: كذوب، نحو رسول ورسل، وصبور وصبر، وشكور وشكر.

اللغة[2]

الفارط: الذي يعجل إلى الماء قبل الوارد، ومنه قوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض» أي: سابقكم حتى تردوه، وقيل: إن منه قوله تعالى ﴿إِنَّنَا[3] نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ [طه: ٤٥] أي: يعجل، يقال: أفرطنا فلاناً في طلب الماء فهو مفرط إذا قدم لطلبه، وفرط فهو فارط إذا تقدم لطلبه، وجمعه: فراط، قال القطامي:

فاستعجلونا وكانوا من صَحَابَتِنا　　　كما تعجل فراطٌ لـروّادِ[4]

(١) وروي: ـ ، د.
(٢) اللغة: ـ ، د.
(٣) إننا: إنا، د، و.
(٤) لرواد: لوارد، د. انظر: الصحاح، مادة «فرط».

وقولهم: ما أفرطت ورائي أحداً، أي: ما خلفت، يرجع إلى التقدم[1]، أي: ما تقدمت أحداً ورائي.

والجرم: أصله القطع، وقيل: الكسب، و«**لا جرم**» قيل[2]: مأخوذ من الكسب أي: كسب فعلهم لهم النار، وقيل: العلم بذلك خارج عن حد الاكتساب، ومعناه زوال الشك، عن أبي مسلم.

الإعراب

«**عليها**» كناية عن غير مذكور تقديره: ما ترك على ظهر الأرض، وكثيراً ما يفعل العرب ذلك في مخاطبتهم لعلم المخاطب به، يقولون: ما عليها أكرم من فلان ولا على ظهرها أعلم من فلان، ويقولون مثل ذلك في الكور[3] والمدن يقال في المدينة: ما بين لابتيها مثله.

﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ موضعه نصب لأنه بدل من الكذب، لأنه بيان له وترحمة، وقيل: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ : بأن لهم الحسنى.

المعنى

ثم بين تعالى أنهم فيما وصفوا الله تعالى[4] به وفيما يدينون به من الباطل ظلموا أنفسهم[5]، ولو واخذهم تعالى لأهلكهم في الحال ولكن يؤخرهم مصلحة، فقال سبحانه وتعالى: «**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ**» أي: لو[6] عجل عقوبتهم على ظلمهم وكفرهم لـ«**مَا تَرَكَ عَلَيْهَا**» أي: على الأرض «**مِنْ دَابَّةٍ**» أي: حيوان يدب، قيل: بين تعالى أن الظلم يوجب العقوبة، وتأخيرها للحكمة، فلا ينبغي أن يغتر الظالم

(١) التقدم: التقديم، د.
(٢) قيل: ـ ، د.
(٣) الكور: الكون، د.
(٤) تعالى: ـ ، د.
(٥) ظلموا أنفسهم: ـ ، د.
(٦) لو: ـ ، د.

بالإمهال، فإنه تعالى[١] يمهل، وقيل: إنما يهلكهم إذا اجتمعوا على الكفر والذنوب، وقيل: إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل: إذا علم أن ليس فيهم من تواب[٢].

ومتى قيل: هذا الظالم يستحق العقوبة[٣] بظلمه فما بال سائر الحيوانات تؤخذ؟

فجوابنا: أنه يكون عقوبة[٤] للظالم ومحنة لغير الظالم فهو كالأمراض النازلة بالمؤمنين.

وقيل: إذا هلك الآباء الظلمة ينقطع النسل فلا يبقى من[٥] يدب، عن أبي علي.

وقيل: إذا هلك الظلمة ولم يبق مكلف لا يبقى غير ذلك لأنه لا فائدة فيها، لأنها إنما خلقها[٦] للمكلفين. وسمع أبو هريرة يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها[٧] لظلم الظالم، وذلك أن بشؤم ظلمهم يمسك الله المطر، ويضيق الرزق، فيؤدي إلى هلاك الحيوان.

وقيل: ما ترك على ظهرها من دابة من أهل الظلم والشرك، عن الأصم.

«**وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ**» يمهلهم «**إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**» وقت معلوم قيل: الموت، وقيل: الحشر. «**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ**» أي: وقتهم الموعود «**لاَ يَسْتَأْخِرُونَ**» عنه «**سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**» أي: لا يتقدم على الوقت ساعة ولا يتأخر عنه.

ثم حكى عنهم كفراً آخر، فقال سبحانه: «**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ**» لأنفسهم قيل: هو البنات، وقيل: يضيفون إليه ما يكرهون إضافته، فتارة يصفونه بأن له شريكاً

(١) تعالى: ــ ، د.
(٢) تواب: ثواب، د.
(٣) العقوبة: بالعقوبة، د، و.
(٤) عقوبة: عذاباً، د.
(٥) من: ــ، و.
(٦) خلقها: خلقهم، د، و.
(٧) وكرها: وكورها، د.

ومثلاً، وتارة يضيفون الشرك إلى فعله وإرادته كقوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] وتارة باتخاذ الولد، وهذا هو الوجه، إذ لو حملناه على البنات[١] لكان تكراراً، فحمله على العموم أولى «**وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ**» يعني: يكذبون فيما يقولون: «**أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى**» قيل: البنين، عن مجاهد، وقيل: الجنة في الآخرة إن كان محمداً صادقاً في البعث فلنا الجنة، وقيل: لهم من الله المنزلة الحسنة، عن الزجاج، وقيل: إنهم من أهل الحق، عن الأصم، وقيل: الصفات الجميلة «**لاَ جَرَمَ**» وعيد مقطوع به قيل: معناه: حقاً أن لهم النار، عند أكثر المفسرين، وقيل: بلى «**أَنَّ لَهُمُ النَّارَ**» عن ابن عباس، وقيل: لا بد ولا محالة، وقيل: قطع الحق بقول[٢] أن لهم النار، وقيل: وجب[٣] قطعاً أن لهم النار، وقيل: كسب فعلهم أن لهم النار، وقيل: لا شك أن لهم النار، عن أبي مسلم. «**وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ**» قيل: متروكون فيها منسيون، عن سعيد بن جبير، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وقيل: مقدمون بالإعجال إلى النار، عن الحسن، وقتادة بخلاف، والفراء، والأصم، وأبي علي، وأبي مسلم، وقيل: مدخلون فيها، حكاه الأصم. «**تَاللَّهِ**» قسم بنفسه «**لَقَدْ**» تأكيد للكلام «**أَرْسَلْنَا**» بعثنا الأنبياء «**إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ**» أي[٤]: جماعة كما أرسلناك إلى هذه الأمة «**فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**» يعني أفعالهم الخبيثة من المعاصي والكفران «**فَهُوَ**» يعني الشيطان «**وَلِيُّهُمُ**» أي: ناصرهم ومتولي أمورهم «**الْيَوْمَ**» قيل: في الدنيا لأنه يتولى إغواءهم، فأما في الآخرة فيتبرأ بعضهم من بعض، عن الأصم، وأبي مسلم، وقيل: يوم القيامة لأنه لا يمكنه أن يتولى صرف المكروه عن نفسه فكيف يصرفه عنهم، ومعناه: أنه لا ولي لهم، عن أبي علي، وقيل: هو وليهم في زعمهم، وقد خاب أملهم «**وَلَهُمْ**» أي: للتابع والمتبوع «**عَذَابٌ أَلِيمٌ**» أي: وجيع وهو عذاب النار.

---

(١) البنات: البيان، د.
(٢) بقول: ـ، و.
(٣) وجب: أوجب، د.
(٤) أي: إلى، د.

۞ الأحكام

تدل الآية أنه تعالى يمهل مع استحقاق العقوبة لنوع مصلحة، وقد اختلف مشايخنا في من المعلوم أنه لو أبقاه[(١)] لآمن [(٢)] أَهَلْ[(٣)] يجوز اخترامه؟ فقال أبوهاشم: يجوز؛ لأن التكليف تفضل فلا تجب التبقية، وقال[(٤)] أبو علي وأبو القاسم: يجب تبقيته ولا يجوز اخترامه، واختلفت عللهما، فقال أبو علي: لأنه مفسدة، وقال أبو القاسم: لأنه أصلح، واتفقوا أنه يجوز تبقية من يعلم أنه يكفر، فيبطل بذلك جميع عللهم.

وتدل على أنه منعم بهذا التأخير، وإنما يتم هذا على مذهبنا أنه أمهلهم ليؤمنوا، فأما عند المجبرة أمهلهم ليكفروا فهو إلى النعمة أقرب.

ويدل قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ أن كل ميت ومقتول فله أجل، ويبطل القول بالأجلين.

ويدل قوله: ﴿فَزَيَّنَ[(٥)] لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ على أن التزيين بالدعاء والوسوسة، وأنه فعل الشيطان، فيبطل قول المجبرة: إن الله هو المزين.

وتدل على بطلان قول المجبرة في المخلوق من وجوه:

منها: أنه لو خلقه فيهم كان هلاكهم بظلمه لا بظلمهم.

ومنها: أنه ذكر أنه يؤخرهم ليتوبوا ولو[(٦)] كان خلقاً له لكان التعجيل والتأخير[(٧)] سواء، فكان الاعتبار بخلقه فيهم.

ومنها: أنه قال: «**ويجعلون**» وعلى مذهبهم هو جعل لنفسه.

ومنها: أنه قال: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ فأضاف إليهم لا إلى خلقه.

---

(١) أبقاه: بقاه، و.
(٢) لآمن: لا آمن، د.
(٣) أَهَلْ: هل، د.
(٤) وقال: فقال، د؛ و.
(٥) فزين: وزين، د، و.
(٦) ولو: فلو، د.
(٧) التعجيل والتأخير: التأخير والتعجيل، د.

ومنها: قوله: ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فأضاف العمل إليهم، وعندهم لا تأثير للعبد في العمل.

ومتى قالوا: عندنا أنه خلق لله تعالى كسب للعبد؟

فجوابنا من وجهين:

أحدهما: أن الكسب لا يعقل، لأنه لا صفة للفعل إلا ويحصل عليه بالله تعالى، فما الذي يضاف إلى العبد.

وثانيها: أنه وإن عقل[1] وأثبت صفة فهو تبع للخلق، لأنه إذا خلق فلا يقدر العبد[2] على الامتناع، فصار كأنه جهة لفعله، والكلام في ذلك مبين واضح في الكتب بحمد الله.

قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي: «نُسقيكم» بضم النون من أسقيناه، وقرأ شيبة ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بفتح النون من سقيناه، واختاره أبو عبيد، قال: لأنه شرب دائم، وقيل: هما لغتان.

وأما الكسائي فقال: أسقيته جعلت له شراباً دائماً من نهر أو لبن أو غيرهما، وسقيته أعطيته شربة واحدة، وقال لبيد:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ[3] وَأَسْقَى   نُمَيْرًا وَالقَبَائِلَ مِنْ هِلالِ[4]

---

(١) عقل: عمل، د.

(٢) العبد: العبد العبد، د.

(٣) مجد: نجد؛ د، و.

(٤) انظر اللسان مادة «مجد».

فجمع بين اللغتين، قال علي بن عيسى: الأظهر ما قاله الكسائي.

۞ اللغة

الاختلاف: ذهاب كل أحد إلى غير جهة صاحبه، والاختلاف: اعتقاد كل واحد نقيض اعتقاد صاحبه.

والعبرة والعظة من النظائر، وهو ما يعتبر[1] به، قال الخليل: العبرة الاعتبار بما مضى، والعابر: الناظر في الشيء، ومنه «**لعبرة**» أي: دليلاً، ومنه: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [**الحشر: ٢**].

والفرث: الثفل الذي ينزل إلى الكرش.

السائغ: المتيسر الجري، السهل النفاذ[2] في الحلق، يقال: ساغ الطعام في الحلق سوغاً وأسغته[3]، وسوغت فلاناً ما أصاب منه.

۞ الإعراب

«**لتبين**» محله نصب أي: ما[4] أنزلنا الكتاب[5] إلا بياناً وهدى ورحمة، ونصب[6] على موضع (**لتبين**).

ويقال: لم قال: «**في بطونه**» بالتذكير والأنعام جمع؟

قلنا: فيه وجوه:

---

(١) يعتبر: يعبر، د.

(٢) النفاذ: للنفاد، د.

(٣) وأسغته: ومسخته، د.

(٤) ما: ـ، د.

(٥) الكتاب: ـ، د.

(٦) ونصب: نصب، د.

الأول: أنه رد على واحدة، لأن النعم والأنعام بمعنى، فرده إلى النعم، ولفظ النعم مذكر، قال الراجز:

وَطَـابَ أَلْـبَـانُ الـلِّـقَـاحِ فَـبَـرَدْ[1]

ولم يقل: فبردت؛ لأنه رده إلى اللبن، عن الفراء.

والثاني: قال أبو عبيدة[2] والأخفش: النعم تذكر وتؤنث، فمن أنث فلمعنى الجمع، ومن ذكر فلحكم اللفظ، ولأنه لا واحد له من لفظه.

والثالث: أنه حمل على المعنى بتقدير: بطون ما ذكر، أو بطون هذا الشيء، قال الشاعر:

إِنَّ الـسَّـمَـاحَـةَ والـمُـرُوءَةَ ضُـمِّـنَـا   قَبْرًا بِمَرْوَ[3] عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

كأنه قال: شيئان ضمنا، عن الكسائي.

الرابع: أنه في معنى، أي: تقديره: نسقيكم مما في بطونه، أي: كان اللبن خالصاً.

«سائغا» نصب بقوله: «نسقيكم».

۞ المعنى

ثم بين تعالى أنه مع الوعيد وإيجاب العقاب قد أزاح العلة وأقام الحجة، فقال سبحانه: «**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**» يعني القرآن «**إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ**» تعرفهم وتظهر[4] لهم «الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ» من الدين والأحكام، والمختلفون هم أهل الملك والأهواء، عن

---

(١) انظر: اللسان، مادة: «فضخ»، والأبيات:

إذا رأيت انجما من الأسد   جبهته أو الخراة والكبد
بال سهيل في الفضيخ ففسد   وطاب ألبان اللقاح فبرد

(٢) أبو عبيدة: ابن عيينة، د.

(٣) بمرو: يمر، د.

(٤) وتظهر: وأظهر لهم، د.

أبي مسلم. «**وَهُدًى**» أي: دلالة على الحق، وقيل: دلالة على نبوتك، وقيل: هدى لمن اهتدى به إلى الجنة والرحمة ثواباً ومنفعة، وقيل: نعمة في الدين «**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**» خصهم بذلك لأنهم انتفعوا به وإلا فهو عام لجميع المكلفين، عن أبي عليٍ، وقيل: هو رحمة للمؤمنين لما فيه من الوعد، وعذاب الكافرين لما فيه من الوعيد، عن الأصم.

ثم عاد إلى ذكر دلائل التوحيد، فقال سبحانه: «**وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**» يعني: المطر «**فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ**» بالنبات، وهو توسع من «**بَعْدَ مَوْتِهَا**» يبسها وجدوبتها، وذكر الموت والحياة توسع، «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**» لحجج «**لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**» قيل: يسمع[1] سماع قبول لا سماع آذان، وقيل: تسمعون تقبلون كقولهم: سمع الله لمن حمده، وخصهم به لأنهم المنتفعون به.

ثم عطف عليه بدلائل أخر، فقال سبحانه: «**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ**» الإبل والبقر والغنم، وقد كرر الله تعالى في هذه السورة ذكرها لما فيها من بيان القدرة وأنواع النعمة، قال الأصم: وجمع بين الذكران والإناث، ثم أخبر أنهما سبب لنزول اللبن، لأن اللبن لا يكون إلا من الفحول والإناث، «**لَعِبْرَةً**» عظة واعتبار[2]، فبين وجوهاً من وجوه الاعتبار مضموماً إلى سائرها، وهو أنه يسقي «**مِمَّا فِي بُطُونِهِ**» قيل: فيه إضمار أي[3]: نسقيكم مما في بطونه اللبن إذ ليس كلها ذات لبن «**مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ**» وهو السرجين في الكرش «**وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا**» أي: خلص من الفرث والدم فلم يختلط بهما لوناً وطعماً ورائحة «**سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**» أي: هنياً جارياً في الحلق لا يغص فيه، وقيل: لم يغص أحد باللبن قط، قال ابن عباس: إذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها طحنته فكان أسفله فرث، وأوسطه اللبن، وأعلاه الدم الذي يجري في العروق، واللبن إلى الضرع، وينزل الفرث كما هو، ووجه العبرة في اللبن خروجه من بين الفرث والدم، ودروره في الضرع، ولونه الخالص، واغتذاء الولد به حال ضعفه.

---

(١) يسمع: سماع، د.

(٢) واعتبار: اعتباراً، د.

(٣) أي: قيل، د.

۞ الأحكام

تدل الآية على حدث الكتاب حيث وصفه بالإنزال.

وتدل على أنه أراد إنزاله لبيان[1] ما اختلفوا فيه وهدى، فتدل على أن بيان الرسول لازم، وبيانه يكون بأدائه وتبيان مجمله[2].

وتدل على أن القرآن هدى، وذلك يصح على أصلنا أن الهدى الدلالة.

وتدل الآية الثانية على قدرته على النشأة الثانية، وعلى كمال قدرته على خلق الأجسام، وكذلك الآية الثالثة من حيث أخرج من طعام واحد اللبن والدم والفرث، ولم يختلط أحدهما بالآخر على خلق الأجسام.

وتدل على أنه تعالى خلق الأشياء لعباده، فتدل على[3] أن أصل الأشياء الإباحة[4].

وتدل على أن الاختلاف فعل العبد، إذ لو كان خلق الله تعالى لكان يجب أن يكون البيان له، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

---

(١) لبيان: وبيان، د.

(٢) مجمله: محله، د.

(٣) على: ـ، و.

(٤) الإباحة: للإباحة، و.

۞ اللغة

الثمرة: واحدة، وجمعها: ثمرات وثمار، أثمرت الشجرة: إذا حملت.

والسكر في اللغة على أربعة أوجه:

الأول: ما أسكر من الشراب، يقال: سكر الرجل فهو سكير، ويقال: إن السكر شراب.

والثاني: السكر ما طعم من الطعام، قال الشاعر:

جَعَلت عِنَبَ الأَكْرمِينَ سُكَّرا[1]

أي: طعماً.

الثالث: السكور[2]، ومنه: السكون، ومنه: ليلة ماكرة، أي[3]: ساكنة، قال الشاعر:

فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلا سَاكِرَة[4]

ويقال: سكرت الريح وسكنت، وقال آخر:

جَعَلَتْ عَيْنَ الجزُورِ[5] سُكَّرا

والرابع: المصدر من قولك: سكر سكراً، ومنه: التسكير[6]: التحيير، كأنه سدت في قوله: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا﴾ [**الحِجْر**: ١٥]، والسكر: حبسك الماء، والسِّكَرَ بكسر السين: ما يسكن فيه الماء في الأرض، والأصل فيه: انسداد[7] المجاري بما يلقى فيه.

---

(١) وفي رواية: جعلت عيب الأكرمين سكرا، أي ذمهم. أنظر القرطبي، الطبرسي. الآية.

(٢) الثالث السكور: ـ، و.

(٣) ماكرة أي: ـ، و.

(٤) البيت لأوس بن حجر، وصدر البيت:

جذلت على ليلة ساهرة

انظر: اللسان، مادة «سكر»، وفي رواية:

تزاد ليالي في طولها

(٥) الجزور: الحرور، د.

(٦) التسكير: السكر، د، و. وما أثبتناه من تفسير مجمع البيان، للطبرسي: ٦/ ١٥٤.

(٧) انسداد: انداد، د، و. ولعل الصحيح ما أثبتناه من تفسير التبيان للطوسي ٦/ ٤٠٧.

والذلل: جمع ذلول، يقال: دابة ذلول بين الذل، ورجل ذليل بين الذل بضم الذال، وكذلك الذلة بكسرها، يقال: لما وطي من الطريق ذل أيضاً، والأصل فيه: الطريق الموطأة[1] للسلوك[2]، والذل: خلاف الصعوبة.

الإعراب

«منه» الكناية تعود إلى محذوف، وتقديره: ومن ثمرات النخيل ما تتخذون منه سكراً، فالكناية عائدة إلى (ما) المحذوفة. «وَرِزْقاً حَسَناً[3]»، عن أبي مسلم، فهو عطف على قوله: «سكرا» وهو الوجه. وقيل: العامل محذوف، وتقديره: وتتخذون ويرزقكم منها رزقاً حسناً.

المعنى

ثم ذكر وجوهاً من الاعتبار الدالة على توحيده عطفاً على ما تقدم، فقال سبحانه وتعالى: «**وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ**» أي: لكم عبرة فيما يرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب «**تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا**» قيل: السكر ما حرم من الشراب كالخمر، والرزق الحسن ما حل منه كالرُّب والخل والتمر والزبيب، عن ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وإبراهيم، والشعبي، وابن زيد، ومجاهد، وابن أبي ليلى. قال قتادة: ونزلت الآية قبل تحريم الخمر، ونزل تحريمها في سورة (المائدة) بعد ذلك، فعلى هذا خص الخمر بالتحريم وبقي سائر الأشربة على الإباحة، قال أبو مسلم: ولا حاجة إلى ذلك، لأنه سواء حرم أو لم[4] يحرم؛ لأنه تعالى ذكر نعمه في هذه الثمرات وخاطب المشركين، والخمر من أشربتهم فهي نعمة عليهم، وقيل: السكر ما يشرب من أنواع الأشربة مما حل، والرزق الحسن ما يؤكل في معنى قول الشعبي، وأبي علي. والمراد بالحسن اللذيذ، وقيل: سكراً أي:

(١) الموطأة: الموطوة، و.

(٢) للسلوك: للسلوك.

(٣) حسنا: ـ، د.

(٤) أولم: أم لم، د.

طعماً، عن الأخفش، وأبي عبيدة. أي: تتخذون أصنافاً من الأطعمة، وقيل: هو استفهام أي: أتتخذون منه سكراً محرماً وقد جعلنا لكم فيه رزقاً حسناً حلالاً، وقد يحذف ألف الاستفهام إلا أنه لا يجوز حذفه إلا وفي الكلام ما يدل عليه والوجه[1] هو الأول. «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**» لحجة «**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**» أي: لكل عاقل تفكر فيه، لأنه إنما يستدل ذووا العقول «**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**» قيل: ألهمها إلهاماً، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: جعل ذلك غرائزها، أي: أخفى مثله عن غيرها، وذلك إيحاء في اللغة، عن الحسن، وقيل: أرشدها إلى مصالحها، عن الأصم. «**إِلَى النَّحْلِ**» زنابيرالعسل واحدها: نحلة، كقولهم: نحل ونحلة «**أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا**» أي: مساكن وأعشاشاً «**وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**» يبنون «**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**» قيل: ذكر الكل وأراد البعض، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [**النمل: ٢٣**]، وكقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[2] [**الأحقاف: ٢٥**]، عن ابن زيد. «**فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً**» قيل: ادخلي ومري في طرق ربك «**ذُلُلاً**» أي: مذللة، قيل: طرقاً موطأة[3] للنحل لا يتوعر عليها سلوكها، فالذلل من صفة السبل، عن مجاهد وجماعة، وقيل: ذلك كل شيء لك قدره لرزقك مع ضعفك وضعف قدرك، وقيل: فاسلكي ذللاً أي: مطيعة لله مسخرة، عن قتادة، فهو على هذا من صفة النحل «**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا**» أي: من بطون النحل، وهي جمع فلذلك أنث الكناية «**شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**» وهو العسل، وقيل: مختلف ألوان الثمار كلون التمر[4] والعنب، عن الأصم، فمنه أبيض، ومنه أسود، ومنه أحمر، ومنه أصفر، ويحتمل الألوان أجناس التمر والعنب، وإذا كان الطعام واحد والألوان مختلفة واختص بطعم لذيذ دل على تدبير حكيم قادر على ما يشاء، ومن لطيف تدابيره أن ألهم كل دابة منافعها، واجتناب مضارها، وطلب أرزاقها، والسلوك إلى بيوتها وأوكارها «**فِيهِ**» قيل: في الشراب المتقدم ذكره، وعن الحسن أنه

(١) الوجه: الأوجه، و.

(٢) زيادة من د.

(٣) موطأة: موطوءة، و.

(٤) التمر: الثمر، د.

العسل، وهو قول أكثرالمفسرين، وقيل: في القرآن، عن مجاهد، وقيل: فيما دبر من ذلك «**شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**» في الدين والعلم يستدلون بها على البعث، عن الأصم، والأول وجه التأويل.

ووجه الاعتبار في النحل والعسل وجوه:

منها: اختصاصه بخروج العسل من فيه، ويشاركه[1] غيره في الطعام.

ومنها: خلق العسل في بطنه.

ومنها: جعل الشفاء من موضع السم، لأن النحل لها سم يلسع[2].

ومنها: ما جعل في العسل من المنافع.

ومتى قيل: كيف يجعل[3] الحلاوة في العسل؟

قلنا: الصحيح أن الله تعالى يخلق فيه الحلاوة، ويصفيه[4]، ويخرج على ألطف وجه.

وقيل: إنه يلهمها حتى تأكل من[5] أشياء حلوة، فيحصل منها عسلاً وشمعاً بأن يغيرها إلى ذلك.

وقيل: يجعل غذاءها عسلاً وشمعاً، وجميع ذلك بتدبيره وصنعه؛ إذ لا وجه للطبع وغير ذلك مما يتهوس[6] به الملحدة في مثل هذه المواضع سبحانه وتعالى.

«**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**» حجة وعبرة «**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**» يتدبرون فيها.

---

(١) ويشاركه: مشاركة، د.
(٢) يلسع: تلسع، د.
(٣) يجعل: يحصل، د.
(٤) ويصفيه: ويصنعه، د.
(٥) من: ـ ، د.
(٦) يتهوس: تتهوس، د.

۞ الأحكام

الآيات تتضمن[1] ذكر عظيم نعمه، وظاهر حججه لأنك ترى الأشجار خشبة يابسة، فيُخْرِجُ منها ألواناً مختلفة الطعم والرائحة واللون، وكذلك ما يخرج من النحل، كل ذلك يدل على مدبر حكيم.

وتدل على الحث على التدبر[2] فيه.

وتدل على أن المعارف مكتسبة لذلك صح الاستدلال، واستدل مشايخنا بالآية على إباحة المطبوخ، لأنه تعالى منّ بالسكر، والخمر حرام، فلم يبق إلا المطبوخ[3]، ومن يدع النسخ لا يصح، لأنه متى صح حمله على وجه لا يحمل على النسخ.

قوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

---

(١) تتضمن: تضمن، د.

(٢) التدبر: التدبير، و.

(٣) وردت هنا حاشية في هامش النسخة و هذا نصها: (أقول: ذكرنا الله تعالى بالآية بأنا نتخد منه سكراً خمراً وغيره من أنواع المسكرات المحرمات، ونتخذ منه رزقاً حسناً غير السكر، ولا يلزم منه أن يكون المطبوخ المسكر حلالاً بل يكون فيه أعظم زجر على تركه، إذ من أنعم عليك بنعمة جليلة ثم تعصيه وخالفت أمره فذكرك بنعمه عليك وذكرك بما يدل على غفلة عقلك وعدم التفاتك إليه، وأنك تتخذ منها الحرام والحلال، ومع هذا فأنت في جهالاتك لا تنتبه لشكره عليك، والتفكر فيما يثير دفين عقلك، لا يقال: إنه قد أباح لك السكر المغير للعقول إذ قد يكون قد أباح الكل ما يبطل قصده، إذ لا يتم قصده وهو الشكر إلا ببقاء العقل، فيكون هذا مناقضة وسخفاً، وقد عرفت في علم الكلام أن ما هذه حاله لا يجوز على الله تعالى، إذ هو المنزه عن صفات النقص، تعالى الله علواً كبيرا، وأيضاً قد روينا عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «كل مسكر حرام»، وعلى هذا إجماع آل المصطفى عليهم السلام وإجماعهم حجة الإجماع، وأيضاً ما أنكرت أنه يسمى الحرام رزقاً كما تقرر في موضعه من علم الكلام فلو كان المسكر حلالاً لسماه الله رزقاً، بل جعل الرزق قسيما له، فتدبر وفقك الله للصواب).

القراءة

قرأ عاصم في رواية أبي بكر: «**تجحدون**» بالتاء على الخطاب لقوله: «**خلقكم**» و﴿خَلَقَكُمْ﴾ (وَفَضَّلَ بَعْضَكم)، وقرأ الباقون بالياء لقوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقرب الخبر منه.

اللغة

الرذل: الدون[1] الردي، وكذلك الرذال، يقال: رذل الرجل يرذل رذالة ورذلته [والجمع رذول ورذال و][2] أرذالاً.

والجحود: ضد الإقرار، ومثله الجحد، فلا يكون إلا مع علم الجاحد به، وهو الإنكار مع العلم، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ **[النمل: ١٤]**.

والحفد: الإسراع إلى الطاعة، ومنه: (وإليك نسعى ونحفد)، قال الشاعر:

يابن الذين على قصور أحفاد

ومنه قيل: للأعوان حفدة، واحدهم: حافد؛ لإسراعهم في الطاعة، وحفد البعير يحفد حفداً وحفوداً وحفداناً، وحافد وحفد مثل خادم وخدم، وحافد وحفدة مثل كافر وكفرة. وقيل: الحفدة الأختان، وقيل: ولد الولد، عن الأزهري، وحفدت وأحفدت لغتان خدمت.

الإعراب

«**يعلم**» نصب بـ(**كي**) و(**لا**) صلة تقديره: أي[3]: لكي يعلم.

﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾ أراد: برادين، حذفت النون وأضيفت إلى ما بعده كما تقول: ما هم بضاري زيد.

(١) الدون: الداون، د.
(٢) أنا: +، و.
(٣) أي: أو، د.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ﴾ الآية في نصارى نجران حين قالوا: عيسى بن الله، عن ابن عباس. قال الحسن والضحاك: أراد من يعبد المسيح وغيره من عباده.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر النعم في الآية المتقدمة بين نعمه في الأنفس وتدبيرها، وبين بعدها أنه خلق هذه النعم للعباد، وأنه فضل في ذلك بحسب المصلحة، فقال سبحانه: «**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ**» أحياءً بعد أن كنتم نطفاً، وقيل: خلقكم بأن أوجد أجزاءكم «**ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ**» أي: يميتكم بعد كونكم أحياء وطفلاً وشاباً وكهلاً «**وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**» أي: يبقيه حتى يصير إلى أرذل العمر وأدونه، وهو حال الهرم والخرف، فيظهر النقصان في جوارحه وعقله، وقيل: إنه يصير كذلك إذا بلغ تسعين سنة، عن قتادة، وقيل: أرذل العمر خمس وسبعون سنة، عن علي (عليه السلام). «**لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا**» أي: لينسى[1] ما كان علم فلا يعلم شيئاً ولا يعقل، وقيل: ليقل علمه بخلاف ما كان في أول شبابه «**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ**»بالمصالح، كذلك اختلفت هذه الأحوال فدبرها بحسب ما علم من المصالح «**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**» ذكر نعمة أخرى، وبين أنه يعلم من مصالحهم ما لا يعلمون، فيفضل بعضهم على بعض فيما أعطاه، فجعل بعضهم مالكاً وبعضهم مملوكاً، وغنياً وفقيراً، وخادماً ومخدوماً، ثم دل بجميع ذلك على الوحدانية، وأكد ذلك بقوله: «**فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا**» أعطوا الزيادة «**بِرَادِّي رِزْقِهِمْ**» أي: لا يردون مما أعطوا «**عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**» وهم المملوكون من العبيد والإماء، واختلفوا في معناه على قولين:

أولهما: أنهم لا يشركون عبيدهم في أموالهم وأرزاقهم حتى يستووا هم وعبيدهم، ولا يرضون بذلك لأنفسهم[2]، ويرون ذلك نقصاً، وهم يشركون عبيدي

(١) لينسى: ليتبين، د.

(٢) لأنفسهم: أنفسهم، د.

في ملكي وسلطاني، عن ابن عباس، ومجاهد، والأصم، وأبي علي، وأبي مسلم، وقتادة. قال ابن عباس: يقول: إذا لم ترضوا أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم فكيف جعلتم[1] عيسى إلهاً معه وهو عبده، وقيل في الشاهد: لا يُحِبّ[2] أحد[3] أن يساويه غيره في المال والجاه للمفاخرة التي تظهر، فخالق الخلق كيف يساويه العبيد مع قصورهم.

وثانيها: قيل: إنهم سواء في أني رزقت الجميع، وأنه لا يمكن أحد أن يرزق عبدي إلا برزقي.

«**أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**» استفهام والمراد الإنكار أي: هو المنعم فلماذا تجحدون نعمه[4].

ومتى قيل: كيف وصفهم بالجحود مع اعترافهم به؟

فجوابنا: لاعتقادهم الشريك له، ولا فرق بين أن يضيف[5] كل النعم إلى غيره، وبين أن يضيف بعضها إلى غيره في أنه لا يصح أن يعلم أنه المنعم مع وجوب الاعتقاد بأنه وحده المنعم، وهذا[6] كما تقول: من يقول إن شيئاً يثبت بالطبع لا يمكنه إثبات الصانع كمن قال جميعه بالطبع، وأيضاً فإن العبادة تجب لهذه النعم، فمن[7] عبد غيره فقد جحد النعم، ولا يعترض على هذا بنعم بعضنا على بعض، لأنا لا نقدر في أصول النعم كالخلق والحياة والشهوة والمشتهى، وإنما بنقل[8] النعم، وذلك منه أيضاً[9] تعالى.

---

(١) جعلتم: ـ ، و.
(٢) يحب: يجب، د، و.
(٣) أحد: ـ ، و.
(٤) نعمه: نعمته، د.
(٥) يضيف: تضيف، و.
(٦) وهذا: وهو، د.
(٧) فمن: من، د.
(٨) ينقل: تنقل، د.
(٩) أيضاً: ـ ، و.

«**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً**» عد نعماً أخرى قيل: جعل لكم من جنسكم، وقيل: من آدم وحواء «**أَزْوَاجًا**» نساء تسكنون إليهن «**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**» قيل: الحفدة الأعوان، عن ابن عباس، ومجاهد، وأبي مالك، قال الحسن: من أعانك فقد حفدك، وقيل: الحفدة الأختان، وهم أزواج البنات، عن ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، وأبي الضحى، وسعيد بن جبير، وقيل: الخدم، عن الحسن، وعكرمة، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وطاووس، وقيل: هم بنو المرأة من الزوج الأول، عن ابن زيد، وروي نحوه عن ابن عباس، وقيل: هم البنون الصغار من الأولاد، والحفدة الكبار من الأولاد يسعون معه، عن مقاتل، والكلبي. «**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**» أعطاكم من المأكولات المستلذة، «**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ**» قيل: بالأصنام، عن ابن عباس، وأبي علي، وجعلهما باطلاً لأنهم لا ينتفعون بعبادتها «**وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**» أي: يجحدون التوحيد، وقيل: الباطل الشيطان أمرهم بالبحيرة والسائبة والوصيلة ونحوها، وبنعمة الله يكفرون فلا يحلونه كما أحله الله، وقيل: وبنعمة الله يكفرون يضيفون إلى غير المنعم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه خلق الخلق وأنه يميتهم، وأن الغرض بالخلق والتكليف الدار الآخرة وما فيها من الثواب.

وتدل على تفاوت الخلق في الرزق، وذلك بحسب ما يعلم من المصلحة.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

ومن أقوى الحجاج ما بيّن تعالى في حال الأوثان معه، وحالنا مع عبيدنا، فإذا كنا لا نسوي بين المالك والمملوك فكيف سووا بينه وبين الأوثان في العبادة.

وتدل على أن العبد لا يملك من حيث نفى رد الرزق عليه، قال القاضي: وهذا يبعد لأن في الآية أنه لا يرد عليه، وليس فيه أنه لا يصح أن يرد عليه، ولأن فيها أنه لا يرد عليه ما رزق حتى يكون هو ومملوكه سواء، ومن يقول: العبد يملك لا يزعم أنهما يتساويان.

وتدل على عظيم نعمه في الأزواج والأولاد، وفيما يثبت من الأنساب التي بها يتعاطف الخلق.

قوله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اللغة

أصل الرزق في اللغة: العطاء[١] الجاري، وحد الرزق: ما له أن ينتفع به وليس لغيره منعه.

والمثل: النظير، والمثل: السائر من أمثال العرب، وجمعه: أمثال، وهو الأشباه والنظائر، والمثال: مثال الشيء، والجمع: أمثلة، وأماثل القوم خيارهم، والمَثل والمِثْل كالشَّبَه والشِّبْه، وأصل الباب: الشبه[٢].

الإعراب

نصب «رزقا» بـ(يملك) فهو مفعول.

ونصبت «شيئاً» على البدل من «رزقاً» تقديره: لا يملكون من الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً، عن الأخفش، وقيل: النصب بوقوع الرزق عليه كأنه قيل: لا يملك لهم رزق شيء كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ[٣] فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤، ١٥]، عن الفراء.

---

(١) العطاء: ـ ، د.

(٢) الشبه: التشبيه، د.

(٣) أو إطعام: وإطعام، د.

وقيل: في قوله: ﴿يَسْتَوُۥنَۚ﴾ ولم يقل: يستويان لأن (من) اسم مبهم يصلح للواحد والجميع، والمذكر والمؤنث، وكذلك قوله: «**ويعبدون**»، «**ويستطيعون**» بالجمع لأجل (ما).

۞ النزول

روى ابن جريج عن عطاء في قوله: ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا﴾ أنه أبو جهل بن هشام، ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ فهو أبو بكر الصديق. وروى إسماعيل بن إسحاق عن ابن عباس أنه نزل في رجل من قريش وعبده أسلما وأنه كان مولى لعثمان تكفله وينفق عليه.

۞ المعنى

ثم زاد في التقريع والتوبيخ لعبادتهم ما لا ينفع ولا يضر، وضرب لهم مثلاً، فقال سبحانه: «**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» يعني الأوثان «**مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا**» أي: لا يقدر لهم[1] على رزق «**مِنَ**[2] **السَّمَواتِ والأَرْضِ**»[3] قيل: ما في السموات[4] المطر، وما في الأرض النبات والأشجار وغير ذلك من أنواع النعم، وقيل: لا يملك أن يرزقهم ولا أن[5] يزيد في رزقهم ولا أن ينقص «**شَيْئًا**» أي: قليلاً ولا[6] كثيراً «**وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**» أي: لا يقدرون على شيء، وقيل: لا يملك لهم نفعاً ولا يستطيعون دفع ضرر عنهم، عن الأصم، وقيل: إن الإنسان قد يملك[7] الأشياء ويستطيع أن ينعم وقد يملك ولا يستطيع[8] وقد يستطيع ولا يملك فنفى الجميع عنها الملك والاستطاعة بياناً للعجز عن الوجهين، فإنه[9] إذا كان هذا حاله فكيف يعبد ويتخذ إلهاً.

---

(١) لهم: عليهم، د.
(٢) من: في، د.
(٣) من السموات والأرض: من في السماوات ولا في الأرض، و.
(٤) السموات: السماء، د.
(٥) أن: ـ ، د.
(٦) لا: ـ ، د.
(٧) يملك: ملك، و.
(٨) وقد يملك ولا يستطيع: +، د.
(٩) فإنه: وإنه، د.

ولما بين بالأدلة الواضحة التوحيد والعدل وبلغ المقطع[(١)] دعا إليه ونهى عن خلافه، فقال سبحانه: «**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ**» أي: ظهر الحق فلا تجعلوا لله الأشباه، فإنه لا مثل له ولا شبيه في ذلك في[(٢)] اتخاذهم الأصنام آلهة، عن ابن عباس، وقتادة. «**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ**» مَنْ[(٣)] كَان منزهاً عن الشركاء «**وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**» ذلك بل[(٤)] تتبعون الظن، ولو تفكرتم لعلمتم، وقيل: هذا وعيد، أي: يعلم ما عليكم من المضرة في عبادة غيره وأنتم لا تعلمون، ولو علمتم لتركتم عبادتها، وقيل: هو يعلم[(٥)] خطأ ما أنتم عليه، وأنتم لا تعلمون الخطأ من الصواب لقلة التدبر «**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا**» قيل: العبد ليريد[(٦)] به الوثن وسمي به لأنه يعبد، عن الحسن، وقيل: بل المراد بالعبد الحي المملوك، وعليه أكثر المفسرين، ثم اختلف هؤلاء، قيل: مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فأما الكافر رزقه الله مالاً ونعماً فلم يعمل خيراً ولم يقدم طاعته «**وَمَنْ رَزَقْنَاهُ**» هو المؤمن رزقه الله رزقاً حسناً فيكتسب الخير ويقدم الطاعات، فنبه بذلك على حالتهما، ودعا إلى حال المؤمن، وصرف عن حال الكافر، عن ابن عباس، وقتادة، وقيل: مثل ضربه الله لعبادتهم الأوثان التي لا تملك شيئاً والعدول عن عبادة الله الذي يملك كل شيء، عن مجاهد، وأبي علي، وقيل: المملوك العبد الغني «**وَمَنْ رَزَقْنَاهُ**» الحر، وتقديره[(٧)]: السيد الغني الذي أعطي المال فهو ينفق منه[(٨)] على عبده المحتاج لا يجوز أن يسوى بينه وبين عبده الذي لا يملك شيئاً مع اتفاق الجنس والصورة، وربما يكون العبد أنضر وجهاً وأحسن قامة، فكيف يسوى بين الحي القادر العالم وبين جماد ميت مع هذا[(٩)] التفاوت العظيم في الصفات، عن الأصم. «**وَمَنْ رَزَقْنَاهُ**» أعطيناه «**رِزْقًا**

---

(١) المقطع: القطع، د.
(٢) في: ـ ، د.
(٣) من: أن من، د، و.
(٤) بل: ـ ، و.
(٥) يعلم: تعلى، د.
(٦) ليريد: ليريه، د.
(٧) وتقديره: ونظيره، د.
(٨) منه: ـ ، د.
(٩) هذا: هذه، د.

«حَسَنًا» عطاء حسناً[1] «فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ» في طاعة الله «سِرًّا وَجَهْرًا» فآتاه الله على ذلك النعيم الدائم في الجنة «هَلْ يَسْتَوُونَ[2]» لفظة استفهام والمراد الإنكار أي: لا يستويان، فاقتصر على لفظ الاستفهام وحذف الجواب، وقد يذكر الجواب أيضاً كقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]، «الْحَمْدُ لِلَّهِ» قيل: قولوا الحمد لله الذي دل على توحيده وهدى إلى دينه، وقيل: على نعمه، وفيه إشارة إلى أن النعم كلها منه، وقيل: قل الحمد لله على علمك بهذا فإن أكثرهم لا يعلمون ذلك، قيل: إنه رد بهذا عليهم عبادة غيره، أي: ليس للأوثان نعمة وإنما النعم لله والحمد كله[3] له «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» قيل: لا يعلمون النعم منه، وقيل: لا يعلمون ما دلهم به على توحيده، عن أبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على وجوب عبادة الله وبطلان عبادة غيره.

ويدل قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ أنه لا يجوز أن يمثل به ويشبه، وليس هذا مخالف لقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ﴾ لأن الحسنى[4] معناه الصفات الحسنى، وهذا كالموافق لتلك الآية في المعنى.

وذكر علي بن موسى القمي أن الآية تدل على أن العبد لا يملك من حيث جعله الله[5] مثلاً للأصنام، وقد بين أنها لا تملك لهم رزقاً، قيل: ثم عطف عليه بهذا القول، فلو كان العبد يملك ما كان مثل الحجارة التي لا تملك، ولأنه قال: ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ ولأنه لا يملك حكماً بالإذن مع قوته فلأن لا يملك بالفقد أولى، ولأنه لو

---

(١) عطاء حسناً: ـ ، و.
(٢) هل يستوون: «هل يستويان مثلاً»، و.
(٣) كله: كلها، د.
(٤) الحسنى: ـ ، د.
(٥) الله: ـ ، و.

ملك ألزمه حكم المال كالحج والزكاة ونحوهما[١]، ولكن يستقبح بالشراء، هذا قول أبي حنيفة وأصحابه، قال الشافعي: يملك.

وذكر أبو علي أنه يدل على بطلان قول أصحاب المعارف لأنه[٢] قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**إمهاتكم**» بكسر الهمزة، والباقون بضمها.

وقراءة العامة: «**أينما يوجهه**»، وعن ابن مسعود ومجاهد: «**أينما توجه**».

اللغة

الأبكم: الذي يولد أخرس فلا يَفْهَم ولا يُفْهِم، وقيل: الأبكم الذي لا يمكنه أن يتكلم، والبكم[٣]: الخرس، وقيل: لا يكون أبكم إلا وهناك ضعف عقل.

والكَلّ: الثقل، كَلّ عن الأمر يكل كلاً، إذا ثقل عليه، وكَلّ السكين كلولاً إذا غلظت شفرته فلم[٤] يقطع، وكَلّ لسانه، والأصل: الغلظ الذي يمنع من النفوذ، ومنه: كَلّ اللسان إذا لم ينبعث في القول لغلظه.

---

(١) ونحوهما: ونحوها، و.
(٢) لأنه: فإنه، د.
(٣) والبكم: والبكلم، د.
(٤) فلم: ولم، د.

ولمح البصر ولحظ العين ونظرة البصر سواء في المعنى.

۞ الإعراب

جمع (الأبصار) ووحد (السمع) وكذلك هو في أكثر المواضع من القرآن، لأن السمع مصدر سمع سمعاً، والبصر اسم للعين والجمع الأبصار، وقيل: أراد الجنس.

«أمهاتكم» أصله: أماتكم[1]، زيدت الهاء[2] للتأكيد كأهرقت وأصله أرقت.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ ابتداء ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ خبره.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في عثمان ومولى له كان ينفق عليه وكان مولاه يكره الإسلام وينهاه عن الصدقة ويمنعه عن النفقة[3]، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في هاشم بن عمرو بن الحارث القرشي وكان رجلاً قليل الخير يعادي رسول الله، عن مقاتل.

وقيل: الأبكم أبي بن خلف، ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون، عن عطاء.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ في الكفار الذين استعجلوا القيامة استهزاء.

۞ المعنى

ثم ذكر مثلاً آخر منبهاً على صحة التوحيد وفساد الشرك، فقال سبحانه: «**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً**» قيل: هو مثل الكافر الذي لا خير عنده، ومثل المؤمن الذي يطيع الله، عن ابن عباس. وقيل: إنه مثل الله تعالى ومثل الأصنام، لمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل، وأن الخير كله[4] يؤمل من جهة الله تعالى دون الأصنام، يعني كما لا يسوى

---

(١) أماتكم: أمهاتكم، و.
(٢) الهاء: هاء، و.
(٣) عن النفقة: ـ، د.
(٤) كله: ـ، و.

بين الرجلين لا يسوى بين الله تعالى[١] وبين الأصنام، عن أبي علي. و«**رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ**» أخرس لا يقدر على الكلام، ولا يَفهم ولا يُفهم «**لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ**» أي: لا يملك شيئاً يقدر على التصرف فيه «**وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ**» أي ثقل ووبال على مولاه الجاهل ولايته، عن أبي عمرو وغيره. «**أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ**» يرسله إلى موضع «**لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ**»؛ لأنه لا يفهم ما يقال له، هذا مثل الصنم، لا تسمع، ولا تنطق، ولا تعقل، «**وَهُوَ كَلٌّ عَلَى**» عابده يخدمه ويخدمونه «**هَلْ يَسْتَوِي**» أي: لا يستوي «**هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**» قيل: هل يستوي هو مع كل حي عالم قادر متمكن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقيل: هل يستوي هذان[٢]: من يعبد الله ومن يعبد دونه، قيل: ومن يأمر بالعدل هو الله تعالى، لأنه قادر عالم حي[٣] حكيم متكلم، وقيل: هو رسول الله يأمر بالإسلام «**وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» أي: طريق واضح فيما يأتي ويأمرهم.

ثم أكد ما تقدم بما ذكر من وصف نفسه، فقال سبحانه: «**وَلِلَّهِ غَيْبُ [السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]**» يعني علم الغيب، والتشبيه لأجل العلم، وقيل: التشبيه لأجل القدرة، أي: أنه المالك لها القادر على إظهارها لعباده، ثم من الأمور الغائبة وأعظمها وأهمها القيامة، ولما فيه من الوعيد[٤] والجزاء بدأ به فقال سبحانه: «**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ**» القيامة «**إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ**» أي: كنظرة البصر، كناية عن سرعته[٥] وقدرته على ذلك «**أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**» قيل: هو على شك المخاطب، أي: كونوا فيها على هذا الشك، وقيل: معناه: بل هو أقرب، وقيل: بل هو بيان عن إحدى المنزلتين إما لمح البصر أو أقرب «**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» مبالغة من صفة قادر.

ثم بين دلالة أخرى، فقال سبحانه: «**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**» أي: صوركم في بطون أمهاتكم ثم أخرجكم منها «**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ**[٦]»

---

(١) تعالى: ـ ، د.
(٢) هذان: هو أي، و.
(٣) عالم حي: حي عالم، د.
(٤) الوعيد: الوعد، و.
(٥) سرعته: سرعة، د.
(٦) والأفئدة: والفؤاد، د، و.

وإنما ذكر هذه الجوارح الثلاثة قيل: لعظيم[1] منزلتها، وقيل: لأنها طرق العلم ومحله «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» قيل: لتشكروا الله على هذه النعم، والشكر حق المنعم، فلذلك جاز أن يطالب العبد به.

۞ الأحكام

تدل الآيات وضرب المثل والدلائل على أن الواجب أن يعبد الله وحده، وقبح عبادة غيره لوجوه:

منها: قدرته على الخلق وخلقه الحيوان، ومن عجيب الصنع إخراج الجنين حياً من بطون الأمهات، ولقدرته على أصول النعم، ولإنعامه بذلك، ولكونه على صفة[2] الإلهية، والأصنام أحجار لا نفع فيها ولا ضر ولا صفة توجب العبادة.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على قدرته على البعث.

وتدل على أنه أنعم بهذه النعم وأراد أن يشكروا، فدل أنه أراد من الجميع الشكر بخلاف قول المجبرة.

وتدل على أن لكمال[3] العقل مع سائر الأحوال الغرض به التكليف، فهو كالشاهد كما نقوله أن من هذا حاله ولا إلجاء ولا ما يقوم مقامه فلا بد من التكليف[4].

وتدل على أن شكر النعمة واجب.

وتدل على أنه المنعم[5] على كل أحد خلاف ما تقوله المجبرة أنه منعم على المؤمنين دون الكفار.

---

(١) لعظيم: لعظم، د.

(٢) صفة: صفات، د.

(٣) لكمال: إكمال، د.

(٤) فهو كالشاهد... من التكليف: ـ ، د.

(٥) المنعم: منعم، د.

قوله تعالى:
﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب: «**ألم تروا**» بالتاء، وهو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب وأبي عبيدة على الخطاب لما قبله من قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقرأ الباقون بالياء على الحكاية لمن تقدم ذكره من الكفار[1].

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿يَوْمَ ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين، والباقون ساكنة العين وهما لغتان، إلا أن فتح العين أجزل وأفخم، عن أبي عبيد وأبي حاتم.

وقراءة العامة: «**تُسلِمُون**» بضم التاء وكسر اللام من الإسلام، وعن بعضهم بفتح التاء واللام من السلامة، قال أبو عبيد: والاختيار الأول لأن[2] نعمه علينا في الإسلام أكثر منه في السلامة من الجراح، ولا تجوز القراءة به لأنه يخالف النقل المستفيض.

اللغة

التسخير: التذليل سخره أي: ذلَّلَهُ.

والجو: الهواء، وهو فتح ما بين السماء والأرض.

---

(١) من الكفار: ـ ، د.

(٢) لأن: لأنه، د.

والسكن: كلما يسكن إليه، والسكن: المسكن بسكونه، قال الفراء: السكن بفتح الكاف الدار، وبسكون[1] الكاف: أهل الدار، ومنه الحديث: «إن الرمانة لتسع المسكن[2]»، وأصله من السكون الذي هو ضد الحركة، وهما من جنس الأكوان التي يكون الجسم بها كائناً في الجهات، سكن سكوناً، ومنه السكين لأنه يسكن حركة المذبوح.

ظعن يظعن ظعْناً وظعَناً: شخص، والظعينة المرأة، وهو من باب الاستعارة، والظعائن: الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن؛ لأنها[3] يظعن فيها، وسميت المرأة ظعينة لأنها تكون[4] فيها.

والأثاث: متاع البيت الكثير، قال الخليل: وأصله من الكثرة، ومنه شَعَرٌ أثيث، أي: كثير، وأث البيت يأث أثاً إذا كثر والتف، وكذلك أث الشعر، وقيل: لا واحد للأثاث فهو كالمتاع، قال الشاعر:

أَهَاجَتْكَ[5] الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَاتُوا ... بِذِي الزِّيِّ الجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ[6]

وقال أبو زيد: واحد الأثاث أثاثة.

والأكنان: جمع كن، وهو الموضع الذي يستر صاحبه فيه، يقال: كننت الشيء في كنه أي: صببته، أكننته أخفيته، ومنه الكنانة.

الإعراب

قيل: في قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ محذوف أي: والبرد محذوف لعلم السامع كما قال الشاعر:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ دَارًا ... أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي[7]

(١) وبسكون: وسكون، د.
(٢) المسكن: السكن، د.
(٣) لأنه: لأنها، و.
(٤) لأنها تكون: لأنه يكون، د.
(٥) أهاجتك: أهاجيك، د.
(٦) البيت لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي، انظر: اللسان مادة «نقب».
(٧) يليني: يقيني، د. والبيت للمثقب العبدي، وفي رواية:
وما أدري إذا يممت وجها

فكنى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه، عن الفراء، وأبي علي. وقيل: الذين خوطبوا به أصحاب حر، وكان حاجتهم في بلادهم إلى ما يقي الحر أشد، وكذلك خصه بالذكر، عن عطاء.

والكنايات في قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ[1]﴾ إلى الأنعام[2].

﴿أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا﴾ نصب بـ(جعل) أي: جعل لكم أثاثاً ومتاعاً.

۞ المعنى

ثم عطف على ما تقدم من الأدلة على توحيده بأدلة أخرى، فقال سبحانه: «**أَلَمْ تَرَوْا**» أيها السامعون، وبالياء هؤلاء الذين تقدم ذكرهم «**إِلَى الطَّيْرِ**» وهو اسم للجنس «**مُسَخَّرَاتٍ**»مذللات «**فِي جَوِّ السَّمَاءِ**» قيل: في كبد السماء، عن قتادة، وقيل: في الهواء بين الأرض والسماء «**مَا يُمْسِكُهُنَّ**» في الهواء[3] «**إِلاّ**[4] **اللَّهُ**» وإنما أضاف الإمساك إلى نفسه لأنه أعطاه القدرة وآلة الاستمساك وجعل الهواء بحيث يصح الإمساك فيه فهو الذي يمسكه بذلك «**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**» وخصهم به لأنهم المنتفعون به، وقيل: لأنهم يحتجون به على مخالفي التوحيد ويدلونهم بها، «**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا**» أي: مسكناً تسكنون فيه، وهو إما أن يتخذ من الحِجْر والمدر، وهو فعل الله تعالى وجعلها بحيث يمكن اتخاذ الأبنية منها للمقيمين «**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا**» يعني الخيام والقباب والفساطيط، الذي تتخذ من الأنطاع والأدم، ومن الشعر والوبر للسفر والحضر، عن أبي علي، وقيل: أراد ما ينبت[5] [من الشعر ويحتمل أن يعم بيوت الأدم وبيوت الشعر وبيوت الصوف لكوتها هذه] من الجلود [ثابتة] لأنفسها، عن الأصم. «**تَسْتَخِفُّونَهَا**» أي: تخف عليكم «**يَوْمَ ظَعْنِكُمْ**» رحلكم وسفركم «**وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ**» في بلادكم أي: لا تثقل في الحالين «**وَمِنْ**

(١) ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها: ومن أشعارها وأوبارها، د، و.

(٢) رجع.

(٣) في الهواء: ـ ، د.

(٤) إلاّ: إلى، د.

(٥) ينبت: تنبتكم، د.

﴿أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ الصوف للضأن، والوبر للإبل، والشعر للماعز **﴿أَثَاثًا﴾** قيل: مالاً، عن ابن عباس، وقيل: متاعاً، عن مجاهد، وقيل: ثياباً، وقيل: الأثاث المال من الإبل والغنم والعبيد والمتاع، عن القتيبي، وقيل: هو متاع البيت من الفرش والأكسية ونحوها، **﴿وَمَتَاعًا﴾** أي: بلاغاً ينتفعون بها **﴿إِلَى حِينٍ﴾** إلى مدة، قيل: إلى الموت، يعني أن الانتفاع بالدنيا يكون إلى مدة ولا يدوم، وينبغي للعاقل أن يختار الآخرة لدوامها، وقيل: إلى حين تبلى، وقيل: إلى أن تقوم الساعة، فإن أمتعة الدنيا وما يتخذ إنما هو في الدنيا، فإذا دخل أهل الجنة الجنة فالله تعالى يخلق لهم ما يحتاجون إليه حالاً بعد حال، ولا تتخذ هذه الأشياء **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً﴾** أي: أشياء تستظلون بها من الحر وشدته، وهو الأشجار والأبنية **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾** أي: مواضع تسكنون فيها **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ [الْحَرَّ][1]﴾** قيل: القمص[2] من الكتان، والقطن، والقز، والصوف، عن قتادة، وقيل: كل ما لبسته فهو سربال، عن الزجاج. **﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾** أي: تمنعكم الحر والبرد **﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾** يعني أسلحة تقيكم في الحرب أذى السلاح والحرب، يعني: الدروع وما أشبه ذلك **﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** أي: بمثل هذه الأشياء تعظم النعم وتتم **﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾** أي: لتدخلوا في الإسلام إذا تفكرتم في هذه الدلائل.

۞ الأحكام

تدل الآية على الحث على النظر لذلك قال: **﴿ألم يروا[3]﴾**.

ويدل ما عد من النعم على عظيم قدرته وعلمه وتوحيده، وعظيم[4] نعمه على خلقه.

وتدل على أنه فعل ذلك كله ليسلموا، فتدل على أنه أراد من الجميع الإسلام خلاف ما تقوله المجبرة.

---

(١) الحر: ـ، د.

(٢) القمص: القميص، د.

(٣) ألم يروا: ألم تروا، د.

(٤) وعظيم: وعظم، د.

وتدل على أن الإسلام فعلهم ليس بخلق الله ثم ينكرونه[١] فيبطل مذهبهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

اللغة

بلغت تبليغاً، والاسم البلاغ، نحو كلمت كلاماً[٢]، والاسم الكلام.

والعتب: الموجدة، يقال: عتب عليه يعتب إذا وجد عليه، فإذا[٣] فاوضه ما عتب عليه قيل: عاتبه، فإذا رجع إلى ما يريد فقد أعتب، والاسم العتبى، وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب، واستعتب طلب أن يعتب، قال الخليل: حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة، وبينهم أعتوبة يتعاتبون بها، قال أبو مسلم: الاستعتاب: مأخوذ من العتب والعتاب، وأصله من دبغ الأديم، وهو عتابه، وفي المثل: (إنما يعاتب الأديم ذو البشرة)، ويقال: عتبت على فلان واستعتبته إذا أنكرت منه فعلاً[٤] واستنزلته فيه وأردت استصلاحه، وأعتبت فلاناً إذا صار لك إلى ما تحب وأزال ما تكره، والاسم العتبى.

والإنظار: التأخير، وأنظرته أخرته، والنظرة أيضا التأخير ومنه: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

(١) ينكرونه: ينكرونها، د، و.
(٢) كلاماً: تكليماً، د.
(٣) فإذا: وإذا، د.
(٤) فعلاً: قلاً، د.

۞ الإعراب

قيل: قوله: «**فإن تولوا**» شرط، والجواب محذوف تقديره: فإن تولوا فإنه لا يلزمك تقصير من أجل توليهم، لأن الذي عليك هو البلاغ، إلا أنه حذف إيجازاً، ويدل على المحذوف قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في محل الرفع لوقوع الإذن عليه في قوله: ﴿لَا يُؤْذَنُ﴾.

۞ النظم

ويقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: أمر نبيه أن يذكرهم بهذه النعم، ويحتج عليهم بهذه الأدلة، فإن أسلموا فذاك، وإن أعرضوا فلا شيء عليك إن عليك إلا البلاغ فقط.

ويقال: كيف يتصل قوله: «**ويوم نبعث**» بما قبله؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنه عطف على قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، عن أبي مسلم.

وقيل: يتصل بما قبله أي: إن تولوا فعليك البلاغ، ونجازيهم على إعراضهم يوم نبعث من كل أمة شهيداً.

۞ المعنى

«**فَإِنْ تَوَلَّوْا**» أعرضوا عن إجابتك وقبول ما تدعوهم إليه من الدين مع ما أظهرت من الحجة، قال أبو علي: فإن أعرضوا عن طاعة الله تعالى «**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**» أي: تبليغ الرسالة وأداؤها، و(**المبين**) البين الظاهر «**يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**» بعبادة غيره، وإضافتها إلى من سواه جهلاً وتقليداً، عن أبي علي، وقيل: ينكرون البعث تقليداً، وقيل: أنكروا ما عرفوا من صفة الأصنام أنها لا تقدر على شيء، واتخذوها آلهة، ذكر هذين الوجهين الأصم، وقيل: يعرفون محمداً وهو من نعم الله «**ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**» يكذبونه ويجحدونه، عن السدي، وقيل: ما عدد عليهم من النعم في هذه السورة ينكرون ذلك، يزعمون أنها كانت لآبائهم ورثوها عنهم، عن مجاهد،

وقتادة، وقيل: إن رسول الله ﷺ ذكرهم تعدد[١] هذه النعم فقالوا: نعم هذه كلها من الله لكنها بشفاعة آلهتنا، وقيل: يتقلبون في نعم الله تعالى ثم لا يشكرونها، وقيل: هو قولهم: لولا فلان لكان كذا، ولولا فلان لما كان كذا «**وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**» الجاحدون، وإنما قال: (**أكثرهم**) لأن منهم من لم تقم الحجة عليهم كمن لم تبلغه الدعوة، وكمن لم يكلف من الصبيان والمجانين، وقيل: لأن فيهم من يؤمن، وقيل: هو من الخاص في صيغته الذي هو عموم في معناه، عن أبي علي، قال الحسن: ومعناه جميعهم[٢] الكافرون، ووجه هذا أنه عزل البعض احتقاراً[٣] له أن يذكره، وقيل: أكثرهم المعاندون، عن الأصم، وأبي مسلم، وإن كان فيهم من يكفر جهلاً وتقليداً «**وَيَوْمَ**» يعني يوم القيامة «**نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**» عليهم[٤]، قيل: هم الرسل، عن الأصم، وقيل: هم عدول المؤمنين من كل أمة «**ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ**» لهم في الاعتذار فيعتذروا[٥] بمعاذير باطلة، وقيل: الآخرة مواطن فمنها ما يمنعون، ومنها ما لا يمنعون، وقيل: لا يؤذن لهم في الاعتذار بما ينتفعون، وقيل: لا يؤذن إذا أرادوا كثرة الكلام والتفرغ، وقيل: لا يؤذن لهم في الرجوع إلى التكليف ودار الدنيا، وقيل: معنى «**لا يؤذن**» أي: لا يستمع إلى الاعتذار[٦]، كقول الشاعر:

فِـي سَـمَـاعٍ يَـأْذَنُ الـشَّـيْـخُ لَـهُ[٧]

عن أبي مسلم.

وقيل: لا يؤذن لهم في حال شهادة العدل[٨]، بل يسكت[٩] أهل الجمع كلهم

---

(١) تعدد: بعد، و.
(٢) جميعهم: جميعه، د.
(٣) احتقاراً: اختصاراً، د.
(٤) عليهم: ـ، د.
(٥) فيعتذروا: يعتذروا، د.
(٦) الاعتذار: الأعذار، د.
(٧) البيت لعدي بن زيد العبادي:
ومـلاب قـد تـلـهـيـت بـهـا ... وقـصـرت الـيـوم عـذار
فـي سـمـاع يـأذن الـشـيـخ لـه ... وحـديـث مـثـل مـاذي مـشـار
(٨) العدل: العدول، د.
(٩) يسكت: سكت، د.

ليشهدوا الشهود، وقيل: لا يؤذن ليعلموا إياسهم من الخلاص، وقيل: لا يجسرون أن يتكلموا من عظيم ما نالهم «**وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**» أي: لا يسترضون، يعني: لا يكلفون أن يرضوا ربهم ولا يستصلحون كما كان يفعل بهم في الدنيا «**وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ**» قيل: كفروا، وقيل: ظلموا أنفسهم بالكبائر «**فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ**» يعني: لا يؤخرون في العذاب، ولا يخفف من أجزاء العقاب، وهذا تنبيه على دوام العقاب وأنه لا يشوبه راحة، وروي «أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه فاضت عيناه».

۞ الأحكام

الآية الأولى تسلية للنبي ﷺ، وبيان أن جناياتهم تلزمهم، وليس عليه إلا البلاغ، وأما القبول فعليهم.

وتدل على أنه تعالى يبعث في كل أمة شهيداً يشهد عليهم، فدل[1] أن كل زمان لا يخلو من شهيد حجة الله على خلقه على ما يقوله أبو علي.

وتدل على أنه تعالى لا يقبل المعاذير يوم القيامة لأنا لو قدرنا الإذن فاعتذروا فكانت معاذير باطلة كاذبة[2]، ولو كانت صدقاً قبلت[3].

وتدل على أنهم لا يردون إلى الدنيا، فنبه أن طريق النجاة منسدة عليهم.

ويدل قوله: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أن ظلمهم فعلهم، فيبطل قول مخالفينا في المخلوق.

وتدل أنه لا يخفف عنهم العذاب ولا يؤخر، ولو جوزوا انقطاعه لكان فيه أكثر الخفة.

وتدل على أن الإنكار والكفر والظلم فعلهم لذلك استحقو العذاب.

---

(١) فدل: فتدل، د.
(٢) باطلة كاذبة: كاذبة باطلة، د.
(٣) قبلت: لقبلت، د.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

اللغة

اللقي[1]: الشيء الملقى المطروح، يقال: لقيتُه إذا طرحتَه، وقال الأخفش: يقال: ألقيت إليه مقالة كذا أي: قلت له، وتلقاها عني أي: قبلها.

والسلم: الاستسلام والانقياد بفتح السين واللام، وبكسرالسين وفتحها وسكون اللام: الصلح.

وفريت: كذبت، وافتريت افتعلت منه، ويفترون يفتعلون من فريت.

المعنى

ثم بين تعالى ما يؤول حالهم إليه يوم القيامة، فقال سبحانه: «**وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ**» يعني الذين أشركوا في العبادة غيره، وقيل: وصفوا الله بالشريك كالثنوية وعباد الأوثان «**شُرَكَاءَهُمْ**» قيل: أوثانهم التي عبدوها وجعلوها شركاء في العبادة، وقيل: وصفوها بأنهم شركاء الله، وقيل: جعلوا لهم نصيباً من أموالهم، هذا قول أكثر المفسرين، أن المراد به الأوثان، وقيل: أراد به الشياطين، وسموا شركاء من حيث عبدوا الأصنام بطاعتهم، عن الحسن. «**قَالُوا**» يعني الكفار «**هَؤُلَاءِ**» إشارة إلى الأوثان «**شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو**» آلهة «**مِنْ دُونِكَ**».

ومتى قيل: إذا كانوا في الآخرة لا يكذبون، فكيف قالوا: هؤلاء شركاؤنا؟

(١) اللقي: اللقا، و.

فجوابنا: هذا لا يقولون على الحقيقة أو الاستنصار بهم، وإنما يقولون هؤلاء الذين كنا ندعوهم شركاء متعجبين من أنفسهم كيف فعلوا ذلك، وعنهم كيف دعوا شركاء، نادمين على ذلك.

«**فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ**» يعني الأوثان، وقد أحياهم الله وأنطقهم وأحضروا وقالوا[١] لهؤلاء المشركين: «**إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ**» قيل: كاذبون في قولكم أنا نستحق العبادة فلسنا بأهل لها ولا بمنعمين، وقيل: إنكم لكاذبون في قولكم: أنا دعوناكم إلى العبادة، وقيل: إنكم لكاذبون في قولكم: إنها إلهة، وشركاء لله وأنا[٢] ننفع ونضر، وقيل: القول بأنا ما دعوناكم ولا شعرنا بعبادتكم ولا أمرنا به، ولا كنا أهلاً لها[٣]، وإنما نسبوهم إلى الكذب في الدنيا أنهم آلهة لا في قولهم «**هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا**» لأنهم كانوا يزعمون ذلك فلا يكون كذباً، «**وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ**» قيل: استسلموا لله تعالى بأنه الإله المستحق للعبادة والحكم بين عباده، عن قتادة، وقيل: المراد به هؤلاء المشركين زال عنهم نخو الجاهلية وانقادوا قسراً وقهراً لا اختياراً، واعترفوا بالله تعالى وحده، وقيل: العابد والمعبود استسلموا، ثم يطرح الكل في النار زيادة في عذاب العباد «**وَضَلَّ عَنْهُمْ**» بطل «**مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**» أي: يكذبون، قيل: هو أمانيهم الكاذبة أنها تشفع لهم وتضر وتنفع، وقيل: ما كانوا يعتقدونه ويعلمونه من دياناتهم الباطلة، وقيل: ضل عنهم الأوثان عند حاجتهم وصارت ضداً عليهم، عن الأصم. «**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**» قيل: أعرضوا عن دين الله، وقيل: منعوا من الإيمان، وقيل: الصادون عن البيت الحرام، عن أبي مسلم، وقيل: أعرضوا بأنفسهم ومنعوا غيرهم «**زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ**» قيل: عذاب كفرهم وعذاب صدهم، والمراد به الرؤساء والقادة، ونظيره: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ **[العنكبوت: ١٣]**، وقيل: عقاب معاصيهم إلى عذاب كفرهم، وقيل: أراد تضعيف العذاب عليهم كما استحقوا من غير بيان جنس، وقيل: هي[٤] عقارب وحيات لها أنياب أمثال النخل

(١) وقالوا: قالوا، و.
(٢) وأنا: وأننا، د.
(٣) لها: له، د.
(٤) هي: ـ، و.

الطوال، عن ابن مسعود، وقيل: هي أنهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها، عن ابن عباس، ومقاتل، وقيل: هو إخراجهم من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير، وقيل: حيات[1] كأمثال البخت وعقارب كالبغال، عن سعيد بن جبير، وقيل: عذاباً فوق عذاب أتباعهم، عن الأصم. «**بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ**» في الدنيا وفسادهم الكفر والصد عن سبيل الله وسائر معاصيهم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه سبحانه يحيي الأوثان يوم القيامة وينطقهم حتى تخبر عبادها بأنهم كانوا كاذبين توبيخاً لهم، وذلك زيادة عقوبة لهم، وفي الخبر عنه لطف لنا.

وتدل على أن الصد عن الدين من أعظم الذنوب فلذلك استحق تضعيف العذاب، فيدخل فيه كل من دعا إلى بدعة وضلالة ومعصية، وعلى الضد من ذلك كل من دعا إلى الدين والسنة وطاعة الله يضاعف له الثواب، وقد وردت السنة بما يؤكد ما قلنا.

وتدل على أن الكفر والصد فعل الكفار، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

۞ اللغة

التبيان والتبيين واحد في المعنى، وهما مصدر تبينت[2] تبياناً نحو: كررت تكراراً وتكريراً.

---

(١) حيات: ـ، و.

(٢) تبينت: بينت، د.

والعدل: خلاف الجور، ويستوي فيه الواحد والاثنين والمذكر والمؤنث، ويقال[١]: رجال عدل وامرأة عدل، ونساء عدل، ونظيره: رجل خصم، ورجال خصم، وامرأة خصم، ونساء خصم، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] وإنما كان كذلك لأنه مصدر.

والإيتاء بالمد الإعطاء، وبغير المد المجيء، آتى الشيء[٢] أعطى، وأتى جاء.

والبغي: طلب التطاول بالظلم، وأصله: الطلب[٣]، ومنه: بغيت الشيء أبغيه إذا طلبته، وبغيتك الشيء طلبته لك، والبغية: الحاجة، ومنه: البغايا الإماء، الواحدة[٤]: بغي، والبغي: الفاجرة، بغت تبغي بغياً.

والوعظ: التخويف، والعظة الاسم منه.

۞ الإعراب

نصب (يوم) بفعل محذوف كأنه قال[٥]: احذروا يوم، وقيل: هو متصل بما قبله أي: زدناهم عذاباً يوم القيامة[٦]، وقيل: تقديره اذكروا يوم.

و(**هدى ورحمة**) نصب على الحال، وقيل: بـ(**نزلنا**).

۞ النزول

قيل: كان رسول الله ﷺ جالساً بمكة، فمر به عثمان بن مظعون، فقال: «ألا تجلس»، فجلس، فدعاه، فبينما هو يحدثه إذ شَخَص ببصره إلى السماء ساعة، ثم أخذ يخفض بصره عن يمينه، ثم أعرض عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره

(١) ويقال: يقال، د.
(٢) الشيء: ـ، د.
(٣) الطلب: بالطلب، و.
(٤) الواحدة: والواحدة، د.
(٥) قال: قيل، د.
(٦) القيامة: ـ، د.

ساعة، وجعل يصغي برأسه كأنه يسمع[1]، ثم شخص بصره إلى السماء، ثم سري[2] عنه، وأقبل على عثمان فسأله عثمان عن ذلك، فقال: أتاني[3] رسول الله صلى الله عليه يعني جبريل، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية، قال عثمان: فذلك حيث[4] استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً ﷺ، عن ابن عباس، وذكر بعضه الأصم.

وعن عكرمة أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة، فقال: يا ابن أخي[5] أعد؟ فأعاد، فقال[6]: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وان أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمورق[7]، وما هو قول البشر. قال عثمان: فأخبرت أبا طالب بما نزل فقال: يا معشر العرب اتبعوا ابن أخي ترشدوا وتفلحوا.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ بما قبله من قوله: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ[8]﴾ الآية؟

قلنا: بين أنه يشهد على أممهم يوم القيامة بأنه كلف وأزاح العلة وبين وأنزل الكتاب، وأنهم فيما عوقبوا أتوا من قبل أنفسهم، فجميع ذلك مما لا[9] يدخل في الشهادة.

ويقال: كيف يتصل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ﴾ بما قبله؟

---

(١) يسمع: يستمع، د.
(٢) سري: سوى، و.
(٣) أتاني: ـ ،و.
(٤) حيث: حين، د.
(٥) أخي: أخ، د.
(٦) فقال: قال، و.
(٧) لمورق: لعروق، وكتب فوق هذه اللفظة: لمورق. ظ.
(٨) ويوم نبعث: ونبعث، د.
(٩) لا: ـ ، د.

قلنا: لما ذكر الكتاب بيّن ما نزل فيه وما يأمر به وينهى عنه في الكتاب.

وقيل: إنه يتصل بما قبله بقوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ كأنه قيل: بعد ذكر الشهود والقيامة إنه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم، فلا يظلم أحداً بل يعدل، ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على الأمم أنهم أتوا من قبل أنفسهم.

المعنى

«**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً**[1]» قيل: رسلهم وقيل: المؤمنون من كل أمة.

ومتى قيل: لم أعيد ذكر ذلك بعد ما تقدم ذكره؟

قلنا: لأنه ذكر الشهود وعرض كلام آخر، وأراد أن يبين شهادة للنبي[2] ﷺ، فأعاد ذكر اليوم والشهداء.

وقيل: أراد بالشهداء هاهنا جوارحهم.

وقيل: في الأول الحفظة، وهاهنا الرسل، ولذلك ذكره هاهنا «**مِنْ أَنفُسِهِمْ**» وقيل: من جنسهم، وكان معهم في الدنيا، وقيل: هي جوارحهم «**وَجِئْنَا بِكَ**» يا محمد «**شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ**» الذين بعثت إليهم قبلوا أم ردوا، وقيل: على الأنبياء أنهم بلغوا «**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**» القرآن «**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**» أي: لتبين به كل شيء يحتاجون إليه من أمور دينهم «**وَهُدًى**» دليلاً على الحق «**وَرَحْمَةً**» نعمة على الخلق لما فيه من بيان الشرائع، وقيل: لأنه يؤدي إلى نعم الآخرة «**وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**» فيما وعدهم من نعيم الجنة والثواب على إسلامهم «**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**» التفضل مع الناس، فيدخل فيه الإحسان بالأموال والأخلاق والإرشاد والسعي الجميل، وقيل: العدل التوحيد، والإحسان أداء الفرائض، عن ابن عباس، ومقاتل، وعطاء، وقيل: العدل في الأفعال، والإحسان في الأقوال، وقيل: العدل في معاملة غيرك، والإحسان إلى نفسك، فلا تلقيها في العذاب «**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**» أي: إعطاء القربى حقهم بصلة

(١) شهيداً: ـ، و.

(٢) للنبي: النبي، د.

رحمهم «وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ» جمع بينها للبيان عن تفصيل المنهي عنه، فالفحشاء كل قبيح يفعله في نفسه بما لا يظهره، والمنكر: ما يظهره حتى يجب إنكاره، والبغي: ما يتطاول به من الظلم لغيره[1]، وقيل: الفحشاء الزنا، والمنكر ما ينكره الشرع، والبغي الظلم والكبر، عن ابن عباس، وقتادة، أمر الله عباده بمكارم الأخلاق ونهاهم عن[2] سفساف الأخلاق، قال ابن مسعود: أجمع آية في كتاب الله هذه الآية، قال سفيان بن عيينة: العدل استواء السريرة والعلانية، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته، وقيل: أمر الله بالعدل فرضاً، وبالإحسان تأديباً، وبصلة الرحم تواصلاً وشفقة، والأمر بترك الفحشاء والمنكر طاعة ونجاة، وبترك البغي منعاً[3] عن الظلم «﴿يَعِظُكُمْ﴾» يخوفكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتتذكروا وتزدجروا[4].

الأحكام

قال أبو علي: يدل قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ على أن كل عصر لا يخلو من عدول يشهدون لا يجوز عليهم الخطأ.

ويدل قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ على حدث القرآن.

وتدل على أنه بيان وهدى ورحمة.

وتدل[5] أنه بيان لجميع[6] ما يحتاج إليه في أمور الدين، وذلك يكون بوجوه:

أحدها: أنه يوجد فيه الظن[7]، أو يدل بواسطة كقول الرسول، وعلمنا[8] أنه

---

(١) لغيره: بغيره، د.
(٢) عن: ـ، د.
(٣) منعا: صنعاً، وكتب فوق هذه اللفظة: منعاً. ظ.
(٤) وتزدجروا: وتنزجروا، د.
(٥) وتدل: فتدل، د.
(٦) لجميع: بجميع، د.
(٧) الظن: الكل، و.
(٨) وعلمنا: علمنا، د.

صادق، وأن قوله حجة، ولقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] وكإجماع الأمة الذي دل القرآن على صحته، وكالقياس والاجتهاد حيث ثبت بالقرآن والسنة والإجماع صحته، فهو الأصل والمفتاح لعلوم الدين.

وتدل على الأمر بصفات جامعة(١) للخير لأن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ﴾ الآية بيان جميع ما يتعلق بالدين والدنيا، لأن العدل يدخل فيه الإنصاف في المعاملات، والعدل إلى نفسه بمجانبة المعاصي، لأن أعظم الظلم ظلم النفس، ودخل تحت الإحسان جميع الأفعال الحسنة والإحسان إلى غيره، ودخل تحت الفحشاء الكبائر وما يعظم من المحرمات، ودخل تحت البغي ما يتعدى إلى غيره.

وتدل على أنه أراد بذلك أن يذّكروا.

وتدل على أن هذه الأفعال فعل العبد، فيبطل قول مخالفينا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾

اللغة

وفى الشيء تم(٢) وأوفيته: أتممته، قال أبو مسلم: وفى بعهده وأوفى بمعنى،

---

(١) جامعة: جامعات، د.

(٢) تم: ـ، د.

وهو من باب فعل وأفعل بمعنى واحد، واستوفيت الكيل: أخذته تامّاً، وتوفيت استوفيت، ومنه: كيل واف.

والعهد والعقد من النظائر، والعهد: الوصية، والعهد: الأمان، والعهد: الميثاق، والعهد: الضمان، ومنه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ [البقرة: ٤٠] أي: بما ضمنتم من طاعتي أوفِ بما ضمنت لكم من الرحمة، والعهد: الذمة، ومنه: «كل ذي عهد في عهده»، وأصل الباب: الميثاق المؤكد[١].

والتوكيد: التشديد يقال: أوكد عقدك أي: شده، وهي لغة الحجاز، وأهل نجد يقولون: أكدت تأكيداً.

والأنكاث: الأنقاض، واحدها: نكث، والنكث: نكث العهد، وانتكثت انتقضت، وهذا قول لا نكيثة فيه أي: لا خلف، والنكث أن تنقض أخلاق الأكسية وتغزل ثانية[٢]، وبها سمي الرجل نكثاً، وكل شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث حبلاً كان أو غزلاً.

والدخل: أصله: ما أدخل في الشيء على فساد، والدخلة: باطن أمر الرجل، والدخل: العيب في الحسب، والدَّخَل كالدغل، ودخيلك الذي يداخلك في أمورك، وفلان دخل فيهم إذا انتسب معهم وليس منهم، والأصل في الجميع: الدخول خلاف الخروج، قال أبو عبيدة والكسائي: كل أمر لم يكن صحيحاً فهو دخل.

وأربى: أفعل من الربا وهو الزيادة، ومنه: الربوة والربا في المال.

والأمة[٣]: الجماعة في كل عصر، وأصله القصد، كأنهم قصدوا طريقة واحدة.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾ عبارة عن الهلاك تقول العرب لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط بعد سلامة[٤]: زلت قدمه، قال الشاعر:

سيمنعُ[٥] مِنْكَ السَّبْقَ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا ... وَتُـلْـطَـمُ إِنْ زَلَّـتْ بِـكَ الـقَـدَمَـانِ[٦]

---

(١) المؤكد: المؤكدة، و.

(٢) وتغزل ثانية: ـ ، د.

(٣) والأمة: الأمرة، د.

(٤) سلامة: سلامته، د.

(٥) سيمنع: نسمع، د، و.

(٦) القدمان: القدماني، د. والبيت للمفضل الضبي، أمثال العرب ص١١١، الأصفهاني الأغاني: ٢٤، ٢٢٤، والنيسابوري، مجمع الأمثال، ص ١٥٢.

ويقال: زل في الدين زللاً، وعن المكان زليلاً.

۞ الإعراب[1]

قيل: (**هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ**[2]) في موضع رفع مبتدأ وخبر، وهما في محل الرفع بخبر (كان) كما تقول: كان أبوه[3] شريفاً، ولو كان في موضع نصب لكان صواباً إذا جعلت هي فصلاً كما قال: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ [**المزمل**: ٢٠] قال الفراء: النصب على العماد، والرفع على تحوله اسماً. ونصب «**أنكاثاً**» بـ«**نقضت**».

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ في الذين بايعوا رسول الله ﷺ، أمرهم بالوفاء بالعهد، وضرب لهم الأمثال.

وقيل: نزلت في حلف الجاهلية، عن مجاهد، وقتادة. وقيل: هو عام.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر[4] الأمر والنهي عقبه بالأمر بالإتمام، فقال سبحانه: «**وَأَوْفُوا**» أتموا[5] «**بِعَهْدِ اللَّهِ**» قيل: هو الإيمان وقيل: هو ما يلزمه فعله ويؤكد ما دل[6] عليه العقل والشرع، عن الأصم، ويدخل فيه الجهاد وغيره، وقيل: هو ما يوجبه المرء على نفسه، عن أبي مسلم، وقيل: هو اليمين بالله، عن أبي علي كقوله: «**وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ**» أي: لا تحنثوا فيها لما في الحنث من هتك الحرمة «**بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**» بعد[7] تشديدها، وقيل: بعقد القلب والعزم عليه، عن أبي مسلم، بخلاف اللغو، وقيل: بما

---

(١) الإعراب: ـ، د.
(٢) من أمة: ـ، د.
(٣) أبوه: لهوه، د.
(٤) ذكر: ـ، و.
(٥) أتموا: ـ، د.
(٦) مادل: مما دل، و.
(٧) يعد: يعني، د.

أوجب الله من مراعاة حرمة اسمه، وقيل: بعد أن أكدتم ذلك على أنفسكم، عن أبي علي. «**وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً**» قيل: شهيداً على الوفاء بذلك، وقيل: ضميناً بالجنة لمن تمسك به، عن أبي علي[١]. وقيل: هو أن تقول: الله عليّ كفيل أو وكيل[٢]، وقيل: هو تكفل بإنصاف المظلوم منكم[٣] وهو يفعله لا محالة فاحذروا عدله «**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**» فيجازيكم به، وهذا وعيد.

ثم ضرب مثلاً في نقض العهد فقال سبحانه: «**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً**» يعني لا[٤] تكونوا كامرأة غزلت ثم نقضت غزلها بعد قوة، وقيل: هي امرأة كانت من قريش[٥] تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار، ثم أمرت بنقض جميع ما غزلن، فكان ذلك دأبها، عن مقاتل، والكلبي، وكانت تسمى: ريطة، وكانت خرقاء، وقيل: هو مثل ضربه الله تعالى شبه به حال ناقض[٦] العهد بمن كان كذلك وإن لم يوجد، وقيل في وجه الشبه[٧]: إن ذلك سفه كذلك نقض العهد، وقيل: هو كناية عن إحباط العمل، وقيل: لأنه بفعله أخرج نفسه من أن يوثق به، كذلك من خان ونقض العهد «**أَنكَاثًا**» أنقاضاً «**تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ**» قيل: دغلاً وخيانةً وخديعةً، وقيل: مكراً وغلاً وغشاً، وقيل: لا تنقضوا الأيمان طمعاً في مال أو حرصاً في عز أو كثرة عدد، فهو عام، وقيل: كانوا يحلفون فإذا وجدوا حلفاً أكثر وأعز نقضوا الأول وحالفوا الأكثر، عن مجاهد، وقيل: كانوا يحلفون وداخل القلب على ترك الوفاء خلاف الظاهر «**أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ**» أي: تكون جماعة هي أكثر من جماعة أكثر عدداً فتحلفون معهم وتنقضون الأيمان لبعض هذه الأمور، وقيل: لا تنقضوا الأيمان إذا رأيتم عدد الأعداء أكثر كما فعلت قريظة والنضير حالفوا رسول

(١) وقد جعلتم. . . أبي علي: ـ، و.
(٢) وكيل: ووكيل، د.
(٣) منكم: مسلم، و.
(٤) لا: ولا، د.
(٥) كانت من قريش: من قريش كانت، د.
(٦) ناقض: ناقضي، د.
(٧) الشبه: التشبيه، د.

الله ﷺ ونقضوا عهده لما رأوا كثرة[1] الأعداء، وقيل: لا تدخلوا الحلف بينكم ليطلب بعضكم على بعض الفضل، أي: لا يحلف بعضكم لبعض على مال يصير له فيفوز به طلباً لزيادة المال على ماله كقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [**البقرة**: ١٨٨]، عن أبي مسلم. «**إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ**» أي: يختبركم بالوفاء بالعهد، ومعناه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بالعمل، وقيل: يخبركم[2] باختلاف أحوالكم بالغنى والفقر وقلة العدد بكثرتهم، عن أبي مسلم، وقيل: يختبركم بقلتكم وكثرة عدوكم فتصبروا، عن الأصم، وقيل: يشدد[3] عليكم في الأيمان كيلا تنقضوا طمعاً ومداراة لذي مال أو جاه، عن أبي علي. «**وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» أي: يخبركم بحقيقة «**مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**» من المحق والمبطل، وهذا وعيد «**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**» أي: لو شاء الله لألجأكم[4] فتصيروا على مذهب واحد لا تختلفون في شيء لأنه قادر على ذلك، ولكن يريد أن تؤمنوا باختياركم لئلا يفوت الغرض بالتكليف وهو التعريض للثواب، وقيل: لأدخلكم جميعاً الجنة «**وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**» قيل: يعاقب من يشاء، أي: يكلف ليظهر الضال من المهتدي «**وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**» يعني: تسألن[5] يوم القيامة عن أعمالكم وتجازون عليها.

ثم أكد بما تقدم من النهي عن نقض الأيمان، فقال سبحانه: «**وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ**» قيل: تدخلون اليمين في تضاعيف كلامكم مخافة الحنث، وقيل: لا تتخذوا الأيمان مكراً وخديعة[6] وفساداً لأنهم يسكنون إلى ذلك ثم ينقضوه[7] «**فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا**» قيل: فتهلكوا بعدما كنتم آمنين بثبوت القدم عبارة عن الأمن، وزوالها عن الهلاك، وقيل: هو كناية عن إحباط العمل والثواب بعد استحقاق الثواب، فثبوت

---

(١) كثرة: أكثر، د.
(٢) يخبركم: يختبركم، د.
(٣) يشدد: شدد، د.
(٤) لألجأكم: لأنجاكم، د.
(٥) تسألن: يسألون، د.
(٦) مكراً وخديعة: خديعة ومكراً، د.
(٧) ينقضوه: ينقضونهم، د.

القدم[1] عبارة عن قبول العمل واستحقاق الثواب، عن أبي علي، وقيل: فيفارق الدين الذي دخلتم فيه لمفارقتكم[2] أحكامه، عن أبي مسلم. «**وَتَذُوقُوا السُّوءَ**» أي: العذاب «**بِمَا صَدَدْتُمْ**» قيل: بصدكم وإعراضكم، وقيل: بمنعكم غيركم عن الدين «**عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**» أي: دينه[3] الذي دعاكم إليه، عن أبي مسلم. «**وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» وهو عذاب النار نعوذ بالله منه.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب الوفاء بالعهد، فيدخل[4] فيه الفرائض وما يوجبه الإنسان على نفسه بالأيمان[5] والمعاهدة مع الغير والعقود، فيجب الوفاء بالجميع.

قال علي بن موسى القمي: وتدل على أن العهد يمين، وروي ذلك عن الحسن وجماعة من السلف.

وتدل على أن العبد بعد العهد يصح منه الوفاء والنقض، وإذا نقض فهو فعله، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

وتدل على أن الأيمان تؤكد بغيره، وذلك إنما تؤكد بصفات الله تعالى وأسمائه.

وتدل على النهي على نقض العهد للاغترار بعدد أو مال ثقة بالله وتوكلاً عليه.

وتدل على أن الخلق يسألون[6] عن أعمالهم، ويكون ذلك سؤال توبيخ لا سؤال تعريف.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم من وجوه:

---

(١) القدم: العمل، و.
(٢) لمفارقتكم: لمخالفتكم، د.
(٣) دينه: دينكم، و.
(٤) فيدخل: ويدخل، د.
(٥) بالإيمان: والأيمان، د.
(٦) يسألون: تسأل، د.

منها: الوفاء ونقضه، وقوله: ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ وقوله: ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقوله: ﴿صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ولو كان خلقاً لله تعالى لما صح شيء من ذلك لاستحالة أن يخلق هو ويسأل[1] غيره لماذا كان ما خلقت.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾

۞ القراءة

قرأ ابن كثير ويعقوب: «**وما عند الله باق**» وفي (حم المؤمن) «**ما لكم من الله من واق**» بالياء في الوقف، والباقون بحذفها في الوقف، وإذا وصلوا نونوا[2] من غير خلاف ولا يجوز غيره، فالإثبات على الأصل والحذف للتخفيف.

وقرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم: «**ولنجزين الذين صبروا**» بالنون على الإضافة إلى نفسه تفخيماً، والباقون بالياء ترجع الكناية إلى اسم الله تعالى في قوله: «**وما عند الله باق**».

۞ اللغة

النفاد: الفناء نفد الشيء ينفد نفاداً فني، وأنفد القوم: فني زادهم، وخصم منافد إذا خاصم حتى نفد حجته، ونافدت الرجل مثل حاكمته، وهو يرجع إلى أن يريد كل واحد منهما إنفاد حجة الآخر، ومنه الحديث: «إن نافدتهم نافدوك» ومن الناس من يقول بالقاف، يعني إن قلت قالوا لك.

---

(١) ويسأل: تسأل، د.

(٢) نونوا: ـ ، د.

والباقي: هو الموجود المستمر وجوده، وقيل: الموجود عن وجود من غير فصل، وضده الفاني وهو المعدوم، واختلفوا في الباقي، فقيل: يبقى ببقاء، عن أبي القاسم، وقيل: لا يحتاج إلى معنى به يبقى وإنما هو استمرار(١) الوجود، عن أبي علي، وأبي هاشم، واختلفوا في الجوهر(٢)، فقيل: يبقى، عن أكثر المفسرين، وقيل: لا يبقى كله، عن أبي هاشم، وقيل: يبقى كله، عن الحشوية. وقيل: بعضه يبقى وبعضه لا يبقى، عن مشايخنا، ثم بينهم اختلاف في تفاصيله.

۞ الإعراب

«**من عمل**» شرط، وجوابه: «**فلنحيينه**».

«**وهو مؤمن**» يحتمل أن يكون محله نصبا على الحال بتقدير: من عمل صالحاً في حال إيمانه، وقيل: يحتمل الرفع على تقدير: من عمل صالحاً وهو مؤمن.

«**وأحسن**» قيل: نعت للعمل، وقيل: للأجر، وكسر بـ «**أحسن**» لأن أفعل إذا أضيف انصرف تقول: مررت بأحمركم، وإنما أخبر عنهم مرة بلفظ الجمع ومرة بلفظ الواحد، لأن (من) اسم مبهم يجوز أن يعنى به الواحد ويجوز أن يعنى به الجماعة، عن أبي علي.

۞ النزول

قيل: كان بين رجلين منازعة في أرض، فتحاكما إلى النبي ﷺ، «فقضى باليمين على أحدهما»، فقال الآخر: ما يبالي(٣) الفاجر أن يحلف، فقال: «ما(٤) لك إلا يمينه إن لم تكن لك بينة براً كان أو فاجراً»، قال: فأَحْلفه، فنزل: «**ولا تشتروا...**» الآية، فتلاها عليهما فقال المطلوب: الأرض أرضه، حكاه الأصم.

---

(١) استمرار: استمراره، د.
(٢) الجوهر: الجواهر، د، و.
(٣) مايبالي: منهم لا يبالي، د.
(٤) ما: ـ ، د.

وقيل: جلس ناس من أهل التوراة وأهل الإنجيل وأهل الأوثان، فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل، فأنزل الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية، عن أبي صالح.

۞ المعنى

لما تقدم النهي عن نقض العهد أكده بالنهي عن نقضه لغرض[1] يأخذه، فقال سبحانه: «**وَلاَ تَشْتَرُوا**» ولا تستبدلوا «**بِعَهْدِ اللَّهِ**» قيل: عهده ما أمر به من التناصر والتعاون والعمل بطاعته، أي: لا تأخذوا على ذلك شيئاً من دنياكم فإنه قليل في جنب ما فاته من الثواب الدائم، عن أبي مسلم، وقيل: لا تحلفوا كاذبين لتأخذوا عرضاً من أعراض الدنيا، عن أبي علي، وقيل: لا تنقضوا عهودكم التي تعاهدون تبتغون بنقضها «**ثَمَنًا قَلِيلاً**» من مال أو زيادة عدد على ما تقدم «**إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**» يعني ما يعطيكم الله مما أعد لكم على الوفاء بالعهد جزاء «**خَيْرٌ لَكُمْ**» من حطام تجمعونه «**إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**» فضل ما بين العوضين، وقيل: إن كنتم تعلمون أن الآخرة حق، عن الأصم، وقيل: إن كنتم تعلمون أن ذلك على ما نبينه لكم، عن أبي علي.

ثم بين فضل ما بينهما، فقال سبحانه: «**مَا عِنْدَكُمْ**» من الدنيا «**يَنفَدُ**» أي: يفنى وينقطع «**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ**» من الثواب يبقى، وإنما لا ينفد حث على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة «**وَلَنَجْزِيَنَّ**» أي: لنكافئن «**الَّذِينَ صَبَرُوا**» قيل[2]: على الوفاء بالعهد في السراء والضراء، وقيل: صبروا على تحمل المشاق في الإقدام على طاعته والانتهاء عن معاصيه، وقيل: صبروا فلم يحلفوا بالباطل وردوا الحق إلى أهله، عن الأصم. «**أَجْرَهُمْ**» جزاءهم «**بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» قيل: الأحسن نعت لعمله أن يجازيهم على أحسن أعمالهم وهو حسناتهم، عن الأصم، وأبي علي. وهو الواجبات والمندوبات دون المباحات، فإنه لا جزاء فيها، وقيل: هو نعت للأجر؛ يعني نجازيه ذلك الأجر أحسن من عمله، لأن الثواب لا يوازنه شيء «**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا**» أي: طاعة

---

(١) لغرض: بغرض، د.

(٢) قيل: ـ، د.

«مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ» قيل: العمل الصالح: الطاعات[1]، والإيمان: هو التصديق، وقيل: أراد كمال الإيمان لمجانبة الكبائر، وقيل: أراد أن العمل الصالح لا يستحق به[2] الثواب إلا بشرط الإيمان والمعرفة «فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً» قيل: الرزق الحلال، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعطاء، وقيل: العيش في الطاعة، عن مقاتل، وقيل: رزقاً من غير مشقة ولا تبعة، وقيل: التوفيق للكسب الحلال، وقيل: القناعة والرضى عن الله في العسر[3] واليسر، عن الحسن، وقيل: هي الجنة والثواب الدائم، عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، والحسن، والأصم، وهو اختيار القاضي، قال الحسن: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة، وقيل: حياة طيبة في القبر، وقيل: الحياة الطيبة الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الله تعالى، وقيل: حياة المؤمن طيبة، لأنه أبداً يكون[4] راضياً بعيشه حامداً لله، وغير المؤمن يطيح إلى الحرام، ويتعب نفسه فيه، ولا يرضى بالمقسوم، وقيل: لأن المؤمن يستشعر ما أعد الله له فيتسلى عن غموم الدنيا، وقيل: لأن حياته مقرونة بالأصل في النجاة[5] واستحقاق الثواب، وحياة الكافر مقرونة بالخيبة «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» قد مر تفسيره، وقيل: كرره تأكيداً، وقيل: الأول للصابرين على الوفاء بالعهود، والثاني على العمل بالطاعات.

۞ الأحكام

تدل الآية على النهي عن أخذ العوض في الدنيا في شيء من أمور الدين، فيدخل فيه الأيمان الكاذبة، والرشى في الحكم، وإيثار البدع للبيع، والشهادة بالزور لعوض.

وتدل على عظم حال الثواب، فلا نعمة أجل منه، فقد اجتمع فيه خصال كلها مطلوبة لا تجتمع في شيء:

---

(١) الطاعات: والطاعات، و.

(٢) به: بها، و.

(٣) العسر: العسرة، د.

(٤) يكون: يكون حامدا لله، و.

(٥) النجاة: التجارة، و.

فمنها: النعمة.

ومنها: كثرتها.

ومنها: دوامها حتى لا ينقطع الثواب ولا يموت المثاب.

ومنها: الخلوص من الشوائب.

ومنها: التعظيم المقارن لها.

ومنها: الأمن عن تغيير الأحوال في[1] النعم، والمثاب بالشيب والمرض.

ومنها: أن جميع ذلك في الحال ودائماً ومعلوم كونه غير مظنون.

ومنها: أنها مستحق.

ومنها: قدرة من يصل إليه ذلك من جهته وعلمه بتفاصيله وحكمته حتى لا ينتقص شيء.

ومنها: المكان المهيأ[2].

ومنها: الرفقاء إلى غير ذلك.

وتدل على عظيم[3] محل الصبر في الدين وهو على وجوه: على الطاعة، وعن المعصية، وفي كظم الغيظ ومعاملة الناس، والكف عن الأذى وغير ذلك خصوصاً في الصبر على الدين مع قتل المخالفين.

وتدل على أن الثواب يستحق بالإيمان والعمل الصالح وغير ذلك خصوصاً في الصبرعلى الدين خلاف قول المرجية، ولولا ذلك لكان شرطه لغواً.

وتدل على أنه جزاء على العمل خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الصبر والعمل الصالح فعلهم ليس بخلق لله[4] تعالى.

(١) في: ومنها، د.
(٢) المهيأ: النهي، د.
(٣) عظيم: عظم، د.
(٤) لله: الله، د.

قوله تعالى:
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾

اللغة

الاستعاذة: طلب المعاذ، وهو المفزع والملجأ، وهو استفعال من العوذ، يقال: عذت عياذاً ومعاذاً وعوذاً، أي: لذت، والمعاذ والعوذ: هو ما عذت به، أي: لجأت إليه، يقال: عوذي ومعاذي، والله تعالى معاذ من عاذ به، ومنه قول النبي ﷺ للمرأة التي قالت: أعوذ بالله منك: «لقد عذت بمعاذ فالحقي بأهلك».

والرجيم: المرجوم، فعيل بمعنى مفعول، والرجم: الرمي بالحجارة وبالشتم.

والسلطان: الحجة، والسلطان: القاهر الغالب، وقيل: أصله السلاطة من التسلط[1] وهو القهر ثم سمي الحجة سلطاناً، لأنه يقهر الخصم به، وقيل: اشتقاقه من السليط، وهو دهن الزيت، سميت الحجة سلطاناً لإضاءته، ومنه حديث ابن عباس: (رأيت علياً وكأن عينيه سراجاً سليط)، والسليط: الرجل الفصيح، لأنه يأتي بحجته.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: تتصل بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾ ثم اعترض الأمر والنواهي وعاد الكلام إلى ذكر القرآن، وأمر بالاستعاذة عند قراءته.

وقيل: بل يتصل بما قبله، لأنه أمر بطاعته، فعقبه بالاستعاذة من الشيطان الآمر بمعصيته، وحذره عن كيده ووسوسته، عن الأصم، وإنما خص القرآن لأنه العمدة في الدين.

---

(١) التسلط: التسليط، د.

۞ المعنى

«فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ» قيل: أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾ [المائدة: ٦]، عن أكثر المفسرين، وقيل: معناه إذا كنت قارئاً للقرآن فاستعذ، عن ابن جرير، وقيل: هو على التقديم والتأخير، يعني استعذ بالله إذا قرأت القرآن، والأول الوجه، وعليه أكثر المفسرين. «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» أي: اطلب الملجأ من الله، وافزع إليه حتى تتخلص من السهو والغفلة والأفكار الفاسدة «مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» قيل: اللعين، قيل: المبعد من الرحمة، وقيل: المرمي بالشهب «إِنَّهُ» يعني الشيطان «لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ» قيل: حجة، عن مجاهد، وقيل: طريق يتسلط به عليه «عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» يتقون به.

ومتى قيل: الاستعاذة بالله والتوكل عليه سواء، فلم عطف أحدهما على الأخرى؟

قلنا: أمر الرسول بالاستعاذة، ثم قطع بأنه لا سلطان له على المتوكل عند القراءة وغيرها ترغيباً في الاستعاذة والتوكل.

وقيل: أمر بالاستعاذة عند القراءة، ثم حث على التوكل في جميع الأمور.

وقيل: لاختلاف اللفظين، ولأن التوكل أعم.

«إِنَّمَا سُلْطَانُهُ» قيل: قوته، وقيل: حجته «عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» قيل: يتولون الشياطين باتباعهم واتباع أمرهم، والقبول منهم «وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» قيل: الذين هم بالله مشركون، عن الضحاك، والربيع، واختيار القاضي، و(به) كناية عن اسم الله تعالى، وقيل: (به) كناية عن اسم[1] الشيطان، يعني الذين هم بالشيطان مشركون، واختلفوا في معناه، فقيل: الذين هم بطاعته فيما يدعو إليه من عبادة الأوثان مشركون[2]، وقيل: الذين هم من أجله وبسببه[3] مشركون.

---

(١) اسم: ـ، و.

(٢) واختلفوا في معناه... مشركون: ـ، و.

(٣) وبسببه: ـ، د.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن، وفي جميع الأحوال.

وتدل على أن العبد فاعل في الحقيقة، لأن فعله وفعل الشيطان لو كانا خلقاً لله تعالى وموجباً[1] عن القدرة، أو عن إرادته تعالى على ما تزعمه المجبرة، لكان أحق من يستعاذ منه هو الله تعالى، لأنه يخلق الوسوسة في الشيطان، ويخلق الإجابة والمعصية في الإنسان، فتكون الاستعاذة منه عبثاً، لأن الشيطان ليس إليه شيء.

ويدل قوله: ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ على بطلان قولهم: إن الشيطان يصرع ويتخبط ويتمكن من ذلك، على ما جوزه الحشوية، وقد وافقهم على ذلك أبو الهذيل، وأبو بكر أحمد بن علي من أصحابنا.

وتدل على أن من استعاذ بالله فلا سلطان له عليه، لأنه بلطفه يحفظه عن وساوسه، وإنما سلطانه على من يتبعه.

۞ مسائل في التعوذ

منها: أن التعوذ سنة عند القراءة في الصلاة، وخارج الصلاة عند أكثر العلماء، وقال مالك: لا يتعوذ إلا في قيام رمضان.

ومنها: التعوذ سنة قبل القراءة عند أكثر العلماء[2]، وقال أبو هريرة: بعد القراءة، وهو قول داود ومالك.

ومنها: التعوذ في الصلاة قال أصحابنا: مرة واحدة، وقال ابن سيرين: في كل ركعة.

---

(١) وموجبا: أو موجباً، د.

(٢) العلماء: الفقهاء، د.

ومنها: محل الاستعاذة، فأكثر الفقهاء أنه بعد التكبير عند القراءة، وقال الهادي عليه السلام[1]: قبل التكبير.

ومنها: صفة الاستعاذة، فعند علمائنا يخفيه وهو قول الأكثر، ومذهب ابن مسعود وابن عمر، وعن أبي هريرة أنه يجهر به، وهو قول الشافعي.

فأما لفظ[2] الاستعاذة، فقد بينا في أول الكتاب، والذي تشهد له الآية، قراءة عاصم وأبي عمرو (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**) وهو مذهب الأكثر، ومذهب ابن مسعود ووكيع بن الجراح وسفيان الثوري، وقيل: (**أعوذ بالله العظيم من الشيطان [الرجيم]**) مكي، (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم**» مدني وشامي، والكسائي (**نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم**). حمزة: (**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**).

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**يلحدون**» بفتح الياء والحاء، وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء، وهما لغتان لحد يلحد، وألحد يلحد.

---

(١) عليه السلام: ـ ،و.

(٢) لفظ: لفظة، د.

۞ اللغة

التبديل: رفع الشيء ووضعه غير موضعه، وقد يكون التبديل بمعنى الصفة، بدله تبديلاً، وأبدله إبدالاً، واستبدل به استبدالاً.

والآية: العلامة والحجة، وجمعه: آيات.

والإلحاد: الميل عن الصواب، ومنه قيل لمن يميل إلى التعطيل: ملحد، ومنه: اللحد لميله إلى جانب[1] القبر.

والعجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً. والأعجمي: الذي لا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والأعرابي: البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن فصيحاً.

واللسان: العضو المعروف، ويقال للغة العرب: لسان العرب، يعني يتكلمون بلسانهم، وتقول العرب للقصيدة: هذه لسان فلان، قال الشاعر:

لسان السوء تهديها إلينا ... وحنت وما حسبتك أن تحينا

واللسن: الفصاحة، واللسن: اللغة.

والافتراء: الكذب، وأصله من الفري وهو القطع لإصلاحه، فريت الشيء أفريه فرياً، قال ابن السكيت: فرى: جوّد[2]، وأفريته: أفسدته، وفلان يفري الفرى إذا كان يأتي العجب، والفري: البهت والدهش.

۞ النزول

قيل: إن المشركين قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم غداً، ما هو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍۙ﴾.

وقيل: قالوا: إنما يعلم هذا القرآن أعجمي فنزل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾.

---

(١) لميله إلى جانب: في جانب، و.

(٢) جود: جور، د.

۞ النظم

ذكر أبو مسلم في اتصال ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ﴾ بما قبله وجهين:

أحدهما: أن يكون تمام أولياء الشيطان المذكور في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ وتقديره: يتولون الشيطان ويشركون بالآية، ويقولون عند تبديل الآية: إنما أنت مفتر.

وثانيها: أن يكون منقطعاً عما قبله مقطوعاً على الآي المتقدمة التي فيها وصف أفعال الكافرين وضروب كفرهم وافترائهم، قال: والأول أقرب وإن كان الوجهان جائزين.

۞ المعنى

«**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ**» قيل: نسخنا حكم آية أخرى لما في النسخ من المصلحة، وقيل: إذا نسخنا آية فرفعنا تلاوتها وحكمها بآية أخرى نثبت تلاوتها وحكمها، وقيل: هي الشريعة التي هي معمولاً بها[1] في أهل الكتب المتقدمة، فأتى الله تعالى في هذا الدين وعلى لسان النبي ﷺ بغيرها بدلاً منها ناسخاً لها، عن أبي مسلم، وإنما بناها على أصله أن النسخ في القرآن وأحكامه لا يجوز «**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ**» يعني: أعلم بما يصير[2] وينزل، فيأمر بما هو أصلح لخلقه[3]، وينهى عما يكون فيه مفسدة «**قَالُوا**» يعني المشركين «**إِنَّمَا أَنْتَ**» يا محمد «**مُفْتَرٍ**» كاذب أن هذا من عند الله، قيل: قالوا ذلك إنكاراً للنسخ، ولأنهم لم يعلموا الفرق بين البدا والنسخ، وتوهموا أن ذلك هذا فنسبوه إليه «**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**» أي: ليس كما قالوا، ولا التكذيب إلا لجهلهم، ولو علموا الحقيقة لما كذبوا، وهؤلاء الأكثر المقلدة، والأقل علموا وعاندوهم، وهم الرؤساء، عن أبي مسلم، وقيل: «**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**» أن الله أعلم بالمصالح، وقيل: أكثرهم لا يعلم حقيقة القرآن والناسخ والمنسوخ «**قُلْ**» يا محمد «**نَزَّلَهُ**» يعني: القرآن وتبديل الآيات «**رُوحُ الْقُدُسِ**» جبريل، وسماه روحاً؛ لأن

---

(١) معمولا بها: معمولاتها، د.

(٢) يصير: يضر، و.

(٣) لخلقه: بخلقه، د.

الروح به تحيا، كما أن الإنسان يحيا بالروح، وسماه روحاً لطهارته وعصمته، وقيل: لأنه خلق الريح[1] «مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» يعني :أراد به[2] الحق قولاً وفعلاً وحجة للمؤمنين، ولم يرد به الباطل، ولا أن يكون حجة للكفار «لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا» أي: يكون لطفاً لهم، وتقوية لقلوبهم فيتثبتون[3]، وقيل: يزيدون تصديقاً ويقيناً، وقيل: قد يكون الثاني أخف فيكون أقرب إلى الثبات، كقوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦]، «وَهُدًى» أي: دلالة على الحق وما يحتاج إليه من أمور الدين «وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» يبشرهم بالجنة إذا ثبتوا على الإسلام «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ» يعني المشركين «يَقُولُونَ» لك يا محمد «إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ» يقيم بعلمه[4] هذا القرآن «بَشَرٌ» أي: آدمي مثله وليس هو من عند الله ولا كلامه، واختلفوا في ذلك البشر فقيل: نصراني أعجمي كان بمكة يسمى بلعام، ربما قعد إليه النبي ﷺ فقالوا: يعلمه بلعام، فنزلت الآية، عن ابن عباس، وقيل: غلام لبني المغيرة يسمى يعيش، وكان يقرأ الكتب، فقالوا: يعلمه يعيش، فنزلت الآية، عن قتادة، وعكرمة، وقيل: غلام رومي نصراني لبعض بني الحضرمي يسمى حُبر وكان يقرأ الكتب، وكان يجلس عند المروة فقالوا: يعلمه حبر، عن ابن إسحاق، قيل: كان عبدان يسمى أحدهما بشار ويكنى أبا وكيهة، والآخر حبر، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل، وربما يقف النبي ﷺ فيستمع ما يقرآن، فقالوا: يتعلم منهما، فنزلت الآية، عن الضحاك، وقيل: كان بمكة رجل نصراني يكنى أبا ميسرة يتكلم بالرومية، ربما قعد النبي ﷺ، فقالوا: يتعلم منه، فنزلت الآية، عن السدي، وقيل: أرادوا أقواماً من اليهود والنصارى، عن أبي علي، وقيل: قالوا: يعلمه سلمان الفارسي، عن الضحاك، وقيل: هذا لا يصح، لأن الآية مكية وسلمان أتاه بالمدينة، فقال تعالى مكذباً لهم: «لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ» قيل: يميلون إليه بأنه يعلم محمداً ويشيرون عليه، وقيل: يضيفون التعليم إليه «أَعْجَمِيٌّ» أي[5]: لا يفصح،

---

(١) الريح: ـ، و.
(٢) أراد به: إرادة، و.
(٣) فيتثبتون: ويتثبتون، د.
(٤) بعمله: تعليمه، د.
(٥) أي: ـ، د.

وقيل: لسانه أعجمي ليس بعربي «وَهَذَا» يعني القرآن «لِسَانٌ عَرَبِيٌّ» أي: بلغة العرب «مُبِينٌ» أي[1]: فصيح مبين، يعني إذا كانت العرب تعجز عن مثله مع فصاحتهم، وأنه بلغتهم فكيف يأتي الأعجمي بمثله.

ثم أتبع بذكر الوعيد لهم على ما قالوا، فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ» [لا] يصدقون «بِآيَاتِ اللَّهِ» قيل: بالقرآن، وقيل: بما يتجدد من الشرائع الناسخة، وقيل: بحججه، عن الأصم. «لاَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ» قيل: لا يهديهم إلى الجنة والثواب، وقيل: لا يحكم بهدايتهم، وقيل: لا يلطف لهم، كما يلطف للمؤمنين، كقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] وإنما لا يفعل لأنه لا لطف لهم «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أي: مؤلم، وهو[2] عذاب النار.

ثم بين تعالى أنهم المفترون دون النبي ﷺ رداً عليهم، وجواباً عن مقالتهم، فقال سبحانه: «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ» بالآخرة «بِآيَاتِ اللَّهِ» يعني من لا يؤمن لا يمتنع عن الكذب، لأنه لا يردعه[3] عنه إيمان بالجزاء، عن أبي علي، وقيل: الكذب أخلق بهم وأولى منه بمحمد ﷺ وهم كفار، وهو رسول الله ﷺ معصوم، والله تعالى لا يظهر المعجزات على كذاب، فكما أنهم أولى بالكفر فكذلك بالكذب، وقيل: أهل الفرية من يزعم أن لله تعالى[4] نداً وشريكاً دون من يزعم أنه واحد لا شريك له «وَأُوْلَئِكَ» يعني: هؤلاء الذين نسبوا النبي ﷺ إلى الكذب «هُمُ الْكَاذِبُونَ» فيما زعموا، لا[5] محمد صلى الله عليه[6] فيما يدين به.

۞ الأحكام

تدل الآية على حدث القرآن لولاه لما صح التبديل.

(١) أي: ـ ، د.
(٢) وهو: ولهم، و.
(٣) لا يردعه: لا يورعه، د.
(٤) تعالى: ـ ، د.
(٥) لا: قالوا لا، د، قال لا، و.
(٦) صلى الله عليه: ـ ، د.

وتدل على صحة النسخ، وهو على ثلاثة أوجه: رفع التلاوة والحكم، ورفع الحكم دون التلاوة، ورفع التلاوة دون الحكم، والأصل فيه العلم بالمصالح.

وتدل على صحة الحجاج في الدين، لأن قوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ حجاج، وكذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾.

وتدل على أن الكذب طريقة أهل الكفر وأهل البدع دون المؤمنين، وأي فرية أعظم من قول من يقول: إن كل كفر وقبيح من خلق الله تعالى وإرادته وقضائه، وأنه يأمر بالإيمان ويمنع منه ولا يريده، ولا يعطي القدرة، وينهى عما يريده، وأنه يخلق شيئاً ثم يأمر العبد بإبطاله والإمكان، فإذا كان لم يمكنه الانفكاك عاقبه تعالى[(١)] الله عن ذلك، كذلك من رمى النبيين[(٢)] والملائكة بالأفعال القبيحة، فأما أهل العدل فقد نزهوا الله عن كل سوء وقبيح وصفة لا تليق به، وقالوا بعصمة أنبيائه وملائكته، وأضافوا إلى الله كل نعمة، فهم الصادقون في صفة الله تعالى، ومن خالفهم مفتر[(٣)]، ثم بين تعالى أنهم المفترون وذمهم به وأوعد على[(٤)] أنه لم يخلقه فيه ولا أراده.

قوله تعالى:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

---

(١) تعالى: يتعالى، د.
(٢) النبيين: الناس، د.
(٣) مفتر: مفتري، و.
(٤) على: ـ، و.

۞ اللغة

الكره بالضم: المشقة، والكره بالفتح: ما أكرهت عليه، ويجوز الضم في معنى الفتح، فيكونان لغتين، والاختيار الأول، يقال: كرهت الشيء كَرهاً وكُرهاً بفتح الكاف وضمها، وكراهة وكراهية، وأكرهته عليه إكراهاً إذا حملت عليه[1] ما يكره، وأصل الباب: الكراهة، جنس من الأعراض يضاد الإرادة، والله تعالى مريد بإرادة لا في محل، كاره بكراهة لا في محل، وفي الواحد منا محلها[2] القلب.

الطمأنينة: السكون يقال: اطمأن الشيء إذا سكن، وطامنته سكنته، واطمأن بالمكان.

والطبع: الختم، والطابع: الخاتم يختم به، بفتح الباء والطاء، وبكسرالباء الذي يختم به.

۞ الإعراب

يقال: أين جواب قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ ؟ وجواب قوله: ﴿مَّن شَرَحَ﴾ وكلاهما شرط؟

قلنا: قيل: جوابهما جميع في ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾ لأنهما جوابان اجتمعا، أحدهما منعقد[3] بالآخر، فجوابهما واحد، وهذا كقولهم: من يأتنا من[4] يحسن نكرمه، يعني من يحسن ومن يأتنا نكرمه، وهذا قول الكوفيين.

وقيل: بل قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ مرفوع بالرد على (الذين) في قوله: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ومعنى الكلام[5]: إنما يفتري الكذب من كفر بالله[6]، ثم استثنى ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾، وهذا قول البصريين.

---

(١) عليه: على، د.
(٢) محلها: محلهما، و.
(٣) منعقد: معتقداً، د.
(٤) من: فمن، د.
(٥) الكلام: الكذب، و.
(٦) بالله: ـ، و.

ويقال: ما موضع (أنهم) في قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ﴾ من الإعراب؟

قلنا: يحتمل وجهين: النصب، والرفع، والنصب[1] بمعنى لا بد[2] من ذا، ويجوز على جرم فعلهم أن لهم النار، أي: قطع بذا، وأصله الرفع على وجب قطعاً أن لهم النار، و(لا) صلة أو رداً للكلام[3].

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ و﴿مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ في عبد الله بن سعد[4] بن أبي سرح، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ في عمار بن ياسر.

وقيل: نزلت في جماعة أكرهوا، وروي أن عماراً وياسراً أباه وأمه سُمَيّة، وصهيباً، وبلالاً، وخباباً أخذوا وعذبوا، فأما أبو عمار [وأمه] فقتلا، وأما هو فأعطاهم ما أرادوا منه بلسانه، ثم أخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال[5] [قوم]: أكفر عمار، فقال: «كلا إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه»، وجاء عمار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فنزلت الآية، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: أحد بنو المغيرة، عن قتادة.

وقيل: نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم[6] قريش وفتنوهم فكفروا كارهين، عن مجاهد.

وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة، آمن وهاجر وكان برّاً بأمه، فحلفت لا تأكل خبزاً حتى يعود ابنها، فقدم عليه رجلان وأخبراه[7] بذلك، فأراد أن ينصرف فنهاه عمر، فأبى وخرج، فلما كان ببعض الطريق عذبه من أخبره بقول أمه، وكان

(١) والنصب: فالنصب، د.
(٢) لا بد: لا بد أي لا، د.
(٣) للكلام: لكلام، و.
(٤) سعد: سعيد، د.
(٥) فقال: كتب فوقها: فقيل، د.
(٦) فأدركتهم: فأدركهم، د.
(٧) وأخبراه: فأخبراه، د.

يسمى فرعون، وما زال به حتى أعطاهم بلسانه، ورجع، ففيه نزلت الآية، عن ابن سيرين.

وقيل: نزلت في جابر مولى عامر بن الحضرمي، أكرهه سيده على الكفر فكفر ثم أسلم مولاه، وحسن إسلامهما، وهاجر مع سيده، عن مقاتل.

وقيل: إن ياسر وسُمَيّة أبوا عمار أول شهيدين في الإسلام.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: قال أبو مسلم، قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ عائداً على المضمرين في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾، والمراد أهل الكتاب الذين أنكروا نسخ شرائعهم بعد أن كانوا يعرفون محمداً، قال: ويحتمل أن يكون عاماً في جميع الكفار، وقيل: إنه يتصل بقوله: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ﴾.

۞ المعنى

«**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ**» أي: من ارتد عن دين الله ـ يعود إليه[1] ـ بعد ما قبله ودخل فيه، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: من كفر بالله وشرح بالكفر صدراً فعليهم غضب، ثم استثنى، فقال: «**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ**» على الكفر فكفر بلسانه، فحذف وقدم وأخر لدلالة الكلام عليه «**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**» يعني ساكن القلب إليه معتقداً له فلا حرج عليه، فحذف لدلالة الكلام عليه «**وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا**» يعني يقبل الكفر بقلبه، مختاراً أو يعتقده تديناً[2]، ويتوسع قلبه استحباباً، فهذا شرح الصدر بالكفر «**فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ**» أي: عقابه وإرادة عقابه «**وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» في النار «**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ**» يعني من شرحوا صدورهم بالكفر «**اسْتَحَبُّوا**» اختاروا وآثروا «**الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**» وملاذها ونعيمها «**عَلَى الآخِرَةِ**» وثوابها يعني على الإيمان الذي هو

---

(١) إليه: الله، و.

(٢) تدينا: ديناً، د.

سبب نيل الثواب في الآخرة «**وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**» قيل: لا يثيبهم، وقيل: لا يحكم بهدايتهم، عن الأصم، يعني لا يحكم بأنهم يهتدون، وهم ضلال كفرة، وقيل: لا يلطف لهم كما يلطف للمؤمنين «**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**» قيل: جعل عليها علامة الكفر[1] لتراها الملائكة، وتلعنهم، وقيل: شبههم بالأصم الأعمى، وأنهم بالغفلة صاروا كالمطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وقيل: خلى بينهم وبين كفرهم حتى صاروا كالمطبوع على قلوبهم «**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**» قيل: بمنزلة الغافلين ذماً لهم وتهجيناً، وقيل: لجهلهم[2] عما يؤدي إليه حالهم صاروا غافلين، وإن كانت[3] الخواطر ترد عليهم «**لاَ جَرَمَ**» قيل: حقاً أن لهم النار في الآخرة، وقيل: كسب فعلهم لهم النار في الآخرة، وقيل: وجب لهم أنهم[4] في الآخرة «**هُمُ الْخَاسِرُونَ**» خسروا أنفسهم، وأوبقوها بعذاب الله تعالى، وخسروا[5] أموالهم بأن سلبوها، عن الأصم، وقيل: هم المعذبون، إذ حرموا الجنة ونعيمها وعذبوا في النار، عن أبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن من أكره على إظهار كلمة الكفر فأظهرها[6] لا حرج عليه.

وتدل على أن ما يقع عليه الإكراه من الفعل يكون كفراً، فيبطل قول من يقول: لا يدخل الكفر إلا في أفعال القلوب.

وتدل على أن الإيمان يكون في القلب خلاف قول من يقول: إنه قول، وكذلك الكفر، ولذلك وصف بالطمأنينة[7] في الإيمان.

---

(١) الكفر: للكفر، د.
(٢) لجهلهم: بجلهم، د.
(٣) كانت: كان، و.
(٤) أنهم: ـ، و.
(٥) وخسروا: خسروا، د.
(٦) فأظهرها: فأظهره، د.
(٧) بالطمأنية: في الطمأنينة، د.

وتدل على قبح اختيار الدنيا على الآخرة، وأن من فعله خاسر حيث حرم الجنة واستوجب النار الدائمة، نعوذ بالله منها.

۞ مسائل في الإكراه وهي ستة فصول

أما الأول ففيه مسائل:

منها: لا خلاف أن الإكراه يقر التكليف، وإنما اختلفوا في كيفية ذلك، فعندنا الإكراه لا يبيح المحظور، وعند بعضهم يبيح، فأما إذا أكره على الكفر بقتل أو تلف عضو أو ضرب لا يحتمله فله إظهاره بالاتفاق، ثم اختلفوا على ثلاثة أوجه:

قيل: يباح له ذلك الكذب.

وقيل: لا يباح، وهو قبيح، ولكن يصير معذوراً للإكراه.

وقال آخرون: بل الإكراه لا يؤثر في حكم الكذب، إنما يجوز أن يأتي بقول يدفع القتل عن نفسه، ولا يقصد الكفر[1]، فيعرض نحو أن يكره على أن يقول: الله ثالث ثلاثة، فيقول، ويريد أن النصارى يقولون ذلك.

مسألة فإن لم يخطر المعاريض بقلبه، اختلفوا فقيل: يباح له إظهار كلمة الكفر، وقيل: يعذر في إظهاره، وقيل: لا بد أن يتذكر المعاريض، لأنه من كمال العقل، وقيل: الله تعالى يخطر بباله، وإلا كان تكليف[2] ما لا يطاق.

مسألة فإن خطر بباله التعريض فعرض فلا شيء عليه بالاتفاق، وإن[3] لم يعرض كفر، ولزمه أحكام المرتدين، ذكره محمد بن الحسن.

ومتى قيل: فأي تأثير للإكراه؟

قلنا: إظهار هذه الكلمة من غير إكراه كفر في الظاهر، ومع الإكراه ليس بكفر.

---

(١) الكفر: أكثر، د.

(٢) تكليف: يكلف، د.

(٣) وإن: فإن، د.

فإن قيل: أليس أباح ما كان محرماً؟

قلنا: هو أتى بصدق[1] لينجي نفسه إلا أنه في حال الاختيار لا يصدق، والإكراه على المذاهب الباطلة حكمه ما ذكرناه.

فأما الفصل الثاني: صفة المكره، فالأصل أن الأنبياء لا يجوز عليهم التقية في الدين لما فيه من التنفير وفوت المصالح، فإن أكرهوا على الكفر فكفروا[2] فذلك ينفر[3] عنه، والغرض بالبعثة القبول، وإن أكره على ترك الأداء، وكتمان الشرع، فلا يجوز البتة، لأنه يفوت المصالح، وينقض الغرض بالبعثة.

فأما الامام منهم من يجوز عليه التقية، ومنهم من لا يجوز، ومن جوز قال: لا بد من أمارة[4] تدل عليه.

فأما ما تقوله الإمامية في التقية فشيء عظيم يؤدي إلى الشك في الدين لأنهم يجوزون، ولم يظهر هناك أمارة لضرب[5] من النفع، ويجوزون على الأنبياء والأئمة.

وثالثها: صفة المكره، فمنهم من قال: الإكراه لا يصح إلا من سلطان، ومنهم من قال: يصح من كل متغلب، واختلفوا، فالأكثر على أنه إذا ظن أنه يمكنه إيقاع ما أكرهه به يكون إكراهاً، وإن لم يكن كذلك لم يكن إكراهاً.

ورابعها: لا خلاف أن التخويف اليسير ليس بإكراه والكثير إكراه، وقد يختلف فيما يكره عليه، فإن أكره بقتل أو تلف عضو، فهو إكراه في جميع المواضع، وإن أكره بضرب أو حبس ففيه ثلاثة أقوال، قيل: هو إكراه كالقتل، وقيل: ليس بإكراه، كالتخويف اليسير، وقيل: هو إكراه في الأموال كالبياعات والأقارير ونحوها، وليس بإكراه في القتل والكفر[6]، وهو قول أبي حنيفة، وهو الصحيح.

(١) بصدق: أي أصدق.
(٢) فكفروا: فكفر، د.
(٣) ينفر: غفر، د.
(٤) أمارة: إفادة، و.
(٥) لضرب: بضرب، د.
(٦) القتل والكفر: الكفر والقتل، د.

وخامسها: ما يباح وما لا يباح من الإكراه:

أما الكفر فقد بينا ما يباح من إظهاره مع التعريض، فإن ترك ذلك حتى قُتل، فهو أفضل لما فيه من إعزاز الدين.

ومنها: ما فعلها أفضل ويأثم بتركه كشرب الخمر.

ومنها: ما يكره فعلها ويأثم بفعلها، وإن لم يفعل حتى قُتل كان مأجوراً كقتل الغير.

ومنها: ما يستوي فعله وتركه كالإكراه على إتلاف مال الغير.

وسادسها: **ما يقع وما لا يقع**، فالأصل[١] فيه أن الإكراه عندنا يجري كمجرى[٢] الهازل، وكل[٣] موضع يؤثر فيه الهزل يؤثر الإكراه، وكل موضع لا يؤثر الهزل[٤] لا يؤثر الإكراه، وإنما قال مشائخنا ذلك، لأن المكره عدم منه القصد فقط كالهازل، فإذا ثبت هذا فالبيع والأقارير والعقود المالية كلها يؤثر فيه[٥] الإكراه ولا ينبرم، ولكن يقف فإن جاز بعد جواز الإكراه جاز وإلا بطل، وفي النكاح والطلاق والعتاق والأيمان، فقال أبو حنيفة: يقع، وقال الشافعي: لا يقع، وروي عن الشعبي إن كان الإكراه من سلطان يقع، وإن كان من غيره لا يقع.

فأما أكل الميتة وشرب الخمر فيباح.

فأما[٦] الزنا، فقيل: لا يصح فيه الإكراه، وقيل: يصح، وإذا أكره على تلف مال غيره، فالضمان على المكره الظالم بالاتفاق.

فأما في القتل فاختلفوا، قال أبو حنيفة: القصاص على الْمكرِه، قال زفر: على المكرَه، وقال الشافعي: عليهما، وقال أبو يوسف: لا قود عليه وفيه الدية.

---

(١) فالأصل: فأصل، د.
(٢) كمجرى: مجرى، د.
(٣) وكل: فكل، د.
(٤) لا يؤثر الهزل: ـ ، و.
(٥) القصد فقط . . . يؤثر فيه، ـ ، د.
(٦) فأما: وأما، د.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾

القراءة

قرأ ابن عامر: «فتنوا» بفتح الفاء والتاء، والباقون بضم الفاء وكسر التاء.

أما الأول فرده على من أسلم من المشركين الذين فتنوا المسلمين اعتباراً بقوله: ﴿جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ فأخبر بالفعل عنهم.

فأما قراءة الأكثر فعلى ما لم يسم فاعله اعتباراً بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ يعني فتنهم[1] المشركون.

قراءة العامة: ﴿لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ بكسر الفاء عطفاً على الجوع، وروى العباس عن أبي عمرو بفتح الفاء بإيقاع (أذاقها) عليه.

اللغة

أصل الفتنة: الابتلاء والاختبار، فتنت الذهب بالنار إذا أدخلته فيها ليتميز رديه[2] من جيده[3]، ومنه: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ [التوبة: ١٢٦] والمفتون: الغوي، لأنه خرج بالإغواء إلى حال قبيح كما يخرج الغش من الذهب بالنار إلى الهلاك، ومنه قيل: المفتون الغالي في طلب الدنيا.

---

(١) فتنهم: فهم، د.

(٢) رديه: رديها، د.

(٣) جيده: جيدها، د.

الجدال والمجادلة: الخصومة سمي لذلك لشدته، وهو مفاعلة من الجدال، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمناظرة: أن تدفع الحجة بنظيرها، وقيل: أن ينظر كل واحد منهما[1] في حجة صاحبه، ورجل جدل شديد الخصومة، وأصله من جدل الحبل، وهو شدة فتله، وقيل للحبل[2] الذي يجعل في رأس البعير جديل، ورجل مجدول الحلق: شديده، وقيل: أخذت من الجدالة، وهي الأرض، والمجدل: الملقى على الأرض، وطعنه فجدله أي: رماه بالأرض فكأن أحد الخصمين يروم من الآخر أن يرميه إلى الأرض ويصرعه، عن أبي مسلم.

والأنعام جمع، وفي واحده ثلاثة أقوال: نعمة وأنعم، كشد وأشد، وقيل: واحدها: نعم، كما يقال: أيام طعم ونعم، وقيل: جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس، وضراء وأضر.

۞ الإعراب

«**تجادل**» أنث لتأنيث ما أضيف إليه، لأن النفس تذكر وتؤنث، إذ هو مقيداً[3] المعنى وكذلك سبيله في التثنية والجمع، تقول: كل امرأة في الدار قائمة، وكل امرأتين قائمتان، وكل نساء قائمات، (يوم) نصب على الظرف.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ في جماعة من أهل مكة عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرضاعة، وأبي[4] جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة وغيرهم، فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم.

---

(١) منهما: ـ، د.
(٢) للحبل: الحبل، د.
(٣) مقيداً: صعيداً، و.
(٤) وأبي: أبو، د.

وقيل: نزلت في عبد الله بن سعيد بن أبي السرح[1] ارتد، فلما كان يوم الفتح أمر النبي ﷺ بقتله، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله ﷺ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه، عن الحسن، وعكرمة.

۞ النظم

قيل: هذه الآية تتصل بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ فإنه بعد بيان حال من شرح بالكفر صدراً، واستثنى من أكره على الكفر فبين حالهم لما تخلصوا وهاجروا وجاهدوا، عن أبي مسلم.

وقيل: لما تقدم ذكر الذين خسروا أنفسهم أتبعه بذكر من ربحت صفقته ممن هاجر وجاهد.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ بما قبله؟

قلنا: بقوله: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ يعني يوم القيامة، ثم اتصل به ذكر القرية الكافرة وما جازاهم به[2].

۞ المعنى

«**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ**» يا محمد «**لِلَّذِينَ هَاجَرُوا**» إلى المسلمين، وفارقوا أوطانهم في سبيل الله «**مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا**» قيل: عذبوا وأوذوا، وقيل: من بعد ما منعوا من الإسلام، وخوفوا ليرتدوا «**ثُمَّ جَاهَدُوا**» قيل: جاهدوا أعداء الله باليد واللسان «**وَصَبَرُوا**» قيل: على الإيمان، وتحمل المشاق في الإسلام، وقيل: على ما أوذوا «**إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا**» من بعد تلك الفتنة «**لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**» وقيل: من بعد التوبة، عن الأصم، وقيل: أراد بقوله: «**مِنْ بَعْدِ ما**[3]» الإياس من صدهم، كقولهم: كيف أسخط على فلان بعد أن تحمل كذا، معناه كيف يظن ظان أن الله يسخط[4] عليهم بعد أن هاجروا وجاهدوا،

---

(١) السرح: سراعة، د، سراعة، و.
(٢) به: ـ ، و.
(٣) من بعد ما: من بعد، و.
(٤) يسخط: سخط، د.

وقيل: من بعد الهجرة والجهاد، وقيل: أراد أن الجنة والمغفرة لا تنال إلا بالهجرة والجهاد والصبر «**لَغَفُورٌ**» لما سلف «**رَحِيمٌ**» يدخلهم الجنة، وقيل: هاجروا قرناء السوء بعد ما ظهرت الفتنة في صحبتهم وجاهدوا أنفسهم على ملازمة أهل الخير، وصبروا على ذلك «**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ**» يعني يوم القيامة «**تُجَادِلُ**» تخاصم «**عَنْ نَفْسِهَا**» وتحتج أي: يشتغل كل[1] واحد بنفسه لا يتفرغ لغيره[2]، ومجادلتهم قول الأتباع: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [**الأعراف**: ٣٨] وقول المتبوعين ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ﴾ [**سبأ**: ٣٢] ونحوها، وقول الجميع: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [**الأنعام**: ٢٣] وقيل: تحتج عن نفسها بما تقدر إزالة العقاب عنها «**وَتُوَفَّى**[3] **كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ**» أي: يوفى[4] على[5] كل أحد جزاء ما عمل «**وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**» بزيادة عقاب لا يستحقه، أو نقصان ثواب مستحق «**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً**» قيل: مكة، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، حين أخرجوا النبي ﷺ وأصحابه، وقيل: أراد[6] أهل مكة فحذف لدلالة الكلام عليه، وقيل: «**قَرْيَةً كَانَتْ**» في الأمم الماضية على هذه الصفة، عن الأصم، وكانت «**آمِنَةً**» لا يقاتلهم أحد، ولا يأتيهم سوء «**مُطْمَئِنَّةً**» ساكنة «**يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا**» واسعاً «**مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**» أي: يحمل إليها من البر والبحر «**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ**» قيل: كفرت بتكذيب النبي ﷺ، وهو من النعم، وقيل: كفرت بأنعمه «**فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**» قيل: ذكر اللباس لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوب اللون، وسوء الحال ما هو كاللباس، وقيل: بلغ القحط بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز، وإنما قال: (**أذاقها**)[7] لأنه يجده وجدان الذائق، وقيل: لأنه يتجدد عليه إدراكه كما يتجدد على الذائق، وقيل: في الجوع منعوا المطر والميرة حتى جهدوا، وقيل: ابتلاهم بالجوع سبع

---

(١) أي يشتغل كل: ـ، د.
(٢) لغيره: لغيرهم، و.
(٣) وتوفى: فتوفى، د.
(٤) يوفى: يوفر، و.
(٥) على: ـ، د.
(٦) أراد: أرادوا، د.
(٧) أذاقها: أذاقهم، د، و.

سنين، وقيل: في الخوف قصد الجيوش والسرايا من المسلمين إليهم، وما شن عليهم من الغارت، وقيل: كلموا رسول الله ﷺ، وقالوا: هب الرجال عاديت فما بال النساء والصبيان، فأذن للناس في حمل الميرة إليهم، وروي أن النبي ﷺ قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعل عليهم سنين كسني[1] يوسف» فضربهم الله بالسنين فأكلوا العلهز والعظام المحرقة، وقيل: ضرب مكة مثلاً لغيرها من البلاد.

ومتى قيل[2]: أكان عقوبة؟

قلنا: كان عقوبة للكفار محنة لغير المكلفين كالأمراض النازلة بهم.

ومتى قيل: كيف قال في اللباس الذوق؟

قلنا: الذوق على ما ينال الإنسان من محبوب ومكروه، وسواء كان مطعوماً أو غيره، وقد جاء في الخبر فيمن طعن غيره أو ضربه ذق.

«بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» أي: كان ذلك جزاء على صنعهم

۞ الأحكام

تدل الآية على عظم محل الهجرة.

وتدل على أن كل مفتون في كل بلد تلزمه الهجرة.

وتدل على أن الهجرة تستحب بعد الفتح، ومنهم من قال: لم تنسخ، وإليه ذهب القاسم بن إبراهيم عليه السلام[3].

وتدل على أن بمجموع[4] هذه الأمور تستحق الغفران بخلاف قول المرجية.

ويدل قوله: ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ أن كل أحد يبذل جهده في دفع العقاب فلا يندفع.

وتدل على أنه يعذب في الدنيا بالاستئصال، وأنه لا يعذب إلا بعد تقديم الإعذار والإنذار.

---

(١) كسني: كسنين، د.
(٢) قيل: قال، و.
(٣) عليه السلام: ـ، و.
(٤) بمجموع: مجموع، د.

وتدل على أن الهجرة والجهاد والصبر فعلهم، فيصح[1] قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**الكذب**» بفتح الكاف والباء وكسر الذال على معنى: لا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب.

الإعراب

«**حرم**» نصب لأنه فعل ماض، ومضاف إلى الله تعالى. «**الميتة**» نصب بـ (**حرم**)، ومن قرأ «**حرم الميتة**» رفع على ما لم يسم فاعله.

قوله: «**لا يفلحون**» تم الكلام عنده، وقوله: «**متاع**» ابتداء «**لتفتروا**» أي: لكي تفتروا.

المعنى

لما تقدم ذكر أهل مكة عقبه بما أنعم عليهم بمحمد ﷺ وما قابلوه من الكفران، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ**» أي[2]: جاء أهل مكة، تلك القرية التي تقدم ذكرها،

(١) فيصح: فيصحح، د.
(٢) أي: ـ، و.

وكانت في الأمم الماضية «رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ» يعني عذاب الاستئصال، عن الأصم، وقيل: المراد مكة جاءهم محمد صلى الله عليه وآله برسالته[1] فكذبوه فأخذهم العذاب، عن أبي مسلم، وحكى أبو علي الوجهين، وقيل: العذاب ما نالهم من القتل يوم بدر وغيره، عن أبي مسلم، وقيل: ما نالهم من الجوع والقحط بدعاء النبيﷺ عليهم «وَهُمْ ظَالِمُونَ» بمعاصي الله تعالى يعني كانوا ظالمين، لما أخذهم العذاب نبه أنه عذبهم بذنوبهم «فَكُلُوا» قيل: عاد الكلام إلى الأمر والنهي عطفاً على قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾، عن أبي مسلم، وقيل: خطاب لأهل مكة ذكرهم النعم وما أعطاهم وما[2] أحل لهم، وقيل: بل خطاب للمسلمين أغاروا على قوم من الكفار، فقال: كلوا مما أعطاكم من الغنائم، وقيل: خطاب لأهل المدينة أن أهل مكة لما كذبوا أصابهم الجوع والخوف[3]، وأنتم صدقتم فأزال عنكم الجوع والخوف، وهذا غير صحيح، لأن السورة مكية، وقيل: هو عام، عن أبي مسلم، وهو الوجه، لأن المعتبر بمطلق اللفظ، «مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ[4] حَلاَلاً طَيِّبًا» قيل: حلالاً ملتذاً، عن الأصم، وقيل: الحلال: ما أطلق الله أكله، والطيب: ما اكتسبه[5] من وجهه، عن أبي مسلم. «وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» بين أن النعم هي المقتضية للعبادة «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» يعني ما ذكر عليه اسم معبود سواه «فَمَنِ اضْطُرَّ» دفع إلى ضرورة وجهد شديد «غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ» زيادة حتى يشبع «وَلاَ عَادٍ» في أكله، وقيل: غير باغ على إمامه، ولا عاد في معصيته، وقيل: باغ في أكله ليتقوى على معصيته، ولا أن يتعدى فيه ما حد له «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يغفر الذنب إذا تاب، ويدخلهم الجنة برحمته.

ثم نهاهم عن مخالفة أمره في التحليل والتحريم، فقال سبحانه: «وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ» أي: لا تقولوا على الله الكذب، وذكر اللسان لأنه به يتكلم،

---

(١) صلى الله عليه وآله برسالته: صلوات الله عليه وآله برسالة ربه، د.
(٢) ما: ـ، و.
(٣) والخوف: ـ، د.
(٤) الله: ـ، و.
(٥) اكتسبه: اكسبه، د.

أي: لما تقوله ألسنتكم من الكذب «**هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ**» قيل: أراد البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وقيل: بل جميع ما حرموا وحللوا بخلاف أمر الله تعالى «**لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ**» أي: لتكذبوا على الله في إضافة التحريم إليه «**إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**» لا ينجون من عذاب الله، ولا ينالون خيراً، «**مَتَاعٌ قَلِيلٌ**» يعني الذي هم فيه من الدنيا شيء قليل ينتفعون به «**وَلَهُمْ**» في الآخرة[1] «**عَذَابٌ أَلِيمٌ**».

ثم بين ما حرم على أهل الكتاب فقيل: إنه إنما اتصل به لأن ما زعموا في التحريم والتحليل[2] كما ليس في القرآن لم يكن في التوراة أيضاً، وقيل: إذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات مع كفرهم فكيف يحرم على المسلمين، عن الأصم، فقال سبحانه: «**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا**» أي: على اليهود «**حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ**» يعني ما نزل في سورة (الأنعام): ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ **[الأنعام: ١٤٦]**، عن الحسن، وقتادة، وعكرمة. «**مِنْ قَبْلُ**» يعني من قبل نزول هذه الآية، لأن ما في (الأنعام) نزل قبل هذه الآية، وقيل: أي: من قبل نزول التحريم عليكم، وأراد به الزمان الماضي «**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ**» بتحريم ذلك «**وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**» بالعصيان، فشددنا تكليفهم بالتحريم، كقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ **[النساء: ١٦٠]**، وقيل: ما ظلمناهم بالتحريم، لأن لله تعالى أن[3] يحرم ما شاء، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالعصيان، عن الأصم

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ على أن المراد بالقرية قرية متقدمة، عن القاضي.

ويدل قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ أن الرزق لا يكون إلا حلالاً.

قال أبو علي: وتدل على أن العبد يجب أن يقصر نفسه على ما رزقه الله ولا يتعدى إلى الحرام.

---

(١) في الآخرة: ـ، د.

(٢) التحريم والتحليل: التحليل والتحريم، د.

(٣) أن: ـ ، د.

وتدل على وجوب الشكر.

وتدل على ذم تحريم ما أحل الله، ولا خلاف أنه كفر.

وتدل على الزهد في الدنيا والرغبة في أمور الآخرة.

وتدل على تحريم أشياء على اليهود، وقد بينا أن ذلك يجوز أن يكون عقوبة عند أبي علي، وعند أبي هاشم يكون تشديد تكليف ومصلحة لهم عند ظلمهم.

وتدل على أن ما حرموا وأحلوا وجميع ما أضيف إليهم في الآيات فعلهم حادث من جهتهم.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

اللغة

القنوت: الطاعة، وقيل: إنها الأصل، ثم تستعمل في غيره، قال ابن الأنباري: القنوت على أربعة أوجه: الصلاة، والدعاء، وإقامة الطاعة، والسكوت.

وعن زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فأمسكنا.

والاجتباء والاصطفاء والاختيار نظائر، والاجتباء: أن يأخذه بأجمعه إليه، افتعال من جبيت الماء في الحوض جمعته، ومنه الجابية تجمع الماء.

والحنيف: المستقيم على الطريق، وقيل: المائل، ومنه سمي الأحنف.

وبناء غفور فعول، وهو للتكثير والدوام عليهم، كقولهم: رجل صدوق وشكور وكفور.

۞ الإعراب

الهاء في قوله: «**بعدها**» قيل: تعود على الجهالة، وقيل: تعود على السيئة، لأن السوء بمعنى السيئة، ورد الكناية إلى المعنى، وقيل: إلى التوبة، لأن قوله: ﴿تَابُواْ﴾ يتضمن التوبة.

والأمة الجماعة، وأصله من القصد، وقيل: إن الأمة هاهنا هي الرجل.

﴿شَاكِرًا﴾ نصب لأنه خبر كان، وكذلك﴿أُمَّةً قَانِتًا﴾.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في قوم أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا فقبل الله توبتهم.

۞ المعنى

لما تقدم الوعد والوعيد عقبه بذكر التائبين، فقال سبحانه: «**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ**» المعصية «**بِجَهَالَةٍ**» قيل: بداعي الجهل، لأن الجهل يدعو إلى القبيح، كما أن العلم يدعو إلى الحسن، وقيل: جهالة الشباب وغلبة الشهوة عليه، عن أبي علي، وقيل: فعل المعصية جهالة في الشرع، ولذلك يقال لأهل المعاصي جهل، كأنهم جهلوا ما فيه، عن الأصم، وقيل: أراد بالجهالة أنه لم يقصد وجه العصيان، وإنما فعل لحاجة أو شهوة، وقيل: باستعمال الجهل والإعراض عن موجب العقل والعلم(١)، وقيل: بجهالة(٢) عن تصور العاقبة فيما يقدم عليه(٣) من القبيح «**ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**» أي: ندموا على ما فعلوا «**وَأَصْلَحُوا**» قيل: أصلحوا الأعمال بعد التوبة ولم يقتصروا على التوبة، وقيل: أصلحوا بالثبات على التوبة، وقيل: أصلحوا ما بينهم وبين الله، عن الأصم. «**إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ(٤)**» أي: من بعد التوبة لغفور(٥) لذنوبهم، «**رَحِيمٌ**» ينعم عليهم بالجنة.

---

(١) العقل والعلم: العلم والعقل، د.
(٢) بجهالة: لجهالة، د.
(٣) عليه: ـ، د.
(٤) لغفور: لغفور رحيم، و.
(٥) لغفور: غفور، و.

ولما كان القوم ينتحلون سنة إبراهيم احتج عليهم به وبطريقته فقال سبحانه: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً**» قيل: قدوة ومعلم[١] الخير، عن ابن مسعود، وقيل: إمام هدى، عن قتادة، وقيل: سماه أمة لأنه قام بعمل أمة، وقيل: لأن قوام الأمة[٢] كان به، وقيل: انفرد في دهره بالتوحيد فكان مؤمناً وحده والناس كفار، فسمي أمة، عن مجاهد، والأصم. «**قَانِتًا لِلَّهِ**» قيل: مطيعاً لله[٣]، عن ابن مسعود، وقيل: القانت القائم بجميع ما أمر به، وقيل: المصلي، عن الحسن، وقيل: «**حَنِيفًا**» مستقيماً على دين الإسلام «**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا**» أي: وكان شاكراً لأنعم ربه «**اجْتَبَاهُ**» أي: اصطفاه واختاره لخلته، ورسالته، «**وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» قيل: دله إلى خير مستقيم، وهو التوحيد والإسلام، عن الأصم، وقيل: هداه إلى الجنة، عن أبي مسلم، وقيل: هداه إلى ما حمله من الرسالة «**وَآتَيْنَاهُ**» أعطيناه «**فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**» قيل: الرسالة والنبوة، عن الحسن، وقيل: الخلة والثناء[٤] الحسن، قال قتادة: حتى[٥] ليس من أهل دين إلا وهو يتولاه ويرضاه، وقيل: تنويه[٦] الله يذكره بطاعته حتى صار إماماً يقتدى به، وقيل: ذكره في الصلاة في هذه الأمة عند قولهم[٧]: كما صليت وباركت على إبراهيم، عن مقاتل، وقيل: أولاداً أبراراً، عن الكلبي، وقيل: إجابة دعوته حتى جعل النبوة في ذريته «**وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**» قيل: من جملتهم، وقيل: معهم، والصالحون قيل: هم آباؤه الصالحون، وقيل: الأنبياء، وقيل: في محل الصالحين وهو الجنة، عن أبي مسلم، وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره: آتيناه في الدنيا والآخرة حسنة، وهو من الصالحين في الدنيا الخلة والنبوة، وفي الآخرة الجنة والمثوبة.

ثم أمرنا[٨] بالاقتداء به لما فيه من اللطف، فقال: «**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**» يا محمد «**أَنِ**

---

(١) ومعلم: ويعلم، د.
(٢) الأمة: ـ ، د.
(٣) لله: ـ ، د.
(٤) الخلة والثناء: الخلة الثناء، د.
(٥) حتى: حين، د.
(٦) تنويه: تنزيه، د، و.
(٧) قولهم: قوله، و.
(٨) أمرنا: أمر، د.

﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: دينه وهو الإسلام، عن الأصم. وقيل: سنته وسيرته وطريقته، عن أبي مسلم، وقيل: هو ما تقدم ذكره من إدامة العبادة والتمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك، عن أبي علي. ﴿حَنِيفًا﴾ مستقيماً على الدين ﴿وَمَا كَانَ﴾ إبراهيم ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وإنما جاز أن يتبع الأفضل المفضول لسبق المفضول إلى القول بالحق والعمل به من غير تقصير فيه.

۞ الأحكام

تدل الآية على قبول التوبة من الكفر وجميع المعاصي.

وتدل على وجوب اتباع ملة إبراهيم، والمراد ما قدمنا لا جميع شرائعه لأنه قد نسخ بعضها(١)، ولأنه تعالى قال: ﴿لِكُلٍّ(٢) جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فلكل نبي طريقة إلا أن طريقة إبراهيم دخل أكثرها في ملة محمد ﷺ.

وتدل على أن السوء والتوبة فعل العبد، فيبطل قولهم في المخلوق.

وتدل على أن الاتباع فعلنا لذلك أمر به.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

---

(١) بعضها: بعضه، د.

(٢) لكل: ولكل، د.

القراءة

قرأ ابن كثير: «**لا تك في ضِيق**» بكسر الضاد وفي (النمل) مثله، وقرأ الباقون بفتح الضاد في الحرفين، قال الفراء: وهما لغتان معروفتان، مثل رطل ورطل، قال القتيبي: ضيق: تخفيف ضَيِّق، مثل: هَيِّن وَهَيْن، ولَيِّن وَلَيْن، وقال أبو عبيد: الضيق بالكسر في المعاش والمسكن، والضيق بالفتح في القلب، قال أبو عمرو: وأهل البصرة يقولون: الضيق بالفتح الغم والضيق بالكسر الشدة، قال علي بن عيسى: تقول العرب في صدري من هذا الأمر ضيق بالفتح، وهذا[١] أكثر في هذا الوجه من الكسر، وقال الأخفش: بالفتح مصدر ضاق يضيق ضيقاً وبالكسر الاسم.

اللغة

الدعاء: استدعاء الفعل وطلب له، ونظيره الأمر وبينهما فروق[٢] من وجوه، واتفاق من وجوه، مما افترقا فيه الرتبة فالأمر يكون فوق المأمور والداعي دون المدعو، ولأن مع الأمر ترغيباً وترهيباً[٣] بخلاف الدعاء، ولأن الأمر على الوجوب بخلاف الدعاء، ولأن الدعاء أعم من الأمر، ومما[٤] اتفقا فيه أن كل واحد استدعاء للفعل، وكل واحد يقتضي إرادة الفعل، وكل واحد صيغته كالآخر.

والحكمة: المعرفة بالأشياء سميت حكمة لأنها تمنع من الفساد وأصله المنع، وقال:

أَبَنِي حَنِيفَةَ حَكِّمُوا سُفَهَاءَكُمْ[٥]

---

(١) وهذا: هو، د.
(٢) فروق: فرق، د.
(٣) ترغيباً وترهيباً: ترغيب وترهيب، د.
(٤) ومما: وإنما، و.
(٥) البيت لجرير، وتمامه:

إنـي أخـاف عـلـيـكـم أن أغـضـبـا

انظر: الديوان.

۞ النظم[1]

يقال: كيف اتصل قوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ بما قبله؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنه رد على اليهود والنصارى في ادعائهم أن إبراهيم كان منهم، ثم رد عليهم في هذه الآية فيما أوجبوا من تعظيم أحوال السبت وأنه لا يجوز نسخه[2] كما رد عليهم ذلك، عن أبي مسلم.

وقيل: لما أمر باتباع الحق حذر من الاختلاف فيه بما ذكر من حال[3] الذين اختلفوا كيف شدد عليهم وضيق، ثم أمر في الآية الثانية بمجادلتهم والدعاء إلى الحق.

۞ المعنى

«**إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ**» قيل: فرض عليهم تعظيم السبت لما اختلفوا في أمر الجمعة، وهم اليهود، وكانوا أمروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما أمروا به، عن مجاهد، وابن زيد، وقيل: لما اختلفوا في أمر الجمعة بما ليس لهم شدد الله عليهم التعبد وحرم عليهم الصيد وغيره. وقيل: هم اليهود والنصارى، وقد قال بعضهم: السبت أعظم الأيام لأنه تعالى فرغ من خلق الأشياء فيه، وقال الآخرون: بل الأحد لأنه ابتدأ بخلق الأشياء فيه، فهذا اختلافهم، وقيل: الذين اختلفوا هم اليهود والنصارى عرض عليهم الجمعة، وأمروا بتعظيمها فأبوا وقبله المسلمون فقال ﷺ: «نحن الآخرون السابقون، وهذا اليوم الذي اختلفوا فيه هدانا الله إليه، وهو يوم الجمعة فصار لنا عيداً فهم[4] لنا تبع اليهود غداً، والنصارى بعد غد»، وأنكر الأصم ذلك لوجهين: أحدهما: أنه لا دليل عليه، والثاني: أن أهل الكتاب ينكرونه، وقيل:

---

(١) النظم: النزول، و.

(٢) نسخه: نسخته، د.

(٣) حال: ـ ، د.

(٤) عيداً فهم: فهم عيد، و.

جعل عقوبة السبت لما اعتدوا فيه على الذين اختلفوا وهم اليهود بأن جعلهم قردة، عن الحسن، دليله قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [النساء: ١٥٤] وقيل: اختلفت اليهود في السبت استحله بعضهم وحرمه بعضهم «وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» أي: ليفصل[١] «يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من أمر دينهم وبين المحق والمبطل.

ثم أمره بالدعاء إلى الحق فقال: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ» أي: دينه؛ لأنه[٢] الطريق إلى مرضاته «بِالْحِكْمَةِ» قيل: بالقرآن ولا موعظة أحسن منه[٣]، وقيل: بالترغيب والترهيب والرفق، والقول اللين على أبلغ الوجوه، «وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أي: أقم الحجة، قيل: بأحسن الإقامة والبيان، وقيل: بأحسن الحجج وأثبتها[٤] وأظهرها، وقيل: بالرفق واللطف لأنه أقرب إلى القبول، وقيل: أعرض عن أذاهم، ولا تقصر في البلاغ، ثم نسخ بآية القتال، «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» عن دينه[٥] «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» فيجازي كل أحد بحسب عمله، وقيل: هو أعلم بما يهديهم فلذلك بعثك «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ» يعني أهل الشرك فيما مثلوا «فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» ولا تزيدوا، وقيل: إن جازيتم على فعل فعلى قدر ما فعلوا، وقيل: معناه ادع إلى الدين بالعلم والموعظة، فإن لم يقبلوا فجادلهم بالحجة على أحسن الوجوه، فإن عدلوا عن طريق المحاجة إلى الأذى فالأولى بك العفو، فإن[٦] جازيت فالمثل، لا تجاوز[٧] عن ذلك، عن أبي مسلم. «وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ» على أذاهم، «لَهُوَ خَيْرٌ» يعني الصبر خير لما فيه من جزيل الثواب «لِلصَّابِرِينَ»، «وَاصْبِرْ» فيما أمرتك ونهيتك عنه، وما تبلغه من الرسالة، وما تلقى من الأذى «وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ» قيل: بمعونته ولطفه، وقيل: كيف

(١) ليفصل: يفصل، د.
(٢) لأنه: لأن؛ د، و.
(٣) منه: منها، د.
(٤) وأثبتها: وأبينهما، د.
(٥) عن دينه: ـ ، د.
(٦) فإن: وإن، د.
(٧) لا تجاوز: لا تجازون، د.

لا تصبر ونحن معينك وناصرك «**وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**» قيل: على المشركين في إعراضهم عنك، لأن الجزاء عليهم، وقيل: على قتلى أحد بما[1] أعطاهم الله من الثواب والخير «**وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ**» أي: في ضيق صدرك «**مِمَّا يَمْكُرُونَ**» قيل: يدبرون[2] عليك من التدابير السوء في خفية، وما يحتالون في إبطال أمرك فإن الله معك، فقال سبحانه: «**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا**» بالنصرة والحفظ ينصرك عليهم، ويكفيك أمرهم قال الحسن: اتقوا ما حرم عليهم، وأحسنوا فيما فرض عليهم، وقيل: اتقوا في الدنيا فلم يأخذوها إلا من حقها، وأحسنوا في الإنفاق.

۞ الأحكام

يدل أول الآيات أنه كان بينهم اختلاف، وأن عند ذلك ألزموا السبت.

وتدل أن اختلافهم كان خطأ.

ويدل قوله: «**ادع**» على وجوب الدعاء إلى الدين، وعظم محله، وأن الواجب فيه الرفق واللين.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

ويدل قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ على أن الجزاء يجب فيه المسأواة فتدل على[3] أن المتلف يضمن بالمثل أو قيمته، وكذلك في القصاص وغيره.

وقيل: إن الآية منسوخة بآية القتال، وليس كذلك لأن وجوب القتال لا يغير ما يلزم من الدعاء إلى دين الله بالرفق والموعظة الحسنة والصبر على الأذى، وقيل لهرم بن حيان: أوصنا، قال: أوصيكم بالآيات الأواخر من سورة النحل ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى آخر السورة.

وتدل على أنه مع المؤمنين بالنصرة والحفظ والانتقام له من أعدائه، وروى

(١) بما: لما، د.
(٢) يدبرون: يريدون، د.
(٣) على: ـ، و.

الأصم أن أبا ذر قال لحبيب بن مسلمة لما بعثه أبو بكر الصديق[1] إلى الشام لقتال الروم: أوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وصل كل صلاة وأنت تظن أنها آخر صلاة أنت صليتها، وإياك ودعوة المظلوم فإني سمعت رسول الله يقول: «إن العبد إذا ظلم فلم[2] ينتصر، ولا يكن له من ينتصر له ورفع طرفه إلى السماء ناداه الله لبيك عبدي أنا أنتصر لك عاجلاً وآجلاً».

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخر السورة في قتلى أحد، وذلك أن المشركين مثلوا بقتلى أحد وبحمزة فقال المسلمون: إن أظفرنا الله عليهم لنمثلن بهم أعظم مما مثلوا بنا، فنزلت الآية، ونهوا عن ذلك، عن الشعبي، وقتادة، وعطاء بن يسار.

وقيل: إنه في كل من ظلم بغصب أو نحوه، فإنما يجازى بمثل ما عمل، عن مجاهد، وابن سيرين، وإبراهيم، والثوري.

وقيل: كان هذا قبل نزول براءة حين أمر أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال، ثم نسخ، عن ابن عباس، والضحاك، وأنكر أبو مسلم جميع[3] ذلك، فقال: المراد جادلهم واصبر على أذاهم فإن عاقبت فعلى قدر ما فعلوا، وأنكر الأصم حديث أحد، وقال: لا يجوز القصاص في مثل ذلك.

وقيل: السورة مكية، وقال جماعة: نزلت ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ وثلاث آيات بالمدينة، عن أبي مسلم.

---

(١) الصديق: ـ ، د.
(٢) فلم: لم، د.
(٣) جميع: ـ ، د.

سُورَةُ الإسراء

سورة (بني إسرائيل).

قال الأصم: إنها مكية بإجماع إلا ما حكي[1] عن بعضهم غير آيتين ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾، ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ وخطأ هذا القول.

وهي مائة وإحدى عشرة آية[2] في الكوفي، وعشر في البصري.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطي في الجنة قنطارين من الأجر، والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية، فالأوقية منها خير من الدنيا وما فيها».

ولما ختم سورة (النحل) بذكر النبي ﷺ وما أمره بالصبر ووعده[3] من النصر حقق ذلك وافتتح[4] سورة (بني إسرائيل) ببيان معجزاته، وإسرائه إلى المسجد الأقصى.

---

(١) ما حكي: ما يحكى، د.
(٢) آية: ـ ، و.
(٣) ووعده: عقبه، و.
(٤) وافتتح: وفتح، و.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

القراءة

قرأ أبو عمرو: «**ألا يتخذوا**» بالياء خبراً عن بني إسرائيل، وهو قراءة ابن عباس، ومجاهد، واختيار أبي عبيد، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب أي: قلنا لهم: لا تتخذوا، وروي أن في قراءة ابن مسعود وأبي: «**من الليل**» وهذا إما أن يحمل على النسخ، أو أنهما فسرا، لأن المستفيض من القرآن غير ذلك.

اللغة

«**سبحان**» أصله من التسبيح في تنزيه الله تعالى وتعظيمه، وهو الجري فيه، ومنه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [**الصافات: ٤٣**] أي: من المصلين، وقيل: سبح يسبح سبحاناً وتسبيحاً، نحو قرب يقرب قرباناً وتقريباً إذا قال: سبحان الله، ويقال: سبحان نزه، وقيل: سبحان الله براءة الله من السوء، وقيل: تنزيه الله من السوء، روي مرفوعاً، وقيل: فيه تعظيم وتعجيب(١)، ولا يجوز سبحان في صفة الله إلا(٢) أن يرد إلى الأصل، إلى طريق النادر، كما قال الشاعر:

سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ(٣)

---

(١) وتعجيب: وتعجب، و.

(٢) إلاّ: إلى، د.

(٣) البيت للأعشى:

أقول لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر

انظر اللسان، (الصحصح)، وتاج العروس، «سبح».

وقيل: سبحان لا ينصرف، لأنه يتضمن على مراتب التعظيم، وهذا المعنى لا يجوز إلا لواحد فلزم منهاجاً واحداً ليدل على هذا المعنى.

والإسراء: سير الليل، سرى يسري سراء[1]، وأسرى يسري إسراء لغتان، قال الشاعر:

وَلَـيْـلَـةٍ ذَاتِ دُجًى سَـرَيْـتُ وَلَـمْ يَـلِـتْـنِـي عَـنْ سَـرَاهـا لَـيْـتُ[2]

وقال آخر:

سـريـت بـهـم حـتـى تـكـل مـطـيـهـم وحـتـى الـجـيـاد مـا يـقـدن بـأرسـان[3]

وبناء (شكور): فعول من الشكر، وذلك يقتضي التكثير والدوام حتى يصير عادة لهم، كقولهم: نؤوم[4] وصدوق وكفور وظلوم وجهول.

والذرية: الأولاد، قيل: أخذ من الذر[5]، وقيل: من ذرأ الله أي: خلق.

الإعراب

«**سبحان**» نصب على المصدر، كقوله: معاذ الله، وقيل: تقديره: سبح تسبيحاً.

«**وكيلاً**» نصب على المصدر، لأنه مفعول (**لا تتخذوا**).

ويقال: بما انتصب[6] (**ذرية**)؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

قيل: على النداء، كأنه قيل: يا ذرية من حملنا مع نوح، وهو نداء لمن كان ويكون من المكلفين على ما يصح من بلوغه إياهم، عن أكثر النحويين.

---

(١) سراء: سيراً، د.

(٢) انظر البيت في لسان العرب، الصحاح، تاج العروس، مادة «ليت».

(٣) البيت لامرئ القيس، وصدر البيت في رواية:

سـريـت بـهـم حـتـى يـكـل غـريـهـم

انظر: لسان العرب (مطا).

(٤) نؤوم: يوم، د.

(٥) الذر: الذرو، د.

(٦) انتصب: تنصب، د.

وقيل: هو صفة لموسى، لأنه من ذرية نوح، أي: آتينا موسى الكتاب وهو من ذرية نوح.

وقيل: المراد بالذرية بني إسرائيل وموسى منهم، ويكون نصبه على إضمار فعل، وتقديره: أعني ذرية من حملنا مع نوح، ذكر الوجهين أبو مسلم.

«ليلاً» نصب على الظرف، وقيل: ليلا، لأنه بمعنى بعض الليل، وهو وقت الإسراء.

النزول

قيل: نزلت الآية في إسرائه ﷺ، وكان ذلك بمكة صلى النبي[1] ﷺ[2] المغرب في المسجد الحرام[3]، فأما الموضع الذي أسري إليه فالإسراء إلى بيت المقدس لا يدفعه مسلم، ونطق به القرآن، وتظاهرت[4] به الرواية، وروي عن بعضهم أنه كان في النوم، وهذا ظاهر البطلان إذ لا معجز[5] فيه، والإجماع يحجه، ثم روي أنه عرج إلى السماء رواية مستفيضة، وروي في تفاصيل ذلك أخبار طويلة كثيرة، جملتها تنقسم إلى أربعة أوجه:

أولها: إلى ما نقطع بصحته لتواتره وإحاطة العلم بصحته.

وثانيها: ما ورد مما[6] يجوز[7] ولا يخالف أصلاً، فنجوزه[8].

وثالثها: ما ظاهره يخالف أصلاً إلا أنه يمكن تأويلها بتأويل لا تعسف فيه، فوجب[9] أن يؤوّل.

---

(١) النبي: الله، و.
(٢) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، د.
(٣) الحرام: ـ ، د.
(٤) وتظاهرت: وتظاهر، و.
(٥) معجز: معجزة، د.
(٦) مما: بما، د.
(٧) يجوز: نجوز، د، و.
(٨) فنجوزه: فيجوزه، و.
(٩) فوجب: فيجب، د.

ورابعها: ما لا يصح تظاهره ولا يمكن تأويله إلا بما فيه تعسف، فوجب أن يرد، ونحن نذكر جملة ذلك، ونشير إلى الوجوه، وروى حديث المعراج الحسن وحذيفة وأم هاني وجماعة، والأكثر أن ليلة المعراج كانت في الليلة التي أسري به إلى بيت المقدس، ولا خلاف أنها كانت بمكة.

۞ المعنى

«**سُبْحَانَ الَّذِي**» يعني سبحان الله، وفيه معنى التنزيه والتعظيم، والتعجيب، كأنه قيل: عجباً ممن أسرى بعبده، عظم قدر من فعل ذلك «**أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**» أي: في بعض الليل، قيل: قبل الهجرة بسنة[(١)]، كانت ليلة الإسراء، عن مقاتل. «**مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» أي: الكعبة والمسجد، قيل: كان الإسراء من نفس المسجد الحرام[(٢)]، عن الحسن، وقتادة وغيرهما، وقيل: كان من بيت أم هانئ بنت[(٣)] أبي طالب، والحرم كله مسجد، والأول أظهر، لأن الحقيقة [أن الإسراء كان من نفس الْمَسْجِدِ الحرام] إلى المسجد الأقصى. يعني: بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام، عن الحسن، وغيره من أهل العلم، وسمي المسجد[(٤)] الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام «**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**» قيل: بالثمار ومجاري الأنهار، وقيل: سمي مباركاً لأنه مقر الأنبياء، وفيها مهبط الملائكة، وفيه يحشر الناس يوم القيامة، عن مجاهد. «**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**» من عجائب حججنا التي فيها اعتبار «**إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ**» لأقوال من صدقك أو كذبك، عليم بما في الضمائر يجازي بحسبه، وقيل: سميع لدعائك، بصير بك وبإسرائك في هذه الليلة فيحفظك، ولا يضرك شيء، وقيل: هو سميع بصير لأن الإله هو من يكون سميعاً بصيراً، لا كمعبود هؤلاء المشركين لا يسمع ولا يبصر، ذكر الوجوه الثلاثة أبو مسلم. «**وَآتَيْنَا**» أعطينا «**مُوسَى الْكِتَابَ**» يعني التوراة «**وَجَعَلْنَاهُ**» يعني الكتاب «**هُدًى**» ودلالة وبياناً «**لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً**» قيل: شريكاً،

---

(١) بسنة: ـ، د.
(٢) الحرام: ـ، د.
(٣) بنت: ابنة، د.
(٤) المسجد: ـ، و.

عن مجاهد، وقيل: رباً، عن ابن عباس، وقيل: من يتوكلون عليه في أمورهم فإني كافلهم، عن أبي علي، وقيل: كفيلاً، لأنه تكفل بإنصاف المظلوم من الظالم، وإثابة المطيع، وعقوبة العاصي «**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**» أي: أولاد من حملنا مع نوح، فأنجيناهم من الطوفان في السفينة «**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**» قيل: نوح كان عبداً شكوراً، كان يشكر إذا لبس ثوباً، أو أكل طعاماً، أو شرب ماءً حمد الله وشكره، وقال: الحمد لله، فسمي شكوراً، وقيل: كان قائماً[1] بطاعة الله، عن الحسن، وهو الوجه، لأن نفس القول ما لم تنضم إليه الطاعة لا يعتد به، وقيل: موسى كان عبداً شكوراً، لأنه جرى ذكره، وقيل: كان محمد[2] ﷺ عبداً شكوراً لأنه افتتح هذه السورة باسمه، وقيل: يجوز أن يرجع إلى الكل، لأن كل واحد منهم كان عبداً شكوراً، وقيل: الأول الوجه، لأنه نسق الكلام واسم نوح أقرب إلى الكناية.

النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ بما قبله[3] من حديث الإسراء؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: قيل: فيه بيان لقدرته وعلمه بالمصالح، فكما[4] أسري بمحمد كذلك آتى موسى الكتاب وناداه، وجعل في الكتاب دلالة، ثم فسر ذلك بأن لا تتخذوا، عن أبي مسلم.

وقيل: كما أراك الآيات أرى موسى الآيات.

وقيل: كونك نبياً ليس ببدع[5]، فقد أعطيناك معجزة كما[6] أعطينا موسى، فَلِمَ أقروا[7] به وأنكروا أمرك، والطريق فيهما واحد.

---

(١) قائماً: رضا، د.
(٢) محمد: محمداً، د.
(٣) بما قبله: بما فيه، د.
(٤) فكما: فلما، د، و.
(٥) ببدع: ببديع، د.
(٦) أعطيناك معجزة كما: ـ ، د.
(٧) أقروا: يقروا، د.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**سبحان**» على براءته من كل سوء، فتدل[1] على أن الكفر ليس من خلقه ولا بإرادته، وكذلك سائر القبائح.

وتدل على معجزة عظيمة للرسول ﷺ وكرامة، وندب إلى بيت المقدس[2].

وعن ابن مسعود وغيره، أن ليلة المعراج هذه كانت هذه الليلة، وهو قول أبي علي، وروي عن أبي ذر أن حديث المعراج في غير[3] هذه الليلة، وظاهر الكتاب لا يدل عليه، ولكن الأخبار متظاهرة ولا مانع منه.

ومتى قيل: وأي[4] فائدة في الإسراء؟

فجوابنا: معجزة له ولطفاً لأمته وله، وشرحاً لصدره، وكرامة له، وتعظيماً لأمره، وقيل: يجوز أن يكون متعبداً بالصلاة في بيت المقدس، فأما من يقول: الإسراء كان بروحه أو كان رآه في النوم، فمن بعيد الكلام وباطله.

وتدل على عظيم منزلة هذين المسجدين، وفضل الصلاة فيهما.

ويدل قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ أنه أراد من جميعهم أن يهتدوا به خلاف ما تقوله المجبرة.

ومتى قيل: ما وجه[5] الإعجاز في الإسراء؟

فجوابنا: وجوه كثيرة:

منها: ما روي[6] أن جبريل أتاه بالبراق فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى بصره.

---

(١) فتدل: فيدل، د.
(٢) وندب إلى بيت المقدس: ـ ، و. ووضع عليه علامة (#).
(٣) غير: غيره، د.
(٤) وأي: فلا، د.
(٥) ماوجه: فما وجه، د.
(٦) ما روي: ـ ، د.

ومنها: أنه سار في وقت يسير[1] مسافة بعيدة حتى روي أنه خرج إلى بيت المقدس وبين المسجدين مسيرة شهر، وصلى ثم عرج به إلى السماوات وهي في البعد على حد عظيم، ثم رجع في بعض الليل.

ومتى قيل: كيف يتصور هذا؟

قلنا: إنما يتعجب منه من لا يقر بقدرة الله تعالى، ونحن نقول: إن جبريل ينزل[2] ويصعد في ساعة، فكيف لا يقر بهذا والله تعالى يسير الشمس في مدة يسيرة المسافة الكثيرة.

ومنها: أنهم لما[3] سألوا عن أخبار بيت المقدس أري ذلك وهو بمكة ينظر إليه ويصفه لهم، وأبو بكر يقول في كل ذلك: صدقت، فسمي صديقاً.

ومنها: أنه رأى في طريقه أشياء وأخبر قومه بذلك، وبمجيئهم فكان كما قال إلى غير ذلك من المعجزات الكثيرة.

قصة المعراج رواها أنس، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وحذيفة، وابن مسعود، وعائشة، وأم هانئ وغيرهم عن النبي صلى الله عليه، وزاد[4] بعضهم ونقص بعض، وجميع ذلك لا يخرج عن الوجوه الأربعة التي ذكرناها.

أما ما نقطع به: أنه أسرى به على الجملة.

وأما ما نجوزه[5]: فما روي أنه طاف في السماوات، ورأى الملائكة والأنبياء والعرش، ونحو ذلك.

---

(١) يسير: مسير، د.
(٢) ينزل: ـ، د.
(٣) لما: ـ، د.
(٤) وزاد: زاد، د.
(٥) نجوزه: نجوز، د.

وأما ما نتأوله[1] من[2] أنه رأى الجنة والنار وقوماً في الجنة، وقوماً يعذبون في النار فنتأول[3] ذلك[4] أنه رأى صفتهم وأسماءهم.

وأما ما نردّه[5]: ما روي[6] أنه فرض خمسين صلاة القصة بطولها، لأنه تعالى إذا علم المصالح فلا يوجب إلا الأصلح، ولأنه أرحم بعباده من موسى، ولأنه لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت فعله. وكذلك ما روي أن النبي ﷺ كلم الله جهرة[7]، وأنه رآه، وأنه قعد معه على سريره، ونحو ذلك مما يوجب التشبيه فنحن ننزهه عن ذلك[8]، وكذلك[9] ما روي أنه شق بطنه، وغسل، لأن بطنه كان طاهراً من كل عيب والاعتقادات لا تطهر بالماء، والله تعالى قادر على إزالة ذلك بغير الماء.

فأما جملة القصة: فروي أن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل وأنا بمكة، فقال: قم يا محمد، فقمت معه، وخرجت إلى الباب، فإذا جبريل معه ميكائيل، وإذا بالبراق فوق الحمار ودون البغل، خده كخد الإنسان، وذنبه كذنب البعير، وعرفه كعرف الفرس، وقوائمه كقوائم الإبل، عليه رجل من الجنة، وله جناحان في فخذيه، خطوه منتهى طرفه، فقال: اركب، فركبت، ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس»، وذكر أشياء رآها في الطريق، يطول ذكرها، قال: «فلما انتهيت إليه إذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة، وصليت في بيت المقدس»، وفي بعض الأخبار: «بشر لي[10] إبراهيم وموسى في رهط من الأنبياء»، ثم وصف موسى

(١) نتأوله: تأوله، د.
(٢) من: ـ، د.
(٣) فنتأول: فتأول، د.
(٤) ذلك: ـ، د.
(٥) ما نرده: ما يرو، د؛ ما يرد، و.
(٦) ماروي: ـ، د.
(٧) جهرة: خبره، و.
(٨) تنزهه عن ذلك: ننزه الله تعالى عن ذلك، د.
(٩) وكذلك: فذلك، د.
(١٠) وبشرني: بشر لي، د.

وعيسى، قال[١]: «ثم أخذ جبريل بيدي إلى الصخرة فصعد[٢] بي عليها، وإذا معراج إلى السماء لم أرَ مثلها حسناً وجمالاً، فصعدت إلى السماء الدنيا، ورأيت عجائبها، وملكوتها، وملائكتها مسلمين علي، ثم صعد بي جبريل إلى السماء الثانية، فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فرأيت فيها يوسف، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون، ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم بعضاً، وفيها الكروبيون، ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فأبصرت فيها خلقاً وملائكة».

وفي حديث أبي هريرة: «رأيت في السماء السادسة موسى عليه السلام، وفي السماء السابعة إبراهيم عليه السلام، قال: ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى عليين، ووصف ما فيها، ثم كلمني ربي[٣] وكلمته، ورأيت الجنة، ورأيت النار وما فيها، ورأيت العرش وسدرة المنتهى، ثم رجعت إلى مكة، فلما أصبحت حدثت به الناس، فكذبني أبو جهل والمشركون»، وقال مطعم بن عدي: أتزعم أنك سرت مسيرة شهرين! ثم قالوا: أخبرنا عما رأيت؟ فقال: «مررت بعير[٤] بني فلان، وقد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحلهم قدح من ماء فشربت، فسلوهم، هل[٥] وجدوا الماء في القدح»، قالوا: هذه آية واحدة، وقال: «ومررت بعير[٦] بني فلان فنفر بكر بني فلان فكسر يده فسلوهم[٧] عن ذلك»، فقالوا: هذه آية أخرى، قالوا: فأخبرنا عن عيرنا؟ قال: «مررت بها عن التنعيم»، وبين لهم أحمالها وهيأتها، وقال: «يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس»، قالوا: هذه آية أخرى، ثم

---

(١) قال: ـ، و.
(٢) فصعد: وصعد، د.
(٣) ربي: ـ، و.
(٤) بعير: بضرم، د.
(٥) فسلوهم هل: فسألوهم أي، و.
(٦) بعير: بضرم، د.
(٧) فسلوهم: فسألوهم، د.

خرجوا يشتدون نحو الثنية[1]، وهم يقولون: لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاء بينا، وجلسوا ينتظرون الإبل حتى تطلع الشمس، فيكذبونه، فقال قائل: والله إن الشمس قد طلعت، وقال آخر: والله هذه الإبل قد طلعت، يقدمها بعير أورق فبهتوا ولم يؤمنوا.

وروي في حديث البراق: إذا هبطت طالت يداه، وإذا صعدت طالت رجلاه، حكاه الأصم.

قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**فجاسوا**» بالجيم، وقرأ ابن عباس بالحاء غير معجمة، ومعناهما واحد.

وفي قوله: ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟﴾ ثلاث قراءات:

أولها: بالياء وضم الهمزة وإشباعها، وهو همزة بين واوين، قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم تقديره: لِيَسُوؤُوا العباد أولو بأس[2] وجوهكم، يؤكده قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾.

(١) في مجمع البيان في تفسير القرآن م٤/ج١٥/٩: التيه.
(٢) أولو بأس: أي لو بأس، د.

وثانيها: «لِيَسُوءَ[١]» بالياء وفتح الهمزة على واحد، قراءة ابن عامر وأبي بكر عن عاصم وحمزة: لِيَسُوءَ الله وجوهكم، وقيل: ليسوء الوعد وجوهكم، لأنه أقرب إليه فرجع الكناية إليه.

وثالثها: لنسوء بالنون وفتح الهمزة، قراءة الكسائي، وروي ذلك عن علي (كرّم الله وجهه)[٢]، ويؤكد قراءة أبيّ: «لنسوء[٣]» بالنون وحذف التأكيد على التعظيم اعتباراً[٤] بـ (قضينا) و(بعثنا).

❁ اللغة

القضاء: فصل الأمر على أحكام ومنه سمي القاضي، ثم يستعمل على ثلاثة أوجه: بمعنى الخلق كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾[٥] [فصلت: ١٢] وبمعنى الإيجاب كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وبمعنى الإخبار والإعلام بما يكون من الأمر، وهو المعنى هاهنا، وأصله الإحكام.

والعلو: الارتفاع، والعلو: ضد السفل، وعلا فلان الشيء يعلوه إذا طاله، والمعالي كسب الشرف، والعلاوة[٦]: ما يحمل على البعير بعد تمام الحمل، يقال: علا في المكارم يعلَى علا، وفي المكان يعلو علواً.

والجوس: التخلل في الديار، قال الأزهري: جاسوا وطئوا، وقال الأصمعي: ركب فلان يجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم، أي: يطأهم، وقال أبو عبيد: كل موضع خالطته ووطئته فقد جسته وجسسته، وقيل: الجوس: طلب الشيء باستقصاء، قال ابن عرفة: جاسوا عاثوا وأفسدوا.

والخلال: انفراج[٧] بين الشيئين.

---

(١) ليسوء: ليسواوا، و.
(٢) كرم الله وجهه: ـ ، و.
(٣) لنسوء: ـ ، د.
(٤) اعتباراً: واعتباراً، د.
(٥) ساقط في د.
(٦) والعلاوة: والعلوة، و.
(٧) انفراج: الفراج، د.

والكر: الرجوع، والكرة: الدفعة الواحدة.

والإمداد: إيصال[١] المدد، وأصله من المد يقال: مددت الشيء مداً، ومد النهر ومده نهر آخر، وأمددت الجيش بمدد، ومنه: مد النهار إذا ارتفع، ومنه: المداد الذي يكتب به، يقال: مددت الدواة وأمددتها.

والنفر: عدة رجال، قيل: من ثلاثة إلى عشرة، والنفير النفر والنفرة، حكاها الفراء، وقيل: النفير والنافر كالقدير[٢] والقادر، وقال القتيبي: وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته، وقيل: النفير: جمع نفر، مثل: عبيد وعبد، ونفر الإنسان ونفره ونفيره ونافرته: رهطه[٣] الذين ينصرونه، والنافر على أربعة أوجه: الذي ينفر من الشيء أي: يهرب، وينفر عن[٤] حجة ينطلق ويدفع[٥] عنها، وينفر[٦] يوم النفر الأول[٧]، والوارم في حديث غزوان ألطم[٨] عينه فنفرت أي: ورمت، والغالب تقول: نافرته فنفرته، ونفرته غلبته، ومنه أخذ النفر كأنهم يغلبون بالاجتماع.

والتبار: الهلاك، ومنه: أمر متبر، ومنه: تبرت تتبيراً، أي: أهلكت، وكلما كسر وهدم فهو متبر، ومنه قيل: لكسار[٩] الجوهر تبر القطعة فيها تبرة إذا لم تطبع، فإذا طبع يسمى عيناً.

والحصر: الحبس، حصرته منعته، وقيل: حصره المرض إذا منعه من سفره أو حاجته[١٠]، وحصره العدو يحصره[١١] حصراً إذا ضيقوا عليه، والحصر:

---

(١) إيصال: اتصال، د.
(٢) كالقدير: كالقدر، و.
(٣) ونافرته رهطه: ونفارته لرهطه، و.
(٤) عن: من، د.
(٥) ويدفع: ـ، و.
(٦) عنها وينفر: ـ، د.
(٧) الأول: ـ، د.
(٨) ألطم: لطم، د.
(٩) لكسار: لكساد، د.
(١٠) أو حاجته: أو حاجة، د.
(١١) يحصره: انحصره، د.

الجيب[1]، والحصير: الحبس[2]، والحصير: الملك كأنه محصور بالحجاب، والحصير: البساط أيضاً، والإحصار: أن يحصر الحاج عن بلوغ المناسك بمرض أو نحوه.

۞ الإعراب

«لتعلن» أصله لتعلون بالواو، وكذلك (لتفسدن) أصله بالواو حذفت الواو فيهما لالتقاء الساكنين إذا كانت الواو فيهما ساكنة، والنون الثقيلة نونان أدغمت الأولى وهي الساكنة في الثانية، وكل حرف مشدد مثقل فهما حرفان أدغم أحدهما في الآخر، عن أبي مسلم، واللام في قوله: «لتعلن»، و«لتفسدن» قيل: لام القسم على تقدير: والله لتفعلن[3] كذا، وقيل: لام التأكيد، عن أبي مسلم.

ويقال: أين جواب (إذا) في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ؟

قلنا: محذوف تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة جاء[4] ليسؤ وجوهكم، وقيل: بعثناهم ليسوء.

و«أكثر[5]» نصب بـ (جعلناكم)، و«نفيرا» نصب على التمييز[6].

۞ المعنى

لما تقدم أمره تعالى لبني إسرائيل عقبه بذكر ما كان منهم، وما جرى عليهم، فقال سبحانه: «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ» أي: أخبرناهم وأعلمناهم «فِي الْكِتَابِ» قيل[7]: في التوراة، وقيل: على لسان بعض الأنبياء فيما كتب لهم، وقيل:

---

(١) الجيب: غير واضحة بدون نقط.
(٢) حصرا إذا ضيقوا... الحبس: ـ، و.
(٣) لتفعلن: لتفسدن، د.
(٤) قلنا محذوف... جاء: ـ، د.
(٥) وأكثر: أكثر، د.
(٦) التمييز: الحال، و.
(٧) قيل: أي، و.

فيما كتب في اللوح المحفوظ «لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» قيل: بقتل الأنبياء وسفك الدماء، وكثرة الفساد، وقيل: فسادهم في الأول قتل زكريا، وفي الثاني قتل يحيى، عن ابن عباس، وابن مسعود. وقيل: مخالفتهم التوراة بكثرة المعاصي، عن قتادة، وقيل: قتل شعيا، عن ابن إسحاق، وقيل: في الأول بتسليط[1] الله عليهم سابور[2] ذي الأكتاف، وفي الثاني بخت نصر، عن ابن زيد، ومعنى سلط خلى بينهم وبينه، فلم ينصرهم حتى تسلط عليهم[3]، وقيل: الفساد الأول قتل شعيا مع سائر الأحداث، والثاني: قتل يحيى، ثم اختلف هؤلاء من أتاهم في الأول بخت نصر، وفي الثاني ملك من ملوك بابل، عن ابن إسحاق، وقيل: في الأول جالوت فقتله داود، وفي الثاني بخت نصر، فخرب ديارهم وحرق التوراة وفعل الأفاعيل، عن قتادة، والأصم، وقيل: إنه غلط، والله أعلم. وقيل: إنه ذكر فسادهم ومعاصيهم ولم يبين ما هو، فلا يقطع على شيء، عن أبي علي وهو الوجه، وقيل: فسادهم قتلهم للناس وظلمهم وتغلبهم على البلاد قهراً، وإخراب[4] ديارهم بغياً، وأخذ أموالهم غصباً «وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا» أي: لتستكبرن[5] ولتظلمن الناس ظلماً كبيراً[6]، قيل: كانوا مؤمنين في ذلك الوقت فأخبرهم أنهم يتغيرون «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا» أول المرتين الذين تفسدون[7] فيها «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ» قيل: أمرنا قوماً مؤمنين بغزوكم وجهادكم، عن أبي علي، وهو الوجه، لأنه حمل الكلام على ظاهره وحقيقته، وقيل: خلينا بينكم وبينهم خاذلين لكم، كقوله: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [مريم: ٨٣]، وقيل: يجوز أن يكونوا مؤمنين فأمرهم بجهاد هؤلاء، ويجوز أن يكونوا كافرين فتألفهم نبي من الأنبياء لحرب[8] هؤلاء وتسليطهم على نظرائهم من الكفار والفساق، عن أبي مسلم. «عِبَادًا»

---

(١) بتسليط: سلط، د.

(٢) سابور: شابور، د.

(٣) تسلط عليهم: سلط الله عليهم، و.

(٤) وإخراب: وخراب، د.

(٥) لتستكبرن: لتستكبرون، د، و.

(٦) كبيراً: كثيراً، د.

(٧) الذين تفسدون: اللذين يفسدون، د.

(٨) فتألفهم نبي من الأنبياء لحرب: تألفهم من يحن، د؛ نالهم بين لحرب، و. وما أثبتناه من مجمع البيان في تفسير القرآن: م٤/ج١٥/١٦.

قد[1] بينا ما قيل فيهم من غير تعيين، فأما من عين فقيل: كان جالوت الحوري وكان مجوسياً فقتله داود زمن[2] طالوت، عن ابن عباس، وقتادة، والأصم، وقيل: بخت نصر البابلي، عن سعيد بن المسيب، وابن إسحاق، وقيل: سنحاريب[3] [ملك بابل]، عن سعيد بن جبير، و[زعم] هو [أنه] من أهل الموصل، وهي نينوى [وأثور وسار إلى][4] بيت المقدس [مع] ستمائة ألف راية، وقيل: العمالقة، وهم[5] كانوا كفاراً، عن الحسن، وقد بينا أن الصحيح ما ذهب إليه أبو علي أنهم قوم مؤمنون أمرهم الله تعالى بجهاد هؤلاء[6]، لأن قوله: «**بَعَثْنَا**» وقوله: «**عِبَاداً لَنَا**» ظاهره يقتضي ذلك، وهذه الإضافة إضافة تشريف «**أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**» ذوي بطش في الحرب شديد «**فَجَاسُوا**» قيل: ترددوا وطافوا، عن ابن جرير، وقيل: مشوا، عن ابن عباس، وقيل: قتلوا، عن الفراء، وقيل: طلبوا من فيها كمن يجوس الأخبار، عن أبي عبيدة، وقيل: عاثوا وأفسدوا، عن القتيبي. «**خِلَالَ الدِّيَارِ**» أوسط[7] الديار «**وَكَانَ وَعْدًا**» أي: موعوداً كقولهم: هبة وموهوب «**مَفْعُولاً**» أي[8]: قضاء كائناً لا خلف فيه «**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ**» يا بني إسرائيل «**الْكَرَّةَ**» الرجعة والدولة «**عَلَيْهِمْ**» لأنهم تابوا وندموا[9] على ما سلف منهم من المعاصي وقتل[10] الأنبياء، وصلحوا فقبل الله توبتهم ونصرهم وأظفرهم على أعدائهم «**وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا**» قيل: أكثر عدداً، وقيل: أكثر رجالاً، عن مجاهد. «**إِنْ أَحْسَنتُمْ**» يا بني إسرائيل، قيل: الأعمال مما تحسن عقلاً وشرعاً، وقيل: بالتوحيد «**أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ**» لها ثوابها وإليها يعود نفعها «**وَإِنْ أَسَأْتُمْ**»

---

(١) قد: ـ، د.
(٢) زمن: من، د.
(٣) سنحاريب: سنخاربت، د.
(٤) من: مر، د.
(٥) وهم: ـ، د.
(٦) هؤلاء: الكفار، د.
(٧) أوسط: وسط، د.
(٨) أي: قيل، د.
(٩) وندموا: وتدينوا، و.
(١٠) وقتل: وقيل، د، و.

العمل «**فَلَهَا**» قيل: معناه فإليها كقوله: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [**الزلزلة: ٥**] أي: أوحى إليها، عن ابن جرير، إلا أنه ذكر لها لتقابل أحدها[١] مع أن حروف الإضافة يقع بعضها موقع بعض إذا تقاربت فمعنى أنت منتهى الإساءة، وأنت المختص بالإساءة يتقاربان، وقيل: فعليها[٢]، كقوله: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ [**الواقعة: ٩١**] أي: عليك، وقيل: إن أحسنتم بالتوبة رددت لكم الكرة، فتكونون محسنين إلى أنفسكم، وإن أسأتم فإليها، إِذَنْ يتسلط العدو عليكم، عن أبي مسلم، وقيل: لها الجزاء، والجزاء العقاب، وإذا أمكن حمل[٣] الكلام على ظاهره فلا معنى للعدول عنه، وهذا كله على أن الخطاب في قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لبني إسرائيل، وهو نسق الكلام، ويحتمل أن يكون خطاباً لأمة نبينا محمد صلى الله عليه فيكون اعتراضاً بين القصة، كما يفعل الخطيب يحكي ثم يعظ، ثم يعود إلى الحكاية، فكأنه لما بين أن بني إسرائيل لما عاثوا سلط الله عليهم قوماً، فلما تابوا قبل الله توبتهم، وأظفرهم على أعدائهم، خاطب أمتنا بأن من أحسن فجزاؤه[٤] له، ومن أساء فجزاؤه[٥] له حثاً على الطاعة، وزجراً عن المعصية ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: المرة الآخرة من إفسادكم، قيل: بالقتل والظلم، وقيل: بقصدهم قتل عيسى وقتل يحيى عليهما السلام، ثم اختلفوا فيمن جاءهم في هذه الدفعة[٦]، قيل: الفرس والروم، فقتلوهم وسبوهم، وأخذوا بلادهم، بعد أن كانوا الملوك على الناس، وقيل: جاءهم بخت نصر، عن الأصم، وقيل: لم يزل دم يحيى عليه السلام[٧] حتى قتل بخت نصر سبعين ألفاً، أو اثنين[٨] وسبعين ألفاً ثم سكن الدم، حكاه الأصم، وقيل: الأصح الأول، والله أعلم «**لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ**» قيل: ليسوأنكم[٩]، وذكر الوجه، لأن فيها يظهر السرور والحزن، عن أبي مسلم، وقيل: ليحزن وجوهكم.

(١) أحدها: إحداها، د.
(٢) فعليها: فعليهما، د.
(٣) حمل: ـ، و.
(٤) فجزاؤه: فجزاه، د.
(٥) فجزاؤه: فجزاه، د.
(٦) الدفعة: الوقفة، د.
(٧) عليه السلام: ـ، و.
(٨) أو اثنين: واثنين، د، و. وما أثبتناه من تفسير مجمع البيان؛ للطبرسي: ٦/ ٢٠٠.
(٩) ليسوأنكم: ليسوء معكم، د.

ومتى قيل: إذا كان القوم كفاراً كيف سلط عليهم؟

قلنا: في الكرة الأخرى لم يضف الإرسال إلى نفسه، ولا أضاف القوم إلى نفسه إضافة تشريف، ولكن أطلق وقال: «لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ»: «وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» أي[(١)]: مسجد بيت المقدس ونواحيه «كَمَا دَخَلُوهُ[(٢)] أَوَّلَ مَرَّةٍ» إنما أضاف الدخول أول مرة إلى هؤلاء وإن كان بين الدخولين مدة عظيمة، لأنهم كانوا في ذلك الأصل راضين بفعلهم، نشؤوا[(٣)] على طريقتهم فجاز الإخبار عنهم كما يعاتب[(٤)] الأبناء بصنيع الآباء، وقيل: يحتمل أن يكون القوم في الكرتين واحداً، والمدة بينهما قريبة فلا مانع، وقيل: إن الثانية كانت أشد من الأولى بكثير لأن بخت نصر أحرق[(٥)] كتبهم، وخرب مساجدهم، وقتل رجالهم، وسبى ذراريهم، وغنم أموالهم «وَلِيُتَبِّرُوا» أي: ليهلكوا ويدمروا «مَا عَلَوْا[(٦)]» أي: ما غلبوا عليه من بلادكم «تَتْبِيرًا» أي: هلاكاً «عَسَى رَبُّكُمْ» قيل: عسى من الله واجب «أَنْ يَرْحَمَكُمْ» ربكم يا بني إسرائيل بعد انتقامه منكم إن تبتم «وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا» وقيل: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة، عن ابن عباس، وقتادة. فعادوا فبعث[(٧)] الله تعالى عليهم محمداً ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون. وقيل: إن عدتم إلى التوبة[(٨)] عدنا إلى المغفرة، وقيل: إن عدتم إلى التوبة عدنا إلى القبول «وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا» قيل: محبساً، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد، وقيل: حصيراً أي: مهاداً كقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١]، عن الحسن، وقيل: حصيراً بمعنى محصر كرضي بمعنى مرضي.

---

(١) أي: ـ، و.
(٢) دخلوه: دخلوا، و.
(٣) نشؤوا: ليسوؤوا، د.
(٤) يعاتب: تعاتب، د.
(٥) أحرق: حرق، و.
(٦) ما علوا: ما علوا تتبير، و.
(٧) فبعث: بعث، د، و.
(٨) التوبة: الطاعة، د.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**وقضينا**» أن القضاء يكون بمعنى الإخبار خلاف ما تقوله المجبرة: أن معناه الخلق.

وتدل على أنه أخبر بني إسرائيل بما يكون في أعقابهم، فذلك يكون على لسان بعض الأنبياء، ويكون معجزة له إذا وجد مخبره يوافق خبره.

ويدل قوله: «**بعثنا**» أنه أمر قوماً بجهادهم، فهذا حقيقته، وإن كان يحتمل التخلية.

ومتى قيل: إذا كانوا مؤمنين وهو أولى فلم صارت الكرة عليهم؟

قلنا: قال أبو علي: إنهم تغيروا إلى الفسق والفساد.

ويدل قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ أن الجزاء يجب على الأعمال خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن المعصية توجب الخذلان، كما أن الطاعة توجب اللطف والتوفيق.

وتدل الآيات على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم، من جهات، فيبطل قولهم في المخلوق:

منها: قوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ[1]﴾.

ومنها: قوله: ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾. ومنها: قوله: ﴿فَجَاسُوا۟﴾.

ومنها: قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[2].

ومنها: قوله: ﴿لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾.

ومنها: قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ ,﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾.

ومنها: قوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ وكل ذلك يبين صحة ما نقوله.

---

(١) في الأرض: ـ ، د.

(٢) زيادة من د.

القصة

قد أكثر في القصة عن هاتين[1] الكرتين، واختلفوا اختلافاً شديداً، تقل الفائدة في إيراد جميعه، ونشير إلى جمل موجزة، فقيل: إن بني إسرائيل لما عتوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس، وقد بينا ما قيل فيه، وأن منهم من قال: كانوا مؤمنين، ومنهم من قال: بخت نصر، وقيل: كان ملك سبعمائة سنة فخرج إليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس، وقتل على دم يحيى سبعين ألفاً وسبى ذراريهم، وأغار عليهم، وأخرج أموالهم حتى أنزلهم بأرض بابل، فبقي بنو إسرائيل في مدة[2] مائة سنة تستعبدهم المجوس وأولادهم ثم رحمهم الله تعالى[3] فأمر ملكاً من ملوك فارس وكان مؤمناً، فردهم إلى بيت المقدس، فأقاموا مطيعين مائة سنة، ثم عادوا في المعاصي، فغزاهم ملك رومية وسباهم، عن حذيفة، وروي مرفوعاً.

وقال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والله تعالى[4] يتجاوز عنهم، وكان[5] أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أن الله تعالى بعث إليهم شعيا قبل مبعث زكريا، وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلوات الله عليهما، وكان له ملك يسمى صديقة، وكان النبي يرشده ويسدده، ومرض الملك، وجاء سنحاريب[6] إلى باب بيت المقدس بستمائة ألف راية، فهابهم الناس، ودعا الملك، فبرز ودعوا الله فمات جمع سنحاريب[7]، لم ينج إلا خمسة نفر منهم سنحاريب[8] وهرب وأرسلوا خلفه من أخذه، ثم أمر الله تعالى بإطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فأطلقوه، فكان أمر سنحاريب[9] مما خوفهم به، ثم كفاهم أمره، ولم يلبث سنحاريب[10] أن

---

(١) هاتين: هذين، د.
(٢) مدة: هذه، و.
(٣) تعالى: ـ ، و.
(٤) والله تعالى: والله أعلم تعالى، و.
(٥) وكان: فكان، د.
(٦) سنحاريب: سنحاريت، د، و.
(٧) سنحاريب: سنحاريت، د، و.
(٨) سنحاريب: سنحاريت، د، و.
(٩) سنحاريب: سنحاريت، د، و.
(١٠) سنحاريب: سنحاريت، د، و.

هلك بعد سبع سنين، واستخلف بخت نصر ابن ابنه[١]، فلبث سبع عشرة سنة، وهلك ملك بني إسرائيل، ومرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك، وقتل بعضهم بعضاً، فقام شعيا فيهم خطيباً، ووعظهم بعظات بليغة، وأمرهم ونهاهم فهموا بقتله، فهرب ودخل شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشار، فبعث الله إليهم أرميا، وهو خضر من سبط هارون، وملك عليهم ملكاً، وخرج أرميا لما رأى من أمرهم، ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وأفناها، وخربها، وقدم بابل، ومعه سبايا بني إسرائيل، فكانت هذه الوقعة الأولى، وقيل: كان بخت نصر مسكيناً ببابل فبلغ ما بلغ، وقيل: بعثه ملك بابل إلى بيت المقدس ففعل الأفاعيل، فلما رجع وقد هلك الملك ملكوه، وقيل: كان سببه قتل يحيى عليه السلام[٢]، وذلك أن ملك بني إسرائيل أراد أن يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى وبلغ أمها، فحقدت عليه، وبعثته على قتله، فقتل وقدم بخت نصر بابل بالسبايا وفيهم دانيال[٣] وغيره، ثم هلك بخت نصر، واختلفوا في سبب موته، قيل: قتله بوابه، وكان أمره بقتل دانيال[٤]، وقيل: قتله بعوضة، وقيل: الذي غزا بني[٥] إسرائيل في المرة الأولى بخت نصر، وفي المرة الأخيرة ملوك فارس والروم، وذلك لما قتلوا يحيى عليه السلام[٦] أتاهم ملك الروم، فقتل منهم[٧] مائة ألف وثمانين ألفاً، وخرب بيت المقدس، فلم يزل خراباً حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي إلا خائفاً، وقيل: غزاهم أولاً[٨] جالوت، وآخرا بخت نصر. والله أعلم.

(١) ابنه: أبيه، و.
(٢) عليه السلام: عليه سلام، و.
(٣) دانيال: داينال، د.
(٤) دانيال: داينال، د.
(٥) بني: بنوا، د.
(٦) عليه السلام: ـ ، و.
(٧) منهم: ـ ، و.
(٨) أولاً: أولى، د.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

اللغة

العجلة: طلب الشيء قبل وقته.

والآية: العلامة، وجمعها: آيات. والمبصرة: المضيئة النيرة، قال أبو عمرو: أراد تبصر بها، قال الكسائي: هو من قول العرب: أبصر النهار، إذا[1]: أضاء، وصار بحال يبصر بها.

ويقال: فَصَلْتُ الشيء فَصْلاً[2]، والفاصل: الحاكم، لأنه يفصل الأمور.

الإعراب

يقال: لم فتحت (أن) في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

قلنا: فيه قولان:

أولهما: العطف على (أن) الأولى، وهو قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وذلك أنهم بشروا بالنعيم لهم، والعذاب لأعدائهم.

وثانيها: على حذف اللام بتقدير: وأن[3] الذين، ولو كسرت جاز على الاستئناف[4].

(١) إذا: أي، و.

(٢) فصلاً: تفصيلاً، د.

(٣) أن: ـ، و.

(٤) الاستئناف: الاستثناء، د.

ويقال: ما أصل (**أعتدنا**)؟

قلنا: أعددنا، قلبت الدال تاء فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال هو أشكل به من الطاء في كلام العرب.

وحذف الواو في ﴿وَيَدۡعُ[1] ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ في اللفظ، ولم تحذف في المعنى، لأنها في موضع رفع.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ بما قبله؟

قلنا: أمر بني إسرائيل بالحق، والطريق المستقيم، بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ إن تبتم وقبلتم الإسلام، بين أن ذلك الطريق هذا الكتاب الذي يدل على ما هو أحسن الأديان.

وقيل[2]: يتصل بقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: كما آتينا موسى الكتاب آتينا محمداً هذا القرآن، وهو أحسن وأقوم.

وقيل: يتصل بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ كأنه قيل: أسرى بعبده وآتاه الكتاب معجزة له وهداية.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ بما قبله من ذكر القرآن؟

قيل: لما بين أنه يبشر الكافرين بالعذاب عقبه بأنهم يستعجلون ذلك جحداً وإنكاراً، وأنه يمهلهم رحمة وتفضلاً، وقيل: به أسبغ[3] إنعامه عليهم بهذا القرآن، [وأن الإنسان ربما يدعو في الزجر والغضب على نفسه وأهله وماله بما لا يجب أن يستجاب له فيه] وكفرهم به واستعجالهم العذاب بجهلهم [وعنادهم فلو أجاب الله دعاءه لأهلكه لكن لا يجيب بفضله ورحمته]، وإنما يستجيب ما فيه صلاحهم، وبين [في الآية الأخرى] أنه أنعم عليهم بوجوه النعم، وإن لم يشكروه، كالليل والنهار وغير ذلك[4].

---

(١) ويدع: يدع، د.

(٢) قيل: ـ، د.

(٣) أسبغ: انتفغ، و.

(٤) انظر مجمع البيان للطبرسي: ٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

۞ المعنى

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي» يدل «لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» أي: الطريقة التي هي أشد استقامة، وذلك قوله: ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] وهو دين الإسلام «وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ» يعني يعلمهم ويخبرهم بما يسرهم، وهذا توسع، لأن الله يبشر بما في القرآن «الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا» أي: ثواباً، وقيل[١]: سمي أجراً قيل: لأنه يستحق في مقابلة العمل، كما أن الأجرة تجب في مقابلة العمل[٢]، وذلك توسع، لأن الأجرة تجب بعمل يعود نفعه على المستأجر، والثواب يجب بعمل يعود نفعه على العامل لكنه تعالى أوجب ذلك له في مقابلة[٣] عمله بفضله ورحمته، وقيل: سماه أجرة ليعلم المكلف أنه لا ينالها[٤] إلا بالكد «كَبِيرًا[٥]» عظيماً، قيل: الأجر الكبير[٦] هو الجنة وثوابها لكثرة نعيمها ودوامها «وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا[٧]» وجيعاً وهو عذاب النار نعوذ بالله منها «وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ» قيل: يدعو على نفسه وولده عند غضبه، فيقول: اللهم العنه واغضب عليه كما يدعو بالخير بأن يهب له النعم والأولاد، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والأصم، وأبي علي، ولو استجاب الله دعاءه لهلكوا، ولكن بفضله لا يستجيب، وقيل: يطلب ما هو شر له ليتعجل الانتفاع[٨] به، يوضحه قوله: «وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً» وقيل: يستعجلون العذاب استعجال الجاحد له، كما تدعون[٩] بالخير طائعاً فيه ونظيره قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾[١٠] [الأنفال: ٣٢] وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾

(١) قيل: ـ، و.
(٢) كما أن الأجرة تجب في مقابلة العمل: ـ، د.
(٣) مقابلة: مقالة، و.
(٤) ينالها: يناله، د.
(٥) كبيراً: كثيرا. والصحيح ما أثبتناه من نص الآية.
(٦) الكبير: الكثير، د، و.
(٧) أليما: ـ، د.
(٨) الانتفاع: الانتقام، د.
(٩) تدعون: يدعون.
(١٠) زيادة من د.

[الحج: ٤٧]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦]، عن أبي مسلم، يبين[١] الله تعالى[٢] أن تدبيره لأنفسهم خير من تدبيرهم لأنفسهم «وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً» قيل: عجولاً بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه، عن مجاهد، وقتادة، وقيل: ضجراً لا صبر له على البأساء والضراء، وقيل: عجولاً بالدعاء على ما يكره، وقيل: آدم لما نفخ فيه الروح فبلغت إلى رجليه قبل أن تجري فيهما[٣] رام النهوض، حكي ذلك عن ابن عباس، وهذا لا يصح لأنه ما لم تصر الجملة حية لا يصح منها الإرادة ولا الفعل «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ» يعني نور النهار وظلمة الليل، وقيل: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، والأول أليق بالظاهر والأصح[٤]؛ لأنه ليس في الآية ذكر الشمس والقمر، إنما ذكر الليل والنهار، فالمراد أنهما آيتان، فآية الليل الظلمة، وآية النهار الضوء، عن الأصم، وأبي علي، قال الأصم: ولأن القمر قد يكون[٥] بالنهار، فأما أبو مسلم فإنه جوز كلا الوجهين. «آيتين» قيل: علامتين ودلالتين على حدوثهما وعلى حدوث ما لا ينفك منهما، وهو العالم أجمع، وعلى صانع حكيم، وأنه قادر عالم حي موجود قديم سميع بصير، وقيل: آيتين أي: علامتين على ما يطلب فيهما، فالنهار يضيء للأعمال وطلب المعاش، والليل للسكون والدعة «فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ» أي: جعلناها لا تضيء كما يضيء النهار لأنها مظلمة، وقيل: الليل يمحو لأنه لا يبصر فيه كمحو الكتاب لا يبصر فيه، وقيل: محو الليل بعد الضوء المنتشر، وهذا من البلاغة الحسنة.

ومتى قيل: إذا كان المراد الليل والنهار، فلم أضاف الآية إليهما؟

قلنا: مثله جائز كما يقال: بلاد العراق، وعين الشيء[٦]، ومسجد الجامع ونحوه، وقيل: المراد محو[٧] القمر، ثم اختلفوا فمنهم من قال: محوه قلة نوره،

---

(١) يبين: فبين، د.
(٢) تعالى: ـ، و.
(٣) فيهما: إليهما، و.
(٤) والأصح: وأصح، د.
(٥) يكون: تكون، د.
(٦) الشيء: النبي، و.
(٧) محو: محق، د.

والقمر وإن كان نيراً[١] خصوصاً في أيام البيض فبالإضافة إلى الشمس كأنه يمحو، وقيل: محو القمر للسواد الذي فيه، عن علي (عليه السلام)[٢] وابن عباس.

«**وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**» قيل: مضيئة للأبصار[٣]، وقيل: أهل بصر[٤] فيه، كما يقال: رجل مخبث، أي: أهله خبثاء، ومضعف أي: دوابه ضعفاء، وقيل: مضيئة منيرة «**لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ**» أي: رزقاً «**وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**» أي: لتعلموا التواريخ والسنين والأشهر والأيام والآجال، ولولا الليل والنهار لما علم شيء من ذلك، «**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً**» أي: بينا الدلالات وأوضحناها بياناً شافياً ليقف الناس عليها.

۞ الأحكام

تدل الآية أن ما دل عليه القرآن هو أقوم وأحسن وهو الإسلام وشرائعه.

وتدل على أن البشارة[٥] بالجنة[٦] لمن آمن وعمل صالحاً خلاف ما تقوله المرجية.

وتدل على أن الثواب والعقاب جزاء الأعمال خلاف ما تزعمه المجبرة.

وتدل على أن للعبد عمل فيبطل قولهم في المخلوق.

ويدل قوله: «**ويدع**» عن النهي عن العجلة في الأمور، وعن الدعاء بالسرعة والضجر، وروى الأصم أن النبي ﷺ أودع سودة بنت زمعة أسيراً فكثر أنينه، وكان مكتوفاً بقد، فقالت: ما لك لا تنام، فقال: أكل القد يدي، فرحمته، وأرخت من كتافه، فلما نامت هرب، فقال النبي ﷺ: «ما لها قطع الله يدها»، فرجعت سودة تنظر إلى يدها تنتظر الدعاء، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «مروها فلتسكن فإني سألت

(١) نيراً: منيراً، د.
(٢) عليه السلام: ـ ، و.
(٣) للأبصار: الأبصار، د.
(٤) بصر: بصرا، د.
(٥) البشارة: ـ ، و.
(٦) بالجنة: الجنة، و.

ربي فقلت: إنما أنا بشر من أهلي أغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد من أهلي نفيته[1] فاجعل ذلك رحمة» فوضعت يدها.

ويدل الليل والنهار على مدبر حكيم ونعمة عظيمة مما يطول تفصيلها.

قوله تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا
﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر «**يخرج**» بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله، أي: يخرج له الطائر كتاباً، وقرأ يعقوب، والحسن، ومجاهد: «**يخرج**» بفتح الياء[2] وبضم[3] الراء على إضافة الخروج إلى العمل تقديره: ويخرج[4] طائره الذي هو[5] عمله كتاباً يلقاه، وقيل: تقديره: يخرج[6] له الطائر فيصير كتاباً، قرأ يحيى بن وثاب: «**ويخرج**» بضم الياء وكسر الراء على تقدير: ويخرج الله له كتاباً، ويحتمل يخرج الطائر، والقراء على: «**نخرج**» بالنون وضمها وكسر الراء على[7] معنى: ونحن نخرج له ذلك، واحتج أبو عمرو لهذه[8] القراءة بقوله: «**ألزمناه**».

وقرأ أبو جعفر وابن عامر: «**كتابا يلقاه**» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف،

---

(١) نفيته: لقيته، د.
(٢) الياء: ـ، د.
(٣) وبضم: وضم، د.
(٤) ويخرج: وتخرج، د، و.
(٥) الذي هو: التي هي، د، و.
(٦) يخرج: تخرج، د، و.
(٧) تقدير ويخرج. . . الراء على: ـ، د.
(٨) لهذه: بهذه، د.

يعني يلقى الإنسان ذلك الكتاب أي: يؤتاه، وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون اللام خفيفة القاف بمعنى يراه.

وقراءة العامة[1] «طائره» بالألف، وعن الحسن ومجاهد وأبي رجاء العطاردي: «طيره» بغير ألف والمعنى واحد.

اللغة

الإنسان: قيل[2]: حيوان على صورة الإنسانية، وقد يكون[3] حيوان[4] ليس بإنسان، وصورة إنسان وليس[5] بحيوان، وقيل: ذو صورة بصورة الإنسان، يسمى إنساناً، وإن كان غير حيوان، والأول الوجه.

والطير: جمع طائر، وطائر الإنسان عمله، والطير التطير من الشيء، واشتقاقه من الطير كالغراب ونحوه، وقيل: الطائر ما قضي أنه يطير إليه، وقد يقال: طيرت المال بين القوم، وطائر[6] لفلان كذا، أي: قدرته فصار له، ومنه الحديث: «فأطرت الحلة في نسائي» أي: قسمتها، عبر عنه بالطائر على عادة [العرب] فيما كانت تتفاءل أو تتشاءم[7] به من سوانح الطير وبوارحها[8]، وللعرب مذهب في زجر الطير، والاستدلال به على الأمور.

والعنق: عبارة عن النفس، وعن العضو، والعرب تقيم الرقبة والعضو مقام الذات، يقال: أعتقت رقبة، وطوقت عنقي أمانة، قال أبو حنيفة: إذا قال: رقبتك حر، أو عنقك، أو رأسك عتق، لأنه يعبر به عن جميع البدن، ولو قال: يدك أو شعرك لا يعتق؛ لأنه جزء[9] بمعنى لا يعبر عن البدن، وقال الشافعي: يعتق وهما سواء.

---

(١) العامة: العا، د.
(٢) قيل: ـ، و.
(٣) يكون: ـ، و.
(٤) حيوان: حين أتى، د.
(٥) وليس: ليس، د.
(٦) وطائر: فطار، د.
(٧) تتفاءل أو تتشاءم: يتفاءل ويتشاءم، د، يتفاءل أو يتشاءم، و.
(٨) وبوارحها: وزواجرها، د.
(٩) جزء: حرر، د.

والنشر: خلاف الطي.

والحسيب: المحاسب، ونظيره: الشريك والمشارك، والخصيم والمخاصم.

۞ الإعراب

نصب (كتاباً) لإيقاع[1] الإخراج عليه، هذا على القراءة المشهورة، أي: نخرج له كتاباً، وعلى قراءة يعقوب نصب على الحال، وقيل: بتقدير محذوف، فيصير ذلك كتاباً فهو خبر صار، وعلى قراءة أبي جعفر خبر ما لم يسم فاعله، أي: يخرج الطائر كتاباً، كقولهم: أعطى زيد درهماً، «حسيبا» قيل: وحسيب[2].

«منشوراً» صفة الكتاب.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الوعيد عقبه ببيان[3] كيفية ذلك، فقال سبحانه: «**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**» قيل: طائره عمله، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإنما يلزم عمله في عنقه بأن يحكم بالجزاء له، وقيل: عمله في الدنيا، يقرن بينه وبينه فيصير كالطوق له إن خيراً[4] فخير وإن شراً[5] فشر، عن الحسن، قال ابن عباس: عمله وما قدر له فهو ملازم له[6] فيما كان، وقيل: طائره خيره وشره، عن مقاتل، والكلبي، وقيل: يمنه وشؤمه، عن الحسن، والأصم، وهو ما يتطير[7] منه، وقيل: طائره ما قدر له من خير أو شر وما يصير إليه، وقيل: حظه من الخير والشر، عن أبي عبيدة، والقتيبي، وقيل: أراد بالعنق النفس، وبالطائر الدليل معناه جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه بأن

---

(١) لإيقاع: لارتفاع، د.
(٢) وحسيب: حسيب، د.
(٣) ببيان: بذكر، د.
(٤) خيراً: خير، و.
(٥) شراً: شر، و.
(٦) له: +، و.
(٧) يتطير: ينظر، د.

له صانعاً حكيماً على ما بينا له وهديناه إليه وشاهداً عليها فلزمته الحجة، ثم خص أعماله، كقوله: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، عن أبي مسلم، وإنما خص العنق لأن إضافة ما يزين كالطوق، أو يشين كالغل يضاف إلى الأعناق، وإنما يضاف العمل إلى الأيدي وإن كان كسبه لغيره، فأضاف ذلك إلى الأعناق على عادة العرب، وقيل: لأنه يذكر ويراد به جميع النفس، تقول: هذه أمانة في عنقي أي: علي «**وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا**» وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم «**يَلْقَاهُ**» يرى ذلك «**مَنشُورًا**» أي ينشر له ويعرض عليه حتى يقرأه ويعلم ما فيه، وقيل: ظاهر لا يغيب عنه شيء من أعماله، عن الأصم. «**اقْرَأْ**» فيه حذف أي: ويقال له: «**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**» قيل: يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا، عن قتادة، وقيل: قوله: «**حَسِيبًا**» أي[1]: محاسباً، قال الحسن: لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك، وقيل: حاكماً في عمله بموجبه من خير أو شر، وقيل: حسيباً شهيداً، وإنما أضاف الحساب إلى العبد قيل: ليعلم أنه لا حجة له، وقيل: ليعلم أهل الموقف أنه مأخوذ بعمله، وأنه لا يظلم أحداً «**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**» أي: نفع الاهتداء يعود عليه «**وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**» أي: ضرر ضلالته تعود عليه، ولا يضر إلا نفسه «**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**» قيل: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، والوزر: الإثم، وقيل: لا يجوز لأحد أن يعمل الإثم؛ لأن غيره[2] عمله، والأول أظهر «**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ**» أحداً «**حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**» قيل: لا نعذب بعذاب الدنيا والآخرة إلا بعد البعثة، وإقامة الحجة قطعاً[3] للعذر، وقيل: لما فيه من اللطف الذي لا يجوز منعه، قالوا: ولا يجوز أن ينفرد التكليف العقلي والسمعي، وهو قول كثير من مشايخنا، وقيل: لا نؤاخذ بطاعة ومعصية لا تقوم بها[4] الحجة إلا من قبل الرسول أو من[5] ينوب عنه،

---

(١) أي: ـ، د.
(٢) غيره: غير، و.
(٣) قطعاً: وقطعاً، د.
(٤) بها: فيها، د.
(٥) أو من: ومن، د.

ولا نعذب عليه، لأنه يكون ظلماً، فأما ما يعلم بالعقل فيجوز أن يعاقب عليه وإن لم يعلم بآية الرسول، قالوا: ويجوز أن ينفرد التكليف العقلي والسمعي، وهو قول مشايخنا، وقيل: أراد عذاب الاستئصال، فإن عادة الله تعالى لا يعذب به إلا بعد أن يبعث رسولاً.

الأحكام

يدل أول الآيات أن جزاء أعمالهم لازم لهم، وفيه حث على الطاعة وزجر عن المعصية.

وتدل على أن أعمال المكلف مكتوبة، وعن الحسن أن[1] عليه موكلان يكتبان خيره وشره، فإذا مات طويت صحيفته فجعلت معه في عنقه حتى يخرج يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، وفي[2] علم المكلف به لطف له.

ويدل قوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ على قطع العذر، وتمام الحجة، وأنه تعالى لا يظلم أحداً.

وتدل على إثبات المحاسبة والصحف في الآخرة.

ويدل قوله: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أن كل أحد[3] يجازى بعمله، وروي عن النبي ﷺ أنه قال لرجل: «لا تجني يمينك على شمالك» وهذا مثل ضربه.

وتدل على بطلان قول من يقول: إن أطفال المشركين[4] يعذبون.

ويدل عليه أيضاً قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ لأنه لم يبعث إليه رسولاً.

وتدل على أنه لا يعذب إلا بعد البعثة، والصحيح أن المراد به عذاب

(١) أن: ـ، و.
(٢) وفي: أو في، د.
(٣) أحد: واحد، د.
(٤) المشركين: الكفار، د.

الاستئصال، أو قوم[١] علم الله أن البعثة لطف لهم، أو المراد أنه لم يعذب وإن جاز أن يعذب.

وتدل على أن الكفار مخاطبون بالشرائع، لذلك لزمهم الحجة بها وعذبوا على تركها.

وتدل على أنه لا يلحقهم ما لم يبلغهم، ولهذا قال أصحابنا: من أسلم في دار الحرب ولم يعلم بوجوب الصلاة والصوم ثم خرج إلينا لا يلزمه القضاء، وهكذا في دار الإسلام في القياس، إلا أنا[٢] استحسنا وألزمناه القضاء، لأن دار الإسلام لا تخلو من أذان ومساجد وتعلم، فقد أتى التفريط من جهته، بخلاف دار الحرب.

وتدل على بطلان قول المجبرة في المخلوق من وجوه كثيرة:

منها: قوله: «**طائره**» أي: عمله فكيف ألزمه وأضافه إليه، وهو الخالق له بجميع صفاته ولا تأثير للعبد إلا أنه[٣] محله فما هو إلا كلونه وهيأته.

ومنها: قوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ وهو ما يكتب عليه، ومتى كان هو الخالق لها فلم[٤] تكتب على العبد؟

ومنها: قوله: «**اقْرَأْ**» فإن كانت القراءة خلقاً له لما كان لقوله: «**اقْرَأْ**» معنى.

ومنها: قوله: «**حَسِيباً**» ولو كان هو الخالق لكان عليه حسابه لا على العبد.

ومنها: أنه يحاسب ليظهر لأهل الجمع أنه مجازى بعمله ولا يظلمه، ولو خلق فيه الكفر وأراده[٥] ومنعه من الإيمان لم يكن لهذا الحساب أنه يجازيه معنى وفائدة، إذ لا ظلم أعظم من هذا.

---

(١) أو قوم: أو قوماً، د.

(٢) أنا: ـ ، د.

(٣) أنه: ـ ، و.

(٤) فلم: فلماذا، د.

(٥) وأراده: والإرادة، د.

ومنها: قوله: (مَّنِ اهْتَدَى ـ وَمَن ضَلَّ) فأضافهما إليه، ولو كان خلقهما فيه لكان إضافتهما[1] إلى الخالق أولى.

ومنها: قوله: ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ فأضاف النفع والضر الذي يتفرع عن عمله إليه، وأنه الجالب على نفسه ذلك، فلو كان هوالخالق لم يكن لهذا فائدة.

ومنها: قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الآية، ولو كانت هذه الأفعال خلقه، لكان كل أحد[2] مأخوذاً بفعل غيره.

ومنها: قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ أراد قطع العذر وإلزام الحجة، فلو كان الإيمان والكفر خلقاً لله تعالى لم يكن للبعثة فائدة، ولا فيها قطعاً للعذر، لأنه يقول: لو خلقت في الإيمان ولم تخلق الكفر كنت[3] مؤمناً، سواء كان ثم رسول أو لم يكن، ولو خلقت الكفر[4] ولم تخلق الإيمان لم يكن مؤمناً، ولو ملأت الدنيا بالرسل فأي قطع للعذر بالإرسال، وهذا[5] عذر واضح إن كان الأمر على ما تزعمه المجبرة من هذا. ثم كيف يقطع العذر وقد خلق فيه الكفر والقدرة الموجبة للكفر وأراد منه الكفر، فعصاه ومنعه الإيمان فلم[6] يعطه قدرة الإيمان، ولا أراد منه الإيمان فكل واحد من هذه الوجوه موجبة فكيف يحتج على العبد، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

---

(١) إضافتهما: إضافتها، د.
(٢) أحد: واحد، د.
(٣) كنت: لكنت، د.
(٤) ولو خلقت الكفر: ـ ، د.
(٥) وهذا: وهل، د.
(٦) فلم: ولم، د.

قوله تعالى:
﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ
ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾
وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**أمرنا**» بالتخفيف غير ممدود من الأمر، وقرأ أبو عثمان النهدي، وأبو رجاء العطاردي، ومجاهد، وأبو العالية الرياحي: «**أمّرنا**» بتشديد الميم من التأمير، بمعنى التسليط، وأصله من الإمارة، يقال: أمر عليهم يأمر إذا صار أميراً، وأمره عليهم يؤمره، وفي الحديث: «أميري[1] من الملائكة جبريل» يعني وليي وصاحب أمري، وكل من فزعت إليه في مشاورة فهو أميرك[2]، والزوج أمير[3] المرأة، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب وأبو حيوة[4] الشامي: «**آمرنا**» بالمد أراد كثرنا، وقيل: اشتقاقه من الأمر، لأنه إذا كثر القوم احتاجوا إلى آمر يأمرهم وينهاهم، وفي الحديث: «خير المال[5] مهرة مأمورة» الكثيرة النسل والنتاج، يقال: أمرهم الله فأمروا أي: كثروا، قال لبيد:

كُـلُّ بَـنـي حُـرَّةٍ مَـصـيـرُهُـمُ قُـلُّ وَإِن أَكـثَـروا مِـنَ الـعَـدَدِ
إِن يُـغـبَـطـوا يُـهـبَـطـوا وَإِن أَمِـروا يَـومـاً يَـصيـروا لِـلـهلاكِ[6] وَالـنـفَـدِ[7]

(١) أميري: أمرني، د.
(٢) أميرك: أمرك، د.
(٣) أمير: أمر، د.
(٤) وأبو حيوة: وأبو حيرة، و.
(٥) المال: المالف، د.
(٦) للهلاك: للهلك، د.
(٧) البيتان للبيد بن ربيعة، انظر: الديوان ص١٥٨، بتحقيق: إحسان عباس، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤، واللسان، وتاج العروس؛ مادة: قلل.

قال أبو عبيدة: والأولى قراءة العامة، لأنه يجمع المعاني الثلاثة الأمر والإمارة والكثرة.

اللغة

الترفه: النعمة، وأترفوا فيها، أي: نعموا، قال ابن عرفة: المترف المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع منه، وإنما قيل للمتنعم: مترف، لأنه مطلق لا يمنع من تنعمه.

والدمار: الهلاك، ونظيره: التبار والبوار، يقال: دمر القوم يدمرون دماراً ودموراً، ويكون الدمور الدخول بلا إذن، ومنه الحديث: «من نظر في صير باب فكأنما دمر» أي: دخل بغير إذن.

والذم: العيب[١]، ذممت فلاناً أذمه ذماً، وهو ذميم، ونقيض الذم المدح، ويقال: افعل هذا وخلاك ذمي، أي: ولا ذم عليك، وفي حديث عبد المطلب أنه رأى في المنام: احفر زمزم لا تنزف ولا تذم[٢]، فيه ثلاثة أقوال: أولها: لا تعاب من قولك: ذممته. الثاني: لا تلقى مذمومة، يقال: أذممته وجدته مذموماً. الثالث: لا يوجد ماؤها قليلاً من قولك: بئر[٣] ذمة، قليلة[٤] الماء، والذمة بكسرالذال: الضمان والعهد والأمان.

والدحر: الطرد والإبعاد، والمدحور: المطرود المبعد، ويقال: اللهم ادحر عنا الشياطين أي: أبعدهم، ومنه: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٨، ٩] أي: مبعد.

الإعراب

يقال: لماذا دخلت الباء في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ ؟

(١) العيب: العتب، د.
(٢) تذم: لاينزف ولا يذم، د.
(٣) بئر: بين، د.
(٤) قليلة: قليل، د.

قلنا: دخلت للمدح، كما تدخل في قولك: ناهيك به رجلاً، وجاد بثوبك ثوباً، وطاب بطعامك طعاماً، وأكرم به رجلاً، وهي في كل هذا في موضع رفع.

﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ نصب على الحال، وقوله: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ نصب على التمييز، وقيل: أراد: (من خبير) فلما حذفت (من) نصبت[1].

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الآيات في قوم من المهاجرين[2] طلبوا عاجل الدنيا، وهو الغنائم دون ثواب الله.

النظم

يقال: كيف تتصل الآيات بما قبلها؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنها تتصل بما تقدم من قصة بني إسرائيل فيما فعل بهم في المرة الأولى والثانية على ما تقدم، فبين أن[3] فعله بهم عند الإفساد موافق لعادته فيمن يريد إهلاكه، فإنما يهلك القرى إذا أمر مترفيها ففسقوا فيها عن أمره، فيكون إهلاكاً بالاستحقاق لا على الابتداء، عن أبي مسلم.

وقيل: تتصل بما قبله ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ أي: لا نعذب إلا بعد إرسال الرسل، وتقديم الأمر والنهي وإتمام النعمة وإظهار العصيان منهم.

المعنى

«**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**» لما لم يجز تقديم إرادة العذاب على المعصية لأنه عقوبة عليها فيما[4] لم توجد لا[5] يحسن العقاب، وما لم

(١) نصبت: نصيب، د.
(٢) المهاجرين: المجاهدين، د.
(٣) أن: أنه، د، و.
(٤) فيما: فما، د.
(٥) لا: لم، د.

يحسن فعله لا[1] يحسن إرادته فعند ذلك اختلفوا في معنى الآية وتقديرها على وجوه:

أولها: إذا أردنا أن نحكم بهلاكها أن نخبر بذلك، ولا يصح الحكم إلا ونريد ذلك الحكم فتقديره[2] إذا حكمنا بهلاك قرية أمرنا مترفيها على لسان الرسل بالطاعة، فإذا فسقوا فحق عليهم القول، أي: القول الذي أراده بإهلاكهم، ومثله: إذا أراد الحاكم الفصل بين الخصوم أمر بتقديمهم إليه، أي: إذا أراد الحكم بالفصل، وعلى هذا المراد بالإرادة حقيقة الإرادة، وما يتعلق به الإرادة محذوف وهو الحكم.

ومتى قيل: لم جاز تقديم الإرادة؟

قلنا: لأن الحكم إخبار عما يفعله في الثاني جزاء على فعلهم، فيكون فيه اعتبار للملائكة فيحسن، فأما الإرادة فلا فائدة في تقديمها على المراد، ولأن تقديم الإرادة على المراد بزمان كثير لا يجوز بخلاف الحكم، وهذا هو[3] معنى قول الأصم.

الثاني: أن المراد بالإرادة[4] قرب الهلاك والعلم بكونه لا محالة، لا حقيقة الإرادة، وهو مجاز وتوسع، كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ **[الكهف: ٧٧]** وكقولهم: إذا أراد المريض أن يموت اشتدت أمراضه، وإذا أراد التاجر أن يفتقر أتته الوضائع من كل جهة، وليس المراد إثبات حقيقة الإرادة، فعلى هذا إذا قرب إهلاك[5] قرية أمرناهم [بالطاعة] ففسقوا، فحق عليها القول فدمرناهم، عن أبي علي.

الثالث: أن في الآية تقديم وتأخير، تقديره[6]: إذا أمرنا مترفي قرية[7] بالطاعة ففسقوا عن أمرنا وعصونا حق عليهم القول، وهو الوعيد أردنا عند ذلك إهلاكهم، فأهلكناهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ **[المائدة: ٦]**

---

(١) لا: لم، د.
(٢) فتقديره: فتقدير، د، و.
(٣) هو: ـ ، د.
(٤) بالإرادة: الآية، د.
(٥) إهلاك: الهلاك، د، و.
(٦) تقديره: وتقديره، د.
(٧) قرية: قوم، د.

وغسل الأعضاء يجب قبل القيام إلى الصلاة، وتقديره: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا، ولكن عند أهل العربية ذكر الإرادة وحذفها والتقديم والتأخير لها، وعلى هذا يكون معنى (إذا أردنا أن نهلك قرية) أي: إذا أهلكنا قرية فإنما نهلكها بفسق مترفيها، واستحقاقهم العذاب، عن أبي مسلم.

الرابع: هو أن يكون جواب (إذا) محذوف لما في باقي القصص من الدليل عليه، ويكون (أمرنا مترفيها) من صفة القرية، ولا يكون كلاماً مستأنفاً ولا جواباً، فإن القرية في هذا الموضع نكرة، والنكرة إذا أريد تعريفها وصفت فلحقت بالمعرفة، وتقديره: إذا أردنا أن نهلك قرية قد كنا أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناهم، وأحللنا بهم ما نريده، عن أبي مسلم أيضاً.

ومتى قيل: لم لا يجوز أن يتعلق الهلاك بإرادته تعالى وأمره؟

قلنا: أما الإرادة فلا يجوز تقديم العذاب قبل الاستحقاق، فلا يجوز[1] إرادة العقاب، ولأنه لا يجوز تقديم الإرادة على المراد، وأما الأمر فأوامره تعالى لا توجب الهلاك وإنما الموجب له مخالفتهم للأمر، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ ,﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩] فلا بد من حمله على ما ذكرناه.

ومتى قيل: فما معنى المترفين؟ ولم خصهم بالذكر؟

قلنا: معناه: المنعمون، وخصهم بالذكر لأنهم الرؤساء وعليهم مدار الأمر، وحكم البلد ثابت بهم، ومن عداهم تبع لهم كفرعون في قومه، فصاروا فسقة بفسقهم، قيل: ولأن النعمة إذا كثرت أوجبت زيادة الشكر، فإذا ازدادوا كفراً على كفرهم استحقوا زيادة العقوبة، ومعنى (أمرنا) أي: أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير.

ومعنى (فسقوا فيها) أي: خرجوا عن طاعة الله وتمردوا في العصيان.

---

(١) تقديم العذاب قبل الاستحقاق فلا يجوز: ـ ، و.

«**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ**» أي: وجب عليها الوعيد «**فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**» أي: أهلكناهم إهلاكاً.

ثم بين ما جرى من مثل ذلك على[1] الأمم، فقال سبحانه: «**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ**» أي: من الأمم المكذبة، وكم هاهنا للتكثير «**مِنْ بَعْدِ نُوحٍ**» أي: من بعد زمان نوح إلى زمانكم من القرون الماضية، وقيل: القرن مائة وعشرين سنة، عن عبد الله بن أوفى، وقيل: مائة سنة، عن محمد بن القاسم، وروي مرفوعاً، وقيل: ثمانون سنة، عن الكلبي، وقيل: أربعون سنة، فيما رواه ابن سيرين عن النبي ﷺ. «**وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**» أي: كفى به عالماً بذنوب عباده ليجازيهم بحسب أعمالهم.

ثم بين تعالى أنه يعطي كل أحد بحسب ما يصلحه ويدبره[2]، فقال سبحانه: «**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ**» أي: النعمة العاجلة، وهي الدنيا فعبر عن الاسم بالنعت «**عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ**» من البسط والتقتير، فعلق ذلك بمشيئته لا بمشيئة العبد، فقد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله، لكونه مفسدة فلا نعطيه «**لِمَنْ نُرِيدُ**» أن نفعله به، فعلق من يريد إعطاءه بإرادته لا بإرادة العبد، فبين تعالى أنه رُبَّ حريص يريد الدنيا فلا [أعطي]، وإن أعطي قليلاً «**ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ**» أي: مأوى مريد[3] الدنيا، وعساه[4] أن يصير إلى جهنم «**يَصْلَاهَا**» أي: يصير بصليها[5]، وقيل: يحترق بنارها «**مَذْمُومًا**» معيباً، يعني يذمه الله ويعيبه، وكذلك الملائكة والمؤمنون «**مَدْحُورًا**» مطروداً[6] مبعداً من رحمة الله «**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ**» أي: نعيمها وثوابها «**وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا**» أي: عمل عمل الآخرة لأجل الثواب، وقيل: عمل لأجل[7] الآخرة لا لرغبة ولا لرهبة، بل تقرب[8]

(١) على: عن، و.
(٢) ويدبره: وتدبيره، د.
(٣) مريد: من يريد، د.
(٤) وعساه: وعصاه، د.
(٥) بصليها: يصلاها، د.
(٦) معيباً يعني. . . مطروداً: ـ ، د.
(٧) لأجل: لا أجل، د.
(٨) تقرب: تقرباً، د.

إلى الله وطلب رضاه، وابتغاء ثوابه، وقيل: «وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا» أي: سارع إلى الأعمال الموجبة لها، وقيل: يكون مقصور السعي على طريقة الآخرة، وقيل: فعل الفعل الجميل «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» أي: يعمل الصالحات مع الإيمان، فشرط أربعة شروط:

أحدها: أن يريد بعمله ثواب الآخرة.

والثاني: أن يريدها بأعمال الآخرة لا غيرها.

والثالث: المسارعة، لأن قوله: «وسعى» ينبي عن ذلك.

الرابع: الإيمان.

«فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا» قيل: إنه يثاب ويمدح ويعطى[1] عليه، فحل محل الشكر، ومعناه: يجازى على طاعته أحسن[2] الجزاء، عن أبي علي، وقيل: مشكوراً مقبولاً، عن[3] الأصم، وقيل: محفوظاً لهم حتى يدخلهم الجنة، عن الحسن، لأن الشاكر يتشدد في حفظ نعم[4] المنعم، وقيل: أراد بالشكور أنه يقبل القليل ويعطي به الكثير، قال قتادة: شكر الله حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم.

❁ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى لا يهلك أحداً إلا بعد ظهور الاستحقاق بمخالفة الأمر تنزيهاً عن الظلم، فيبطل قول المجبرة في تعذيب الأطفال والابتداء بالعذاب والخلق للنار وخلق الكفر الموجب للنار.

وتدل على ذم من طلب الدنيا بعمل الطاعة.

وتدل على أنه ينبغي أن يطلب الآخرة بعمل الآخرة.

وتدل على أن مريد الدنيا قد يعطى وقد لا يعطى، وقد روي عن الحسن أنه قال:

---

(١) ويعطى: ويعظم، د.
(٢) أحسن: حسن، د.
(٣) عن: حكاه، د.
(٤) نعم: ـ، د.

اطلبوا الآخرة فما رأيت طالبها إلا نالها وربما نال الدنيا، وما رأيت طالب دنيا نال الآخرة وربما لا ينال الدنيا أيضاً.

وتدل على أن السعي المشكور الموجب للجنة الإيمان والعمل الصالح خلاف قول المرجية.

وتدل على أن الفسق فعلهم، وكذلك الإرادة، فيصح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

اللغة

الإمداد: الإعطاء، وأصله من المد، عن أبي مسلم.

والحظر أصله: المنع، ومنه المحظور الحرام، ومنه الحظيرة.

والقعود ضد القيام، هذا[1] هو الأصل، ثم يسمى العاجز عن الشيء قاعداً، كما يقال لمن عجز عن أمره: ما الذي قعد بك عن هذا، أي: ما الذي أعجزك، وهذا كما يقال لذي الفضل والجميل من الفعل: ساعٍ في الخير وأفعاله مساعٍ، قال الشاعر:

دَعِ المَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي[2]

والمخذول: المتروك لا ناصر له، والخذلان من الله ضد التوفيق.

الإعراب

«كلا» منصوب لوقوع الفعل عليه، وهو (نمد) وموضع (هؤلاء) نصب على البدل من قوله: «كلا»، والثاني معطوف على الأول.

(١) هذا: وهذا، د.

(٢) البيت للحطيئة: انظر: الصحاح، اللسان، مادة «ذرف».

واللام في قوله: «**وللآخرة**» لام[١] التأكيد التي تكون مع القسم «**فتقعد**» نصب، لأنه جواب النهي لقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾. ﴿مَذْمُومًا﴾ نصب بـ «**تقعد**».

ويقال: لم كان جواب النهي بالفاء على تقدير الإيجاب، وبغير[٢] الفاء على تقدير النفي؟

قلنا: لأن الفاء إنما تنصب على معنى الصرف عن العطف، فلذلك وجب أن يخرج عن معنى النفي لتحقيق الصرف، وليس كذلك جواب النهي، بغير فاء، لأنه كجواب الشرط المنفي، ولذلك[٣] لا يجوز: لا تدن من الأسد يأكلك، ويجوز: لا تدن من الأسد فيأكلك.

۞ المعنى

ثم بين تعالى حكم الفريقين اللذين[٤] تقدم ذكرهما، فقال سبحانه: «**كُلًّا**» يعني من تقدم ذكره ممن يريد العاجلة، وممن[٥] يريد الآخرة «**نُمِدُّ**» أي: نعطي «**هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ**» يعني يعطي البر والفاجر من رزقه، ونعمه في الدنيا والآخرة للمؤمنين خاصة «**مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ**» أي: نعمه «**وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**» قيل: ممنوعاً محبوساً عن البر والفاجر من عباده، وفي الآية بشارة للمؤمن، لأنه يعطيه ثواب الآخرة ولا يحرمه نعم الدنيا.

ومتى قيل: هو يجوز أن يريد بعمله العاجل والآجل؟

قلنا: إذا جعل الدنيا تبعاً للآخرة يجوز كالمجاهد يريد رضى الله وإعزاز الدين، ويجعل طلب الغنيمة كالتبع له، فأما إذا جعل المقصود الدنيا فإنه لا يستحق به الأجر.

---

(١) لام: كلام، د.
(٢) وبغير: ولغير، د.
(٣) ولذلك: فلذلك، د.
(٤) اللذين: الذين، و.
(٥) وممن: ومن، و.

ثم بين تعالى أنه مع إعطائه الجميع من نعمه قد يفاضل في الدنيا للمصلحة، وخص المؤمنين[1] بنعيم الأبد، فقال سبحانه: «**انظُرْ**» يا محمد، وقيل: أيها الإنسان، أو أيها إلسامع «**كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**» قيل: في الرزق، فأغنى بعضهم وأفقر آخرين حتى احتاج إلى تحمل المشاق، وقيل: الصحيح والسقيم، والغني والفقير، عن الأصم، وقيل: فضلنا المؤمنين الذين طلبوا الدار الآخرة بإعطائها على طالب الدنيا «**وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ**» أي: درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل، وهي تستحق على قدر الأعمال «**وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**» قيل: التفضيل في رفع الدرجات بكثرة الثواب، وقيل: إن بعض الدرجات أعلى من بعض، وروي أن بين أعلى درجة في[2] الجنة وأسفلها مثل ما بين السماء والأرض.

ثم أمر تعالى بالتوحيد الذي هو الأصل، والذي يستحق به الجنة، فقال سبحانه: «**لاَ تَجْعَلْ**» قيل: هو خطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، وقيل: أراد لا تجعل أيها الإنسان، أو أيها السامع، وقيل: المراد هو وغيره، وفائدته إذا علم المكلف أنه مع جلالة نبي ولا يقدر فغيره أولى «**مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**» أي: لا تعبد مع الله غيره، وقيل: لا تصفه بالشريك، «**فَتَقْعُدَ**» أي: تبقى عاجزاً «**مَذْمُومًا**» يذمك الله والملائكة والعلماء «**مَخْذُولاً**» لا ناصر لك، وقيل: تذم نفسك ويسلمك أعوانك.

۞ الأحكام

تدل الآية أنه تعالى متكفل بأرزاق خلقه على اختلاف أحوالهم من الإيمان والكفر، لأن ذلك تفضل واستصلاح لا تعلق له بالعمل.

وتدل على أنه غير محظور من الكل وإنما المحظور هو الثواب فلا يستحق إلا بالعمل الصالح.

وتدل على أن التفاوت في الرزق بحسب المصالح.

---

(١) المؤمنين: المؤمن، د.

(٢) في: ـ ، د.

وتدل على أن الآخرة درجات بحسب الأعمال.

وتدل على أن الكفار[1] لا ناصر لهم[2]، وأنه يذمه أهل الموقف، وهو يذم نفسه، لأن الكلام إذا احتمل ولا مانع فيحمل على الجميع.

قوله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**يبلغان**» بالألف وكسر النون مشددة على التثنية لقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ ثم قوله: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ مستأنف.

وقرأ الباقون: «**يبلغن**» بغير ألف وفتح النون مشددة على واحد لقوله: «**أحدهما**».

وفي «**أف**» ثلاث قراءآت:

أولها: بكسر الفاء من غير تنوين قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي وأبي بكر وعاصم.

وثانيها: بفتح الفاء من غير تنوين، ابن كثير وابن عامر ويعقوب.

وثالثها: «**أُفٍّ**[3]» بكسرالفاء والتنوين، قراءة[4] نافع وأبو جعفر وحفص عن عاصم، وهي ثلاث لغات والمعنى واحد، وعلى هذا الخلاف في سورة (الأنبياء)

---

(١) الكفار: الكافر، د.

(٢) لهم: له، د.

(٣) أفٍّ: ـ ،د.

(٤) قراءة: ـ ، د.

﴿أُفِّ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٧] وفي (الأحقاف) ﴿أُفِّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧] وللعرب في (أف) ست لغات: الحركات الثلاث تنوين وغير تنوين. أما الكسر فعلى أصل الحركة لالتقاء الساكنين، وهو الأجود، لأنه الأصل في التقاء الساكنين وترك التنوين أخف من غير إخلال، والفتح للخفة في المضاعف، والضم تشبيهاً بقبل، ويجوز الضم للإتباع.

قراءة العامة: «من الذل» بضم الذال، وعن الحسن، وسعيد بن جبير وعاصم الجحدري بكسر الذال أي: لا تستصعب لهما.

۞ اللغة

القضاء: فصل الأمر على إحكام، يقال: قضى أحكم، ومنه قول الشاعر:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا[(١)]

وأف: كلمة تدل على الضجر، يقال: أف وتف، قيل: الأف والتف وسخ الأصابع إذا فتلته، عن أبي عبيد، وقيل: الأف وسخ الأظفار، والتف كلما رفعت بيدك من حفير[(٢)] الأرض.

والانتهار: الزجر بإغلاظ وصياح، يقال: نهره ينهره[(٣)] نهراً، وانتهره انتهاراً إذا أغلظ[(٤)] له.

والتربية: التنشئة، رباه يربيه تربية.

۞ الإعراب

يقال: ما العامل بالباء[(٥)] في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ ؟

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تُبَّع

انظر: الصحاح، واللسان، مادة «قضى».

(٢) حفير: حقير، د.

(٣) ينهره: ـ، و.

(٤) أغلظ: غلظه، د.

(٥) بالباء: ـ، و.

قلنا: قضى[١] على تقدير قضى بالوالدين إحساناً، أي: أمر، وقيل: قضى على جهة الحذف، ومعناهما متقارب، وروي أن في قراءة عبد الله وأبيّ: **«ووصى»**.

ونصب **«إحساناً»** لأنه مفعول.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص، أمره بالبر إلى أبويه، حكاه الشيخ أبو حامد رحمه الله.

وقيل: إنه عام، والاعتبار عندنا بعموم اللفظ[٢].

۞ المعنى

لما تقدم النهي عن الشرك وخصال العصيان عقبه بالأمر بالتوحيد والطاعات، فقال سبحانه: **«وَقَضَى رَبُّكَ»** قيل: أمر، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وابن زيد، وقيل: ألزم وأوجب، عن الربيع بن أنس، وقيل: حكم، وقيل: أوصى، عن مجاهد. **«أَلاَّ تَعْبُدُوا»** أحداً[٣] **«إِلاَّ إِيَّاهُ»** يعني لا تعبدوا غير الله **«وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»** برا بهما وعطفاً عليهما **«إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا»** أي: لو بقي أحدهما حتى ترى ضعفهما وشيبهما مع قوتك وشبابك **«فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ»** أي: لا تتبرم بهما[٤] ولا تضجر، عن أبي علي، وأبي مسلم، والمتبرم[٥] يكثر الأف والتف، وقيل: كلمة كراهة، عن ابن عباس، وقيل: الكلام الردي الغليظ، عن مقاتل، وقيل: أف النتن، قال مجاهد: إن بلغا من الكبر ما يبولان ويخريان فلا تقذرهما[٦] وأمط عنهما، كما كانا يميطانه عنك صغيراً **«وَلاَ تَنْهَرْهُمَا»** أي: لا تزجرهما **«وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا»** حسناً

---

(١) قضى: ـ، و.

(٢) اللفظ: اللطف، و.

(٣) أحدا: ـ، د.

(٤) بهما: ـ، و.

(٥) والمتبرم: والمبرم، د.

(٦) تقذرهما: تقذر بهما، و.

جميلاً، وقل قولا تكرمهما به، عن أبي علي، وقيل: كقول العبد المذنب للسيد، عن ابن المسيب، وقيل: لا تسميهما[1] ولا تكنيهما[2]، وقل يا أبتاه، يا أماه، عن عطاء. «**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ**» لأن الطير ما دام يطير فهو في العلو، فإذا خفض الجناح ذل، وقيل: معناه: ألن لهما حتى لا تمتنع من شيء أحباه، عن عروة بن الزبير، وقيل: ألن لهما واخضع، عن مقاتل. «**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**» هذا إذا كانا مؤمنين، وإذا كانا كافرين فلا تدع[3] لهما لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ [**التوبة: ١١٣**].

۞ الأحكام

يدل قوله: «**وقضى**» أن الذي يقضي به عبادته وبر الوالدين، فتدل أن الشرك والفسوق ليسا من قضائه.

وتدل على عظيم نعم الوالدين لذلك قرن الإحسان إليهما بطاعته، وروي عن النبي ﷺ يحكي عن ربه: «قل للعاق افعل ما شئت فإني لا أغفر لك».

وتدل على تأكيد الأمر بالإحسان إليهما في حال الكبر لضعفهما وحاجتهما.

وتدل على أن الدعاء لهما مندوب إليه، لأنه أمر به.

وتدل على أن دعاءه يستجاب لهما لولا ذلك لما أفاد الأمر به، والكافر لا يدعى له، ذلك[4] ولا أن[5] يفعل ما قال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [**لقمان: ١٥**].

ومتى قيل: مع كفرهما[6] كيف يجب ذلك؟

---

(١) تسميهما: تشتمهما، د.
(٢) تكنيهما: تكنهما، د.
(٣) تدع: تدعوا، د.
(٤) ذلك: ـ، و.
(٥) ولا أن: ـ، د.
(٦) مع كفرهما: مع كونهما كافرين، د.

قلنا: ذلك تعهد وإصلاح وليس فيه تعظيم.

وتدل على أنه لا ينبغي أن يتبرم بهما، وأنه يلزمه برهما ما داما حيين[1]، وأنه ليس ذلك بمقصور على أحوال الدنيا بل يلزمه في أحوال الآخرة ما أمكنه من الدعاء لأنه لا يقدر على غيره، وقيل: إنه تعالى أوصى الأولاد لقصور شفقتهم، ولم يؤمر الآباء بالأولاد لوفور شفقتهم.

وتدل على أن القضاء قد يكون لا بمعنى الخلق لأنه ههنا بمعنى الأمر والإيجاب[2]، أو الحكم باتفاق المفسرين، وروي أن رجلاً جاء إلى الحسن وقال: طلقت امرأتي ثلاثاً، فقال: عصيت ربك وبانت[3] منك امرأتك، فقال الرجل: قضى الله ذلك علي؟ فقال الحسن: ما قضى الله وتلا هذه الآية. فقال الناس: تكلم الحسن في القدر.

قوله تعالى:

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

اللغة

الأواب: التواب، وهو فعال من الأوبة، وهو الرجوع، فالأواب الذي يتوب مرة بعد مرة، يقال: آب يؤوب أوباً إذا رجع من سفره، فإذا كثر الفعل قلت: أوب يؤوب تأويباً، قال عبيد بن الأبرص:

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ ... وَغَائِبُ الْمَوْتِ لا يَؤُوبُ[4]

التبذير: التفريق بالإسراف، بذر تبذيراً،

---

(١) حيين: حياً، د.

(٢) والإيجاب: أو الإيجاب، و.

(٣) وبانت: بانت، د.

(٤) انظر: ، ديوان عبيد بن الأبرص، ص١٢ تحقيق حسين نصار، القاهرة ١٩٥٧.

وكفور: فعول من الكفر، وبناء فعول للتكثير، تقول: رجل أكول ونؤوم وكذوب وصدوق، وأصله التفريق كما يفرق البذر، إلا أنه يختص بما يكون على سبيل الفساد، وما كان في طريق الخير لا يسمى تبذيراً وإن كثر، قال النابغة:

تَـرائِـبَ[١] يَـسـتَـضـيءُ الـحَـلـيُ فـيـهـا   كَـجَـمـرِ الـنـارِ[٢] يـدرَ بِـالـظَـلامِ[٣]

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بترك الشرك وفعل الطاعات وبر الوالدين عقبه بأنه عالم بضمائرهم حثاً على الإخلاص، ثم أتبعه بذكر الإحسان إلى ذوي[٤] القرابة صلة للرحم عطفاً على بر الوالدين، ثم أوجب حق المساكين وابن السبيل، فقال سبحانه: «**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ**» قيل: أكثر معلوماً، وقيل: أثبت علماً، فإنه تعالى أعلم بأن الجسم حادث من الإنسان. العلم «**بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ**» من الإخلاص والشرك وبرالوالدين والعقوق، وقيل: بجميع ما في ضمائركم، وهو الوجه «**إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ**» أي: أبراراً مطيعين فيما أمركم به[٥]، والصلاح من أسماء الشرع، وذلك يتناول فعل الواجبات والامتناع من المحظورات، وقيل: هو الذي يفعل الخير ويجتنب الشر، عن الأصم، والأواب والصالحين صفتان لموصوف واحد «**فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ**» قيل: التوابين الذين يتوبون مرة بعد مرة، عن سعيدبن المسيب، قال: كلما أذنب بادر بالتوبة، وقيل: الراجع عن ذنبه بالتوبة منه، عن سعيد بن جبير، وقتادة، والأصم، وأبي علي، وقيل: الراجع إلى الله فيما ينوبه، عن ابن عباس، وقيل: هو الذي أجاب الله دعاءه فيما دعا[٦] إذا قال قال لله[٧]، وإذا عمل عمل لله، عن الحسن، وقيل: المتوكل عليه المنقطع إليه في أمور

---

(١) ترائب: راتب، و.
(٢) كجمر النار: الجمر للنا، د.
(٣) انظر: ديوان النابغة الذبياني، ص١٣١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.
(٤) ذوي: ذي، د.
(٥) به: ـ، و.
(٦) فيما دعا: ـ، د.
(٧) قال قال لله: قال الله، د؛ قال لبيه، و.

دينه ودنياه، وقيل: المسبحين كقوله: ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، عن عمرو بن شرحبيل، وروي نحوه عن ابن عباس، وقيل: المطيعين من المحسنين، عن ابن عباس، وقيل: المخلصين، عن قتادة، وقيل: الدعاء[١]، عن سعيد بن جبير. «وَآتِ» أعط من الإيتاء، وهو الإعطاء «ذَا الْقُرْبَى» يعني أقرباء الإنسان، عن ابن عباس، والحسن. أمر بصلة رحمه، وقيل: أراد قرابة الرسول صلى الله عليه وآله[٢]، عن علي بن الحسين، وروى السدي أن علي بن الحسين قال لرجل من أهل الشام ممن بعث به عبيد الله بن زياد إلى يزيد: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت «وَآتِ[٣] ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ»؟ قال: وإنكم للقرابة الذي أمر الله أن يؤتى حقه؟ قال: نعم. وقيل: الأول أولى لاتصاله ببر الوالدين.

ومتى قيل: إذا كان الوجوب على المكلفين، فلم خص النبي ﷺ بالخطاب؟

فجوابنا: أن الخطاب له والمراد غيره، وقيل: ليكون أدعى إلى مواساتهم من حيث الوجوب، ومن حيث الاقتداء به صلوات الله عليه وآله[٤]، وقيل: أراد وآت أيها السامع، أو أيها الإنسان «ذَا[٥] الْقُرْبَى حَقَّهُ» حث[٦] وهو ما يجب له في القرابة من النفقة وصلة الرحم وغيره، وإذا حمل على قرابة النبي ﷺ فحقهم مودتهم وما يجب لهم من التعظيم بقرابة[٧] النبي ﷺ.

«وَالْمِسْكِينَ» هو الفقير الذي لا شيء له «وَابْنَ السَّبِيلِ» المنقطع عن ماله «وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا» قيل: التبذير إنفاق المال في غير حقه معصية، قال مجاهد: لو أنفق مداً في باطل كان تبذيراً، ولو أنفق جميع ماله في الحق ما كان تبذيراً، وقيل: إنفاق المال في غير حقه، عن ابن مسعود، وابن عباس، وقيل: تفريق المال على وجه الإفساد «إِنَّ

---

(١) الدعاء: الدعائين، د.
(٢) صلى الله عليه وآله: ـ، و.
(٣) وآتِ: فأت، د.
(٤) صلوات الله عليه وآله: صلى الله عليه وآله، د.
(٥) ذا: ذوي، د.
(٦) حث: ـ، و.
(٧) بقرابة: لقرابة، د.

«الْمُبَذِّرِينَ» المسرفين المنفقين أموالهم[1] في المعاصي المانعين من حقه «كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» قيل: إنهم إخوانهم باتباعهم[2] على آثارهم وجريهم[3] على سنتهم[4]، والعرب تقول لكل[5] ملازم سنة قوم تابع أمرهم: هو أخوهم. وقيل: إنه يقرن بينه وبين الشياطين في النار، وقيل: اختصوا بالشياطين حتى صاروا بمنزلة الأخ فلم يرض أن جعلهم تبعاً له حتى صيرهم أخاً له «وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» قيل: عادته الكفر، وقيل: لعلم ربه جحوداً، وقيل: تكرر كفره مرة بالله ومرة برسوله.

۞ الأحكام

أول الآية يدل على وجوب الإخلاص في الطاعات.

ويدل قوله: ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ أن الغفران موقوف على الصلاح والتوبة خلاف قول المرجية.

وتدل على وجوب حق ذوي[6] القربى، ويدخل فيه النفقات فلا خلاف في وجوبه للوالدين، واختلفوا في الرحم المحرم، فعند أبي حنيفة يجب المهر على الموسر، وعند الشافعي لا يجب، وتدخل فيه صلة الرحم بالسلام والتزاور، وتدفع الزكاة إليهم، وإذا حمل على أقرباء النبي صلى الله عليه دل على وجوب حق لهم على الجملة.

وتدل على أن الوجوب غير مقصور على ذوي القربى بل يجب للمساكين وابن السبيل، وهو ما وجب لهم من الصدقات وغيرها.

ويدل قوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ على النهي عن الإسراف، فإنه تعالى لما[7] أمر بالانفاق

(١) أموالهم: مالهم، د.
(٢) إنهم إخوانهم بإتباعهم: أنه أخوهم بإيقاعهم، د.
(٣) وجريهم: وحسرتهم، د.
(٤) سنتهم: سنته، د.
(٥) لكل: كل، د.
(٦) ذوي: ـ ، د.
(٧) لما: لو، و.

بين كيفية الإنفاق، ولا شبهة أن الإنفاق في المعصية سرف وتبذير وإن قل، ويدخل فيه ما كانت العرب تفعله من البحيرة والسائبة والوصيلة، ويدخل فيه ما ينفقه[1] الباغي في بغيه، وما ينفقه في الشرب واللهو وأجرة البغايا، والنائحة والمغنية. ويدخل فيه الرشا ونحو ذلك مما يطول تفصيله.

فأما إذا أنفق في مباح فإن أنفق أكثر مما يليق به ويكفيه فهو إسراف وتبذير، وإن من[2] صرف أكثر[3] ماله إلى ما لا حاجة له فيه فهو إسراف، وكذلك إن كان له مال قليل فصرفه إلى شهواته وترك نفسه وعياله في بؤسٍ عُدّ مبذراً، فأما إذا أنفق في طاعة، فإن كان في صحته فاضلاً عن نفسه وعياله فليس بتبذير، وإن كان في مرضه ويخرج من ثلثه فليس بتبذير.

وتدل على أن التبذير فعل العبد، وكذلك التوبة، فيبطل قول المجبرة في المخلوق، وكذلك الإيتاء لذلك صح الأمر والنهي والوعد والوعيد.

قوله تعالى:

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

❁ اللغة

الإعراض: صرف الوجه عن الشيء، وقد يكون عن[4] قلى، وقد يكون للاشتغال بما هو أولى، وقد[5] يكون للإذلال، أعرض عنه يعرض إعراضاً.

(١) ينفقه: ينفق، و.
(٢) من: ـ ، و.
(٣) أكثر: ـ ، د.
(٤) عن: على، و.
(٥) قد: ـ ، و.

والتيسير: التسهيل، وهو المعونة المسقطة عنه مشقة الفعل، واليسر خلاف العسر.

والحسر: الكشف، يقال: حسر عن ذراعيه يحسر حسراً إذا كشف عنه، والحسرة: الغم لانحسار ما فات، ودابة حسر إذا كلت لشدة السير لانحسار قوتها بالكلال، ومنه: ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ **[الملك: ٤]**، والمحسور المنقطع لذهاب ما في يده.

۞ الإعراب

«**عنهم**» الضمير فيه يعود على من تقدم ذكرهم ممن أمر بإعطاء حقهم.

«**ترجوها**» لم تجزم، لأنك لم تعطفها بحرف عطف، ولو أدخلت حرف العطف لقلت: ترجها، ولكنه في موضع الحال، كأنه قال ابتغاء رحمة من ربك راجيها، فلما كان ترجو في مكان راج لم يدخله الجزم.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في مهجع، وبلال، وصهيب، وسالم، وخباب، كانوا يسألون النبي ﷺ ما يحتاجون إليه ولا يجد متسعاً، فيعرض عنهم حياء[1]، فنزل: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾، وذكر الأصم أنه كان يسكت قبل نزول الآية إذا لم يجد ما يعطيه، فلما نزلت الآية كان يقول: يرزقنا الله وإياكم، وهو قول الميسور[2].

وعن جابر قال: بينا رسول الله ﷺ قاعداً بين أصحابه إذ جاء صبي، فقال: يا رسول الله، إن أمي تستكسيك درعاً، ولم يكن عنده غير قميصه الذي هو لابسه، فقال للصبي: «من ساعة إلى ساعة نظر»، فقعد، فعاد إلى أمه، فقالت أمه: اذهب فقل له: إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل رسول الله ﷺ داره وأعطاه قميصه وقعد عرياناً، وأذن بلال للصلاة وانتظر، ولم[3] يخرج، فدخل عليه بعضهم فرآه عرياناً،

---

(١) حياء: خفا، د.

(٢) الميسور: المستور، و.

(٣) ولم: فلم، د.

فنزل قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الآية.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية الأولى بما قبلها؟

قلنا: لما أمر بالإنفاق ونهى عن التبذير بين كيفية الإنفاق عند وجود السعة، وكيفية صرف السائل عند عدمه.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ بما قبله؟

قلنا: فيه وجوه:

أولها: أنه نهى عن البخل ظناً أنه[١] يستقيم المال، أو يزيد[٢] في الرزق، وحثاً[٣] على الإعطاء، فإنه يعطي بحسب المصلحة.

وقيل: حثاً على القصد، فإنه تعالى مع قدرته وغناه يراعي المصلحة، فيوسع مرة ويضيق مرة، ولا يجاوز حد المصلحة، فمن دونه أن يراعى الصلاح أولى، عن أبي مسلم.

وقيل: لما نهى عن الإسراف بين أنه يعطيه بحسب المصلحة، فلا يأمن أن يكون المعلوم أنه يضيق رزقه، وهو يسرف، فيكون باخساً بحقه، عن القاضي.

۞ المعنى

«**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ**» يعني: إن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك بإيتاء حقهم[٤] عند مسألتهم إياك لأنك لا تجد ذلك حياء منهم «**ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا**» يعني: انتظار رزق يأتيك من ربك تأملها، قيل: هو الغنيمة، وقيل: سائر ما ترجو[٥] الله تعالى، وقيل: تعرض عنهم خشية أن ينفقوا العطية على المعصية، فتبتغي رحمة من ربك ترجوها لهم بالتوبة، عن ابن زيد. «**فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا**» أي: اصرفهم بقول سهل

(١) أنه: بأنه، د.
(٢) يزيد: ويزيد، د.
(٣) حثا: حثاً، د.
(٤) حقهم: حقوقهم، د.
(٥) ما ترجو: ما يرجوا، د.

لين، قيل: قل لهم قولاً سهلاً ليناً، وعدهم عدة جميلة، إلى أن يظهر مال، عن جماعة أهل العلم الحسن وغيره، وقيل: قل لهم: أعطاك الله. وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا سأله سائل شيئاً، فإن كان عنده أعطاه، وإن لم يكن قال: «سيرزقنا الله وإياكم»، وقيل: تيسر عليهم قوتهم[1] إذا دعا لهم النبي ﷺ، عن الأصم. «**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ**» هذا كناية عن قبض اليد عن الإنفاق، فكأنه جعلها إلى عنقه، وتقديره: لا تمسك يدك عن النفقة كالمشدودة يده إلى عنقه «**وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**» كناية عن الإسراف في النفقة، أي: لا تعط جميع ما عندك وتضيع نفسك وعيالك، وقيل: لا تبسطها في المعصية ولا تمسكها عن الطاعة، وهو الوجه. «**فَتَقْعُدَ مَلُومًا**» قيل: يلومك سائلوك إذا لم يجدوا عندك ما سألوك، وقيل: تلوم عيالك وتلوم نفسك[2]، وقيل: تلام بإنفاقه في المعصية «**مَحْسُورًا**» منقطعاً بك لا شيء عندك، وقيل: تبقى عاجزاً نادماً، عن قتادة، وقيل: يظهر فقرك لا تجد ما تنفقه على نفسك وعيالك، عن أبي مسلم، وقيل: المحسور الذي دخله الحسرة، عن أبي علي، أي: تتحسر لأجل ما صنعت.

ومتى قيل: كيف يكون من أعطى ملوماً محسوراً، ومن[3] يتحسر على[4] الإعطاء ينحبط ثوابه؟

قلنا: لا يتحسر على الإعطاء، ولكن يتحسر بخلل العيال أنه لم يرم شعثهم.

«**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**» أي: يوسع ويضيق بحسب المصلحة «**إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**» أي: عليماً بأحوالهم يدبر فيهم بحسب ما يرى.

۞ الأحكام

تدل الآية[5] على أن من آتاه سائل ولا يجد ما يعطيه يجب أن يصرفه على وجه

---

(١) قوتهم: قلوبهم، و.
(٢) تلوم عيالك وتلوم نفسك: تلوم نفسك وتلوم عيالك، د.
(٣) تتحسر لأجل. . . محسور ومن: ـ ، د.
(٤) على: عن، د.
(٥) الآية: ـ ، د.

حسن مع العزم على إعطائه لو وجد، وهذا من التأديب العجيب، لأن هذا القول يقوي قلب الفقير[١].

وتدل على وجوب الاقتصاد والمنع من البخل والإسراف، وبين العلة فيه أنه يقعد ملوماً، يلام في إنفاقه من غير حقه، ويتحسر عند[٢] الحاجة إليه، والبخل في الشرع منع الواجب، والإسراف أن ينفق في غير ما يبيحه الشرع، فيدخل فيه جميع ما بينا.

وقيل: وتدل على أنه يدبر الخلق بحسب مصالحهم.

وتدل على وجوب الثقة به والتوكل عليه في حال العسر واليسر.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر: «**خَطَأً**» بفتح الخاء والطاء والهمزة غير ممدودة[٣]، وقرأ ابن كثير: «**خِطَاءً**» بكسر الخاء وفتح الطاء ممدودة، وقرأ الباقون بكسر الخاء وجزم الطاء وفتح الهمزة مقصورة[٤]، وكلها لغات بمعنى واحد.

وقرأ حمزة والكسائي: «**ولا تسرف**» بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء يرجع إلى الولي، وقد تقدم ذكره في قوله: ﴿لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

---

(١) الفقير: السائل، د.
(٢) عند: عن، د.
(٣) ممدودة: ممدود، د.
(٤) مقصورة: مقصور، د.

۞ اللغة

الإملاق: الخلوص من الزاد، وهو الفقر والضر والإحواج.

وَالمُلْقَةُ[١]: الأرض لا تكاد يبين لها أثر[٢]، والجمع: ملق[٣] وملقات، قال ابن السكيت: الملق من التملق، وأصله: التبيين، يقال للصفاة الملساء ملقة، قيل: أملق لازم ومتعدي، أملق إذا افتقر، وأملق الدهر ما بيده. قال أوس:

وَأَمـلَـقَ مـا عِـنـدي خُـطـوبٌ تَـنَـبَّـلُ[٤]

أي: أفسد، ويقال: إنه لمملق أي: مفسد.

والخطأ: أصله ترك الصواب، ثم قد يكون ذلك بعمد وغير عمد، والخِطأ بكسر الخاء أي[٥]: اسم الفعل[٦]، وبالفتح المصدر، وهو مثل الحَذَر والحِذْر، والفعل: خطيت أخطئ خطأً مثل: حذرت أحذر حذراً، عن أبي مسلم، وقيل: الخِطء بالكسر لا يكون إلا تعمداً إلى خلاف الصواب، والخَطأ يكون بعمد وغير عمد.

والسرف: مجاوزة الحد في الفساد المجانب للحق[٧].

۞ الإعراب

موضع «**لا تقتلوا**» قيل: نصب بالعطف على (**أن لا تعبدوا**) وتقديره: وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ولا تقتلوا أولادكم، وقيل: موضعه جزم بالنهي، وكذلك «**لا تقتلوا**» ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾، ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: ساء[٨] الزنا سبيلاً.

---

(١) والملقة: وملقة، و.
(٢) لها أثر: بها لثر، و.
(٣) ملق: ملقة، و.
(٤) البيت لأوس بن حجر، وصدره:
ولـمـا رأيـت الـعـدم قـيـد أنـامـلـي
ديوان أوس بن حجر، ص٩٥، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.
(٥) أي: ـ، د.
(٦) الفعل: للفعل، د.
(٧) للحق: للحد، و.
(٨) أي ساء: ـ، د.

النزول

قيل: كان أهل الجاهلية يئدون بناتهم خشية الفاقة، ونكاح غير الأكفاء، وهو الموؤودة في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨] فنهاهم الله تعالى، وفيهم نزلت الآية.

وقال الأصم: كانوا يئدون البنات خشية الفاقة، ويئدون كل ذكر ليس فيه نفع، ويفعلون ذلك بآبائهم وأمهاتهم إذا بلغوا أرذل العمر بحيث لا ينتفع بهم.

وقيل: نزل قوله: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ فيما كانت العرب تفعله في الجاهلية تقتل غير قاتله، ولا يرضى حتى يقتل أشرف منه، ويتعمد الوليُّ الشريفَ من قبيلة[1] القاتل فيقتله بوليه ويترك القاتل، فنهى الله عن ذلك، عن الحسن، وابن زيد.

وقيل: نزلت في أهل مكة، كانوا يقتلون أصحاب النبي ﷺ، وهو أول آية نزلت في القتل، نهوا أن يقتلوا غير القاتل، عن الضحاك، وقال: هذا قبل نزول آية القتال في (براءة).

المعنى

ثم عطف تعالى الاوامر والنواهي على ما تقدم من قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ ، فقال سبحانه: «**وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ**» يعني البنات «**خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ**» خوف فقر، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وكانوا يئدون البنات، يدفنونهن أحياء «**نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**» يعني هو المتكفل برزقهم ورزقكم، وهو يرجع إلى الأولاد «**إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**» يعني إثماً «**كَبِيرًا**» عظيماً، والخطأ ضد الصواب لا ضد العمد «**وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**» أي: معصية عظيمة قبيحة «**وَسَاءَ سَبِيلاً**» أي: بئس الطريق الزنا «**وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**» إنما قال: «**بِالْحَقِّ**» لأن ما حرم قد يصير حقاً على ما ورد في الخبر «بزنا بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو قتل نفس بغير نفس»، «**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا**» بغير حق «**فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً**» قيل: الولي من يرث عنه امرأة كانت أو رجلاً، وقيل: من

(١) قبيلة: قتلة، و.

يرث من الرجال والأول[1] الوجه، وعليه أكثر الفقهاء. «**سُلْطَانًا**» قيل: حجة، عن الأصم، وقيل: قوة ولاية، وهو القصاص، أو الدية، أو العفو، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: القود، عن قتادة. «**فَلَا يُسْرِفْ**» بالتاء خطاب للقاتل، وقيل: الولي القاتل إلى غير القاتل، وقيل: الرسول[2] والأئمة، وبالياء خطاب للولي «**فِي الْقَتْلِ**» والإسراف فيه أن يقتل بوليه[3] غير قاتله، وكانوا يتعدون إلى غير القاتل من الحميم والقريب، عن ابن عباس، والحسن، وابن زيد، وقيل: لا يقتل اثنين بواحد، عن سعيد بن جبير، وقيل: لا يمثل به، عن قتادة، والأصم، وطلق بن حبيب، وقيل: الإسراف فيه أن يفعل ما[4] يخالف الشريعة فيدخل فيه جميع ما تقدم، وقيل: لا يقتل به دون السلطان، فإن القصاص إلى السلطان، حكاه الأصم. «**إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**» قيل: الكناية ترجع إلى الولي، يعني أن الولي كان منصوراً، عن قتادة، وقيل: الكناية تعود على المقتول، فأما نصر الولي فقيل: نصره حكم الله له بذلك، وقيل: أمره إلى[5] النبي ﷺ والأئمة والمؤمنين أي: يعينوه وينصروه، عن أبي علي، فيعينوه ليدفعوا إليه من عليه الحق يأخذ حقه، وأما نصر المقتول: في الدنيا بوجوب القصاص، وفي الآخرة بالثواب.

۞ الأحكام

يدل أول الآيات على النهي عن قتل الأولاد مخافة الفاقة، ويدخل فيه قتل الجنين في البطن بالدواء، ويدخل فيه من قتل ولد غيره ليحوز الميراث.

وتدل على عظم حال قتل الأولاد، وأنها كبيرة عظيمة، وإذا منع الله تعالى من قتله غاية المنع دل أنه لا[6] يخلده في النار، لأن قتله أهون من تخليده، فيبطل قول المجبرة في تعذيب الأطفال.

---

(١) والأول: والأ، و.
(٢) الرسول: للرسول، د.
(٣) بوليه: وليه، د.
(٤) يفعل ما: ـ، د.
(٥) إلى: ـ، د.
(٦) لا: ـ، و.

وتدل أن قتلهم خطأ كبيراً لذلك نص على أنه كبير.

ومتى قيل: أليس الآباء يلجؤون[1] إلى ترك قتل أولادهم، فكيف نهوا عن ذلك؟

فجوابنا: عند خوف الفقر ونزول العوارض قد لا يكون ملجأ، وقد تتغير الدواعي عند الأسباب والاعتقادات فيصح النهي.

وتدل على أنه[2] متكفل برزق كل أحد صغير وكبير.

وتدل على أنه ضمن الرزق دون التوسعة فلذلك يوسع مرة ويضيق أخرى بحسب المصلحة.

وتدل على أن الزنا من الكبائر، ولا شبهة في تحريمه، وأنه يتعلق به الوعيد والحد وانتفاء النسب، وحده إما الرجم وإما الجلد، ولا خلاف أن الوطء في الفرج من غير نكاح وملك ولا شبهة زنا، فأما[3] في غير السبيل وفي اللواط اختلفوا.

وتدل على تحريم قتل النفس وإباحته في بعض المواضع، وقد بينا ذلك فمنها المرتد، والزاني المحصن، وقاتل النفس، والقاصد لقتل غيره إذا قتله دفعاً، ومن خرج باغياً على الإمام، وقاطع الطريق إذا قتل وأخذ المال ثم أخذ قبل التوبة.

وتدل على أن الحر يقتل بالعبد، والمسلم بالذمي خلاف ما يقوله[4] الشافعي.

وتدل على أن القتل والزنا فعل العبد لذلك أوجب فيه القتل والحد، فيصح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

---

(١) ملجؤون: يلجؤون، و.

(٢) على أنه: أنه، د؛ على، و.

(٣) فأما: وأما، د.

(٤) يقوله: يفعله، د.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «**بالقسطاس**» بكسر القاف، والباقون بضمها، وهما لغتان نحو: قِرطاس وقرطاس.

۞ اللغة[1]

الأشد: أصله من الشدة قيل: لا واحد لها من لفظها، وقيل: واحدها: شد.

والتأويل: التفسير الذي يرجع إليه المعنى، آل يؤول أولاً إذا رجع، وأولته إليه، وأصله: مصير الأمر[2] وخاتمته[3].

والقفو: اتباع الأثر، ومنه: القيافة، يقال قفى يقو قفواً، وهو لفظ مشتق من القفا، كأنه تبع[4] قفا المتقدم، يقال: فلان يقفو فلاناً إذا كان يتبعه في طريقه، أو يقتدي به في فعله، هذا قول أبي مسلم والقتيبي وجماعة من أهل اللغة، وقيل: أصله من القفو، وهو البهت والقذف بالباطل، قال الشاعر:

ومثل الدمى[5] شم العرانين ساكن بهن الحيا لا[6] يتبعن[7] التقافيا

أي: التقاذف.

۞ الإعراب[8]

«**وَلَا**[9] **تَقْفُ**» جزم[10] جزم بالنهي، عن أبي مسلم، وأصله (يقفو) حذفت[11] الواو.

---

(١) اللغة: المعنى، ز.
(٢) الأمر: الأمور، ز، و.
(٣) وخاتمته: وخاتمه، د، و.
(٤) تبع: يتبع، ز.
(٥) الدمى: الذي، د.
(٦) لا: ما، ز.
(٧) يتبعن: يشعن، د. وما أثبتناه من الكشاف ١/ ٦٨٣، وتفسير الطبري ٨/ ٨٠.
(٨) الإعراب: ـ، د، ز.
(٩) ولا: لا، د، ز.
(١٠) جزم: لا جزم، و.
(١١) حذفت: حذف، ز.

فأما قوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ[1]﴾ قيل: جزم بالنهي، وقيل: نصب بالعطف على قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾، وكذلك قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾، وهؤلاء للجمع القليل في المذكر والمؤنث، فإذا أريد في[2] الكثير قلت في التأنيث: هذه وتلك. قال الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى　　　والعيش بعد أولئك الأيام[3]

۞ المعنى[4]

ثم عطف على ما تقدم من المنهيات، فقال سبحانه: «**وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**» اليتيم من كان طفلاً لا أب له، فإذا بلغ فليس بيتيم، قال ﷺ: «لا يتم بعد البلوغ» وخص اليتيم بالذكر وإن كان مال البالغ أيضاً حرام، لأنه أحوج إلى الغنم والطمع فيه أكثر، فخصه بالذكر، وأكده بالوعيد ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ هي حفظه وتنميته، «**حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**» أي: مجتمع عقله وزوال اسم اليتم عنه، قيل: ثمان[5] عشرة سنة، وقيل: الاحتلام مع سلامة العقل وإيناس الرشد «**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ**» قيل: بالوصية[6] بمال اليتيم وغيرها من الوصايا، عن أبي علي، وقيل: كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد، وقيل: هو من[7] الأيمان والنذور، وقيل: هو العهود[8] بين الناس وما أوجبه على نفسه، عن الأصم. «**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**» قيل: مسؤلاً عنه للجزاء فيسأل لم نقضه، فحذف عنه، لأنه[9] مفهوم الكلام، وقيل: معناه إن العهد وصاحب العهد كان مسؤلاً، وقيل: كأن العهد يسأل: لم نقضت؟ كما تسأل الموؤدة:

---

(١) ولا تقربوا: ولا تعثوا، د، ز.
(٢) في: ـ، د، ز.
(٣) الأيام: الأنام، و.
(٤) المعنى: ز.
(٥) ثمان: ثمانية، د.
(٦) بالوصية: في الوصية، د.
(٧) من: ـ، د.
(٨) العهود: العهد، د.
(٩) لأنه: الآية، ز.

لم قتلت؟ وقيل: مسؤلاً مطلوباً «**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ**» يعني أتموا[1] الكيل للناس إذا كلتم[2] ما استحق عليكم كيله «**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**» قيل: هو الميزان صغر أم[3] كبر، عن الزجاج، وقيل: القبان، عن الحسن، وقيل: العدل بالرومية، عن مجاهد، وهذا محمول على موافقة اللغتين، وأن العرب أخذته فعربته[4]، وإلا فليس القرآن إلا عربي مبين، «**المستقيم**»: العدل الذي لا بخس فيه، و«**ذَلِكَ**» قيل: الوفاء بما أمرتم ونهيتم، وقيل: الوزن بالقسطاس وإتمام الكيل، عن الأصم[5] «**خَيْرٌ**» لكم في الدنيا والدين من تركه، وقيل: خير ثواباً «**وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**» عاقبة «**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**» قيل: لا تقل سمعت ولم تسمع، ولا رأيت ولم تر، ولا علمت ولم تعلم، عن ابن عباس، وقتادة، وقيل: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم، عن ابن عباس، وأبي علي، وقيل: لا تقل في قفا غيرك شيئاً، عن الحسن. أي: إذا مر[6] بك فلا تغتبه، وقيل: هو شهادة الزور، عن ابن الحنفية، وقيل: لا تتبع أهواء[7] المشركين ولا تسمع إلى كلامهم، واتبع العلم وما أوحي إليك، والخطاب له، والمراد الجميع، ونهاهم عن تقليد الآباء والأشراف، عن أبي مسلم، وقيل: لا تفعل ولا تقل إلا بعلم فيدخل فيه جميع ما تقدم «**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ**[8] **كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**» قيل: أولئك الجوارح تسأل عما فعل بها، وقيل: أولئك كناية عن أصحاب الجوارح لأنهم مسئولون.

۞ الأحكام

تدل الآية الأولى وهو قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ على أحكام:

---

(١) أتموا: أوفوا، ز.
(٢) إذا كلتم: ـ ، ز.
(٣) أم: أو، ز.
(٤) فعربته: فعيرته، ز.
(٥) الأصم: عاصم، ز.
(٦) مر: أمر، د.
(٧) أهواء: هواء، د، و.
(٨) والفؤاد: الواد، ز.

منها: خطر التصرف في مال[1] اليتيم إلا بما يعود نفعه عليه.

ومنها: جواز تصرفه بالأحسن، وهو الأنفع بأن يحفظ أو يتجر، أو يدفع بضاعة أو شركة، أو مزارعة، أو مضاربة ونحو ذلك مما يؤدي إلى تنمية ماله.

ومنها: أن منع اليتيم من ماله موقوف على مدة، وهو بلوغه وإيناس الرشد منه، وبعد ذلك التصرف موقوف عليه وعلى إذنه.

ومنها: أنه مسؤول[2] عما عهد إليه في ذلك.

ويدل قوله: «**أوفوا**» على وجوب إتمام الكيل والوزن في المعاملات[3]، وفيما يجب عليه من حقوق العباد، فيدخل فيه المعاملات، كالمداينات، والبياعات، والإجارات، ويدخل فيه الغنائم[4]، والزكوات، فأما الشرعيات كالهبات والصدقات، فلا يدخل فيه، لأن كلاهما اتباع لما لا[5] يعلم فيدخل فيه الكلام في أصول الدين وفروعه، والفتيا، والشهادات، ويدخل فيه الغيبة، ويدخل فيه روايات[6] الأخبار.

ومتى قيل: أليس العلم بأخبار[7] الآحاد والقياس والاجتهاد مظنون وليس بمعلوم؟

قلنا: دل دليل قاطع على وجوب العمل به، فهو معلوم وجوبه، والظن في طريق الخبر لا في وجوب العمل.

ويدل على شرف العلم وقوع الحاجة إليه في كل أمر.

ومتى قيل: هل يجب هذا في أمور الدنيا والدين؟

قلنا: لا، إلا فيما يتعلق به تكليف، فأما طلب المنافع فيجوز أن يتبع الظن، وكذلك دفع المضار.

---

(١) مال: بمال، د.

(٢) ومنها أنه مسؤول: ومنها أنه مسؤول، ومنها أنه مسؤول، ز.

(٣) المعاملات: المعلومات، ز.

(٤) فيدخل فيه المعاملات... الغنائم، ز.

(٥) لا: ـ، ز.

(٦) روايات: رواية، د.

(٧) العلم بأخبار: ما يعمل بالأخبار، د.

وتدل على أن المكلف مسئول عما يضمره ويبصره ويسمعه، قيل: لم استمعت إلى ما لا يحل؟ ولم نظرت إلى ما لا يحل؟ ولم أضمرت وأردت ما لا يحل؟ واعتقدت[1] ما لا يحل.

وتدل[2] على أن أفعال القلوب يسأل عنها ويجازى عليها.

وتدل على أن ما يفعل بهذه الجوارح فعله حتى يسأل عنه، فيصحح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «**كل ذلك كان سيئة**» منصوباً منونة، لأنه قصد النهي عنه، وخصه بالذكر، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: «**سيئهُ**» بضم الهاء والهمزة، قالوا: لأنه تقدم ذكر الحسن والسيء، فبين سيئه[3]، أي: السيء[4] من المذكور مكروه[5]، وهو قراءة الحسن ويحيى بن[6] يعمر، واختاره[7] أبو عبيد لهذا الوجه، ولأنه يوافق قراءة أبيّ بأنه كان سيئاته، وهو لا يحتمل إلا الإضافة.

---

(١) واعتقدت: أو اعتقدت، د.

(٢) وتدل: فتدل، ز.

(٣) فبين سيئه: فنهى أن يسئه، د، ز.

(٤) السيء: الشر، د، ز.

(٥) المذكور: المذكر مكروهة، ز.

(٦) ويحيى بن يعمر: ـ ، ز.

(٧) واختاره: فاختاره، د، ز.

۞ اللغة

المرح: شدة الفرح، مرح يمرح مرحاً.

والخرق: القطع، خرّق[1] تخريقاً، أي: قطعه، ورجل خرق، أي: يقطع الأمور التي لا ينبغي أن يقطعها، والخرق الفلاة لانقطاع[2] أطرافها بتباعدها.

والدحر: الطرد والإبعاد، والمدحور: المطرود.

۞ الإعراب

«**فتلقى**» موضعه نصب لجواب[3] النهي بالفاء.

و﴿مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾ نصب على الحال.

و«**مرحاً**» قيل: نصب على التفسير، وقيل: على المصدر، و(**مرحا**)[4] نصب[5] بمحذوف[6]، أي: مشياً مرحاً.

والألف في قوله: «**أفأصفاكم**[7]» ألف استفهام والمراد الإنكار، وإنما دخل ألف الاستفهام للإنكار، كأنه سأله عن مذهب ظاهر العوار لا جواب لصاحبه إلا ما فيه أعظم الفضيحة.

ويقال: لم قال: «**مكروهاً**» ولم يقل: مكروهة، والسيئة مؤنثة؟

قلنا: فيه تقديم وتأخير، تقديره: كل ذلك كان مكروهاً سيئه، وقيل: هو على التكرير، أي: كل ذلك كان سيئة، و[8] كل ذلك كان مكروهاً.

وقيل: إنه يرجع إلى المعنى، لأن السيئة الذنب، وهو مذكر.

---

(١) خرق: خق، ز.
(٢) لانقطاع: لإيقاع، ز.
(٣) لجواب: بجواز، د.
(٤) نصب على الحال... ومرها: ـ، ز.
(٥) نصب: نعت، د.
(٦) بمحذوف: لمحذوف، ب، د.
(٧) أفأصفاكم: أفصفاكم، ز.
(٨) كل ذلك كان مكروها... سيئة و: ـ، ب.

فأما نصب[1]» فإن من قرأ «سيئه» على الإضافة قال: نصب لأنه خبر (كان)[2]، و(سيئه)[3] اسم، تقديره: كان سيئه مكروهاً. وإن قرئ بالتنوين والنصب، فالسيئة[4] [5] خبر (كان)، واسم (كان) مضمر في الآية أي: كان ذلك سيئة، وكان ذلك مكروهاً.

نصب (إناثا) (اتخذ).

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ[6] رَبُّكُم﴾ الآية في مشركي العرب وقريش حين[7] قالوا: الملائكة بنات الله، وذكر الأصم أن كثيراً من العرب كانوا يئدون البنات ويزعمون أنها إذا كانت لله فالقبر[8] خير لها.

۞ المعنى

ثم ذكر أشياء أخر منها عطفاً على ما تقدم، فقال سبحانه: «**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**» قيل: بطراً، عن أبي علي، وقيل: خيلاء وكبراً «**إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**» أي: لا تصير كالجبال، قيل[9]: معناه: أن تكبره لا يخرجه من كونه عبداً خلق من ماء مهين، فلا فائدة فيه، وقيل: إن الله لم يعط ابن آدم قوة[10] على خرق الأرض وبلوغ الجبل، وأراد أن ينبهه على عجزه ليدع الخيلاء ويعلم[11] أنه ذليل عاجز، عن الأصم، وقيل: أراد أنك لا تبلغ مما تروم كبير مبلغ، كما لا

(١) وقيل: إنه يرجع... فأما نصب: ـ، ز.
(٢) كان: كا، ز.
(٣) وسيئه: والسيئة، د.
(٤) فالسيئة: بالسيئة، د.
(٥) خبر كان... فالسيئة: ـ، ب.
(٦) أفاصفاكم: أفصفاكم، ب.
(٧) حين: ـ، ز؛ حتى، و، وكتب فوقها: حين ظ.
(٨) فالقبر: فالصبر، ز.
(٩) قيل: وقيل، ز.
(١٠) قوة: قدرة، د، ز.
(١١) ويعلم: ويدل، ز.

يمكنك خرق الأرض وبلوغ الجبال، وهذا مثل ضربه الله تعالى، إنك لا تخرق الأرض تحت قدميك[١]، ولا تبلغ الجبال بتطاولك «**كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**» على قراءة الإضافة فكل ذلك كناية عن جميع ما تقدم ذكره[٢] من المحسنات والمقبحات من قوله تعالى[٣]: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ إلى ههنا، فكأنه قال: جميع ذلك ما كان منها سيئة ومعصية فهو مكروه لله تعالى يكرهها ولا يريدها، وعلى قراءة التنوين فكل[٤] ذلك عبارة عما كان في المذكور من[٥] المقبحات، كأنه قال: كل سيئه فهو مكروه [عند] الله[٦] تعالى، أي: كل ما أردنا[٧] من السيئات فهي مكروهة «**ذَلِكَ**» الذي ذكرناه وبيناه «**مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ**» من العلم، قيل: القرآن، وقيل: الدلالات[٨] الموجبة للعلم بالمأمور[٩] به والمنهي، وغير ذلك من الأخبار والواجبات والمحسنات والمقبحات، وقيل: من الحكمة، أي: المحكم، حكاه الأصم.

ثم أعاد[١٠] ذكر[١١] الشرك تنبيهاً على عظم حاله[١٢]، فقال سبحانه وتعالى: «**وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**» قيل[١٣]: لا تعبد معه غيره، وقيل: لا تصفه بالشريك «**فَتُلْقَى**» أي[١٤]: إذا فعلت ذلك أيها المكلف ألقيت «**فِي**» نار «**جَهَنَّمَ مَلُومًا**» قيل: اللوم اللعن والذم، عن أبي علي، وقيل: يلومك الله والملائكة والمؤمنون، وقيل:

---

(١) قدميك: قدمك، د.
(٢) ذكره: ـ، ز.
(٣) تعالى: ـ، ب.
(٤) ذلك ما كان... فكل: ـ، ز.
(٥) من: في، ز.
(٦) مكروه عند الله: مكروهة لله، ب، د.
(٧) أردنا: أعددنا، ز، عددنا: ب، د.
(٨) الدلالات: الدلائل، ز، د.
(٩) بالمأمور: بالأمور، ز.
(١٠) أعاد: أعاد إلى، ز.
(١١) ذكر: ـ، ز.
(١٢) حاله: حالها، ب، د، ز.
(١٣) قيل لا تعبد معه... قوله سبحانه أي: ـ، ز.
(١٤) أي: ـ، د.

تلوم نفسك على ما سلف منك من الذنوب ولا ينفعك «مَدْحُورًا» قيل: مطروداً، عن ابن عباس وغيره من أهل العلم. «أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ» أي: أخلص لكم البنين وجعل البنات بينه وبينكم شركة[١]، وقيل: معناها استخبر هؤلاء المشركين اتخذ من الملائكة بناتاً وأصفاكم بالبنين! وقيل: معناه: اختار لكم صفوة البنين واتخذ هو غير الصفوة، عن الزجاج، وإنما وبخهم بإضافة البنات إليه وإن كان إضافة البنين أيضاً لا يجوز لأنه رد عليهم طريقتهم في أن لله بنات، وكانوا[٢] يأنفون من البنات حتى كان بعضهم يئد[٣] «إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا» أي: كبيراً[٤] في الإثم واستحقاق العقوبة، عن أبي علي، وقيل: عظيم في مخالفة العقول والأدلة، وقيل: عظيم في الفرية، عن الأصم وقيل: عظيم في الاستحالة.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ على قبح الكبر، والنهي عنه، وتنبيه على أنه عبد ضعيف عاجز فلا ينبغي له أن يتكبر.

ويدل قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ على أنه تعالى يكره المعاصي، وإذا كرهها لا يريدها لاستحالة أن يريد الشيء ويكرهه، فيبطل قول المجبرة في الإرادة، وإذا لم يردها دل أنه ليس بخلق له، فيبطل قولهم في المخلوق.

وتدل على أن صفة الإرادة والكراهة من صفات الأفعال وليست من صفة الذات، ولذلك يصح أن يوصف بها وبضدها بخلاف العلم والقدرة والحياة والوجود، فيبطل قول النجارية: إنه مريد لذاته، وقول الكلابية: إنه مريد بإرادة قديمة، ويصحح قولنا: إنه مريد بإرادة محدثة، ولا شبهة أنه تعالى ليس بمحل للحوادث فتحله، ولو حل غيره لاختص به، فلم يبق إلا أنه يوجد لا في محل.

---

(١) شركة: مشتركة، د.

(٢) وكانوا: فكانوا، د.

(٣) يئد: في هامش (ب): يؤدهن.

(٤) كبيرا: كثيراً، د.

وتدل على أنه تعالى مريد وكاره حقيقة[1] خلاف ما تقوله البغدادية.

ويدل قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ﴾ أن القرآن كلام الله أوحى به إلى رسول الله ﷺ[2]، فيدل على أنه كلامه، خلاف قول الباطنية أنه كلام رسول الله ﷺ[3].

ويدل على حدثه[4] لأن القديم لا يصح أن يوحى به وينزل.

ويدل قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ أنه لا يجوز أن يضاف إليه تعالى ما لا يرتضيه لو أضيف إليه، وهذا[5] أبلغ ما يكون في الرد على المجبرة، لأنهم لا يرضون[6] إضافة القبائح إليهم[7]، ثم يضيفونها[8] جميعها[9] إلى الله تعالى، ويقولون: خلقها وأرادها وقضاها وقدرها وزينها، وأضل عن الدين والإيمان ولم يردها، وبعث الرسل وأراد أن لا يقبلوا منها، بل أراد قبلها وتكذيبها وكل كفر وفاحشة في الدنيا فهو من الله تعالى، ولا تأثير للعبد في إيجادها[10]، وإذا ضاق[11] بهم الأمر ورأوا أن مذهبهم يؤدي إلى بطلان الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وبعثة الأنبياء والرسل والمواعظ، تعلقوا بلطف لا طائل تحته إذا استفسر ففسر[12] قالوا: إنه كسب لنا وإن كان خلقاً له تعالى، فقلنا لهم: فما معنى قولكم:

---

(١) حقيقة: +، ب، د.
(٢) صلى الله عليه وآله وسلم: +، ب، د.
(٣) صلى الله عليه وآله وسلم: +، د.
(٤) حدثه: حدوثه، ب.
(٥) وهذا: فهذا، ب.
(٦) يرضون: لايرتضون، ب.
(٧) إليهم: إليه، و.
(٨) يضيفونها: يضيفون، ب، د.
(٩) جميعها: جميعاً، ب، و.
(١٠) إيجادها: اتخاذها، د.
(١١) ضاق: ضاقت، و.
(١٢) ففسر: فيفسر، د.

كسب، دعوا اللغة العربية وبينوا في الفعل إبراء العبد ليضاف[١] إليه؟ فلم يمكنهم، ومذ زمان طويل نحن نطالبهم بأن يعقلونا معنى الكسب فلم يحصل إلا أن الفعل حله مع القدرة عليه، فنقول لهم: ما[٢] معنى عليه، أعلى[٣] إيجاده؟ فهو ما نقول، فقالوا: لا، بل على اكتسابه، فقلنا لهم: هو ذا تفسرون الكسب بالكسب.

ثم يقال لهم: إذا كان الفعل والقدرة كلاهما يوجدان معاً، ويعدمان معاً، وكلاهما من خلق الله تعالى فلم صار الفعل بأن كان كسباً للعبد أولى من القدرة.

ثم يقال لهم: هب أن الكسب مفعول[٤] هل يقدر العبد على اكتسابه إذا لم يخلقه الله تعالى، فمن قولكم[٥]: لا فنقول: فهل[٦] العبد إلا مجبور، فقد عاد مذهبكم إلى مذهب جهم.

ويقال لهم: هل يصح أن يخلقه[٧] الله تعالى حتى يكسبه العبد فقالوا: لا، فقلنا: هل يكسبه[٨] العبد حتى يخلقه الله تعالى؟ قالوا: لا، قلنا: فهذا هو الشركة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[٩].

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) ليضاف: يضاف، د.
(٢) ما: فما، د.
(٣) عليه أعلى: غلبت الحلي، د.
(٤) مفعول: معقول، د.
(٥) قولكم: لهم، د.
(٦) فهل: هل، د.
(٧) يخلقه: يخلق، ب، د، ل، و.
(٨) يكسبه: يكسب، ب، ل.
(٩) إلى هنا نهاية النسخة د.

القراءة

قراءة القراء: «**صرّفنا**» بالتشديد على التكثير، وعن الحسن: «**صرفنا**» بالتخفيف.

وقراءة[1] حمزة والكسائي والأعمش: «**ليذْكُروا**» ساكنة الذال مضمومة الكاف، وفي سورة (الفرقان) مثله، وقرأ الباقون: «**ليذَكَّروا**» بفتح الذال والكاف وتشديدها على معنى ليتذكروا أدغمت التاء في الذال.

واختلفت القراء في قوله: ﴿كَمَا[2] يَقُولُونَ﴾، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ﴾ فقرأ ابن كثير ثلاثة بالياء: «**لوكان معه آلهة كما يقولون**» حكاية عنهم «**سبحانه وتعالى عما يقولون** «**يسبح**» بالياء للحائل بين الفعل وبين[3] التأنيث.

وقراءة حمزة والكسائي وخلف بن هشام، كلها بالتاء في الأولين (تقولون)، و(تقولون) على الخطاب، و(تسبح) لتأنيث السموات، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم في الأولى بالتاء على الخطاب، والثاني على الحكاية بالياء، وفي الثالث بالياء[4] لما ذكرنا من الحائل بين الفعل والتأنيث،

وقرأ أبو جعفر[5] ويعقوب الأولى بالتاء، أي: قل لهم: لو كان معه آلهة كما تقولون، وفي الثاني بالياء ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ حكاية للنبي ﷺ عنهم، «**تسبح**» بالتاء[6] لتأنيث السماوات، وقرأ حفص عن عاصم: «**كما يقولون**» و«**عما يقولون**» بالياء على الحكاية، «**تسبح**» بالتاء لما[7] ذكرنا.

اللغة

الابتغاء: الطلب، وهو افتعال من البغي، يقال: ابتغى ابتغاءً.

---

(١) قراءة: وقرأ، ل.
(٢) وكما: عما، ل.
(٣) بين: ـ ، ل.
(٤) وفي الثالث بالياء: ـ ، ل.
(٥) جعفر: عمرو، ل.
(٦) بالتاء: ـ ، ل.
(٧) لما: كما، ل.

والتسبيح: التنزيه، سبح يسبح[1] تسبيحاً.

وتعالى من العلو، وإنما قال: «علواً» ولم يقل: تعالياً، كقوله: ﴿وَتَبَتَّلْ[2] إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] لأن المعنى واحد، وكلاهما مصدران، وقد يجيء المصدر من غير لفظ الفعل كقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

والفقه: العلم بالشيء، يقال: فقهت الحديث[3] أفقهه، وكل علم بشيء فقه، ثم اختص به علم الشرع فقيل للعالم به: فقيه، ولذلك[4] لا يقال لله تعالى: فقيه؛ لأن الفقه في العرف اسم لعلم يحتاج فيه إلى الاستنباط.

والحليم: من الحلم فعيل بمعنى فاعل، وضده: السفيه.

۞ الإعراب

«سبحانه» نصب لأنه مصدر إلا أنه لا يستعمل إلا مضافاً، وقد جاء مفرداً في الشعر:

سُبحانَهُ ثُمَّ سُبحاناً نَعوذُ بِهِ   وَقَبلَنا سَبَّحَ الجودِيُّ وَالجُمُدُ[5]

هما جبلان.

«حليماً» نصب لأنه خبر كان.

۞ النظم

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾ بقوله: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنه راجع إلى قوله: «سبحانه» أي[6]: سبحان الحليم الغفور، وتعالى عما يقولون.

---

(١) يسبح: +، ل.
(٢) وتبتل: تبتل، ل.
(٣) الحديث: الشيء، ل.
(٤) ولذلك: وكذلك، و، ل.
(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت، انظر: لسان العرب، مادة (جمد).
(٦) إلى هنا نهاية السقط في (ز)، وقد أشرنا إلى بدايته قبل خمس صفحات تقريباً.

وقيل: يتصل بما[١] قبله أي: سبحان الحليم يمهلهم مع كذبهم[٢] وينعم عليهم مع إصرارهم، ثم يغفر لهم إذا تابوا، لأن قوله: «**لا تفقهون**[٣]» يتضمن ذلك، كأنه قيل: لا يفقهون أمر[٤] دينهم ومع ذلك يمهلهم وينعم عليهم.

۞ المعنى

ثم احتج تعالى على من تقدم ذكرهم، فقال: «**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا**» كررنا الدلائل[٥]، وفصلنا العبر والأمثال «**فِي هَذَا الْقُرْآنِ**» وحذف ذكر الدلائل والعبر لعلم السامع به ولدلالة[٦] الكلام عليه «**لِيَذَّكَّرُوا**» أي: ليتدبروا ويتفكروا فيها فيعلمون الحق «**وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا**» يعني: لا يزيدهم القرآن والتذكر «**إِلاَّ نُفُورًا**» ذهاباً عن الحق وتباعداً، ولما كان نفورهم عند نزوله جاز أن يضاف إليه، كما يقول الواعظ: كم[٧] وعظتك فما زادك موعظتي إلا إصراراً[٨].

ومتى قيل: لِمَ ازدادوا نفوراً عند مشاهدة الدلائل والآيات[٩]؟

قلنا: لاعتقادهم أنها شبه وحيل[١٠]، وقلة تفكرهم فيها، وهذا كالمبتدعة تعتقد في دلائل أهل الحق أنها شبه وحيل، وإذا ذكر له نفر عنه.

«**قُلْ**» يا محمد لهؤلاء المشركين، وقيل: قل يا[١١] أيها السامع، أو[١٢] أيها

---

(١) بما: ما، ب.
(٢) الحليم يمهلهم مع كذبهم: ـ ، ز.
(٣) لا تفقهون: ـ ، ب، ز، ل.
(٤) أمر: أمور، ل.
(٥) الدلائل: بالدلائل، ز.
(٦) ولدلالة: ودلالة، ز، ل.
(٧) كم: كما، ز، و؛ ـ ، ب.
(٨) إصراراً: صراراً، ل.
(٩) والآيات: الآيات، ل.
(١٠) وحيل: ـ ، ب، ز، ل.
(١١) ياء: ز، ل.
(١٢) أو: و، ب.

الإنسان، فإنه يجب على كل مكلف أن يحتج عليهم بذلك، عن أبي مسلم. «**لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ**» أي: مع الله «**كَمَا يَقُولُونَ**» أنتم وهم على القراءتين «**إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**» قيل: لطلبوا الآلهة إلى رب[1] العرش طريقاً تقربهم[2] إليه لعلوه عليهم، وعظمته عندهم، والتمسوا الزلفة عنده، عن قتادة، والأصم، والزجاج، وقيل: «**لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ**[3] **سَبِيلاً**» إلى مقاومته، كقوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [**الأنبياء: ٢٢**]، عن الحسن وجماعة، وهذا إشارة إلى دليل التمانع، وهو العمدة في نفي الاثنين، لذلك[4] قلنا: إن هذا الوجه أولى.

ثم نزه[5] نفسه فقال: «**سُبْحَانَهُ**» أي: تنزه[6] «**عَمَّا يَقُولُونَ**»، وتعالى عن قول هؤلاء «**عُلُوًّا كَبِيرًا**»، «**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ**» قيل: أراد من يعبده من أهلها، عن الأصم، وقيل: تنزهه بما يدل[7] على تنزيهه من كونه إلهاً واحداً لا شبيه له، عن أبي علي وغيره، وهذا أولى لأن الآية عامة «**وَالأَرْضُ**» أراد الأرض[8] السبع، فاقتصر على أحد اللفظين لعلم السامع ودلالة الكلام عليه، وقيل: تسبح له الجمادات والحيوانات أجمع قولاً، وهذا لا شيء[9] لأن[10] من ليس بحي لا يصح منه النطق والتسبيح، وكذلك كل[11] ما لا[12] يعقل، ولأن التسبيح من طريق الدلالة أقوى، لأنه يؤدي إلى العلم والتمدح به أعظم، والدلالة فيه أكبر، لأنه يدل على جميع

---

(١) رب: ذي، ز، ل.
(٢) تقربهم: يعذبهم، ز، ل.
(٣) إلى ذي العرش: ـ، ب، و.
(٤) لذلك: كذلك، ب، و.
(٥) نزه: نزهه، ز.
(٦) تنزه: متنزه، ب، و؛ تتنزه، ز.
(٧) تنزهه بما: تنزيهه بما، تدل، ز، ل؛ شريعته مما تدل؛ ب، و.
(٨) الأرض: للأرض، ز.
(٩) لا شيء: ـ، ز.
(١٠) لأن: لأنه، ل.
(١١) كل: ـ، ل.
(١٢) ما لا: من لا، ز، ل.

صفاته، والقول بخلاف ذلك. «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» أي: يدل على تنزيهه بآثار قدرته «بِحَمْدِهِ» أي: ويدل على أنه المنعم فكأنه يحمده، فآيات[1] صنعه تدل على صانع حكيم منعم على خلقه، وقد جاء مثل ذلك في كلام العرب، قال الله[2] تعالى[3]: ﴿قَالَتَآ﴾[4] ﴿أَتَيْنَا[5] طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال الشاعر:

اِمْـتَـلأَ الـحـوْضُ وَقَـالَ قَـطْـنِـي[6]

وقال آخر:

فَقَـالَـتْ لَـهُ الـعَـيْـنَـانِ سَـمْـعًـا وطَـاعَـةً[7]

وقال تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، والمراد في جميع ذلك لما يظهر من[8] آثاره فكأنه ينطق بذلك، وقد قال بعضهم: سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وأينع ثمارك، فإن لم تجبك حواراً[9] أجابتك اعتباراً. وقيل: أراد به الأحياء، عن الحسن. «وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» أي: لا تعلمون ذلك لأنكم لا تتفكرون فيها «إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا» يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وعنادهم بنعم الله غيره[10]، عن الأصم، وأبي علي. «غَفُورًا» يستر عليهم ما يقولون، وقيل: يعفو[11] عنهم إن تابوا.

---

(١) فآيات: بآيات، ز، ل.
(٢) الله: +، ل.
(٣) تعالى: ـ، ز، ل.
(٤) قالتا: +، ب، ز.
(٥) أتينا: ـ، ز.
(٦) عجز البيت:

مـهـلا رويـدا قـد مـلأت بـطـنـي.

انظر تاج العروس، اللسان، الصحاح، مادة: «قول، قطط».

(٧) تكملته:

فقالت له العينان سمعا وطاعة　　　وحـدرتا كـالـدر لـمـا يـثـقـب

(٨) من: في، ز، ل.
(٩) حوارا: أحورا، ز؛ جؤاراً، ب؛ أحواراً، ل.
(١٠) وعنادهم: وعنادهم بنعم الله غيره، ب، و.
(١١) يعفو: يعفر، ب، و.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**ليذكروا**» على أنه أراد من الجميع أن يتذكروا خلاف قول المجبرة.

وتدل على وجوب النظر في الأدلة خلاف قول الحشوية.

وتدل على أن العلم مكتسب خلاف قول[1] أصحاب الضرورة.

ويدل قوله: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ على دلالة التمانع بأنه لو كان قديم ثان لوجب أن يكون قادراً لاشتراكهما في صفة القدم، ولو كانا قادرين صح من كل واحد منهما[2] أن يريد خلاف ما يريده الآخر، فحينئذ لا يخلو من ثلاثة أوجه: إما أن لا يحصل مرادهما، وفيه نفي الواحد، أو يحصل مرادهما ويؤدي إلى اجتماع الضدين، أو يحصل مراد أحدهما، فهذا التقدير بين أن أحدهما هو القادر الذي لا نهاية لمقدوره، والآخر مقدوراته متناهية، ولا[3] يجوز أن يكون له بحانه[4] ثان[5] وإن حمل[6] على ابتغاء الزلفة[7] كأنه[8] احتج عليهم بأنه لو كان معه آلهة أحياء لالتجؤوا إليه وتقربوا فإنهم أحق بذلك.

ويدل «**سبحانه**» على بطلان الجبر والتشبيه وإضافة القبيح[9] إليه.

وتدل على أن كل شيء يدل على الصانع وصفاته إما بنفسه ككونه[10] قادراً عالماً[11]، أو بواسطة ككونه[12] حياً، موجوداً، مدركاً، سميعاً، بصيراً.

---

(١) قول: ـ، ز.
(٢) منهما: +، ز، ل.
(٣) مقدوراته متناهية ولا: مقدوراً بهما متناهية فلا، ز، ل.
(٤) سبحانه: ـ، ل.
(٥) ثان: ثاني، ز.
(٦) حمل: يحمل، ز، ل.
(٧) الزلفة: الراية، ل.
(٨) كأنه: كان، ز، ل.
(٩) القبيح: التسبيح، ل.
(١٠) ككونه: لكونه، ز.
(١١) قادراً عالماً: عالماً قادراً، ل.
(١٢) ككونه: لكونه، ز.

قوله تعالى:
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾
وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ
وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ
يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ
فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

اللغة

الستر: تغطية الشيء، ستر يستر ستراً فهو ساتر، والشيء مستور.

والأكنة: جمع كنان، وهو الغطاء، ومنه: المكنون المصون في كنانه.

والوقر: الثقل في الأذن، وبكسر الواو: الحمل[1]، والأصل فيهما الثقل، إلا أنه خولف بين البنائين[2] للفرق.

ونفوراً: جمع نافر كشهود وشاهد، وهو الذي ينفر عن الشيء تكرهاً[3].

الإعراب

نصب «**مستوراً**» لأنه صفة للحجاب، وقيل: بدل عن الحجاب، عن أبي مسلم.

و«**نفوراً**» مصدر أخرج من غير لفظه، لأن قوله: «**ولّوا**» أي[4]: نفروا، كأنه قيل[5]: نفروا نفوراً، فيكون نصباً على المصدر، وقيل: نصب على الحال بتقدير: ولوا نافرين.

---

(١) الحمل: والحمل، ز.
(٢) البنائين: التائين، ز.
(٣) وهو الذي ينفر عن الشيء تكرهاً: ـ، ل.
(٤) أي: بمعنى، ز، ل.
(٥) نفروا كأنه قيل: +، ل.

وقيل[1] «وقراً» نصب بـ «جعلنا»، وكذلك «أكنة»، كأنه قيل: جعلنا على قلوبهم أكنة وجعلنا في آذانهم وقراً. «أَنْ يَفْقَهُوهُ» أي: لئلا[2] يفقهوه.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ[3]﴾ الآية[4] في قوم كانوا يؤذن النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة، وكانوا يرمونه بالحجارة، ويمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين، فحال الله بينهم وبينه حتى لا يؤذونه، عن أبي علي، والزجاج.

وقيل: لما قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟﴾ [فصلت: ٢٦] منعهم الله[5] عن ذلك.

وقيل: نزل[6] قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ في جماعة من مشركي قريش اجتمعوا وتشاوروا لما دعاهم النبي ﷺ، ثم قاموا وتفرقوا، وهم: أبو جهل، وزمعة بن الأسود، وعمرو[7] بن هشام، وحويطب، فقال بعضهم: ما يقول[8] محمد ليس بشيء، وقال أبو جهل: ما هو إلا مجنون، وقال زمعة: هو شاعر، وقال حويطب: هو كاهن، ثم أتوا الوليد بن[9] المغيرة وعرضوا عليه فقال: هو ساحر، ففي ذلك نزلت هذه الآية[10].

المعنى

لما تقدم قوله: ﴿صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ بين حالهم عند قراءة القرآن، فقال

---

(١) وقيل: +، ل.
(٢) لئلا: لأن، ب، ل، و.
(٣) القرآن: القرآن وحده، ز، ل.
(٤) الآية: +، ز، ل.
(٥) الله: ـ ، ل.
(٦) وقيل نزل: ويدل، ز.
(٧) وعمرو: وعمر، ز.
(٨) ما يقول: ما يقوله، ز، ل.
(٩) الوليد بن: الوليد بن الوليد بن، ب.
(١٠) في ذلك نزلت هذه الآية: فنزلت الآية في ذلك، ز؛ فنزلت هذه الآية، ب.

سبحانه: «**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**» يا محمد «**جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**» قيل[١]: منعناهم عند قراءتك القرآن[٢]، وجعلنا بينك وبينهم حجاباً ساتراً، عن أبي علي، قال القاضي: وهو الأولى لأنه حمل[٣] اللفظ على حقيقته والسبب المنقول فيه، وقيل: هو ذم لهم وتشبيه أي: كأن بينك وبينهم حجاباً عن أن يدركوا ما يأتي به من الحكمة في القرآن فينتفعوا به، وقيل: جعلنا بينك وبين مشركي قريش حجاباً مانعاً أن ينالوك بشر[٤]، فلا يقدروا على منعك حتى تبلغ الرسالة، عن الأصم، وقيل: جعلنا بينك وبينهم حجاباً لا يرونك فيؤذونك[٥] ويقتلونك، وقيل: جعلنا بينك وبينهم[٦] فرقاً، والحجاب ما فرق بين الشيئين، ومعناه: باعدنا ما[٧] بينك[٨] وبينهم، فهو لك وللمؤمنين معك شفاء وهدى لقبولهم والعمل بما فيه، وللكافرين لما جحدوا فهو في آذانهم وقراً وهو[٩] عليهم عمى، فهذا هو الوقر والحجاب، عن أبي مسلم. «**مَسْتُورًا**» قيل: حجاباً مستوراً، أي: ذلك الحجاب مستوراً[١٠] عن أعين الناس، وقيل: هو بمعنى ساتر كما يقال مشتوم[١١] بمعنى شاتم[١٢]، وميمون بمعنى يامن، وزيفه أبو مسلم، وقال: هو تأكيد للحجاب، والحجاب والستر واحد، تقديره: حجاباً مستوراً، والمستور والستر واحد[١٣]، فكأنه

(١) قيل: فقيل، ز.
(٢) القرآن: ـ ، ل.
(٣) حمل: حمل على، و.
(٤) بشر: بسوء، ز، ل.
(٥) فيؤذونك: فيؤذوك، ل.
(٦) حجاباً لا يرونك... بينك وبينهم: ـ ، ز.
(٧) ما: +، ز، ل.
(٨) بينك: بين، ل.
(٩) هو: +، ل.
(١٠) أي ذلك الحجاب مستوراً: ـ ، ز، ل.
(١١) مشتوم: مشوم، ز.
(١٢) شاتم: شائم، ز.
(١٣) تقديره حجاباً مستوراً والمستور والستر واحد: ـ ، ز، ل.

قال: ستراً مستوراً، كقولهم: حجراً محجوراً، قاله أبو مسلم. «**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**» غطاء «**أَنْ يَفْقَهُوهُ**» يعلموه[١]، قيل: جعلنا بالحكم أنهم بهذه المنزلة، ذماً لهم على[٢] الامتناع من تفهم الحق والاستماع[٣] إليه عداوة له[٤]، عن الحسن وجماعة، وقيل: إنه منعهم عن ذلك في وقت مخصوص لئلا يؤذوا النبي ﷺ، عن أبي علي، وسماه أكنة ووقراً اتساعاً[٥]، وإلا كان يسمع بعضهم من[٦] بعض ويفقه[٧]، عن أبي علي. وقيل: صار القرآن لاستثقالهم استماعه والنظر فيه ولما فيه من الرد عليهم وقراً في آذانهم، وعمى في أعينهم، وغطاء على قلوبهم، وأضاف[٨] ذلك إلى نفسه لأنه حصل[٩] عند إنزاله[١٠] القرآن، كما يقال: ما زادتك موعظتي[١١] إلا شراً، عن أبي مسلم. «**أَنْ يَفْقَهُوهُ**» أي: كراهة أن يعلموه، «**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**» أي: ثقلاً للقرآن «**وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ**» قيل: قلت عند تلاوة[١٢] القرآن: أن[١٣] لا إله إلا الله، وقيل: ذكرت التوحيد وأبطلت الشريك «**وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً**[١٤]» أي: ولوا[١٥] عنك مدبرين نافرين، قيل[١٦]: هم كفار قريش، وقيل[١٧]: هم الشياطين، عن ابن عباس، قال الأصم: قال بعضهم: هذه الآية في الجن[١٨] إذا سمعوا هذا

(١) له: فعلموه، ز، ل.
(٢) على: عن، ب، ل.
(٣) والاستماع: وبالاستماع، ل.
(٤) له: ـ ، ل.
(٥) ووقراً اتساعاً: وقراً امتناعاً، ل.
(٦) من: عن، ب، و.
(٧) ويفقه: ويفقهه، ز، ل.
(٨) وأضاف: فأضاف، ز، ل.
(٩) حصل: حصر، ز.
(١٠) إنزاله: إزالة، ب، و.
(١١) مازادتك موعظتي: ما زدتك بموعظتي.
(١٢) تلاوة: قراءة، ل.
(١٣) أن: ـ ، ل.
(١٤) نفوراً: +، ل.
(١٥) ولوا: أعرضوا، ل.
(١٦) قيل: وقيل، ل.
(١٧) وقيل: ـ ، ل.
(١٨) الجن: الحق، ز.

القرآن هربوا، والآية الأولى في الإنسيين «**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ**» فيه وعيد لهم، وتسلية للنبي ﷺ، يعني هؤلاء يستمعون إليك[١] ويناجون[٢] دونك ونحن أعلم بهم ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ[٣]﴾ إلى قراءتك القرآن ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ إذ يتناجون بأن يرجع كل واحد بسره إلى الآخر وصفوا بالمصدر، وتناجيهم أن بعضهم قال[٤]: هو مجنون، وبعضهم قال[٥]: هو كاهن، وبعضهم قال: ساحر، وبعضهم قال: إنه شاعر، وبعضهم قال: إنه في أساطير الأولين، عن قتادة. «**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ**» قيل: عظماؤهم وأكابرهم[٦]، وقيل: الوليد بن المغيرة «**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا**» قيل: سحر فاختلط عليه أمره، ينفروا[٧] قلوب العامة عنه، وقيل: مسحوراً مغروراً مكذوباً[٨]، عن أبي مسلم، وقيل: مخدوعاً، وقيل: سحر[٩] أي: أنه لا يستغني عن[١٠] الطعام والشراب، فهو بشر مثلكم ليس بملك، عن أبي عبيدة. «**انظُرْ**» يا محمد تعجيب من فعلهم، أنهم مع وفور عقله[١١]، وكمال فضله وما معه من المعجزات والشرائع نسبوه إلى[١٢] مثل[١٣] هذه[١٤] الصفات[١٥] «**كيف ضربوا لكَ الأمثال**» أي: شبهوا لك[١٦] بالأشباه فقالوا: ساحر، أو مجنون، أو شاعر، فضلوا بهذا القول عن الحق «**فَلاَ[١٧] يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**»

---

(١) إليك: إلى، ز، إلى قرابتك، ل.
(٢) ويناجون: يتناجون، ل.
(٣) إليك: ـ، ب.
(٤) قال: ـ، ل.
(٥) قال: ـ، ز، ل.
(٦) عظماؤهم وأكابرهم: علماؤهم وكبراؤهم، ز.
(٧) ينفروا: نفروا، ب، ز، و.
(٨) مكذوباً: مكروباً، ز، ل.
(٩) سحر: أنه، ل.
(١٠) عن: من، ز.
(١١) عقله: عقلهم، ب، و.
(١٢) إلى: إلى أنه، ز.
(١٣) مثل: بمثل، ز؛ يمثل، ل.
(١٤) هذه: بهذه، ل.
(١٥) الصفات: الصفات ثم، ل.
(١٦) شبهوا لك: ـ، ز.
(١٧) فلا: ولا، ب.

أي: لا يجدون حيلة وطريقاً في تكذيبك إلا البهت، وقيل: ضلوا فلا سبيل لهم، أي: لا يجدون مع هذا القول طريقاً إلى الهدى، عن أبي مسلم، وقيل: ضلوا عما طلبوا من[(١)] بطلان أمره، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، عن أبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى قد يمنع من سماع القرآن، ورؤية النبي ﷺ في بعض الأحوال لمصلحة أو لمنع مفسدة، وقد روي أن امرأة أبي لهب جاءت لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] لتسب[(٢)] النبي ﷺ فدخلت المسجد وهو جالس ومعه أبو بكر، فلم تر رسول الله ﷺ[(٣)]، فقالت: هجانا صاحبك؟ فقال: والله ما يقول الشعر، فقالت: إنك لمصدق فانصرفت.

ومتى قيل: كيف يجوز أن يمنع عن سماع القرآن وهو الحجة؟

قلنا: لأنهم سمعوا في غير هذا الحال مرة بعد مرة، فالحجة[(٤)] قائمة على قول أبي علي، وهو الصحيح، فأما غيره[(٥)] إذا حمله على التشبيه فالكلام ظاهر.

ويدل قوله: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ﴾ الآية تدل أنهم استمعوا إلى[(٦)] القرآن وغرضهم الرد.

وتدل على أن المناجاة[(٧)] والرد قولهم وفعلهم، فصحح قولنا في المخلوق.

واستدل بعض المجبرة بقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ على أن الاستطاعة مع الفعل، ولا حجة في الآية؛ لأن الظاهر أنه لا يستطيع سبيلاً، وليس فيه إلى ماذا، وقد بينا المعنى، وهذا كما يقول الموحد للملحد: انظر إلى هذه الحجج لا تستطيع[(٨)] سبيلاً إلى دفعها، أي: لا تجد، وليس هذا من القدرة في شيء.

---

(١) من: في، ز، ل.
(٢) لتسب: أنت، ل.
(٣) فدخلت المسجد... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ـ، ل.
(٤) فالحجة: والحجة ز، ل.
(٥) غيره: +، ز، ل.
(٦) إلى: +، ل.
(٧) المناجاة: المباحات، ز.
(٨) تستطيع: ـ، ز.

قوله تعالى:
﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)﴾

القراءة

كل موضع فيه[1] استفهامان[2] في القرآن ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا[3]﴾ للقراء[4] فيه خلاف، فمنهم من لا[5] يجمع بين استفهامين كأبي جعفر ونافع، ومنهم من يجمع، ثم اختلفوا، فمنهم من يجمع بين همزة ومدة كأبي عمرو، ومنهم من يأتي بهمزة تبنى[6] على الأصل كعاصم وحمزة، ومن[7] لا يجمع بينهما اختلفوا: فمنهم من يستفهم الأول دون الثاني، ومنهم من يستفهم الثاني دون الأول، ثم منهم من يطرد أصله، ومنهم من لا[8] يخالف في بعض المواضع، والأصل فيه أن يأتي بالهمزتين ثم الحذف والتليين للتخفيف[9].

اللغة

الرفات: ما تكسر وبلي من كل شيء وتكسر وسال[10] فقال[11] [ويكثر بنا

(١) فيه: ـ، ل.
(٢) استفهامان: استفهام، ل.
(٣) ورفاتاً: ـ، ب، ز، ل.
(٤) للقراء: وللقراء، ب، ز، ل.
(٥) لا: ـ، ز.
(٦) بهمزة تبنى: بهمزتين ز، ل.
(٧) ومن: ومنهم من، ب، و.
(٨) لا: +، ز.
(٩) للتخفيف: للحذف، ل.
(١٠) وتكسر وسال: وسال، ز، ل.
(١١) فقال: فيقال، ز، ل.

فعال][1] في كل ما[2] تحطم وترضض وترمم يقال: حطام، ورضاض، ورفات، وغبار[3]، وتراب.

والنغض: تحريك[4] الرأس بارتفاع وانخفاض[5]، ومنه قيل للظليم: نغض، لأنه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض، ونغضت سنه[6]: إذا تحرك من أصله، قال الشاعر:

ونغضت[7] من هرم أسنانها[8]

وقال:

لما رأتني أنغضت لي الرأسا[9]

أي: حركت[10]، يقال: أنغضت[11] رأسي أنغضه إنغاضاً، ونغض برأسه ينغض نغضاً: إذا حركه.

والاستجابة والاجابة بمعنى، إلا[12] أن في استجاب طلب[13] الموافقة بالإرادة[14]، فهو[15] أوكد من الإجابة.

الإعراب

«**عظاماً**» نصب لأنه خبر (كان)، واسم[16] الضمير في «**كنا**».

(١) زيادة من مجمع البيان م٤ ج١٥/ ٧٥: ويكثر بناء فعال.
(٢) في كل ما: فيما، ز، ل.
(٣) وترفض... وغبار: وهم حطام وزمام ودقاق وعباب، ز، ل.
(٤) تحريك: تحرك، ز.
(٥) وانخفاض: والخفاض، ز.
(٦) سنه: أي، ل.
(٧) ونغضت: وتغضب، ز.
(٨) الفراء، مجاز القرآن، ١/ ٣٨٢.
(٩) الفراء، مجاز القرآن، ١/ ٣٨٢.
(١٠) حركت: تحركت، ل.
(١١) أنغضت: أنغض، ب و.
(١٢) إلا: وإلا، ز.
(١٣) طلب: اطلب، ز.
(١٤) بالإرادة: بالإراة، ل.
(١٥) فهو: فهي، ز.
(١٦) واسم: والاسم، ب، ز، ل.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في مشركي قريش في إنكارهم[١] البعث، كما حكى الله تعالى[٢] عنهم: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر البعث حكى عنهم ما قابلوا به[٣]، فقال سبحانه: «**وَقَالُوا**[٤] **أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا**» بعد الموت «**وَرُفَاتًا**» غباراً[٥]، عن ابن عباس، وقيل: تراباً، عن مجاهد. «**أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**» أي: أحياء «**قُلْ**» يا محمد لهم: «**كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا**» وهذا ليس بأمر ولا إباحة، ولكن معناه لو[٦] كنتم حجارة أو حديداً في الشدة لم[٧] تفوتوا الله وسيحييكم بعد الموت كما أنشأكم أول مرة. وقيل: معناه اجهدوا[٨] جهدكم في أن لا تعادوا أحياء فلا[٩] تعجزون الله وسيبعثكم، عن أبي علي. «**أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**»[١٠] قيل[١١]: أي شيء[١٢] تستعظمونه من الخلق ويكبر في صدوركم، عن قتادة، وأبي علي، وأبي مسلم، وقيل: السموات والأرض والجبال، عن مجاهد، وقيل: الموت، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن، والضحاك، وقد أنكر هذا المعنى الأصم، وقال: ليس ما قالوا بشيء، فإن الله تعالى[١٣] قادر على

---

(١) في إنكارهم: وإنكارهم، ب.
(٢) تعالى: +، ز، ل.
(٣) قابلوا به: قالوا به، ز، ل.
(٤) وقالوا: ـ، ز، ل.
(٥) غباراً: +، ز، ل.
(٦) لو: أو، ب.
(٧) لم: لما، ب، و.
(٨) أجحدوا: اجتهدوا، ز.
(٩) أحياء فلا: أنبياء ولا.
(١٠) في صدوركم: عن قتادة، وأبي علي، وأبي مسلم.
(١١) قيل: وقيل، ب.
(١٢) أي شيء: ـ، ب.
(١٣) تعالى: +، ب، ل.

أن يجعل الموت إنساناً، وأنكره شيخنا أبو حامد أيضاً، وذكر أن الموت عرض فلا ينقلب جنسه حتى يحله[1] العرض، ثم سأل[2] نفسه فقال: أليس روي أن الموت يصير بصورة كبش ويذبح بين الجنة والنار؟ وأجاب بأن هذا أخبار آحاد عن مثل ضربه لهم لا في التحقيق، فأما ما قاله الأصم ففاسد، لأنه لم يذكر وجهاً للرد[3]، ثم ما ذكر من أنه يجوز أن يصير الموت إنساناً فأوضح فساداً من الأول[4]؛ لأن الموت عند بعضهم ليس بمعنى، وإنما هو إبطال الحياة، ومنهم من قال: إنه معنى، فالعرض لا يصير جوهراً، ولا[5] الجوهر يصير عرضاً، فأما ما قاله شيخنا أبو حامد ففاسد[6]، لأنهم لا يقولون: إن الموت لا[7] يصير محلاً للعرض، وإنما يقولون: إن هذا مثل أنهم لو كانوا[8] الموت[9] وهو ما يعظم في القلوب وجاز عليه البقاء لبعثوا، وهلا رضي لهم من الجواب بمثل[10] ما أجاب، على أنه روي[11] عن جماعة من السلف، فإذا أمكن[12] حمله على وجه، وجب أن يحمل على ما ذكرنا «**فَسَيَقُولُونَ**[13] **مَنْ يُعِيدُنَا**» بعد الموت والبلاء «**قُلِ**» يا محمد: «**الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**» أي[14]: خلقكم.

فإن قيل: فما وجه الاستدلال بهذا عليهم؟

قلنا: من وجوه:

---

(١) يحله: يجعله، ز.
(٢) سأل: وسأل، ز، ل.
(٣) للرد: ز، ل.
(٤) من الأول: ـ، ز.
(٥) لا: ـ، ز.
(٦) ففاسد: فاسد، ب، ز، ل.
(٧) لا: +، ز، ل.
(٨) كانوا: كان، ب، و.
(٩) الموت: أن الموت، ل.
(١٠) بمثل: لمثل، ز.
(١١) روي: ري، ز.
(١٢) أمكن: أنكر، ب، و.
(١٣) فسيقولون: فيقولون، و.
(١٤) أي: أن، ز.

أولها: أنه جاز أن يخلق الإنسان من نطفة وتراب ويجعله حياً فهلا جاز أن يعيده من العظام والرفات أحياء، وأي فرق بين الرفات وهي جواهر والأجسام كالنطفة[١]، وبعد فإن العظام والرفات أقرب إلى الإنسانية من التراب والنطفة.

وثانيها: أنه إذا جاز أن يستحيل الحجر إنساناً والإنسان حجراً، وأن يصير الإنسان تراباً والنطفة حياً فما المانع من الإعادة؟

وثالثها: أن خلق الجواهر لا يصح إلا من القادر للذات والقدرة لا يصح لها[٢] فعل الجسم، فإذا كان هو قادراً لذاته خلق الجواهر، والجواهر[٣] مما[٤] يجوز عليها[٥] البقاء، وكذلك الحياة تبقى، فما المانع من أن يعيد الجواهر بعد الفناء[٦]، أو[٧] يصيره حياً بعد الممات.

«**فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ**» أي: يحركون رؤوسهم تعجباً واستهزاءً، وقيل: يرفعون رؤوسهم وأبصارهم إنكاراً، عن أبي علي. «**وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ**» أي: مع تحريك الرؤوس سألوا متى يكون ذلك جحداً[٨] وإنكاراً «**قُلْ**» يا محمد «**عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا**» قيل: عسى من الله واجب، والمعنى أنه قريب في حكم الله محياها[٩] وقيامها، وقيل: هو أمر يعلمه الله تعالى وأجلها قريب، وهو اليوم الذي يدعوهم، عن أبي علي، وأبي مسلم. «**يَدْعُوكُمْ**» أي: من قبوركم، وقيل: هذا النداء بالخروج إلى أرض المحشر[١٠] بكلام يسمعه[١١] جميع[١٢] العباد[١٣]، وقيل: هي

(١) كالنطفة: ـ ، ل.
(٢) لها: بها، ز.
(٣) والجواهر: والفناء، ز.
(٤) مما: مما أو، ز.
(٥) عليها: عليه، ب، ز، و.
(٦) الفناء: الجواهر، ز.
(٧) أو: ـ ، ز.
(٨) جحدا: حجراً، ز.
(٩) محياها: محيها، ب.
(١٠) المحشر: الحشر، ز، ل، و.
(١١) يسمعه: كلام سمعه، ز.
(١٢) جميع: ـ ، ز.
(١٣) العباد: البعاد، ز.

الصيحة التي يسمعونها، فتكون[1] داعية لهم إلى الاجتماع إلى القيامة «**فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ**» أي: تجيبون مضطرين صاغرين «**بِحَمْدِهِ**» أي: حامدين الله تعالى[2] على نعمه، وأنكم موحدون لم يكن منكم كفر، فتحمدون الله وتستجيبون[3]، كقولهم: جاء بغضبه أي: جاء غضباناً[4]، وقيل: تستجيبون على ما يقتضي الحمد لله، أي: لحالة[5] توجب الحمد لله من العدل والإنصاف والإنتصاف، وقيل: تحمدونه[6] حيث لا ينفعكم الحمد، وقيل: بأمره، عن ابن عباس، وقيل: بمعرفته وطاعته، عن قتادة، والأصم، ومعناه: تعترفون بنعمه ووجوب طاعته وحمده «**وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً**» في الدنيا والقبر، وإنما هو تقريب الوقت، كما قال الحسن: كأنك[7] بالدنيا لم تكن، وكأنك[8] بالآخرة لم تزل، وقيل: لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور، وقيل: معناه احتقاراً من[9] الدنيا حين عاينوا يوم القيامة، عن قتادة، وقيل: إن لبثتم إلا قليلاً لطول لبثكم في الآخرة، عن الحسن، وقيل: لأنهم لم يعلموا قدر لبثهم في القبر لأنهم كانوا أمواتاً، عن الأصم، وأبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على بطلان قولهم في إنكار البعث، فأوضح الدليل، وهو ما ذكرنا إذا كان هو قادراً لذاته، والشيء مما يجوز عليه الإعادة، فما المانع من الإعادة بعد الفناء، وإذا كان عالماً بالآخرة وقادراً على جنس الحياة فما المانع من أن يجمع الأجزاء ويخلق فيه الحياة، وكل ذلك ظاهر لمن تدبره.

---

(١) فتكون: فيكون، ز.
(٢) تعالى: +، ز.
(٣) وتستجيبون: وتسبحون، ب.
(٤) غضبان: غاضبان، ز.
(٥) لحالة: حاله، ز.
(٦) تحمدونه: ـ، ز.
(٧) كأنك: كن، ب.
(٨) كأنك: +، ز.
(٩) من: احتقار أمر، ز.

وتدل على أن وقت الساعة لا يعلمه غير الله تعالى.

وتدل على قربه، لذلك قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

وتدل على أن ما قالوه فعلهم ليصح الرد عليهم.

قوله تعالى:
﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ
عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ
عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ بالياء فيهما. وعن(١) ابن مسعود: «**تدعون**» و«**تبتغون**» بالتاء على الخطاب.

اللغة

الحسن: ضد القبيح، وهو ما له أن يفعله من الحسن.

والنزغ والغمز: الوسوسة(٢)، ويقال: نزغ بيننا(٣)، أي: أفسد، ومنه: ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [**يوسف: ١٠٠**] أي: أفسد، وقيل: النزغ: الإغراء.

والزبور: الكتاب، زبرت الكتاب أزبره زبراً.

---

(١) وعن: عن؛ ب، ز، ل، و.
(٢) الوسوسة: والوسوسة، ز، ل، و.
(٣) بيننا: يميناً، ب.

والوسيلة: القربة، والواسل الراغب إلى الله تعالى، من ذلك قال لبيد:

بـكـى كـل ذي ديـن إلـى الله واسـل[(١)]

۞ النزول

قال ابن عباس: كان المشركون بمكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ، فشكوا ذلك إليه واستأذنوا في القتال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا۟[(٢)]﴾ للكافرين الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [وهو أن يقولوا يهديكم الله (إن الشيطان)] فإن ما سألوا وسوسة الشيطان [هو الذي يفسد بينهم و] يريد إهلاكهم.

وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل، فأمره[(٣)] الله بالعفو.

وعن ابن مسعود أن نفراً من الإنس عبدوا نفراً من الجن، فأسلم الجن، ولم يعلم بهم الإنس، فتمسكوا بعبادتهم، فعيرهم الله تعالى، وأنزل قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾.

۞ المعنى

ثم أمر عباده أن يتبعوا الأحسن من الأقوال والأفعال والأديان، فقال سبحانه: «**وَقُلْ**» يا محمد «**لِعِبَادِي**» قيل: أراد المؤمنين، وهذه[(٤)] إضافة تخصيص وتشريف[(٥)]، وقيل: هو عام في جميع المكلفين «**يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**» قيل: يأمروا بما أمر الله به، وينهوا عما نهى الله عنه، عن الحسن، وقيل: الأحسن ما أمر الله من توحيده وإجابة رسله، وقيل: هي كلمة الإخلاص وإظهار الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: «**قل لعبادي**» يقل بعضهم لبعض ما هو[(٦)] أحسن في مخاطباتهم في الرضى والغضب، قال الحسن: أن تقول: يغفر الله لك يرحمك الله، وقيل: قل لعبادي

---

(١) البيت قائله لبيد بن ربيعة وصدره:

أرى الـنـاس لا يـدرون مـا قـدر أمـرهـم

انظر ديوان لبيد بن ربيعة.

(٢) يقولوا: يقولون، ب.

(٣) فأمره: فأمر، ز.

(٤) وهذه: وهذا، ز، ل، و.

(٥) وتشريف: وتسريف، ب، ز، ل، و.

(٦) ما هو: ما هي، ل.

إذا سمعوا قولك في التوحيد والعدل والشرائع، والبعث والجزاء، وقول المشركين، فيتبعوا ما هو أحسن، ويقولوا ما هو أولى، ونظيره قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] عن أبي مسلم، وهذا أحسن الأقوال وأوجهها، وقيل: شكا المؤمنون أذى الكفار، فأمروا أن يقولوا الحق ولا[١] يحسرهم «إِنَّ[٢] الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ» أي: يفسد بينهم، ويغري بعضهم بالبعض «إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا» أي: يظهر عداوته.

ثم خاطب الفريقين، فقال سبحانه: «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ [بِكُمْ]» أي: بأعمالكم وضمائركم فيجازيكم بها «إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ» قيل: يرحمكم بالتوبة، وإن يشأ يعذبكم، وقيل[٣]: يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم بالتخلية بينكم وبينهم، قيل: أراد به[٤] أنه المالك للعذاب والرحمة ليكون الرجاء إليه والخوف منه[٥]، عن أبي علي، وهو الوجه. «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً» أي: وما وكلناك عليهم لتمنعهم من الكفر قهراً، وقيل: حفيظاً وكيلاً، وقيل: نسختها آية القتال، وقيل: ليس بمنسوخ[٦]«وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» قيل: هو أعلم بالجميع فجعلهم مختلفين في الرزق والصور والأحوال كما تقتضيه المصالح، كما فضل[٧] بعض النبيين على بعض لعلمه بهم، وقيل: هو أعلم بالجميع فيصطفي لرسالته من يعلم أنه أصلح لها، ويقوم بحقوقها، عن أبي مسلم، وقيل: هو أعلم بهم فلذلك فضل بعض[٨] النبيين على بعض بحسب ما علم منهم، وقيل: أعلم بهم فيجازيهم بها، قيل: بزيادة[٩] الدرجة والثواب، وقيل: بإنعامه[١٠] عليهم بالنبوة

(١) ولا: ـ، ل.
(٢) إن: ـ، ل.
(٣) وقيل: قيل، ب، ز، و.
(٤) أرد به: إرادته، ب.
(٥) ليكون الرجاء إليه والخوف منه: ـ، ل.
(٦) بمنسوخ: ـ، ل.
(٧) فضل: فضلت، ب.
(٨) بعض: ـ، ل.
(٩) بزيادة: لزيادة، ب، ز، و.
(١٠) بإنعامه: لإنعامه، ز، و.

والكتاب، وبأن جعل بعضهم خليلاً، وبعضهم كليماً، وبعضهم أحيا الميت، وخص داود بالزبور، عن الحسن، وقيل: بالكتاب والمعجزات، وقيل: بأن بعثه إلى الناس كافة «**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**» أي: كما فضلناك بالقرآن، وفضلنا موسى بالتوراة، وفضلنا داود بالزبور، وقيل: خص داود بالذكر، لأنه أوحى إليه وأعطي الزبور فأطاعه قومه، وكان راعياً من قبل، فلم يمنعهم ذلك من طاعته، وقيل: تعظيماً له وتفخيماً لشأنه.

ومتى قيل: فلم كرر «**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ**»؟

قلنا: لأن الأول للتحذير، والثاني للاصطفاء والتخيير، وقيل: لأن الأول خاص والثاني عام.

«**قُلِ**» يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: «**ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ**» أنها آلهة عند ضر يمسكم، هل يملكون كشفه، قيل: أراد الملائكة والمسيح وعزير، عن ابن عباس، والحسن، وقيل: إن قوماً من الجن[١] عبدوهم فأسلم الجن وبقي الكافرون على عبادتهم، عن ابن مسعود، وقيل: أراد الأصنام، عن أبي علي، وقيل: المراد[٢] به الملائكة فقط، عن أبي مسلم، والأصم، والصحيح أن[٣] المراد به الأوثان[٤]، لأنها لا تملك نفعاً ولا ضراً مطلقاً «**فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا**» عنكم[٥] إلى غيركم، قيل: هو[٦] ما[٧] أصابهم[٨] من القحط سبع سنين، وقيل: هو عام في كل ضر لا يملكون كشفه «**أُولَئِكَ الَّذِينَ**[٩] **يَدْعُونَ**» قيل: أراد من تدعونهم إلهاً من دون الله، حاجتهم إلى الله أمس[١٠]، وهم من الله أخوف، ويبتغون إليه القربة، قالوا[١١]: المراد به عيسى وعزير، وقيل: إنه يرجع[١٢] إلى الأنبياء الذين

---

(١) من الجن: ـ، ل.
(٢) المراد: أراد، ب، ل.
(٣) أن: ـ، ل.
(٤) في الآخرة، عن الحسين، وقيل: لأنهم لم... به الأوثان: ـ، ز.
(٥) عنكم: ـ، ل.
(٦) هو: ـ، ز.
(٧) قيل هو ما، ل.
(٨) أصابهم: أصابكم، ل.
(٩) الذين: ـ، ز، ل.
(١٠) أمس: ـ، ز.
(١١) قالوا: قال، ز، ل.
(١٢) يرجع: راجع، ز، ل.

تقدم ذكرهم في الآية الأولى، عن أبي علي، تقديره: أن الأنبياء مع محلهم لا يعبدون إلا الله فإنهم[1] أولى أن لا يعبدوا[2] غير الله، قيل: ذكرهم بهذه[3] الخصال حثاً على الاقتداء بهم «يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ» أي: يطلبون القربة إلى الله[4] بفعل الطاعات «أَيُّهُمْ أَقْرَبُ» أي: ليظهر أيهم[5] الأفضل والأقرب منزلة «وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ» نعمته[6] إن أطاعوا[7] «وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ» إن عصوا، أشار إلى أنهم يعملون عمل العبيد[8] فكيف يتخذونهم آلهة «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» أي: من[9] حقه أن يحذر منه لصعوبته، وقيل: ينبغي أن تحذر منه، لأنه لا أمان منه.

الأحكام

يدل أول الآيات على وجوب القول بالأحسن، وقد بينا ما قيل فيه، ومتى حمل على الجميع[10] كان أولى إذ لا[11] تنافي، وعن بعضهم قال: لم يرض الله بأن أمر بالحسن حتى أمر بالأحسن، وقد يكون حسن[12] أحسن من حسن[13] خلاف ما قال بعضهم، فالآية تحجه[14]، فالفرائض[15] أحسن من النوافل، والنوافل أحسن من المباحات.

---

(١) فإنهم: فانم، ز، فأنتم، ل.
(٢) لا يعبدوا: لايعبدون، ز، ل.
(٣) بهذه: على هذه، ب؛ لهذه، ل.
(٤) إلى الله: ـ ، ز، ل.
(٥) أيهم: أنهم، ز.
(٦) نعمته: +، ز، ل.
(٧) أطاعوا: أطاعوه، ز.
(٨) العبيد: العبد، ب، ل.
(٩) من: +، ل.
(١٠) الجميع: الجمع، ز.
(١١) إذ لا: ولا، ز، ل.
(١٢) حسن: حسناً، ز.
(١٣) من حسن: ـ ، ز، ل.
(١٤) تحجه: حجة، ز، ل.
(١٥) فالفرائض: والفرائض، ز.

وتدل على أن الأنبياء يفضل بعضهم على بعض، وفيه إجماع إلا أن الذي نقطع به أن نبينا ﷺ يفضل الأنبياء لمكان الثواب، ومن حيث بعث إلى الكافة من الجن[(١)] والإنس، وخص به من الشرائع من غير نسخ إلى يوم القيامة، فأما[(٢)] في الأنبياء فيجوز، ولا نقطع على شيء لعدم الدليل، ومن المشهور أن للنبي[(٣)] ﷺ درجة في الجنة لا يشاركه فيها[(٤)] غيره تسمى[(٥)] الدرجة الوسيلة.

وتدل على صحة الحجاج في الدين، لأن جميع ما في الآية حجاج في بطلان عبادة[(٦)] غير الله من حيث لا يملكون نفعاً ولا ضراً.

وتدل على أن عذاب الله ينبغي أن يحذر باجتناب المعاصي، لأنه غاية ما يحذر لشدته ودوامه[(٧)] وخلوصه من كل راحة.

وتدل على أن القول بالأحسن[(٨)] فعل العبد فيصح[(٩)] قولنا في المخلوق.

وتدل على أن كل معبود فليس إلا[(١٠)] بصفة الإله.

قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) الكافة من الجن: الكافة والجن، ب، و.
(٢) فأما: فأما ما: ز، د.
(٣) للنبي: لنبينا، ز، ل.
(٤) فيها: أحد، ز.
(٥) تسمى: سمي، ز.
(٦) عبادة: ـ، ز.
(٧) ودوامة: دوامه، ل.
(٨) بالأحسن: الحسن، ز، ل.
(٩) فيصح: فيصحح، ب، و.
(١٠) إلاّ: ـ، ل.

اللغة

المسطور: المكتوب[1]، سطر سطراً، قال العجاج:

واعــلــم بــأن ذا الــجــلال قــد قــدر
في الصحف الأولى التي كان سطر[2]

والمنع: ما يتعذر معه وجود الفعل من القادر، يقال: منعه منعاً، واختلفوا[3] في الممنوع، فعندنا أنه قادر، والمنع ضد الفعل لا ضد[4] القدرة، والعجز ضد القدرة عند من يثبته معنى، والمنع لا يصح على الله تعالى، لأنه قادر لذاته ومقدوراته غير متناهية، فغيره لا يصح أن يمانعه[5] مع تناهي مقدوره، وإنما أطلق «منعنا» توسعاً للمبالغة في أنه لا يصح وقوع ذلك الفعل، فكأنه منع[6] منه، فأما حقيقة المنع فلا يجوز إطلاقه في صفة القديم سبحانه وتعالى.

واللعن: الطرد والإبعاد.

والفتنة[7]: أصله الاختبار.

والطغيان: العتو[8] والعدوان.

الإعراب

نصب «مبصرة» على الحال حال الناقة، كما تقول: جئت مصبحاً وممسياً[9]،

---

(١) المكتوب: المكنون، ب، ل و.
(٢) قال العجاج... كان سطر: ـ، ز.
(٣) واختلفوا: فاختلفوا، ل.
(٤) ضد الفعل لا ضد: ـ، ز، ل.
(٥) يمانعه: تمانعه، ب.
(٦) منع: يمنع، ب، ل.
(٧) والفتنة: والبلية، ز، ل.
(٨) والطغيان العتو: والطغيا للعتو، ز.
(٩) وممسيا: ومسيا، ل.

وإذا دخل في الظلام والإشراق قال[1]: أظلمنا وأشرقنا[2]، ومنه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٨٣].

ويقال: ما محل (أن) الأولى والثانية في قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ من الإعراب؟

قلنا: الأولى[3] في محل النصب لوقوع الفعل عليه، والثانية: في محل الرفع، وتقديره: وما منع من[4] إرسال الآية إلا تكذيب الأولين بها[5].

ونصب (**الشجرة**) عطفاً على (**الرؤيا**)، كأنه قيل[6]: وما جعلنا الرؤيا والشجرة.

۞ النزول

قيل: قال أهل مكة: اجعل لنا الصفا ذهبا؟ فأوحى الله إليه[7] إن شئت أن أفعل ما سألوا فاسأل[8]، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان من قبلهم، وإن شئت استأنيت بهم، فقال[9]: «لا بل استأن[10] بهم»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾، عن ابن عباس، وقتادة، وابن جريج.

۞ المعنى

ثم زاد في الغلظة والوعيد[11]، فقال سبحانه: «**وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ**» قيل: أراد نفس

---

(١) قال: يقال، ل.

(٢) وأشرقنا: وشرقنا، ز.

(٣) الأولى: الأول؛ ب، ز، ل، و.

(٤) من: +، ز، ل.

(٥) بها: ـ، ز.

(٦) قيل: قال، ز، ل.

(٧) إليه: +، ل.

(٨) فاسأل: ـ، ز، ل.

(٩) فقال: قال، ز.

(١٠) استأنِ: استأني، ب، و.

(١١) الغلظة والوعيدة: اللفظ في الوعيد، ز، ل.

القرية بموت أهلها وانقراضهم، وقيل: أراد أهل[1] قرية بإهلاكهم كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] فحذف[2] لعلم السامع به، ولدلالة الكلام عليه، واختلفوا فقيل: هذه الآية عامة في جميع القرى، فالله تعالى يميت أهلها، أو يعذبهم عقوبة لهم، عن الأصم، وأبي علي، قال مقاتل: أما الصالحة بالموت، وأما الطالحة بالعذاب، وقيل: المراد بالقرى[3] الكافر أهلها، والمراد بالإهلاك[4] التدمير والعذاب، عن أبي مسلم. «**إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا**» قيل[5]: مهلكوها بالموت أو معذبوها[6] بعذاب الاستئصال عقوبة لهم، عن الأصم، وأبي علي، وقيل: مهلكوها بالتدمير والاستئصال، ومعذبوها[7] عذاباً دون ذلك، عن أبي مسلم، وقيل: مهلكوها بالقتل والغارة[8]، ومعذبوها بأنواع العذاب بالقحط والزلازل والأمراض والخوف، كل قرية سيصيبها بعض ذلك قيل: أراد به يهلكهم بسائر[9] ما يهلكون في الدنيا، وإن[10] لم يهلكهم يعذبهم[11] في الآخرة، فلا محيص لهم من أحد[12] العذابين، ذكره القاضي. «**كَانَ ذَلِكَ**» أي: ما أخبر به من إهلاكهم أو تعذيبهم «**فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**» أي: مكتوباً في الكتاب، قيل: في اللوح المحفوظ، وقيل: في الكتاب الذي كتب لملائكته[13] من أخبار عباده، عن أبي علي،

---

(١) أهل: بأهل، ز.
(٢) فحذف: +، ز، ل.
(٣) بالقرى: القرى، ز.
(٤) بالإهلاك: بإهلاك، ز؛ بالهلاك، ل.
(٥) قيل: ـ، ز.
(٦) مهلكوها بالموت أو معذبوها: +، ب، ل.
(٧) ومعذبوها: أو معذبوها، ل.
(٨) والغارة: والمغاورة، ز.
(٩) بسائر: كسائر، ز، ل.
(١٠) وإن: فإن، ز، ل.
(١١) يعذبهم: فيعذبهم، ب، ز، و.
(١٢) أحد: إحدى، ز، ل.
(١٣) لملائكته: الملائكة، ل.

وقيل: فيما أنزل من الكتب، عن الأصم، وقيل: في القرآن، وقيل: في كتب[١] التوراة، كما في القرآن ليصدق[٢] إحدى[٣] الكتابين الآخر حجة على اليهود. قيل[٤]: مكتوباً، وقيل: أمراً واجباً، ذكر الوجهين أبو مسلم.

«وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ» فيه أقوال:

أولها[٥]: أنا لا نرسل بالآيات وهي المعجزات التي سألتها قريش من تحويل الصفا ذهباً وغيرها، لأنا لو أرسلنا، ثم كذبوا أهلكناهم كسبيلنا فيمن كان قبلكم حيث سألوا المعجزات فأجبناهم فكذبوا فأهلكناهم[٦]، عن الأصم، وأبي علي وجماعة، قال أبو علي، وإنما[٧] لم يرسل ولم يعذب، لأنه علم أن فيهم من يؤمن ويلد مؤمناً.

وقيل: أراد بقاء هذه الأمة[٨]، وتأخير العذاب إلى يوم القيامة، فلم ينزل ما اقترحوا، ولم يعذبوا رحمة[٩] منه وفضلاً.

وثانيها: أنه[١٠] لا يرسل بالآيات لأن آباءكم وسلفكم سألوا مثلها[١١]، فلما رأوها[١٢] لم يؤمنوا، وأنتم على آثار أولئك الأسلاف مقتدون[١٣] بهم، فكما[١٤] لم يؤمنوا هم[١٥] لا تؤمنون أنتم، عن أبي مسلم.

---

(١) كتب: ـ، ل.
(٢) ليصدق: المصدق، ل.
(٣) إحدى: +، ز، ل.
(٤) وقيل: وقيل قيل، + ل.
(٥) أولها: أولها أولها، ل.
(٦) كسبيلنا فيمن... فأهلكناهم: ـ، ز، ل.
(٧) وإنما: وأنا، ب.
(٨) الأمة: الآية، ز.
(٩) رحمة: رحمته، ز.
(١٠) أنه: أنا، ز.
(١١) مثلها: + ز.
(١٢) رأوها: رأوا، ل.
(١٣) مقتدون: ومقتدون، ز، ل.
(١٤) فكما: وكما، ز، ل.
(١٥) هم: ـ، ز.

وثالثها: أنا لا نرسل لعلمنا أنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالها عبثاً، كما لم يؤمن من كان قبلهم.

والمعجزات على ضربين:

منها: ما لا يصح معرفة النبوة إلا بها، فلا بد[١] من إظهارها سواء آمنوا أم لا.

والثاني: ما يكون لطفاً في الإيمان، فإذا لم تكن لطفاً لا يفعله.

«**وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ**» يعني قوم صالح لما سألوا أن يخرج الله لهم ناقة من الجبل فأعطاهم ذلك فجحدوا فأهلكوا «**مُبْصِرَةً**» قيل: مبينة عندهم أن صالحاً صادق، عن الأصم، وقيل: دلالة ظاهرة، وقيل: مبصرة يبصرالناس بما فيها من العبر، الهدى[٢] من الضلالة، وقيل: معناه: ذات أبصار «**فَظَلَمُوا بِهَا**» أي: كفروا بتلك الآية وجحدوا أنها[٣] من عند الله، وقيل: ظلموا أنفسهم بسببها[٤] حين[٥] قتلوها «**وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ**» بالدلالات[٦] والعبر، وقيل: المواعظ والزواجر، وقيل: هو الشباب والشيب[٧] في تقلب[٨] الأحوال لعلكم تعتبرون[٩]، وقيل: الموت الذريع «**إِلاَّ تَخْوِيفًا**» للعباد ليؤمنوا، فبين أنه لا يلجئ في دار التكليف إلى الإيمان، وإنما يدعو بلطف وتخويف، قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يذكرون[١٠].

ثم بين أنه قد أتاه بالآيات[١١] كالمعراج ونحوه فكذبوه، وكذلك لو رأوا غيره، فقال سبحانه: «**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ**» يا محمد «**إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**» لفظ الإحاطة توسع[١٢]

---

(١) بد: ـ، ز.
(٢) الهدى. وما أثبتناه من (ز، ل).
(٣) أنها: بها، ز.
(٤) بسببها: شبيهاً، ز.
(٥) حين: حتى، ب، ز، ل، و.
(٦) بالدلالات: الدلالات، ل.
(٧) الشباب والشيب: أسباب السبب، ز.
(٨) تقلب: تقليب، ل.
(٩) تعتبرون: يعتبرون، ل.
(١٠) يذكرون: يتذكرون، ل.
(١١) بالآيات: الآيات، ز.
(١٢) توسع: وسع، ل.

ومجاز، والمراد به[١] أحاط بهم علماً وقدرة فيعصمك منهم، عن الحسن، ومعناه: أنه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم إلى إيذائك إذا لم تأتهم ما[٢] سألوك فنمنعهم عنك، فهو أمن لرسول[٣] الله في أذية[٤] قومه، وحث له[٥] على التبليغ، وقيل: أراد[٦] أنه[٧] قادر على ما سألوا، عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح، فامض أنت لما أمرت به من التبليغ، فإنه إن أنزلها فهو لطف، وإن لم ينزلها فهو مصلحة، عن أبي علي، وقيل: أحاط علمه بهم فلا يخفى عليه شيء، عن ابن عباس، وقيل: أحاط بأهل مكة سيفتحها لك، عن مقاتل، والفراء، يعني أحاط أمره. «**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ**» قيل: هي رؤيا عين لا رؤيا منام، وهو ما رأى ليلة المعراج من[٨] الآيات والعبر، فأسري به إلى بيت المقدس، ثم السماء، فلما أخبر المشركين كذبوه، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وإبراهيم، وابن جريج[٩]، والضحاك، وابن زيد، ومجاهد، والأصم، ومسروق، وكان[١٠] ذلك امتحاناً صدق به بعضهم، وأولهم أبو بكر رضي الله عنه[١١] فسمي صديقاً، وكذب به آخرون أولهم أبو جهل. وقيل: هي رؤيا نوم، وهي[١٢] أنه رأى في المنام أنه سيدخل مكة، وهو بالحديبية فقصدها فصد عنها، وهي عام الحديبية فرجع ودخلها في العام القابل، ونزل: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧]، عن ابن عباس، وأبي علي، وأبي مسلم، وإنما كان فتنة وهو الامتحان

(١) به: ـ، ل.
(٢) ما: بما، ز، ل.
(٣) لرسول: من رسول، ز.
(٤) أذية: أذائه، و.
(٥) له: +، ز، ل.
(٦) أراد: إنه أراد، ل.
(٧) أنه: به، ز.
(٨) إلا فتنة للناس... المعراج من: ـ، ز.
(٩) وابن جريج: ـ، ز، ل.
(١٠) وكان: فكان، ز.
(١١) رضي الله عنه: ـ، ل.
(١٢) وهي: وهو، ز، ل.

والاختبار لأنه[1] لما رجع إلى الحديبية قال أناس[2]: قد حدثنا أنه سيدخلها، وقال بعضهم منهم أبو بكر: لم يوقت النبي صلى الله عليه وعلى[3] آله وقتاً وسيدخلها، فكان ذلك ابتلاء[4] وامتحاناً[5]، وقيل: هو ما رأى رسول الله ﷺ في منامه[6] بني أمية ينزون على منبره فاغتم، فيما رواه سهل بن سعد، وعلى هذا التأويل قيل: الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أمية، يعني: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة إلا فتنة، وفيه قولان، قيل: هي[7] شجرة الزقوم، وقد ذكرها الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ **[الدخان: ٤٣، ٤٤]**، عن ابن عباس، والحسن[8]، وأبي مالك، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، وأبي علي، والأصم، و«**الملعونة**» قيل: ملعوناً[9] أكلها، عن أبي علي وجماعة، وقيل: العرب تصف[10] الشيء الكريه بأنه ملعون، ولكراهتها[11] تسمى[12] بذلك، وكان فتنتهم[13] بها قول أبي جهل وذويه[14]: أفي[15] النار شجرة كيف[16] تنبت فيها! وقيل: الشجرة الملعونة اليهود، لأنهم أصل اللعنة، والعرب تصف أصل الشيء

(١) لأنه: ولأنه، ز.
(٢) أناس: ناس، ب، و.
(٣) على: +، ل.
(٤) ابتلاء: ـ، ز، ل.
(٥) وامتحاناً: امتحاناً، ل.
(٦) منامه: ـ ،ز، ل.
(٧) هي: هو، ب، و.
(٨) والحسن: ـ، ل.
(٩) ملعوناً: ملعون، ز، ل.
(١٠) تصف: تصف عن، ل.
(١١) ولكراهته: وإكراهها، ز.
(١٢) تسمى: سمي.، ز، ل، و.
(١٣) فتنتهم: فيهم، ل.
(١٤) وذويه: ورؤية، ل.
(١٥) أفي: في، ز، ل.
(١٦) كيف: وكيف، ل.

بالشجرة[١]، وتقديره: وما جعلنا[٢] الرؤيا التي أريناك[٣] وهي[٤] فتح مكة وما نصرناك على هؤلاء اليهود مع شدة بأسهم وامتناع حصونهم إلا عذاباً للكفرين وفتنة لهم ليحذروا مثل ما نزل بهم، والفتنة هو أنه وعد فتح مكة، ثم أخره، وقدم فتح اليهود، فكانت[٥] محنة للفرق الثلاث[٦]، أما المؤمنون فبالنعمة التي لزمهم شكرها فيما كفوا من أمر اليهود، وفيما[٧] نصروا عليهم، وفت في أعضاد المشركين مع قلة عددهم وكثرة عدد الأعداء[٨]، وأما اليهود فيما أصابهم، وهو فتح خيبر وقتلهم وأسرهم وتغنم أموالهم، وأما المشركون فيما عرفوا من عادة الله في نصر المسلمين[٩] وإعلاء كلمة[١٠] الإسلام، وعلم المنافقون أن تأخر الفتح كان لما[١١] أراد[١٢] من الخير من فتح خيبر بعد ما تكلموا، عن أبي مسلم. «**وَنُخَوِّفُهُمْ**» بما تقدم من الإهلاك[١٣] وما وعد من الشجرة وغيرها «**فَمَا يَزِيدُهُمْ**» ذلك «**إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا**» أي: جاوزوا[١٤] في الحد والكفر عظيماً.

الأحكام

تدل الآية أن الله تعالى يهلك كل قرية ظالمة أو يعذبها.

---

(١) الملعونة اليهود. . . بالشجرة: ـ ، ز، ل.
(٢) وتقديره: وما جعلنا: وتقديرها وما جعلت، ز.
(٣) أريناك: رأيت، ل.
(٤) وهي: وهو، ز، ل.
(٥) فكانت: وكانت، ل.
(٦) الثلاث: والثلة، ز، ل.
(٧) وفيما: فيما، ل.
(٨) فيما كفوا من. . . عدد الأعداد: ـ ، ز.
(٩) المسلمين: المؤمنين، ز.
(١٠) كلمة: ملكة، ل.
(١١) لما: كما، ل.
(١٢) أراد: أراده، ب، ز، ل.
(١٣) الإهلاك: الهلاك، ز،ل.
(١٤) جاوزوا: تجازوا، ز، ل.

وعن[١] ابن مسعود: (إذا ظهر الربا والزنا في قرية أذن الله في هلاكها).

ويدل قوله تعالى[٢] «وما منعنا» على قولنا في اللطف، لأنه يبين أنه إنما لا يرسل بالآيات لأنهم لا يؤمنون، دل أنهم لو آمنوا لأرسل، فلذلك[٣] أكده[٤] بقصة ثمود، وأيده بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ فيعلم ما هو الأصلح ليفعل ذلك لا ما تمنوا[٥].

ويدل قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾ على شيء رآه، وصارت فتنة وامتحاناً، وقد بينا ما قيل فيه، والأولى ما قاله أبو علي، لأن الرؤيا إذا أطلقت فهم منها رؤيا النوم وإن كان تحتمل غيره.

ويدل قوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ[٦]﴾ على إثبات شجرة، وأكثر المفسرين على[٧] أنها شجرة الزقوم كما وصف في (الصافات)[٨]، وما تهذي به الملحدة من إنكار شجرة في النار فإنما أتوا[٩] في ذلك لنفيهم الصانع، ولو علموا أنه تعالى قادر على ما يشاء وأن الشجر[١٠] إنما ينبته[١١] هو بفعله لا تأثير للماء والأرض فيه إلا من طريق العادة، وليس شيء من ذلك بموجب، فإذا[١٢] ثبت ذلك ثبت أنه يجوز أن ينبته[١٣] في النار، ويمنع النار من إحراقه، ويكون ذلك تخويفاً وزجراً مقابلاً لما في الجنة من شجرة طوبى.

---

(١) وعن: عن، ز.
(٢) تعالى: +، ز.
(٣) فلذلك: لذلك، ل.
(٤) أكده: أكره، ز، ل.
(٥) تمنوا: منوا، ز.
(٦) الملعونة: ـ ، ز، ل.
(٧) على: ـ، ز، ل.
(٨) الصافات: الصفات، ز، ل.
(٩) فإنما أتوا: فإنها أثر، ل.
(١٠) الشجر: الشجرة، ز، ل.
(١١) ينبته: ينبتها، ز، ل.
(١٢) فإذا: وإذا، ز.
(١٣) ينبته: ينبت، ز.

وتدل على أن التكذيب والظلم والطغيان فعلهم لذلك ذمهم وعاقبهم[١] عليها، فيبطل قول المجبرة في المخلوق[٢].

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

القراءة

قرأ حفص عن عاصم: «**ورجِلك**» بكسر الجيم، وقرأ الباقون بسكون الجيم، وهما لغتان، ورجل جمع راجل كراكب وركب، وتاجر وتجر.

«**لئن أخرتني**» بإثبات الياء في الوصل دون الوقف، أبو جعفر ونافع وأبو عمرو، وبإلاثبات[٣] للأصل والحذف للتخفيف مع دلالة الكلام عليه.

اللغة

الاحتناك: الاقتطاع من الأصل، لأحتنكن لأقتطعن، يقال: احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذه كله، واحتنكت[٤] الجراد الزرع إذا أكل كله، قال الشاعر:

أشكو إليك سنة قد أجحفت جهداً[٥] إلى جهد بنا[٦] وأضعفت

(١) وعاقبهم: عقابهم، ز، ل؛ وعتابهم، ب، و.

(٢) إلى هنا تمت المقابلة على النسخة و. وبداية النسخة (م).

(٣) وبالإثبات: بالإثبات، ب، ز.

(٤) واحتنكت: واحتنك، ز، ل.

(٥) جهداً: جهد، ب، ز.

(٦) جهد بنا: جهدنا، ز، ل.

واحتنكت[١] أموالنا وأجلفت[٢]

وقيل: هو من قول العرب: حنك الدابة يحنكها، إذا جعل في حنكها الأسفل حبلاً يقودها، قال أبو مسلم: الاحتناك افتعال[٣] من الحنك، كأنه يملكهم[٤] ويملك تصرفهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه لتحريكه[٥] إياه[٦] إذا عدل عن محجته، يقال: احتنك دابته، إذا شد حنكها بحبل[٧].

والموفور: المكمل، يقال: وفرته أوفره[٨] وفراً فهو موفور، ووفرته توفيراً، قال[٩] زهير:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

والاستفزاز: الإزعاج والاستنهاض على خفة وإسراع، عن أبي مسلم. وقيل: استفزه استنزله، وأصله: القطع، يقال: تفزز الثوب[١٠] إذا تخرق، وفززته[١١] تفزيزاً، فكأن[١٢] معنى استفزه استنزله بقطعه عن الصواب. والاستفزاز[١٣]: التخويف، ورجل فز خفيف، واستفزه: استخفه.

والغرور: تزيين الخطأ[١٤] بما يوهم أنه صواب، غره يغره غروراً، وهو غار، والإنسان مغرور، واغتره[١٥] اغتراراً.

---

(١) واحتنكت: واحتنك، ز، ل.
(٢) وأجلفت: وأحلقت، ز وجلفت، ب؛ وحلقت، م.
(٣) افتعال: الافتعال، ز.
(٤) يملكهم: يهلكهم، ز، ل.
(٥) في (ز): واحتنكه. وفي (ل): وحنكه.
(٦) إياه: إياه إياه، ل.
(٧) بحبل: ـ، ز، ل.
(٨) أوفره: أفره، ز.
(٩) قال: وقال، ز، ل.
(١٠) الثوب: ـ، م.
(١١) تخرق وفززته: تحرق وفززه، م.
(١٢) وكأن: وكان، ب، ز، م.
(١٣) والاستفزاز: والإفزاز، ب، ز، م.
(١٤) الخطأ: الخطايا، ز.
(١٥) واغتره: اغترارا، ز وأغره، ل.

والإجلاب[1]: السوق بجلبة من السائق، وأصل الجلبة شدة الصوت وبه يقع السوق، وفي المثل: (إذا لم تغلب[2] فاجلب)، جلب يجلب جلباً، وأجلب إجلاباً[3]، وجلب مثل صوت، قال ابن الأعرابي: أجلب الرجل صاحبه إذا توعده بالشر وجمع عليه الجيش.

۞ الإعراب

العامل في قوله: ﴿وَإِذْ[4] قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ قيل: محذوف، تقديره: واذكر، وقيل: تقديره: طغياناً كبيراً محققين ظن إبليس ومصدقين قوله: **(إذ قلنا)**.

﴿قَالَ[5] أَرَءَيْتَكَ﴾ قيل: معناه: أخبرني[6]، والكاف لا موضع لها من الإعراب لأنها توكيد في الخطاب، وقيل[7]: موضعها[8] نصب بـ**(أرأيت[9])** والجواب محذوف، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ لم كرمته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين.

ونصب قوله: «**طيناً**» لوقوع الفعل عليه، تقديره: خلقته طيناً أي: من طين.

«**واستفزز[10]**» لم يدغم[11] الزاي الأولى في الثانية لأن لام الفعل ساكنة.

---

(١) والإجلاب: الاجتلاب، م.

(٢) من السائق... لم تغلب: ـ، ز.

(٣) إجلاباً: إجلاب، ز.

(٤) وإذ: وإذا، ب، م.

(٥) قال: يقال، ز، ل.

(٦) أخبرني: أخبرنا، ز، ل.

(٧) وقيل: +، ز، ل.

(٨) موضعها: +، ب، ز.

(٩) أرأيت: بأرات، ز.

(١٠) واستفزز: وأستفززكم، ز، ل.

(١١) لم يدعم: ـ، ز؛ يطعم، م.

۞ النظم

يقال: ما وجه اتصال الآية بما قبلها؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنها[1] تتصل بما قبلها على تقدير: ما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً محققين ظن إبليس فيهم قيل له اسجد فقال كذا مخالفين موجب نعم الله عليهم، عن علي بن عيسى.

وقيل: إنه يتصل بقوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ[2] كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ فعاد ذكره لزيادة البيان بما ذكر من قصته مع آدم، عن أبي مسلم.

وقيل: ما زادهم الوعظ إلا طغياناً كما كان إبليس حين أمر بالسجود.

۞ المعنى

ذكر قصة آدم وإبليس فقال: «**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ**» قيل: هو سجود تحية[3] لآدم عبادة لله، وقيل: هو قبلة للسجود[4] كالكعبة، والأول الوجه «**فَسَجَدُوا**[5]» يعني: الملائكة «**إِلاَّ إِبْلِيسَ**» أبى، لكن إبليس لم[6] يكن من الملائكة، عن الحسن. إلا أنه أمر معهم بالسجود، فـ«**قَالَ**» يعني: إبليس «**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**» أي: لا أسجد[7] «**لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**» أي: من طين، فذهب إلى أن الفضل بالأصل فأخطأ فيه من وجوه:

أحدها[8]: أن الفضل بالتقوى، وخصال الفضل.

---

(١) أنها: أنه، ل.
(٢) الشيطان: ـ ، ل.
(٣) تحية: كيد، ز.
(٤) للسجود: السجود، ز، ل.
(٥) فسجدوا: سجدوا، ز، ل.
(٦) لم: ولم، ب، ل، م.
(٧) لا أسجد: لاسجد، ل.
(٨) من طين... احدها: ـ ، ز.

وثانيها: أنه لا يؤمر بتعظيم غيره لمعنى[1] يرجع إلى أصله.

وثالثها: أن الأرض خير من النار.

ورابعها: أنه رد[2] الأمر ولم يرض بالقضاء.

وخامسها: أنه[3] اعتقد أن ذلك الأمر قبيح سفه فـ«**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**» أي: فضلته عليّ «**لَئِنْ أَخَّرْتَنِ**» أي: أمهلتني، وقيل: بقيتني «**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ**» قيل: لأستولين عليهم، عن ابن عباس. وقيل: لأحتويهم[4]، عن مجاهد. وقيل: لأضلنهم، عن ابن زيد. وقيل: لأستأصلنهم بالإغواء[5]، عن أبي علي. وقيل: لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها[6]، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: كيف ظن إبليس هذا عليهم وأنه يقودهم إلى النار حتى يدخلوا معه؟

قلنا: كان أخبر في[7] الملائكة أنه سيجعل في الأرض من يفسد فيها، وكان علم ذلك، عن[8] أبي علي.

وقيل[9]: إنما قال ذلك لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزما، فقال: أولاد هذا مثله في ضعف العزيمة، عن الحسن.

وقيل: ظن ظناً فوافق فعلهم ظنه.

---

(١) لمعنى: بمعنى، ل.
(٢) رد: ردد، م.
(٣) أنه: +، ب.
(٤) لأحتويهم: لأحتوينهم، ل، م.
(٥) لأستأصلنهم بالإغواء: سأضلنهم بالإغراء، ز.
(٦) بحنكها: بحبلها، ز.
(٧) في: +، ب.
(٨) عن: وعن، ز، ل.
(٩) وقيل: قال، ز، ل.

«**إِلاَّ قَلِيلاً**» وهم الصالحون، استثناهم لعلمه أن كذبه لا ينفذ فيهم، فـ«**قَالَ**» الله[1] تعالى مجيباً له عن قوله[2] على سبيل الاستصغار: «**اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً**» أخبر في جوابه بشيئين:

أحدهما: أنه لا يمنعه منهم جبراً بل يخلي بينهم وبينه[3].

وثانيهما[4]: أنه لا يمنع المكلفين من متابعته جبراً وإن منع نهياً، وبيّن أنه لا خطر لهم ولا لإبليس، وهذا جواب استصغار كمن يقول: افعل ما شئت فلن تضر إلا نفسك.

«**جَزَاءً مَّوْفُوراً**» أي: تاماً كاملاً «**وَاسْتَفْزِزْ**» قيل: استخفهم وأزعجهم واستزلهم، وقيل: هو من الاستنهاض، ومعناه: ادع «**مَنِ اسْتَطَعْتَ**» عليه[5]، عن أبي مسلم «**مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ**» قيل: بدعائك إلى معصية الله تعالى[6]، عن ابن عباس، وقتادة، وأبي علي. وقيل: بالغناء والمزامير واللهو، عن مجاهد. وقيل: كل[7] صوت دعي[8] به[9] إلى الفساد فهو من صوت الشياطين[10] كالغناء[11] والنياحة والدعاء إلى الباطل ونحوها «**وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ**» قيل: اجمع ما قدرت عليه من مكائدك، وقيل: استعن عليهم، عن مقاتل. «**بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ**» أي: كل راكب وماش في معصية الله من الإنس والجن، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقالوا: كل راكب قاتل في معصية الله فهو من خيل

---

(١) الله: ـ، ب، ل، م.
(٢) عن قوله: ـ ،ز.
(٣) بينهم وبينه: بينه وبينهم، ز، ل، م.
(٤) وثانيهما: وثانيها، ل، م.
(٥) عليه: +، ل.
(٦) تعالى: ـ ، ل.
(٧) كل: كيف.
(٨) دعي: دعا.
(٩) به: ـ ، ز، ل.
(١٠) الشياطين: ـ ، و.
(١١) فهو من صوت الشياطين كالغناء: ـ ، ب.

إبليس، وكل راجل[1] قاتل في معصية الله تعالى[2] فهو من رجل إبليس. وقيل: خيله ورجله كل داع إلى معصية الله، وإنما هو مثل، عن أبي علي. وإنما أطلق الخيل والرجل لأن المحاربة تقع بالرجالة والفرسان، وقيل: أراد خيل الجن ورجالهم، وقيل: بل أراد من الجن والإنس من يواليه «**وَشَارِكْهُمْ**[3] **فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ**» قيل: هو ما كانوا يحرمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحوها، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: هو كل مال أصيب من حرام وأنفق في حرام، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد[4]، وسعيد بن جبير، وابن زيد. وقيل: هو الربا، عن عطاء بن أبي رباح. وقيل: هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم، عن الضحاك. والأولاد قيل: أولاد الزنا، عن مجاهد، والضحاك، وروي نحوه[5] عن ابن عباس. وقيل: الموءودة، عن ابن عباس. وقيل: هو من[6] هودوه ونصروه ومجسوه، عن الحسن، وقتادة. وقيل: تسميتهم[7] عبد شمس، وعبد الحارث ونحوها، وقيل: بكل وجه من هذه الوجوه؛ إذ لا تنافي فيها فيحمل على الجميع «**وَعِدْهُمْ**» قيل: منهم الجميل[8] بطاعتك في فعل القبائح، عن الأصم. وقيل: عدهم أن الآخرة لهم كما وعد آدم بأن[9] يكون ملكاً أو مخلداً، وقيل[10]: منِّهم زينة الدنيا باعتقاد الباطل كتمني الرئاسة ومنافع الدنيا، واعتقاد مذهب من المذاهب الباطلة، وقيل: منِّهم[11] أن لا ثواب ولا عقاب، ولا

---

(١) راجل: رجل، م.
(٢) تعالى: ب، ل.
(٣) وشاركهم: ويشاركهم، ب.
(٤) ومجاهد: ـ، ل.
(٥) لآلهتهم عن الضحاك... وروي نحوه: ـ، ز، ل.
(٦) هو من: ـ، ل.
(٧) تسميتهم: تسميهم، ز.
(٨) الجميل: بالجمل، بالجميل، ل.
(٩) بأن: أن، ز، ل.
(١٠) وعدهم قيل... مخلدا وقيل: ـ، ب.
(١١) منهم: مناهم، ز، ل.

بعث[١] ولا حساب[٢]، حكاه الأصم. ويحمل[٣] على جميع ذلك؛ لأن جميعه وسوسة إبليس «**وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**» أي: باطلاً وخديعة؛ لأن كلها تبطل ولا تغني عن[٤] عذاب الله شيئاً «**إِنَّ عِبَادِي**» قيل: أراد أهل الفضل والدين الذين لا يتبعون الشيطان، وأضافهم إلى نفسه تشريفاً «**لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**» قوة ونفاذ لأنهم يعلمون أن مواعيدك باطلة فلا يتبعونك، وقيل: عبادي من توكل[٥] عليّ واتبع أمري، في معنى قول الأصم، وأبي مسلم. وقيل: بل يتناول سائر المكلفين، عن أبي علي، قال: وليس له عليهم حجة ولا قوة، ولا يمكنه[٦] أن يضلهم، وإنما يوسوس إليهم، فمن تبعه فمن قبل[٧] نفسه أتي «**وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً**» قيل: حافظاً لهم ومانعاً يحفظه من إبليس، عن أبي علي. ومن كان هو حافظه بألطافه فلا[٨] يتبع الشيطان ولا يغتر بوساوسه، وقيل: ملجأ يلجؤون إليه عند وسوسة الشيطان، عن الأصم[٩]. وقيل: ثقة وعوناً.

۞ الأحكام

الآية تدل على تشريف آدم وأمر الملائكة بالسجود له، وذلك سجود تحية لا سجود عبادة.

وتدل على عصيان إبليس، وأنه وإن لم يكن من الملائكة فكان[١٠] مأموراً بالسجود[١١] معهم.

---

(١) ولا بعث: ـ ، ز، ل.
(٢) ولا حساب: ولا حسا، ز.
(٣) ويحمل: ويحتمل، ز.
(٤) عن: من، ب، ل.
(٥) توكل: يتوكل، ز.
(٦) ولا يمكنه: ولا يمكنهم، ز، ل.
(٧) قيل: ـ ، ز؛ فعل، ل.
(٨) فلا: لا، ز، ل.
(٩) الشيطان عن الأصم: الشيطان عن أبي مسلم، ز، ل؛ الظن عند الأصم، م.
(١٠) فكان: وكان، ز.
(١١) له وذلك سجود. . . بالسجود: ـ ، ل.

وتدل على[١] أن[٢] إبليس[٣] لما رأى كرامة آدم [أعلن وأقسم][٤] بإفساد ذريته حسداً، واختلف مشايخنا، فزعم أبو علي أن أحداً[٥] لا يفسد بدعائه إلا من كان يفسد بدون الدعاء ولولا ذلك لمنعه الله تعالى منه لأنه مفسدة، فيجب عليه[٦] أن[٧] يمنعه.

وقال أبو هاشم: يجوز أن يفسد بدعائه، ولولا دعاءه لم يفسد ويكون بمنزلة زيادة شهوة، وعلى الوجهين صار مصراً بنفسه وإن أصر غيره بالوسوسة.

وتدل على أنه لا سبيل للشيطان غير الوسوسة، فيبطل قول الحشوية في إضافة الخطيئة إلى الشيطان.

ويدل جميع ذلك على كرم الله وحلمه حيث أمهل إبليس مع ما تكلم به.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم؛ إذ لو كانت خلقاً له[٨] لم يكن[٩] لهذا الكلام معنى؛ لأنه خلق[١٠] السجود في الملائكة ولم يخلق فيه، ولو كان خلق فيه الوسوسة، وخلق فيهم الضلالة ثم ذمه بالوسوسة وذم من تبعه[١١] ومدح من لم يتبعه وجميع ذلك فعله وخلقه فكيف[١٢] تهديده[١٣] بقوله: «**واستفزز**..»إلى آخره وجميع ما يأتيه خلقه[١٤] وإرادته، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

(١) وتدل على: ـ ، ز.
(٢) أن: كان، ز.
(٣) إبليس: إبليس قال، م.
(٤) أعلن وأقسم: ـ ، ب، ز، ل، م. وما أثبتناه من هامش ب.
(٥) أحداً: أحد، ل.
(٦) عليه: ز، ل.
(٧) أن: ـ ، ز.
(٨) له: ـ ، ز.
(٩) يكن: تكن، ز.
(١٠) خلق: يخلق، ب.
(١١) تبعه: يتبعه، ب.
(١٢) فكيف: وكيف، م.
(١٣) تهديده: يهديه، ز.
(١٤) خلقه: ـ ، ب، ل.

قوله تعالى:

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

القراءة

اختلف القراء في قوله: «**أن يخسف بكم**»، «**أو يرسل**»، «**أن يُعِيدَكُم**[1]» «**فيرسِلَ**[2]» «**فَيَغْرِقَكُم**» وهي خمسة أحرف، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو جميع ذلك بالنون، وقرأ أبو جعفر ويعقوب: «**فتغرقكم**» بالتاء[3] كناية عن الريح والباقي[4] بالياء كناية عن اسم الله تعالى، وقرأ الباقون كلها بالياء كناية عن اسم الله تعالى، فأما النون فعلى الإضافة إلى الله تعالى على سبيل التفخيم، يؤيد هذه القراءة قوله: «**عَلَيْنَا بِهِ**»، وأما الياء فلقوله: «**ربكم**»، «**فلما نجاكم**».

اللغة

الإزجاء[5]: أزجى يزجي إزجاءً إذ استزجا لأبعد حال، وقوله: «**يزجي**» لم يرد فعلاً مستقبلاً وإنما هو[6] إخبار عن عادة الله تعالى، وتنبيه أنه تعالى يفعل ذلك، كقولهم: فلان يكتب المصاحف، وفلان يبيع العطر، وفلان يغني، ولا يريدون أمراً مستأنفاً وإنما يريدون أمراً لازماً له.

---

(١) أن يعيدكم: أو يعذبكم، ز؛ فيعيدكم، م؛ أو يعيدكم، ب، ل.

(٢) فيرسل: أو يرسل، ز، ل.

(٣) بالتاء: ـ ، ل.

(٤) والباقي: والثاني، ز، ل.

(٥) الإزجاء: الإجزاء، ز.

(٦) هو: ـ ، ز، ل.

والبحر: أصله الشق على سعة، ومنه البحيرة، والبحر لاتساع أطرافه وجوانبه.

والحاصب: حجارة يحصب بها أي: يرمى بها، حصبه بالحصى يحصبه حصباً إذا رماه رمياً متتابعاً، والحاصب[1] والحصباء واحد، والحاصب دون الحصب، والحاصب فاعل الحصب، قال القتيبي: الحاصب الريح الذي يأتي بالحصباء[2]، وهي الحصى الصغار، قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضريبا[3] بحاصب كنديف[4] القطن مندوف

والقاصف: الكاسر بشدة، قصفه يقصفة قصفاً فهو قاصف، وتقصف شعره تقصفاً.

والتبيع: فعيل[5] من الاتباع، وهو مأخوذ من السخل يتبع أمه، وهو كنصير وكفيل[6] ونحوه.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الشيطان وحذر من اتباعه، وذكر مشركي العرب وعبادتهم الأصنام[7]، احتج عليهم بدلائل التوحيد حثاً على اتباع أمره، فقال سبحانه: «**رَبُّكُمُ**» أي: خالقكم ومدبركم «**الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ**» قيل: يزجي يجري[8] لكم السفن، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وجماعة المفسرين. «**لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**» من رزقه مما يحصل في البحر وبالتجارات[9] والسفر في[10] البحر «**إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**» أي: منعماً عليكم.

---

(١) والحاصب: فالحاصب، ز.
(٢) الريح الذي يأتي بالحصباء: التي ترمي بالحصا، ز، ل.
(٣) تضريبا: تضربنا، ز، ل.
(٤) كنديف: كهديف، ز، ل.
(٥) فعيل: فعيلا، و.
(٦) والتبيع فعيل... وكفيل: ــ، ب.
(٧) الأصنام: للأصنام، ب، ز.
(٨) يجري: يحرك، ز، ل.
(٩) وبالتجارات: والتجارات، ز.
(١٠) في: وفي، ل.

ومتى قيل: لِمَ[١] أضاف الإزجاء إلى نفسه وقد يكون السوق[٢] فعل العباد؟

قلنا: لأن الغالب أنه يجريه بالريح[٣]، ولأنه جعل الماء بصفة تجري فيه السفن، وخلق الخشب بحيث يقف ولا يرسب[٤]، فلما كانت هذه الأسباب من جهته جاز أن يضاف إليه.

«**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ**» أي أصابكم جهد وشدة في البحر بضلال أو خوف غرق[٥] أو شدة ريح أو غيرها من المكاره، وخص البحر لكثرة[٦] أهواله وخوف راكبه على نفسه وماله «**ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**» يعني أيقنتم أنكم لا تجدون ملجأً غيره، وقيل: ضل عنكم من كنتم دعوتموه إلهاً غيره «**فَلَمَّا نَجَّاكُمْ**» أخلصكم[٧] «**إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ**» عن الإيمان والطاعة كفراً بالنعمة «**وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**» وعادته الكفر بالنعم، وهذه عادة من[٨] لا يعرف الله حق معرفته ويدعوه[٩] في الشدة وينساه في النعم[١٠] «**أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ**» يعني: إن أمنتم في البحر فهل أمنتم في البر أن يخسف بكم وأن يعود بكم (**جانب البر**) أي: ناحية من البر، يعني أنه قادر على خسفكم في البر كما كان قادراً على إهلاككم[١١] في البحر «**أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً**» من الريح، قيل: ريحاً[١٢] حاصباً أي: يحصب بالحجارة من السماء، عن أبي عبيدة، والقتيبي. وقيل: حجارة، عن أبي مسلم. وقيل[١٣]: حاصباً ذو حصب «**ثُمَّ**[١٤] **لا**

---

(١) لم: ولم، ل.
(٢) السوق: ـ ، ل.
(٣) بالريح: الريح، ز، ل.
(٤) ولا يرسب: ولا ترسب، ز.
(٥) غرق: أغرق، ز.
(٦) لكثرة: كثرة، ز.
(٧) أخلصكم: خلصكم، ز، ل.
(٨) كفراً بالنعمة... عادة من: ـ ، ز.
(٩) ويدعوه: فتدعوه، ز، ل.
(١٠) النعم: النعمة.
(١١) إهلاككم: إهلاكهم.
(١٢) ريحاً: ريح.
(١٣) حاصبا أي... وقيل: ـ ، ز.
(١٤) ثم: ـ ، و.

﴿تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً﴾ أي: كافياً يعتمد عليه في صرف ذلك عنه ويكل أمره إليه حتى ينجيه ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ﴾ أي: يردكم في البحر بأن تدعوا الدواعي[(١)] إلى ركوب البحر من[(٢)] طاعة[(٣)] أو مباح[(٤)] ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ أي: مرة أخرى[(٥)] ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ﴾ قيل: ريحاً شديدة، عن ابن عباس. وقيل: كاسرة لكل شيء لشدتها، عن أبي عبيدة، والقتيبي. ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بكفرانكم نعم الله وجحودكم إياه ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾ قيل: ثائراً ولا ناصراً، وقيل: طالباً، وأصله[(٦)] من يتبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم[(٧)].

۞ الأحكام

تدل الآية على كمال قدرته وتمام[(٨)] نعمته[(٩)] بما[(١٠)] هيأ من الأسباب لركوب البحر لابتغاء فضله رحمة منه تعالى على عباده.

وتدل على وجوب الانقطاع إليه في السراء والضراء.

وتدل على أنه قادر على الإهلاك في جميع الأحوال حتى لا يغتر العبد بالسلامة في الحال[(١١)].

وتدل على أن الإعراض فعل العبد، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) الدواعي: الداعي، ل.
(٢) من: في، ز، ل.
(٣) طاعة: طاعته، ب.
(٤) أو مباح: ومباح، ب.
(٥) أي مرةً أخرى: ـ ، ب.
(٦) وأصله: +، ب، ل.
(٧) بدمائكم: لدمائكم.
(٨) وتمام: وكمال، ز.
(٩) نعمته: نعمه، ل.
(١٠) بما: لما، ز، ل.
(١١) الحال: حال، ز.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو والبرجمي[1] عن أبي بكر عن عاصم، ونصير عن الكسائي، ورويس[2] عن يعقوب: «ومن كان في هذه أعمى» بالإمالة والكسر «فهو في الآخرى أعمى» بالفتح، واستشهد أبو عمرو بقوله: «وأضل سبيلا» أي: أشد عمى، وهو من عمى القلب. وقرأ[3] بالفتح والتفخيم فيهما ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم، وقرأ بالإمالة فيهما حمزة والكسائي وحماد ويحيى بن أبي بكر عن عاصم.

وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب في رواية زيد: «يدعوا» بالياء كناية عن اسم الله تعالى، والقراء بالنون اعتباراً بقوله: «كرمنا»، و(حملنا)، و(فضلنا).

۞ اللغة

التكريم والإكرام سواء في المعنى، وهما من الكرامة إلا أن التكريم يدل على التكرير والتكثير، والإكرام: الإنعام على وجه التعظيم، ولذلك[4] لا يقال لمن أعطى فقيراً: أكرمه، ويقال لمن استضافه: أكرمه[5].

---

(١) والبرجمي: والترجمي، ز.

(٢) ورويس: وورش، ز، ل؛ وروي، ب.

(٣) بالفتح واستشهد. . . وقرأ: ـ ، ز.

(٤) ولذلك: وكذلك، ز.

(٥) أكرمه: كرمه، ل.

والفتيل[١] والمفتول سواء، والفتيل فعيل من الفتل وهو الذي في شق نوى التمر[٢] كالخيط المفتول.

والعمى: أصله عمى العين، ثم يستعمل في القلب[٣] مجازاً وتوسعاً وتشبيهاً، قال الفراء[٤]: إنما جاز[٥] في العمى افعل لأنه لم يرد عمى العين وإنما أراد عمى القلب، والعمى[٦]: فساد آلة[٧] الرؤية وليس بمعنى عندنا، وعند بعضهم معنى، ولا[٨] يقال: عمى حتى تفسد كلتا العينين.

الإعراب

نصب «يوم» قيل: بفعل محذوف على تقدير: اذكر[٩] يوم ندعوا، وقيل: تقديره: نعيدكم يوم ندعوا، عن الزجاج، ويحتمل: وفضلناهم يوم ندعوا أي: نفضلهم بما نعطيهم من الثواب والكرامة[١٠].

النظم[١١]

يقال: كيف اتصل «يوم ندعوا» بما قبله؟

قلنا: فيه وجوه:

---

(١) والفتيل: فالفتيل، ز.
(٢) التمر: التمرة، ز، ل.
(٣) القلب: العين، ب.
(٤) الفراء: القراء، ز.
(٥) جاز: أجاز، ز.
(٦) والعمى: في المعنى، ز.
(٧) آلة: آلة عمى، ز، ل.
(٨) ولا: لا، ز، ل.
(٩) أذكر: واذكر، ل.
(١٠) والكرامة: في الكرامة، ل.
(١١) النظم: ـ، ب، ز.

أحدها: أنه ذكر التفضيل[١] فبين أن ذلك التفضيل[٢] إنما يكون يوم ندعوا من استحقاق المهتدي بهداتهم[٣]، عن علي بن عيسى.

وقيل: ذكر[٤] الله تعالى فيما تقدم من آمن وشكر، ومن جحد وكفر، ثم بين في[٥] هاتين الآيتين[٦] ما أعد للفريقين من ثواب وعقاب، وأنه يعطيهم ذلك على ما هو مكتوب في[٧] كتبهم، عن أبي مسلم.

وقيل: لما ذكر نعمه[٨] عليهم في الدنيا عقب[٩] بذكر نعمه عليهم في الآخرة.

المعنى

ثم عطف على ما تقدم من النعم نعماً أخرى، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**» أي: أكرمناهم[١٠] بإنعامنا عليهم بأنواع النعم.

ومتى قيل: لم أطلق وفيهم الكافر المهين؟

قيل: معناه أكرمناهم بالإنعام في الدنيا كالصور الحسنة، وتسخير الأشياء لهم، وبعث الرسل إليهم، عن الأصم.

وقيل: عاملناهم معاملة المكرم بالنعمة على المبالغة في الصفة.

وقيل: أجريت[١١] الصفة على الجميع من أجل من فيهم كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ[١٢]﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) التفضيل: التفضل، ل.
(٢) التفضيل: التفضل، ل.
(٣) بهداتهم: فهداهم، ز؛ بهدايهم، ب، ل.
(٤) ذكر: ذكره، ز.
(٥) في: ـ، ل.
(٦) الله تعالى فيما... الآيتين: ـ، ز.
(٧) في: ـ، ز.
(٨) نعمه: نعمته، ز.
(٩) عقب: عقبه، ز، ل.
(١٠) أكرمناهم: ـ، ل.
(١١) اجريت: جريت، ز، ل.
(١٢) اخرجت: ـ، ز.

واختلفوا فيما أكرموا به، قيل: لأنه يأكل بيديه[1] وغيرهم بفمه[2]، عن ابن عباس بخلاف، وقيل: بالعقل، عن ابن عباس، والأصم. وقيل: بالأصابع يعملون بها ما يشاءون، وقيل: بالنظر والتمييز، عن الضحاك. وقيل: بتعديل[3] القامة وامتدادها، عن عطاء. وقيل: بحسن الصورة، عن يمان. وقيل: بأن جعل محمداً صلى الله عليه[4] منهم، عن محمد بن كعب. وقيل: بتسليطهم على غيرهم وتسخير سائر الحيوانات لهم، عن ابن جرير. وقيل: لأنهم يعرفون الله[5] ويأتمرون بأمره، وقيل: بالخط والكتابة، وقيل: بالرسل والخطاب، وقيل: بجميع ذلك وغيره[6] من النعم التي خصوا بها، وهو الوجه.

«**وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**» أما في البر على ظهور[7] الدواب[8]، وأما[9] في البحر على السفن، وذلك نعم يختص[10] بها بنو آدم «**وَرَزَقْنَاهُمْ**» أعطيناهم «**مِنَ الطَّيِّبَاتِ**» قيل: أراد[11] المطاعم فجعل لهم الأطيب من كل شيء، وما لا يستلذونه فهو لغيرهم، وقيل: الطيبات كسب الرجل بيديه[12] من وجه حلال «**وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا**» قيل: على الجن، وفائدة التخصيص أن[13] الملائكة أفضل من بني آدم، وقيل[14]: المراد على جميع من خلقنا، فوضع الكثير موضع الكل، كقوله:

(١) بيديه: بيده، ب، ز، ل.
(٢) بفمه: بفيه، ز، ل.
(٣) بتعديل: بتعديله، ز، ل.
(٤) صلى الله عليه: +، ز، ل.
(٥) يعرفون الله: يفزعون إليه، ز، ل.
(٦) وغيره: وغيرهم، ل.
(٧) ظهور: صورة، ز.
(٨) الدواب: الدواب الدواب، ز.
(٩) وأما: +، ل.
(١٠) يختص: يخص، ل.
(١١) أراد: أريد، ز.
(١٢) بيديه: بيده، ب، ز، ل.
(١٣) أن: ـ، ز، ل.
(١٤) وقيل: قيل، ب، ز.

﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ [**الشعراء: ٢٢٣**] المراد جميعهم، وهذا إذا حمل على أن الإكرام بالنعم[١] الدنياوية.

ومتى قيل: إذا كان معنى (**كرمنا**) و(**فضلنا**) واحداً فقد[٢] كرر؟

فجوابنا: أن (كرمنا) ينبئ عن الإنعام ولا ينبئ عن التفضيل، فجاء بلفظ التفضيل[٣] ليدل عليه، وقيل: الإكرام يتناول نعم الدنيا، والتفضيل يتناول نعم الآخرة، وقيل[٤]: الإكرام بالنعم التي يصح بها التكليف والفضل هو التكليف الذي عرضه به للمنازل العالية يوم القيامة.

«**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**» قيل: إمامه نبيه، عن مجاهد، وقتادة، ورواه أبو هريرة مرفوعاً، وقيل: إمامه كتب أعمالهم، عن ابن عباس، والحسن، والضحاك، وأبي العالية، وأبي مسلم. لأنهم يأتمون[٥] به ويعملون بما يوجبه ويقضيه، وقيل: بكتابهم الذي أنزله الله تعالى إليهم، فيه الحلال والحرام والفرائض، عن الضحاك، وابن زيد. فيقال: يا أهل التوراة، يا أهل القرآن[٦]، وقيل: من كانوا يأتمون به من علمائهم وأئمتهم، عن أبي علي، وأبي عبيدة. وقيل: إمامهم[٧] عقولهم وشرائعهم، فإن كل أمة قائمة[٨] بها، وقيل: بدينهم، فيقال: يا أهل الإسلام، يا أيها اليهود، يا أيها النصارى، عن الأصم. وقيل: بمعبودهم[٩]، وقيل: بأمهاتهم[١٠]، عن محمد بن كعب. وقيل: إنه[١١] لثلاثة أوجه: لأجل عيسى وشرفه، ولشرف الحسن والحسين،

(١) بالنعم: بالإنعام، ب.
(٢) فقد: ـ، م.
(٣) بلفظ التفضيل: ـ، ب، ز، ل.
(٤) الإكرام يتناول نعم... الآخرة وقيل: ـ، ب، ل.
(٥) يأتمون: يأثمون، ب.
(٦) القرآن: الفرقان، ز، ل.
(٧) إمامهم: بإمامهم، ل.
(٨) قائمة: قائم، ز، ل.
(٩) بمعبودهم: بعهودهم، ز، ل.
(١٠) بأمهاتهم: بإمامهم، ب.
(١١) إنه: لأنه، ب.

ولئلا يفتضح أولاد الزنا، والأوجه[(١)] ما قاله أبو عبيدة وأبو علي أنه يدعى بمن يقتدى به.

ومتى قيل: كيف يدعى؟

قلنا: يقال: هاتوا متبعي محمد، هاتوا متبعي إبراهيم، فيقوم أهل الحق، ثم يقال: هاتوا متبعي[(٢)] الشيطان، هاتوا متبعي الطغاة[(٣)] فيقومون، وكذلك يدعى كل متبع لمحق[(٤)] أو لمبطل بمن يتبعه ويقتدي[(٥)] به حثاً لنا[(٦)] على اتباع أئمة الحق لا المبتدعة[(٧)] وأئمة الضلال.

«فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» يعني صحائف أعمالهم **«فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ[(٨)]» «وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً[(٩)]»** أي: لا[(١٠)] يبخسون حقهم بل يوفر عليهم جزاء أعمالهم كاملاً **«فَتِيلاً[(١١)]»** قيل[(١٢)]: هو[(١٣)] المفتول الذي بين[(١٤)] شق النواة، عن الحسن وغيره. وإنما المراد به لا يبخس حقه وإن قل **«وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى»** قيل: هذه إشارة إلى ما تقدم ذكره من النعم، أي: في هذه النعم التي عددناها، عن ابن عباس. وقيل: في هذه الدنيا وأمورها، والمعنى من كان في هذه الدنيا عن قدرة الله وآياته واعتقاد

---

(١) والأوجه: والوجه، ز.

(٢) متبعي: لتبعي، ز.

(٣) الطغاة: الغواة، ب.

(٤) المحق: لحق، ز.

(٥) ويقتدي: أو يقتدي، ب، و.

(٦) لنا: ـ، ل، م.

(٧) لا المبتدعة: إلا المبتدعة إلا المبتدعة.

(٨) كتابهم: ـ، ز.

(٩) يظلمون: يظلمون قتيلاً، ل.

(١٠) لا: ـ، ز، ل.

(١١) فتيلاً: ـ، ل؛ قتلاً؛ ز.

(١٢) قيل: ـ، ز.

(١٣) هو: +، ز، ل.

(١٤) بين: في، ز، ل.

الصواب أعمى «**فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**» أي: من عمي في الدنيا عن آياته وضل فهو في الآخرة أعمى لأنه ممنوع، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد. وقيل: من كان أعمى في هذه النعم فهو في نعم الآخرة الموعود بها أعمى أشد[(١)] عمى، عن الضحاك. وقيل: من كان في هذه الدنيا ضالاً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا لأنه لا تقبل توبته[(٢)]، عن الحسن. وقيل: من كان في الدنيا أعمى[(٣)] عن اعتقاد الحق فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة أي: أشد عمى، عن أبي علي. يعني أنه إذا كان في حال الانتفاع بالعمل أعمى ففي[(٤)] الآخرة والعمل لا ينفع كان عماه[(٥)] أشد، وقيل: من كان في الدنيا أعمى عن المعارف فهو في الآخرة أعمى يحشر على جهله حتى يضطره الله إلى معرفته، وقيل: من عمي في الدنيا عَمّاً[(٦)] خلق له في التوحيد والعدل وعبادة الله تعالى فهو في الآخرة أعمى عما خلقت له في الآخرة وهو الجنة، وقيل[(٧)]: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الحق فهو يحشر في القيامة[(٨)] أعمى عقوبة على[(٩)] ضلالتهم[(١٠)] في الدنيا، عن أبي مسلم. يحققه قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، ثم يجوز أن يحشروا عمياً ثم يبصرونهم[(١١)] ليروا أهوال يوم[(١٢)] القيامة، وقيل: إنه عبارة عن الغم المفرط، فإذا لم ير[(١٣)] إلا ما يسوؤه فكأنه

(١) أشد: وأشد، ز، ل.
(٢) توبته: توبتهم، ل.
(٣) أعمى: ـ، ز.
(٤) ففي: فهو في، ب.
(٥) عماه: زعماؤه، ز.
(٦) عمّاً: +، ب، ل.
(٧) من عمي في الدنيا... الجنة وقيل: ـ، م.
(٨) القيامة: الآخرة، ل.
(٩) على: عن، ب، ز، و.
(١٠) ضلالتهم: ضلالهم، ز، ل.
(١١) يبصرونهم: يبصرهم، ز، ل.
(١٢) يوم: ـ، ز، م.
(١٣) ير: يروا، ز.

أعمى كما يقال: سخين[1] العين، عن أبي مسلم. وقيل: من عمي عن خالقه ومدبره فعبد أحجاراً[2] وجعلها المنعم فهو في الآخرة أعمى لا يفارق[3] كفره وضلاله وعمى يومئذ أشد لأنه علم ما كان يجهل حيث لا ينفعه العلم، عن الأصم[4] ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ يعني أبعد عن طريق الخير والنجاة يعني كما ضل في الدنيا عن العمل المؤدي إلى الثواب والنجاة[5] ضل في الآخرة عن النجاة.

۞ الأحكام

تدل الآية على إنعامه تعالى على بني آدم بما خصهم من الخلقة والرزق والتسخير[6] والتكليف وغير ذلك.

وتدل على نعمه في الدواب والسفن، وحملهم وحمل أمتعتهم التي لولاها لما أمكن حملها.

ويدل قوله: «على كثير» على أن في غير بني آدم من هو أفضل منهم فإن حملنا الفضل في الدين فذلك يتم على مذهبنا أن الملائكة أفضل منهم.

وتدل على أنه ينادي كل[7] أمة[8] بمن تبعه[9].

وتدل على أن أعمال العباد مكتوبة.

وتدل على أنه تعالى لا يظلم أحداً، ولو كان الكفر والمعاصي خلقاً له ثم يعذب[10] عليه لما كان ظلم أعظم من ذلك.

(١) سخين: سجين، ب، ز، م.
(٢) فعبد أحجاراً: فعبدوا حجارا، ل..
(٣) لا يفارق: لا يفارقه، ب.
(٤) لا يفارق كفره... عن الأصم: ـ، ز، ل.
(٥) يعني كما ضل في... والنجاة: ـ، ز، ل.
(٦) والتسخير: لتسخير، ز.
(٧) كل: كلا، م.
(٨) أمة: ـ، ب، م.
(٩) تبعه: يبعه، ز.
(١٠) يعذب: يعذر، م.

قوله تعالى:

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾﴾

اللغة

كاد يفعل معناه قرب أن يفعل ولم يفعل، وكاد يكون بمعنى أراد كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ [يوسف: ٧٦]، وكاد يكاد، وكادت المرأة[١] وكادوا، ومنه: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩].

والفتنة أصلها: الامتحان، ثم يسمى[٢] العذاب فتنة، والضلال فتنة، والهرج فتنة.

والافتراء: اختلاق الكذب، والركون إليه هو السكون إليه والميل[٣]، ركن يركن نحو: نصر ينصر، وركن يركن، نحو: حمد يحمد.

والنصير: الناصر، فعيل[٤] من النصرة للمبالغة.

النزول[5]

قيل[٦] في سبب نزوله أقوال:

أولها: أنها[٧] نزلت في قريش، ثم اختلفوا، قيل[٨]: قالت قريش للنبي ﷺ: لا

---

(١) المرأة: المر، ز.
(٢) يسمى: سمي، ز.
(٣) والميل: الملك، ل.
(٤) فعيل: فعل، ز.
(٥) النزول: الإعراب، ب، و.
(٦) قيل: +، ز.
(٧) أنها: ـ، ز، ل.
(٨) قيل: فقيل، ل.

ندعك تستلم الحَجَر الأسود حتى تلم بآلهتنا، فحدث[١] نفسه وقال: «ما علي أن ألم بها والله يعلم أني لها كاره ويدعونني[٢] أستلم الحَجَر» فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن سعيد بن جبير.

وقيل: سألوه ذكر آلهتهم. عن مجاهد.

وقيل: قالوا: كف عن شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا، واطرد هؤلاء العبيد حتى نجالسك، وطمع[٣] في إسلامهم، فنزلت الآية، حكاه الأصم.

وقيل: إنهم خلوا به ليلة يكلمونه ويسألونه، فما زالوا به حتى كاد يقاربهم، فعصمه الله تعالى، عن قتادة، وقال: قالوا له: ائت آلهتنا فامسسها.

وثانيها: قيل: نزلت في وفد ثقيف، فروي أنهم قالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال: لا ننحني[٤]، يعني[٥]: في الصلاة، ولا نكسر[٦] أصنامنا بأيدينا، وتمتعنا باللات سنة، فقال ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود، فأما[٧] كسر[٨] أصنامكم بأيديكم فذلك لكم، وأما الطاعة للّات فإني غير ممتعكم[٩] بها» وقام رسول الله وتوضأ، فقال عمر: ما بالكم آذيتم رسول الله، إن رسول الله[١٠] لا يدع الأصنام[١١] في أرض العرب، فما زالوا به حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، عن ابن عباس.

---

(١) فحدث: فحذف، ز.

(٢) ويدعونني: ويدعوني، ز، ل.

(٣) وطمع: فطمع، ب، ز، ل.

(٤) لا ننحني: لا تنحي، ز.

(٥) يعني: ـ ، ز، ل.

(٦) نكسر: تكسر، ز.

(٧) فأما: وأما، ز، ل.

(٨) كسر: ـ ، ز، ل.

(٩) ممتعكم: ممكم، ز.

(١٠) إن رسول الله: ـ ، ز.

(١١) الأصنام: للأصنام، ز.

وروى عطية[١] عن ابن عباس أن وفد ثقيف قالوا: أجلنا سنة حتى نهدي لآلهتنا، فإذا قضينا[٢] الذي نهدي[٣] لآلهتنا[٤] أسلمنا وكسرناها، فهم بتأجيلهم فنزلت الآية، ذكره الكلبي. قال الأصم: وهذا لا يصح[٥] لأن السورة مكية بإجماع ولا يؤتمن الكلبي على كتاب الله تعالى.

وثالثها[٦]: قيل: أرادوا منه طرد الفقراء عن مجلسه إذا حضروا[٧]، فنهاه الله[٨] عن ذلك.

الإعراب

«**قليلا**» نصب على التمييز و«**شيئاً**» نصب لوقوع الفعل عليه[٩].

المعنى

ثم حكى تعالى عن الكفار ما هموا به، فقال سبحانه: «**وَإِنْ كَادُوا**» قربوا وهموا، وقيل: أرادوا «**لَيَفْتِنُونَكَ**» قيل: ليضلونك[١٠] «**عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**» عن الحسن. وقيل: يصرفونك[١١] عن هذا القرآن بإلحاحهم عليك وتملقهم[١٢] لك، وقيل: تلك الفتنة الإلمام بآلهتهم، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. وقيل: أراد تأجيل وفد

---

(١) وروي عطية: ـ، ز.
(٢) قضينا: اقضينا، ل.
(٣) نهدي: هدى، ل.
(٤) لآلهتنا: ـ ، ل.
(٥) لا يصح: الأصح، ل.
(٦) وثالثها: والثالثة، ب.
(٧) حضروا: حضروه، ل.
(٨) الله: +، ز.
(٩) عليه: ـ ، ل.
(١٠) ليضلونك: يسألونك، ل.
(١١) يصرفونك: ليصرفونكم، ز.
(١٢) وتملقهم: وتملثهم، ز.

ثقيف، وقيل: طرد الفقراء، وقيل: أراد[١] أن[٢] لا[٣] يعيب آلهتهم في كل هذه الوجوه هم أرادوا منه ذلك، فأما هو فما أراد ولا همّ ولا[٤] وقع ولا قرب منه، ولم يضف الله تعالى إليه شيئاً[٥] من ذلك بل أضاف إليهم، وهو معصوم لا يأتي بما[٦] هو[٧] معصية[٨] ولا يهمّ بذلك «**لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ**» أي: يصرفونك عن القرآن لتخلق علينا الكذب فتقول على الله تعالى[٩] ما لم يقله، وقيل: لتخبر الناس عن حكمه في المشركين عندما أوحينا إليك، عن الأصم. «**وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً**» يعني: لو فعلت ما دعوك إليه لاتخذوك[١٠] خليلاً من الخلة التي هي المودة، وقيل: هي من[١١] الخلة التي هي الحاجة؛ أي: لو فعلت لاتخذوك[١٢] وأنت إليهم فقير محتاج بخروجك[١٣] عن ولاية الله «**وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ**» على الهدى والحق، قيل: بالنبوة والمعجزات التي ترى، وقيل: بالألطاف المثبتة[١٤]، وقيل: بما أوحينا إليك، عن الأصم. «**لَقَدْ كِدْتَ**» أي: قربت من غير عزم، عن الحسن. وقيل: طمعاً في إسلامهم لما سألوه ما سألوه[١٥] ليجالسوه ويؤمنوا[١٦] به، عن الأصم. «**تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ**» أي: تميل إليهم وتسكن إليهم، فبين أنه لولا لطف الله لقرب من إجابتهم، وهكذا الأنبياء والمؤمنون

(١) أراد: أرادوا، ب.
(٢) أن: ز، ل.
(٣) لا: إلا، ب.
(٤) لا: ـ، ل.
(٥) شيئاً: شيء، ب.
(٦) بما: ـ، و.
(٧) هو: ـ، ب.
(٨) معصية: بمعصية، ب، م.
(٩) تعالى: ـ، ل.
(١٠) لا تخذوك: ما اتخذوك، ز.
(١١) من: ـ، ب، و.
(١٢) من الخلة التي... لا تخذوك: ـ، ز، ل.
(١٣) بخروجك: يخرجونك، ب، م.
(١٤) المثبتة: البينة، ز، ل.
(١٥) ما سألوه: +، ز، و.
(١٦) ويؤمنوا: وليؤمنوا، ز، ل.

يهتدون بهدى الله ويثبتون بألطافه «**شَيْئاً قَلِيلاً**» ركوناً قليلاً في جنب استحقاق العقاب «**إِذاً لأَذَقْنَاكَ**» لو فعلت ذلك لأذقناك[١] «**ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ**» وقيل: ضعف عقاب الحياة وقيل[٢]: ضعف عذاب[٣] الآخرة لعظم ذلك منه لو فعله، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، في معنى أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة، والضعف عبارة عن المثل، يعني لأذقناك مثل عذاب غيرك لأن نعم الله عليك أوفر والزواجر أكثر «**ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً**» أي: ناصراً[٤] ينصرك، وقيل: لما نزلت هذه الآية قال ﷺ: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»، عن قتادة. وقيل: إنه تعالى عاتب سائر الأنبياء بعد وقع[٥] الزلات وعاتبه قبله ليكون أشد حذراً وأدل على نزاهته وعصمته.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**ولولا أن ثبتناك**» على أنه[٦] لطف[٧] للأنبياء[٨] والمؤمنين ليثبتوا على الحق.

يدل قوله: «**ضعف الحياة**» أن ما يُستحق مع كثرة النعم والزواجر ضعفي ما يستحق[٩] إذا لم يكن ذلك.

وتدل على أنه لو استحق العذاب لما وجد ناصراً، وإذا وجب ذلك في الرسول ﷺ فغيره أولى، فبطل قول المرجئة[١٠].

---

(١) لو فعلت ذلك لأذقناك: ـ، ز.
(٢) قيل: +، ز.
(٣) عذاب: عقاب، ز، ل.
(٤) ناصرا: ناصر، ب، و، م.
(٥) وقع: وقوع، ب.
(٦) أنه: أن، ز، ل.
(٧) لطف: يلطف، ب، م، و.
(٨) للأنبياء: بالأنبياء، ب، م، و.
(٩) يستحق: ما يستحقه، ب، و، م.
(١٠) المرجئة: المجبرة، ز.

ومتى قيل: ما روي أنه مس الصنم هل تصححون ذلك؟ ومسه كفر أم فسق[١]؟

فجوابنا: روي ذلك، فإن صح ذلك[٢] فإنما مسه للكسر والمنع منه لا للتعظيم، ومسه على وجه الكسر والإبطال عبادة، وللتعظيم كفر، ومسه لا[٣] للوجهين ليس بمعصية لأنه حجر إلا أنه لا[٤] يجوز أن يمس ما لم يبين[٥] لأنه يكون مفسدة.

وتدل على أن الافتتان[٦] فعلهم، وأن الركون لو وجد لكان فعله، فيصح[٧] قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم: «**خلفك**» بفتح الخاء وسكون اللام بغير ألف. وقرأ ابن عامر وحفص[٨] عن عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب: «**خلافك**» بكسر الخاء[٩] وفتح اللام وبعدها ألف اعتباراً بقوله: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، قيل: الخلف والخلاف بمعنى، قال أبو مسلم: سواء قولك: خلافك وخلفك، ووراءك وبعدك، كلها بمعنى[١٠]، وقال الأزهري: «**خلافك**»[١١] أي: بمخالفتك.

---

(١) ام فسق: أو فسق، ب، و؛ فسق أو كفر، ل.
(٢) ذلك: ــ ، ز، ل.
(٣) لا: ــ ، و.
(٤) لا: ز، ل.
(٥) يبين: يدين، م.
(٦) الافتتان: الافتتا، ز.
(٧) فيصح: فيصحح، ب، و؛ فصح، ل.
(٨) عن عاصم... وحفص: ــ ، ز، ل.
(٩) بكسر الخاء: بالجيم، ز.
(١٠) بمعنى: لمعنى، ل.
(١١) خلافك: خلفك، ب.

۞ اللغة

الإستفزاز: الإزعاج والاستنهاض على خفة[١] وسرعة.
والسنة: الطريقة.

۞ الإعراب

(إذاً) هاهنا لا تعمل فلذلك لم تنصب (يلبثون) والعمل لقوله: «يلبثون» أي: لا يلبثون خلفك.

«سُنَّةَ» نصبها، قيل: على[٢] الأمر والإغراء كقوله[٣]: عليك سنة الله، وقيل: تقديره: كسنة من قبلك إذا فعلت أممهم بهم مثل ذلك لا يلبثون.

۞ النزول

قيل: نزلت في أهل مكة هموا بإخراج النبي ﷺ من مكة فنزلت الآية، عن مجاهد، وقتادة، والأصم.

وقيل: نزلت في اليهود بالمدينة[٤] لما قدمها رسول الله ﷺ قالت اليهود له[٥]: هذه الأرض ليست أرض[٦] الأنبياء وإنما أرض الأنبياء الشام فأتِ الشام، فأراد أن يجيبهم إلى ذلك فنزلت الآية، عن ابن عباس، ذكره الكلبي وزاد[٧] بأنه عسكر على ثلاثة أميال من المدينة. وقيل: إلى ذي الحليفة. وقيل: هذا لا يصح لأن السورة مكية وما قبلها وما بعدها في[٨] ذكر المشركين ولم يجر لليهود ذكر، قال الأصم: ولم يكن النبي ﷺ يطيع[٩] اليهود ولا يتقدم بين يدي الله في شيء ولا طمعت يهود في ذلك ولو خرج لكان يخرج بإذن الله.

---

(١) خفة: ـ ، ل.
(٢) على: ـ ، ز.
(٣) كقوله: لقولهم، ز؛ كقولك، ب، و.
(٤) بالمدينة: في المدينة، ز.
(٥) له: ـ ، ل.
(٦) أرض: بأرض، ب.
(٧) وزاد: وأراد، ز، ل.
(٨) في: ـ ، ز.
(٩) يطيع: يطع، ب، ل.

۞ المعنى

ثم بين تعالى أنهم لما أيسوا من إجابتهم إلى ما التمسوه[1] كادوا له، فقال سبحانه: «وَإِنْ كَادُوا» أي: أرادوا، وقيل: قاربوا «لَيَسْتَفِزُّونَكَ» أي[2]: يستنزلونك ويستنهضوك، وقيل: يستفزونك يقتلونك، عن الحسن. «مِنَ[3] الأَرْضِ» قيل: أرض مكة، هَمَّ المشركون بإخراجه، عن قتادة، ومجاهد، والأصم. وقيل: هم اليهود بإخراجه عن أرض المدينة، عن ابن عباس. وقيل: أراد جميع الكفار أرادوا أن يخرجوه من أرض العرب، عن أبي علي. «لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا» من الأرض، ولو أخرجوك لكانوا «لا يَلْبَثُونَ خِلفَكَ إلاَّ قَلِيلاً[4]» قيل: كانوا لا يمهلون (خلفك) من بعدك أي من بعد خروجك «إلاَّ قَلِيلاً» قيل: القليل هو المدة التي تبقى بعد خروجه إلا قليلاً حتى يعذبهم وينتقم منهم، عن الأصم، وأبي علي. وقيل: هو[5] المدة بين إخراجهم له وقتلهم يوم بدر، عن ابن عباس، والضحاك. وقيل: فعلوا وهلكوا، وقيل: كفهم عن إخراجه ثم أمره بالخروج، ولما خرج أهلكهم يوم بدر بما هموا، وقيل: عني بالقليل من انفلت[6] يوم بدر وآمنوا بعد ذلك «سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا» يعني طريقتنا فيهم كطريقتنا في من قد أرسلناه من قبل[7]، وكسنة الله في الأمم إذا فعلوا[8] بأنبيائهم مثل[9] هذا أن يهلكهم بعذاب الاستئصال، فما دام بين أظهرهم[10] لا يهلكهم، فإذا أخرجوه من مأمنه أهلكهم، وقيل: سنته أن يحفظ رسله ويعصمهم حتى يبلغوا رسالاته «وَلا[11]

(١) ما التمسوه: ما تمنوه، ز، ل.
(٢) أي: أن، ز.
(٣) من: عن، ب، م، و.
(٤) إلا قليلاً: +، ز، ل.
(٥) هو: ـ، ز، ل.
(٦) انفلت: انقلب، ب.
(٧) قبل: قبلك، ل.
(٨) إذا فعلوا: إلا فعلوا، ز.
(٩) مثل: هل، ز.
(١٠) فما دام بين أظهرهم: فما دام بينهم، ز.
(١١) ولا: ولن، ز.

تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ أي: تبديلاً، قيل: معناه لا يتهيأ لأحد أن يبطل[١] سنة الله لأنه حق والحق لا يبطل، وقيل: ما أراد الله أن تجري[٢] العادة به لا يتهيأ لأحد أن يقلبه[٣] من إرسال رسول واستئصال قوم.

۞ الأحكام

الآية تدل أنهم هموا بإخراج الرسول، والصحيح أنهم مشركوا مكة، لقوله تعالى[٤]﴿لِيُخْرِجُوكَ[٥]﴾.

ومتى قيل: أليس هرب منهم؟

قلنا: هموا[٦] بإخراجه ولم[٧] يخرجوه، ثم خرج خوفاً[٨] لما أمر[٩] بالهجرة، وندموا على خروجه، ولذلك[١٠] ضمنوا المال برده.

ومتى قيل: فإذا لم يخرجوه لِمَ عذبهم يوم بدر؟

قلنا: لهمهم[١١] بالإخراج.

ومتى قيل: لبثوا مدة طويلة فلم سماه قليلاً؟

قلنا: القليل من أسماء الإضافة، وتلك المدة في جنب[١٢] ما اعتقدوه من الثواء[١٣] قليل.

---

(١) يبطل: تبديل، ز؛ يبدل، ل.
(٢) تجري: تجر، ب، م.
(٣) يقلبه: يفعله، ز؛ يقبله، ب، ل.
(٤) تعالى: ـ ، ز، ل.
(٥) ليخرجوك: إذ يخرجوك، ل.
(٦) هموا: أهموا، ب.
(٧) ولم: فلم، ب.
(٨) خوفاً: تخوفاً، ل.
(٩) أمر: أمروا، ب.
(١٠) ولذلك: لذلك، ل.
(١١) لهمهم: لهممهم، ز، ل؛ لهم، ب.
(١٢) في حيث: من حيث، ز.
(١٣) الثواء: التقاء، ز.

وتدل على أن سنة الله تعالى بإهلاك الأمم عند إخراجهم أنبياءهم من بين أظهرهم، وقد أنجز الله وعده، فقتلوا[(١)] يوم بدر، وأسروا، وضعف[(٢)] الكفر، وقوي الإسلام.

قوله تعالى:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «مُدخل» و«مُخرج» بضم الميم على معنى الإدخال والإخراج، وقرأ الحسن بفتحهما على معنى الدخول والخروج.

اللغة

الدلوك: قيل: الغروب، وقيل: الزوال، وأصله من الدلك، فسمي الزوال دلوكاً، لأن الناظر إليها يدلك عينه لشدة شعاعها[(٣)]، وعند غروبها يدلك ليتبينها[(٤)]، وروي عن ابن[(٥)] عمر الدلوك: الميل. قال ثعلب: دلكت الشمس مالت، قال: ويقال: أتيتك عند الدلوك[(٦)] أي: بالعشي[(٧)]، وأنشد:

---

(١) فقتلوا: فقلوا، ز.

(٢) وضعف: فضعف، ل.

(٣) شعاعها: شعاعها يدلك، ل.

(٤) ليتبينها: بسببها، ب، ز، ل، م.

(٥) ابن: +، ل.

(٦) الدلوك: الزوال، ز، ل.

(٧) بالعشي: بالعشاء، ز.

تـعـرض الـزهـراء فـي وقـت[1] الـدلـك

وقال آخر:

هـــذا مـــقـــام قـــدمـــي ربـــاح عـــلـــوه حـــتـــى دلـــكـــت بـــراح[2]

أي: مالت، روي بَراح بفتح الباء، جعله اسماً للشمس مبنياً على فَعَال كقَطَام وحَذَام، وروي بكسر الباء ليراد [بها] الراح[3]، يعني: أن الناظر[4] يضع كفه على حاجبه من شعاعها لينظر ما بقي منها.

والغسق: الظلام، غسق يغسق غسوقاً، قال الشاعر:

أمــن هــذا الــلــيــل إذا غــســقــا[5]

والتهجد: التيقظ، والسهر ما ينفي النوم، والهجود: النوم، وهو الأصل[6]، هجد فهو هاجد، يقال[7]: هجد نام، وتهجد سهر، عن الأخفش، وقيل: تهجد نام[8]، وتهجد سهر، وهو من الأضداد، قال لبيد:

هــجــدنــا فــقــد طــال الــســرى

والنفل: العطاء الخاص، ومنه النفل في الغنيمة[9]، ومنه النافلة، عن أبي مسلم، وقيل: النفل: الزيادة.

---

(١) وقت: جنح، ز، ل م.

(٢) انظر اللسان مادة «برح»، تاج العروس «دلك»، وبرواية أخرى:

هـــذا مـــقـــام قـــدمـــي ربـــاح ذبـــب حـــتـــى دلـــكـــت بـــراح

(٣) الباء ليراد بها الراح: الياء ليراد بالراح، ز، الباء؛ لبروا بالراح، ل؛ الباء لبرا بالرياح ب، م.

(٤) الناظر: النظر، ز.

(٥) وورد البيت برواية أخرى: آب هذا الليل إذ غسقا. انظر التبيان في تفسير القرآن للطوس: ٦م ٥٠٦. وفي رواية أخرى: إن هذا الليل قد غسقا. انظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٢٦٧.

(٦) الأصل: النوم، ل.

(٧) يقال: ويقال، ز، ل.

(٨) نام: نا، ز، ل.

(٩) في الغنيمة: في الغنيمة في الغنيمة، ل.

۞ الإعراب

نصب «قرآن الفجر» عطفاً على الصلاة، كأنه[(١)] قيل[(٢)]: أقم الصلاة وقرآن الفجر، عن الفراء. قال الأخفش: ولا يجوز[(٣)] عطفه على «غسق الليل» لأن معناه ليس معنى[(٤)] إلى (قرآن الفجر)، وقيل: نصب على الإغراء بتقدير: وعليك بقرآن الفجر.

و«نافلة» نصب بمحذوف أي: جعلناه نافلة له.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ[(٥)] صِدۡقٖ﴾ حين أمر[(٦)] رسول الله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة، عن ابن عباس، وقتادة، والحسن[(٧)].

وقيل: نزل بعد دخوله المدينة، بعد أن قصد الشام عند كلام اليهود، عن الكلبي. وقد بينا أن ذلك غير صحيح.

۞ المعنى

ثم أمر تعالى بعد إقامة البينات، وذكر الوعد والوعيد بإقامة الصلاة شكراً والدعاء، ووعده الجميل في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: «أَقِمِ الصَّلَاةَ» قيل: خطاب[(٨)] للنبي ﷺ والمراد هو وغيره[(٩)]، وقيل: أراد أيها الإنسان، أو[(١٠)] أيها السامع أقم الصلاة، وقيل: أقمها لأمتك[(١١)]، وقيل: أقمها لنفسك، وإقامتها[(١٢)] أداؤها على التمام «لِدُلُوكِ

---

(١) كأنه: ـ، ب.
(٢) قيل: قال، و.
(٣) ولا يجوز: ولا يجوز ولا يجوز، ز.
(٤) معنى: يعني، ز، ل.
(٥) مدخل: ب، ز.
(٦) أمر: خير من، ز.
(٧) وقتادة والحسن: والحسن وقتادة، ل.
(٨) خطاب: خطاباً، ز، ل.
(٩) وغيره: غيره، ز.
(١٠) أو: و، ب.
(١١) وقيل أراد أيها. . . لأمتك: ز، ل.
(١٢) وإقامتها: وأقامها، ز.

الشَّمْسِ» قيل[1]: غروبها، عن إبراهيم، ومقاتل، والضحاك، والسدي، وابن زيد. والصلاة المأمور بها على هذا هي المغرب، عن ابن مسعود، وابن عباس، وابن زيد[2]. قيل: دلوكها زوالها، عن ابن عباس بخلاف، وابن عمر، وجابر، وأبي العالية، وعطاء، وقتادة، ومجاهد، والحسن، ومقاتل، وجعفر بن محمد، وعبيد بن حجر[3]، وروي ذلك مرفوعاً، والصلاة الواجبة على[4] هذا الظهر **«إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ»** قيل: ظهور ظلامه، عن أبي علي. وقيل: هو بدو الليل، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: غروب الشمس، عن مجاهد. وقيل: سواد الليل، عن أبي عبيدة. فأما الصلوات[5] المأمور بها، فقيل: أقم الصلاة لدلوك الشمس أي:[6] الظهر والعصر[7] إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ» أي[8]: المغرب والعشاء، عن الحسن. **«وَقُرْآنَ الْفَجْرِ»** أي[9]: صلاة الفجر، عن الحسن، والأصم[10]، وأبي علي، والزجاج. سمي قرآناً لتأكيد القراءة في الصلاة، عن الزجاج. وقيل: ما بدأ[11] به في صلاة الفجر **«إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً»** أي[12]: محضوراً، قيل[13]: تشهده[14] ملائكة الليل وملائكة النهار، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد[15]، وإبراهيم[16]، ومجاهد. وروي عن علي عليه السلام[17] رأى أنها الصلاة الوسطى. وروي أنها

---

(١) قيل: وقيل، ز، ل.
(٢) والصلاة المأمور... وابن زيد: ـ، ز، ل.
(٣) حجر: حجير، ز، ل.
(٤) على: ـ، ل.
(٥) الصلوات: الصلاة، ز، ل.
(٦) أي: إلى، ل، م.
(٧) أي الظهر والعصر: ـ، ز.
(٨) أي: ز، ل.
(٩) أي: قيل، ز، ل.
(١٠) والأصم: ـ، ز، ل.
(١١) ما بدأ: مبتدأ، ز، ل.
(١٢) أي: ـ، ز، ل، م.
(١٣) قيل: ـ، ل.
(١٤) تشهده: ـ، ز.
(١٥) وابن زيد: ـ، ب، م.
(١٦) وإبراهيم: ـ، ز، ل.
(١٧) عليه السلام: +، ل.

تكتب في **الديوانين**[١]، وروي أن ملائكة الليل قالوا: ربنا فارقنا عبادك وهم يصلون، وملائكة النهار يقولون: أتينا عبادك وهم يصلون، وقيل: شهود[٢] أن من حقها أن تشهد المساجد[٣] لها، وتقام بالجماعة. عن أبي مسلم. «**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ**» أي: قم[٤] بعد نومك، ولا يكن التهجد إلا بعد النوم، عن الأسود، وعلقمة، وعليه أكثر المفسرين. وقيل: ما ينقلب[٥] في كل الليل يسمى تهجداً[٦]، وقيل: التهجد صلاة بعد رقدة، ثم صلاة بعد رقدة، حكاه إسماعيل بن إسحاق. «**به**» قيل: بالقرآن أي: تسهر بالقرآن والصلاة، عن أبي علي، وأبي مسلم. «**نَافِلَةً لَّكَ**» قيل: خاصة لك، عن ابن عباس. وقيل: كرامة وعطية لك، عن مقاتل. وقيل: غنيمة لك، عن الأصم. فاغتنمها، وقيل: فريضة لك، عن ابن عباس. لأنه كتب عليه ولم يكتب على غيره، فكانت فضيلة له، وقيل: تطوعاً لك، عن قتادة، والفراء، وأبي علي. وقيل: خالصة لك؛ لأن كل إنسان يخاف أن لا يقبل فرضه، وأن يكون نفله[٧] كفارة، وهو مقبول فريضته يحصل[٨] له ثواب نافلته دون غيره[٩]، فيختص بثواب نافلته، عن مجاهد. والنافلة: الزيادة، و«**عَسَى**» قيل: عسى ولعل من الله واجب «**أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**» قيل: مقام الشفاعة، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبي علي، وروي ذلك مرفوعاً. وقيل: مقاماً تحمد عاقبته ما تعبدك الله يوم القيامة إذا عاينت[١٠] عظيم[١١] أمر الله، عن الأصم. وقيل: هو أن يجمع إليه[١٢] الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة، ويجعل له الشفاعة،

---

(١) الديوانين: الدائرتين، ز، ل.
(٢) شهود: مشهوداً، ز، ل.
(٣) المساجد: المشاهد، ل.
(٤) قم: ـ، ل.
(٥) ما يتقلب: ما يقلب، ز.
(٦) يسمى تهجداً: سمي تهجد، ز.
(٧) وأن يكون نفله: أو يكون فعله.
(٨) يحصل: يجعل، ز؛ فجعل، ل.
(٩) غيره: غيرها، ل.
(١٠) عاينت: تجانبت، ز.
(١١) عظيم: عظم، ز.
(١٢) إليه: الله، ز.

عن أبي علي. وقيل: هو أن يعطيه لواء الحمد يوم القيامة، وقيل: يبعثك مقاماً وأنت محمود غير مذموم، عن أبي مسلم. وقد ذكرت المشبهة في هذه الآية ما ينزه الله تعالى عن ذلك فقالوا في قوله: «مَقَاماً مَحْمُوداً»: يقعده معه على العرش، وروي: يجلسه[1] معه على العرش، وروي: على السرير، وهذا[2] باطل لأنه تعالى ليس بجسم، ويستحيل عليه المكان، ومثل هذه الأخبار التي لا يمكن[3] تأويلها إلا بتعسف يجب[4] ردها إذا كانت مخالفة[5] للأصول، وعلى بعد إن تأوله أحد على أن معناه أن[6] يقعد[7] على العرش وهو معه أي: حافظ له وراض عنه، كقولهم: الله معنا.

«وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ» فيه أقوال جمة[8]:

أولها: أنه أراد الدخول والخروج في الأمكنة على الحقيقة، يعني: أينما كنت في الأمكنة من مكة، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وسعيد بن جبير.

وقيل: قاله عند دخول[9] الغار، أراد أدخلني الغار مدخل صدق، وأخرجني منه إلى المدينة، وروي في حديث مرفوع.

وقيل: أدخلني[10] فيما أمرتني، وأخرجني عما نهيتني عنه.

وقيل: أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر وخرج من أمر، يقال: أدخلني في كل أمر مدخل صدق، وأخرجني منه مخرج صدق، عن أبي مسلم.

وقيل: أخرجني من مكة آمناً[11]، وأدخلني[12] مكة ظافراً عليها[13]، عن الضحاك.

---

(١) يجلسه: مجلسه، ز، ل.
(٢) وهذا: وهذه، ز.
(٣) لا يمكن: لا يكن، ل.
(٤) يجب: ويجب، ز، ل.
(٥) كانت مخالفة: كان مخالفاً، ب، م.
(٦) أن: +، ل.
(٧) يقعد: يقعده، ز، ل.
(٨) جمة: خمسة، ز.
(٩) دخول: دخوله، ز، ل.
(١٠) أدخلني: العطى. (بدون نقاط)، ز.
(١١) آمنا: ـ، ل.
(١٢) آمنا وأدخلني: ـ، ز.
(١٣) عليها: ـ، ز، ل.

وقيل: أدخلني المدينة حين خرج منها بإشارة اليهود، وأخرجني منها إلى مكة لفتحها، عن الكلبي.

وقيل: أدخلني مدخل صدق الجنة[١]، وأخرجني من الدنيا مخرج صدق.

وقيل: أدخلني القبر مدخل صدق عند الموت، وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق، عن[٢] عطية عن ابن عباس.

وقيل: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني[٣] به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق[٤]، عن مجاهد.

وقيل: أدخلني في طاعتك مدخل صدق، وأخرجني منها مخرج صدق[٥] وأنت عني راض[٦] وقيل: أدخلني المدينة في طاعتك[٧] مدخل صدق، و(مدخل صدق)[٨]: أمنه[٩] بها، و(مخرج صدق) خروجه إلى بلد[١٠]، أمر[١١] بهذا الدعاء قبل وقوعها، عن الأصم. ومدخل صدق. وقيل: إدخالاً صالحاً ترضاه[١٢]، وإخراجاً صالحاً ترضاه.

وقيل: أراد سائر ما يسلم المرء معه عند الدخول والخروج[١٣].

وقيل: المدخل الصدق هو ما تحمد عاقبته في الدنيا والدين.

---

(١) وأخرجني منها... صدق الجنة: ـ، ز، ل.
(٢) وقيل أدخلني القبر... صدق عن: ـ، ز، ل.
(٣) أرسلتني: أسلتني، ز.
(٤) صدق وأخرجني مخرج صدق: ـ، ز، ل.
(٥) وقيل أدخلني... مخرج صدق: ـ، ب.
(٦) وقيل أدخلني... عني راض: ـ، ز، ل.
(٧) في طاعتك: +، ز، ل.
(٨) ومدخل صدق: ـ، ل.
(٩) أمنه: أمانه، ز.
(١٠) بلد: بيت، ز، ل.
(١١) أمر: أمن، ب؛ أمره، ز، ل.
(١٢) ترضاه: أترضاه، ز.
(١٣) والخروج: والحوج، ز.

ومتى قيل: كيف أضاف[١] الإدخال والإخراج إليه وهو فعل العبد؟

قلنا: سأله اللطف المقرب للعبد من خير الدين والدنيا[٢]، ويحتمل أن يريد الأمن[٣].

«**وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ**» من عندك[٤] **سُلْطَاناً نَصِيراً**» أي: حجة بينة بنصره[٥] على الأعداء، عن مجاهد. وقيل: عزاً وملكاً تنصرني[٦] به على من ناوأني[٧]، وأمتنع[٨] به ممن يحاول صده عن إقامة الدين في نفسه وغيره، عن الحسن. فوعده الله تعالى[٩] ملك فارس والروم، وقيل: «**سلطاناً**[١٠]» قوة وغلبة، فنصر بالرعب، وقيل: هو فتح مكة، لأن العرب كلهم انتظروها فلما فتحت أذعنوا له.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب الصلاة في أوقاتها، والآية جامعة للصلوات[١١] الخمس.

ويدل[١٢] قوله: «**إن قرآن**[١٣] **الفجر**» على وجوب القراءة في الصلاة خلاف من يقول: إن القراءة ليست بواجبة كان عليه وغيره.

ويدل قوله: «**نافلة**» أن صلاة الليل[١٤] كانت تطوعاً له، وقد اختلفوا، فقيل: كانت واجبة فنسخت بهذه الآية، وقيل: بل لم تلزمه قط، وهو اختيار القاضي.

---

(١) أضاق: ضاق، ز.
(٢) الدين والدنيا: الدنيا والدين، ز.
(٣) الأمن: الأمر، ز.
(٤) من عندك: +، م.
(٥) بنصره: بنصر، ز، ل.
(٦) تنصرني: ينصر، ز، ل.
(٧) على من ناوأني: على ما والى، م، وكتب فوقها لفظة: من ناوأني ظ؛ هؤلاء، ز؛ مولى، ل.
(٨) وأمتنع: واستعن، ز، ل.
(٩) تعالى: +، ز، ل.
(١٠) سلطان: ـ ، ل.
(١١) للصلوات: الصلاة، ز، ل.
(١٢) ويدل: فيدل، ز، ل.
(١٣) إن قرآن: وقرآن، ب، ز، ل.
(١٤) أن صلاة الليل: بالصلاة بالليل، ل.

ويدل قوله: «**مقاماً محموداً**» إذا أضيف إلى ما قاله المفسرون على الشفاعة، والشفاعة عندنا ثابتة في زيادة الدرجات للمؤمنين[١] لمن[٢] هو من أهل الجنة، فأما لأهل النار خلاف لذلك، قال الله[٣] تعالى: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [**غافر**: ١٨]، وفائدتها مزيد التفضل للمؤمنين[٤] وظهور محمد ﷺ عند رب العالمين.

فأما ما ترويه الحشوية أن الناس الذين استحقوا النار يأتون إلى[٥] الأنبياء نبياً نبياً[٦]، ويسألونهم[٧] الشفاعة، ويذكر[٨] كل[٩] واحد ذنبه[١٠]، وأنه لا وجه له في الشفاعة حتى يأتون[١١] محمداً ﷺ فيشفع[١٢] لهم. فلا يصح؛ لأن ذنوب الأنبياء صغائر مغفورة فلا تؤثر في حالهم، ولم تؤثر في حال نبينا محمد[١٣] ﷺ، فثبت أنه غير صحيح.

وأما[١٤] ما يروون أنه يخرج قوم من النار، فغير صحيح؛ لأنه ثبت بالقرآن[١٥] أن[١٦] العقاب دائم، فإن ثبت حمل على أنه يخرجهم صح[١٧] بمعنى أنه لولاه لدخلوا.

---

(١) للمؤمنين: وللمؤمنين، ب، م، و.
(٢) لمن: ولمن، ز، ل.
(٣) الله: +، ل.
(٤) مزيد التفضل للمؤمنين: مزيد التفضيل للمؤمن، ل.
(٥) إلى: +، ز.
(٦) نبياً نبيا: ـ، ز، ل.
(٧) ويسألونهم: ويسألونه، م، و.
(٨) ويذكر: فيذكر، ز، ل.
(٩) كل: ـ، ب، و.
(١٠) ذنبه: دينه، ب، ز، و.
(١١) يأتون: يأتوا، ز، ل.
(١٢) فيشفع: فليشفع، و.
(١٣) محمد: ـ، ب، ل.
(١٤) أما: +، ز، ل.
(١٥) بالقرآن: في القرآن، ز.
(١٦) أن: ـ، ب.
(١٧) صح: +، ل.

ويدل قوله: «رب أدخلني» على وجوب الإنقطاع إليه تعالى في جميع الأحوال.

ويدل آخر الآية[1] على افتقاره إلى نصرة الله، فغيره أولى بذلك.

وتدل على أن إقامة الصلاة والتهجد فعل[2] العبد لذلك صح الأمر به، فيصحح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر: «وناء[3] بجانبه» ممدود مهموز[4] بوزن[5] فاع[6]، وفي (حم) مثله، ولها وجهان:

أحدهما: أنها مقلوبة كما يقال: رأى وراءَ[7].

الثاني: أنها من النوء، وهو النهوض والقيام، وقد يقال للقعود: نوء، وهو من الأضداد.

وقرأ حمزة والكسائي: «ينئي» بكسر النون والهمزة، مثل: رِئي، أتبعوا الكسرة

---

(١) الآية: الآيات، ل.
(٢) فعل: قول، ز.
(٣) وناء: ونأى، ب، م، ز.
(٤) ممدود مهموز: ممدودة مهموزة، ز.
(٥) يوزن: نون من، ب، م.
(٦) فاع: ناع، ز، م، نأى، ب. وجاء في مجمع البيان في تفسير القرآن م٤/ج١٥/ ٩٠ ما لفظه: (قال أبوعلي: ناء مثل فاع، وهو على القلب، وتقديره: فلع، ومثله رأى ورآء).
(٧) رأى وراءَ: رأى ورآى، ب، ز، ل، م، و.

الكسرة[1]، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو، وفي بعض الروايات، ونصير عن الكسائي وحمزة في بعض الروايات عنه: «نَئِي» بفتح النون وكسر الهمزة على الأصل في فتح النون وعلى الإمالة، وقرأ الباقون نافع وابن كثير وحفص عن عاصم وأبو عمرو[2] «نأى».

۞ اللغة

الزهوق: الهلاك والبطلان، زهقت نفسه تزهق زهوقاً إذا خرجت، كأنه خرج إلى الهلاك، وزهق[3] السهم إذا جاوز الغرض[4].

والخسار والخسران ضد الربح.

والنأي: البعد، نأى[5] ينأى نأياً[6] بَعُدَ[7].

واليأس ضد الرجاء، ونظيره: القنوط، يأيس أيس يأساً[8].

والشاكلة: الطريقة، والشكل: المثل.

۞ الإعراب

موضع (من) في قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ نصب لإيقاع الفعل عليه وهو «ننزل»[9]، وقيل: (من) صلة لا للتبعيض لأن القرآن كله شفاء كأنه قال: وننزل من[10] القرآن شفاء.

«يؤوسا» نصب؛ لأنه خبر (كان)، [تقديره: كان] الإنسان يؤوسا[11].

(١) الكسرة: ـ، ز.
(٢) وأبو عمرو: وأبو عمر، م.
(٣) وزهق: وهو، ز، ل.
(٤) الغرض: ـ، ز، ل.
(٥) نأى: نأ، ل.
(٦) نأياً: انا، ل.
(٧) بعد: ـ، م.
(٨) يأيس أيس يأساً: أليس يأيس أيساً، ز، أيس يأيس أيساً، ل؛ يأيس يأيس يأساً، ب.
(٩) ننزل: منزل، ب.
(١٠) وننزل: وننزل من، ل.
(١١) الإنسان يؤوسا: ـ، ز.

۞ النظم

يقال: كيف اتصل[1] قوله[2]: «**وإذا أنعمنا على الإنسان**[3]» بما قبله من ذكر القرآن؟

قلنا: يعني أعرض عن سائر ما أنعم عليه كما أعرض عن النعمة[4] بالقرآن.

۞ المعنى

ثم أمر تعالى أن يظهر الحق ويحاجهم بالقرآن الذي أنزل عليه، فقال سبحانه: «**وَقُلْ**» يا محمد «**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**» وقيل: ظهر الحق وهو الإسلام دين الله، وبطل الباطل وهو الشرك، عن السدي. وقيل: جاء الحق القرآن، وزهق الباطل[5] بطل الشيطان وهو الباطل، عن قتادة. وقيل: الحق الجهاد، عن ابن جريج. «**إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**» يعني سبيل الباطل أن يهلك، عن ابن مسعود لما[6] افتتح رسول الله صلى الله عليه[7] مكة وجد حول البيت ثلاثمائة[8] وستين[9] صنماً، صنم كل قوم بحيالهم، وفي يده ﷺ قضيب، فجعل[10] يأتي الصنم فيطعن[11] في عينه أو بطنه[12] ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل»، فجعل الصنم ينكب[13] لوجهه وأهل مكة يتعجبون ويقولون في أنفسهم: ما رأينا أسحر من محمد.

---

(١) اتصل: يتصل، ز، ل.
(٢) قوله: كلمة غير واضحة في و.
(٣) على الإنسان: +، ز، ل.
(٤) النعمة: بالنعم، ز، ل.
(٥) وقبل ظهر الحق... وزهق الباطل: ـ، ل.
(٦) لما: فلما، ز، ل.
(٧) صلى الله عليه: +، ب، ل، و.
(٨) ثلاثمائة: ثلاثمائة صنم، ز، ل.
(٩) وستين: وسبعين، ز.
(١٠) فجعل: وجعل، ز.
(١١) فيطعن: فيطعنه، ز.
(١٢) أو بطنه: وبطنه، ب، و.
(١٣) ينكب: ينكت، ب، ز، و.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ يعني: ننزل بالقرآن[١] ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾، وجه الشفاء في القرآن وجوه:

منها: ما فيه من[٢] البيان الذي يزيل[٣] عمى الجهل وحيرة الشك.

ومنها: أنه برهان وجهة[٤] المعجز[٥] يدل على صدقه ﷺ[٦].

ومنها: أنه يدفع[٧] الله به كثيراً من المكاره.

ومنها: ما في تلاوته[٨] من الأجر والثواب.

ومنها: ما فيه من أدلة التوحيد والعدل وبيان الشرائع والأمثال والحكم.

﴿وَرَحْمَةٌ[٩]﴾ أي: نعمة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ[١٠]﴾ وخصهم به لأنهم هم المنتفعون به وإلا فهو رحمة للجميع ﴿وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً[١١]﴾ يعني لا يزيد هذا القرآن الكافرين إلا خسراناً لأنه يكفر به ولا يعيه، وقيل: «خسارا» ضلالاً، وقيل: هلاكاً، عن الأصم. وقيل: لا يزيد ترك[١٢] العمل به وترك قبوله[١٣] إلا عمى لمن[١٤] لم يعمل به ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾ يعني الكفار، فهو عام والمراد به الخاص، أعرض عن ذكر الله عز وجل وعن الشكر ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ أي: بعد بنفسه عن القيام

---

(١) بالقرآن: القرآن، ل.
(٢) من: ـ، م.
(٣) يزيل: ينزل، ز.
(٤) وجهة: وجهه المعني، ز.
(٥) المعجز: ـ، ز، ل.
(٦) صلة الله عليه وآله وسلم: ـ، ب.
(٧) يدفع: ينفع، ب، م، و.
(٨) ما في تلاوته: ما يأتي، ز، ل.
(٩) ورحمة: والرحمة، ز، ل.
(١٠) للمؤمنين: المؤمن، ز؛ للمؤمن، ل.
(١١) إلا خسارا: ـ، ز، ل.
(١٢) يزيد ترك: يزيدك، ز.
(١٣) قبوله: قوله، ل.
(١٤) لمن: أن، ب، و.

بحقوق[١] نعم الله تعالى، وقيل: تباعد منا[٢]، عن مجاهد. وقيل: تعظّم وتكبّر[٣]، عن عطاء. «وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ» المضرة والشدة «كَانَ يَؤُوساً» قيل: فهو[٤] قانط من[٥] الفرج والروح، عن ابن عباس، وقتادة. فذم الإنسان بأنه[٦] يعصي عند النعمة[٧]، ويقنط عند الشدة، ولا[٨] يثق بفضل الله في الحالين ولا يشكره، وهذا[٩] صفة الكافر الذي لا يعرف الله تعالى[١٠] حق معرفته، وسمى الأمراض والبلايا والفقر شراً؛ لأنه شر عند الكفار، ولأن[١١] الطباع تنفر[١٢] عنه وتكرهه، وإلا فهو في الحقيقة صلاح وخير وحكمة، وتحصل عليه من الأعواض[١٣] الجسيمة ما يتمنى المرء أن تكون جميع أيامه كان[١٤] كذلك، وحذف[١٥] ذكر المؤمن لدلالة الكلام عليه، وأن صفته بخلاف[١٦] هذه الصفة، فإنه يشكر عند النعمة، ويصبر وينتظر الفرج عند الشدة «قُلْ» يا محمد «كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ» أي: كل أحد من المؤمن والكافر يعمل على طريقته وسنته التي يختارها[١٧] لنفسه، عن الفراء، والأصم. وقيل: ما هو أشكل بالصواب وأولى بالحق عنده، عن أبي علي. وقيل: على طبيعته، عن مجاهد،

---

(١) بحقوق: بحقق، ز.
(٢) منا: عنا، ب، ل، و.
(٣) تعظم وتكبر: تكبر وتعظم، ب.
(٤) فهو: وهو، ب.
(٥) قانط من: صامن، م؛ قنوطاً من، ز، ل.
(٦) بأنه: أنه، ل.
(٧) النعمة: النعم، ل.
(٨) ولا: فلا، ل.
(٩) وهذا: هذه، ز، ل.
(١٠) تعالى: ـ، ز، ل.
(١١) ولأن: فلأن، ز.
(١٢) تنفر: ينفر، ز.
(١٣) الأعواض: الأعراض، ز.
(١٤) كان: يكون، ب، و؛ آياته، ز؛ أيامه، ل.
(١٥) وحذف: ويحذف، ل.
(١٦) بخلاف: تخالف، ز، ل.
(١٧) يختارها: يختار، ب، م، و.

وأبي عبيدة، والقتيبي. وقيل: على عادته التي ألفها، وقيل: على دينه، عن ابن[1] زيد. أي: يعمل على طريقته فيما يدين به، وقيل: يعمل الأليق بطريقته «**فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً**» أي: الله أعلم بالطريق الذي هو أهدى سبيلاً[2]، وأصوب وأحق، وقيل: الله أعلم بالمصيب والمخطئ.

الأحكام

يدل قوله: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ على وجوب النظر ليميز الحق من الباطل، ويعتقد الحق ويجتنب الباطل.

ويدل قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ أن القرآن محدث، وأنه شفاء في الدين[3] ورحمة، فتدل[4] على أنه يصح أن يعمله، وأن ما خالفه باطل[5].

ويدل قوله: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا﴾ على وجوب الإنقطاع إلى الله تعالى وانتظار الفرج من جهته، وذم القانط من رحمته، وقد روي: «انتظار الفرج عبادة».

وتدل على أن عادة الكفار البطر عند النعمة واليأس عند الشدة، وأن عادة المؤمن خلاف ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

---

(١) ابن: أبي، ب.
(٢) سبيلا: ـ، ز، ل.
(٣) في الدين: ـ، ب، و.
(٤) فتدل: وتدل، ب، ز، ل.
(٥) باطل: الباطل، ب.

اللغة

الروح: أصله من الريح، وبناؤه من الفعل فعل بضم الفاء، وقيل: من الأسماء المشتقة[1] من الأفعال أن يضم أوله ويكسر والمعنى واحد، كقولهم: شُرب وشِرب[2]، قال أبو علي: فقلبت الواو ياء في الريح بكسر[3] الراء، ولهذا قيل في الجمع أرواح كما[4] يقال في جمع[5] الروح: أرواح[6]، ولهذا جاز النفخ[7] في الروح، كما جاز في الريح[8]، والروح يقع على أشياء[9] روح الإنسان، وهو جسم رقيق، أي: يدخل مخازيق[10] الإنسان ويخرج منه، هذا هو مذهب مشايخنا، وقيل: الروح[11] الإنسان، وهو الحي، عن أبي بكر أحمد بن علي الإخشيد، وقيل: الروح: الحياة، عن أبي الهذيل، وقيل: الروح في الإنسان، وهو معنى في القلب، وقيل: بل شارك بهذا الجسد[12]، والروح جبريل، لأن الدين[13] يحيا به، والقرآن روح؛ لأنه حياة الدين.

والوكيل: من وكلت الأمور إليه، واعتمدت عليه.

الإعراب

«رحمة» نصب على المصدر؛ أي: رحم رحمة.

(١) المشتقة: المشبهة، ل.
(٢) وشِرب: وشيرب، ب.
(٣) بكسر: مكسورة، ز، ل.
(٤) قيل في الجمع أرواح كما: ـ ، ز، ل.
(٥) جمع: جميع، ز، ل.
(٦) أرواح: رواح، ز، ل.
(٧) النفخ: الفتح، ز.
(٨) كما جاز في الريح: ـ ، ل.
(٩) أشياء: ـ ، م.
(١٠) مخازيق: مخازق، ز، ل.
(١١) الروح: الروح في، ز.
(١٢) الجسد: بالحد، ز؛ في هذا الحد، ل.
(١٣) الدين: ـ ، ل؛ الذي، ز.

۞ النزول

قيل: قالت اليهود للنبي ﷺ: أخبرنا ما الروح؟ فنزلت الآية، عن ابن عباس.
وقيل: قالت اليهود للمشركين[1]: اسألوه عن الروح فإن أجابكم عنه فليس بنبي.
وقيل: إن في كتابهم: إن أجاب عنه[2] فليس بنبي، حكاه الأصم[3].

وقيل: قالوا: اسألوه عن الروح وعن[4] فتية فقدوا في أول[5] الزمان، وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها، فإن أجاب عن كله فليس بنبي، وإن لم يجب عن شيء فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وأمسك عن بعض فهو نبي، فسألوه، فنزلت: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ [الكهف: ٨٣]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ [الإسراء: ٨٥].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر القرآن اتصل به سؤالهم عنه، فقال تعالى: «وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ» ولا خلاف أن المسئول محمد ﷺ، واختلفوا في السائل، قيل[6]: قوم من اليهود، عن قتادة. وقيل: المشركون، عن الزجاج[7]. واختلفوا في الروح المسئول عنه[8]، قيل: هو جبريل، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وقال قتادة: كان ابن عباس يقول: إنها مكية، وسألوه[9] عن تفصيل صفاته[10] وكيف يأتيه، فقيل: ملك له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، يسبح الله بجميع ذلك، عن أمير

(١) للمشركين: المشركين، ز.
(٢) عنه: عن الروح، ز، ل.
(٣) حكاه الأصم: عن الأصم حكاه، ز، ل.
(٤) وعن: من، ز، ل.
(٥) أول: ـ، ز.
(٦) قيل: فقيل، ب، ل، م.
(٧) الزجاج: الروح، ز.
(٨) عنه: فيه، ل.
(٩) وسألوه: ويسألوه، ز.
(١٠) صفاته: صفاتيه، ل.

المؤمنين علي[1](عليه السلام). وقيل: خلق من خلق الله[2] يأكلون ويشربون، عن مجاهد. وقيل: الروح روح الحيوان وعنه سئل، عن ابن مسعود، وابن عباس وجماعة، وهو قول أبي علي. وقيل: الروح: القرآن، سألوه عن كيفيته ونظمه وترتيبه ومن أتاه به، عن الحسن، والأصم، وأبي مسلم.

ومن قال: السؤال وقع عن روح[3] الحيوان اختلفوا، فقيل: السؤال وقع عن تفسير الروح، وقيل: لا بل وقع عن[4] كيفية الإدراك، وأن الإدراك يختلف، والروح واحد، وعن وجه حاجة الحياة إليه، وكان في كتبهم أن آية[5] نبوته أنه إذا سئل[6] عنه لا يجيب.

«**قُلِ**» يا محمد «**الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**» قيل[7]: من الأمر الذي يعلمه ربي ولم يجبهم[8]، عن أبي علي. وقيل: القرآن من أمر ربي، والعلم بكيفية نظمه حتى صار معجزاً يختص به القديم تعالى، عن أبي مسلم. وقيل: من خلق ربي أي الروح الذي يحيا به الإنسان خلق الله، عن أبي صالح. وذكر أنه أجاب عن سؤالهم بأن الروح مخلوقة، وقيل: القرآن من وحي ربي، عن الحسن. وقيل: جبريل من خلق ربي، وجميع ذلك ما لا يقدر عليه غير الله تعالى «**وَمَا أُوتِيتُمْ**» أعطيتم[9] «**مِنَ الْعِلْمِ**» قيل: خطاب عام للجميع، وقيل: خطاب لليهود، قيل: فلما سمعوا قالوا: كيف تزعم ذلك وقد أعطانا الله التوراة، فقال[10]: «التوراة في علم الله قليل»، «**إِلاَّ قَلِيلاً وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**» ومعناه أني أقدر أن آخذ ما أعطيك، كما منعته من غيرك،

(١) علي: ـ ، ل.
(٢) خلق الله: ـ ، ز.
(٣) روح: ـ ، ز، ل.
(٤) عن: على، ز.
(٥) أن آية: أبانة، ل.
(٦) سئل: سأل، ز، ل.
(٧) قيل: قل، ز.
(٨) يجبهم: يحيهم، ز.
(٩) أعطيتم: ـ ، ب، و.
(١٠) فقال: قال، ل.

لكني دبرتك[١] بالرحمة لك، فأعطيتك ما تحتاج إليه ومنعتك ما لا[٢] تحتاج إليه، وقيل: بمحونا[٣] من القلوب والكتب حتى لا يبقى[٤] له أثر **«ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً»** أي: ناصراً ينصرك فيرده عليك، وقيل: كفيلاً، عن أبي علي. وقيل: لا تجد ما تعتمد بصحة نبوتك حينئذ، وقيل: حافظاً[٥] يحفظه لك، عن الأصم. **«إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ»** أي: لكن ذلك من رحمة ربك، أي: أنزله عليك وحفظه، وجعله معجزة له **«إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً»** يعني نعمة عظيمة[٦] عليك.

۞ الأحكام

تدل الآية على سؤالهم عن الروح، والصحيح أن المراد به القرآن؛ لأن ما قبل[٧] الآية وما بعدها في ذكر القرآن، وقوله: **«من أمر ربي»** جواب عن سؤالهم؛ أي: أنه أحدثه لا يقدر عليه غيره.

وتدل على حدث القرآن؛ لأنه من أمر الله، ولأن ما جاز أن يذهب به يكون محدثاً؛ إذ العدم على القديم لا يجوز.

وتدل على أنه قادر على إذهابه من القلوب، ومع[٨] بقاء التكليف لا يجوز أن يذهب به إلا على التدريج.

وتدل على أنه يحفظه؛ إذ لو جاز عليه الزيادة والنقصان على ما تزعمه[٩] الإمامية لكان ذهب بعضه.

---

(١) دبرتك: بقربك، ز، ل، قربك، ب، و.
(٢) ما لا: بألا، ز.
(٣) بمحونا: لمحونا، ز.
(٤) يبقى: يوجد، ب، ز، ل، و.
(٥) حافظاً: حافظ، ل.
(٦) عظيمة: عطية، ب، و.
(٧) ما قبل: قيل، ز، و.
(٨) ومع: ومن، ز، ل.
(٩) تزعمه: يزعمه، ز.

وذكر أبو علي أن السؤال وقع عن روح الإنسان[1]، وكان في كتبهم أن[2] علامة كونه نبياً أن لا يجيب لهذا[3]، ولا شبهة أن الروح موجود، وأنه جسم لطيف، وأنه يحيا به الإنسان، وهو النفس المتردد في مخارق الإنسان، وأنها مخلوقة، والإشكال في موضعين:

أحدهما: حاجة الحياة إليه على سبيل الوجوب أم الجواز بالعادة، فعند بعضهم على الوجوب، ووجه ذلك غير معلوم إلا لله[4] تعالى، والذي اختاره القاضي: أن الحاجة للعادة فهو كالطعام والشراب.

وثانيها: كيفية الإدراك فإن عند الإدراك[5] لا تقع به[6]، وإنما تقع[7] بكونه حياً، فإذا كان جميع ذلك معلوماً يتكلم فيه المتكلمون فيبعد أن يقال: لا يعرفه الرسول، بل لا بد أن يعلم حقيقة ذلك، بل جماعة من أصحابه، وإنما لم يجبهم ووكلهم إلى ما في عقولهم للمصلحة[8]، أو لما[9] في بيانه من المفسدة، أو لأن في ترك بيانه تقوية للنبوة على ما روي، وهذا كله مذهب أبي علي.

فأما إذا قلنا: إن السؤال وقع عن القرآن، وقد جاء الجواب، فذلك ظاهر.

قوله تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

---

(١) الإنسان: إنسان، ز.
(٢) أن: أن لا، ز.
(٣) لهذا: بهذا، ز.
(٤) لله: الله، ز.
(٥) فإن عند الإدراك: +، ز، ل.
(٦) به: بلا، ز.
(٧) تقع: يقع، ز.
(٨) للمصلحة: ـ، ز، ل.
(٩) أو لما: ولما، ل.

❁ اللغة

الظهير: المعين، وهو المظاهر[١] من المظاهرة المصدر، وأصله من الظهر، كأن كل واحد يسند[٢] ظهره إلى ظهر صاحبه يتقوى[٣] به.

والتصريف: يصير الشيء دائراً في الجهات، وتصريف الكلام دائراً في المعاني المختلفة، يقال: صرفه تصريفاً.

والكفر والكفور واحد، وهما مصدران: كَفَر[٤] كُفُوراً[٥]، نحو: شَكَرَ[٦] شُكُوراً، وخرج خروجاً، وكفراً[٧] نحو شرباً.

❁ الإعراب

«**لا يأتون**» محله رفع، لأنه غلب جواب القسم على جواب (**إن**) لوقوعه في صدر[٨] الكلام، وقيل: يجوز أن[٩] يجزم على جواب (**أن**) إلا أن الرفع الوجه.

❁ النزول

قيل: نزلت الآية حين قال الكفار: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ **[الأنفال: ٣١]**، فأكذبهم الله تعالى[١٠].

وعن[١١] ابن عباس: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن القرآن أهو من عند الله؟ أم من عند غيره؟ فنزلت الآية.

---

(١) المظاهر: المظاهرة، م.
(٢) يسند: يستزيد، ز، ل، م.
(٣) يتقوى: فيتقوى، ل.
(٤) كفراً: كفر، ل.
(٥) كفورا: وكفورا، ز، ل، م، و.
(٦) شكر: شكراً. ب، م؛ ل.
(٧) وكفرا: وكفر، ز.
(٨) صدر: مصدر، ب، و.
(٩) أن: +، ز.
(١٠) تعالى: ـ ، ل.
(١١) وعن: عن، ز، ل.

۞ المعنى

ثم بين تعالى وجه الإعجاز في القرآن وصحة نبوته، قال الأصم وأبو مسلم: وذلك يدل على أن الروح المسئول عنه القرآن، لأنه من تمام ما أمر الله[1] به نبيه[2] أن يجيبهم به، فقال: «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ» كلهم «وَالْجِنُّ» كلهم «عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ» أي: شبهه في رتبة الفصاحة، ودرجة البلاغة، وحسن نظمه، وجودة معانيه، وخلوه عن لفظ مستخف ومعنى مدخول أو مناقضة بخلاف كلام العباد، عن أبي علي. «لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» لا يقدرون على ذلك وإن قدروا على الكلام بلغة العرب «وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» معيناً[3] على ذلك «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ» قيل[4]: كررنا فيه البينات وما يحتاج إليه، عن الأصم. وقيل: ذكرنا فيه كل صنف من أصناف الدلالات والأمر والنهي والوعد والوعيد وسائر ما يحتاج إليه على اختلافها «مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» قيل[5]: من أخبار القرون، وقيل: من كل ما يحتاج إليه من الأمثال والدلائل والعبر والأحكام «فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً» أي: جحوداً[6] للحق وإنكاراً، والمثل يكون الشيء بعينه ويكون صفة الشيء ويكون[7] شبهه.

۞ الأحكام

الآية تدل على إعجاز القرآن وأنه تحداهم بمثله، وعجزوا عنه مع حرصهم على إبطال أمره، فعدولهم[8] عن المعارضة الدالة على بطلان أمره مع سهولته إلى الشاق على النفس والمال مع أنه لا يدل على بطلان أمره وهو القتال، دليل على أنهم عدلوا للعجز.

---

(١) الله: +، ز، ل.
(٢) به نبيه: ـ، ز، ل.
(٣) معينا: معنا، ز.
(٤) قيل: أي، ل.
(٥) قيل: وقيل، ب، ز، ل، م، و.
(٦) جحودا: جحدوا، ز.
(٧) ويكون: فيكون، ز، ل.
(٨) فعدولهم: فعدلوهم، ز، ل، و.

والذي يحقق ذلك أنه يتحدى به الأئمة والعلماء إلى زماننا هذا مع كثرة مخالفي الإسلام وأعدائهم، ومع قصد جماعة لإيراد المعارضة، وعجزهم عنها دليل على صحة ما قلنا.

والعمدة في ذلك أن يبين أنهم عجزوا عن مثله، وأن ذلك المعجز[(١)] بمنزلة تأنيثه[(٢)] به من سائر الكلام، ومعلوم أنه تحداهم به، ولو لم يتحد لكانت[(٣)] هذه الآية وأمثالها كافية، وجعل ذلك علامة نبوته، وأن دواعيهم كانت متوفرة للمعارضة، فلما لم يعارضوا علم عجزهم عن ذلك.

وتدل على كذبهم أنه كلام بشر.

وتدل على حدثه؛ لأنه قادر على مثله؛ إذ لولا ذلك لما قدر هو على مثله كما لم يقدر غيره.

وتدل على مباينته لسائر[(٤)] المعجزات من وجوه:

منها: بقاؤه إلى آخر التكليف.

ومنها: اشتماله على جميع ما يحتاج إليه من الأمور الدينية، ثم قد يكون الكلام فصيحاً في موضع، فإذا نزل موضعاً آخر لا يكون كذلك، والقرآن بعضه أمر، وبعضه نهي، وبعضه خبر، وبعضه أحكام، وبعضه أمثال، ثم الجميع يستوي في الفصاحة، وحسن اللفظ والمعنى.

وتدل على أن الإباء والكفران[(٥)] فعل العبد، فيصح[(٦)] قولنا في المخلوق، والمصلحة في ذلك وجوه:

أحدها: فضيلة للنبي[(٧)] حتى بقيت معجزاته مقرونة بشرائعه وأحكامه، بخلاف سائر الأنبياء.

---

(١) المعجز: العجز، ز.
(٢) تأنيثه: يأنث، ب، م، و.
(٣) لكانت: لكان، ز، ل.
(٤) لسائر: بسائر، ز.
(٥) والكفران: والكفر، ز.
(٦) فيصح: فصحح، ب؛ فتصحح، ز، م، و.
(٧) النبي، ب، م، و.

وثانيها: أن شرائعه كانت باقية فبقيت معجزاته حتى يكون قيام ذلك كقيام صاحب الشرع.

وثالثها: كونه نعمة حيث كان طريقاً إلى الحق والدين، وتقرير إعجاز القرآن كونه ﷺ هو[1] الذي كان بمكة وهاجر إلى المدينة وادعى النبوة، وجاء بالقرآن معلوم ضرورة لا يقع فيه شبهة يبقى[2] الكلام في مواضع يسألون عنها:

منها: قولهم: لم قلتم إن دواعيهم كانت[3] متوافرة على المعارضة ولم يفعلوا؟

ومنها: لِمَ قلتم: إنهم لم يعارضوا في الحال ولا بعده.

ومنها: ما الأمان أن **يقدر الجن**[4] والإنس[5] على المعارضة؟

ومنها: لم قلتم إن التعذر لأجل مزية القرآن[6] ترجع إليه؟

ومنها: كيف علم المعجز أنه معجز حتى لزمهم اتباعه؟

ومنها: وجه إعجاز القرآن، وهي[7] ثمانية فصول، بمعرفتها يتم معرفة إعجاز القرآن.

أما الأول: فيقال: لم قلتم: إنه تحدى؟

قلنا: لوجهين:

أحدهما: ما علم ضرورة.

والثاني: ما فيه من آيات التحدي، ومن مشايخنا من قال: إنه وإن لم يتحد كان يجب إذا سمعوا كلاماً مثل هذا الكلام أن يأتوا بمثله؛ لأن هذه الطباع بنيت على

---

(١) هو: وهو، ب، م، و.
(٢) يبقى: ينفي، ب، ل، و، م.
(٣) كانت: ـ ، ل.
(٤) الجن: الحق، ب.
(٥) والإنسن: ـ ، ب، ل، و.
(٦) القرآن: ـ ، ب، م، و.
(٧) وهي: نهي، ب، هي، ل.

ذلك، ثم المتكلمون كلهم من وقت الصحابة إلى هذا الوقت يتحدون وذلك[١] كاف[٢] في التحدي.

ويقال: كيف يصح التحدي بالكلام، وهو مقدور[٣] للجميع؟

قلنا: معلوم تفاضل الفصحاء في الفصاحة لنظمه، وحسن معانيه، فإذا خرج عن[٤] المعتاد جاز التحدي به.

وأما الفصل الثاني: يقال: من أين أن[٥] المعارضة تعذرت عليهم؟

قلنا: علمنا توفر دواعيهم من كل وجه إلى المعارضة مع حرصهم على إبطال أمره، وعلمهم بأن الغرض يحصل بالسهل، فعدولهم إلى الشاق دليل على عجزهم.

وأما الثالث: يقال لهم[٦]: لِمَ قلتم: إن دواعيهم كانت متوفرة؟

قلنا: جميع أقسام الدواعي كانت حاصلة حتى لو ادعى الإلجاء صح:

فأحدها: أن من قرع بالعجز عن الشيء ولا مانع فالتقريع يحرك طبعه.

وثانيها: أن المقرع من أهله والمنافسة بين الأقارب[٧] أشد.

وثالثها: أن يكون المقرع ممن تتم له[٨] الرئاسة العظيمة.

ورابعها: أن يكون صارفاً لهم عن عادات وأغراض.

وخامسها: أن يكون مقبحاً لطريقتهم مضيفاً للنقص إليهم، وتسفيه عقولهم، وسب آلهتهم، وتقبيح ما كانوا يدينون به هم وأوثانهم[٩].

---

(١) وذلك: ذلك، م.
(٢) كاف: كان، ل.
(٣) مقدور: معد به، ل.
(٤) عن: ـ، ل.
(٥) أن: ـ، ل.
(٦) لهم: ـ، ل.
(٧) الأقارب: الأوقات، م.
(٨) تتم له: بترك، ل.
(٩) وأوثانهم: وآباؤهم، ب، ل.

وسادسها: أن يكون موجباً لطاعتهم له وانقيادهم لأمره ونهيه.

وسابعها: أن يخوفهم بأعظم الوعيد، ويرغبهم بأعظم الوعد.

وثامنها: أن يكون جامعاً لرئاسة نفسه، مبطلاً لرئاستهم.

وتاسعها: أن يكلفهم[1] حقوقاً في النفس والمال، وما ينفر طبائعهم عنها.

وعاشرها: أن ينزل بهم الذل والاستخفاف إذا هم عدلوا عن اتباعه.

وحادي عشرها: أن ينقص[2] منهم فيما يتفاخرون به من الفصاحة.

وثاني عشرها: أن يحوجهم إلى الإخلال بالأوطان، ومفارقة الأهل والعشيرة.

وثالث عشرها: أن يحوجهم إلى المقاتلة مع ما فيه من المخاطرة.

ورابع عشرها: أن توظف[3] عليهم الجزية مع ما فيه من الصغار.

وخامس عشرها: أن يبيح دماءهم وأموالهم وسبيهم[4] وسبي ذراريهم، وكل ذلك داع إلى المعارضة خصوصاً مع ما جبلت[5] عليه العرب[6] من الحمية والتباعد من العار[7].

فأما الفصل الرابع: يقال: لم قلتم: لم يعارضوه؟

قلنا: لو عورض لنقل؛ إذ الدواعي كانت إلى نقل المعارضة أكثر من الدواعي إلى نقل القرآن من وجوه:

منها: أن القرآن كان شبهة، ومعارضتهم حجة.

---

(١) أن يكلفهم: تكليفهم، ل.

(٢) ينقص: نقص، ل، م، و.

(٣) توظف: توصف، ل، م.

(٤) وسبيهم: ـ ، ل.

(٥) جبلت: جلبت، ب.

(٦) العرب: العرب من العرب، ل.

(٧) العار: كتب فوق لفظة (العثار) لفظة: العار، م، و؛ العثار العار، ب؛ العثار، ل.

ومنها: أن أعداءه كانت أكثر.

ومنها: أنهما كانا في عهد واحد، فيستحيل أن يقع النقل في أحدهما دون الآخر.

ومنها: أن[1] المعارضة الركيكة نقلت عما[2] روي عن مسيلمة وغيره، ولو كان ثم معارضة صحيحة لكان بالنقل أولى.

فأما الفصل الخامس: يقال: ما الأمان أن في الجن من يقدر عليه؟

قلنا: الجواب عنه[3] من وجهين:

أحدهما: أنا نعتبر نقض عادتنا.

والثاني: أن الجن تعرف[4] بالقرآن وتعلم، فلا[5] معجزة إلا ويصح هذا السؤال عليه[6].

فأما الفصل السادس: فيقال: لم قلتم: إن المعجز[7] لمزية القرآن بخلاف المعتاد؟

قلنا: لولا ذلك لأتوا به وإن قرب منه، ولقالوا: فضل ما بين القرآن وكلامنا يفضل ما بين كلام بعضنا لبعض لكان مخرج[8] من كونه حجة، فدل أنه اختص بمزية من الفصاحة[9] خارجة عن العادة من حال العرب ما ذكرنا.

[.....][10]

---

(١) أن: ـ، ل.
(٢) عما: كما، ل.
(٣) عنه: عليه، ب.
(٤) تعرف: يعترف، ب، و.
(٥) فلا: ولا، ب، و.
(٦) إلا ويصح هذا السؤال عليه: إلا هذا السؤال يصح عليه، ل.
(٧) المعجز: المعجزة، ل.
(٨) يخرج: مخرج، ب، ز، م، و.
(٩) الفصاحة: ـ، ل.
(١٠) ملاحظة: لم يذكر الفصل السابع في جميع النسخ المتوفرة لدينا.

فأما الفصل الثامن[١]: فعندنا وجه الإعجاز أنه اختص بمزية من الفصاحة خارجة عن العادة، فلا رتبة في[٢] الفصاحة أعلى من رتبة القرآن، ومنهم من قال: وجه الإعجاز منعهم أن يأتوا بمثله، وصرفهم عن ذلك[٣]، ومنهم من قال: بل ما فيه من أخبار الغيوب، ومنهم من قال: نظمه معجز، وإذا ثبت عجزهم فلأي وجه ثبت تم الغرض.

والكلام في هذا يختص كتب الكلام إلا أنا أشرنا إلى جملة ليقف الناظر في كتابنا هذا من كل علم على جملة.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «**تفجر**»[٤] بفتح التاء، وسكون الفاء[٥]، وضم الجيم مخففة، واختاره أبو حاتم، قال: لأن الينبوع واحد، وقرأ الباقون بالتشديد وضم التاء وكسر الجيم[٦] وفتح الفاء على التفعيل الذي هو[٧] التكثير، واختاره[٨]

(١) الثامن: الثاني، ل.
(٢) في: في أعلى، ب، ل، و.
(٣) ومنهم من قال... وصرفهم عن ذلك: ـ، ل.
(٤) تفجر: ـ، م.
(٥) الفاء: ـ، ل.
(٦) مخففة واختاره... وكسر الجيم: ـ، ب.
(٧) للنبي حتى بقيت معجزاته مقرونة بشرائعه وأحكامه... التفعيل الذي هو: ـ، ز.
(٨) واختاره: ـ، ل.

أبو عبيد، ولم يختلفوا في الثانية أنها مشددة لأجل الأنهار، إلا أن التشديد يدل[١] على التكثير.

واختلفوا في «**كسفا**» فقرأ أبو جعفر وابن عامر بفتح السين هاهنا وسائر القرآن بسكونها، وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم هاهنا وفي (الروم) بفتح السين، وباقي القرآن بسكونها[٢]. وقرأ حفص عن عاصم[٣] سائر القرآن بفتح السين إلا في (الطور) فقرأها ساكنة السين. وقرأ[٤] ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في سورة (الروم) بفتح السين، وسائر القرآن بسكون السين، ولم يقرأ في (الروم) بسكون السين غير أبي جعفر[٥] وابن عامر، والمعنى واحد، إلا أن بفتح[٦] السين جمع تقليل، وبسكونها[٧] جمع تكثير، واحدها: كسفة، وهو القطعة، يقال: أعطني كسفة[٨] من هذا الثوب، ومنه: الكسوف[٩] لانقطاع[١٠] النور، ويجوز أن يكون الكسف[١١] مصدر كسفت[١٢] الشيء[١٣] إذا غطيته، لأنك قطعته بالغطاء عن غيره.

وقرأ ابن كثير وابن عامر: «**قال[١٤] سبحان**» بالألف على الخبر، وعليه مصاحف مكة والشام، يعني: أن محمداً[١٥] قال. وقرأ الباقون على الأمر.

---

(١) يدل: ـ، م.
(٢) وقرأ نافع وأبو بكر... بسكونها: ـ، ل.
(٣) عاصم: وعاصم، ز، ل.
(٤) قرأ: ـ، م.
(٥) أبي جعفر: أبو جعفر، ز.
(٦) بفتح: يفتح؛ ب، ز، ل، م، و.
(٧) وبسكونها: وسكونها؛ ب، ز، ل، م، و.
(٨) وهو القطعة يقال أعطني كسفة: ـ، ل.
(٩) الكسوف: والانكساف، ل، و.
(١٠) لانقطاع: والانقطاع، ز، ل.
(١١) الكسف: التكسف، ل، و.
(١٢) كسفت: كسف، ل.
(١٣) الشيء: الشمس، ب، ز، ل، م، و. وما أثبتناه من: التبيان في تفسير القرآن؛ للطوسي: ٦/ ٥١٢، وتفسير الرازي: ١٠/ ١٣٥، والمحرر الوجيز: ٤/ ٢٧٦.
(١٤) وقال: ـ، ب، م.
(١٥) محمدا: محمد، م.

۞ اللغة

التفجير: التشقيق عما يجري من ماء أو ضياء، ومنه سمي الفجر؛ لأنه ينشق عن عمود الصبح، ومنه: الفجور؛ لأنه خروج إلى الفساد[1] بشق عمود الحق.

والينبوع: يفعول[2] من نبع الماء ينبع وهو نابع، وجمعه: ينابيع، والينبوع: عين تنبع بالماء أي: تفور.

والقبيل: المقابلة، قال الفراء: هو من قول العرب: لقيت فلاناً قبلاً، أي: معاينة، والعرب تجريه في هذا المعنى مجرى الصفة، فلا[3] يثنى ولا يجمع ولا يؤنث.

والزخرف: الزينة[4]، وأصله: كمال تحسين الصورة، ومنه: ﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤]، يقال: زخرفت الأرض زخرفة.

۞ الإعراب

نصب «**الأنهار**» بوقوع الفعل عليه.

«**خلالها**» نصب على الظرف.

«**تفجيراً**[5]» نصب على المصدر.

«**كسفاً**[6]» نصب على التمييز.

«**رسولاً**[7]» نصب لأنه خبر (كان)؛ أي: كنت بشراً رسولاً.

«**فتفجر**» نصب عطفاً على ما عملت فيه (حتى) أي: حتى تفجر.

---

(١) الفساد: فساد، و.
(٢) عن عمود الصبح... يفعول: ـ، ل.
(٣) فلا: ولا، ز، ل.
(٤) الزينة: الزنة، ز.
(٥) تفجيرا: تفجر، ز.
(٦) كسفاً: وكسفا، ب، ز، ل، و.
(٧) رسولاً: رسلاً، ز.

«ينبوعاً» مفعول.

ونصب[1] «تَسْقط» على تقدير: حتى تسقط، وكذلك: «أو تأتي».

❁ النزول

عن ابن عباس أن جماعة من قريش وهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والأسود[2] بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام[3]، وعبد الله بن أبي[4] أمية، وأمية[5] بن خلف، والعاص بن الوليد، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، والنضر بن الحارث، وأبو البحتري بن هشام، اجتمعوا عند الكعبة، وقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد وكلموه[6] وخاصموه، فبعثوا إليه أن أشراف قومك اجتمعوا لك فبادر، ظناً أنه بدا لهم في أمره، وكان حريصاً على رشدهم، فجلس إليهم، فقالوا: يا محمد، إنا دعوناك لنعذر إليك[7]، ما نعلم رجلاً أدخل على قومه ما أدخلته على قومك، شتمت الآباء، وعبت الدين[8]، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، فإن كنت جئت بهذا تطلب[9] مالاً لنعطيك الأموال، وإن كنت تطلب[10] الشرف سودناك علينا، وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك[11] الأطباء، فقال ﷺ: «ما شيء من ذلك، بعثني الله إليكم رسولاً، وأنزل كتاباً، فإن قبلتم[12] ما جئت به فهو[13] حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه

---

(١) ونصب: ونبعت، ز.
(٢) والأسود: أسود، م.
(٣) هشام: هشا، ز.
(٤) أبي: ـ، ز، ل، م.
(٥) وأمية: ـ، و.
(٦) وكلموه: فكلموه، ز.
(٧) إليك: لك، ل.
(٨) الدين: النبيين، ل.
(٩) تطلب: ـ، ز، م.
(١٠) تطلب: ـ، ز، (بياض)، ل.
(١١) طلبنا لك: حتى تطلب، ب، ز، ل، م، و. وما أثبتناه من تفسير مجمع البيان؛ للطبرسي: ٦/ ٢٦١.
(١٢) قبلتم: قلتم، ز.
(١٣) فهو: وهو، ب، ل، م، و.

أصبر حتى يحكم الله بيننا» قالوا: فإذاً ليس أحد أضيق بلداً منا، فاسأل ربك أن[1] يسير عنا[2] هذه الجبال ويجري فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وابعث لنا من مضى، وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق فنسأله[3] عما تقول أحق[4] ما تقول[5] أم باطل؟ فقال ﷺ: «ما بهذا بعثت»، قالوا: فإن لم تفعل ذلك فخذ لنفسك وسل ربك يبعث ملكاً نصدقك[6]، ويجعل لنا جناناً وكنوزاً[7] وقصوراً من ذهب. فقال ﷺ: «ما بهذا بعثت، جئت بما بعثني به، فإن قبلتم[8] وإلا فالله يحكم بيني وبينكم، بعثت بشيراً ونذيراً»، قالوا: فأسقط علينا السماء كسفاً[9] كما زعمت أن ربك إن شاء فعل[10] ذلك، فقال: «ذلك إلى الله تعالى لو شاء فعل». فقالوا[11]: فإنا[12] لا نؤمن حتى تأتي بالله[13] والملائكة قبيلاً. فقام النبي صلى الله عليه وقام[14] معه عبدالله بن أبي أمية[15] المخزومي، ابن عمته عاتكة بنت[16] عبدالمطلب، فقال[17]: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل، ثم سألوك لأنفسهم أموراً فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل ما خوفتهم[18] به فلم تفعل، فوالله لا نؤمن لك[19] أبداً حتى تتخذ

---

(١) أن: ـ، ب، ل، م، و.
(٢) عنا: ـ، ب، ز، ل، م.
(٣) فنسأله: فنسا، ز.
(٤) أحق: الحق، ل.
(٥) ما تقول: +، ز.
(٦) نصدقك: يصدقك، ز.
(٧) وكنوزاً: ومنوزاً، ز.
(٨) قبلتم: قلتم، ز.
(٩) كسفا: ـ، ب، و.
(١٠) فعل: جعل. ب، م، و.
(١١) فقالوا: قالوا، ز.
(١٢) فإنا: أنا، ب، و.
(١٣) بالله: الله، ل.
(١٤) وقام: فقام، ز.
(١٥) أمية: ربيعة، ز، ل، م.
(١٦) بنت: ـ، ز.
(١٧) فقال: وقال، ب، و.
(١٨) خوفتهم: تخوفهم، ب.
(١٩) لك: بك، ب، و.

سلماً إلى السماء ثم ترقى فيه وأنا أنظر، وتأتي ومعك نفر من الملائكة يشهدون لك، وكتاب يشهد، وقال أبو جهل: أبى إلا[١] سب[٢] الآلهة وشتم[٣] الآباء، وإني أعاهد الله لأحملن حجراً فإن سجد ضربت به رأسه، وانصرف رسول ﷺ حزيناً لما رأى من قومه، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

۞ المعنى

لما بيّن تعالى فيما تقدم ذكر القرآن وأنه معجز له بيّن في هذه الآيات أنهم لم يتدبروا فيه واقترحوا الآيات، فقال سبحانه: «**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ**» يا محمد «**حَتَّى تَفْجُرَ**» أي: تشقق لنا في أرض مكة فإنها قليلة الماء «**يَنْبُوعاً**» أي: عيناً ينبع منه الماء في وسط مكة «**أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ**» بستان وما تجنه الأشجار، أي: تستره «**مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ**» تشقق[٤] من الماء «**خِلالَهَا**» وسطها «**تَفْجِيراً**» تشقيقاً حتى يجري الماء تحت الأشجار «**أَوْ تُسْقِطَ**[٥] **السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً**» أي: قطعاً، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والأصم، وأبي علي، وأبي مسلم. وقيل: كسفاً جانباً كما زعمت أي: كما خوفتنا به[٦] من انشقاق السماء وانفطارها، وقيل: كما زعمت أنك نبي تأتي[٧] بالمعجزات «**أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً**» قيل: كفيلاً لك على صدق قولك، عن ابن عباس. وقيل: ضامناً، عن الضحاك. وقيل: شهيداً، عن مقاتل. وقيل: هو جمع القبيلة[٨] أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة[٩]، عن مجاهد. وقيل: مستقبلين لنا، عن ابن عباس. وقيل: مجتمعين[١٠] كما يجتمع[١١] القبائل، عن

(١) أبى الا: له إلا، ل: أبى إلا أن، ب، و.
(٢) سب: يسب، ب، ز، م، و.
(٣) وشتم: وتشتم، م.
(٤) تشقق: تشق، ل.
(٥) أو تسقط: وتسقط، ب، ز، ل.
(٦) به: ـ، ل.
(٧) تأتي: ـ، ل، م.
(٨) القبيلة: القبيل، ز، ل، م.
(٩) قبيلة قبيلة: قبيلاً قبيلاً، ز.
(١٠) مجتعين: مجمعين، ز.
(١١) كما يجتمع: +، و.

أبي مسلم. وقيل: مقابلة نعاينهم، عن قتادة، وابن جريج. وهذا يدل على أن القوم كانوا مشبهة مع[١] شركهم «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ» قيل: من ذهب، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وقيل: الزخرف النقوش[٢]، عن الحسن. وروي أن في[٣] قراءة[٤] ابن مسعود: (بيت من ذهب)، ويحمل على أنه فسره به «أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ» أي[٥]: تصعد مرقاة مرقاة[٦]، ورقيت في السلم[٧] أرقى رقياً وهو الصعود فيه «وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ» أي: لو[٨] فعلت[٩] ذلك لا نصدقك «حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَأُهُ» شاهداً بصحة نبوتك «قُلْ[١٠]» يا محمد «سُبْحَانَ رَبِّي» أي: تنزيهاً له من كل قبيح، وبراءةً من كل سوء، والجواب في هذا أنكم تتخيرون الآيات، وهي إلى الله تعالى، وهو أعلم بالتدبير فيفعل الأصلح[١١]، وقيل: تعظيماً له أن يحكم عليه عبيده، لأن له الطاعة عليهم، عن الأصم. وقيل: لما قالوا: تأتي بالله قبيلاً، أو ترقى[١٢] في السماء إلى عند[١٣] الله اعتقدوا أنه جسم، فقال: «سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً» أي: منزه[١٤] عن كونه بصفة[١٥] الأجسام حتى تجوز عليه المقابلة[١٦] والمكان، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: منزه عن أن يفعل المعجزات تابعاً للاقتراحات؛ لأنه

---

(١) مع: على، ز، ل، م، و.
(٢) النقوش: نقوش، ز، ل، م.
(٣) أن في: من، ل.
(٤) قراءة: ـ ، ل، م.
(٥) أي: ـ ، ز، م، و.
(٦) مرقاة: ـ ، ز.
(٧) السلم: السماء، ز، ل، م، و.
(٨) لو: ـ ، ز، ل.
(٩) فعلت: لفعلت، ل.
(١٠) قل: وقل، ل.
(١١) الأصلح: الأصح، ز.
(١٢) ترقى: وترقى، ب، ز، م، و.
(١٣) عند: ـ ، ل، م.
(١٤) منزه: ميزه، و.
(١٥) بصفة: يضم، ز، ل، م.
(١٦) المقابلة: المقلبلة، ز.

يؤدي إلى الفساد العظيم «هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً» أي: ما كنت إلا بشراً[1] ورسولاً فليس[2] في مقدوري ولا مقدور البشر ما يسألون، عن أبي مسلم. وقيل: لا أعرف المصالح لأني بشر فلا أسأل شيئاً إلا بإذن الله[3] سبحانه[4].

۞ الأحكام

تدل الآيات على ذم اقتراح الآيات واستعجال[5] العذاب.

ومتى قيل: لِمَ لم يفعل الله تعالى[6] ذلك؟

فجوابنا: من وجوه:

أحدها: لعلمه أنهم لا يؤمنون وعند ذلك يعذبهم بالاستئصال.

وثانيها: لو لزم الأنبياء إجابة كل مقترح لطال عليه الأمر.

وثالثها: أن المعجز يظهر لأحد شيئين: أولهما[7]: دلالة على النبوة، وبعد ذلك يتبع المصلحة، فإذا علم أن إظهارها مفسدة لا يجوز إظهارها[8].

وتدل على تنزيهه عن كل كلمة قبيحة.

وتدل على أن ما سألوه[9] ليس في مقدور الرسل، لأن قوله: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ يتضمن ذلك.

وتدل على أن اعتقادهم أن الرسول ينبغي أن يكون له مال وزخرف، ولا يجوز بعثة نبي[10] فقير، وهذا جهل، لأن البعثة تتبع المصالح.

وتدل على أن هذه المقالة حديث من جهتهم، فيصح قولنا في المخلوق.

---

(١) بشرا: مبشراً، ل.

(٢) فليس: وليس، ز، م.

(٣) الله: ـ، ز.

(٤) سبحانهُ: ـ ل، م.

(٥) واستعجال: استعمال، ز، م.

(٦) تعالى: ـ، ل، م.

(٧) أولهما: أحدهما، ب، و.

(٨) إظهارها: إظهار، ل، م.

(٩) ما سألوه: ما سألوا، ز، ل.

(١٠) نبي: +، ز، و.

قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب: «**المهتدي**» بإثبات الياء على الأصل، وحذفه الآخرون للتخفيف ودلالة الكلام عليه.

اللغة

الخبو: هدوء النار عن الإلتهاب، وهو سكون لهبها، خبت النار تخبو خبواً إذا سكنت، قال الشاعر:

وَكُنَّا كَالحَرِيقِ[1] أَصَابَ غَابًا فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَزِيدُ سَاعَا[2]

الإعراب

(أن) الأول في محل النصب، والثاني في محل الرفع، تقدير الكلام: منعهم أن يؤمنوا قولهم: أبعث[3] الله بشراً رسولا.

«**مطمئنين**» نصب على الحال، أي: في حال الطمأنينة.

---

(١) كالحريق: كحريق، م؛ تحريق، ز، ل.

(٢) البيت للقطامي التغلبي، وبرواية أخرى:

وكنا كالحريق أصاب غابا فيخبو ساعة ويهب ساعا

انظر: تاج العروس، مادة «سوع».

(٣) أبعث: بعث، ز، ل، م، و.

«**كفى بالله شهيداً**» أي: من شهيد، قيل[١]: قالوا: من يشهد[٢] لك يا محمد أنك رسول الله فنزل قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، حكاه الأصم.

۞ المعنى

ثم بين تعالى بعد ذكر الدلائل أنه لا منع لهم عن الإيمان، وأن الأعذار مرتفعة، والعلل مزاحة، فقال سبحانه: «**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا**» أي شيء منعهم[٣] عن الإيمان، وهو استفهام والمراد الإنكار، أي: لا[٤] شيء يمنعهم منه «**إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى**» قيل: الدلائل، وقيل: أراد القرآن «**إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً**» يعني لم يؤمنوا واعتلوا[٥] بأن الرسول لا يكون من البشر، هذا جهل لأن[٦]، الاعتبار بالمصالح لا يصح[٧]، ولأنه لو أتاهم ملك لكانوا يقولون: أتانا من غير الجنس فيكون فيه سد[٨] باب النبوات إذ لا غاية للتعبد[٩]» «**قل**» يا محمد «**لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً**» قيل: مطمئنين ساكنين قاطنين، لنزلنا إليهم رسولاً منهم، عن الحسن، والأصم. وقيل: مطمئنين إلى الدنيا ولذاتها غير خائفين، ولا متعبدين بشرع؛ لأن المطمئن من زال عنه الخوف، عن أبي علي. يعني لو كان ثم ملائكة على هذه الصفة لنزلنا عليهم ملكاً، وقيل: لو كان أهل الأرض لأنه[١٠] إلى القبول منه أسرع[١١] ملائكة لبعث إليهم ملكاً ليكون[١٢] إلى أنفسهم عنه

---

(١) قيل: +، ب، و.
(٢) يشهد: شهد، ز، ل.
(٣) منعهم: يمنعهم، ب، و.
(٤) لا: ـ، ز.
(٥) واعتلوا: وأعلنوا، ب، و.
(٦) لأن: +، ب، و.
(٧) لا يصح: لا يعم، ب، و.
(٨) سد: ـ، ل، م.
(٩) للتعبد: للتعنت، و.
(١٠) لأنه: لأنهم، ز، ل.
(١١) لأنه إلى القبول منه أسرع: +، ز، ل، م.
(١٢) ليكون: لا يكونون، ب، و.

أسرع، والمصلحة فيه أكثر، عن أبي مسلم. وقيل: لأن اللطف كما هو في البعثة يكون في الجنس[1] لأنهم أعرف بأحواله وأسكن إليه «**قُلْ**» يا محمد لهم «**كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**» أني[2] رسول إليكم، قيل: هذا وعيد لهم من الله، كأنه قيل[3]: هو الحاكم[4] بيننا يوم القيامة فيجازيكم، وقيل: شهادة الله بإظهار المعجزات، عن الأصم. وقيل: يشهد له يوم القيامة[5]، ويجزيه أحسن الجزاء، عن أبي مسلم. وقيل: شهادة الله إظهار[6] المعجزات، عن الأصم[7]. وقيل: شهيداً لأنه أخبر في كتبه أنه رسوله إليكم، عن أبي علي. «**إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**» أي: عالماً بهم «**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**» قيل: من يحكم بهدايته فهو المهتدي بإخلاص العبادة، ومن يحكم بضلاله لم تنفعه ولاية أحد من دونه، وقيل: من يهده الله إلى طريق الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا، ومن يضلله عنها فهو المخذول الذي لا يجد ناصراً، وقيل: من سلك الطريق الذي يدعوه إليه، والهدى هو الدلالة، يعني من كان بالله هادياً ودليله اهتدى[8] بدلالته[9] وهدايته[10] فهو المهتدي الرشيد الواصل إلى الخير والنجاة «**وَمَنْ يُضْلِلْ**» يجده صارفاً ضالاً عن ذلك الطريق فليس له من دون الله من يواليه، عن أبي مسلم. وقيل: إذا أراد الله عقوبته لم يجد ناصراً يمنعه من عقابه «**فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ**» قيل: من يواليهم، وقيل: من ينصرهم «**وَنَحْشُرُهُمْ**» أي: نجمعهم «**يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ**» قيل: يحشر الناس ثلاثة أصناف: مشاة، وركبان، وعلى وجوههم، روي مرفوعاً.

(١) الجنس: الحسن، ب.
(٢) أني: أي، ل، م؛ أنه: ب، و.
(٣) قيل: قال، ب، ز، و.
(٤) الحاكم: يحاكم، ز.
(٥) فيجازيكم وقيل... يوم القيامة: ـ، ز، ل، م.
(٦) إظهار: بإظهار، ز.
(٧) شهادة الله إظهار المعجزات عن الأصم: ـ، ز، ل م.
(٨) اهتدى: أهدى، ز.
(٩) بدلالته: ـ، ز، ل.
(١٠) وهدايته: بهدايته، ز، ل.

ومتى قيل: كيف يمشون على وجوههم؟

قلنا: الذي أنشاهم قادر أن يمشيهم على وجوههم، وقيل: يسحبون على وجوههم إلى النار بعد الحساب، عن أبي علي. وقيل: يسحبون على وجوههم إلى الحشر.

«**عُمْياً وَبُكْماً**» قيل: عمياً عمّا[١] يسرهم، بكماً عن التكلم[٢] بما ينفعهم، صمّاً عمّا[٣] ينفعهم[٤]، عن ابن عباس. وقيل: يحشرون على هذه الصفة، ثم يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون، عن الحسن، ولذلك قال: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [**الكهف: ٥٣**]، وقال[٥] ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [**الفرقان: ١٢**]، وقال: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [**الفرقان: ١٣**]، وقال[٦] هذا حين يقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [**المؤمنون: ١٠٨**]، عن مقاتل. وقيل: يقذفون في النار على هذه الوجوه والصفات، عن أبي علي. «**مَأْوَاهُمْ**» مسكنهم «**جَهَنَّمُ كُلَّمَا**» النار[٧] «**خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً**» قيل: كلما سكن لهبها زاده الله اشتعالاً وسعيراً فيكون كذلك دائماً، وخبت: سكنت، عن ابن عباس. وقيل: طفيت، عن مجاهد. وقيل: ضعفت، عن قتادة.

ومتى قيل: كيف يبقى حيا على تلك الحالة من الاحتراق؟

قلنا: الله تعالى يمنع وصول النار إلى مقاتلهم، وإنما تؤثر في ظواهرهم[٨].

ومتى قيل: هل[٩] يختلف حال النار؟

---

(١) عما: ـ، ل.
(٢) التكلم: المتكلم، ب.
(٣) عما: ـ، ز، ل.
(٤) ينفعهم: ينفع، ل.
(٥) وقال فلما رأوها، و.
(٦) وقال: وقيل، ب.
(٧) النار: ـ، ل، م، و.
(٨) ظواهرهم: ظهورهم، ز.
(٩) هل: فهل، ز، ل.

قلنا: بلى[١]، تكون مرة ملتهبة[٢]، ومرة ساكنة، إلا أنهم في جميع الأحوال[٣] لا يجدون خفة لذلك قال تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [البقرة: ١٦٢، آل عمران: ٨٨].

۞ الأحكام

الآية تدل[٤] على أنه لا يمنع[٥] الكافر[٦] من الإيمان، فيبطل قول المجبرة، لأن عندهم وجوهاً من المنع[٧] قد منعهم بها من الإيمان:

فمنها: أنه خلق فيهم الكفر.

ومنها: خلق فيهم[٨] القدرة الموجبة للكفر.

ومنها: أراد منهم الكفر[٩].

ومنها: قضى عليهم الكفر[١٠].

ومنها: لم يخلق الإيمان.

ومنها: لم يعطهم قدرة الإيمان.

ومنها: لم يرد منهم الإيمان[١١].

ومنها: أضلهم عن الإيمان.

---

(١) بلى: ـ ، ز، ل.
(٢) ملتهبة: متلهبة، و.
(٣) الأحوال: ذلك، ب، و.
(٤) الآية تدل: تدل الآية الأولى، ب، ز، و.
(٥) يمنع: منع، ل.
(٦) الكافر: للكافر، ب، ز، ل.
(٧) وجوها من المنع: ـ ، ز.
(٨) فيهم: ـ ، ل.
(٩) ومنها أراد منهم الكفر: ـ ، ل.
(١٠) ومنها قضى عليهم الكفر: ـ ، ل، م، و.
(١١) ومنها لم يخلق... منهم الإيمان: ـ ل، ز، م.

ومنها: هداهم إلى الكفر وزينه في قلوبهم، وكل واحد من ذلك منع عظيم لا يقدر العبد على دفعه[١].

ومنها: أنه ختم على قلوبهم، فمع هذه الموانع كيف يصح أن يقال: ما منعهم، فدل على فساد قولهم وأن الإيمان فعلهم والكفر فعلهم، والقدرة تصلح لهما، وأنه بين السبيل، وهدى الخلق، وأراد الإيمان، ولم يرد الكفر، فمن[٢] اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها.

ويدل قوله: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ على بطلان قولهم في المخلوق، لأنه خلق الإيمان وبعث بشراً كانوا مؤمنين، بل لو لم يبعث ولو بعث ألف ملك ولم يخلق الإيمان ما كانوا مؤمنين[٣].

وتدل على جهلهم بالبعثة، وأنه يتبع الأصل لا المصور[٤].

وتدل على أن بعثة الجنس إلى الجنس أصلح، لذلك قال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ الآية.

وتدل على أن عقاب[٥] النار يتصل دائماً، وأنه لا يوجد ثم تخفيف وراحة، فينبغي للعاقل أن يتحرز من ذلك خصوصاً[٦] على ما يفوته[٧] من نعيم الجنة وطريق النجاة.

قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

---

(١) دفعه: رفعه، ب، ل، و.
(٢) فمن: ومن، ز، ل، م.
(٣) ولو بعث ألف... مؤمنين: ـ، ز، ل، م.
(٤) المصور: الصور، ب، و.
(٥) عقاب: عذاب، ب، و.
(٦) خصوصاً: نصوصاً، ز.
(٧) يفوته: ما هو به، ز، ل، م.

اللغة

القتر: التقصير[١]، والقتور فعول منه للمبالغة[٢]، ومعناه الذي عادته، والغالب على تسميته القتر، وفيه أربع لغات: قتر يقتر بضم التاء[٣] في المستقبل نحو: نصر ينصر، وقتر يقتر بكسرها نحو ضرب يضرب، وأقتر إقتاراً، وقتر تقتيراً، قال الشاعر:

لا أعد الإقتار عدماً ولكن ... فقد ما قد رزئته[٤] الإعدام[٥]

والرفات: كل شيء رفت وكسر، فما يكسر منه[٦] فهو الرفات، قال: رفته[٧] يرفته، ورفت الشيء بيدي إذا فتته[٨] فصار رفاتاً[٩].

الإعراب

يقال: بم يرتفع[١٠] أنتم في قوله: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ﴾[١١]؟

قلنا: بفعل مضمر تقديره: لو تملكون أنتم، لأن (لو) أحق بالفعل، عن الزجاج. قال الشاعر:

لو غيركم علق[١٢] الزبير بحبله[١٣] ... أدى الجوار إلى بني العوام[١٤]

يعني: لو علق[١٥] غيركم[١٦].

(١) كتب فوق كلمة: التقصير. في النسخة و: التضييق. وفي (ب): التقصير التضيق.
(٢) للمبالغة: المبالغة، ز.
(٣) التاء: الياء، ب، و.
(٤) رزئته: قدر به، ل.
(٥) البيت لأبي داود جارية بن الحجاج.
(٦) فما يكسر منه: ـ، ب.
(٧) قال رفته: قال ومنه، ل.
(٨) فتته: ففته، ل.
(٩) رفاتا: فاتا، ل.
(١٠) يرتفع: برفع، ب.
(١١) ساقط في (ب، و).
(١٢) غيركم علق: عندكم علو، ز، ل.
(١٣) بحبله: عليه، م.
(١٤) البيت قائله جرير، أنظر الديوان.
(١٥) علق: ـ، ز.
(١٦) غيركم: لاغركم، ل.

۞ المعنى

ثم بين تعالى أن ما استحقوا من الوعيد إنما لأجل كفرهم، فقال سبحانه: «**ذَٰلِكَ**» يعني ما تقدم ذكره من العذاب «**جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا**» أي: بكفرهم بالله ودينه وبالميعاد[1] «**بآياتنا**» يعني حججنا الدالة على التوحيد والعدل وإثبات المعاد والجزاء، وقيل: القرآن «**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً**» بالية «**وَرُفَاتاً**» تراباً «**أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً**» يعني أحياء يوم الحشر، فأجابهم الله تعالى فقال[2]: «**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**» أحدثها اختراعاً من غير كلفة في[3] عظمها وشدتها، وقيل: «**أَوَلَمْ يَرَوْا**» ألم يعلموا، وقيل: أولم يبصروا بأعينهم السماوات والأرض[4] «**قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**» لأن من قدر على خلق الأجسام قدر على إحياء الأجسام وإعادة الأموات أحياء[5] وإعادتهم[6] بعد الفناء «**وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً**» أي[7] وقتاً، قيل: أجل الموت أو القتل، عن أبي مسلم. وقيل: أجل المعاد وهو يوم القيامة، عن أبي علي. وقيل: لعذابهم[8] وهلاكهم وهو جواب لقولهم: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ﴾[9] الآية، قيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره: أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض وجعل لهم أجل الحياة والموت بقادر[10] على أن يعيدهم. «**لا رَيْبَ فِيهِ**» أي: لا شك فيه وفي إثباته، وقيل: معناه من حقه أن لا شك فيه[11] «**فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً**» قيل[12]: جحوداً[13] للبعث مع ظهور الدلائل، وقيل: كفراناً للنعم[14] مع وفور النعم.

---

(١) وبالميعاد: المعاد، ب، و؛ والميعاد، ل.
(٢) فقال: وقال، ب، ز، و.
(٣) في: من، ز.
(٤) أحدثها اختراعا. . . والأرض: ـ ، ب، و.
(٥) أحياء: حيا، ز، ب، ل، م، و.
(٦) وإعادتهم: وإعادة، م، وإعادته، ب، ز، ل.
(٧) أي: ـ ، و.
(٨) لعذابهم: بعذابهم، ب، و.
(٩) وقيل أجل المعاد. . . تملكون خزائن: ـ ، ز، ل، م.
(١٠) بقادر: قادر، ب، و.
(١١) وفي إثباته. . . لا شك فيه: ـ ، ز، ل، م.
(١٢) قيل: فقيل، ز.
(١٣) جحودا: جحود، و.
(١٤) كفراناً للنعم: كفراً بالنعم، ل.

ثم بيّن تعالى أنه أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم فبين كثرة إنعامه عليهم وأنهم لو ملكوا جميع ذلك لأمسكوا عن إنفاقها خوفاً من الفقر، فقال سبحانه[1] «**قُلْ**» يا محمد: «**لَوْ أَنْتُمْ**» قيل[2]: خطاب للمشركين خاصة، عن الحسن، والأصم، وأبي علي. وقيل: لجميع الخلق؛ لأن الغالب فيهم هذه الحالة «**تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي**» قيل: أملاك ربي، وخزائنه مقدوراته، ورحمته رزقه «**إِذاً لأَمْسَكْتُمْ**» عن الإعطاء[3] والإنفاق «**خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ[4]**» خشية[5] إنفاقه[6]، وفي[7] الآية حذف وإضمار تقديره: لو ملكتم خزائن ربي لأمسكتم من الإنفاق خشية إنفاقه «**وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً**» بخيلاً، عن ابن عباس، وقتادة، والأصم. وهو جواب لقولهم: تفجر لنا[8] من الأرض ينبوعا فينبع[9]. وقيل: وصف الإنسان بالبخل لأنه يحتاج، فإذا يمسك لنفسه ويوم[10] حاجته.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**ذلك جزاؤهم**» على أن العقاب يستحق[11] على الأعمال خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الكفر والإمساك والقتر والظلم فعلهم، فيبطل قولهم في المخلوق.

وتدل على إثبات المعاد والاحتجاج فيه، فإن قالوا[12] «**أَوَلَمْ يَرَوْا**» احتجاج بأن

---

(١) سبحانه: ـ ، ب، و.
(٢) قيل: ـ ، ب، ل.
(٣) الإعطاء: العطاء، ب، و.
(٤) الإنفاق: ـ، ز، ل، م.
(٥) خشية: ـ ، ب، ز، ل، م.
(٦) إنفاقه: الفاقة، و.
(٧) وفي: في، ز، ل، م.
(٨) تفجر لنا: ـ ، ز، ل، م.
(٩) فينبع: فيتسع معاشنا، ب، و.
(١٠) يوم: ـ ، ب، ل، م.
(١١) يستحق: مستحق، ز، ل.
(١٢) قالوا: قولوا، ز، ل، و.

من يقدر على الأجسام يقدر على الإعادة، ولأن[١] إعادة الميت حياً دون خلق السماوات والأرض، فإذا قدر عليها فعلى[٢] الإحياء أولى لذلك[٣].

ويدل قوله: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾[٤] الآية على التوحيد، وأنه ليس بجسم، وذلك لأنه لو كان جسماً لتعذر[٥] وجود ما تواتر من النعم من قبله، كما يتعذر وجوده من سائر[٦] البشر.

وتدل على أن التضييق والتقتير[٧] من عادة الإنسان وطبيعته إلا من وقاه الله تعالى بلطفه[٨].

وتدل على ضعف ابن آدم حيث يخاف[٩] الإنفاق لما يتوهم من الفقر.

قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

القراءة

قرأ الكسائي وحده: «علمتُ» بضم التاء أضاف العلم إلى نفسه، وهو قراءة أمير

(١) ولأن: وأن، ز.
(٢) فعلى: فعل، ز، ل.
(٣) لذلك: كذلك، ب، و.
(٤) ساقط في (ز، ل، م). وما أثبتناه من و.
(٥) لتعذر: ـ ، ز، م.
(٦) سائر: ـ ، ز.
(٧) والتقتير: والقتر، ب، ز.
(٨) بلطفه: ـ ، ل، م.
(٩) يخاف: كان، ز، ل، م.

المؤمنين[(١)] علي بن أبي طالب ﵇، روي أنه قرأ كذلك، ثم قال: والله ما[(٢)] علم[(٣)] عدو الله ولكن موسى هو الذي علم، وليس بثابت عن جهة صحيحة عن علي[(٤)]. وجميع القراء على الفتح خطاباً لفرعون، احتج ابن عباس لهذه القراءة[(٥)] بقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، واحتج أبو عبيد بأن موسى لا يحتج بعلم نفسه على فرعون إنما احتج[(٦)] بعلمه.

قراءة العامة: «فَسْئَلْ[(٧)]» على[(٨)] الأمر، وقراءة[(٩)] ابن عباس: **(فاسأل بني إسرائيل)** على الخبر، أي: سأل موسى فرعون لبني إسرائيل أن يخلي سبيلهم، ويرسلهم معه.

۞ اللغة

السحر: التمويه[(١٠)] بالحيلة، والمسحور: المموَّه.

والثبور: الهلاك، ثبره الله يثبره بضم الباء[(١١)] وكسرها لغتان.

والاستفزاز: الإزعاج والإخراج بسرعة، وأصله القطع، فززت الثوب قطعته.

واللفيف: الجمع، مصدر لففته لفاً ولفيفاً، وسواء قولك: لففت الشيء وجمعته.

---

(١) أمير المؤمنين: ـ، ب، و.
(٢) ما: ـ، ز، م.
(٣) علم: أعلم، ز.
(٤) عن علي: عن أبي علي، ز، م.
(٥) القراءة: القراء، ز.
(٦) احتج: يحتج، ب، و.
(٧) فسئل: سئل، ز، ل، م.
(٨) على: عن، ز، ل.
(٩) وقراءة: وعن، ل.
(١٠) التمويه: التمويه بلفظ، ل، م، و.
(١١) الباء: الياء، ز.

۞ الإعراب

نصب «بصائر» قيل: بـ (أنزل)، وقيل: بإضمار وجعلها بصائر.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل قصة موسى وما آتاه من الآيات بما قبلها؟

قلنا: قيل: فيه وجوه:

أحدها: اتصال وصفه بالجود بوصفهم[1] بالبخل فما[2] أعطي من الآيات دل على جوده[3] الذي كل جود في جنبه بخل، عن علي بن عيسى.

وثانيها[4]: اتصلت[5] بذكر ما اقترحوا من الآيات بأنا آتينا موسى تسع آيات فلم يؤمنوا، كما آتيناك المعجزات فلم يؤمنوا.

وثالثها: تسلية للنبي صلى الله عليه في تكذيبه من قومه على ما تقدم ذكره بذكر ما آتى[6] موسى من الحجة، ومع ذلك كذبوه حتى أهلكناهم[7] كذلك قومه.

۞ المعنى

ثم ذكر قصة موسى فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ**» أي: أعطينا[8] موسى «**تِسْعَ**[9] **آيَاتٍ**» أي تسع[10] معجزات حجة[11] على نبوته، واختلفوا فيها، فقيل: العصا، واليد، واللسان، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع،

(١) بوصفهم: فوصفهم، ز، ل؛ بوصفهم، ب.
(٢) فما: مما، ز، ل، م.
(٣) جوده: وجود، ز، ل، م.
(٤) وثانيها: وثالثها، ز.
(٥) اتصلت: اتصل، ب، ز، و.
(٦) ما آتى: ما أوتي، ب.
(٧) أهلكناهم: أهلكهم، ب، و.
(٨) أعطينا: أعطيناه، ب، و.
(٩) تسع: سبع، ز.
(١٠) تسع: ـ، ز، ل، م.
(١١) حجة: وحجة، ب، و.

والدم[1]، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، والبحر، والطمسة، والحجر، عن محمد بن كعب القرظي، قال أبو علي كذلك إلا أنه ذكر بدل الطمسة[2]: اليد، وقيل: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص من الثمرات، عن عكرمة، وقتادة، ومجاهد، والشعبي، وعطاء، ومطر الوراق. وقيل: «**تسع آيات**» يعني تسع آيات[3] الكتاب في الأحكام «**فَاسْأَلْ**[4] **بَنِي إِسْرائيلَ**» عن ذلك إذا لم تعرفها أنت ولا قومك، وقيل: اطلب بني إسرائيل من فرعون «**إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً**» قيل: سحرت فما تقوله السحر الذي بك، وقيل: مموهاً عليك مخدوعاً، عن ابن عباس، وأبي مسلم. وقيل: مسحوراً[5] بمعنى ساحر كما يقال: مشوم[6] بمعنى شائم[7]، وميمون في موضع آمن[8]، عن الفراء، وأبي عبيدة. وقيل: أظنك بشراً ذا سحر، أي: رئة «**قَالَ**» موسى[9] «**لَقَدْ عَلِمْتَ**» بفتح التاء على الخطاب أي: علمت أنت يا فرعون «**مَا أَنْزَلَ**» هذه المعجزات «**إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**» وبالرفع قال موسى[10] علمت أنا[11] أنها حق، فإن علمت وأقررت وإلا وهلكت[12]» «**بصائر**» أي: ما يبصر ويعلم يعني دلائل على نبوتي «**وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً**» قيل: أعلمك ملعوناً، عن ابن عباس. وقيل: مهلكاً، عن الحسن، ومجاهد، وقتادة. وقيل: مخبولاً لا عقل لك، عن ابن زيد. وقيل: بعيداً[13] عن الخير مصروفاً عنه، عن

---

(١) والدم: والدم والبحر، ل، م؛ والدم والحر، ز.
(٢) الطمسة: للطمسة، ب، و.
(٣) تسع آيات يعني تسع آيات: ـ ، ل.
(٤) فاسأل: فسأل، ز.
(٥) مسحوراً: مسحور، ب، و.
(٦) مشوم: شؤم، ب، و.
(٧) شائم: شام، ب، و.
(٨) آمن: يأمن، ز، و.
(٩) قال موسى: ـ ، ل.
(١٠) قال موسى: قال موسى قال موسى، ل.
(١١) أنا: ـ ، ب، ل، م.
(١٢) هلكت: وهلكت، ل، م.
(١٣) بعيدا: تغيراً. (بدون نقاط)، ز.

الأصم، والفراء. وقيل: الظن بمعنى العلم، وقيل: بل المراد به الظن لأن الهلاك يكون بشرط[1] الإصرار ولذلك[2] أمارات ولا يعلم حقيقته إلا الله «**فَأَرَادَ**» فرعون[3] **أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ**» أي: يزعجهم ويزلهم ويخرجهم عن[4] أرض مصر، وقيل: بالقتل، وقيل: بالنفي «**فَأَغْرَقْنَاهُ**[5]» **فرعون** «**وَمَنْ مَعَهُ**[6]» من جنوده «**جَمِيعاً**[7]» فلم ينج منهم أحد قبله[8] ولم[9] يهلك من بني إسرائيل أحد «**وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ**» أي: من بعد هلاك فرعون «**لِبَنِي إِسْرائيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ**» أي: أرض مصر والشام «**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ**» قيل: القيامة، عن أكثر المفسرين. وقيل: نزول عيسى، عن الكلبي، وليس بشيء، والكلبي لا يؤتمن على كتاب الله تعالى «**جِئْنَا بِكُمْ**» من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء «**لَفِيفاً**» قيل: مختلطين التف بعضكم ببعض[10]، وقيل: «**لفيفاً**» جميعاً، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن فرعون كان عارفاً بربه، وكان ما يظهر عناداً، وقيل: كان عرف أن مثل تلك الآيات لا تقدر عليها الأجسام.

وتدل على أن موسى كان علم هلاك فرعون ينذرهم به.

وتدل أنه[11] تعالى أخبرهم بقوله: ﴿ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بما يسكن قلوبهم، وأنه لا خوف عليهم من جهة أحد.

---

(١) بشرط: شرطه، ز، ل، م.
(٢) ولذلك: وكذلك، ب.
(٣) فرعون: ـ ، ب، و.
(٤) عن: من، ب، و.
(٥) فأغرقناه: فأغرقنا، ب، ز، ل، م، و.
(٦) ومن معه: ومن معه جميعاً، ب.
(٧) جميعاً: ـ ، ب.
(٨) قبله: ـ ، ب، و.
(٩) ولم: ـ ، ز، ل، م.
(١٠) بعضكم ببعض: بعضهم إلى بعض، ز.
(١١) أنه: بأنه، ب، و.

وتدل على الإعادة وحشر الناس جميعاً.

قوله تعالى:
﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: «فرقناه» بالتخفيف، وعن ابن عباس وقتادة بالتشديد، قال: لأنه لم ينزل مرة[١] واحدة وإنما نزل نجوماً في عشرين سنة وزيادة.

۞ اللغة

فرقناه: فصلناه كفرق الشعر، وهو تميز بعضه من بعض، يقال: فرق الشيئين يفرق فرقاً[٢]، وفرقه[٣] تفريقاً.

والمكث: المهل وتتعاقب الحركات الثلاث[٤] عن الميم، وكلها لغات.

وخر: سقط، والخرور: السقوط.

والذقن: مجتمع اللحيين، وجمعه: أذقان.

۞ الإعراب

نصب «قرآناً» قيل: بمحذوف أي: وآتيناك قرآناً فرقناه.

فـ «فرقناه»[٥] صفة، وقيل: فرقناه قرآناً، و«فرقناه» خبر على هذا، وقيل: هو

(١) مرة: بمرة، ب، و.
(٢) فرقا: تفرقا، ب.
(٣) وفرقه: وفرقه وفرقه، ب، و.
(٤) الثلاث: الثلاثة، ز.
(٥) ففرقناه: ـ، ز، ل، م.

عطف على محل قوله: «**وبالحق نزل**» فإن محله محل النصب على الحال، عن أبي مسلم، ويحتمل أن يكون نصباً بـ «**أنزلناه**»[1] وأنزلناه[2] قرآناً.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ في ناس من أهل الكتاب سمعوا ما أنزل على محمد فخروا سجداً وقالوا: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، عن مجاهد.

۞ المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر القرآن الذي تقدم ذكره، فقال سبحانه: «**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ**» أي: أنزلنا القرآن بالحق، معناه أردنا بإنزاله الحق والصواب وهو أن يؤمن به ويعمل بما فيه، وقيل: بالصدق في الوعد وفي[3] الوعيد أنزلناه، عن أبي مسلم. «**وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**» أي: كان مخبره على ما أخبر، وقيل: بالصدق نزل.

ومتى قيل: إذا قال: «**بالحق أنزلناه**» فلِمَ[4] قال: «**وبالحق نزل**»؟

فجوابنا: الأول صفة للإنزال[5]، والثاني يعود إلى المنزل وهو القرآن؛ أي: هو حق في نفسه، وقيل: هو تأكيد، وقيل: بالحق أنزلناه فلم يتغير بل نزل كما أنزل.

«**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً**» يا محمد للمؤمنين، مخوفاً للكافرين، بين[6] أنه ليس عليه إلا البلاغ «**وَقُرْآناً**» أي: وأنزلناه[7] قرآنا «**فَرَقْنَاهُ**[8]» أي فصلناه سوراً[9] وآيات،

---

(١) أنزلناه: بأنزلنا، ب، و.
(٢) وأنزلناه: وأنزلنا، ب، ز، و.
(٣) في: ـ ، ز، ل، م.
(٤) فلم: لم، ب، ز، ؛ ثم، ل.
(٥) للإنزال: الإنزال، ب، و.
(٦) بين: ـ ، ز، ل، م.
(٧) وأنزلناه: وأنزلنا، ب، و.
(٨) فرقناه: ـ ،ب، و.
(٩) سورا: سور، ز.

عن أبي مسلم. وقيل: «فرقناه» أي: فرق الله به الحق عن الباطل، وقيل: أنزلناه متفرقاً ليكون إلى الحفظ والقبول أقرب، وقيل: متفرقاً بحسب الحاجة والمصلحة، وقيل: فرقناه جعلنا بعضه أمراً، وبعضه نهياً، وبعضه خبراً، وبعضه وعداً، وبعضه وعيداً[١]، وبعضه أمثالاً «لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ» أي: بتثبت وتوقف[٢]، وقيل: ننزل منه شيئاً ثم تمكثون[٣] ما شاء الله، ثم ننزل شيئاً آخر، فنزل في نيف وعشرين سنة «وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً» أي: هو من عندنا نزلناه، وقيل: «على مكث» أي: نزلناه شيئاً بعد شيء متفرقاً، عن أبي مسلم. «قُلْ» يا محمد: «آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا» قيل: هذا وعيد، يعني: الضر[٤] عائد عليكم إن لم تؤمنوا، وقيل: هذا جواب لقولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل نزول القرآن وخروج محمد ﷺ، قيل: هم أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم، وقيل: مؤمنوا أهل الكتاب كابن سلام وغيره، عن ابن عباس. «إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ» قرئ عليهم[٥] القرآن «يَخِرُّونَ» يسقطون «لِلأَذْقَانِ» قيل: على[٦] الوجوه، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: عنى بها السجود[٧]، عن الحسن. وهو كناية عن السجود، كأنه قال: يضعون وجوههم[٨] على الأرض سجداً، «سُجَّداً» يعني[٩] خاضعين لله، وقيل: يسجدون[١٠] علماً بصحته، ورغبة في ثوابه، وخوفاً من عقابه «وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا» أي: نزاهة[١١] لله من كل سوء[١٢] ومن الكذب «إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً» قيل: في الوعد والوعيد، وقيل: في

(١) وبعضه وعيداً: ـ، ب.
(٢) وتوقف: ويتوقف، ب، و.
(٣) تمكثون: تكون، ل.
(٤) الضر: الضرر، و.
(٥) قرئ عليهم: ـ، ب، م، و.
(٦) على: +، ز، م، ل، و.
(٧) السجود: الحق، ب، و.
(٨) وجوههم: ـ، ز، ل، م.
(٩) سجداً يعني: سجداً يعني سجداً، ز، م.
(١٠) يسجدون: يخرون، ب، و.
(١١) نزاهة: برأه، ب، و.
(١٢) سوء: شيء، ب، و.

بعث خاتم النبيين «وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ» يعني يسجدون «يَبْكُونَ» من خشية العقاب «وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً» أي: علمهم بالله وصدق وعده ووعيده، يزيدهم خضوعاً، وقيل: عرفوا ما[1] في كتبهم، فلما عرفوا ما في القرآن ازدادوا إيماناً وخشوعاً.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظيم منزلة القرآن، وأنه أنزله بحق وصدق.

وتدل على أنه أنزل ليقرؤوه[2] ويؤمنوا به خلاف من[3] يقول: أنزله ليكفروا[4] به.

وتدل على أن قراءة القرآن يجب أن تكون على مكث وتأني ليصح التدبر، وقد روي عن علي[5] بن[6] موسى القمي[7] أن النبي ﷺ كانت قراءته بينة يتثبت فيها.

وتدل على حدوثه؛ لأن ما يصح إنزاله لا يكون قديماً.

وتدل على مدح قوم سجدوا وخضعوا وبكوا عند قراءة القرآن.

وتدل[8] على أن المبطل وبخ بذكر المحق.

وتدل على أن[9] قراءة[10] القرآن عبادة][11].

وتدل على أن السجود والبكاء والخضوع فعلهم، فيصح قولنا في المخلوق.

---

(١) ما: ـ، ز، ل، م.
(٢) ليقرؤوه: ليقرأه، ز.
(٣) من: ما، ز، م.
(٤) ليكفروا: ليكفر، ز، م.
(٥) على: ـ، ب، ز، م، و.
(٦) بن: ـ، ب، ز، م.
(٧) القمي: القمر، ز.
(٨) وتدل: فيدل، ب، و.
(٩) أن: ـ، ز، ل، م.
(١٠) قراءة: تلاوته، ب، و.
(١١) وتدل على أن المبطل... عبادة: ـ، ل، م.

قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا (١١١)﴾

❁ اللغة

التكبير[(١)]: التعظيم[(٢)]، ومنه: ﴿فَلَمَّا[(٣)] رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [يوسف: ٣١]، وكبر[(٤)] الله وصفه بأنه أكبر من كل شيء، وهو أنه قادر لا يعجز، عالم لا يجهل، حي، سميع، بصير، قديم، حكيم، عدل، منزه عما لا يجوز عليه[(٥)].

❁ الإعراب

(ما) في قوله: «أَيًّا مَّا» قيل: صلة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وقيل: (ما) بمعنى أي، كررت لاختلاف اللفظين[(٦)] للتأكيد تقديره: أي شيء، كقولهم: ما إن رأيت كالليلة ليلة[(٧)]، قال الشاعر:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلا سَمِعْتُ بِهِ ... كَاليومِ هَائِي أَنَّنِي حَزِنُ[(٨)]

---

(١) التكبير: الكبير، ز، ل.

(٢) التعظيم: العظيم، ز، م.

(٣) فلما: قلنا، ز.

(٤) وكبر: تكبيرا لله، ز، وتكبر الله، ل.

(٥) عليه: ـ ز، ل، م.

(٦) اللفظين: اللفظ، ز؛ اللفظة، ل، م.

(٧) ليلة: ـ ، ز، ل، م.

(٨) كاليوم هاني أينق : هائي أنني حزن جرب، ز،ب،ل،م. انظر مغني اللبيب ٢/ ٦٧٩، وفي رواية: كاليوم طالث أينق جرب، تفسير الثعلبي، ص: ٢٦٥.

وقال: «**تدعوا**» ولم يقل: تدعون[١] لأنه محل[٢] مجازاة، وجوابه في الفاء[٣] التي في قوله: «**فله[٤] الأَسْماءُ الحُسْنَى**».

النزول

أما قوله: «**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ**»:

قيل: تهجد رسول الله ﷺ[٥] ذات ليلة بمكة وكان[٦] يقول: «يا رحمن يا رحيم»، فقال المشركون: كان يدعو إلهاً واحداً والآن يدعو إلهين، فنزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: قال المشركون: أما الرحيم فنعرفه، وأما الرحمن فلا نعرفه، فنزلت الآية، عن ميمون بن مهران.

وقيل: قال أهل الكتاب: إنك لتقل ذكر الرحمن وهو[٧] كثير في[٨] التوراة، فنزلت الآية، عن الضحاك.

وأما قوله: «**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ...**» الآية:

قيل: كان[٩] إذا صلى رفع صوته فمنعه المشركون وسبوا القرآن ومن جاء به ورموه، فنزلت الآية، عن سعيد بن جبير.

وقيل: كان يجهر بالقرآن، فقالوا: لا تجهر بالقرآن في المسجد فتؤذي آلهتنا فنهجوا ربك، فنزلت الآية، عن سعيد بن جبير.

---

(١) تدعون: تدعوك، ز، ل، م.
(٢) محل: ـ، ب.
(٣) الفاء: الياء، ل.
(٤) فله: ـ، ل، م.
(٥) صلى الله عليه وآله وسلم: ـ، ب.
(٦) وكان: فكان، ب، و.
(٧) وهو: وهو في، ز، ل، م.
(٨) في: من، ز.
(٩) كان: ـ، ل.

وقيل: كان يصلي في دار أبي سفيان بن الحارث عند الصفا ويجهر بقراءته، فمر به[1] أبو جهل وقال: لا تفتر على الله، فخفض صوته، فقال: ألا ترون كيف رددته عن قراءته، فنزلت الآية، عن مقاتل.

وقيل: كان مختفياً[2] في دار أرقم[3] بن أرقم فأمر بذلك كيلا يؤذيه[4] الكفار إذا سمعوا صوته وحتى[5] يسمعه من معه من المؤمنين، حكاه الأصم.

وقيل: نزلت[6] في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أمر أبا بكر أن يجهر وكان[7] يخفي، وأمر عمر أن يخفي وكان يجهر، عن ابن سيرين.

وقيل: نزلت في التشهد، كان الأعرابي يجهر ويرفع صوته، فنزلت الآية، عن عائشة.

فأما قوله: **«وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ»**:

قيل[8]: قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فقالت[9] الأعراب: لبيك لا شريك لك إلاّ شريكاً[10] هو لك، وقالت المجوس: لولا أولياء الله لذل، فنزلت الآية، عن محمد بن كعب.

۞ المعنى

ثم علم كيفية القراءة والتحميد فقال سبحانه: **«قُلِ»** يا محمد لهؤلاء **«ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا»** يعني بأي الاسمين دعوته جاز للمساواة؛ لأن جميع ذلك

(١) به: ـ، ز، ل، م.
(٢) مختفياً: مختفا، ل.
(٣) دار أرقم: دار قم، ز، ل، م.
(٤) كيلا يؤذيه: كي لايؤذونه، ز.
(٥) وحتى: حتى، ز.
(٦) نزلت: نزل، ز، ل، م.
(٧) وكان: فكان، ل، م.
(٨) قيل: فقيل، ب.
(٩) فقالت: وقالت، ب.
(١٠) إلاّ شريكاً: ـ، م.

يفيد التعظيم «**فَلَهُ**[١] **الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**» المعنى جميع أسمائه حسن لأن أسماءه تنبي عن أفعاله أو عن صفاته لمن يصفه، إما أن يصفه بصفات ذاته ككونه[٢] قادراً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، قديماً، أو يصفه[٣] بصفات ترجع إلى فعله وكلها حسنة، كقوله: خالق، ورازق، وعدل، ومحسن، ومصور، ومنشئ «**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا**» قيل: لا تجهر بدعائك ولا تخافت به، عن مجاهد، وعطاء، والنخعي، ومكحول، وروي نحوه عن ابن عباس. وقيل: بالقرآن في الصلاة، وكانوا يؤذونه إذا جهر ولا يسمع من خلفه[٤] إذا خافت، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: لا تجهر بصلاتك بإشاعتها عند[٥] من يؤذيك ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك، عن الحسن. وقيل: لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها «**وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**» بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار، عن الهادي يحيى بن الحسين عليهما[٦] السلام، وهو قول أبي مسلم، وقيل: لا تصل مراياة[٧] للناس ولا تدعها مخافة الناس، عن ابن عباس. وقيل: كان أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيضج ويضج من وراءه من قراءته[٨]، فنهاه عن مثل فعلهم ذلك، عن ابن زيد. وقيل: لا تجهر جهراً تشغل[٩] من بقربك ولا تخافت حتى لا[١٠] تسمع نفسك، عن أبي علي. «**وَابْتَغِ**» أي: اطلب[١١] «**بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**» طريقاً وهو ما أمرك[١٢] الله تعالى

---

(١) فله: فلله، ب، ز، ل، م، و.
(٢) ككونه: لكونه، ز.
(٣) أو يصفه: ويصفه، ز، ل، م.
(٤) خلفه: خلقه، و.
(٥) عند: عن، ل.
(٦) عليهما: عليه، ب، ز، ل، و.
(٧) مراياة: مراة، ب.
(٨) قراءته: القرا، ز، ل، م.
(٩) تشغل: أشغل، ز، ل.
(١٠) لا: ـ ، ب، ل، و.
(١١) اطلب: ـ ، ب.
(١٢) ما أمرك: ما أنزل، ل، م.

«**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**» قيل: الثناء الحسن والصفات العلا كلها له، وقيل: الشكر كله له على نعمه لأن النعم كلها منه، والأول أولى.

ثم وصف نفسه فقال: «**الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً**» لأنه لو كان له ولد لم يكن إلهاً وكان جسماً، ولأن من جاز عليه الولد يكون محتاجاً فلا يعلم أنه منعم، وإنما يعلم أنه منعم بأفعاله حيث لا تجوز عليه الحاجة والضر والنفع(١)، وقيل: ولد يلهو به، وقيل: يتكثر به «**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ**» أي: في الإلهية(٢) لأنه لو كان له شريك لم يعلم أنه المختص بالنعم(٣) «**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ**» أي: ناصر، لأنه لو كان له ناصراً وولي(٤) لجاز أن يكون هو(٥) المنعم، ولكان شريكاً لله(٦) تعالى الله عن ذلك «**مِنَ الذُّلِّ**» قيل: من أهل الذل، لأن الكافر والفاسق لا(٧) يكون ولياً لله، وقيل: ليس(٨) هناك ذل فكان يحتاج إلى ولي وناصر، قال مجاهد: لم يذل فيحتاج إلى من يتعزز(٩) به، يعني هو القادر بنفسه(١٠)، العزيز الغني، وكل ما عبدوا وادعوا من دون الله ذليل مقهور «**وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً**» أي: عظمه تعظيماً، بأن تعتقد عظمته، وتثني بذلك عليه، وقيل: كبره من(١١) أن يحتاج إلى ولد وولي، وقل(١٢) في الصلاة: الله أكبر، وقيل: كان رسول الله ﷺ يعلم أهله(١٣) الصغير والكبير هذه الآية، عن قتادة.

(١) والضر والنفع: والنفع والضر، ل، م.
(٢) الإلهية: الآلهة، ز.
(٣) بالنعم: نالعم، ز.
(٤) وولي: ولي وناصر، ب، و.
(٥) هو: هذا، ز، ل.
(٦) لله: ـ ، ز، ل، م.
(٧) لا: ولا، ز، م.
(٨) ليس: أليس، ز.
(٩) يتعزز: يبغون، ز، ل.
(١٠) بنفسه: لنفسه، ز، ل، م.
(١١) من: عن، ز، ل.
(١٢) وقل: وقيل، ز، م.
(١٣) أهله: ـ ، ز، ل.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن[1] إظهار الإنقطاع إلى الله تعالى[2] عبادة.

وتدل على أن له الأسماء الحسنى، فتدل[3] على أن الاسم غير المسمى.

وتدل على أنه يستحب تقديم الأسماء الحسنى[4] قبل المسألة.

وتدل على أنه لا يفعل الظلم والقبيح، لأن أسماءه حينئذ لا تكون حسنة، لأن أسماءه تشتق[5] من أفعاله، كما يسمى عادلاً بفعله العدل، ورازقاً بفعله، ومحسناً، كذلك لو فعل الظلم لكان يسمى ظالماً.

وتدل على أن الألقاب لا تجوز عليه، لأنه لا معنى تحتها، فتكون حسنة.

وتدل على أنه يجب معرفة معاني الأسماء، ثم يدعوه[6] بها ليعلم أنه يدعوه بما هو حسن.

وتدل على أن المشروع في القرآن والصلاة سبيل بين[7] الجهر والإخفاء، وقد بينا ما قيل فيه، وذكر إسماعيل بن إسحاق أن أبا بكر كان يخافت، ويقول: أناجي ربي وأتضرعه، وكان عمر يجهر ويقول: أوقظ الوسنان، وأخسئ الشيطان، وأرضي الرحمن.

وتدل على تعظيمه تعالى، ونفي ما لا يجوز عليه من الشريك والولد وصفات النقص والأفعال القبيحة، ولا يجوز أن يوصف بأضداد ذلك، وقوله «**وكبره[8] تكبيراً[9]**» تأكيداً[10] لذلك.

وتدل على أن الدعاء والقراءة فعل العبد، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) أن: ـ، ز، ل، م.
(٢) تعالى: ـ، ز، ل.
(٣) فتدل: وتدل، ب، ل، و.
(٤) فتدل على أن... الأسماء الحسنى: ـ، ز.
(٥) تشتق: تستبق، ب، و.
(٦) يدعوه: تدعوه، و.
(٧) سبيل بين: بين سبيل، ب، و.
(٨) وكبره: كبره، ب، ل.
(٩) تكبيراً: ـ، ل.
(١٠) تأكيداً: تأكيد، ل، م.

سورة الكهف

سورة (الكهف)، وهي مائة وعشر آيات[1]، قال الأصم: هي مكية بإجماع[2].

وعن ابن عباس: مكية غير آيتين، وهي مائة وعشر آيات.

وعن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ: «من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تضره فتنة الدجال، ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة».

وعن[3] [4] النبي ﷺ: «ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت، ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض»؟ قالوا: بلى يا رسول الله[5]، قال: «سورة أصحاب الكهف، من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، وأعطي نوراً يبلغ السماء، ووقي فتنة الدجال».

ولما ختم سورة (سبحان) بالتوحيد والتمجيد وذكر النبوة[6] والقرآن افتتح سورة الكهف بالتحميد والتمجيد وذكر النبوة والقرآن ليتصل أولها بآخرها اتصال الخبر بالخبر[7].

---

(١) وهي مائة وعشر آيات: ـ ، ب، ل، م، و.
(٢) بإجماع: ـ ، ب، و.
(٣) وعن: عن، ب، و.
(٤) بالنبي. . . وعن: ـ ، ز.
(٥) يا رسول الله: ـ ، ب، و.
(٦) النبوة: ـ ، ب، و.
(٧) الخبر بالخبر: الجنس بالجنس، ب، و.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)﴾

القراءة

قرأ يحيى عن[١] أبي بكر عن عاصم: **«من لدنه»** بشم الدال الضمة[٢] وبكسر النون والهاء، وقرأ الباقون برفع الدال[٣] وسكون النون، قال الكسائي ويعقوب: فيه ثلاث لغات وقيل[٤] أربع: لَدُن، ولَدْنِ، ولُدْن[٥]، وُلَدُ.

«كبرت كلمة» القراء بنصب[٦] **«كلمةً»** [تقديره]: كبرت الكلمة كلمةً، وهي كلمة بالرفع فأضيف[٧] الفعل إلى الكلمة وهي[٨] ويجوز[٩] ذلك[١٠] في العربية لا[١١] في القراءة.

(١) عن: ابن، ز.
(٢) الضمة: الضم، ب، و.
(٣) الدال: الذال، ب.
(٤) وقيل: وفيه، ز، ل.
(٥) ولدن: ـ، ب، و؛ ولداً، ز، ل، م.
(٦) بنصب: بالنصب، ب، ز، ل، م، و.
(٧) فأضيف: فأضيفت، ب، ز، و.
(٨) وهي: وهو، ب، و.
(٩) ويجوز: ونحو، ب.
(١٠) ذلك: تلك، ز.
(١١) لا: إلا، ز.

۞ اللغة

العَوج بالفتح[1]: فيما يرى كالقناة والخشبة[2]، وبالكسر فيما لا يرى كالدين والكلام.

والإنذار: التخويف[3] بموضع[4] المخافة ليتقى، والنذير فعيل منه وجمعه: نذر.

والباخع: القاتل المهلك، يقال: بخع الشاة إذا بالغ في ذبحها، وبخع له بالطاعة إذا بالغ في ذلك، وبخع له بحقه إذا أقر به وبالغ فيه، وبخع الرجل نفسه أي: أهلكها[5]، بخع نفسه يبخعها بخعاً وبخوعاً إذا قتلها[6]، قال ذو الرمة:

ألا أيها الباخع الوجد نفسه ... لشيء نحته عن يديه المقادر[7]

والأسف: الحزن على ما فات.

۞ الإعراب

نصب «قيِّماً» صفة للكتاب[8] وليس بعطف على (عوج)، تقديره: أنزل الكتاب قيماً، وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي أنزل الكتاب قيماً ولم يجعل له[9] عوجاً، عن ابن عباس، وقتادة وغيرهما.

وقوله: «أجراً» موضعه نصب لوقوع الفعل عليه وهو: يبشر.

---

(١) العوج بالفتح: بالفتح بالفتح، ب.
(٢) والخشبة: الخشب، ب، و.
(٣) التخويف: والتخويف، ز، ل، م.
(٤) بموضع: موضع، ز، ل، م.
(٥) أهلكها: يهلكها، ب، و.
(٦) قتلها: قتله، ب، و.
(٧) المقادير: المقادير، ز؛ والبيت لذي الرمة، أنظر ديوان ذو الرمة؛ لسان العرب، (بخع).
(٨) صفة للكتاب: وصفة الكتاب، ز، ل، م.
(٩) له: ـ ، ب، و.

و«حسناً» نعت للأجر.

«ماكثين» قيل: نصب على الحال، أي لهم أجر حسناً في حال مكثهم.

ونصب «ويبشر[1] وينذر[2]» قيل: على تقدير لكي[3] يبشر ولكي[4] ينذر.

«كلمةً» قيل[5]: نصب، قيل[6]: على تقدير: كبرت الكلمة كلمة، فنصب[7] على التفسير كقولهم: نعم رجلاً زيد، وقيل: نصب على التعجب أي: أكبرته الكلمة يعني ما أكبر هذه الكلمة، وقيل: على التمييز كقوله: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ، كأنه قيل: كبرت تلك الخصلة كلمة، وكسر (إن) في قوله: «إن لم يؤمنوا» الآية في معنى الجزاء ولو فتحت في مثل هذا جاز.

«نفسك» نصب بـ «باخع» كأنه قيل: تبخع نفسك، ومن حذف التنوين كسر السين على معنى لعلك تهلك نفسك.

«أسفاً» نصب على الحال في حال الأسف، وقيل: تقديره: من الأسف.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» في قريش، قالوا: الملائكة بنات الله، عن الحسن، وابن إسحاق، والأصم. وزاد الأصم: أنهم قالوا ذلك لأوثانهم.

وقيل: نزلت الآيات في حيي بن أخطب وجماعة من اليهود قالوا: عزير ابن الله.

---

(١) ويبشر: وبشيراً، ز.
(٢) وينذر: ونذيراً، ز.
(٣) لكل: وكي، ب، و.
(٤) ولكي: وكي، ب، و.
(٥) قيل: ـ، ز، ل، م.
(٦) قيل: ـ، ب، و.
(٧) فنصب: فنصبت، ب، و.

ونزل قوله: «وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ» في أبي بكر، وعمر، وزيد بن حارثة، وعثمان بن مظعون، أنكروا ما قالت اليهود، عن مقاتل.

وقيل: «وينذر» نزل في كعب بن الأشرف.

۞ المعنى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ» أمر من الله بالحمد على نعمه في الدين، فقال سبحانه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أي: الشكر لله «الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ» يعني محمداً ﷺ «الْكِتَابَ» يعني القرآن «قَيِّماً» قيل: مستقيماً معتدلاً[1]، عن ابن عباس، والضحاك. وقيل: قيماً على سائر الكتب يصدقها وينفي الباطل عنها وهو ناسخ لشرائعها، عن الفراء. وقيل: «قيما» أي كالقيم بأمرنا لأنه يلزمنا الرجوع إليه في أمور الدين واتباع آدابه، عن أبي مسلم. وقيل: جعلته[2] قيماً دائماً من حيث يدوم ويثبت إلى يوم القيامة لا ينسخ، عن الأصم.

ومتى قيل: ما معنى المستقيم في صفة القرآن؟

قلنا: الذي لا تناقض فيه ولا فساد ولا هزل ولا خلل ولا خلف ولا كذب ولا غير ذلك مما يدخل في كلام[3] الناس.

«وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا» قيل: ملتبساً، عن ابن عباس. وقيل: مختلفاً حتى يكون بعضه حقاً وبعضه باطلاً وبعضه صدقاً وبعضه كذباً وبعضه حجة وبعضه شبهة.

ثم بيّن الغرض بإنزاله فقال سبحانه: «لِيُنْذِرَ» قيل: فيه[4] حذف أي لينذركم «بَأْساً» كقوله: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي: يخوفكم أولياءه، ومعناه لينذر ليخوف «بَأْساً شَدِيداً» أي: عذاباً شديداً لمن[5] كفر بالقرآن، وقيل: البأس جهنم، حكاه الأصم. وقيل: البأس الشديد الأخذ الشديد «مِنْ لَدُنْهُ» من عنده «وَيُبَشِّرَ

---

(١) معتدلاً: متعدلاً، ب، و.

(٢) جعلته: جعله، ب، و.

(٣) كلام: الكلام، ز.

(٤) فيه: قد، ز.

(٥) لمن: فمن، ز، ل، م؛ من، ب، و.

«الْمُؤْمِنِينَ» المصدقين **«الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً»** ثواباً[١] **«مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً»** أي: مقيمين فيه أبداً، يعني الثواب الدائم والمآب[٢] الدائم، وقيل: الأجر الحسن الجنة **«وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً»** أي: يخوفهم بالعذاب.

ومتى قيل: لم عم في الآية الأولى الإنذار وخص هاهنا؟

قلنا: في الأول عم المكلفين، وخص هاهنا لعظم حالهم وذنبهم بالشرك ولتقليدهم الآباء في ذلك، ولإصرارهم على الجهل وقلة التفكر، ولصدهم الناس عن الدين.

«الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» قيل: قريش قالت: الملائكة بنات الله، عن الحسن، وقيل: النصارى قالوا: المسيح ابن الله، وقيل: هو عام في الجميع، وهو الوجه **«مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ»** أي: لا يقولون ذلك عن علم **«وَلا لآبَائِهِمْ»** أي: ما قال آباؤهم عن حجة توجب العلم **«كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ»** أي: عظمت هذه الكلمة كلمة في استحقاق العذاب[٣] **«تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ»** أضافها إلى الفم لأنهم تكلموا بذلك بأفواههم عن غير دليل على صحة ذلك، وقيل: تظهر من أفواههم، وذكر الفم للتأكيد **«إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً»** أي: ما قالوا ذلك إلا كذباً **«فَلَعَلَّكَ»** يا محمد، قال أبو علي: وليس بشك[٤] وإنما هو نهي[٥] يعني لا تأسف **«عَلَى آثَارِهِمْ»** أي: بيوتهم[٦] قاتلاً نفسك إن لم يؤمنوا **«بَاخِعٌ نَفْسَكَ»** أي: مهلك نفسك غيظاً وحسرة **«عَلَى آثَارِهِمْ»** أي: بعد موتهم، وقيل: على آثار[٧] الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ **[الإسراء: ٩٠]**،

(١) ثوابا: +، ب، و.
(٢) والمآب: والمثاب، ب، و.
(٣) العذاب: العقاب، ز، ل.
(٤) يشك: لشك، ب، و.
(٥) نهي: بمعنى، ز، م.
(٦) بيوتهم: موتهم، ز، ل، م.
(٧) آثار: أثارهم، ز.

وهي[1] تسلية، أي: حزنك عليهم لا ينفع فلا[2] تحزن، وقيل: «**بَاخِعٌ نَفْسَكَ**[3]» قاتل نفسك، عن قتادة. وقيل: «**عَلَى آثَارِهِمْ**» على إدبارهم[4] عنك وتكذيبهم إياك «**إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ**» يعني القرآن «**أَسَفاً**» قيل: حزناً، عن الحسن. وقيل: غضباً، عن قتادة. وقيل[5]: جزعاً، عن مجاهد.

۞ الأحكام

تدل الآية الأولى على تعليم الله تعالى عباده كيف يحمدونه وكيف يمجدونه.

وتدل على وجوب الشكر على إنزال القرآن[6] لأنه الأصل في الدين، وقد بينا ذلك من قبل.

وتدل[7] على حدث القرآن من حيث وصفه بالإنزال وبالحديث من حيث جعله نعمة.

ويدل قوله: «**قيّماً**» على[8] أنه مستقيم[9] في باب الدلالة، فإنه ثابت دائم.

وتدل على أنه محروس محفوظ على الأنام من التغيير والزيادة والنقصان خلاف قول الإمامية.

وتدل على أن المقصد[10] بالقرآن للإنذار والتخويف الانتهاء[11] عن المعصية ولو كانت الأفعال خلقاً له لم يصح الإنذار.

---

(١) وهي: هو، ب، و.
(٢) فلا: ولا، ب، و.
(٣) نفسك: ـ ، ز، ل، م.
(٤) إدبارهم: أدبارك، ل.
(٥) وقيل: ـ ، ب، و.
(٦) كيف يحمدونه... إنزال القرآن: ـ ، ز، ل، م.
(٧) وتدل: فدل، ز، ل، م.
(٨) على: ـ ، ز، ل، م.
(٩) مستقيم: يستقيم، ل، م.
(١٠) المقصد: التفضل، ز، ل، م.
(١١) الانتهاء: والانتهاء، ز، ل، م.

وتدل على أن قولهم: «**اتخذ الله ولداً**» فعلهم، حدث[1] من جهتهم حتى يصح الوعيد والنهي، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وقوله تعالى: «**أن لهم أجراً**» يدل على أن الجنة تستحق بالإيمان والعمل الصالح خلاف قول المرجية.

ويدل قوله: «**وينذر**»الآية أنه كان يدعو إلى التوحيد أولاً ثم شرع الشرائع على سنة الرسول، فيبطل قول من زعم أن المتكلمين ابتدعوا من الكلام ما لم ينقل عن الرسول.

ويدل قوله: «**كبرت**» على أن أعظم الذنوب الشرك.

قوله تعالى:
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾

اللغة

الصعيد: التراب، وقيل: الصعيد: وجه الأرض، والصعيد الأرض المستوية.

والجرز: اليابس الذي لا نبت فيه، يقال[2]: جرزت[3] الأرض فهي مجروزة، وسنة جرز، وسنون أجراز، يقال ذلك ليبسها وجدبها، قال الشاعر:

قد جرعتني السنون الأجرا

قال أبو مسلم: الجرز: القطع، يقال: سيف جراز إذا كان قاطعاً ماضياً، والجروز الرجل إذا أكل لم يترك على المائدة شيئاً، وكذلك المرأة[4]، والناقة، وأرض جارزة: يابسة غليظة، والجمع: جوارز.

---

(١) حدث: حديث، ز، ل، م.
(٢) يقال: فيقال، ز، ل، م.
(٣) جرزت: أجرزت، ز، ل.
(٤) المرأة: المرة، ل، م.

۞ الإعراب

«أيهم» رفع على[١] الابتداء لأن ما قبل حرف[٢] الاستفهام لا يعمل فيما بعده، ومثله: ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾.

«صعداً» نصب بـ(جاعلون).

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى أنه ابتلاهم بالنعمة، وأن جزاءهم عليه ومصيرهم إليه، فقال سبحانه: «**إِنَّا جَعَلْنَا**» خلقنا «**مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا**» أي: حلية، قيل: هي[٣] الأشجار، والثمار، والذهب، والفضة، والأواني، والدواب، والمواشي، وسائر ما ينتفع به[٤]، وقيل[٥]: أراد به الرجال خاصة، عن الضحاك. «**لِنَبْلُوَهُمْ**» أي: نعاملهم معاملة المختبر[٦] المبتلي، والابتلاء والاختبار والامتحان نظائر، والله تعالى كلفهم ليظهر الشاكر من الكافر وإن كان عالماً بما يؤول إليه حالهم.

ومتى قيل: كيف تكون زينة الدنيا ابتلاءً؟

قلنا: لأن الشهوة تتعلق بها، ولا يصح التكليف إلا بها وفيها حرام يجب الامتناع منه، وإذا امتنع وجب الثواب، وإن أقدم وجب العقاب، وفيها الحلال يجب الشكر[٧] عليه وإنفاقه في مواضعه، عن أبي مسلم.

وقيل: الابتلاء فيه أن تستعمل تلك الزينة في طاعته دون معاصيه، عن أبي علي.

---

(١) على: ـ، ز، ل، م.
(٢) حرف: حروف؛ ب، ل، و.
(٣) هي: وهو، ب، و.
(٤) به: ـ، ل.
(٥) وقيل: وفيه، ز، ل، م.
(٦) المختبر: ـ، ز، ل، م.
(٧) الشكر: ـ، ز.

«**أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**» أي: ليظهر منهم ما كان معلوماً ليكون الجزاء على[1] قدر[2] العمل والأحسن[3] عملاً الأعمل بطاعة الله والأطوع[4] له، وقيل: حسن العمل: الاستقامة[5] على السنة «**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً**» يعني مخربون الأرض بعد عمارتها بجعل[6] ما عليها صعيداً؛ أي: أرضاً «**جُرُزاً**» قيل: يابساً لا نبات عليه، وقيل: بلقعاً، عن مجاهد. وقيل: أرضاً محصوداً كلما كان عليها؛ أي: قطع.

۞ الأحكام

تدل الآية[7] على أن جميع ما في الأرض زينة لها[8]، وعلى عظيم نعم الله على الخلق بها.

وتدل على أنه فعل ذلك لمكان التكليف.

وتدل على أنه أراد منهم العمل الصالح لولا ذلك لما قال: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وتدل على أنها تصير بلقعاً لا نبت عليها، وأنها كذلك عند انقطاع التكليف وفناء الأجسام، وثبوت أشراط الساعة.

ويدل قوله: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أن أفعالهم حادثة من جهتهم، لولا ذلك لما صح الابتلاء، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) على: عليه، ز، ل، م.
(٢) قدر: ـ ، ز، ل، م.
(٣) والأحسن: ولا أحسن، ز، ل، م.
(٤) والأطوع: والطوع، ل.
(٥) الاستقامة: والاستقامة، ز، ل، م.
(٦) بجعل: فنجعل، ب، و.
(٧) الآية: ـ ، ز، م، الآية تدل، ل.
(٨) لها: ـ ، ل، م.

قوله تعالى:
﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى
ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾
فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

اللغة

الرقم: الخط، والرقيم: الكتاب، وهو في معنى مرقوم فعيل(١) بمعنى مفعول، كجريح بمعنى مجروح، وقتيل(٢) بمعنى مقتول، يقال: رقمت هذا أي: كتبته، ومنه: الرقم في الثوب لأنها علامة يعرف بها(٣) ثمنه، ومنه قيل الرقم(٤) للحية المنقشة(٥) لما فيها من الخطوط، والرقمة من الوادي حيث الماء لأنها علامته(٦)، ومنه قولهم: عليك بالرقمة ودع الضفة؛ أي: عليك برقمة الوادي حيث الماء ودع الجانب، والضفتان: جانبا الوادي، قال الخليل: الرقم: تعجيم(٧) الكتاب و﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٢٠] أي: ثبتت حروفه بعلاماتها من النقط(٨)، والرقمة: الروضة، والرقم: الداهية.

أوى أوياً إذا رجع، ومنه: الآوية، والمأوى المرجع(٩).

والضرب معروف، (ضربنا على آذانهم) من فصيح الكلام أي: سلطت عليهم النوم، يقال: ضرب الله فلاناً بالفالج إذا ابتلاه به، قال قطرب: هو كقول العرب:

---

(١) فعيل: ـ، و.
(٢) وقتيل: قيل، ب، و، ل، م.
(٣) يعرف بها: يعلم بها يعرف بها، ب، و؛ يعلم بها، ز.
(٤) الرقم: ـ، ز، ل، م، أرقم، ب.
(٥) المنقشة: النقشة، ز، ل، م.
(٦) علامته: علامة، ل.
(٧) تعجيم: تفحيم، ز، ل، م.
(٨) النقط: السقط، م؛ التنقيط، ز.
(٩) المرجع: ـ، ز.

ضرب الأمير على يد فلان إذا منعه عن العبث والفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون إذا منعه من التصرف، قال الأسود بن يعفر وكان ضريراً:

ومن الحوادث لا[1] أباً لك أنني[2] ضربت على الأرض[3] بالأسداد[4]

والكهف: الغار في الجبل.

والرشد: إصابة الطريق المؤدي إلى البغية، رشد يرشد رشداً، وأرشده الله إرشاداً، ومنه: الرشد نقيض الغي.

والحزب: الطائفة والجماعة، والأحزاب جمع حزب، والحزبان الطائفتان المختلفتان في أمرهم.

والإحصاء[5] والعدد نظائر، والعدد الاسم وهو المعدود، وأحصيته[6] إحصاءً.

والأمد[7]: الغاية، قال النابغة:

سبق الجواد[8] إذا استولى على الأمد[9]

❁ الإعراب

(أن) في قوله: «أَنَّ[10] «أَصْحَابَ الْكَهْفِ» موضعه نصب ب(حسبت).

و«عجباً[11]» نصب لأنه خبر (كان).

---

(١) لا: ـ، ب.
(٢) أنني: أي، ز.
(٣) الأرض: ـ، ز.
(٤) بالأسداد: الأسداد، ز؛ والبيت قائله الأسود بن يعفر النهشلي.
(٥) والإحصاء: والإصاء، ز.
(٦) وأحصيته: أحصيته، ز.
(٧) والأمد: الابتداء، ل.
(٨) الجواد: الجراد، ز، ل، م.
(٩) البيت النابغة الذبياني في معلقته وصدره:
إلا لمثلك أو من أنت سابقه
أنظر ديوان النابغة الذبياني.
(١٠) أن: ـ، ز.
(١١) عجباً: وتعجباً، ز.

و«رشداً» نصب بوقوع[١] الفعل عليه وهو قوله: «وَهَيِّئْ».

و«سنين» نصب على التفسير، وقيل: «وضربنا[٢]».

و«عدداً» نعت للسنين، وقيل: نصب على المصدر، عن أبي عبيدة.

وفي نصب قوله: «أمداً[٣]» قولان: يحتمل أن يكون نصباً بـ (أحصى)، ويحتمل بـ (لبثوا[٤])، عن الزجاج. أي: رفع بـ (أحصى) تقديره: أي[٥] الحزبين أحصوا لبثهم وقيل: «أمداً[٦]» نصب على التفسير.

۞ النزول

ذكر الأصم أن جماعة من قريش لما عجزوا عن أمر النبي ﷺ فزعوا إلى أحبار اليهود بيثرب وشاوروهم في أمره، فقالت اليهود لهم: اسألوه عن مسائل، فإن أجابكم فهو نبي، وإلا فاسألوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وسلوه[٧] ما الذي كان أسكن إسرائيل ولده[٨] مصر، فسألوه فقال: «لم يأتني في هذا علم»، فضحكوا[٩] وظنوا أنهم ظفروا، فرفع طرفه إلى السماء فرجع إليه الطرف بالوحي، ونزل: «أم حسبت».

وذكر ابن عباس أن قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعتبة[١٠] بن أبي معيط إلى أحبار[١١] اليهود بالمدينة ليسألوهم عن شأن محمدٍ ووصفوه باسمه ونعته ونسبه، هل هو نبي أم لا؟ فخرجا وسألا[١٢] ووصفاه، فقالوا: إن كان[١٣] هذا كما قلتم[١٤] فهو

(١) بوقوع: لوقوع، ب، و.
(٢) وضربنا: ضربنا، ب، و.
(٣) أمداً: أبداً، ز، ل، م، و.
(٤) لبثوا: للبثوا، و.
(٥) أي: +، ب، و.
(٦) أمداً: أبداً، ل، و.
(٧) وسلوه: واسألوه، ب، ز، و.
(٨) ولده: ـ، ب، و.
(٩) فضحكوا: فضجوا، ب، و.
(١٠) وعتبة: عتيبة. ز، ل، م.
(١١) أحبار: أحياء، ب، و.
(١٢) وسألا: +، ب، و.
(١٣) كان: +، ب، و.
(١٤) قلتم: وصفتم، ب، و.

نبيّ، ولكن اسألوه[1] عن ثلاث خصال، فإنه يخبركم بخصلتين ولا يخبركم بالثالثة، اسألوه[2] عن: فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإن شأنهم عجيب، وسلوه[3] عن رجل طوّاف بلغ[4] مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه[5] عن الروح، فإن لم يخبركم عن الروح[6] فهو نبي، فانصرفا[7] إلى مكة وسألوه، فقال: «أخبركم غداً» ولم يستثن، فمكث خمس عشرة ليلة لا يوحى إليه شيء[8]، وذكر الأصم أن الفترة ليلة واحدة ثم جاءه جبريل فقال: «ما حبسك عني»؟ فقال: لم تستثن، فنزل[9]: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ ونزل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ، ثم نزل قصة الكهف وذي القرنين وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وذكر الأصم: لما نزل جبريل قال له النبي ﷺ: «ما اشتقت إليّ كما اشتقت إليك، فقال: وما نتنزل إلا بأمر ربك»، وأنكر الأصم[10] ذلك لأنه لا يجوز تأخير الحجة لأنه لم يستثن، وقد سألوه عما هو حجة ولأنه لا يسأل[11] ربه ما لم يؤذن، ولأنه عالم أنه لا يكون شيء إلا أن يشاء[12] الله وإن لم يستثن ذلك بلسانه فهو معتقد لذلك بقلبه ولم يؤاخذ به، وإن تأخير الوحي يؤدي إلى التنفير.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

(١) اسألوه: سلوه، ب، و.
(٢) اسألوه: سلوه، ب، و.
(٣) وسلوه: واسألوه، ب، ز، و.
(٤) طواف بلغ: طوى وبلغ، ز، ل.
(٥) وسلوه: واسألوه، ب، و.
(٦) عن الروح: بالروح، ب، و.
(٧) فانصرفا: فانصرفوا، ب، و.
(٨) شيء: +، ب، و.
(٩) فنزل: ونزل، ب، و.
(١٠) لما نزل جبريل... وأنكر الأصم: ـ، ل.
(١١) ولأنه لا يسأل: ولأنه سأل، ب، و.
(١٢) أن يشاء: بإذن، ز.

قلنا: فيه وجوه:

أولها: أخبر عن زينة الأرض[١] وذكر أنه خلقها للابتلاء والمحنة، فعقبه[٢] بذكر حال الفتية وهم من أبناء الأجلة تركوا زينة الدنيا، واختاروا طاعة الله، وخرجوا هاربين بدينهم، مفارقين ديارهم[٣] وأموالهم[٤]، حثاً على الاقتداء بهم.

وقيل: هو[٥] تسلية له[٦] ﷺ اتصل بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ[٧] بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾ أي: إن لم يؤمنوا فلا تأسف عليهم وعليك بنفسك لا يضرك كفرهم، والله ناصرك وحافظك من أعدائك[٨] كما حفظ أصحاب الكهف.

وقيل: يتصل بقوله: ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا﴾ بالخير والنصرة كما فعل بأولئك.

۞ المعنى

«**أَمْ حَسِبْتَ**» قيل: أم ظننت، وقيل: علمت، ويجوز أن يعلمها ثم يقص عليه، عن أبي علي. وإنما علم بتعليم الله إياه، وقيل: الخطاب للنبي ﷺ، وقيل: أم حسبت أيها السامع أو أيها الإنسان «**أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ**» وقصتهم حين أووا إلى الكهف وهو الغار «**وَالرَّقِيمِ**» أي: أصحاب الرقيم، قيل: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب[٩] الكهف وقصتهم حين أووا إلى الكهف وجعل في الخزائن لما فيه من العجائب، وقيل: اللوح من حجارة، وقيل: من رصاص، وقيل: فعل ذلك على باب كهفهم، وقيل: الرقيم الكتاب الذي كتب فيه شأنهم ووضع ذلك[١٠] على باب الكهف، عن

(١) الأرض: الدنيا، ب، و.
(٢) فعقبه: ففيه، ب، و.
(٣) ديارهم: ديارهم وديارهم، ب، و.
(٤) وأموالهم: ـ، ب، و.
(٥) هو: +، ب، و.
(٦) له: للنبي، ب.
(٧) فلعلك: لعلك، ب، ز، و.
(٨) أعدائك: أعداك، ز، م.
(٩) أصحاب: ـ، ل؛ أهل، ب، و.
(١٠) ذلك: +، ز.

مجاهد، وسعيد بن جبير. وقيل: اسم الوادي، عن ابن عباس، والضحاك. وهو دون فلسطين، وقيل: الرقيم الجبل الذي فيه ذلك الكهف، عن الحسن. كأنه ذهب إلى أن الجبل[١] علم كما أن الكتاب علم على المعنى، وقيل: هو[٢] اسم لقريتهم، عن كعب. «**كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**» قيل: معناه كانوا عجباً مع أني خلقت من السماوات والأرض وما بينهما[٣] ما هو أعجب منه، والحجة بذلك قائمة، وقيل: من آياتي ما هو[٤] أعجب من ذلك، عن مجاهد، وقتادة. وقيل: معناه أنه ليس من آياتنا تعجب[٥]، وقيل: لا تعجب منهم فأمرك[٦] أعجب إذ أسري بك في ليلة واحدة[٧] من مكة[٨] إلى المسجد الأقصى وسدرة المنتهى ورجعت إلى مكة «**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**» أي: رجعوا إلى الغار في الجبل فاتخذوه مأوى لهم، قيل[٩]: هم قوم هربوا بدينهم إلى الكهف، عن الحسن. وقيل: هم كانوا على دين المسيح لما خرج أهل الإنجيل فطغت ملوكهم وعبدوا الأصنام، وكان[١٠] لهم ملك يقال له[١١]: دقيانوس، يعبد[١٢] الأصنام، ويقتل من خالفه، فهربوا منه، فردم عليهم باب الكهف، فبعث[١٣] الله ملكاً على دين المسيح[١٤] عيسى، فانتبهوا[١٥]، عن ابن عباس[١٦]. وقيل: كانوا

---

(١) الجبل: +، ب، و.
(٢) هو: +، ب، و.
(٣) وما بينهما: وما بينهما أعجب، ز.
(٤) ما هو أعجب منه... ما هو: +، ب، ز، و.
(٥) تعجب: تعجيب، ب، و، ل.
(٦) وقتادة وقيل... منهم فأمرك: ـ، ز.
(٧) واحدة: ـ، ز، و.
(٨) في ليلة واحدة من مكة: من مكة في ليلة، ب.
(٩) قيل: وقيل، ز، ل.
(١٠) وكان: فكان، ل.
(١١) له: +، ب، ز، و.
(١٢) يعبد: بعد، ز.
(١٣) فبعث: وبعث، ب، ز، ل، و.
(١٤) المسيح: ـ، ب، و.
(١٥) فانتبهوا: وانتبهوا، ب، ل.
(١٦) عباس: إسحاق، ب، و.

من خواص الملك، أحدهم وزيره[١]، فآمنوا بالله، وستر كل واحد منهم[٢] إيمانه من صاحبه، ثم اجتمعوا اتفاقاً، وأظهروا أمرهم، وأووا إلى الكهف، عن عبيد بن عمير. وقيل: كانوا من حواري عيسى عليه السلام، عن وهب. وقيل: كانوا ثمانية أكبرهم يسمى[٣] مكتلينا[٤]، وقيل: صاحب نفقاتهم[٥] يمليخا[٦]، وقيل: كانوا قبل عيسى عليه السلام، وقيل: كان فيهم نبي يرشدهم لأن ما جرى من نقض العادة كان كالمعجز فلا بد من نبي ظهر ذلك عليه، عن أبي علي. وقيل: لما خافوا من أن يلحقهم من يفتنهم[٧] **«فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً»** أي: رحمة[٨] ننجوا من الكفار، ففعل الله ذلك بهم[٩] **«وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً»** قيل[١٠]: دلنا على أمر فيه نجاتنا، لأن الرشد والنجاة بمعنى[١١]، عن أبي علي. وقيل: هيئ[١٢] في سائر أمورنا الخير والرشد[١٣]، فسألوه النجاة من الأعداء، وأن يكفي أمرهم فيما يحتاجون إليه من المطعم والمشرب حتى لا يوقف عليهم، وكانوا متحيرين عن الخروج فيلحقهم[١٤] الطلب، أو البقاء في الكهف فيضطرون إلى القوت، وقيل: يسر لنا من أمرنا ما نلتمس رجاءك وهو الرشد، وقيل: رشداً مخرجاً من الغار في سلامة، عن ابن عباس. فأجاب الله دعاءهم وألقى النوم عليهم حتى كفوا أمر[١٥] المطعم والمشرب والملبس **«فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي**

---

(١) وزيره: وزير، ب، و.
(٢) منهم: +، ز.
(٣) يسمى: +، ب، ز، و.
(٤) مكتلينا: مكلينا، ز.
(٥) نفقاتهم: نهاتهم، ز، ل.
(٦) يمليخا: مليخا، ز، ل.
(٧) يفتنهم: نفثهم، ب، ل، و.
(٨) رحمة: نعمة، ب، ل، و.
(٩) بهم: لهم، ز، ل، م.
(١٠) قيل: وقيل، ب، و.
(١١) بمعنى: ـ ، ب، و.
(١٢) هيئ: يهيئ، م.
(١٣) الخير والرشد: الرشد والخير، ز.
(١٤) فيلحقهم: فلحقهم، و.
(١٥) أمر: أمرهم، ز، ل.

الْكَهْفِ سِنِيْنَ عَدَداً[1]» قيل: جعلنا فيها ما يمنع[2] من الإدراك كما يضرب على الكتاب بما يمنع عن[3] الإدراك[4]، وقيل: سلطنا عليهم النوم، وشبه النوم بالضرب على الأذان حتى لا يسمع شيئاً «**سِنِينَ عَدَداً**» أي: سنين معدودة «**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ**» أي: أيقظناهم من نومهم «**لِنَعْلَمَ**[5]» قيل: لنظهر المعلوم فيعلم موجوداً، لأنه[6] لا يعلم كذلك[7] إلا بعد وجوده، عن أبي مسلم. وقيل: لنعلم: أي[8]: لنبين[9] فيعلمون، عن أبي علي، والأول الوجه: وقيل: (**لنعلم**) يعني: اختلاف[10] الحزبين في مدة لبثهم وكيفية ذلك وأيهم أعلم «**أَيُّ الْحِزْبَيْنِ**» أي: أي الطائفتين، وقيل: أحد الحزبين الفتية، والآخر من حضرهم من أهل ذلك الزمان، وقيل: أحد الحزبين المؤمنون، والآخر الكفار، وقيل: الجميع مسلمون، وأحد الحزبين أصحاب الملك الذين تنازعوا فيه، والحزب الآخر الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف، وقيل: أحد الحزبين أهل الكتاب عرفوا ذلك من كتبهم، والحزب الآخر النبي ﷺ والمسلمون، وقد أعلمهم الله تعالى[11] فقال بقصتهم[12]، عن أبي مسلم. وقيل: الحزب[13] الأول هو الله، والحزب[14] الآخر آلهتهم، وفيه تعيير[15]، لأنهم لا يعلمون، وهذا لا يصح؛ لأن اسم الحزب لا يقع إلا أن يقال: المراد حزب الله، وهي الطائفة المحقة، والأول

---

(١) سنين عددا: +، ب، و.
(٢) ما يمنع: +، و.
(٣) عن: من، ز، م.
(٤) كما يضرب... الإدراك: -، ل.
(٥) لنعلم: ليعلم، ز.
(٦) موجوداً لأنه: موجودا الاية، ز.
(٧) كذلك: -، ب، و.
(٨) أي: +، ز.
(٩) لنبين: السنين، ز.
(١٠) اختلاف: اختلاف في، ب، و.
(١١) الله تعالى: +، ب، و.
(١٢) بقصتهم: قصتهم، ب، و؛ بعضهم، ز.
(١٣) الحزب: حزب، ز، ل، م.
(١٤) والحزب: وحزب، ز.
(١٥) تعيير: تعبير، ب، ز، ل، م.

الطائفة المبطلة، فتعود إلى ما تقدم «**أَحْصَى**» أي[١]: أحفظ وأصوب قولاً «**لِمَا لَبِثُوا**» أي[٢]: مكثوا في كهفهم نياماً[٣]» غاية.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الفتية هربوا بدينهم إلى الكهف ليسلموا من الفتنة، والقصة إلى آخرها تدل أن هربهم كان لسلامة الدين لا لغرض آخر.

وتدل على حسن الفرار بالدين إذا خيف الفتنة في بلد، ووجوبه[٤] في بعض الأحوال[٥].

ويدل قوله: «**ربنا**..» الآية على وجوب الإتكال على الله تعالى[٦] لمن انقطع واعتزل عن الناس فراراً بدينه.

وتدل أحوالهم على معجزات عظيمة، وأنه لا بد أن يكون فيهم نبي.

قال أبو علي: كان كبير القوم نبياً، وما ظهر كان من معجزاته، فمن ذلك بقاءهم أحياء ثلاثمائة وتسع سنين على حالة واحدة من النوم.

ومنها: اتصال نومهم.

ومنها: بقاء حياتهم بلا غذاء.

ومنها: أنهم كانوا نياماً وصورهم صور المتيقظ[٧].

ومنها: أنه لم يتغير عليهم صورة ولا ثوب في تلك المدة.

واختلفوا في سرد أخبارهم اختلافاً كثيراً نشير إلى جملة وجيزة.

---

(١) أي: ـ، ز.
(٢) أي: ـ، ب.
(٣) نياماً: قياماً، ز، ل، م.
(٤) ووجوبه: وجوبها، ب، ل.
(٥) وتدل على حسن. . . بعض الأحوال: +، ب، ز.
(٦) تعالى: +، ل.
(٧) المتيقظ: المستيقظ، ز، ل، م.

۞ القصة

أما الرقيم فقيل: اللوح الذي أخرجه الخضر، وستأتي قصته، وقيل: ثلاثة نفر حبسوا في غار فدعوا الله[1] ففرج[2] الله عنهم[3]، رواه[4] النعمان بن بشير مرفوعاً. وقيل: هم أصحاب الكهف، وعليه أكثر المفسرين.

واختلفوا فيهم، قيل: كانوا قبل عيسى، وقيل: كانوا بعد عيسى في النصارى، عن محمد بن إسحاق. وقيل: كانوا قبل موسى لأن قصتهم في التوراة، عن الأصم.

وذكر[5] محمد بن إسحاق أنهم كانوا فتية على دين عيسى، وكان ملكهم[6] يقال له: دقيانوس، يعبد الأصنام[7]، ويدعو إليها، ويقتل من خالفه، فأخبر بمكانهم، فدعاهم وأوعدهم، وقال: إما أن تعبدوا آلهتنا أو أقتلكم، فقال[8] كبيرهم: إن لنا إلهاً ملأ السماوات والأرض عظمة[9]، لن ندعوا من دونه إلهاً ولن نقر بما تدعونا إليه، ولكن نعبد الله، وإياه نسأل[10] النجاة والخير[11]، فقال كلهم مثل ما قال، فأمر بنزع ثيابهم ويجلدوا[12]، فإن أطاعوا وإلا قتلوا، وانطلق دقيانوس إلى مدينة أخرى[13].

وعن عبيد بن عمير أنهم كانوا فتية من قوم عباد الصنم، فخرجوا في عيدهم في زي عظيم وموكب[14] عظيم، وأخرجوا آلهتهم، وخرج الفتية، فوقع في قلب الفتية

---

(١) الله: +، ب.
(٢) ففرج: فرج، ز.
(٣) عنهم: عليهم، ب، و.
(٤) رواه: رواية، ب، و، ورواه، ز.
(٥) وذكر: فذكر، ب.
(٦) ملكهم: ملك، ب.
(٧) الأصنام: الصنم، ز، ل، م.
(٨) أقتلكم فقال: اقتلهم وقال، ل.
(٩) عظمة: عظمته، ب، ز.
(١٠) نسأل: نسأله، ل.
(١١) والخير: ـ ، ز.
(١٢) ويجلدوا: وأن يؤجلوا، ب، و؛ يجلوا، ز.
(١٣) أخرى: أخزى، ب.
(١٤) وموكب: ومركب، ز، ل.

وأحدهم وزير الملك أن ما عليه القوم ليس بدين، فآمنوا وأخفى كل واحد من صاحبه، وقال كل واحد في نفسه: نخرج من بين أظهر هؤلاء لا يصيبنا عذاب بسببهم، فخرج شاب حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس، ثم جاء آخر فرآه جالساً فرجا أن يكون على مثل دينه فجلس إليه، ثم جاء الآخرون فجلسوا[١]، ثم أظهر بعضهم لبعض، واتفقوا على أمر واحد، ثم أووا إلى الكهف ومعهم كلب صيد، فباتوا[٢]، فطلبهم قومهم، وعمى الله عليهم[٣] آثارهم، فكتبت[٤] أسماءهم في لوح[٥] ووضعوه[٦] في خزانة الملك، وقالوا: ليكونن[٧] لهذا شأن، ومات الملك، وجاء قرن بعد قرن.

وعن وهب: جاء حواري عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف، وكان على بابها صنم لا بد لمن يدخلها أن[٨] يسجد له، وكرهوا[٩] ذلك، فأتى حماماً قريباً من المدينة، فأجر[١٠] نفسه من الحمامي ويعمل فيه، ورأى صاحب الحمام البركة منه، وظهر أمره، فكان[١١] يأتيه الناس فيخبرهم بأخبار[١٢] السماء حتى آمن به جماعة من الناس[١٣]، وكان يصلي بالليل، فجاء ابن الملك بامرأة ليدخل بها الحمام، فعيره الحواري، فاستحيا وذهب، وعاد مرة أخرى فعيره الحواري فسبه ولم يلتفت إليه

(١) فجلسوا: وجلسوا، ب.
(٢) فباتوا: فناموا، ب، ز.
(٣) عليهم: على، ز.
(٤) فكتبت: فكتب، ل.
(٥) في لوح: في لوح وقصصهم، ب.
(٦) ووضعوه: ووضعه، ز.
(٧) ليكونن: ليكون، ب، ز، ل.
(٨) أن: ـ ، ب.
(٩) وكرهوا: فكرهوا، ز.
(١٠) فأجر: وأجر، ل.
(١١) فكان: وكان، ب، ل.
(١٢) بأخبار: من أخبار، ز.
(١٣) من الناس: ـ ، ب.

ودخلا فماتا جميعاً في الحمام، وأخبر الملك بأن صاحب الحمام قتل ابنك، فطلب فلم يوجد، فخرجوا من البلد ومروا على صاحب لهم في زرع على مثل دينهم، فتبعهم[١] مع كلبه، فأووا إلى الكهف ليناموا ليلاً، فإذا أصبحوا[٢] يرون رأيهم، فضرب الله تعالى[٣] على آذانهم، فخرج الملك حتى أتى الكهف ولم يطق أحد دخوله، فقيل له[٤]: ابْنِ عليهم الكهف يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعل.

فعاد[٥] الخبر إلى حديث ابن إسحاق: فلما غاب الملك دقيانوس ائتمروا بينهم، وعلموا أنه إن رجع[٦] يقتلهم[٧]، فأخذوا ثقة[٨] وخرجوا[٩] وتبعهم كلب حتى أتوا الكهف.

وعن محمد بن كعب: مروا بكلب فتبعهم فطردوه[١٠]، فقال: لا تخشوا جانبي، أنا أحب أحباء الله، ناموا حتى أحرسكم.

وعن ابن عباس: كانوا سبعة[١١]، فمروا براع[١٢] معه كلب فتبعهم على دينهم، فأووا[١٣] إلى الكهف يصلون ويعبدون الله ونفقاتهم إلى فتى يسمى[١٤] تمليخا[١٥] فيدخل[١٦] البلد على زي مسكين يشتري طعاماً ويخرج إليهم، وعاد يوماً فأخبرهم أن

---

(١) فتبعهم: فبعثهم، ب.
(٢) أصبحوا: أصبح، ز.
(٣) تعالى: +، ل.
(٤) له: لهم، ب.
(٥) فعاد: فلا، ز.
(٦) رجع: رجعوا، ل.
(٧) يقتلهم: ليقتلهم، ب.
(٨) ثقة: الله، ز؛ لله، م.
(٩) وخرجوا: ـ، م.
(١٠) فطردوه: فيطردوه، ب، و.
(١١) كانوا سبعة: +، ب، ز.
(١٢) فمروا براع: على راع، ل، م.
(١٣) فأووا: وأووا، ب.
(١٤) يسمى: يسمى يقال له، ب.
(١٥) تمليخاً: مليخا، ز، ل، م.
(١٦) فيدخل: فدخل، ل.

دقيانوس رجع إلى البلد، وأخذ الناس بدينه، فخافوا وجلسوا يتحادثون ويتذاكرون أمرهم وهو عند غروب الشمس، فضرب الله على آذانهم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، وتفقدهم[١] دقيانوس فلم يجدهم، وطولب آباءهم بهم، ثم أخبر بمكانهم[٢]، فأمر بالكهف أن يسد عليهم ليكون قبراً لهم يموتون جوعاً وعطشاً، وأراد الله أن يجعلهم آية للناس، فكان مع دقيانوس رجلاً مؤمناً[٣]، فكتب أسماءهم وقصصهم في لوح من رصاص، وجعلها في تابوت، وجعل في البنيان، ومات دقيانوس، وانقرض قومه وقرون بعده كثيرة، وخلفت الملوك بعد الملوك.

فهذه جملة ما روي من أخبارهم إلى أن ناموا[٤].

فأما ما جرى بعد انتباههم: فروي أن راعياً أدركه المطر عند الكهف[٥]، ففتح الباب ليدخله وغنمه، فانتبهوا[٦] في غد ذلك اليوم، عن وهب.

وقيل: كانوا لبثوا فيها ثلاثمائة وتسع سنين ينامون ويتقلبون على أيمانهم وشمائلهم، وقيل: ملك تلك[٧] البلاد ملك مؤمن يسمى بيدوبيس والغالب على قومه إنكار البعث، فأظهر على الفتية ليجعلهم آية للناس، فوقع في نفس رجل من أهل تلك البلد أن يهدم ذلك البناء ويجعل الكهف حظيرة[٨] لغنمه، ففتحوا باب الكهف، فانتبهوا[٩]، فجلسوا من حينه، عن محمد بن إسحاق.

وقيل: لما استيقظوا سلم بعضهم على بعض، وكانوا كأنما استيقظوا من ساعتهم، ثم قاموا إلى الصلاة وهم يرون أن الملك دقيانوس، فلما قضوا صلاتهم

(١) وتفقدهم: وتفتقدهم. ل، م.
(٢) ثم أخبر بمكانهم: +، ب، ز.
(٣) رجلاً مؤمناً: رجلان مؤمنان، ب، ز.
(٤) ناموا: باتوا، ب، ز.
(٥) الكهف: المطر، ب.
(٦) فانتبهوا: وانتبهوا، ز.
(٧) ملك تلك: ملك ملك، ز، ل، م.
(٨) حظيرة: +، ب.
(٩) فانتبهوا: وانتبهوا، ب، ز، ل.

وخيل إليهم أن يومهم كان[1] أطول، وقيل: اشتبه عليهم لأنهم لما انتبهوا لم يتغير في أحوالهم، فظنوا[2] أنهم رقدوا كما كانوا يرقدون، فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم؟ قالوا: يوماً أو بعض يوم، ثم أرسلوا تمليخا[3] ليأتي[4] بخبز ويأتي بطعام، فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة، فتعجب منه ومضى حتى أتى باب المدينة فرأى على[5] الباب علامة أهل الإيمان، فتحول إلى باب آخر[6] حتى دار بالأبواب، ورأى على جميع الأبواب مثل ذلك، وظن أنه حيران، فقال في نفسه: ليت شعري[7] أما عشية أمس فكانوا يخفون هذه العلامة وإنها اليوم ظاهرة لعلي نائم، فرأى أناساً[8] يحلفون باسم عيسى، فقال: لعل هذا ليس[9] بالمدينة، فسأل عنها، فقيل: أفسوس، فتعجب، وإذا الناس غير ما شاهد[10]، وإذا الأحوال تغيرت، فأخرج الورق ودفعه إلى خباز، فنظر فيه وطرحه[11] إلى غيره، ثم نظروا وقال بعضهم لبعض: إن هذا وجد كنزاً، فطالبوه بالكنز، فتحير[12]، ثم أخذوه وجروه، واجتمع الناس وقالوا: ما نعرفه وليس من البلد، وهو حيران ساكت لعله يرى أباه أو أخاه أو بعض أقاربه، وذهبوا به إلى مدبري البلد رجلين صالحين أحدهما أريوس والآخر أسطيوس[13] وهو يظن أنه يذهب به إلى دقيانوس، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً والناس يسخرون منه كأنه مجنون، وهو فيما بين ذلك يدعو الله ويذكر أصحابه، فلما انتهى إلى الرجلين وعلم

---

(١) كان: +، ب.
(٢) فظنوا: وظنوا، ل، م.
(٣) تمليخاً: مليخا، ز، ل، م.
(٤) ليأتي: فيأتي، ب.
(٥) على: ـ، ز.
(٦) آخر: ـ، ب.
(٧) ليت شعري: ـ، ب.
(٨) أناساً: ناساً، ب.
(٩) ليس: ألسن، ز.
(١٠) شاهد: شاهدوا، ب، ز، و.
(١١) وطرحه: ورفعه، ز.
(١٢) بالكنز فتحير: ـ، ب.
(١٣) أسطيوس: أسطوس، ز، ل، م.

أنه لا يذهب به إلى دقيانوس سكن روعه، فسألوه عن حاله، فأخبرهم باسمه واسم أبيه وأحوال البلد، فلم يعرفوه ولم يصدقوه أنه لم يجد كنزاً، فلما كثر الكلام قال: أصدقوني عن شيئين، أين[1] الملك دقيانوس؟ قالوا: هذا منذ ثلاثمائة، فلما أخبروه بذلك[2] تعجب، وحكى عن قصة الفتية وأنهم خرجوا إلى الكهف، فانطلقوا معي أريكم أصحابي، فلما سمعوا ذلك[3] قال أريوس: لعل هذه آية من آيات الله، فانطلق هو وأهل البلد نحو الكهف، ولما رأى أصحاب الكهف تمليخا[4] قد احتبس ظنوا أنه قد[5] أخذ وذهب به إلى دقيانوس، وخافوا[6]، فبينما هم[7] كذلك إذ سمعوا الجلبة[8] والناس متوجهون[9] إليهم، فظنوا أنهم رسل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، وأوصى بعضهم بعضاً[10]، وقالوا: انطلقوا إلى أخينا تمليخا[11] فإنه الآن بين يدي الجبار دقيانوس، فبينماهم[12] كذلك في ذلك[13] إذ أقبل أريوس والناس، فسبقهم[14] تمليخاً[15]، ودخل[16] عليهم فسألوه عن شأنه[17] فأخبرهم[18] بخبره،

---

(١) أين: ين، ب.
(٢) بذلك: ـ، ز.
(٣) ذلك: ـ، ز.
(٤) تمليخاً: مليخا، ز، ل، م.
(٥) قد: +، ب، و.
(٦) وخافوا: فخافوا، ز.
(٧) فبينما هم: فبيناهم، ب، و.
(٨) الجلبة: اللجبة، ب، و.
(٩) متوجهون: متوجهين، ب، ز، و؛ متوجون، ل.
(١٠) بعضهم بعضاً: بعضهم إلى بعض، ب، و.
(١١) تمليخاً: مليخا، ز، ل، م.
(١٢) فبينما هم: فبيناهم، ب، و.
(١٣) في ذلك: +، ب، و.
(١٤) فسبقهم: وسبقهم، ب، و.
(١٥) تمليخاً: مليخا، ز، م.
(١٦) ودخل: فدخل، ز، ل، م.
(١٧) عن شأنه: ـ، ب، و.
(١٨) فأخبرهم: وأخبرهم، ب، و.

فعند ذلك عرفوا أنهم كانوا نياماً منذ زمان، وإنما بعثوا آية للناس، ودخل على أثره أريوس[١] فرأى تابوتاً من نحاس، ففتح فإذا[٢] لوح[٣] فيه أسماءهم[٤] وقصصهم، فلما قرؤوا[٥] حمدوا الله فرفعوا أصواتهم بالتحميد[٦] والتهليل[٧] والتسبيح، وخر أريوس وأصحابه سجداً[٨] لله تعالى لما رأوا من آية البعث، ثم كلم بعضهم بعضاً وكلم الفتية بما لقوا من دقيانوس، وكتب أريوس إلى ملكهم الصالح بيدوبيس بخبرهم وأنه من آيات الله، فلما بلغه قام وحمد الله وأثنى عليه وركب[٩] معه أصحابه حتى أتى باب الكهف ففرح به أصحاب الكهف وسجدوا، واعتنق بعضهم بعضاً[١٠]، فبكوا[١١]، وجلسوا بين يديه يسبحون الله، ثم ودعوه ورجعوا إلى مضاجعهم فناموا، وخرجوا، وحجبهم بالرعب وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً، وجعل ذلك اليوم[١٢] عيداً، وأمر أن يؤتى كل سنة.

وقيل: لما قربوا من باب الكهف قال تمليخا[١٣]: دعوني أدخل على أصحابي وأبشرهم[١٤] فإنهم إن رأوكم خافوا، فتقدم وأخبرهم، وقبض الله أرواحهم، فسد باب الكهف وبنى عليهم مسجداً.

---

(١) أريوس: يريوس، و.
(٢) فإذا: وإذا، ز.
(٣) لوح: بلوح، و.
(٤) أسماءهم: أسماؤهم، م.
(٥) قرؤوا: قروا، ز، ل، م.
(٦) بالتحميد: +، ب، و.
(٧) والتهليل: بالتهليل، ز، ل، م.
(٨) سجداً: ساجداً، ب، و.
(٩) وركب: ويركب، ب، و؛ وركبوا، ز.
(١٠) وكلم الفتية بما... بعضهم بعضاً: ـ، ل.
(١١) فبكوا: ـ ب، و.
(١٢) ذلك اليوم: إلى اليوم، ز، م.
(١٣) تمليخاً: مليخا، ز، ل، م.
(١٤) وأبشرهم: فأبشرهم، ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ
إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ
عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ
أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم في رواية التنوخي[١] والأعشى: «مَرفِقا» بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الباقون: «مِرفَقا» بكسر الميم وفتح الفاء وهم لغتان.

اللغة

القصص: الخبر يتلو بعضه بعضاً لأن أصله من الاتباع، قصّ أثره يقصه قصصاً[٢] إذا اتّبعه، ومنه: ﴿وَقَالَتْ[٣] لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] أي: اتبعي أثره.

والفتية: جمع فتى ولا[٤] يقاس عليه لأنه غير مطرد في بابه، وقد جاء غلام وغلمه وصبي وصبية.

والربط: الشد[٥]، ربطت الشيء أربطه ربطاً، والرباط ما يشد به، والرباط ملازمة ثغر[٦] العدو، وأخذ من الشد، وأخذ من الربط[٧]، ورجل رابط الجأش شديد القلب.

---

(١) التنوخي: البرجمي، ب، و.
(٢) قصصاً: قصا، ب، و.
(٣) وقالت: قالت، ب، ز، ل، م، و.
(٤) ولا: وألا، ز.
(٥) الشد: الرشد، ز.
(٦) ثغر: ـ، ب، و.
(٧) وأخذ من الربط: ـ، ل.

والعزل: التنحي عن الأمر، تقول: أنا بمعزل عن[1] هذا الأمر، واعتزلت الأمر، قال الشاعر:

يـا بـيـت عـاتـكـة[2] الـتـي[3] أتـعـزل حـذر الـعـدى وبـه الـفـؤاد مـوكـل[4]

واعتزلت وتعزلت بمعنى، وسمي عمرو بن عبيد وأصحابه معتزلة لما اعتزلوا حلقة الحسن بعد موته، وقيل: اعتزلوا البدع وتمسكوا بما كان عليه السلف الصالح.

والنشر: خلاف الطي، نشرت الكتاب، ونشر الله الميت أحياه بعد موته كأنه نشر بعد الطي[5]، والنشر: الريح الطيبة كأنها نشرت البركة من المطر وغيره.

والشطط: الخروج عن[6] الحد بالغلو فيه، وأصله مجاوزة الحد في البعد، يقال: شط منزله[7] يشط شطوطاً إذا جاوز[8] الحد في البعد، وشطت الجارية تشط شطاطاً وشطاطة إذا جاوزت الحد في الطول، وشط[9] السوم يشط اشتطاطاً[10] وشططاً[11] إذا جاوز القدر بالغلو فيه، والشطط: البعد.

والمرفق: ما يرتفق به الإنسان أي يستعان كالمقطع، وفيه لغتان كسر الميم وفتح الفاء، وفتح الميم وكسر الفاء عند الفراء، وكان الكسائي ينكر[12] في مرفق الإنسان الذي في يد[13] الإنسان[14] إلا كسر الميم وفتح الفاء، والفراء يجيزه في الأمر واليد،

---

(١) عن: من، ز.
(٢) عاتكة: عاتك، ز، ل، م.
(٣) التي: الذي، ب، و.
(٤) البيت قائله الأحوص الأنصاري.
(٥) نشرت الكتاب... بعد الطي: +، ب، ز، و.
(٦) عن: من، ب، و.
(٧) منزله: منزلته، ز، ل، م.
(٨) جاوز: جاوزت، ب، و.
(٩) وشط: والشط في، ب، و.
(١٠) يشط اشتطاطاً: شطا شطاطاً، ب؛ شط شطاط، و.
(١١) وشططا: وشطيطاً، ز.
(١٢) ينكر: ينكره، ل، م.
(١٣) يد: اليد، ز، ل، م.
(١٤) الإنسان: ب، و.

وقيل: فيهما لغتان إلا أن الفتح أقيس والكسر أغرب[١]، وقيل: المرفق بالكسر ما ارتفقت به، والمرفق[٢] بالفتح الأمر أرفق[٣] بك.

۞ الإعراب[4]

«إنهم فتية» كسر على الاستئناف.

و«إذ قاموا» إذ للوقت[٥]، يعني: في الوقت الذي قاموا فيه[٦].

ونصب «شططاً» بوقوع[٧] الفعل عليه وهو القول.

لولا[٨] في معنى الشرط أي: هلاّ[٩] يأتون و(لو) قد [١٠] تذكر جوابها معها[١١] وقد يحذف لعلم السامع بها[١٢]، قال الشاعر:

ولـو أنـهـا نـفـس تـمـوت سـويـة ... ولـكـنـهـا نـفـس تـسـاقـط أنـفـسـا

أي[١٣] لو كانت نفس تموت لكانت أسهل من أن[١٤] تساقط[١٥] بالعلة، وكان لبس ثوباً مصبوغاً فتساقط جلده ولحمه ثم مات.

«فأووا» جواب (إذ) وتقديره: إذ[١٦] اعتزلتموهم فأووا، كقولك: إذا أذنبت فتب.

---

(١) أغرب: أكثر، ب، و، أعبر، ز، أغر، ل.
(٢) والمرفق: المرفق، ز، م.
(٣) أرفق: الرافق، ب، و؛ افق، ز.
(٤) الإعراب: النزول، ب، و.
(٥) إذ للوقت: إذا الوقت؛ ب، ز، ل، م، و.
(٦) فيه: ـ، ب، و.
(٧) بوقوع: لوقوع، ب، و.
(٨) لولا: +، و؛ أولا، ب.
(٩) هلا: هؤلاء، ز، ل، م.
(١٠) ولَوْ قد: لقد قد، ز، م.
(١١) معها: معنى، ب، و.
(١٢) بها: ثم، ب، و.
(١٣) أي: +، ب، و.
(١٤) أن: ـ، ب، و.
(١٥) تساقط: التساقط، ب، و.
(١٦) إذ: إذا، ز، ل، م.

«**ينشر**» جزم لأنه جواب الأمر وهو قوله: «**فأووا**».

وهيئ لكم[١] جزم إلا أن الجزم لا يحذف لأنها همزة وصلت بالياء لانكسار ما قبلها.

ويقال: ما معنى الاستثناء في قوله: «**وَمَا يَعْبُدُونَ إلاّ الله**»؟

قلنا: تقديره: إذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا عبادة الله وإنكم لزمتموها فيجوز أن يكون فيهم[٢] من يعبد الله مع عبادة الوثن فيكون الاستثناء متصلاً، ويجوز أن يكون جميعهم عباد الضم فيكون الاستثناء[٣] منقطعاً.

۞ المعنى

ثم بيّن قصة أصحاب الكهف فقال سبحانه: «**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ**» أي: نتلو عليك «**نَبَأَهُمْ**» خبرهم، والنبأ الخبر العظيم «**بِالْحَقِّ**» بالصدق «**إِنَّهُمْ**[٤] **فِتْيَةٌ**» قيل أحداثاً وشباباً، وقيل: حكم لهم بالفتوة لما آمنوا، وقيل: إن رأس الفتوة الإيمان، وقيل: الفتوة بذل الندى[٥]، وكف الأذى، وترك الشكوى، عن مجاهد. وقيل: الفتوة شيئان: اجتناب المحارم، واستعمال المكارم «**آمَنُوا**[٦] **بِرَبِّهِمْ**» أي: صدقوا أنه خالقهم ومالكهم، وإنما قالوا[٧] ذلك عن حجة لا عن تقليد ولذلك ذموا من اعتقد شيئاً لا يأتي عليه بسلطان بين «**وَزِدْنَاهُمْ هُدىً**» أي: زدناهم[٨] ألطافاً وتأكيداً في الأدلة، وخواطر مقربة لما هم عليه حتى قويت دواعيهم إلى الإيمان وصوارفهم عن الكفر «**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ**» أي: شددنا عليها[٩] بالألطاف والخواطر حتى وطنوا أنفسهم

(١) لكم: ـ ، ب، و.
(٢) فيهم: منهم، ب، و.
(٣) الاستثناء متصلاً. . . الاستثناء: +، ب، ز، و.
(٤) إنهم: وإنهم، ب، و، ل.
(٥) بذل الندى: على الندى، ل، م.
(٦) آمنوا: وآمنوا، ل، م.
(٧) قالوا: ـ ، ب، و.
(٨) أي زدناهم: ـ ، ب، و.
(٩) عليها: عليه، ب، م.

على الصبر على المشاق والثبات على الدين، وإظهار الحق عند الخوف، ومفارقة الوطن[١] والنعمة[٢] «إِذْ قَامُوا» لله «فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» قيل: قاموا بحضرة دقيانوس لما دعاهم إلى عبادة الأوثان وعاتبهم بتركه[٣]، فصرحوا بالحق وأظهروا[٤] التوحيد والعدل، وقيل: قالوا فيما بينهم لا بحضرته، وقيل: قالوه بحضرة قوم من عباد الأصنام «لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا» أي: لا نعبد إلهاً[٥] وقيل: لا نقول لغيره إنه[٦] إله[٧]، فصرحوا بالتوحيد وإبطال الشرك «لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً» يعني إن ندعوا إلهاً غيره قلنا شططاً[٨]، قيل: غلواً[٩] في الكذب والبطلان، وقيل: جوراً، عن ابن عباس، ومقاتل. وقيل: كذباً، عن قتادة. «هَؤُلاءِ قَوْمُنَا» يعني أهل بلدنا، وإنما أضافهم إلى أنفسهم لأنهم كانوا[١٠] من كبرائهم وأجلهم «اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» يعبدونها من دون الله «لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ» قيل: فيه[١١] حذف أي: هلا أتوا على ما وصفوا[١٢] وعبدوا حجة واضحة وخلعوا[١٣] التقليد وحكموا ببطلان ما لا دليل عليه «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» فيزعم أن لله شريكاً[١٤]، قيل: فيه حذف أي: إذا لم تكن لهم حجة فلم يتركوا ذلك وأقاموا على ما كانوا عليه،

---

(١) الوطن: الظن، ز، ل.
(٢) والنعمة: والبغية، ل.
(٣) بتركه: على تركه، ب، و.
(٤) وأظهروا: واعتقدوا، ل، م.
(٥) لقد قلنا أي لا نعبد إلها: +، ب، و.
(٦) إنه: +، ب.
(٧) إله: الله، ب.
(٨) يعني إن ندعوا إلهاً غيره قلنا شططاً: +، ز.
(٩) غلوا: عصوا، ل.
(١٠) كانوا: +، ب، و.
(١١) فيه: ـ، ز؛ وفي، ل.
(١٢) وصفوا: وصفوه، ز، ل، م.
(١٣) وخلعوا: خلعوا. بدون واو، ب، و؛ واختلفوا. ولعله يريد: واختلقوا، ز.
(١٤) شريكا: شريك، ب، و.

فهم[١] أظلم الناس لأنفسهم إذ يكذبون على الله في اتخاذ غيره إلهاً[٢] ولا أحد أظلم ممن افترى على الله[٣] كذباً فيضيف إليه ما لا يليق به «**وَإِذِ**[٤] **اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وما يعبدون إلا الله**» قالوا ذلك فيما بينهم لما خالفوا قومهم إذ تنحيتم قومكم وفارقتموهم في الدين «**وَمَا يَعْبُدُونَ**» يعني نحيتم أصنامهم[٥] لم تعبدوها[٦] «**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ**» أي: صيروا إليها فاجعلوها[٧] مسكناً لكم، وقيل: قالوا: ادخلوا الكهف لكيلا[٨] يلحقكم الطلب، وقيل: دخلوا[٩] وناموا للتعب الذي لحقهم، فألقى الله عليهم النعاس «**يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ رَحْمَتِهِ**» أي: يبسط عليكم من[١٠] نعمته، قيل: خرجوا بغير زاد توكلاً على الله وكفاهم[١١] الله[١٢] أمر المطعم والمشرب، وقيل: ينجيكم من أعدائكم برحمته[١٣] «**وَيُهَيِّئْ لَكُمْ**» أي: ييسر[١٤] ويسهل لكم «**مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً**» قيل[١٥]: ما ترفقون[١٦] به في معاشكم، وقيل: رزقاً[١٧] رغداً[١٨].

---

(١) فهم: فمن، ب، و.
(٢) إلهاً: آلهة، ب، و.
(٣) على الله: +، ب، و.
(٤) وإذا: فإذا، ب، و.
(٥) أصنامهم: أصنامكم، ب، ز، م.
(٦) لم تعبدوها: فلم تعتقدوها، ز، ل، م.
(٧) فاجعلوها: واجعلوها، ب، و.
(٨) لكيلا: كيلا، ز، ل، م.
(٩) دخلوا: ادخلوا، ز.
(١٠) من: +، ب، و.
(١١) وكفاهم: فكفاهم، ب، ز، و.
(١٢) الله: +، ب، و.
(١٣) أي بسط عليكم... برحمته: ـ، ل.
(١٤) ييسر: ينشر، ز.
(١٥) قيل: وقيل، ب، و.
(١٦) ترفقون: ترتفقون، ب، و.
(١٧) رزقاً: رفقاً، ز، ل، م.
(١٨) رغداً: غداً، ل.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه أجاب دعاءهم، وزاد في هداهم، وحفظهم[1] عن المكاره[2].

تدل الآية على أن الهدى قد يكون من باب الألطاف.

وتدل على أن المؤمن قد يكون له[3] لطف يزيده[4] هدى[5].

وتدل على عظيم منزلة من يقول كلمة حق عند سلطان جائر.

وتدل على أن كل قول بغير حجة فهو قول[6] باطل.

وتدل على أنه لا ظلم أعظم من كذب على الله تعالى، فيدخل فيه المجبرة والمشبهة وسائر البدع.

وتدل على أن[7] أفعال العباد حادثة من جهتهم من وجوه:

منها: أنه أثبت لهم الإيمان مضافاً إليهم ثم زادهم هدى، فلو[8] كان الإيمان خلقه لما صح ذلك.

ومنها: قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ولو كان جميع ما يقوله الكفار والمبتدعة خلقاً له تعالى[9] لكان هو[10] المفتري على نفسه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

---

(١) وحفظهم: ويحفظهم، ز، ل، م، و.
(٢) تدل الآية على... عن المكاره: +، ب، و.
(٣) له: ـ، ب، و.
(٤) يزيده: يتزيده، ز.
(٥) هدى: وهدى، ب، و.
(٦) قول: +، ب، و.
(٧) أن: +، ب، و.
(٨) فلو: ولو، ب، و.
(٩) تعالى: ـ، ل.
(١٠) هو: ـ، ل.

ومنها: أنه لو كان فعلهم خلقاً له[١] لما كان لهربهم [حجة] «إذ لا»[٢] يخلق، فلا يحتاج إلى الهرب.

ومنها[٣]: قوله: «**وإذ اعتزلتموهم**» فأضاف الاعتزال إليهم.

وتدل على أن الهجرة في الدين عظيم أمرها[٤] عند الله تعالى[٥].

وتدل على أن الواجب على المكلف الانقطاع إلى الله تعالى، والتوكل عليه فيما يعتريه.

وتدل على أن الاعتزال اسم مدح، لذلك وصفهم بقوله: «**وإذ اعتزلتموهم**» وفي[٦] قصة إبراهيم: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾ [مريم: ٤٨]، ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ [مريم: ٤٩]، ولذلك قال مشائخنا: ما ورد إلا في الاعتزال من الشرور. وروي[٧] أن[٨] النبي ﷺ قال: «من اعتزل من[٩] الشر يسقط[١٠] في الخير»، وقال: «ستفترق أمتي بضع وسبعين فرقة أبرها[١١] الفئة المعتزلة».

وتدل على أن الطعام والشراب ليس بشرط في الحياة من طريق الإيجاب خلاف ما يقوله أهل الطبع.

---

(١) فعلهم خلقاً له: خلقه فعلاً لهم، ب.
(٢) إذ لا: أولا، ب، و.
(٣) منها: +، ب، و.
(٤) أمرها: أمره، ب، و؛ منزله، ز، ل، م.
(٥) تعالى: ب، و.
(٦) وفي: في، ب، و.
(٧) وروي: +، ب، و.
(٨) أن: وأن، ل، م.
(٩) من: ـ، ب، ز، و.
(١٠) يسقط: يقسط، ز.
(١١) أبرها: أثرها، ز.

قوله تعالى:
﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

القراءة

قرأ «**تَزْوَرّ**» ساكنة الزاي، معجمة مشددة الراء مثل[١]: تَحْمَرّ: ابن عامر ويعقوب، وقرأ: «**تزاور**» بالألف والتخفيف، عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بالتشديد والألف[٢]، والكل بمعنى، والتزوار: الميل[٣] والإنحراف عن الشيء، فأما التخفيف فهو تفاعل من الزور، فأما[٤] تزوَرّ من الازورار.

قرأ[٥] أبو جعفر ونافع وابن كثير: «**ولملّئت**» بتشديد اللام والهمزة، والباقون بتخفيف اللام، وروي عن ابن كثير بالتخفيف والمعنى واحد بالألف[٦] إلا أن[٧] في[٨] التشديد مبالغة.

وقرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي ويعقوب: «**رعُبا**» بضم العين جميع القرآن، والباقون بإسكان العين وهما لغتان.

(١) مثل: ، ب، و.
(٢) والألف: +، ب، و.
(٣) الميل: +، ب، و.
(٤) فأما: فأما ما، ب، و.
(٥) قرأ: فقرأ، ز.
(٦) بالألف: ـ ، ل، م؛ الألف، ز.
(٧) إلاّ أن: ـ ، ز.
(٨) في: ـ ، ب، و.

وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب: «**المهتدي**» بإثبات الياء على الأصل، الباقون بحذفها على التخفيف.

وقراءة العامة: «**نقلبهم**» بالتشديد، وعن الحسن بالتخفيف، والتشديد للمبالغة.

وقراءة العامة: «**كلبهم**» وروي عن الصادق (**كالبهم**) يعني صاحب الكلب، ولا يجوز القراءة إلا بالشائع المستفيض المتواتر.

اللغة

التزاور: الميل والإنحراف عن الشيء، وأصله الزور، وهو العوج والميل، أرض زوراء فيها اعوجاج، يقال: ازور مال ازوراراً، ومنه: زور، ويقال: ازوار كذلك.

والقرض: القطع، قرضه بالمقراض أي قطعه، ومنه: القريض للشعر[1]، كأنه يقرضه من الكلام كما يقطع منه بالمقراض[2]، ومنه: القرض والقراض، ومنه: القرض المجازاة[3].

والفجوة: المتسع من الأرض، وجمعه: فجوات، وفجاء ممدود، وفجوة الدار: ساحتها.

والأيقاظ: الشهود[4]، واحدها: يقظ، قال الشاعر:

ووجـدوا[5] إخـوتـهـم أيـقـاظـا

والرقاد: النوم، رقد يرقد رقاداً[6] فهو راقد، والقوم رقود نحو قاعد وقعود[7].

والوصيد: الباب، وهو من أوصدت[8] الباب أغلقته، ومنه قوله[9] (مؤصدة) [**الهمزة: ٨**]، وجمع وصيد: وصائد ووصيد[10].

---

(١) للشعر: للشعير، ز.
(٢) منه بالمقراض: ومنه المقراض، ز، ل، م.
(٣) المجازاة: المجادلة، ز، ل، م.
(٤) الشهود: والمنتبهون، ب، و.
(٥) ووجدوا: وجدوا، ب، و.
(٦) رقاداً: ـ ، ل.
(٧) وقعود: وعود، ز.
(٨) أوصدت: أصدت، ل، م.
(٩) قوله: قولهم.
(١٠) ورصيد: وصود، ب؛ ووصود، و.

(اطلعت) أصله من الطلوع، طلعت الشمس طلوعاً، والمطلع: موضع طلوعها، واطلع عليه إذا تقحم[1]، وأطلعتك على الأمر إطلاعاً، والطلاع ما طلعت عليه الشمس، والطلعة: الرؤية، وامرأة طلعة تكثر[2] التطلع، ونفس طلعة: تتطلع الشيء، ومنه: طليعة[3] القوم، وهو من يبعث ليتطلع العدو.

الإعراب

«إذا طلعت» موضعه نصب على الحال.

و«رعباً» نصب[4] لأنه مفعول ما لم يسم فاعله، والاسم الكناية في قوله: «لملئت» كقوله: ملئ زيد رعباً، وإنما يرفع اسم ما لم يسم فاعله، لأن الفعل أسند إليه فأشبه[5] الفاعل.

«ذات اليمين» ظرف، أي: في ذات اليمين.

المعنى

ثم بين تعالى حالهم في الكهف، فقال سبحانه: «وَتَرَى» يا محمد، وقيل: أيها الإنسان «الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ» أي[6]: تميل الشمس وقت طلوعها وهي الغداة عن كهفهم من[7] [8] جهة اليمين «وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ» يعني غربت الشمس تقطعهم في «ذَاتَ الشِّمَالِ» يعني أنها تجوزهم[9] منحرفة عنهم لا يقع عليهم[10]

(١) تقحم: هجم، ب.
(٢) تكثر: تكثرة، ل.
(٣) طليعة: طلعة، ب.
(٤) نصب: نصباً، ل.
(٥) فأشبه: فأشبهه، ز، ل، م.
(٦) أي: يعني، ب، ز، و.
(٧) من: عن، ز، ل.
(٨) كهفهم من: ـ، م.
(٩) تجوزهم: تحوزهم، ب، ز، و.
(١٠) عليهم: ـ، م.

منها شيء، عن الأصم، وأبي مسلم. من قولهم[1] قرضته أي: قطعته، وقيل: تعطيهم اليسير[2] من شعاعها ثم تأخذها بانصرافها في قرض الدراهم التي ترد، عن أبي علي. لأن ضوءها عند الغروب يقل، وقيل: تقرضهم تدعهم، عن ابن عباس. وقيل: تجاوزهم، عن مقاتل. قال أبو عبيد: قرضت الموضع جاوزته، وقيل: تتركهم، عن مجاهد. يعني لا يصيبهم حر الشمس وأذاها[3]، وقيل: كان الكهف في مقنوة من الجبل مستقبل[4] بنات نعش، تكاد[5] الشمس تميل عنه في طلوعها وغروبها لا يؤذيهم حرها «**وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ**» أي: في[6] ناحية متسعة، قيل: في فضاء منه، عن قتادة. وقيل: كان متسعاً إذا دخل الكهف لا يرى من كان ببابه، وينالهم نسيم الريح، ولا يؤذيهم حر الشمس، فأخبر تعالى عن لطفه[7] بهم وحفظه إياهم [في مضجعهم، واختياره لهم[8] أصلح المواضع لرقادهم، فأخبر بأنه بوأهم[9] مكاناً من الكهف مستقبلاً بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة كيلا[10] يؤذيهم حرها أو تغير[11] ألوانهم أو تبلي[12] ثيابهم، وهم في متسع ينالهم روح الريح، قال أبو علي: كان[13] باب الكهف يلي ناحية القطب، وكان لا تسقط عليه الشمس شرقاً ولا[14] غرباً، وقيل: إن[15] المراد أن طلوع الشمس وغروبها ينبسط على

(١) قولهم: قوالهم، ز.
(٢) اليسير: السترين، ب، ز، ل، م، و. وما أثبتناه من تفسير البيان ٧/ ٢١.
(٣) وأذاها: وأذاؤها، ز، ل، م.
(٤) مستقبل: +، ب، و.
(٥) تكاد: فكادت، ل، م كانت، ز.
(٦) في: ـ، ز.
(٧) عن لطفه: ـ، ب.
(٨) لهم: +، ب، و.
(٩) في مضجعهم واختياره... بوأهم: ـ، ز.
(١٠) كيلا: ولا، ب؛ لا، و.
(١١) أو تغير: وتغير، ز، ل، م.
(١٢) أو تبلي: وتبلى، ز، ل.
(١٣) كان: كان على، ز، ل، م.
(١٤) لا: +، ب، و.
(١٥) إن: +، ب، و، ل.

جميع الأرض إلا[1] ما كان هناك[2] ساتر[3] وكان لا سبيل لها أن تنالهم[4] إذا طلعت أو غربت، عن الأصم وأنكر ما قاله أبو علي وغيره لأنه لا اختصاص[5] لهم به «**ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**» قيل: ذلك النوم والراحة والحفظ من آيات الله، وكان جزاؤهم على طاعتهم ليعتبر به غيرهم، وقيل: «**ذلك**» أي: ما ذكرنا من شأنهم «**من آيات الله**» حججه[6]، فمنها: نومهم ثلاثمائة سنة[7] وتسع سنين متصلة، وبقاءهم أحياء من غير غذاء في تلك المدة، وبقاء أجسادهم وثيابهم على حالة واحدة ولم تجر العادة به إلى غير ذلك، وقيل: اختيار الله لهم مثل ذلك الموضع وتقلبهم «**مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**» حججه[8] ومعجزاته على أنبيائه، وقيل: كان جميع ذلك معجزة أظهرها[9] الله تعالى على نبي معهم وهو أكبرهم، عن أبي علي. وقيل: آيات الله على قدرته وحكمته، وقيل: من آياته أن[10] من أطاعه وتوكل عليه كفاه، ومن عصاه عاقبه «**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**» يعني من يثبته ويهديه إلى ثوابه وكرامته فهو المهتدي والناجي، ومن يضلله عن نيل ثوابه وجنته فلا يكون له ولي ولا ناصر ولا وادٍّ يرشده ويهديه، عن أبي مسلم. وقيل: أراد من يقبل[11] عن[12] الله هداه فهو المهتدي، وأن الضال من لا يقبل عنه ويقبل من[13] الشيطان، عن الأصم. وقيل: من يحكم بهداه فهو المهتدي، ومن يحكم بضلاله فهو يضل[14]، وقيل: من وجده هادياً فهو المهتدي،

(١) إلاّ: لا، ز، ل، م.
(٢) هناك: هنالك، ز، ل، م.
(٣) ساتر: مباين، ز، ل.
(٤) تنالهم: تناله، ز، م؛ ينالهم، و.
(٥) لا اختصاص: احتفاظ، ل، م؛ إحفاظ، ز.
(٦) حججه: حجة، ب، ز، ل، م، و.
(٧) سنة: +، ب، و.
(٨) حججه: حجة، ب، و.
(٩) أظهرها: أظهره، ب، و.
(١٠) أن: +، ب، و.
(١١) يقبل: يقل، ز.
(١٢) عن: ـ، ب، و، ل.
(١٣) من: عن، ب، و.
(١٤) فهو يضل: ـ، ب، و.

وقيل: من وجده ضالاً لا يجد أحداً ينصره «**فَلَنْ**[1] **تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً**» ناصراً، وقيل: وادّاً «**مُرْشِداً**» أي: يرشده «**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً**» منتبهين «**وَهُمْ**» نيام في الحقيقة، قيل: نقلبهم يمنة ويسرة، وقيل: كانت أعينهم مفتوحة ويتنفسون ولا يتكلمون، عن أبي علي وجماعة. «**وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ**» يعني مرة على الجنب الأيمن ومرة على الجنب الأيسر لئلا[2] تؤذيهم نداوة الأرض، ولا يؤلمهم[3] الكون على شق واحد، وقيل: كان[4] يقلبهم[5] في السنة مرة لئلا تأكل الأرض لحومهم، عن ابن عباس. وقيل: كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم، وقيل: كان في كل سنة تقليبان[6]، عن أبي هريرة. «**وَكَلْبُهُمْ**» قيل: كان[7] الكلب معهم، وقيل: كلب راعٍ[8] معهم[9]، وقيل: كلب طباخهم، واختلفوا في لونه[10]، فقيل: أسمر، عن ابن عباس. وقيل: أصفر، عن مقاتل. واختلفوا في اسمه، قيل[11]: ريان، عن أبي علي. وقيل: قطمير، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والأصم. والوصيد الباب، عن ابن عباس. وقيل: كان الكلب بباب الفجوة، عن أبي علي. وقيل: الوصيد الصعيد وهو التراب، عن سعيد بن جبير، ورواية عن عطية عن ابن عباس، وقيل: الوصيد عتبة الباب، عن عطاء. وقيل: الوصيد البناء، عن القتيبي. «**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ**» أي: لو[12] رأيتهم في كهفهم على حالهم أيها الإنسان «**لَوَلَّيْتَ**» أعرضت[13] عنهم فراراً «**وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً**» أي: خوفاً، وقيل: ألبسهم الله[14] من الهيبة

---

(١) فلن: فلم، ل.
(٢) لئلا : لا، ز، ل، م.
(٣) ولا يؤلمهم: ولا يؤذيهم، ب؛ ولا تؤذيهم، و.
(٤) ونقلبهم ذات. . . وقيل كان: ـ ، ز.
(٥) يقلبهم: تقلبهم، و.
(٦) تقليبان: تقلبتان، ز، ل، م. وفي تفسير البغوي ٣/ ١٩ : تقلبان.
(٧) كان: +، ز، و.
(٨) راع: راعي، ل.
(٩) معهم: +، ب، ز، و.
(١٠) لونه: كونه، ل.
(١١) قيل: فقيل، ب، و.
(١٢) لو: +، ب، و.
(١٣) أعرضت: ـ ، ز.
(١٤) الله: +، ب، ز، و.

لئلا يصل إليهم واصل ولا تمسهم يد[١] حتى يبلغ الكتاب أجله ويوقظهم آية[٢] وعبرة، وقيل: كانوا في مكان موحش من رآه فر، ولا يمنع[٣] من[٤] أن الكفار لما أتوا باب الكهف فزعوا من وحشة المكان فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه، فجعل الله[٥] تعالى ذلك سبباً ولطفاً حتى لا ينالهم مكروه من سبع وغيره، ليكونوا محروسين من كل سوء، وقيل: كان يهول منظرهم لأنهم كانوا يتقلبون فاتحة أعينهم، عن الكلبي. وقيل: لطول شعرهم وأظفارهم يأخذ الرعب منهم، وقيل: إنه تعالى منعهم بالرعب لكي لا يراهم أحد، عن تفصيل الرعب الله أعلم بهم وهو الوجه.

۞ الأحكام

تدل الآية على لطف الله تعالى[٦] لمن أطاعه[٧] ديناً ودنيا، وحفظه وحياطته.

ويدل قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾ أن الأدلة[٨] يحتاج إليها لصحة النظر.

وتدل على فساد التقليد.

وتدل الآيات على شمول نعمه على[٩] أولئك على ما بينا من قبل.

قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) يد: بل، و.
(٢) آية: ـ، ب.
(٣) ولا يمنع: ولا يمتنع، ب، و.
(٤) من: +، ب، و.
(٥) الله: +، ل.
(٦) تعالى: +، ل.
(٧) لمن أطاعه: ـ، ل.
(٨) الأدلة: الدلالة، ز.
(٩) على: +، ز.

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم: «**بورقكم**» ساكنة الراء، والباقون بكسرها(١)، وعن أبي عمرو: «**بورقكم**» أدغم القاف في الكاف، وفيه أربعة أوجه: فتح الواو وكسر الراء مثل: كتف، وفتح الراء وسكون الواو مثل: زيد، وكسر الواو وسكون الراء نحو: كيد، والإدغام(٢)، والمعنى واحد، وهي(٣): الفضة مضروبة(٤) (٥) وغير مضروبة.

۞ اللغة

البعث: أصله(٦) الإثارة، ثم يستعمل في أشياء، يقال: بعث الله الأنبياء أرسلهم، وبعث الموتى أحياهم.

والزكاة: قيل: أصلها النماء، يقال: زكا الزرع، وقيل: أصلها الطهارة ومنه الزكاة، ومنه قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْۚ﴾ [**البقرة: ١٢٩**].

واللطف: صغر الشيء، واللطف في الأعمال: الرفق بها، واللطف من الله تعالى(٧): الرأفة والرحمة، ومنه: اللطيف.

والرجم: الرمي(٨) بالحجارة، يقال: رجمت فلاناً رميته بالحجارة، ومنه الرجم في الزنا، رجمته شتمته(٩)، وفسر الرجم في القرآن على الشتم والقتل.

والملة: الدين(١٠).

---

(١) بكسرها: بكسر الراء، ب، ز، و.
(٢) والإدغام: والإدغام والإدغام، ز.
(٣) وهي: وهو، ب، و.
(٤) مضروبة: +، ب، و.
(٥) وهي الفضة مضروبة: ـ، ز.
(٦) أصله: +، ب، ز، و.
(٧) تعالى: ـ، ب، ز، و.
(٨) والرجم الرمي: والرجيم المرمي، ب، و.
(٩) رجمته شتمته: رجمته شتمه، ز، ل.
(١٠) الدين: في الدين، ب، و.

۞ الإعراب[١]

الكاف في قوله: «**وكذلك**» كاف التشبيه، تقديره: كما حفظناهم في[٢] تلك المدة بعثناهم عن تلك الرقدة لنعرفهم عجيب أمرنا وعظيم صنعنا، وأحد الأمرين كالآخر[٣] في أنه لا يقدر عليه سواه، وقيل: كما أنمناهم[٤] بعثناهم، عن أبي علي. وقيل: كذلك[٥] بعثناهم أي: على الحالة التي رقدوا عليها بعثناهم لم يتغير[٦] شيء من ذلك، عن الأصم. وقيل: لما فعلنا بهم الأمور العجيبة كذلك بعثناهم من نومهم فقال: «**وكذلك**» جواب الأمر بالفاء. «**وليتلطف**» عطف عليه.

۞ المعنى

ثم أخبر تعالى عن حالهم بعد نومهم[٧] فقال[٨] «**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ**» أي: أيقظناهم من رقدتهم «**لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ**» ليتحدثوا بينهم[٩] ويسأل بعضهم بعضاً «**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ**» قيل: القائل رئيسهم، وقيل: واحد منهم «**كَمْ لَبِثْتُمْ**» في نومكم، قيل: راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك. «**قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**» وقيل: أخبروا بذلك[١٠] على غالب ظنهم ولذلك وقع السؤال؛ لأن النائم لا يعلم[١١] مقدار نومه، وقيل: دخلوا في[١٢] الكهف[١٣] غدوة وناموا واستيقظوا في آخر النهار ورأوا الشمس قالوا: يوماً،

---

(١) الإعراب: المعنى، ل.
(٢) في: وفي، ب، و.
(٣) كالآخر: كالآخرة، ز.
(٤) أنمناهم: أمتناهم، . ز، م.
(٥) عن أبي علي وقيل كذلك: ـ ، ز.
(٦) يتغير: تغير، ل.
(٧) من نومهم. . . بعد نومهم: +، ب، و.
(٨) كذلك بعثناهم. . . فقال: ـ ، ز، ل.
(٩) بينهم: +، و.
(١٠) بذلك: +، ب، و.
(١١) لا يعلم: لا يعرف، ز.
(١٢) في: +، ب.
(١٣) الكهف: الشمس، ل.

ونظروا فإذا عليهم بقية نهار قالوا: أو بعض يوم، وقيل: بل دخلوا الكهف بعد زوال الشمس وانتبهوا في آخر النهار ثم نظروا أحق ما قالوه أم باطل «قَالُوا» الله أعلم بما لبثتم، وقيل: نظروا إلى أظفارهم وشعورهم[1] فعلموا أن نومهم أكثر من يوم فقالوا: «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ» وقيل: إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم قال ذلك «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ» أي: أرسلوه، وقيل: تمليخا صاحب نفقاتهم «بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ» هي التي خرجوا منها، قيل: تسمى أفسوس «فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً» أي: لينظر هذا الذي بعثوه إلى أطعمتهم أيها أزكى، قيل: أحل[2] ذبيحة؛ لأن عامتهم كان مجوسياً وفيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير. وقيل: أنظف[3]، عن الضحاك. وقيل: أجود، عن مقاتل. وقيل: خير[4]، عن قتادة. وقيل: أكثر، عن عكرمة. وقيل: إنهم شرطوا عليه شرطين:

أحدهما: أن يشتري من أجل الطعام ولا[5] يكون ذبيحة أهل عليها لغير الله أو مغصوب[6]، ولم يعلموا أن أولئك الكفرة تفانوا.

والثاني: أن يتلطف في الشراء فلا يشعر بهم أحد كيلا[7] يفتنهم[8]، وأخبروا عن أهل البلد[9] عن غالب ظنهم على ما شاهدوا.

«فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ» أي: بقوت «وَلْيَتَلَطَّفْ» أي: وليرفق في الشراء وفي طريقه ودخوله وخروجه «وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً» أي لا يعلمن بكم[10] أحد من الناس «إِنَّهُمْ»

---

(١) وشعورهم: وشعرهم، م.
(٢) أحل: +، ب، و.
(٣) أنظف: أنصف، ز، ل، م.
(٤) في تفسير التبيان للطوسي ٧/ ٢٤: قال قتادة: «أزكى» أجل وخير.
(٥) ولا: فلا، ب، و.
(٦) أو مغصوب: أو مغصوباً، ب، و.
(٧) كيلا: كلا، ب، و.
(٨) يفتنهم: يفنونهم، ب، م، و.
(٩) البلد: البلاد، ل.
(١٠) لا يعلمن بكم: لا يعلمونكم، ل.

يعني أهل المدينة وأصحاب الملك «**إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**» يعلموا مكانكم[١] قيل: يشتموكم ويؤذوكم[٢]، عن ابن جريج، كأنه يرجمه بالقول القبيح، وقيل: يرجموكم بالحجارة حتى[٣] يقتلوكم، عن الحسن، والأصم، وأبي علي. وقيل: كان في عادتهم القتل بالرجم وهو أخبث القتل «**أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ**» أي: أو يعيدوكم[٤] في دينهم وهو الكفر «**وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً**» قيل[٥]: إن عدتم في الكفر وارتددتم لا تفلحون أبداً أي: لا تصلون إلى خير من ثواب الله ورحمته.

ومتى قيل: من أكره على الكفر فأظهره[٦] فإنه يفلح، فكيف[٧] تصح الآية؟

قلنا: نحن لا نعلم بشرعهم[٨] كيف كان، ويجوز أن يكون في ذلك الوقت لا تجوز التقية.

۞ الأحكام

قال الأصم: دلت الآية أنه لم يكن في الكفر تقية[٩] عنده[١٠]، ويجوز أنه[١١] أراد إظهار الإكراه.

ومتى قيل: ما معنى الإطلاع عليهم بعد نومهم أو موتهم[١٢]؟

قلنا: لطفاً وحجة على من ينكر البعث على ما روي في الخبر.

---

(١) مكانكم: بمكانكم، ز، ل، م.
(٢) ويؤذوكم: ويؤذوكم عن المدينة، ز، ل، م.
(٣) حتى: يعني، ز، ل.
(٤) أو يعيدوكم: ويعيدوكم، ز، ل، م.
(٥) قيل: وقيل، ب، و.
(٦) فأظهره: أظهره، ز؛ وأظهره، ل، م.
(٧) فكيف: وكيف، ب، ز، ل، م، و.
(٨) بشرعهم: شرعهم، ب، و.
(٩) في الكفر تقية: تقية في الكفر، ز، ل، م.
(١٠) عنده: +، ب، و.
(١١) أنه: أنه لم، ز، ل، م.
(١٢) أو موتهم: وموتهم، ل.

وتدل الآية على أن هؤلاء القوم هربوا بدينهم وأنهم تحرزوا كل التحرز للدين حثاً[١] للإنسان أن يسلك سبيلهم.

وتدل على أن من كفر بعد الإيمان لا يفلح أبداً.

وتدل على أن القوم لم يعلموا مدة نومهم.

وتدل على[٢] أن الرجم والإعادة إلى الكفر فعل القوم لذلك صح التحرز فيه، فيصح[٣] قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

اللغة

عثرت على الشيء، أعثر عثراً: اطلعت عليه، على وزن نصر ينصر نصراً[٤]، وأصله: أن يطلع ويهجم على أمر لم يكن اطلع عليه، وأعثرت عليه غيري أطلعته، قال ابن السكيت: يقال في هذا عثر عليه عثرة وعثوراً، والعاثور[٥] حفرة[٦] تحفر يصطاد بها الأسد، يقال للرجل إذا تورط: وقع في عاثور، وأصل العثار يقال: عثر يعثر عثوراً وعثاراً، ثم استعير في الوقوف على الشيء[٧].

---

(١) حثاً: حتى، ز، ل.
(٢) أن القوم لم... وتدل على: +، ب، و.
(٣) فيصح: فيصحح، ب، و.
(٤) نصراً: ـ، ز.
(٥) والعاثور: والعاثر، ز، ل، م.
(٦) حفرة: وحفرة، ز، م؛ وحفر، ل.
(٧) وأصل العثار... على الشيء: +، ب، و.

والمنازعة: المخاصمة[١]، نازعت فلاناً، وأصله من نزعت الشيء من مكانه نزعاً.

والمسجد: موضع السجود.

۞ الإعراب

كاف (**كذلك**) للتشبيه[٢] أي[٣]: كما بعثناهم ليتساءلوا أعثرنا عليهم ليعلموا، وقيل: كما أخفينا حالهم من قبل أعثرنا عليهم، عن أبي علي.

«**مسجداً**» نصب بـ«**لنتخذن**[٤]».

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى[٥] حالهم بعد الإطلاع عليهم، فقال سبحانه: «**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ**» أي: أطلعنا وأظهرنا عليهم أهل البلد حتى رأوهم وعلموا[٦] حالهم «**لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**» أي[٧]: ليستدلوا بحالهم على صحة البعث، وأن وعد الله حق[٨] بإحياء الخلق بعد الموت حق فيعلموا ذلك.

ومتى قيل: لماذا أضاف العثور عليهم إليه؟

قلنا: لأن أهل البلد إنما عثروا عليهم[٩] بألطافه[١٠]، فاستدلوا بذلك على صحة البعث.

---

(١) المخاصمة: والمخاصمة، ز، ل، م.
(٢) للتشبيه: لتشبيه، ز، ل، م.
(٣) أي: +، ب، و.
(٤) لنتخذن: لنتخذا، ل.
(٥) تعالى: +، ب، و.
(٦) وعلموا: وعلمنا، ب، و.
(٧) أي: -، ب.
(٨) حق: -، ب، و.
(٩) عليهم: عليه؛ ب، ز، ل، م، و.
(١٠) بألطافه: بإطلاقه، ز.

«**وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا**» أي: القيامة لا شك في كونها، أي: ليعلموا ذلك.

ومتى قيل: ما كان سبب الاطلاع؟

قلنا: الدراهم التي بعثوا بها لشراء[1] الطعام، وكانت[2] من ضرب الملك الذي هربوا منه، فأخذوه وقالوا إنه وجد كنزاً، فأخبرهم بحالهم، عن أبي علي.

«**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**» قيل: لما ظهروا عليهم أماتهم الله تعالى، فاختلفوا، فالمسلمون[3] قالوا: نتخذ[4] عليهم مسجداً لأنهم على ديننا، وقال المشركون: بنياناً لأنهم على ديننا؛ فهذا تنازعهم، عن ابن عباس. وقيل: تنازع المسلمون والكافرون في البعث فاحتجوا بأصحاب الكهف، عن الأصم. وقيل: تنازعوا فقال بعضهم لبعض[5]: ماتوا في الكهف، وقال بعضهم: بل عادوا نياماً فقالوا: ربكم أعلم بهم، عن أبي علي. وبنوا بنياناً، وقيل: أعمى الله عليهم مكانهم فلا يهتدوا فبنوا ثَمَّ[6] بنياناً، وقيل: اختلفوا فقال المسلمون: البعث للأجساد[7] والأرواح، وقال المشركون: البعث للأرواح[8]، فبعثهم الله ليعلموا أن البعث للأجساد[9] والأرواح، عن عكرمة. وقيل: تنازعوا في قدر مكثهم ولبثهم، وقيل: تنازعوا في عددهم «**فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ**» أنهم أحياء أم[10] نيام، وقيل: لما رأوهم عادوا نياماً، وقيل: بل ماتوا، وقيل: لا يموتون إلى يوم القيامة «**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ**» قيل: الملك المسلم وأصحابه، وقيل: أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين،

---

(١) لشراء: ليشتري، ب، و.
(٢) وكانت: فكان، ز، ل، و؛ وكان، ب، م.
(٣) فاختلفوا فالمسلمون: واختلفوا والمسلمون، ز، ل.
(٤) نتخذ: اتخذوا، ز، ل.
(٥) لبعض: +، ز.
(٦) ثم: +، ب، و.
(٧) للأجساد: الأجساد، ز، م.
(٨) للأرواح: الأرواح، ز، م.
(٩) للأجساد: الأجساد، م.
(١٠) أم: +، ب، و.

وقيل: رؤساء البلد، عن أبي علي. «لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً» أي: متعبداً وموضعاً للسجود والعبادة.

۞ الأحكام

تدل الآية على صحة البعث والإعادة.

ومتى قيل: فما[(١)] وجه الاستدلال بحالهم؟

قلنا: وجوه:

منها: إعادة عقولهم بعد سلبها، كذلك يجوز إعادة حياتهم لأن الحياة والعقل مما يختص القديم تعالى[(٢)] بالقدرة عليها.

ومنها: سلامة البدن وبقاء الحياة تلك المدة الطويلة من غير تغيير[(٣)] ولا غذاء بخلاف العادة، فمن قدر عليه قدر على الإعادة.

ومنها: أن القوم استبعدوا البعث[(٤)] حيث لم تجر العادة به، فأراهم أن النوم تلك المدة أبعد في الوهم، فإذا جاز ذلك جاز هذا.

ومنها: أن الإيقاظ بعد النوم كالبعث بعد الموت.

وتدل على أنهم اتخذوا على باب الكهف مسجداً، فيدل أنهم كانوا مؤمنين، وقد روي أنهم كتبوا أخبارهم على باب الكهف.

وتدل على أن المنازعة فعلهم، فيصحح قولنا في المخلوق.

---

(١) فما: ما، ز، م.
(٢) تعالى: ـ ، ب، و.
(٣) تغيير: تغير، ب.
(٤) استبعدوا البعث: استعدوا للبعث، ز، ل، م.

قوله تعالى:
﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ
وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا
تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ
إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن
يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ
وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ
وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**ثلاثمائة سنين**» بغير[1] تنوين، والباقون بالتنوين وهو الاختيار في العربية؛ لأن المفسر جمع فتحة الانفصال.

وقرأ ابن عامر ويعقوب: «**ولا تشرك**[2]» بالتاء[3] والجزم على النهي على الخطاب[4]، والباقون بالرفع على الخبر أنه تعالى لا يشرك في حكمه غيره.

اللغة

المراء: الجدال، ماريت الرجل أماريه مراءً جادلته.

والاستفتاء: الاستعلام والاستفهام، والاسم منه الفتيا والفتوى.

واللبث: الإقامة، يقال: ما لبث أي[5] ما أقام.

---

(١) بغير: من غير، ز.
(٢) ولا تشرك: ولا يشرك، ب.
(٣) بالتاء: بالياء، ز.
(٤) على الخطاب: والخطاب، ب، و.
(٥) أي: +، ب، و.

۞ الإعراب

«**رجماً**» نصب على المصدر أي: يرجمون رجماً، كقوله: يظنون ظنا، (**أقرب**) أفعل وهو لا ينصرف.

ومتى قيل: لم قال: «**وثامنهم**» بالواو ولم يقل لما قبله بالواو؟

قلنا[١]: لأن الأول جاء على صفة بالجملة[٢]، والثاني عطف على الجملة، وفرق بينهما لأن السبعة أصل المبالغة[٣] في العدد لذلك[٤] قال: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً﴾ [**التوبة**: ٨٠]، عن علي بن عيسى. وقيل: كان العقد عند العرب سبعة كما عندنا عشرة، وكانوا يذكرون العدد إلى سبعة بغير واو فإذا بلغوها[٥] قالوا: وثمانية، فجاء الكلام على عادتهم، ونظيره: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [**التوبة**: ١١٢]، ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [**الزمر**: ٧٣]، ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾[٦] [**التحريم**: ٥]، وقيل: هو واو التحقيق[٧] كأنه حكي اختلافهم ثم حكى[٨] أن ثامنهم كلبهم فهو تحقيق أنهم سبعة، وتقديره: وسيقول كذا وطائفة كذا، والعد سبعة[٩] [١٠] وثامنهم كلبهم في معنى قول أبي مسلم. وقيل: دخول الواو وحذفه سواء، ولا تدل الآية على صحة عدد، عن أبي علي. وقيل: قوله: (ثالثهم ورابعهم) على مذهب من يقول ثالث اثنين ورابع ثلاثة[١١] لا[١٢] على لغة من يقول[١٣]: ثالث ثلاثة، ورابع أربعة.

---

(١) قلنا: وقلنا، ز.
(٢) بالجملة: والجملة، ز، ل، م.
(٣) المبالغة: للمبالغة، ب، و.
(٤) العدد لذلك: العدة كذلك، ب، و.
(٥) بلغوها: بلغوا سبعة، ب، و.
(٦) جاء في هامش (ب): أما هذه فلا لأن الواو ضرورية من حيث أنه لاتجمع المرأة بين الصفتين فالواو للتقسيم ضرورية وليست واو الثمانية، وواو الثمانية إنما يقول بها ضعفة النحاة.
(٧) التحقيق: التخفيف، ب، ز، ل، م.
(٨) حكى: حكم، ز.
(٩) كذا وطائفة كذا والعد سبعة: ـ ، ب و.
(١٠) وتقديره وسيقول كذا وطائفة كذا والعد سبعة: ـ ، ز.
(١١) ثلاثة: ثالثة، م.
(١٢) لا: ـ ، ب، و.
(١٣) من يقول: +، ب، ز، و.

ومتى قيل: لِمَ[١] قال: «سنين» ولم يقل سنة؟

قلنا: قيل: إن[٢] هذا على الانتظار كأنه قيل: ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة فلم يُدز أيام أم شهور، ففسره[٣] فقال: «سنين»، وقيل: هو على التقديم أي: لبثوا ثلاثمائة.

❁ النزول

قيل: اجتمع عند النبي ﷺ السيد والعاقب في أصحابهما[٤] من وفد نجران أصحاب المباهلة وهم نصارى، فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبياً: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم[٥] كلبهم، فحقق الله قول المسلمين ونزل قوله: «**سيقولون..**» الآية، عن ابن عباس.

فأما قوله: «**وَلا تَقُولَنَّ. . .**» الآية:

قيل: سئل النبي ﷺ عن المسائل الثلاث: قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، فوعد أن يجيبهم ولم يستثنِ، فانقطع الوحي أياماً، تأديباً له، عن جماعة من المفسرين، وأنكر ذلك الأصم وجماعة.

فأما قوله: «**قُلِ اللَّهُ[٦] أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**»:

قيل: إن[٧] نصارى نجران قالوا: أما الثلاثمائة فقد عرفناها[٨]، وأما التسع فلا علم لنا بها، فأنزل الله تعالى[٩] قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا»، عن الكلبي.

---

(١) لم: +، ب، و.
(٢) إن: ـ، ز.
(٣) ففسره: ففسر، ب، و.
(٤) في أصحابهما: وأصحابهما، ز، ل.
(٥) ثامنهم: وثامنهم، ز.
(٦) قل الله: +، ب، ز، و.
(٧) إن: +، ب، و.
(٨) فقد عرفناها: ـ، ز.
(٩) فأنزل الله تعالى: فنزلت، ب، و؛ فأنزل، ز.

وقيل: نزل قوله: «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ» فقالوا: أياماً أو شهوراً[1] أو سنين؟ فنزل: «سِنِينَ»، عن الضحاك، ومقاتل.

المعنى

ثم بين تعالى مدة لبثهم وتنازعهم في[2] عددهم، فقال سبحانه: «سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ» رجال و«رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ»، «وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» قيل: هذا قاله نصارى نجران، وقيل: غيرهم، وتقديره: سيقول بعض الخائضين، وقيل: أراد اليهود، عن الأصم. «رَجْماً بِالْغَيْبِ» قيل: قذفاً بالظن من غير يقين، عن قتادة. «وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» قيل: هذا من قول المختلفين[3]، وقيل: بل من قول المسلمين «قُلْ» يا محمد «رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ» قيل: قليل من الناس، عن قتادة. وقيل: قليل من أهل الكتاب، عن عطاء. قال ابن عباس: أنا من أولئك القليل الذين يعرفونهم[4]، هم سبعة وثامنهم كلبهم، فيحتمل أن يكون بن عباس عرف ذلك من جهة الرسول ﷺ، ويحتمل أنه علم ذلك بالآية لدخول الواو لأنه[5] لتحقيق الكلام، وقيل: ذلك القليل هو النبي ﷺ لأنه عرفه ذلك، عن أبي علي. «فَلا تُمَارِ فِيهِمْ» أي: لا تجادل في شأنهم وعدتهم «إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً» قيل: لا تجادل إلا بقول ظاهر تنطق به الحجة، ويقر به الناس، وقيل: إلا[6] بما[7] أظهرنا لك[8] من أمرهم، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. يعني بما قص الله عليك[9] في كتابه، يقول حسبك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم «وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً»، وقيل: إلا مراء يشهده الناس ويحضرونه

(١) وشهوراً: أشهراً، ب، و.
(٢) في: عن، ز.
(٣) المختلفين: المخلفين، ل.
(٤) يعرفونهم: تعرفهم، ب، و.
(٥) ابن عباس عرف... الواو لأنه: +، ب، و.
(٦) قيل لا تجادل... وقيل إلا: +، ب، ز، و.
(٧) بما: إنما، ل.
(٨) لك: +، ب، و.
(٩) عليك: ـ، ب، و.

لأنه إن جادلهم خفية كذبوا عليه ولبسوا على الضعفة وادعوا أنهم علموا ذلك[١] من غوامض علومهم، ودلالة على صحة نبوته «وَلا تَسْتَفْتِ» أي: لا تستخبر، قيل: خطاب للنبي ﷺ ونهي لأمته، وقيل: خطاب لأمته؛ لأنه[٢] كان عارفاً، والعارف لا يرجع إلى غيره، فالمراد[٣] المؤمنون[٤] حتى لا يرجعوا إلى أهل الكتاب «فِيهِمْ» في أصحاب[٥] الكهف «مِنْهُمْ» أي من أهل الكتاب[٦]، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

ومتى قيل: لم نهى عن الاستفتاء منهم؟

قلنا: إن كان الخطاب للنبي ﷺ فلأنه عارف ولأنه[٧] يقتضي الشك في نبوته ويوجب فساداً في الدين، وتنفيراً عنه، وإن كان الخطاب لغيره فلأنه لا يحتاج إليه في الدين[٨]، ولأن في الرجوع إليهم إظهار تعظيم لهم وتنفير عن المسلمين، ولأنهم[٩] لا يؤتمنون على الدين، ولا يؤمن منهم الكذب.

«وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» قيل: سألوه عن هذه الصفة، فقال: «أخبركم غداً» ولم يستثن، فأمره الله تعالى[١٠] أن لا[١١] يقول[١٢] أفعل شيئاً إلا ويستثني، وقيل: هذا شرع مبتدأ للجميع حتى يصلوا الاستثناء بكلامهم لئلا يلزمهم كذب وحنث، وهذا هو الأوجه، والأول غير جائز لأنه ﷺ لا يخبر إلا عن وحي وإذن، وإذا أذن له لم[١٣] يقع فيه خلف، ولأنه إذا أخبر ولم يفعل كانت

(١) علموا ذلك: علموا ذلك لأن ذلك، ب، ز، و.
(٢) لأنه: كأنه، ز، ل، م.
(٣) فالمراد: والمراد، ب، ز، و.
(٤) المؤمنون: المنون، ز.
(٥) في اصحاب: أي أصحاب، و، ز، ل، م.
(٦) فيهم... من أهل الكتاب: +، ز، ل، م.
(٧) ولأنه: ولا؛ ز، لأنه، ل.
(٨) وتنفيرا عنه... في الدين: +، ب، و.
(٩) ولأنهم: وأنهم، ل.
(١٠) تعالى: +، ب، ز، و، ل.
(١١) لا: ـ، ز، ل.
(١٢) يقول: أقول، ب.
(١٣) لم: لا، ب، و.

مفسدة، وفيه تنفير، ولأنه[١] يجوز أن لا[٢] يستثني إذا علم قطعاً، كقوله صلى الله عليه وآله[٣] لعلي عليه السلام: «إنك تقاتل الناكثين والفاسقين[٤] والمارقين» ونحو ذلك، وإنما يجب[٥] الاستثناء في المجوزات لأنه لا يؤمن كونه قبيحاً نحو قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]؛ لأنه كان يجوز أن يموت بعضهم قبل الدخول، ومعنى الكلام: إن عزمت على كل شيء تفعله في غد فتقول[٦] أفعله[٧] غداً إن شاء الله، عن ابن عباس. وقيل: إنه[٨] خطاب للنبي ﷺ، وقيل: خطاب[٩] له ولأمته، وهو الوجه.

«وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ» فيه وجهان:

الأول: أنه كلام يتعلق بما قبله، ثم اختلفوا، فقيل: إذا ذكر أنه نسي الاستثناء فليقل إن شاء الله، عن ابن عباس، والحسن[١٠]، ومجاهد، وأبي العالية. وقيل: فاذكر الاستثناء إذا ذكر شيئاً ما[١١] لم ينقطع الكلام، وقيل: اذكر ربك إذا نسيت الاستثناء[١٢] بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر، عن الأصم.

والثاني: أنه لا يتعلق[١٣] بما قبله بل هو[١٤] كلام مستأنف يتعلق بنفسه، فلا معنى لتعليقه بما تقدم، عن أبي علي وجماعة. ثم اختلفوا، فقيل: اذكر ربك إذا

(١) ولأنه: ـ، ز، ل.
(٢) لا: ـ، ب، ز، و، ل.
(٣) وآله: +، ب.
(٤) والفاسقين: القاسطين، ب.
(٥) يجب: يخير، ل.
(٦) فتقول: تقول، ل.
(٧) أفعله: أفعل، ب، و.
(٨) إنه: هو، ز.
(٩) خطاب: ـ، ب، و.
(١٠) والحسن: والحسن والحسن، ل.
(١١) ما: +، ب، و.
(١٢) الاستثناء: والاستثناء، ز، م.
(١٣) لا يتعلق: لا تعلق، ب، و.
(١٤) بل هو: من، ز، ل، م.

عصيت بالاستغفار، عن عكرمة. وقيل: هو في الصلاة إذا نسيت صلاة فصلها إذا ذكرتها، عن الضحاك، والسدي. وقيل: اذكر ربك إذا نسيت شيئاً بك إليه[١] حاجة تذكرة لك[٢]، ففيه الأمر بالانقطاع إليه في طلبه[٣]، عن أبي علي. وقيل: اذكر ربك إذا تركت ذكره، والنسيان هو الترك، وقيل: اذكر ربك إذا نسيت أمراً ثم ذكرته فتحمد الله، فإن لم تذكره فقل عسى أن يهديني ربي.

«**وَقُلْ**» يا محمد أو أيها الإنسان «**عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً**[٤]» لما هو أقرب إلى الرشد، قيل: إذا نسيت أمراً ولم تذكره فقل عسى أن يهديني ربي لما هو أقرب إلى الرشد[٥] وهو المسير، وفيه الانقطاع إليه من وجهين: أحدهما: أن يذكره ما نسي[٦]، والثاني: إن لم يتذكر[٧] دله على[٨] ما هو أصلح وأرشد، عن أبي علي. وقيل: عسى أن يهديني في حفظه فيكون أثبت في القلب وأحرى[٩] ألا أنساه، وقيل: عسى أن يعطيني ربي من الرشد ما هو أولى من قصة أصحاب الكهف لأنهم سألوه[١٠] عناداً فقال لعله[١١] يأتيني من الأدلة والمعجزات ما هو أولى، عن الأصم. وقيل: عسى الله أن يرشدني لأقرب مما وعدتكم لأخبركم[١٢] به، وقيل: إنه تعالى أمره أن يستثني فإذا لم يذكر فيقول: «**عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً**» فيكون ذلك كفارة له، «**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً**» قيل: هذا

(١) شيئاً بك إليه: تسأله، ز، ل، م.
(٢) لك: +، ب، و.
(٣) طلبه: طلب، ز، ل، م.
(٤) لأقرب من هذا رشداً: +، ب.
(٥) قيل إذا نسيت... إلى الرشد: +، ب، و.
(٦) ما نسي: بما نسي، ب، و.
(٧) يتذكر: يذكر، ل.
(٨) على: إلى، ب.
(٩) وأحرى: والأحرى، ز.
(١٠) سألوه: سألوا، ز، ل، م.
(١١) لعل: لعلهم، ل.
(١٢) لأخبركم: أخبركم، ب، ز، و.

خبر عن أهل الكتاب، وقيل: عن اليهود أنهم قالوا ذلك، ولذلك قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ[١] أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾، عن قتادة، واستدل بقول ابن مسعود، فقال[٢]: لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين، قال مطر الوراق: هذا شيء قالته[٣] اليهود فرد الله[٤] عليهم، وجوز أبو مسلم هذا الوجه، وقيل: هذا ليس بصحيح لأنه لا يجوز صرف[٥] كلامه تعالى إلى غيره إلا بدليل[٦] مع أن فيه وجه حسن[٧]، وقيل: بل هو إخبار منه تعالى عن قدر لبثهم وهو ثلاثمائة سنين وتسع، عن مجاهد، والضحاك وغيرهما[٨] قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» قيل: بين مقدار لبثهم، ثم قال إن حاجك أهل الكتاب فقل الله أعلم بما لبثوا[٩]، فوجب الرجوع إلى غيره، وقيل: معناه الله أعلم[١٠] بما لبثوا إلى الوقت الذي نزل القرآن فيه، وقيل: الله أعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا، وقيل: الله أعلم ولم يخبرهم بذلك، عن قتادة. وقيل: قال أهل الكتاب من لدن دخولهم الكهف إلى الوقت الذي [خرجوا منه] ثلاثمائة وتسع سنين، فرد الله عليهم وقال: «**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ**[١١] **غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» يعني أنه عالم الغيب «**أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ**» قيل: معناه: ما أسمعه للمسموعات وما أبصره للمبصرات فلا[١٢] يخفى عليه شيء من ذلك، وإخراجه مخرج التعجب على وجه التعظيم له تعالى، كقولهم: أكرم بزيد، وقيل: معناه اذكر للناس ذلك فهو من صفاته أنه سميع بصير فيكون على معنى

(١) قل الله: قل ربي، ز، و، ل، م.
(٢) فقال: وقال، ب، و.
(٣) قالته: قاله، ل.
(٤) فرد الله: فرده، ب، و.
(٥) صرف: ضرب، ز، ل، م.
(٦) إلا بدليل: +، ب، و.
(٧) وجه حسن: وجهاً حسناً، ب، و.
(٨) وغيرهما: وغيرهم، ب، و.
(٩) قيل بين مقدار... بما لبثوا: +، ب، و.
(١٠) أعلم: +، ب، و.
(١١) بما لبثوا له: ـ، ز.
(١٢) فلا: ولا، ز.

الأمر «**مَا لَهُمْ**» قيل: الكناية ترجع إلى أصحاب الكهف، أي: ليس لهم غيره ولي يحفظهم وأنه تعالى يتولى[١] حفظهم ورعايتهم، وقيل: المراد عامة العباد؛ أي: العباد من يتولى نصرتهم غيره[٢] وهذا هو الوجه، وقيل: «**مَا لَهُمْ**» لأهل السماوات والأرض «**مِنْ وَلِيٍّ**» ناصر يتولى أمرهم «**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**» قيل: لا يشرك في حكمه أحداً يستعين به، وقيل: لا يملك أحداً حكماً[٣]، وقيل: لا يشرك أحداً[٤] منهم، يعني: أحداً في خلقه والإنعام عليهم، وقيل: أراد: الأوثان لم يشركهم في الإلهية.

۞ الأحكام

تدل الآيات[٥] أن عددهم لا يعرفه أحد إلا من عرفه الله تعالى، وفيه تنبيه[٦] أن ظاهر القرآن لا يدل عليه، وقد روينا عن ابن عباس أنه قال: أنا من القليل الذين يعرفونهم، وقال أبو علي: النبي[٧] صلى الله عليه وآله[٨] كان يعرف عددهم بخبره تعالى، ولكن لا يجب أن يعرفه[٩] غيره إذا لم يتصل بالأحكام والشرائع ولا يكون فيه مصلحة.

ويدل قوله: «**فلا تمار فيهم...**» الآية أن أهل الكتاب كانوا يخوضون[١٠] فيه، فأمره أن لا يقول فيه[١١] إلا الظاهر الثابت بقول الله تعالى.

---

(١) يتولى: متولي، ب، و.
(٢) نصرتهم غيره: غيره نصرهم، ز، ل، م.
(٣) لا يملك أحداً حكماً: ولا يشرك في حكمه أحداً، ل.
(٤) لا يشرك أحداً: ـ، ب، و.
(٥) الآيات: الآية، ب، و.
(٦) تنبيه: بياض في (زا).
(٧) النبي: للنبي.
(٨) صلى الله عليه وآله: +، ل.
(٩) يعرفه: يعرف، ب، و.
(١٠) يخوضون: يحرضون، ز، ل، م.
(١١) فيه: +، ب، و.

ويدل قوله: «ولا تستفتِ» أنه لا يجوز الرجوع إلى القوم في معرفة الأخبار، فلا يوثق[1] بقولهم لأنهم كفار.

ويدل قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ على[2] أن المعدوم يسمى شيئاً خلاف[3] ما يقوله قوم أنه[4] لا يسمى شيئاً إلا الموجود.

ويدل قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ على صحة[5] الاستثناء في الكلام.

ويدل قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ[6]﴾ على أنه سميع بصير على طريق المبالغة؛ لأنه يسمع[7] السر والعلانية، والقريب والبعيد، ولا يجوز عليه خلافه، وكذلك بصير.

فصل في الاستثناء

الاستثناء على ضربين:

استثناء بـ (إلا) و(غير)[8] وهو يؤثر في الكلام بالاتفاق[9]، قال[10] تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ **[العنكبوت: ١٤]**، ويجوز استثناء البعض ولا يجوز استثناء الكل، ويستوي في البعض القليل والكثير، وعند بعضهم لا يجوز في[11] استثناء الأكثر[12]، ويجوز الاستثناء من الاستثناء، ويجوز كل واحد إلى ما يليه[13].

---

(١) فلا يوثق: فلا يؤمن، ز، ل، م.
(٢) على: +، ب، و.
(٣) خلاف: +، ب، ز، و.
(٤) أنه: +، ب، و.
(٥) صحة: حجة، ب، و.
(٦) ابصر به وأسمع: أسمع به وأبصر، ل.
(٧) يسمع: يعلم، ز.
(٨) بإلا وغير: بإلا في غير أظنه استثناء بلا وغير، ز، ل، م.
(٩) بالإتفاق: بالالتفاق، ز.
(١٠) قال: وقال، ب، و.
(١١) في: ـ، ب، و.
(١٢) جاء في هامش (ب) ما لفظه: وهو محجوج لقوله تعالى: «إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم» فقد استثنى الأكثر بلا خلاف.
(١٣) جاء في هامش (ب) ما لفظه: ويكون الفرد للإخراج والزوج للإدخال كما حققه العلامة الطبري رحمه الله.

والثاني: استثناء بـ (إن شاء الله)، والأكثر على أنه وضع[1] لرفع[2] حكم الكلام، وعند بعضهم أنه يجري مجرى الشرط[3] حتى[4] قالوا: إذا قال لعبده: أنت حر إن شاء الله عتق[5]، وفي الطلاق لا يقع، وقال أبو علي: إن نوى مشيئة معينة للعتق يعتق، والإجماع حصل على (إن شاء الله) إذا اتصل بالكلام يرفع حكمه، والأكثر على أنه يعمل عند الاتصال. وقيل: يعمل ما دام في مجلسه، عن الحسن، وطاووس. وقيل: له أن يستثني ولو إلى سنة، عن ابن عباس. وذكر إسماعيل بن إسحاق عن أبي العالية ومجاهد وسعيد بن جبير مثل ذلك، ويجوز ولو بعد الحنث، والإجماع يحججهم جميعاً، ولأنه يؤدي إلى أن لا يستقر شيء من العقود والأيمان والإيقاعات.

قوله تعالى:

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم: «بالغدوة والعشي» بضم الغين، والباقون «بالغداة»، ولا يجوز عند

---

(١) وضع: يوضع، ب، و.

(٢) لرفع: ـ، ب.

(٣) جاء في هامش (ب) ما لفظه: فيما لم يكن المشروط فتحقق الوقوع وإلا كانت بمعنى (إذ) عند كثير من النحاة، ومنه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي إذ شاء الله. والله أعلم.

(٤) حتى: حتى إذا، ب، و.

(٥) عتق: ـ، ب، و.

أهل العربية إدخال الألف واللام في غدوة لأنها معرفة، ولو كانت نكرة لجاز فيها الإضافة كما يجوز غداة يوم[1] الجمعة.

اللغة

الملتحد: الملجأ يهرب إليه، وهو تفعيل من اللحد، يقال: لحدت إلي كذا إذا[2] ملت إليه، ومنه: اللحد، لأنه في ناحية القبر، والإلحاد في الدين العدول عن الحق.

وغدوت الشيء أغدوه إذا جاوزته[3].

والإفراط: الإسراف، يقال: أفرط إفراطاً إذا أسرف، فأما فرط قصر[4].

والسرادق[5]: المحيط بما فيه مما ينقل معه الأصل[6]، سرادق الفسطاط، وقيل: السرادق ثوب تدار حول الفسطاط[7]، قال رؤبة:

يا حكم[8] المنذر بن جارود   سرادق المجد عليه[9] ممدود

والمهل: حثارة الزيت، ويقال: هو النحاس الذائب.

والمرفق: ما ارتفقت به أي انتفعت به، والمرتفق[10]: المتكأ، ومنه: ارتفق اتكأ على مرفقه وهو الوسادة، ثم يسمى المكان والمجلس مرتفقا لأن الجالس يتكئ على المرفق فأقيم المرتفق[11] مكان المجلس والمكان، وقيل: هو مأخوذ من الرفق والمنفعة.

---

(١) يوم: +، ب، و.
(٢) إذا: أي، ب، و.
(٣) جاوزته: جاوزه، ب، و.
(٤) قصر: قصرت، ز، ل، م.
(٥) والسرادق: السرادق، ز.
(٦) الأصل: والأصل، ب، و.
(٧) الفسطاط: القسطاة، ب، و.
(٨) يا حكم: ما أحكم، ز، ل، م. أنظر ديوان رؤية، ١٧٢. لسان العرب، «سردق».
(٩) عليه: عليك، ب، و.
(١٠) والمرتفق: والمرفق، ز، ل، م.
(١١) والمرتف: والمرفق، ز، ل، م.

۞ [الإعراب][1]

فمن شاء فليؤمن جزم[2] على النهي، ومعناه التهديد بصيغة الأمر ليكون أشد في التهديد من جهة أنه كان مأموراً بما يوجب إهانته.

ورفع «**الحق**» قيل[3]: على الحكاية، وقيل: رفع على خبر ابتداء محذوف تقديره: قل[4] هو الحق، وقيل: رفع على الابتداء وخبره في قوله: «**من ربكم**».

﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ على تقدير: ساءت النار مرتفقاً.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «**واصبر نفسك. . .**» الآية، في سلمان وأبي ذر وصهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء أصحاب النبي ﷺ، وذلك أن المؤلفة قلوبهم جاءوا إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصين، والأقرع بن حابس وأشباههما وقالوا: إن جلست في صدر المجلس ونفيت عنَّا[5] هؤلاء وأزواج صنانهم ـ وكانت عليهم جباب الصوف ـ جلسنا[6] نحن إليك وإنا رؤساء مضر إن نسلم يسلم[7] الناس بعدنا، والله ما يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء، فنزلت الآية، عن ابن عباس وغيره من المفسرين.

وقيل: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمائة رجل، لزموا المسجد يصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم»، عن قتادة.

---

(١) الإعراب: ـ، م.
(٢) جزم: وجزم، ب، و.
(٣) قيل: +، ب، و.
(٤) قل: قيل، ز.
(٥) عنَّا: عنه، ز، ل، م؛ عنك، ب، و.
(٦) جلسنا: وجلسنا، ب.
(٧) يسلم: تسلم، ب، و.

۞ المعنى

لما تقدم بيان ما سألوا عنه من الصفة عقبها بالأمر بالتلاوة لما أنزل، والكون مع من آمن ووعده، ووعيد لمن لم يؤمن، فقال سبحانه: «**وَاتْلُ**» أي: اقرأ يا محمد، قيل: ما أوحي إليك في[1] أصحاب الكهف، فإن الحق فيه لا مبدل له، عن القاضي. وقيل: بل هو عام مبتدأ به مستأنف، عن أبي علي[2] «**مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ**» أي: ما جئتك[3] به من القرآن واتبع ما فيه، وخوفهم بوعده وأعلمهم أنه «**لا مُبَدِّلَ**[4] **لِكَلِمَاتِهِ**» قيل: لا مغير للقرآن[5]، عن الكلبي، وقيل: لا مبدل لوعده ووعيده، عن ابن[6] جرير، وقيل: لا مبدل لكلماته لفظاً ولا لما تضمنه من المعنى «**وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ**» أي: إن[7] لم تتبع القرآن لم[8] تجد من دون الله «**مُلْتَحَداً**» قيل: ملجأ، عن مجاهد، وقيل: موئلاً، عن قتادة. وقيل: حرزاً، عن ابن عباس. وقيل: مدخلاً تهرب إليه، عن الحسن، والأصم. وقيل: معدلاً ومصرفاً ومحيصاً، عن أبي مسلم. «**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ**» أي: احبس نفسك مع أصحابك المؤمنين، ثم وصفهم فقال: «**مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**» قيل: يصلون الصلاة على الدوام، وقيل: يذكرون الله «**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**» أي تعظيمه ورضاه، يريدون بالعبادة رضاه «**وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**» أي: أقبل عليهم[9] ولا تجاوز عيناك عن هؤلاء المؤمنين ولا تصرف إلى هؤلاء المشركين «**تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» قيل: تريد مجالسة الأشراف، وقيل[10]: هذا نهي للتعريض

---

(١) في: من، ل، م.
(٢) ما أوحي إليه في... أبي علي: ـ، ب، و.
(٣) جئتك: خصك، ب، و.
(٤) لا مبدل: لا مبد، ز.
(٥) لا مغير للقرآن: لا يغير القرآن، ز، ل، م.
(٦) ابن: أبي، ل.
(٧) إن: +، ب، و.
(٨) لم: لا، ز، ل، م.
(٩) عليهم: عنهم، ب، و.
(١٠) وقيل: قيل، ز، ل، م.

لهذه[1] الحالة لا حكم بأنه[2] أراد زينة الدنيا، وقيل: أكرم الله تعالى فقراء المؤمنين بأن أمر رسول الله ﷺ[3] بأن[4] يختارهم على أشراف قومه.

«وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» فيه سبعة أقوال:

أولها: صادفنا قلبه غافلاً[5]، كقولهم: أحمدناه صادفناه محموداً، قال بعض العرب: قاولناهم فما أفحمناهم، وسألناهم فما أنحلناهم، وقاتلناهم فما أجبناهم.

وثانيها: أغفلناه نسبناه[6] إلى الغفلة وحكمنا عليه بذلك، كقولهم أكفرناه نسبناه إلى الكفر[7].

والثالث[8]: أغفلنا قلبه أي[9]: جعلنا[10] قلبه[11] غافلاً فلا[12] نتعرضه[13] للغفلة.

ورابعها: شرفناه بنعم الدنيا فجعله سبباً للكفر والفرار[14] من مجالسة الفقراء الذين هم أهل الله، عن الأصم.

وخامسها: خذلناهم لتركهم الطاعة، فكأنه تأوله على طريقة العقوبة لمعصيتهم.

والسادس: تركه غافلاً لم[15] نسميه[16] تسمية[17] المؤمن كما قال: ﴿كَتَبَ فِي

---

(١) لهذه: بهذه، ز، ل، م.
(٢) بأنه: فإنه، ز، ل، م.
(٣) صلى الله عليه وآله وسلم: ـ ، ب، ز، و.
(٤) بأن: +، ب، و.
(٥) غافلاً: علولا، ل، م.
(٦) نسبناه: نسيناه، ب، و؛ استثناه، ز.
(٧) إلى الكفر: +، ب، و.
(٨) والثالث: والثالثة، ل.
(٩) أي: +، ب، و.
(١٠) جعلنا: جعلناه، ب، ز، و.
(١١) قلبه: ـ ، ب، ز، و.
(١٢) فلا: ـ ، ز.
(١٣) نتعرضه: لنتعرضه، ز.
(١٤) والفرار: والفر، ب، ل، م، و.
(١٥) لم: ـ ، ل.
(١٦) نسميه: +، ب، و.
(١٧) تسمية: تسميته، ب، و.

﴿قُلُوبِهِمْ﴾ **[المجادلة: ٢٢]**، يقال: غفل إذا لم يكن عليه علامة، ولا يجوز حمله على أنه جعله غافلاً بأن خلق فيه الكفر والغفلة لأنه ذمهم به ولو[١] كان خلقه لما صح ذمهم به[٢]، واختلفوا من هو، قيل: أمية بن خلف المخزومي، وقيل: عيينة بن حصين الفزاري[٣]، وقيل: عام في جميع الكفار، نهاه عن اتباع مرادهم، وهو الوجه.

«**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**» أي: لم يتبع الحق والدليل بل اتبع ما دعته[٤] إليه نفسه وشهوته «**وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**» قيل: مخالفاً[٥] للحق، عن ابن زيد. وقيل: سرفاً[٦]، عن مقاتل، وأبي علي. وقيل: ضياعاً[٧]، عن قتادة، والضحاك، ومجاهد. أي: ضيع أمره[٨] وعطل آياته[٩]، وقيل: ندماً يندم على تفريطه، حكاه أبو علي. وقيل: باطلاً، وقيل: قدماً قدماً في الشر، عن ابن زيد البلخي. وقيل: مجاوزاً للحد، عن الأخفش. وقيل: مقصراً قد فرط في نظره لدينه، عن الأصم. «**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ**» يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار[١٠] هذا الذي تلوته عليكم هو الحق من ربكم وأنزله إليه[١١] وبلغته إليكم، فقد أتاكم الحق وظهر[١٢] «**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**» تهديد وليس بتخيير، أي ظهر الحق، فمن تبعه نجا ومن خالفه هلك، ومن قبل نفسه أتي، فإن تكفروا فإنا أعتدنا للكافرين كذا[١٣] «**إِنَّا أَعْتَدْنَا**» هيأنا[١٤]» «**للظالمين**» **قيل: الكافرين**،

---

(١) ولو: فلو، ب، و.
(٢) به: +، ب، و.
(٣) الفزاري: الفرازي، ب.
(٤) ما دعته: ما دعاه، ب، و.
(٥) مخالفاً: مخالف، ب، و؛ مخلفاً، ز.
(٦) سرفاً: شرفاً، ب، و.
(٧) ضياعاً: ضياعياً، ز، ل، م.
(٨) أمره: +، ب، ز، و.
(٩) آياته: أيامه، ب، و.
(١٠) الكفار: الكفرة، ب، و.
(١١) إليه: إلى، ب، و.
(١٢) وظهر: فظهر، ل، م.
(١٣) للكافرين كذا: للظالمين ناراً أي، ب، و.
(١٤) هيأنا: +، ب، و.

وقيل: **للعاصين**[١]» «**ناراً**» وهي[٢] نار جهنم «**أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**» قيل: حائط من نار يطوف عليهم[٣]، عن ابن عباس. وقيل: سرادقها دخانها ولهبها، قبل وصولهم إليها، عن أبي علي. وقيل: أراد أن النار تحيط بهم من جوانبهم تشبيه[٤] بالسرادق، عن الأصم، وأبي مسلم. «**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا**» من شدة العطش وحر النار «**يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ**» قيل: كل شيء أذيب، عن ابن مسعود، وأبي عبيدة، كالرصاص والنحاس[٥]، قيل: هو كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة وجهه، يروى مرفوعاً، وقيل: كدردي[٦] الزيت، عن ابن عباس. وقيل: هو القيح والدم، عن مجاهد. وقيل: هو الذي انتهى حره، عن سعيد بن جبير. وقيل: هو[٧] ما اسود، وجهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود وأهلها سود، عن الضحاك. «**يَشْوِي الْوُجُوهَ**» إذا قربت من الوجوه شوت[٨] لحومهم وسقطت جلودهم «**بِئْسَ الشَّرَابُ**» المهل[٩] إذا قرب من[١٠] الوجه سقطت فيها[١١] لحومهم، وإذا شربوا قطع أمعاءهم «**وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً**» قيل: سكناً، وقيل: مجمعاً[١٢]، عن مجاهد. كأنه[١٣] ذهب به إلى معنى مرافقه، وقيل: منزلاً، عن ابن عباس. وقيل: مقراً، عن عطاء، وأبي مسلم. وقيل: مجلساً، عن أبي علي، وأبي مسلم، والقتيبي.

---

(١) العاصين: للعاصين، ز، ل، م.
(٢) وهي: وهو، ب، و.
(٣) عليهم: بهم، ب، و.
(٤) تشبيه: ليست، ز، ل، م.
(٥) كالرصاص والنحاس: كالنحاس والرصاص، ب، و.
(٦) كدردي: كردي، ز.
(٧) هو: ـ، ب، و.
(٨) الوجوه شوت: الوجه شوى، ب، و.
(٩) المهل: من المهل، ز، ل، م.
(١٠) من: إلى، ز.
(١١) فيها: +، ب، و.
(١٢) مجمعاً: مجتمعاً، ب، و.
(١٣) كأنه: لأنه، ب، و.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أنه لا خلف في وعيده[(١)] خلاف قول المرجية.

ويدل قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ﴾ أنه لا مهرب سواه فينبغي للعاقل أن ينقطع إليه ويتوكل عليه.

وتدل الآيات[(٢)] أن الزينة بالدين لا بزينة الدنيا.

ويدل قوله: ﴿يُرِيدُونَ﴾ أنه ينبغي للعاقل[(٣)] أن يفعل العبادة ويريد بها وجهه.

وتدل على أنه لا ينبغي أن نعدل من أهل الدين إلى أهل الفساد للثروة.

ويدل قوله: ﴿وَلَا[(٤)] تُطِعْ﴾ أنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

ويدل قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ﴾ أن هذا الدين حق وأن الباطل ليس من عنده لذلك قال: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾.

ويدل قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أن الجنة والنار مخلوقتان خلاف ما يقوله أبو هاشم، إلا أنه يقول: أحمله[(٥)] على أنه سيخلق وهو يعد[(٦)] في حكم الله مثل ذلك كثيراً في القرآن كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ **[الأعراف: ٥٠]** أي: سينادي، وإنما ذكر بلفظ الماضي لتحقيق كونه.

ويدل قوله ﴿لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ أن الفاسق[(٧)] من أهل النار خلاف قول المرجئة.

وتدل على أن اتباع الهوى والكفر فعلهم.

---

(١) وعيده: عيده، ز.
(٢) الآيات: الآية، ز.
(٣) للعاقل: ـ، ب، و.
(٤) ولا: لا، ز.
(٥) أحمله: حمله، ز، ل، م.
(٦) يعد: معد، ب، و.
(٧) الفاسق: الفساق، ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

اللغة

العدن: الإقامة، يقال: عدن بالمكان إذا[1] أقام به، يعدن عدناً.

والسوار: زينة تلبس في اليد بكسر[2] السين، وفيها[3] لغتان، والجمع: أساور وأسورة[4]، وقيل: أساور[5]: جمع لسوار[6] على حذف الزيادة لأن أصله أساوير[7]، عن قطرب، وأبي عبيدة، وقيل: بل هو جمع أساورة[8]، وأسورة[9] جمع سوار، يقال: سوار وأسورة[10] وأساور جمع الجمع، عن الزجاج، وأبي مسلم.

والسندس: ما رق من الديباج، واحدها[11]: سندسة، وفيه ثلاث لغات: سَندس، وسُندس، وسِندس، بتعاقب[12] الحركات الثلاث على السين[13].

---

(١) إذا: ـ، ب، و.
(٢) بكسر: وبكسر، ب، و.
(٣) وفيها: فيها، ز، ل، م.
(٤) أساور وأسورة: أساور وأسورة وقيل أساور وأسورة، ز، ل، م.
(٥) أساور: وأسورة، ز، ل.
(٦) لسوار: أسوار، ب، و.
(٧) أساوير: الساور، م.
(٨) أساورة: أساور، ز.
(٩) وأسورة: أسورة، ب، و.
(١٠) وأسورة: وأسوة، م.
(١١) واحدها: أحدها، ز، ل، م.
(١٢) يتعاقب: فتعاقب، ز، م.
(١٣) السين: السندس، م، ل.

والأرائك: جمع أريكة وهي السُّرر في الحجال، قال ثعلب: الأريكة لا تكون إلا سريراً متخذاً في[1] قبة عليه شوارة[2] وعدة.

۞ الإعراب

يقال: ما خبر (إن) في قوله[3] «**إِنَّ الَّذِينَ أَمَنُوا**»؟

قلنا: ثلاثة أقوال:

الأول: أولئك لهم جنات عدن، ويكون «**إنا لا نضيع**» اعتراضاً[4] بين الاسم والخبر.

الثاني: أن يكون إنا لا نضيع أجره بل نجازيه، ثم ذكر الجزاء، فقال: «**أولئك**».

الثالث: أن يكون على البدل، فلا يحتاج إلى خبر، كقول الشاعر:

إِنَّ الـخـلِـيـفَـةَ إِنَّ الـلـهَ سَـرْبَـلَـهُ   سِرْبَالَ مُـلْـكٍ بِـهِ تُـرْجَـى الـخَـوَاتِـيمُ[5]

«**أساور**» لا ينصرف لأنها أفاعل[6] وكل جماعة ثالث حروفها ألف وبعد الألف حرفان أو أكثر أو حرف ثقيل[7] فإنه لا ينصرف معرفة ولا نكرة.

«**مرتفقاً**» أي: حسنت الجنة مرتفقاً.

۞ المعنى

لما تقدم الوعيد عقبه بذكر الوعد على عادته، فقال سبحانه[8] «**إِنَّ الَّذِينَ[9] آمَنُوا**»

---

(١) في: ـ ، ل؛ أو، م.

(٢) شوارة: سواره، ب، ز، ل، م، و.

(٣) في قوله: ـ ، ب، ز، و.

(٤) اعتراضاً: اعتراض، ل.

(٥) البيت لجرير، انظر اللسان، مادة «ختم».

(٦) أفاعل: فاعل، م؛ أفاعيل، ب، ز، و.

(٧) ثقيل: ثقل، ز.

(٨) سبحانه: تعالى، ب، ز، و.

(٩) الذين: ـ ، ب، و.

بالله ورسوله «**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» يعني ما يوجب عليهم من الطاعات «**إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**» أي: لا نضيع أجر محسن على إحسانه وتوفيته[1] أجره من غير بخس.

ثم بيّن ذلك الأجر فقال سبحانه: «**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ**[2]» بساتين «**عَدْنٍ**» قيل: جنات الخلد، عن أبي علي، وأبي مسلم. لأن العدن هو الإقامة، وقيل: عدن اسم من أسماء الجنة، عن الحسن. وقيل: العدن إحدى الجنان الأربع، عن الأصم. «**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ**» أي: يجري تحت أبنيتها وأشجارها الماء في[3] الأنهار «**يُحَلَّوْنَ فِيهَا**» أي: يزينون فيها[4] «**مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**» قيل: على كل واحد ثلاث أساور، واحد من فضة، وواحد من ذهب، وواحد من لؤلؤ وياقوت، عن سعيد بن جبير. «**وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**» قيل: السندس ما رق من الديباج، والإستبرق ما غلظ منه، وقيل: وإستبرق[5] الديباج طوراً لباسها «**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ**» قيل: على السُّرُر في الحجال، وقيل: الفرش[6] في الحجال، عن الزجاج. «**نِعْمَ الثَّوَابُ**» أي: الجزاء[7] «**وحَسُنَتْ**[8] **مُرْتَفَقاً**» قيل[9]: مجلساً ومكاناً، وقيل: يعني مرافقة[10] النبيين والصديقين كقوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، حكاه الأصم.

---

(١) وتوفيته: ونوفيه، ب، و.
(٢) جنات: جنات عدن، ز، ل، م.
(٣) في: ـ، ز.
(٤) أي يزينون فيها: ـ، ز.
(٥) واستبرق: والاستبرق، ب، ز، ل، م، و. وما أثبتناه من: تفسير مجمع البيان؛ للطبرسي: ٦/ ٣٠٣، التبيان في تفسير القرآن؛ للطوسي: ٧/ ٣٨، تفسير الطبري: ١٨/ ١٧، النكت والعيون: ٢/ ٤٧٥) وهو عجز صدر لمرقش وتمامه:

تراهن يلبسن المشاعر مرة

(٦) الفرش: الفردوس، ز.
(٧) الجزاء: الأجر، ل.
(٨) وحسنت: وحسنة، ز.
(٩) قيل: وقيل، ز.
(١٠) مرافقة: مرافع، ب.

۞ الأحكام

تدل الآية أن الجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح خلاف قول المجبرة والمرجئة.

وتدل على[1] أن من[2] لم يحسن عمله يضيع أجره، فتدل على التحابط.

وتدل على[3] أن الثواب يستحق وأنه جزاء خلاف قول[4] المجبرة.

وتدل أنه ليس بتفضل خلاف البغدادية.

وتدل على أن الإيمان والعمل الصالح فعلهم بخلاف[5]من يقول[6] بخلق[7] الأفعال.

ويدل قوله: «**نعم الثواب**» أن نعيمهم ومجالسهم على[8] غاية[9] المنى.

قوله تعالى:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا
زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾
وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ
جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ
قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

۞ القراءة

قرأ يعقوب: «**فجرنا**» خفيفة الجيم، والباقون بالتشديد[10] للمبالغة وعليه الأئمة.

---

(١) على: +، ب، و.
(٢) من: ـ، ز، م.
(٣) على: ـ، ز، م.
(٤) قول: ـ ب، و.
(٥) بخلاف: خلاف، ب، و.
(٦) من يقول: ـ، ب.
(٧) بخلق: خلق، ز.
(٨) على: في، ب، و.
(٩) غاية: أغاية، ز.
(١٠) بالتشديد: بالتشد، م.

وقرأ أبو جعفر وعاصم ويعقوب: «**وكان له ثمر**»، «**وأحيط بثمره**» بفتح الثاء والميم في الحرفين جميعاً، وهو جمع ثمار، وروي عن يعقوب: **(كان له ثمر)**، بفتح الثاء والميم «**وأحيط بثمره**» بضم الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء والميم في الحرفين، وقرأ الباقون بضم الثاء والميم[1] في الحرفين[2] وهو جمع: ثمار وثمر نحو[3]: حِمار[4] وحمُر، ونحو[5] أن يكون جمع ثمر[6] كخشب وخشب.

قرأ[7] أبو جعفر[8] ونافع وابن كثير وابن عامر: «**لأجدن خيراً منهما**» بزيادة ميم، وكذلك هي[9] في مصاحفهم تعود الكناية إلى[10] الجنتين، وقرأ الباقون[11]: «**منها**» بغير ميم، تعود الكناية إلى[12] الجنة التي دخلها، وقيل: تعود إلى جميع ما تقدم.

اللغة

حفوا بالشيء: أطافوا[13] به، ومنه: ﴿حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الزمر: ٧٥]، وحفاف[14] كل شيء: جانباه، كأنه أطاف به.

---

(١) والميم: +، ب، و.
(٢) في الحرفين: ـ ، ب، و.
(٣) نحو: ـ ، ب، و.
(٤) حمار: وحمار، ب، و.
(٥) ونحو: وهو، ب، و.
(٦) ثمر: +، ب، و.
(٧) قرأ: وقرأ الباقون، ب، و.
(٨) أبو جعفر: أبو عمرو، ز.
(٩) هي: ـ ، ز؛ هو، ب، و.
(١٠) إلى: على، ب، ز، و.
(١١) الباقون: ـ ، ز.
(١٢) إلى: على، ز، ل، م.
(١٣) أطافوا: طافوا، ز، ل، م.
(١٤) وحفاف: وحفافاً على، ب، و.

وباد الشيء يبيد بيداً[١] إذا أهلك، والبيد المصدر، وبيد بمعنى غير، يقال[٢]: هو كثير المال بيد أنه بخيل يعني[٣] غير.

والرد: مصدر رددت الشيء أرده رداً[٤]، ومنه: المرتد، لأنه يرد نفسه إلى الكفر، ورُدَّ يُرَدّ فهو مردود[٥].

والمنقلب: المعاد.

والمحاورة: مراجعة الكلام في المخاطبة، يقال: كلمت فلاناً فما رجع إليّ حواراً أو[٦] محورة وحويراً.

۞ الإعراب

ويقال: لم قال[٧] **«كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ»** بلفظ التثنية، ثم قال: **«آتَتْ أُكُلَهَا»** بلفظ الواحد؟

قلنا: لأن (كلتا) بمنزلة (كل) في مخرج التوحيد، ولو قال آتتا على الجنتين جاز، قال الشاعر في التوحيد:

وكلتاهما قد خطتا في صحيفتي فلا العيش أهواه ولا الموت أروح

ويجوز في المؤنث كلاهما.

ويقال: لِمَ جاز كل الجنة ولم[٨] يجز كل المرأة؟

قلنا: لأن بعض الجنة جنة وليس بعض المرأة مرأة[٩]، فكأنه قيل: كل جنة من جملتها آتت.

---

(١) بيداً: +، ب، و.
(٢) يقال: فقال، ز، ل، م.
(٣) يعني: +، ب، و.
(٤) رداً: ـ، ب، و.
(٥) مردود: مردودا، ز، م.
(٦) أو: أي، ب، و.
(٧) قال: قلت، ب.
(٨) ولم: لم، ب.
(٩) امرأة: مرأة، ز، ل، م.

النزول

قيل: نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم مؤمنين، وهو: أبو سلمة[1] عبد الله[2] بن عبد الأسد بن عبد ياليل زوج أم سلمة قبل[3] رسول الله ﷺ، والآخر كافر[4] وهو: الأسود بن عبد الأسود[5] بن عبد الأسد بن عبد[6] ياليل.

وقيل: نزلت في رسول الله ﷺ وفي مشركي مكة.

وقيل: هذا مثل لعيينة بن حصين وأصحابه مع سلمان وأصحابه، شبههما[7] برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن اسمه يهوذا، عن ابن عباس، وقيل: اسمه: تمليخا، عن مقاتل، والآخر كافر اسمه: قطروس[8] وهما اللذان[9] وصفهما[10] الله تعالى[11] في سورة[12] (الصافات) فكانت[13] قصتهما أنهما كانا أخوين ورثا مالاً، فأنفق المؤمن من ماله في سبيل الله وأنفق الآخر في زينة الدنيا، واحتاج المؤمن فأتاه أخوه[14] فقال له: أين مالك، فذكر أنه أنفقه في سبيل الله لكي ينال الجنة، فقال: اذهب إنك لمن المصدقين بهذا[15] تقرباً[16]، إذهب فلا شيء

(١) سلمة: شملة، ب.
(٢) زيادة من تفسير البغوي ٣/ ٣٠.
(٣) قيل: وقيل نزلت في، ب، و، ل.
(٤) كافر: ـ، ز، ل، م.
(٥) بن عبد الأسود: +، ل.
(٦) عبد: ـ ، ز، ل، م.
(٧) شبههما: شبههم، ز، ل، م.
(٨) قطروس: قطروير، ز، ل، م. وما أثبتناه من (ب، و)، ومن تفسير البغوي ٣/ ٣٠.
(٩) اللذان: الذي، ب، و؛ الذين، ز.
(١٠) وصفهما: وصفاهما، ل.
(١١) زيادة من تفسير البغوي ٣/ ٣٠.
(١٢) سورة: ـ ، ب؛ صورة، ل.
(١٣) فكانت: وكانت، ب، و.
(١٤) أخوه: أخاه، ب، ز، م، و.
(١٥) بهذا: ـ ، ز.
(١٦) تقرباً: +، ل، تهزوا، ز.

لك، فنزلت في قصتهما: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ» وقوله: ﴿فَأَقْبَلَ[1] بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧].

۞ المعنى

ثم ضرب الله تعالى مثلاً للفريقين اللذين[2] تقدم ذكرهما، فقال سبحانه: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً» لمن تقدم ذكرهم[3] [4] لشبه حالهم ليعلموا حال المؤمن وأنه مع فقره عند الله وجيه[5]، والكافر مع كثرة ماله[6] مهان «رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا[7] لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ» بستانين أجنها الأشجار «مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا» أي: أحطناهما «بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً» قيل: حول الأعناب النخل ووسط الأعناب الزرع، وقيل: بين الجنتين الزرع، عن الأصم، وأبي علي، وأبي مسلم. «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ» أي: كل واحدة[8] منهما «آتَتْ» أعطت «أُكُلَهَا» ثمرها تاماً «وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» قيل: لم تنقص، عن الحسن. «وَفَجَّرْنَا» شققنا «خِلالَهُمَا» وسطهما يعني وسط الجنتين «نَهَراً» يجري فيه الماء «وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ» أي: الرجل[9] الكافر ثمر من النخل الذي فيهما، عن أبي علي. وقيل: ذهب وفضة، عن مجاهد. وقيل: صنوف الأموال، عن ابن عباس، وقتادة. وكان له ثمر في الجنتين سوى الأعناب والنخيل من سائر[10] صنوف الأشجار «فَقَالَ» الكافر «لِصَاحِبِهِ» المؤمن «وَهُوَ يُحَاوِرُهُ» يخاطبه ويراجعه الكلام[11] «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً» قيل: عشيرة ورهطاً، عن أبي مسلم. وقيل: خدماً وحشماً، عن قتادة. وقيل: ولداً، عن

---

(١) فأقبل: وأقبل، ز، ل، م.
(٢) اللذين: الذين، ز، م.
(٣) ذكرهم: ذكره، ل.
(٤) ذكرهم: ذكرهم شبها، ب، و.
(٥) وجيه: ـ، ز.
(٦) ما له: ـ، ز.
(٧) جعلنا: ـ، ل.
(٨) واحدة: واحد، ب، و، ل.
(٩) أي الرجل: أي الرجل أي، ل، م.
(١٠) والنخيل من سائر: والنخل مساير، ز.
(١١) الكلام: للكلام، ز.

مقاتل. ولذلك قال في جوابه: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾، «وَدَخَلَ» الكافر «جَنَّتَهُ» أخذ بيد أخيه يطوف به[1] فيها[2] ويعجبه من حسنها «وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ» بكفره «قَالَ[3] مَا أَظُنُّ أَنْ[4] تَبِيدَ[5]» أي: تفنى وتهلك «هَذِهِ» الجنة «أَبَداً» قيل: أراد لا تبيد ما دمت حياً، وقيل: توهم أنه يدوم وأن مثله لا يفنى إنكاراً لفناء الدنيا «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» آتية كائنة «وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي» أي[6]: صرت[7] إليه في المعاد «لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهما» منزلة، **الجنة** «مُنْقَلَباً» أي: منزلاً ومرجعاً.

ومتى قيل: كيف يصح[8] قوله: «وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي» مع أنه كافر؟

فجوابنا: فيه وجوه[9]:

أحدها: لئن[10] رددت إلى ربي كما زعمت فلي خير منهما، تلك ما سولت[11] له نفسه[12] لا يطمع فيه.

وثانيها: قيل: إنه شك ثم قال على شكه: ما أعطاني هذه الأولى[13] إلا ولي[14] عنده خير منها[15] لو رجعت إليه، عن ابن زيد.

(١) به: ـ، ب، و.
(٢) فيها: فيهما، ز، ل، م.
(٣) قال: فقال، ل.
(٤) أن: ـ، ز.
(٥) تبيد: تبيد هذه أبداً، ز.
(٦) أي: ب، ز، و.
(٧) صرت: صرفت، ب، و.
(٨) يصح: صح، ب، و.
(٩) وجوه: وجوها، ل، م؛ وجهان، ز.
(١٠) لئن: أي، ب، و.
(١١) سولت: سولته، ب، و.
(١٢) نفسه: ـ، ل، م.
(١٣) الأولى: ـ، ز، ل، م.
(١٤) ولي: ولا، م.
(١٥) منها: منه لي، ب، و.

وثالثها: يحتمل أنه كان مع كفره قال بالبعث في ذلك الوقت كما يقول كثير من الكفار.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن كل واحد ممن أخلد إلى الدنيا وممن طلب رضا ربه يؤول أمره إلى ما يستحقه.

وتدل على أنه لا ينبغي[1] أن يغتر بالدنيا لأن نعيمها لا يدوم.

وتدل على بطلان الظن[2].

وتدل على أن الرجل كان شاكاً في البعث، عن أبي علي.

وتدل على أن الشك في البعث كفر.

وتدل على أن المعارف ليست ضرورة، عن أبي علي ويستدل على أن أخاه حاجه[3] لذلك قال: «**يحاوره**» فتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على أن ما فعله وقاله فعله، وكذلك الظلم لذلك أضافه إليه.

قوله تعالى:

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

---

(١) لا ينبغي: لا ينبغ، ل.

(٢) وتدل على أنه... بطلان الظن: ـ، ل، م.

(٣) حاجه: يحاجه، ل.

القراءة

قرأ ابن عامر وابن كثير في رواية ابن فليح ونافع في رواية المسيبي[1] ويعقوب[2]: «لكنا» بإثبات الألف في الوصل، والباقون بغير ألف وتشديد النون، ولم يختلفوا أنه[3] في الوقف بألف، وأصله[4]: لكن أنا هو، وروي[5] بحذف الهمزة طلباً للخفة لكثرة استعماله، وإلقاء حركتها على الساكن الذي قبلها، فالتقى النونان فأدغمت إحدى النونين[6] في الأخرى ثم حذف ألف (أنا) في الوصل على مذهب من يحذفه، وعلى مذهب من لا يحذفه بقي[7] ألفاً.

ويجوز في العربية في **(لكن هو الله)** خمسة أوجه:

(لكنّ) بالتشديد من غير ألف الوصل.

والثاني: بالألف في الوصل والوقف.

والثالث: بإظهار[8] النون وطرح الهمزة[9].

والرابع: لكن[10] هو[11] الله[12] بالتخفيف.

الخامس: **(لكن أنا الله)** على الأصل.

وقرأ عاصم في بعض روايات أبي بكر: **«غُوراً»** بضم الغين، وكذلك في (الملك)، والباقون بالفتح وهما لغتان.

---

(١) المسيبي: المثنى، ز، ل، م. انظر تفسير التبيان ٧/ ٤٤.
(٢) ويعقوب: يعقوب، ز، ل، م.
(٣) أنه: ـ ، ز، ل، م.
(٤) وأصله: فأصله، ب، و.
(٥) وروي: قد روي، ب، و.
(٦) النونين: النون، ب، و.
(٧) بقي: وبقي، ب.
(٨) بإظهار: إظهار، ل.
(٩) الهمزة: الهمز، ب، و.
(١٠) لكن: لكنه، ز، ل، م.
(١١) هو: +، ب، و.
(١٢) الله: ـ ، ل. وأنظر المجاشعي، النكت في القرآن الكريم، ص ٣٠٧.

۞ اللغة

التسوية: جعل[١] الشيئين[٢] على سواء[٣].

والحسبان: الحساب، والحسبان: السهام الصغار، يرمى بها في[٤] قسي العجم، عن محارب: كان من رمي[٥] الأساورة، والحسبان: الظن، والحسبان: الجراد[٦]، وأصل الباب الحساب، ويقال لما يرمى به حسباناً لأنه يكثر لكثرة الحساب.

والزلق: الأرض[٧] المستوية الملساء[٨] لا نبات فيها ولا شجر، وأصل الزلق: ما يزلق عنه[٩] الأقدام فلا تثبت عليه.

والغور: مصدر غار الماء يغور غوراً، إذا دخل في باطن الأرض بعد ظهرها[١٠]، وهو غائر، ويجوز هاهنا بمعنى غائر كقولهم: رجل عدل، فوضع المصدر موضع الصفة ولذلك لا يثنى ولا يجمع، وإنما جاز وضع المصدر موضع الصفة[١١] للمبالغة في الصفة كما يقال: في وجهه نور ساطع، قال الشاعر:

تظل جياده نوحاً عليه ... مقلدة أعنتها صفونا[١٢]

أي: نائحات[١٣].

والطلب: تقليب[١٤] الأمر لوجدان ما هلك، هذا أصل الباب، ثم يقال لمن أراد

---

(١) جعل: جمع، ز.
(٢) الشيئين: الشيء، ب، و.
(٣) سواء: مقدار، ب، و.
(٤) في: من، ب، و.
(٥) رمي: يرمي، ز.
(٦) الجراد: الحرة، ز، ل، م.
(٧) الأرض: ـ، ز، ل، م.
(٨) والملساء: ـ، ز، ل، م.
(٩) عنه: فيه، ب، و.
(١٠) ظهرها: ظهورها، ب.
(١١) ولذلك لا يثنى... الصفة: ـ، ز، ل، م.
(١٢) البيت قائله عمرو بن كلثوم وفي رواية: تركنا الخيل عاكفة عليه.
(١٣) نائحات: رايحات، ز، ل، م.
(١٤) تقليب: تقلب، ل، م؛ نقلت، ز.

من غيره فعلاً أو أمره[١] به: طالب، والسائل[٢] طالب للجواب، وللمتفكر طالب لإدراك ما يتفكر فيه.

الإعراب

يقال[٣]: ما موضع (ما) من «**ما شاء الله**»؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أنه[٤] نصب على أنه جزاء، تقديره: إنما شاء الله، فحذف الألف كما يحذف في: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [**الأنعام: ٣٥**].

وقيل: نصب بوقوع[٥] «**شيئاً**» عليه.

«**إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً**» (أنا) وصل إنما معناه: إن ترني أقل.

و«**يرسل**» نصب على تقدير: أن يرسل، عطفاً على «**أن**[٦]» [**يؤتيني**].

«**غوراً**» نصب على المصدر.

المعنى

ثم بيّن تعالى[٧] جواب المؤمن لأخيه الكافر، فقال سبحانه: «**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ**» أي: قال[٨] المؤمن لأخيه الكافر «**وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**» أي: يخاطبه ويجيبه «**أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ**» أي: خلق أصلك من تراب وهو آدم عليه السلام «**ثُمَّ**[٩] **مِنْ نُطْفَةٍ**» أي: ثم

---

(١) أوامره: وأمره، ب.
(٢) والسائل: وللسائل، ب، و.
(٣) يقال: ويقال، ب، و.
(٤) أنه: +، ز.
(٥) بوقوع: لوقوع، ب، و.
(٦) أن: ـ، ز، ل، م.
(٧) تعالى: ـ، ل، م.
(٨) قال: ـ، ل، م.
(٩) ثم: ـ، ز.

خلق ولده من نطفة «**ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**» أي: عدلك بأن جعلك بشراً سوياً[١]، يعني بقلبك[٢] من حال إلى حال، وأظهر دلالات الحدث، استدل على صانع حكيم[٣] قديم.

ومتى قيل: فأي وجه في تقليبه[٤] في هذه الأحوال في التأكيد حتى ذكره؟

قلنا: لو كان دفعه لتوهم أنه بالطبع كالكتابة التي يوجدها الصانع من لا يحسن الكتابة فإذا أنشأها[٥] حالاً بعد حال دلّ على صانع عالم مختار.

ومتى قيل: كيف قال للمقر به[٦] كافر؟

فجوابنا: لإنكار المعاد كما أن اليهود والنصارى كفار وإن أقروا بالصانع[٧].

ومتى قيل: إذا أنكر المعاد كيف رد عليه الشرك؟

قلنا: إذا بين أنه القادر على الخلق كان دليلاً على الإعادة.

«**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي**» قيل: معناه لكن أنا هو الله ربي ولا أكفر به، وقيل[٨]: فيه تقديم وتأخير تقديره: لكن الله هو ربي[٩]، [و] قرأ الكسائي: «**وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً**» قيل: لا أشرك في عبادتي أحداً معه، وقيل: لا أدعو معه إلهاً[١٠] سواه، يعني إن كنت تفاخر بالدنيا فأنا أفاخر بالتوحيد «**وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ**» أي: هلا إذ دخلت[١١]

(١) سوياً: ـ، ز، ل، م.
(٢) بقلبك: نقلك، ب، ز، و.
(٣) حكيم: +، ز.
(٤) تقليبه: تقلبه، ب، و.
(٥) أنشأها: أنشأه، ز، ل، م.
(٦) به: المقر بربه، ب، و.
(٧) وإن أقروا بالصانع: ـ، ز، ل، م.
(٨) وقيل: قيل، ز، ل، م.
(٩) لكن الله هو ربي: لكن هو الله ربي، ز، ل، م.
(١٠) إلها: إله، ل.
(١١) دخلت: دخلت جنتك، ب، و.

بستانك «**قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**» أي: هلاّ اتكلت في جميع أمرك على مشيئته وتدبيره فيكون ذلك سبب الثبات في البقاء، فالأشياء من ذلك لا تحصل إلا بقدرته[١] وحوله ومشيئته «**إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً**» فأنا راض بقضائه، مستسلم لأمره «**فَعَسَى**[٢]» لعل «**رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ**» أي: يعطيني من جهته ما هو خير من هذا البستان وأعظم[٣] شأناً، قيل: أراد في الدنيا والآخرة، وقيل[٤]: أراد في الآخرة «**وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا**» أي: على جنتك «**حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ**» قيل: عذاباً، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقيل: ناراً، عن ابن عباس[٥]. وقيل: قضاء[٦]، عن ابن زيد. وقيل: أمراً من أمر الله، عن[٧] الأخفش، والقتيبي. وقيل: عذاباً بحساب[٨] جناتك وكسبك لأن الحسبان[٩] الحساب، عن الزجاج، والأصم. «**فَتُصْبِحَ صَعِيداً**» تراباً «**زَلَقاً**» أي: أملس لا نبات عليه، عن قتادة. وقيل: صعيداً زلقاً أي رملاً هائلاً وتراباً، عن مجاهد. «**أَوْ يُصْبِحَ**[١٠] **مَاؤُهَا غَوْراً**» أي[١١]: غائراً منقطعاً ذاهباً في الأرض «**فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً**» أي: لا تدري من[١٢] أين ذهب ونضب[١٣]، وقيل: لا تقدر عليه فتطلبه[١٤].

---

(١) بقدرته: بتقديره، ز، ل، م.
(٢) فعسى: ـ ، ب، و.
(٣) وأعظم: وأعلم، ز.
(٤) أراد في الدنيا والآخرة وقيل: ـ ، ز، ل، م.
(٥) عباس: ـ ، ز، ل، م.
(٦) قضاء: ـ ، ل.
(٧) عن: وعن، ب، و.
(٨) بحساب: بالحساب، ب، و.
(٩) الحسبان: ـ ، ز.
(١٠) أو يصبح: ويصبح، ز، ل، م.
(١١) أي: عن مجاهد أي، ز، ل، م.
(١٢) من: ـ ، ب، و.
(١٣) ونضب: ـ ، ز.
(١٤) فتطلبه: فتطلب، ب، و.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أنه استدل بقدرة الله[1] على انتقاله من حال إلى حال على صحة الإعادة.

وتدل على صحة[2] الاحتجاج في الدين.

وتدل الآية على أن الواجب عند رؤية آثار النعمة أن يشكر ويتوكل، وأن يرى ذلك بحوله، فإن ذلك سبب دوام النعمة.

وتدل على أن الأهم بالمكلف طلب نعيم[3] الآخرة.

ويدل قوله: ﴿وَيُرْسِلَ[4] عَلَيْهَا حُسْبَانًا[5]﴾ أنه دعا عليه، وأنه يجوز الدعاء[6] على الكافر بذهاب ماله[7] بشرط المصلحة.

وتدل على أن الكفر والشرك فعل العبد لذلك ذمه به، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل على أنه قادر على أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ لذلك ذمه على تركه فيوجب[8] أن الاستطاعة قبل الفعل.

قوله تعالى:

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) بقدرة الله: بقدرته، ز، ل.
(٢) صحة: ـ، ز، ل، م.
(٣) نعيم: ـ، ز، ل، م.
(٤) ويرسل: فيرسل، ب، ز، ل، م، و.
(٥) حسباناً: ـ، ز، ل، م.
(٦) وأنه يجوز الدعاء: وأنه لا يجوز الدعاء إلا، ب، و.
(٧) بذهاب ماله: ـ، ز، ل، م.
(٨) فيوجب: فوجب، ب، و.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**ولم يكن له فئة**» بالياء لأن فيه جمعاً[١]، فإذا تقدم عليه الكناية جاز التذكير، ولأنه رجع إلى المعنى، وقرأ الباقون بالتاء عاد الكناية إلى اللفظ[٢] وهو الفئة.

وفي قوله: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ أربع قراءات:

الأولى: بفتح الواو من (**الولاية**) (**الحق**) برفع القاف، أبو[٣] عمرو، وبكسر[٤] الواو وضم القاف الكسائي، بكسر الواو وكسر القاف حمزة، وبفتح[٥] الواو وكسر القاف أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب.

فمن كسر الواو فهو من الولاية التي هي السلطان والإمارة، كقولهم[٦]: راع من الرعاية.

ومن فتح فمن الموالاة ونقيضه: العداوة[٧]، ونظيره: النصرة.

ومن رفع (**الحق**) جعله[٨] من نعت الولاية، وروي أن في قراءة أبي: «**هنالك الولاية لله الحق**[٩]» فهذا يؤيد هذه القراءة.

ومن كسر جعله صفة لله تعالى، وروي في قراءة ابن مسعود: «**هنالك الولاية لله الحق**» وهو الحق، وهذا يؤيد هذه القراءة بالكسر.

قرأ عاصم وحمزة: «**عقْبا**» ساكنة القاف، والباقون «**عقُبا**» بضم القاف وهما لغتان[١٠] بمعنى.

---

(١) جمعاً: جمع، ب، و.
(٢) اللفظ: الله، ل.
(٣) أبو: وأبو، ب، و.
(٤) وبكسر: بكسر، ب، و.
(٥) وبفتح: بفتح، ب، و.
(٦) كقولهم: كفرهم، ز.
(٧) العداوة: ـ ، ز.
(٨) جعله: ـ ، ز، ل، م.
(٩) الولاية لله الحق: الولاية الحق لله، ب، ز، و.
(١٠) لغتان: ـ ، ب، ل، م، و.

۞ اللغة

الإحاطة: الإدارة حول الشيء، ومنه الحائط، ثم تستعمل في غيره توسعاً بمعنى أنه لم يبق منه شيء إلا وقد دخل فيه كإحاطة الحد بالمحدود[1]، وإحاطة العموم بالمعاني.

ويقال: خوت الدار: إذا خلت، تخوى[2]، وخوت النجوم سقطت، ولم تمطر حتى أخوت[3] تخوية إذا مالت للمغيب، وخوت الإبل تخوية إذا خمصت بطونها.

والعقب: أصله[4] من العاقبة[5] وهو من كل شيء آخره.

۞ الإعراب

(ثمره) موضعه الضم بـ(**أحيط**) لأنه اسم ما لم يسم فاعله، وكسر الحاء[6] أنفق فيها) في الجنة «**خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً**» نصب على التمييز.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما آل إليه أمر[7] الكافر، فقال سبحانه: «**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ**» أي: أحاط الهلاك بثماره أي: أدار به فأهلكه حتى لم[8] يخرج منه شيء، قيل[9] «بثمره» بجميع[10]، ثمار جنته، وقيل: بجميع أمواله، وفي الخبر: «أنه تعالى أرسل عليها

---

(١) الحد بالمحدود: الجدر المحدود، ز، ل، م.
(٢) تخوى: تجري، ز.
(٣) أخوت: وخوت، م؛ خوت، ب.
(٤) أصله: أصلها، ب، و.
(٥) العاقبة: المعاقبة، ل.
(٦) الحاء: الياء، ب، و.
(٧) أمر: من، ز، ل، م.
(٨) لم: ـ ، ز، ل، م.
(٩) قيل: قليل، ز، م.
(١٠) قيل بثمره بجميع: قيل بثمارة جميع، ب؛ جميع، ز، ل، م.

ناراً فأهلكها وغار ماؤها»، «**فَأَصْبَحَ**» يعني الكافر «**يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ**» يصفق بإحدى[١] يديه على الأخرى ويقلبها ظهراً لبطن كما يفعله صاحب المحن تأسفاً «**عَلَى مَا أَنْفَقَ**» من المال كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ[٢] فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل[٣]، وإنما تلهف لما أنفق من[٤] المال العظيم ثم رآها هلكت وبطلت «**وَهِيَ خَاوِيَةٌ**» يعني الجنة ساقطة «**عَلَى عُرُوشِهَا**» قيل: على[٥] سقوفها خالية من مياهها وعرشها، وقيل: صار أعلاها أسفلها، وقيل: حيطانها قائمة ليس لها سقوف، عن الأصم. والعروش الأبنية، فذهب شجرها وأبنيتها وبقيت جدراناً[٦] لا خير فيها «**وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً**» فتمنى الإيمان لبقاء ماله لا لوجوبه وكان لا ينفعه، ولو ندم على الكفر وآمن بالله تحقيقاً لانتفع به، وقيل: ندم وآمن «**وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ**» من عذاب[٧] الله وهلاك ماله «**وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً**» قيل: ممتنعاً، عن قتادة. يعني لم يستطيع أن يمتنع بنفسه ولا وجد ناصراً «**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ**» قيل: في تلك الحالة والموطن الذي[٨] ينزل عذابه في الدنيا، وقيل: هنالك في القيامة «**الولاية**» قيل[٩]: النصرة والاعتزاز به لا يملكها أحد يعمل بالفساد وإن[١٠] تكن في الدنيا، وقيل: هنالك تبين الكافر أن الله تعالى[١١] هو الذي يجب أن يعبد ويتولى دون غيره «**الْحَقِّ**» قيل: هو من صفة الولاية، وقيل: من صفة الله على اختلاف القراءة[١٢]، و«**هُوَ خَيْرٌ**» مجازٍ[١٣] لعباده على أعمالهم، وقيل: هو خير[١٤].

---

(١) بإحدى: إحدى، ل.
(٢) ولأصلبنكم: لأصلبنكم، ب، ز، ل، م، و.
(٣) أي على جذوع النخل: ـ ، ب، و.
(٤) من: ـ ، ب، و.
(٥) على: ـ ، ز، ل، م.
(٦) جدرانا: جدارها، م؛ جدراتها، ز.
(٧) عذاب: دون، ز.
(٨) الذي: التي، ب، ز، ل، م، و.
(٩) قيل: ـ ، ز، ل، م.
(١٠) وإن: ولن، ب، و.
(١١) تعالى: +، ب، ز، و.
(١٢) القراءة: القرائتين، ب، ز، و.
(١٣) مجاز: مجازي، ب، و.
(١٤) خير: خيراً، ب، و.

ومتى قيل: لم قال: «خَيْرٌ ثَوَاباً» ولا يثيب[1] ثَمّ إلا هو؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: على ادعاء الجهال أنه يثيب[2] [3] غير الله، فتقديره: لو كان يثيب لكان هو.

الثاني: يجوز أن يذكر خيرٌ وإن لم يكن ثَمَّ آخر وإذا[4] رجع الخبر على الجزاء فتقديره: خير جزاء على العمل فلا سؤال.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن ما أحاط بماله كان[5] عقوبة له ومصلحة، حيث له[6] ندم[7] على ما تقدم عنه.

وتدل على عظم حسرته بفوت ماله في الدنيا[8]، فلأن تعظم حسرة من خسر نفسه وأوبقها[9] بعذاب الأبد أولى.

وتدل على أنه لا ناصر لأحد في الحقيقة إلا[10] الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

---

(١) ولا يثيب: ولا يثبت، ب.
(٢) يثيب: يثبت، ب.
(٣) ثم إلاّ هو... أنه يثيب: ـ، ز، ل، م.
(٤) آخر وإذا: أخبر إذا، ز، ل، م.
(٥) كان: كانت، ز، ل، م.
(٦) حيث: حيث له، ب، و.
(٧) ندم: ـ، ل.
(٨) في الدنيا: ـ، ز، ل، م.
(٩) وأوبقها: فأوبقه، ز، ل، م.
(١٠) إلا: سوى، ب، و.

۞ اللغة

الهشيم: كسر الشيء الأجوف، والهشيم من النبات ما يبس وتكسر، ورجل هشيم: ضعيف البدن، وفي[١] الشجاج الهاشمة وهي التي تهشم[٢] عظم الرأس.

والتذرية: إظهار[٣] الريح الأشياء الخفيفة في كل جهة، ذرته الريح تذروه ذرواً، وتذريه[٤] ذرياً، أو ذريت تذرية[٥]، وأذريته[٦] تذريه إذراءً، وأذريت الرجل عن الدابة إذا[٧] ألقيته عنها.

والثواب: الجزاء، وأصله من ثاب يثوب إذا رجع.

والأمل والرجاء نظيران، أملته فهو مأمول.

۞ القراءة

قراءة العامة: «**تذروه**»، وعن طلحة بن مصرف: (**تذريه**) وهما لغتان.

۞ الإعراب

«**ثواباً**»، و«**أملاً**» نصب على التمييز، «**هشيماً**» خبر (أصبح) واسمه محذوف، تقديره: أصبح النبات هشيماً.

---

(١) وفي: في، ز.
(٢) تهشم: هشم، ز.
(٣) إظهار: تظهر، ب، و.
(٤) وتذريه: وتذريت، ب، و.
(٥) تذرية: تذروه، ب، و.
(٦) وأذريته: وإذا ذريته، ز.
(٧) إذا: ـ ، ل.

۞ المعنى

(واضرب لهم[1] مثلاً) عطف[2] على[3] جميع[4] ما تقدم. فيمن[5] آثر الدنيا، فقال سبحانه: «وَاضْرِبْ لَهُمْ[6]» يا محمد أي: لهؤلاء المتكبرين الذين آثروا ما يفنى على ما[7] يبقى، قيل: لقومك[8]، وقيل: لمن يزعم أنها لا تبيد، وقيل: لأهل مكة، حكاه الأصم. «**مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» أي: شبه حياة الدنيا ونعيمها «**كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ**» وهو المطر «**فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ**» قيل: اختلط الماء بالنبات، عن الأصم. وقيل: نبت بالمطر النبات بأن[9] أنبته الله تعالى فاختلط بعضه[10] ببعض، عن أبي علي. «**فَأَصْبَحَ هَشِيماً**» قيل: يابساً، عن ابن عباس. وقيل: متكسراً[11] متفتتاً، عن الضحاك، والأخفش. «**تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**»، تديره[12]، عن ابن عباس. وقيل: تجيء به[13] وتذهب، عن الأصم. وقيل: تفرقه، عن أبي عبيدة. وقيل: ترفعه، عن الأخفش. «**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً**» أي: قادراً على تكوينه، وقيل: فيه إخبار عن الماضي ودلالة على المستقبل «**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» أي: يتزينون ويتفاخرون بها من هم[14] من أهل الدنيا «**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**» يعني: أن البقاء

---

(١) لهم: ـ، ب، و.
(٢) عطف: ثم عطف، ز، م.
(٣) على: ـ، ب، و، م.
(٤) جميع: بجميع، ب، و، م.
(٥) فيمن: فمن، ب، ز، و.
(٦) لهم: ـ، ب، و.
(٧) ما: لما، ز.
(٨) لقومك: لومك، ز.
(٩) بأن: وبأن، ب، و.
(١٠) بعضه: بعضها، ب، و.
(١١) متكسراً: كسراً، ب، و.
(١٢) تديره: ـ، ب، ز، ل، م. وما أثبتناه من تفسير القرطبي: ١٠/٣٥٦، والكشف والبيان للثعلبي: ٨/١٣٨.
(١٣) به: ـ، ز، ل، م.
(١٤) هم: هو، ب، ز، ل، م، و.

لثواب، العمل الصالح، واختلفوا في الصالحات، فقيل: الطاعات، عن ابن عباس، وروي عنه: (لا إله إلا الله، واستغفر الله، وصلى الله على محمد، والصيام، والصلاة، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، وجميع الحسنات التي تبقى[1] لأهلها في الجنة). وقيل: هو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، عن عثمان، وابن عمر، وسعيد، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن المسيب، وروي مرفوعاً.

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هن[2]؟ قال: «الملة»، قيل: وما هي؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقيل: هي الصلوات[3] الخمس، وهي الحسنات يذهبن السيئات، عن سعيد بن جبير، ومسروق، وإبراهيم، وروي نحوه عن ابن عباس.

وقيل: الكلام الطيب، عن أبي عبيدة. وقيل: تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض، وقيل: الأعمال الصالحة، عن ابن[4] زيد. وقيل: كل طاعة، عن قتادة. وهو الوجه لعموم الكلام.

ومتى قيل: لم سميت الأعمال باقية؟

فجوابنا: يبقى ثوابها.

ومتى قيل: لم حملتم الآية على الثواب؟

فجوابنا: أن الأعمال لا تبقى إلى يوم القيامة[5].

ومتى قيل: لم سمى الأعمال صالحات؟

---

(١) تبقى: ـ ، ل.
(٢) وما هن: وما هي، ب، و.
(٣) الصلوات: الصلاة، ز، ل.
(٤) ابن: ـ ، ز، ل، م.
(٥) ومتى قيل: لم حملتم... القيامة: ـ ، ب، ز، ل، م.

فجوابنا: لأنها أصلح الأعمال للمكلف من حيث أمر بها ووعد الثواب عليها وأوعد العقاب على تركها[١].

«خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً» أي خير جزاء على العمل «وَخَيْرٌ أَمَلاً» أي: خير شيء يأمله المرء لأن الآمال الكاذبة تورط المرء في المهالك[٢].

۞ الأحكام

تدل الآية على الحث على طلب الجنة ونعيمها، والزهد في الدنيا من حيث نبه على سرعة فنائها وقلة بقائها وتشبيهها[٣] بما لا يبقى، واختلفوا، فقيل: شبه بالماء[٤] من حيث لا يستقر في موضع ولا يبقى على حاله ولأنه[٥] يضر وينفع كذلك الدنيا يشبهها بالنبات الذي يروق العيون زهرتها، ويتعجب[٦] الناظر في لونها وهيئتها، ثم تجف عن قريب وتصفر وتتكسر وتذراه الرياح فلا[٧] يبقى له أثر، كذلك الدنيا ونعيمها.

ومتى قيل: فإذا كان كذلك فهلا كفاهم[٨] ليتفرغوا للعبادة ولم يحوجهم[٩] إلى التكسب؟

فجوابنا: ابتلاء وامتحاناً ولطفاً لهم، ليتدبروا أن شيئاً من نعيمها وكثرة سرورها أولى أن يتعب المرء نفسه في طلبها، ولأن الكسب نوع عبادة، ولأنه تصغير أحواله لعلمه أنه تعالى قادر حي، ولأنه أحوج بعضهم إلى بعض ليعلم[١٠] أنه[١١] الغني الفرد.

---

(١) تركها: تركه، ل.
(٢) المهالك: الهلاك، ز.
(٣) وتشبيهها: نسبتها. وكتب فوقها: شبهها ظ، ز، ل، م.
(٤) بالماء: بالمال، ز، ل، م.
(٥) ولأنه: ولا، ز، ل، م.
(٦) ويتعجب: وتعجب، ز، ل، م.
(٧) فلا: ولا، ب، و.
(٨) فهلا كفاهم: فهلاكه أهم، ل؛ فهلا كفاهم المؤمنين، ب، و.
(٩) يحوجهم: أحوجهم، ب، و.
(١٠) ليعلم: ـ، ز، ل، م.
(١١) أنه: لأنه، ز، ل، م.

وتدل على أن المرء لا ينبغي أن يصرف همته إلى المال والبنين التي هي زينة الحياة الدنيا، وأن يكون اهتمامه بالآخرة وطلبها بالأعمال الصالحة.

قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «تسير[(١)]» بالتاء بفتحها[(٢)] وفتح السين، و«**الجبال**» بالرفع على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون بالنون: «**نسير**» وضمها وفتح السين وكسر[(٣)] الياء، «**الجبال**» بالنصب لأنه مفعول.

اللغة

التسيير: جعل الشيء يسير، وهو المراد بالآية، والتسيير أيضاً تطويل السير.

والبرز[(٤)]: أصله الظهور، رجل برز وامرأة برزة تبرز للناس.

والمغادرة: أصلها الترك، ومنه الغدر لأنه ترك الوفاء، ومنه الغدير لترك الماء فيه.

---

(١) تسير: ـ، ز.
(٢) بفتحها بضمها، بفتحها: بفتحها وضمها، ز، ل، م.
(٣) وكسر: بكسر، ز، ل، م.
(٤) والبرز: والبراز، ب، ز، و.

والإشفاق: الخوف من وقوع مكروه مع تجويز أن لا يقع، وأصله: الرقة[١]، ومنه: الشفق: الحمرة والبياض في السماء.

۞ الإعراب

(يوم) نصب بمحذوف[٢] أي: اذكر يوم، وقيل: بما قبله، أي: والباقيات الصالحات خير أملاً يوم، فهو نصب على الظرف.

۞ المعنى

ولما تقدم ذكر الدنيا والتزهيد فيها بقلة[٣] بقائها وذكر الآخرة والأعمال[٤] الصالحة والحث عليها، وأنها خير جزاء، بيّن وقت الجزاء، فقال سبحانه: «**وَيَوْمَ**» أي: ويوم[٥] القيامة «**نُسَيِّرُ الْجِبَالَ**» أي: نزيلها عن أماكنها، وقيل: نسيرها بأن[٦] نجعلها هباء[٧] منثوراً «**وَتَرَى الأَرْضَ**» يا أيها الإنسان «**بَارِزَةً**» أي: ظاهرة[٨]: لا شيء يسترها عن أعين الناظرين من بناء وجبل وشجر وغير ذلك، وقيل: يحشر الناس في صعيد واحد يرى بعضهم بعضاً، وقيل: يرى باطن الأرض ظاهراً قد برز[٩] من كان في بطنها فصاروا على ظهرها، عن عطاء، وتقديره: ما في بطنها بارز[١٠]، وقيل: يرى أهل الأرض بارزين، عن أبي مسلم. «**وَحَشَرْنَاهُمْ**» أي[١١]: جمعناهم[١٢] في

(١) الرقة: الرفث، ب، و.
(٢) بمحذوف: لمحذوف، ب، و.
(٣) بقلة: وقلة، ز.
(٤) والأعمال: وأعمال، ز، ل، م.
(٥) ويوم: يوم، ب، و.
(٦) بأن ـ ، ل؛ أي، ز.
(٧) هباء: ـ ، ب، و.
(٨) أي ظاهرة: أي ظاهرة أي، ب، ل، و.
(٩) قد برز: وقد يرى، ز، ل، م.
(١٠) بارز: بارزة، ب، و.
(١١) أي: ـ ، ز، ل، م.
(١٢) جمعناهم: جميعاً، ز.

الموقف «**فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً**» أي: لم[١] نترك أحداً إلا وقد جمعناه، وقيل: يحشرون حفاة عراة[٢] غرلاً، وقيل: لم نغادر منهم أحداً من غير مبعوث «**وَعُرِضُوا**» للمحاسبة «**عَلَى رَبِّكَ صَفّاً**» كصفوف الصلاة، وروي[٣] يعرضون قياماً، ومعنى العرض على الله: ظهور أحوال العباد، فمن كان مؤمناً ظهرت[٤] بينته ومن كان كافراً ظهرت فضيحته «**لَقَدْ جِئْتُمُونَا**» فيه حذف، أي: يقال لأهل المعصية: جئتمونا أي: جئتم إلى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه غيره، ومجيئه[٥] إلى ذلك الموضع مجيء[٦] إلى الله توسعاً، عن أبي علي. «**كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**» قيل: أحياء أي أحييناكم في النشأة الثانية كما[٧] أحييناكم أول مرة، وقيل: عراة خلوا من[٨] الأموال والأولاد، وقيل: فرادى ليس معهم أحد[٩] من أعوانهم[١٠] ولا من أموالهم[١١] شيء لأنه[١٢] خلف جميع ما جمعه وباء بآثامه «**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً**» يعني للجزاء والحساب يوم القيامة «**وَوُضِعَ الْكِتَابُ**» يعني صحائف الأعمال، والمراد به الجنس، وقيل: أراد وضع كتاب[١٣] كل واحد في يده «**فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ**» خائفين «**مِمَّا فِيهِ**» من الأعمال السيئة «**وَيَقُولُونَ**» قراؤها «**يَا وَيْلَتَنَا**» أي[١٤]: يدعون

---

(١) لم: ما، ب، و.
(٢) حفاة عراة: عراة حفاة، ب، و.
(٣) وروي: وقيل، ل.
(٤) ظهرت: ظهر، ل.
(٥) ومجيئه: مجيئه، ب، و.
(٦) مجيء: مجيئاً، ب، و.
(٧) أي أحييناكم في النشأة الثانية كما: ـ، ز، ل، م.
(٨) من: عن، ز، ل، م.
(٩) معهم أحداً: معه شيء، ب، و.
(١٠) أعوانهم: أعوانه، ب، و.
(١١) أموالهم: ماله، ب، و.
(١٢) لأنه: أنه، ب، و.
(١٣) كتاب: كلمات، ز، ل، م.
(١٤) أي: ـ، ب، ز، و.

بالويل والثبور، والويل[1] الهلاك، وقد بينا دخول حرف النداء فيه «**مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**» أي: لم يترك شيئاً من الذنوب إلا أحصاها، قيل: الصغيرة: التبسم، والكبيرة القهقهة، عن ابن عباس. وقيل: الصغيرة اللمم والقبل والتخميش، والكبيرة الزنا، عن سعيد بن جبير. وقيل: المراد أنه يجزي بما دق وجل[2] لأن الصغير[3] ما نقص عقابه عن ثواب طاعته، والكبير ما زاد عقابه على ثواب طاعته، والكافر لا ثواب له فلا يكون له[4] صغيرة على هذا «**إلا**[5]» «**أحصاها**»، قيل: معناه[6] علمها، وقيل: كتبها وأثبتها، عن السدي. وقيل: عدها، وقيل: حفظها، عن مقاتل، وعن الفضيل بن عياض لما قرأ هذه الآية قال: ضجوا[7] من الصغائر قبل الكبائر.

ومتى قيل: أليس الصغائر معفو عنها؟

فجوابنا: أن[8] لا صغيرة لكافر بل جميع ذنوبه كبائر؛ لأن الصغائر إنما تكون عند اجتناب الكبائر، وإنما تقع الصغائر من المؤمن.

«**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً**» قيل: مكتوباً مبيناً في كتبهم، وقيل: وجدوا جزاء[9] ما عملوا حاضراً، فجعل وجود الجزاء لوجود[10] الأعمال توسعاً «**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**» أي: لا يبخس أحداً حقه فيما وجب له، ولا يعاقب أحداً بما[11] لا يستحقه،

(١) والويل: ـ، ز، ل، م.
(٢) بما دق وجل: بما جل ودق، ب، و.
(٣) الصغير: الصغيرة، ز.
(٤) له: ـ، ل، م.
(٥) إلا: ـ، ز، ل، م.
(٦) معناه: ـ، ز، ل، م.
(٧) ضجوا: ـ، ز.
(٨) أن: ـ ،ب، و.
(٩) جزاء: ـ، ب، و.
(١٠) لوجود: كوجود، ز، ل، م.
(١١) بما: ـ، ب، و.

وقيل: لا يظلم أحداً[1] أي: لا يأخذ أحداً بذنب لم يعمله[2] ولا يورد ذنب أحد على غيره، عن الضحاك.

الأحكام

يدل قوله: «وحشرناهم» أنه[3] يحشر كل مكلف، وهذا مما يعلم بالسمع وقد كان يجوز في العقل أن لا يبعث من هو من أهل العقاب لأن[4] العقاب حق له[5]، فبين بهذه الآية أنه يبعث الجميع.

وتدل الآيات أن البعث للجزاء والمحاسبة.

ويدل قوله: ﴿فَتَرَى[6] ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أن الإشفاق والخوف يختص بالمجرمين خلاف ما يقوله قوم أن المؤمن لا[7] يلحقه خوف من أهوالها.

وتدل على أن الكتاب يجمع جميع أفعال[8] المكلف التي فيها الجزاء من طاعة ومعصية دون المباح الذي لا جزاء فيه.

وتدل أن المعاصي صغائر وكبائر.

ومتى قيل: على ما أصلتم أن الكافر لا صغيرة له، وكيف قال: ﴿لَا يُغَادِرُ[9] صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾؟

فجوابنا: قيل: بأن قدر أنه لو كان متجنباً من الكبائر كانت صغيرة، أو نقول: المراد ما دق وجل[10].

(١) أحدا: ـ ، ب، ز، م، و.
(٢) لم يعمله: لا يعلمه، ز، ل، م.
(٣) أنه: أنه لا، ز.
(٤) لأن: لا، م؛ إلا، ز.
(٥) حق له: حوله، ز.
(٦) فترى: وترى، ب، ز، ل، م، و.
(٧) لا: ـ ، ب، ز، و.
(٨) أفعال: أحوال، ب، و.
(٩) صغيرة: صغيرة له، ب.
(١٠) ما دق وجل: ما جل ودق، ب، و.

وتدل على أن الصغيرة يستحق بها العقاب إذا جتمعت مع الكبائر.

وتدل على أن العبد فاعل في الحقيقة لذلك قال: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾، وكذلك عرض كتب أعمالهم وحوسبوا.

ويدل قوله: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أن الكفر والمعاصي ليس من خلق الله تعالى[1]، إذ لو خلقه فيهم ثم عذبهم لكان ظلماً.

وتدل على بطلان قولهم في أطفال المشركين، لأنه لا ذنب لهم، فعذابهم ظلم، عن أبي علي.

قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ
رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾
مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا
﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم
مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾﴾

❁ القراءة

قرأ أبو جعفر: «**أشهدناهم**» بالنون على التعظيم، وقرأ الباقون: «**أشهدتهم**» بالتاء.

وقرأ حمزة: «**ويوم نقول**» بالنون[2] مضافاً إليه تعالى، وقرأ الباقون بالتاء[3].

---

(١) تعالى: ـ، ز، ل، م.

(٢) على التعظيم... بالنون: ـ، ز، ل، م.

(٣) بالتاء: بالياء، ب، و.

۞ اللغة[1]

الفسق: الخروج إلى حال يضر، فسقت الرطبة: إذا خرجت من[2] قشرها[3]، وفسقت الفأرة: إذا خرجت من جحرها.

والعضد[4]: ما بين المرفق إلى الكف، يقال: عضُد وعضْد بضم الضاد وسكونها، وعضدت فلاناً أي[5]: أعنته، وفلان عضدي وهو استعارة، واعتضد[6] به استعان.

ووبق[7]: هلك، وأوبقه أهلكه، قال ثعلب: كل شيء حال بين شيء فهو موبق، وبق يبق، وحكى الكسائي: وبَق يبق بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل، وبق فهو وابق إذا هلك، وحكى الزجاج: وبِق بكسر الباء يوبَق بفتحها وبقاً وهما لغتان، قال أبو عبيدة: الموبق الموعد، وقال ابن عرفة: موبقاً محبساً، يقال: أوبقه: حبسه ومنه[8] ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الشورى: ٣٤] أي: يحبس السفن، والموبق: المهلك، وقيل[9]: يوبقهن يهلكهن، وفي الحديث المرور[10] على الصراط: «ومنه الموبق بذنوبه» يحتمل الحبس ويحتمل الهلاك.

۞ الإعراب

قيل: الواو في قوله: «وإذ» تدل على محذوف تقديره: واذكر إذ قلنا،

(١) اللغة: ـ، ل، م.
(٢) من: عن، ب، و.
(٣) قشرها: قشرتها، ب، و؛ رطبها، ل، م.
(٤) والعضد: والعضل، و.
(٥) أي: ـ، ب، و.
(٦) واعتضد: وأعضد، ب؛ وعضد، ز، ل، م.
(٧) ووبق: وبق، ب، و.
(٨) ومنه: ـ، ز، ل، م.
(٩) المرور: للمرور، ب، و.

«بدلا[١]» نصب بـ«بئس» لأن (بئس) ينصب النكرة ويرفع المعرفة التي فيها الألف واللام أي: بئس بدلاً للظالمين.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل[٢] قصة آدم وإبليس بما قبلهما؟

قلنا: مثلاً[٣] لهم، أي: فحالهم[٤] في عصيانهم كحال إبليس. وقيل: بين أنهم في عصيانهم اتبعوا إبليس وجنوده، فعدلوا إلى ما[٥] هو عدو[٦] لهم عن المنعم الرحيم. وقيل: هؤلاء المتكبرون ما أورث[٧] إبليس كي[٨] يحذروا طريقته ويتبعوا أمر الله.

ويقال: كيف يتصل قوله: «**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ[٩]**» بما قبله؟

قلنا: اتصال الحجة التي تكشف، كأنه قيل: لم تبعتم إبليس وذريته وتركتم أمر الله مع كثرة الحجج، ولو أشهدتهم خلق السماوات والأرض[١٠] لم تزيدوا[١١] على ما أنتم عليه في أمرهم واتباعهم، بين أنه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه، فلا ينبغي أن يشركوا معه في العبادة[١٢] أو يدعوا غيره إلهاً.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى[١٣] ما جرى من إبليس تحذيراً من مثل حاله، فقال سبحانه: «**وَإِذْ**

(١) بدلا: وإذ بدلا، ز، ل، م.
(٢) تتصل: ـ، ل.
(٣) مثلاً: تمثلاً، ب.
(٤) فحالهم: حالهم، ب، و؛ بحالهم، ل؛ كحالهم، ز.
(٥) ما: من، ب، و.
(٦) عدو: أعدو، ز.
(٧) أورث: أبرزت، ز، ل، م.
(٨) كي: لكي، ز، ل، م.
(٩) خلق السموات: ـ، ب، و.
(١٠) والأرض: ـ، ب، و.
(١١) تزيدوا: تزدادوا، م.
(١٢) العبادة: العبادة قال، ل.
(١٣) تعالى: ـ، ل، م.

«قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ» وقد بينا أنه سجود تحية لا سجود عبادة، وما قيل أنه قبلة للسجود(١) **«فَسَجَدُوا»** يعني الملائكة **«إِلاَّ إِبْلِيسَ»** مأموراً معهم بالسجود(٢) وإن لم يكن منهم **«كَانَ مِنَ الْجِنِّ»** قيل: كان أبا(٣) الجن كما أن آدم أبو الإنس، عن الحسن، وابن زيد. وقيل: كان من الجن الذين ظفر بهم الملائكة وأسروهم(٤) وأسره(٥) بعض الملائكة فذهب به إلى السماء، عن شهر بن حوشب. وقيل: جنّ(٦) عن طاعة الله، عن قتادة. وقيل: كان من الملائكة يقال لهم الجن، كانوا خزان الجنان فأضيفوا إليها كقولهم: كوفي وبصري، حكاه الأصم. وقيل: كان من الملائكة قُبُل تسمى الجن لاستتارهم عن العيون، وهذان(٧) الوجهان غير صحيحين(٨)؛ لأن ظاهر الجن إذا أطلق يفهم منه الجن لا الملائكة، ولأن الملائكة خلقوا من الريح وإبليس من النار **«فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ»** أي: خرج عن(٩) طاعة ربه، وقيل: اتسع في ركوب المحارم **«أَفَتَتَّخِذُونَهُ»** خطاب لبني آدم يا بني آدم أتتخذون إبليس **«وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ»** وقد ظهرت عداوتهم، وهذا استفهام والمراد الإنكار، أي: لا تتخذونهم(١٠) أولياء، والذرية النسل، قال الحسن: الإنس عن آخرهم من ذرية آدم، والجن عن آخرهم من ذرية إبليس **«بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً(١١)»** أي: بئس البدل إبليس وذريته من الله، وقيل: بئس البدل طاعة الشيطان توجب عذاب الأبد، وقيل: يعني الكفار أجمع، وقيل: يعني آدم وذريته لم يحضروا ذلك فيشاهدوا، عن الأصم.

---

(١) قبلة للسجود: قبل السجود، ب، و.
(٢) بالسجود: السجود، ل.
(٣) أبا: أب، ب، و.
(٤) وأسروهم: فأسروهم، ب، و.
(٥) وأسره: وأسر، ز، م.
(٦) جن: ـ ، ز.
(٧) وهذان: وهذا، م.
(٨) صحيحين: صحيحان، م.
(٩) عن: من، ب.
(١٠) لا تتخذونهم: لا تتخذوهم، ب، و.
(١١) بدلاً: ـ ، ب، و.

وقيل: يعني الملائكة، عن الكلبي. «**وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ**» يعني إذا لم يشهدوا خلق هذه الأشياء فلم زعموا أن الملائكة بنات الله، وقيل: ما أشهدتهم ما خلقت مستعيناً بهم في الخلق والتدبير فهو المتفرد بالاختراع والتدبير[١]، وقيل: لم يكن لهم من المقدور أن يحضرهم فهلا أطاعوه، فذكر[٢] ذلك تحقيراً لأمرهم، وقيل: أراد أنهم مخلوقون[٣] لم يكونوا، فخلقهم كما خلق السماوات والأرض، فكلهم[٤] مخلوقون محدثون، وقيل: ما أشهد بعضهم خلق بعض مستعيناً به، بل[٥] تفرد بخلق الجميع، فكيف اتخذوا غيري أولياء وكلهم مخلوقون بعضهم أمثال بعض «**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**» قيل: أعواناً، عن قتادة. «**وَيَوْمَ يَقُولُ**» الله تعالى لهؤلاء المشركين «**نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ**» أنهم شركاء، قيل: أراد الشياطين لأنهم بطاعتهم كأنهم اتخذوهم[٦] شركاء، وقيل: أراد[٧] الأوثان أي: نادوهم ليخلصوكم كما عبدتموهم وأطعتموهم وهذا كله توبيخ لهم «**فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ**» قيل: لأن الأصنام يعجزون عن الجواب، وقيل: الشياطين لا يجيبونهم في حال حاجتهم لأنهم لا يقدرون على نجاة أنفسهم فكيف ينجي غيره «**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً**» أي: بين الأوثان وعبدتها، وقيل: بين أهل الهدى[٨] والضلالة، والمراد بقوله: «**بينهم**» قيل[٩]: وسطهم، وقيل: أراد وصلهم، كقوله: ﴿**لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ**﴾ [**الأنعام: ٩٤**] يعني أن مواصلتهم في الدنيا في المعاصي أداهم إلى الهلاك «**موبقاً**» هو وادٍ في جهنم، عن ابن عباس، وابن عمر، وأنس، وعكرمة[١٠].

---

(١) فهو المتفرد بالاختراع والتدبر: ـ، ب، و.
(٢) فذكر: يذكر، ب، و.
(٣) مخلوقون: مخلوقين، ز.
(٤) فكلهم: كلهم، ب، و.
(٥) بل: ـ، ز، ل، م.
(٦) اتخذوهم: اتخذوا، ز.
(٧) أراد: ـ، ب، و.
(٨) الهدى: القرى، ز.
(٩) قيل: وقيل، ب، و؛ ـ، ل، م.
(١٠) وعكرمة: ـ، ز، ل، م.

۞ الأحكام

تدل الآية أن إبليس لم يكن[1] من الملائكة وإن أمر بالسجود معهم، وأنه[2] يتوالد وله ذرية[3] بخلاف الملائكة، وقد بينا أن الاستثناء من غير الجنس يصح، وبينا أن صفة الملائكة غير صفة الجن، وأن الجن[4] تأكل وتشرب وتنكح وتعقب وتعصي بخلاف الملائكة في جميع ذلك.

ويدل قوله: «**ففسق**» أن اسم الفسق اسم ذم في الشرع على ما نقول[5].

ويدل قوله: «**وما**[6] **كنت**. .»[7] الآية على أنه لا يتولى نصرة الظالم، وأن[8] الظالم لا يتولى شيئاً من أموره.

وتدل على أن الأئمة لا يجوز أن يكونوا[9] فسقة.

وتدل على أن في كلامه المجاز لأن حمله على الحقيقة غير ممكن.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم[10] من وجوه:

منها: قوله: «**اسجدوا**» ولو كان ذلك خلقه لما صح الأمر ولا[11] الإضافة.

ومنها: قوله: «**ففسق**» ولو كان الفسق من خلقه لم يكن إبليس أولى من غيره؛ إذ لو خلق السجود في إبليس لسجد ولو لم يخلق في الملائكة لما سجدوا فليس[12] المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء باللوم أولى من المحسن.

---

(١) لم يكن: لم يكن لم يكن، ل.
(٢) وأنه: وإنه وإن، ل، م.
(٣) يتوالد وله ذرية: يتوالدرية، م، يتو الذرية، ل؛ وإنه يتوالد، ز.
(٤) وأن الجن: ـ، ب، و.
(٥) نقول: نقوله، ب، و.
(٦) وما: ما، ز.
(٧) قوله وما كنت: ـ، ب، و.
(٨) وأن: ولأن، ز، ل، م.
(٩) يكونوا: يكون، ب، ز، ل، م، و.
(١٠) جهتهم: جهاتهم، ز، ل، م.
(١١) لا: ـ، ز.
(١٢) لما سجدوا فليس: لنا سجدوا وإبليس، م.

ومنها: قوله: «**أفتتخذونه**» توبيخاً على اتخاذهم إياه ولياً، ولو كان هذا[1] هو الذي خلق الاتخاذ فيهم فما معنى توبيخهم[2].

ومنها: قوله: ﴿وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ أي: أي شيء بيده[3] حتى يعادى، وكل ما صنعه وأظهره فهو[4] عندهم خلق الله فيهم، فلو كانت العداوة لأجل الإضلال لكان خالق[5] الإضلال أولى بذلك من محل[6] الضلال.

ومنها: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ وكيف يصح ذلك وهو المضل في الحقيقة.

ومنها: قوله: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ ولو كان هو خالق الكفر وهو الذي يضل عن الدين به وإبليس لا يقدر على شيء من ذلك ولا إليه إحداث شيء من ذلك فبئس البدل على مذهبهم خالق الضلال والكفر لأن من ليس بيده شيء من ذلك[7]، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وتدل الآية أن ما يصفه المنجمون من ترتيب خلق الأشياء غير ما نطق به القرآن وهيئة السموات والأرض هيئة النجوم والأشياء[8] لا أصل لها، لأنه ذكر أنه لم يشهدهم خلقها حتى يشاهدوا، ولا دل[9] السمع[10] على ذلك.

(١) هذا: ـ، ب، ل، م، و.
(٢) توبيخهم: بتوبيخهم، ل.
(٣) بيده: ـ، ل، م.
(٤) فهو: وهو، ب، و.
(٥) خالق: ـ، ب، و.
(٦) محل: كل، ل، م.
(٧) من ذلك: ـ، ب، و.
(٨) والأشياء: ـ، ل، م.
(٩) ولا دل: وإلا دل، ز.
(١٠) السمع: للسمع، ب، و.

قوله تعالى:

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي «قُبُلا» بضم القاف والباء جمع: قبل، بمعنى ضروب من العذاب، وقرأ الباقون: «قِبَلا» بكسر القاف وفتح الباء بمعنى معاينة.

اللغة

الجرم: القطع، ومنه: زمن الجرام من[1] الصرام، وهو زمن قطع التمر من النخل، والإجرام: قطع العمل إلى الفساد.

والمواقعة: الملابسة[2].

والمصرف: المعدل، وهو الموضع الذي يعدل إليه، صرفه عن كذا يصرفه صرفاً، والموضع مصرف، والتصريف: تنقيل المعنى في الجهات المختلفة، فتصريف المثل[3] تنقيله في وجوه البيان[4] للتمكن من الإفهام.

والجدال: الخصومة، وأصله الشدة، ومنه: الأجدل: الصقر[5] لشدته.

والسُّنَّة: الطريقة.

(١) من: زمن، ب، ز، و.
(٢) الملابسة: ملابسة، ز، ل، م.
(٣) المثل: الميل، ز.
(٤) البيان: الثبات، ل، م، و.
(٥) الصقر: للصقر، ب، و.

۞ الإعراب

«**أكثر**» نصب لأنه خبر كان.

«**جدلا**» نصب على التفسير والتمييز.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «**وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**» في أبي بن خلف الجمحي، قال الكلبي: أراد بالناس أهل مكة، وبالإنسان أبي بن خلف.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى[١] حال المجرمين، فقال سبحانه: «**وَرَأى الْمُجْرِمُونَ**[٢]» **قيل: المشركون، وقيل: هو**[٣] **عام في كل مذنب ارتكب كبيرة** «**النَّارَ**» يوم القيامة «**فَظَنُّوا**» أي: علموا[٤] «**أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا**» قيل: داخلون فيها واقعون في عذابها[٥] «**وَلَمْ يَجِدُوا**» عن النار «**مَصْرِفاً**» أي: موضعاً فينصرفون[٦] إليه ليتخلصوا منها، قيل: تسوقهم الملائكة فلا يجدون للإنصراف وجهاً «**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا**» بينا «**فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**» قيل: تصريفها ترديدها[٧] من نوع واحد وأنواع مختلفة ليتفكروا فيها «**وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**» خصومة بالباطل «**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا**» أي: ما[٨] منعهم من الإيمان، وهذا استفهام والمراد الإنكار، كأنه قيل: لا شيء يمنعهم من الاهتداء فقد جاءهم الهدى، فقد[٩] أشار تعالى إلى أن العبد مزاح

(١) تعالى: ـ، ل، م.
(٢) المجرمون: المجرمون النار، ب، ز، و.
(٣) هو: ـ ز، ل، م.
(٤) أي علموا: ـ، ز، ل، م.
(٥) عذابها: عذابهما، ز.
(٦) فينصرفون: ينصرفون، ب، و؛ فيصرفون، ز.
(٧) ترديدها: تريدوها، ز، ل، م.
(٨) ما: وما، ب.
(٩) فقد: ـ، ب، ل، م، و.

العلة[1] لا مانع من الإيمان ولا عذر له في تركه «إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى[2]» يعني القرآن والإسلام «وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ» يعني وما المانع لهم من الاستغفار وهو طلب المغفرة لذنوبهم «إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ» قيل: هذا ليس باستثناء حقيقي، واختلفوا، فمنهم من قال: المراد به لا مانع لهم أصلاً، وإنما ذكر الوجهين للعلم بأنهم لا يهتدون، ومنهم قال: المراد به[3] الشرط، فكأنه دل على أنه لا مانع إلا ما ذكره آخراً، ومعنى قوله: ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: طريقة الله في إهلاك من عصاه من الأولين كعاد وثمود «أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً» عياناً، عن ابن عباس. وقيل: فجأة، عن مجاهد. وقيل: صنفاً صنفاً على قراءة الضم[4]. من حيث يشعرون[5] ومن حيث لا يشعرون، وقيل: هو السيف يوم بدر، وقيل: «قبلاً» مقابلة، عن أبي عبيدة[6].

۞ الأحكام

تدل الآية على أن المجرم في النار، وأنه لا ناصر له، ولا مصرف، وهذا عام في كل مجرم، فيبطل قول المرجئة[7].

وتدل على[8] أنه صرف الآيات ليتفكر فيها، فتدل[9] على صحة الحجاج في الدين، وحسن النظر، وذم التقليد .﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ أنه لا مانع لهم عن الإيمان، وهذا إنما يصح على[10] مذهب العدل لما قالوا: إن المكلف مزاح العلة، مخير، قادر على الحسن والقبيح، أعطي القدرة والآلة، فأما على مذهب الجبر فلا يصح؛ لأن

(١) العلة: لعلة، ز.
(٢) الهدى: ـ ، ز، ل، م، و.
(٣) لا مانع لهم. . . المراد به: ـ ، ز، ل، م.
(٤) الضم: الأصم، ب، ل، و.
(٥) من حيث يشعرون: ـ ، ز.
(٦) أبي عبيدة: أبي عبيد، ب، و.
(٧) المرجئة: المجبرة، ز.
(٨) على: ـ ، ب، و.
(٩) فتدل: وتدل، ب، و.
(١٠) على: في، ز.

هنالك[١] أشياء[٢] كثيرة كلها موانع[٣]، كقدرة[٤] الكفر وعدم قدرة الإيمان وخلق الكفر وإرادة الكفر وعدم الإيمان، فأي منع أشد وآكد من هذا؟

وتدل على أن الإيمان فعل العبد من وجوه:

منها: أنه سماهم مجرمين.

ومنها: أنه[٥] أوجب العقاب عليهم.

ومنها: قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ[٦]﴾.

ومنها: قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾.

ومنها: قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فإن هذا إنما يتم على طريقتنا لأن[٧] الإيمان فعل العبد وهو المخير[٨]، فإذا رأى العذاب[٩] صار ملجأ فآمن.

فأما على قولهم: إذا كان الإيمان من خلق الله فعله[١٠] فيهم، فإن أتتهم[١١] سنة الأولين ولم يخلق الإيمان لا[١٢] يحصل ولو كان[١٣] من غير ذلك حصل، وأي معنى لهذا الاستثناء على قولهم.

وتدل على أنه يشترط في سقوط العقاب الإيمان والاستغفار بخلاف ما قاله[١٤] بعضهم أن ترك الكفر يكفيه.

---

(١) هنالك: هناك، ز.
(٢) أشياء: شيئاً، ز، ل، م.
(٣) موانع: من موانع، ز.
(٤) كقدرة: لقدرة، ب، و.
(٥) أنه: ـ، ب، ز، و.
(٦) وما منع: وما منعهم، ز، ل، م.
(٧) لأن: أن، ز، ل، م.
(٨) المخير: مخير، ب، و.
(٩) العذاب: العبد، ل.
(١٠) فعله: فعلمه، ز، ل، م.
(١١) أتتهم: أتاهم، ب، و.
(١٢) لا: لم، ز، ل، م.
(١٣) خلق: كان، ل، م.
(١٤) ما قاله: ما قال، ب، و.

ويدل قوله: ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ أن الكافر جاءه الهدى، فدل أنه الأدلة والبيان وأنه[1] إنما أتي[2] من قبل نفسه.

وتدل على أن في المكلفين من لا لطف له لذلك قال: ﴿لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ إلا أن يبلغ حد الإلجاء بمعاينة العذاب خلاف قول أصحاب اللطف.

قوله تعالى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٗاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدٗا ﴿٥٩﴾﴾

❁ القراءة

قرأ عاصم في رواية حماد ويحيى عن[3] أبي بكر: «لـمهلكهم» بفتح الميم[4] واللام، وكذلك في (النمل): ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ﴾ [النمل: ٤٩] بفتحهما، وقرأ في رواية حفص بفتح الميم وكسر اللام في الحرفين، وقرأ في رواية الأعشى والبرجمي عن أبي بكر هاهنا بضم الميم وفتح اللام وفي (النمل) بضم الميم واللام، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام في الحرفين.

---

(١) أنه: ـ ، ب.
(٢) أتي: أوتي، ب.
(٣) عن: ابن، ز.
(٤) بفتح الميم: ـ ، ل.

اللغة

البشارة: الإخبار بما[1] ظهر سروره في بشرة الوجه، ثم تستعمل في غيره توسعاً، فقال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، يقال: بشره تبشيراً وبشارة.

والإدحاض: إذهاب الشيء إلى الهلاك، وأصل الدحض: الزلق، دحض دحضاً، ومكان دحض أي منزل[2] منزلق[3] لا يثبت[4] فيه خف ولا حافر ولا قدم، ويقال: دحضت رجله: زلت[5]، ودحضت الشمس: مالت، ودحضت حجته: انقطعت.

والهزو[6]: السخرية، هزئ به واستهزئ به.

والأكنة[7]: جمع كنّ، وأصله من كننت[8] الشيء في كنه[9]: إذا حفظته، وأكننت الشيء أخفيته، ومنه الكناية والكانون[10] والكنايون.

والوقر: الثقل في الأذن، قال أبو زيد: يقال: وقرت أذنه توقر وقراً، قال الكسائي: وقرت أذنه فهي موقورة.

والموئل: الملجأ من وئل إليه، إذا ألجئ[11] إليه، والموئل: المَنْجَلى، عن أبي عبيدة.

الإعراب

«وَمَا أُنْذِرُوا» قيل: فيه محذوف وتقديره: وما أنذروا هزواً وهو القرآن، والكناية في «أُنْذِرُوا» اسم ما لم يسم فاعله، وهذا خبره.

---

(١) بما: على ما، ز.
(٢) منزل: ـ، ل.
(٣) منزلق: ـ، ب، و.
(٤) لا يثبت: لا يلبث، ب، و.
(٥) نزلت: زلقت، ب، ل، م، و.
(٦) والهزو: والهزا، ب، و.
(٧) والأكنة: ولكنه، ز.
(٨) كننت: كنية، ب.
(٩) في كنه: إلى أكنة، م؛ إلى كنه، ز.
(١٠) والكانون: والكنايون، ل، م؛ والكنانون، ز.
(١١) ألجئ: أنحى، ز، ل، م.

«**وقراً**» نصب بالعطف على قوله[1] «**أكنّة**» أي: جعلنا على قلوبهم أكنة وجعلنا في آذانهم وقراً.

[والضمير] في قوله: «**أهلكناهم**» يرجع إلى أهل القرى.

۞ المعنى

لما تقدم أنه لا مانع لهم من الإيمان بيّن تعالى أنه[2] أزاح العلة ولم يبق عذر، فقال سبحانه: «**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**» يعني: نبعث الرسل بالوعد للمحسن وبالوعيد للمذنب المصر، ليزداد المحسن وينزجر الكافر «**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ**» أي: يخاصموا «**لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**» قيل: ليزيلوا الحق عن قراره، وقيل: ليفسدوا[3]، عن السدي. وهكذا عادة المبطل يجادل ويروم إبطال الحق، وقيل: الحق التوحيد والعدل والقدرة على البعث وجميع شرائع الإسلام «**وَاتَّخَذُوا آيَاتِي**» حججي «**وَمَا أُنْذِرُوا**» به وهو القرآن بما فيه من الوعد والوعيد «**هُزُواً**» أي: يستهزؤون به، والاستهزاء به على ثلاثة أوجه:

أحدها: دفع الأدلة بالشبهة[4] التي لا أصل لها.

والثاني: كانوا إذا سمعوا القرآن استعجلوا العذاب[5] إنكاراً.

والثالث: استخفوا به وبالرسول[6].

«**وَمَنْ أَظْلَمُ**» هذا استفهام والمراد التقرير، يعني ليس أحد[7] أظلم «**مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ**» أي: وعظ ووعد وأوعيد[8]، قيل[9]: بالقرآن، وقيل: بسائر حجج الله

(١) قوله: ـ ، ل، م.
(٢) بين تعالى أنه: بين أنه تعالى، ز.
(٣) ليفسدوا: ليفسد، ل، م.
(٤) بالشبهة: بالشبه، ب، و.
(٥) العذاب: ـ ، ز، ل، م.
(٦) وبالرسول: وبالرسل، ز.
(٧) أحد: لأحد، ل، م.
(٨) وأوعد: ووعيد، ب، و.
(٩) قيل: ـ ، ز، ل، م.

تعالى[١] «فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» من الذنوب، قيل: أعرض عنها أي[٢]: جحدها، عن الحسن. وقيل: ترك التدبر فيها «وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» قيل: اشتغل بالدنيا[٣]فلم ينظر[٤] في[٥] ذنوبه وما عمل من السيئات[٦]، وقيل: نسي ذنوبه لقلة[٧] مبالاته بها وبأهوال الآخرة، وقيل: نسي ما لزمه من غضب الله وعقابه بتلافه، وقيل: صار غافلاً عن ذنوبه شغلاً بالدنيا، عن أبي علي. «إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ» أغطية وستراً[٨] «أَنْ يَفْقَهُوهُ» يعلموه «وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً» أي: ثقلاً، وقيل: هذا وجه التشبيه، أي: أعرضوا عن الدين إعراض من جعل على قلبه كنه[٩] وكان في أذنه وقراً، ونظيره: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا[١٠] كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾[لقمان: ٧]، وقيل: المراد الإنكار[١١] بالأكنة، والوقر[١٢] والختم علامات يجعلها الله على قلب الكافر وأذنه ليتميز للملائكة، وقيل: أراد اشتغالهم بسماع القرآن وقلة الإصغاء إلى الحق، وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه عند نزول القرآن وجد ذلك منهم كقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقيل: المراد به الخذلان وأنهم حين أعرضوا واشتغلوا بالباطل[١٣] بسوء اختياراتهم فصارت قلوبهم في أكنة وفي آذنهم وقراً في معنى قول أبي مسلم. «وَإِنْ تَدْعُهُمْ» يا محمد «إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً» أي: لا يقبلون الحق «وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ» يعاقبهم «بِمَا كَسَبُوا» من الذنب «لَعَجَّلَ لَهُمُ

---

(١) تعالى: ـ، ب، و.
(٢) أي: قيل، ب، و.
(٣) بالدنيا: في الدنيا، ز.
(٤) فلم ينظر: ـ، ب، ل، م، و.
(٥) في: عن، ب، ل، م، و.
(٦) عن الحسن... من السيئات: ـ، ب، و.
(٧) لقلة: بقلة، ب، و.
(٨) وسترا: وستر، ز.
(٩) كنه: أكنة، ب، ز، و.
(١٠) يسمعها: يسمعه، ب، و.
(١١) الإنكار: ـ، ب، ز، و.
(١٢) والوقر: الوقر، ز.
(١٣) بالباطل: ـ، ب، و.

«الْعَذَابَ» في الدنيا **«بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ»** وهو يوم القيامة إذا بعثوا **«لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً»** قيل: ملجأ[1]، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد. وقيل: محرزاً، عن مجاهد[2]. وقيل: منجا، عن أبي عبيدة. **«وَتِلْكَ الْقُرَى»** إشارة إلى[3] القرى التي نزل العذاب بهم **«أَهْلَكْنَاهُمْ»** أي: أهلها **«لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً»** أي: ميقاتاً وأجلاً، والموعد الوقت الذي وعدوا فيه بالإهلاك أي: كما جعلنا لأولئك موعداً أخرناهم إليه[4] للمصلحة كذلك هؤلاء.

ومتى قيل: فما[5] معنى قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾؟

قلنا: قيل: غفور للتائب، ذو الرحمة بالمصر يمهل ولا يعجل، وقيل: غفور يستر عليهم، ذو[6] رحمة ينعم عليهم بالنعم، وقيل: غفور لا يؤاخذهم عاجلاً، وبالرحمة يؤخرهم ليتوبوا ويقبل توبتهم[7].

۞ الأحكام

الآية[8] تدل على أن الجدال بالباطل[9] قبيح، والجدال[10] بالحق صحيح بل واجب.

ويدل قوله: «**آيات**. . .» أن الواجب[11] التمسك بآيات الله والتحرز عن حال من[12] اتخذوها[13] هزواً.

---

(١) ملجأ: منجا، ز، ل، م.
(٢) عن مجاهد: ـ ، ب، م، و.
(٣) إشارة إلى: ـ ، ب، و.
(٤) إليه: إليها، ب، و.
(٥) فما: ما، ز.
(٦) ذو: ذوا، ب.
(٧) توبتهم: توبته، م.
(٨) الآية: ـ ، ز، ل، م.
(٩) بالباطل: باطل، ز.
(١٠) والجدال: والجدل، و.
(١١) الواجب: ـ ، ب، م، ل.
(١٢) من: ما، ز، ل، م.
(١٣) اتخذوها: اتخذها، ل.

وتدل على أن الإعراض عن الأدلة ظلم، فنبه على وجوب النظر وأن المعارف مكتسبة؛ إذ لو كانت ضرورية لكان[1] التمسك وعدم التمسك في حصول العلم سواء.

ويدل قوله: «وجعلنا. . .» إلى آخره على ذم الكفار وتوبيخهم بقلة الاستماع والتفهم في الدين.

ويدل قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾ أنه يمهل مع العصيان للمصلحة.

ويدل قوله: ﴿وَيُجَٰدِلُ﴾ و﴿لِيُدْحِضُوا۟[2]﴾ أن ذلك فعلهم فيصحح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾

القراءة

قرأ حفص عن عاصم: «وما أنسانيه» بضم الهاء وفي (الفتح): ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [**الفتح**: ١٠] بضم الهاء في هذين الحرفين في جميع القرآن رداً إلى الأصل، وقرأ الباقون بكسر الهاء على أصلهم.

اللغة

الفتى: الرجل الشاب، وجمعه: فتيان.

---

(١) لكان: لجاز، ز، ل، م.

(٢) ليدحضوا: ويدحضوا، ز.

ولا أبرح أفعل ذلك؛ أي: لا أزال أفعله، وما أبرح هذا الأمر أي: ما أدعه.

والحقب: واحد، جمعها أحقاب، والحقب: الدهر والزمان، والحقبة جمعها: أحقب[١]، يقال: إنه ثمانون عاماً، والحقب: الدهر، وجمعه: أحقاب.

والسرب: الماء السائل من المزادة[٢]، قال ذو الرمة:

كـأنـهـا مـن كـلا مـقـربـة سـرب[٣]

وقد سرب سرباً سال، واستعير ذلك في السير، يقال للذاهب[٤] في الأرض: سارب، سرب سروباً، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال الشاعر:

إنـي سـربـت وكـنـت غـيـر سـروب وتـفـرق الأحـكـام غـيـر قـريـب

والمجاوزة: الخروج عن الحد، يقال: تجاوز الله عن فلان، أي: تجاوز بعقابه عنه، يعني أزال العقاب عنه.

والغداء: طعام الغداة، كما أن العَشاء طعام العَشِي، والتغدي: أكل طعام[٥] الغداة، وأصل الباب: الغداة.

والنصب والوصب والتعب نظائر، وهو الوهن الذي يكون عن الكَلِّ.

الإعراب

العامل في قوله: «وإذ» محذوف، تقديره: واذكر إذ قال موسى: (نبغِ) إنما هو نبغي فحذف الياء استخفافاً ولدلالة الكسر عليه، (وكان القياس أن لا تحذَف لأنهم إنما[٦] يحذفون الياء في الأسماء)، وهذا فعل إلا أنه قد يجوز على ضعف القياس

(١) أحقب: حقب، ز، ل.

(٢) المزادة: المزاد، ز، م.

(٣) وتمام البيت:

ما بال عينيك منها الماء ينكسب

أنظر ديوان ذي الرمة.

(٤) للذاهب: الذاهب، ز.

(٥) طعام: الطعام، ب، و.

(٦) إنما: ـ ، ل، م؛ لا، ز.

حذفها لأنها تحذف مع[١] الساكن الذي يكون بعدها كقولك: ما يبغ[٢] القوم، فلما حذفت مع الساكن حذفت مع غير الساكن أيضاً.

۞ النظم[3]

قيل: تتصل هذه القصة بقصة[٤] أصحاب الكهف، كأنه قيل: أم حسبت أن أصحاب الكهف[٥] وقصة موسى وفتاه من آياتنا عجباً، عن أبي مسلم.

وقيل: لما تقدم ذكر المطيع والعاصي أتبعه بذكر آدم وإبليس وموسى والعالم تنبيهاً على رتبة المطيع.

وقيل: أمرهم بتعظيم النبي ﷺ حيث علمهم العلم كما عظم[٦] موسى العالم.

۞ المعنى

ثم ذكر قصة موسى عليه السلام، فقال سبحانه: «**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ**» قيل: لعبده، عن الحسن، وأبي مسلم. وقيل: لصاحبه وهو الوجه، وقيل: هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف، عن ابن عباس. وكان معه في تلك السفرة، وأضافه إلى نفسه بملازمته له ولذلك صحبه[٧] في سفره واستخدمه، وأمره بتقديم الطعام إليه، وزعمت اليهود أن موسى هذا كان موسى بن ميشا، وقولهم باطل، وإطلاقه يقتضي أنه موسى بن عمران، كما أن إطلاق محمد يقتضي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وإطلاق عيسى يقتضي عيسى بن مريم، وأجمعت[٨] الأمة على ذلك «**لا أَبْرَحُ**» أي: لا أزال أسير «**حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ**» قيل: بحر فارس والروم مما يلي المشرق، عن[٩]

---

(١) مع: مع غيره، ز، م.
(٢) ما يبغ: فاتبع، ب، و.
(٣) النظم: ـ، ز.
(٤) بقصة: ـ، ز.
(٥) كأنه قيل أن حسبت أن أصحاب الكهف: ـ، ب، و.
(٦) عظم: علم، ز.
(٧) صحبه: أصحبه، ب، و.
(٨) وأجمعت: واجتمعت، ب، و.
(٩) عن: وعن، ز.

قتادة، وقيل: طنجة[1]، عن محمد بن كعب، وقيل: البحران موسى والخضر، والأول هو الوجه. «**أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**» قيل: دهراً، عن ابن عباس. وقيل: هو سنة بلغة قيس، وقيل: تسعون سنة، عن مجاهد. وقيل: ثمانون سنة، عن عبد الله بن عمر. وقيل: زماناً، عن قتادة. وقيل: كان وعد[2] لقاء العالم عند مجمع البحرين. «**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا**[3]» يعني موسى وفتاه، يعني مجمع البحرين[4] «**نَسِيَا حُوتَهُمَا**» قيل: تركاه، وقيل: نسياه من النسيان، وقيل: الحوت كان طرياً، عن الحسن. وقيل: كان مالحاً، عن ابن عباس.

ومتى قيل: كيف نسيا الحوت وكان مع يوشع؟

قلنا: كما يقال: نسي القوم زادهم وإنما نسيه واحد منهم، وكقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [**الرحمن: ٢٢**] وإنما يخرج من أحدهما، وإنما جاز ذلك لأنهما[5] تزوداه لسفرهما فجاز إضافته إليهما، وقيل: نسي يوشع حمل الحوت ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء.

ومتى قيل: كيف ينسى المعجز في تلك الشرعة؟

قلنا: الزمان زمان الأنبياء وكثرة المعجزات، فجاز أن يغفل عنه لا سيما في كر[6] السفر وتعب المشي، وقيل: التفكر في تلك الآيات العجيبة شغلته عنه فنسيه.

«**فَاتَّخَذَ**[7] **سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً**» أي: مسلكاً يذهب فيه، قيل: توضأ يوشع فانتضح على الحوت الماء فحيي، وقيل: أحيا الحوت فاتخذ سبيله في البحر مسلكاً،

---

(١) طنجة: طلحة، ب، ز، و، ل، م. والصحيح ما أثبتناه من مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي م٤/ ج١٥/ ١٧٩، ومن تفسير البغوي ٣/ ٤٥، ومن فتح البيان في مقاصد القرآن: ٨/ ٧٥.
(٢) وعد: عند، ز.
(٣) مجمع بينهما: ـ، ب، و.
(٤) فلما بلغا... مجمع البحرين: ـ، ز.
(٥) لأنهما: لا، ل، م.
(٦) كر: كدى، ب، و.
(٧) فاتخذ: واتخذ، ز، ل، م.

عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. وقيل: كانت سمكة مالحة انتضح عليها الماء فحييت وطفقت[١] في البحر ذاهبة، وقيل: ناما[٢] عند الصخرة فاضطربت السمكة فأخرجت[٣] من المكتل وسقطت في البحر وحيت، فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره به.

واختلفوا في كيفية ذلك، فقيل: انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لا يلتئم، وقيل: كان لا يسير شيء[٤] من البحر إلا يبس حتى صارت صخرة، ولا شبهة أن الله تعالى منع الماء عن[٥] السيلان وهو الذي صير[٦] الصخرة معجزة لموسى عليه السلام وليعلم أن ثم الموعد.

«**فَلَمَّا جَاوَزَا**» ذلك المكان، وقيل: انطلقا بقية يومهما وليلتهما، فلما كان من الغد «**قَالَ**» موسى «**لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا**» زادنا وطعامنا «**لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً**» أي: تعباً وشدة، ولم يتعب في سفره إلا يومئذ، وألقى الله تعالى على موسى الجوع ليذكرا حديث[٧] الحوت، فـ«**قَالَ**» صاحبه وقد تذكر ذلك «**أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا**» رجعنا «**إِلَى الصَّخْرَةِ**» وهو الموعد «**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ**» قيل: تركته وفقدته[٨]، وقيل: نسيته ونسيت حديثه «**أن أذكره**» فيه إضمار أي: نسيت أن أذكر لك ذلك[٩]، ثم قال: «**وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**» أي: شغلني بوسوسته حتى أنسيته[١٠]، وقيل: وسوس إليه أن يؤخر إعلام موسى ليرى له[١١] شيئاً، عن الأصم. «**وَاتَّخَذَ**» الحوت «**سَبِيلَهُ فِي**

(١) وطفقت: فحيت وطفت، ب، و؛ فحيت وطفقت، ز.
(٢) ناما: كانا، ب، و؛ قاما، ل، م.
(٣) فأخرجت: فافخرجت، ب، و.
(٤) شيء: شيئاً، ب، و.
(٥) عن: من، ب، و.
(٦) صير: صيرها، ب، ز، ل، م، و.
(٧) ليذكرا حديث: ليذكر حيث، ز.
(٨) وفقدته: وقصدته، ز.
(٩) ذلك: أمر الحوت، ب، و.
(١٠) أنسيته: نسيت، ز.
(١١) له: ـ، ل.

«الْبَحْرِ عَجَباً» أي: أخذ مسلكاً عجباً، قيل: هذا من كلام يوشع أي: عجب[(١)] من ذلك[(٢)] عجباً، عن ابن عباس[(٣)]. وقيل: هو من كلام موسى عليه السلام جواباً له، كأنه قيل: أعجب عجباً، وقيل: اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً، عن ابن عباس. وقيل: دخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر **«قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ»** نطلب، وقيل: ذلك ما كنا[(٤)] نبغي من الغلام لأنه قيل له: صاحبك نسي الحوت، وقيل: **«ذلك»** يعني العالم، **«ما كنا نبغِ»** نطلبه[(٥)] **«فَارْتَدَّا»** رجعا **«عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً»** يقصان الأثر يتبعانه حتى انتهيا إلى مدخل الحوت[(٦)].

۞ الأحكام

تدل الآية على أن موسى عليه السلام سافر لغرض واشتد[(٧)] حرصه على ذلك، واختلفوا في سببه، فقيل: لما أعطي موسى الألواح وكلمه الله ظن أنه أعلم الناس، فعند ذلك قيل[(٨)] له: إن عبداً لله يسكن جزائر البحر[(٩)] هو أعلم منك. وقيل: هو الخضر، فقال موسى: كيف أطلبه؟ فقيل: خذ حوتاً في مكتل فإذا عاش فذلك مكانه، ففعل.

وقيل: أخبره جبريل عليه السلام أن في الأرض[(١٠)] من هو أعلم منك، فلشدة[(١١)] حرصه على العلم قصده.

---

(١) عجب: عجبت، ب، و.
(٢) ذلك: ـ، ز، ل، م.
(٣) عن ابن عباس: ـ، ز، ل، و.
(٤) كنا: ـ، ز، ل، م.
(٥) نطلبه: لطلبه، ب، و.
(٦) الحوت: ـ، ل، م.
(٧) واشتد: فاشتد، ب.
(٨) فعند ذلك قيل: فقيل، ل، م.
(٩) جزائر البحر: الجزائر أعلم، ل.
(١٠) الأرض: بياض، ب، ل، م، و.
(١١) فلشدة: فاشتد.

وقيل: قال رجل لموسى: هل أجد على وجه الأرض أحد[1] أعلم منك؟ قال: لا، فعندها بعث الله[2] جبريل، وأخبر بحديث[3] هذا[4] العالم.

وقيل: قال موسى: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني[5] ولا ينساني، قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن[6] يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده[7] عن ردى، فقال: أي رب إن كان في عبادك من هو أعلم مني فدلني عليه، فدل على الخضر، وجعل الحوت آية.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾ أي: أن فعل[8] العبد لا يضاف إلى الله تعالى وإلا كان يقول: وما أنسانيه إلا الرحمن.

وتدل على معجزة عظيمة لموسى عليه السلام.

قوله تعالى:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

---

(١) أحد: إليه، ز؛ ـ، ل، م.
(٢) الله: ـ، ب، و.
(٣) بحديث: بحد مثل، ب، و.
(٤) هذا: ـ، ل، م.
(٥) يذكرني: يذكر، ز.
(٦) أن: ـ، ز، ل، م.
(٧) ترده: ترد، م.
(٨) فعل: أفعل، ز.

القراءة

قرأ أبو عمرو ويعقوب: «**رشدا**» بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضم الراء وسكون الشين، وقرأ ابن عامر في بعض الروايات بضم الراء والشين، والرشد والرشد نقيضا الغي لغتان[1]، وكذلك الرشاد وهو الهدى والاستقامة، يقال: رشد يرشد رشداً.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «**فلا تسألني**» مفتوحة اللام مشدّدة النون، وقرأ الباقون ساكنة اللام خفيفة النون، ولم يختلفوا في إثبات الياء[2] وصلاً ووقفاً[3]، لأنها مثبتة[4] في جميع المصاحف، قال علي بن عيسى: إلا ابن عامر فإنه حذفها، فإذا خفف فهو نون الإضافة وإذا شدد فهو نون التوكيد أدغمت في نون الإضافة.

اللغة

الموجود: خلاف المعدوم، وهو المختص بصحة الإدراك إذا كان الشيء لا يدرك، ولا يصح تحديد الموجود لأنه لا شيء يحدّه[5] إلا والموجود أظهر منه، ووجدان الضالة: إدراكها بعد ضلالتها[6].

والاتباع: طلب اللحاق[7] بالمتقدم حيث يوجد، ونظيره: الاقتداء، اتبعه في مسيره واتبعه في مذهبه، واتبعه في أمره ونهيه، واتبعه فيما دعا[8] إليه.

والاستطاعة والقدرة والقوة من النظائر، يقال: استطاع واسطاع بحذف[9] التاء وإثباتها وإدغامها.

---

(١) نقيضا الغي لغتان: نقيضا إلى لغتان ألقى لغتان، ز.
(٢) الياء: التاليه، ب، ز، ل، م، و.
(٣) ووقفاً: ـ ، ز، ل، م.
(٤) مثبتة: مبنية، ب، و.
(٥) يحده: ز، ل، م.
(٦) ضلالتها: ضلالها، ب، و.
(٧) اللحاق: الإلحاق، ل، م.
(٨) دعا: ادعا، ز، ل، م.
(٩) بحذف: على حذف، ب، ز، و.

والخبر: العلم بالشيء، ومنه الخبير[1] العالم، خبرت الرجل أخبره خبراً وخبرة، ومن أين خبرت هذا الأمر أي: علمته[2]، والخبير الأكار[3] لعلمه بالزرع.

الإعراب

«**علماً**» نصب على المصدر، و«**رشداً**» نصب لأنه مفعول بـ «**عُلِّمْتَ**».

«**وكيف**» اسم لأنه[4] يجاب عنه باسم وهو سؤال عن الحال.

و«**خُبْراً**[5]» نصب على المصدر[6] أي: ما تخبره خبراً.

المعنى

ثم بيّن تعالى ما آل إليه أمر موسى عليه السلام فيما طلبه وما[7] جرى بينهما[8]، فقال سبحانه: «**فَوَجَدَا**» يعني موسى وفتاه عند الصخرة لما انصرفا «**عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا**» قيل: هو الخضر، وسُمي خضراً[9] لأنه قعد على فروة بيضاء[10] فاهتزت تحته خضراء، روي ذلك مرفوعاً[11]، رواه أبو[12] هريرة، وقيل: كان إذا صلى[13] اخضر ما حوله فسمي خضراً، وقيل: رآه[14] على طنفسة خضراء فسلم عليه فقال: وعليك السلام يا

(١) الخبير: الخبر، ز، ل.
(٢) علمته: أعلمته، و.
(٣) الأكار: الأيان، ز، ل، م.
(٤) لأنه: ـ، ل، م.
(٥) وخبراً: وخبره، ز.
(٦) على المصدر: على المصدر ورشدا نصب، ب، و.
(٧) وما: وفيما، ب، و.
(٨) بينهما: عنهما، ل، و.
(٩) خضرا: خضر، ب، و.
(١٠) بيضاء: مضا، ز.
(١١) مرفوعاً: مرفوع، ز.
(١٢) أبو: أبي، ز، م.
(١٣) كان إذا صلى: كان أظنه إذا أصل، ز، ل، م.
(١٤) رآه: رواه، ز.

نبي بني إسرائيل، قال له موسى: وما أدراك بي؟ ومن أخبرك أني نبي؟ قال: من دلك عليّ، وقيل: وصل إليه وهو يصلي، فلما صلى تحدثا، فجاءت خطافة فحملت بمنقارها من الماء، فقال: يا موسى خطر[1] ببالك أنك أعلم من[2] أهل الأرض، فما علمك وعلمي وعلم الأولين والآخرين في جنب علم الله إلا أقل من الماء الذي حملته الخطافة بمنقارها[3] من الماء، وقد أنكر أبو علي أن يكون ذلك العالم الخضر، وذكر أن الخضر من أنبياء بني إسرائيل، وذكر أيضاً أن موسى لا يجوز أن يعلم من غير الوحي.

واختلفوا في هذا العالم، فقيل: هو الخضر، وقيل: هو لقب واسمه بَلْيَا بن مَلْكَان، وقيل: هو ابن فرعون موسى، عن ابن لهيعة. وقيل: كان عبداً صالحاً، وقيل: كان نبياً، عن أبي علي، وهو الصحيح؛ لأنه اختص بعلوم ومعجزات، وعلم موسى ما يجري مجرى الغيب، ولأن تعلم النبي ممن ليس بنبي ينفر، وقيل: لم يكن نبياً، عن أبي بكر أحمد بن علي، وليس بالوجه.

فأما اسمه فيحتمل أنه الخضر وهو الخضر الذي أرسل في بني إسرائيل؛ لأنه كان بعد موسى بزمان، وأبو علي أنكر أن يكون ذلك، فأما الاسم فلا ينكره، والذي يقطع به أنه نبي.

«آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا» أي[4]: أعطيناه نعمة منا، قيل: هو الرسالة وما اختص به من المعجزات[5] **«وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا [عِلْماً][6]»** أي: علم الدين والشرع[7] **«قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً»** عظمه بهذا[8] القول غاية التعظيم

(١) خطر: أخطر، ل.
(٢) من: ـ، ب، ل، م، و.
(٣) بمنقارها: بنقارها، ز.
(٤) أي: ـ، ز، ل، م.
(٥) المعجزات: المعجزات أي، ز، ل، م.
(٦) علماً: ـ، ز، ل، م.
(٧) والشرع: في الشرع، ز، ل، م.
(٨) بهذا: لهذا، ز، م.

لا يليق إلا بنبي حيث أضاف العلم إليه، ورضي باتباعه، وخاطبه بمثل[١] هذا[٢] الخطاب، وسؤال[٣] الرشد العلوم الدينية التي ترشد إلى الحق، وقيل: هي علوم الألطاف وما في كل فعل مما يخفى على الناس، وقيل: كان على[٤] ما[٥] خصه الله به، «قَالَ» العالم «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» يعني يثقل عليك الصبر على ما أظن وعلى ظاهر الحال، وليس هي[٦] بنفي الاستطاعة ولذلك قال: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً» ولو كان بنفي الاستطاعة لكان[٧] أولا[٨] يعلمه لا يستطيع «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً»[٩] يعني[١٠] ما لم تعلمه حقيقة وتراه منكراً، قال ابن عباس: وكان رجلاً يعمل على الغيب «قَالَ» موسى «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً» ولم يقل ذلك تكذيباً له ولكنه أخبر على الظن والظاهر وأجابه بذلك، وإنما علقه بالاستثناء لئلا يكون كاذباً «وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً» تأمرني به[١١] «قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ» يعني: فلا[١٢] تعجل بالسؤال فيما استعجم عليك من الأعمال[١٣] [١٤] «حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً» يعني: أكون المخبر بذلك، فشرط موسى من نفسه الصبر وترك التعرض للسؤال.

---

(١) بمثل: ـ، ب، و.
(٢) هذا: بهذا، ب، و.
(٣) وسؤال: في سؤال، ل، م.
(٤) على: ـ، ل، م.
(٥) ما: بما، ل، م.
(٦) هي: هو، ب، و.
(٧) لكان: لكان أعلم، ز.
(٨) أولا: لولا، ز.
(٩) ولو كان بنفي... خبراً: ـ، ب، و.
(١٠) يعني: ويعني، م.
(١١) به: ـ، ب، ل، م، و.
(١٢) فلا: لا، ز، ل، م.
(١٣) الأعمال: أعمالي، ب، و.
(١٤) من الأعمال: ـ، ز.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن ذلك العالم كان نبياً وقد بينا الوجه في ذلك.

وقيل: لا بد للنبي من أمة وهو كان وحيداً[١]؟

قلنا: يحتمل أنه كان بقربه قوم يدعوهم[٢] إلى الدين ثم يتخلى[٣] هناك للعبادة، ويجوز أن يكون كذبوا فأهلكوا.

وفي الآية دليل من وجوه: أحدها قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾، وعلم بالألطاف والغيب، واتباع موسى له وتواضعه له.

وتدل على حسن طلب العلم والزيادة فيه كما فعل موسى.

ويدل قوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ﴾ على جواز أن يكون الشيء[٤] منكراً في الظاهر وفيه مصلحة لا يعلمه، فيثقل[٥] عليه.

وتدل على أن كل فعل لله[٦] ولرسوله نقطع على حسنه وإن لم نعلم[٧] تفصيل المصلحة فيه[٨].

وتدل على وجوب الاستثناء فيما يقول أنه يفعله وأن شريعة موسى مثل شريعتنا في ذلك.

ويدل قوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾ أن الصلاح قد يكون في ترك السؤال، ولذلك قال تعالى[٩]: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، وقال ﷺ لما أوجب[١٠]

(١) وحيداً: وحدا، ز.
(٢) يدعوهم: ويدعوهم، ز، ل، م.
(٣) يتخلى: يتخلوا، ز، ل، م.
(٤) الشيء: الشكر، ز، ل، م.
(٥) فيثقل: فيقل، ز، ل، م، و.
(٦) لله: الله، ز.
(٧) نعلم: يعلم، ز.
(٨) فيه: ـ ، ل، م.
(٩) ولذلك قال تعالى: وكذلك الله تعالى، ز، ل، م.
(١٠) أوجب: وجب، ز.

عليهم الحج[١] فقالوا: ألعامنا[٢] هذا أم للأبد؟ فنهاهم عن السؤال، وبيّن أن بني إسرائيل إنما هلكوا لكثرة السؤال[٣] على أنبيائهم.

وتدل على أن الصبر والعصيان فعل العبد لذلك وعد موسى بذلك، وكذلك السؤال لذلك قال: ﴿فَلَا[٤] تَسْـَٔلْنِى﴾، وكذلك[٥] الذكر لذلك قال: «**حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً**».

قوله تعالى:

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**ليغرق أهلها**» بالياء وفتحها وفتح الراء[٦] «**أهلُها**» بضم اللام[٧] على أن الفعل مضاف إليهم[٨]، وهي قراءة ابن مسعود، وقرأ الباقون:

---

(١) الحج: الحق، ز، ل، م.
(٢) ألعامنا: لعامنا، ب، و.
(٣) السؤال: للسؤال، و.
(٤) فلا: لا، ب، و.
(٥) وكذلك: فكذلك، ب، و.
(٦) وفتح الراء: وفتح الراء في، ز.
(٧) أهلها بضم اللام: ـ، ل، م.
(٨) إليهم: إليها، ز، ل، م.

«**لتغرق**» بالتاء[1] وضمها وكسر الراء، «**أهلَها**» بالنصب على أن الفعل مضاف إلى العالم.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير[2] وأبو عمرو ويعقوب: «**نفساً زاكيةً**» بالألف، وقرأ[3] الباقون بغير[4] ألف[5]، قال الكسائي: الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة، ونظيره: قاسية وقسيّة، قال أبو عمرو: والزاكية التي لم تذنب، والزكية التي أذنبت ثم تابت.

قرأ أبو جعفر ونافع برواية ورش وقالون وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: «**جئت شيئاً نكُراً**» بضم الكاف في جميع القرآن، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وإسماعيل[6] عن نافع، وحفص[7] عن عاصم، وحمزة والكسائي: «**نكْراً**» ساكنة الكاف حيث كان.

وقرأ يعقوب: «**فلا تَصْحَبني**» بغير ألف بفتح التاء والحاء وسكون الصاد، وقرأ الباقون: «**فلا تُصَاحِبني**» بضم التاء وفتح الصاد وكسر الحاء وهما بمعنى صاحبته وصحبته.

في «**لدني**» خمس قراءات:

الأولى: قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر في بعض الروايات عن عاصم: «**من لدني عذراً**» خفيفة[8] النون وضم الدال[9].

الثانية: قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «**لدني**» مشددة النون.

---

(١) بالتاء: بالياء، ب، و.
(٢) وابن كثير: ـ ، ب، ل، م، و.
(٣) وقرأ: ـ ، ز.
(٤) بغير: بلا، ل؛ ـ ، م.
(٥) ألف: بالألف، م.
(٦) وإسماعيل: إسماعيل، ز، ل، م.
(٧) وحفص: وجعفر، ب.
(٨) خفيفة: خفف، ب، و.
(٩) وضم الدال: وضمها، ب، ل، م، و.

الثالثة: بضم الدال بإشمام من غير إشباع أبو بكر عن عاصم.

الرابعة: بضم اللام وسكون الدال الكسائي عن أبي بكر.

الخامسة: «من[1] **لدني**» بفتح اللام وسكون الدال في بعض الروايات[2] عن أبي بكر عن عاصم، وكلها رويت وهي لغات.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «**لا تخذت عليه أجراً**[3]» بكسر الخاء وتخفيف التاء، وابن كثير يظهر الذال، وقرأ الباقون مشددة التاء مفتوحة الخاء وهما لغتان، تخذ واتخذ، تبع واتبع، وعاصم يظهر الذال، والباقون يدغمون.

قراءة العامة: «**ينقض**» بغير ألف، وعن[4] يحيى بن يعمر[5] «**ينقاض**[6]» بالألف أي: ينقطع ويتصدع.

وقراءة العامة: «**يضيّفوهما**» بالتشديد، وقرأ أبو رجاء العطاردي: «**يضيفوهما**» من أضاف يضيف.

۞ اللغة

الإمر: العجب، وقيل: الداهية العظيمة، عن أبي عبيدة، وأنشد:

قد لقي الأقران مني[7] نُكراً ... داهيةٌ دَهياءَ إدّا إمراً[8]

هو مأخوذ من الإمر وهو الفاسد[9] الذي يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح، ورجل إمر ضعيف الرأي لأنه يحتاج إلى أن يؤمر حتى يقوى رأيه، ومنه: إمر القوم إذا كثروا[10] لاحتياجهم إلى من يأمرهم وينهاهم، ومنه: الإمر من الأمور أي: الشيء

---

(١) من: ـ، ب، و.
(٢) الروايات: الرواة، ل، م.
(٣) أجراً: ـ، ز.
(٤) وعن: ـ، ز، ل، م.
(٥) يعمر: نعمان، م، وكتب فوق كلمة «نعمان»: «يعمر ظ».
(٦) ينقاض: بياض، ز.
(٧) مني: ـ، ز، ل، م.
(٨) أنظر أبو عبيدة، مجاز القرآن، ١/٤٠٩.
(٩) الفاسد: التقليد، ز.
(١٠) كثروا: أكثروا، ز، ل، م.

الذي من شأنه أن يؤمر فيه، وقيل: أصله[1] كل شيء شديد، ومنه: إمر القوم كثروا واشتد أمرهم.

الرهق: العجلة والجهل، يقال: رهقه الأمر غشيه، والرهق: الكذب، وأرهقته أمراً كلفته، وغلام مراهق: قارب الحلم، وأصله الإرهاق إدراك الشيء بما يغشاه، ورهق الفارس إذا غشيه، والرهق: الظلم، والرهق: العيب.

والزكي: الذي يملا صلاحه، وجمعه: أزكياء، وأصله: النمو.

والنكر: الدهاء، قال: لأنه منكر، وقيل: الذي ينبغي أن ينكر، وإنما قيل: لم لا[2] يجوز منكر؛ لأنه مما تنكر صحته[3] وهو خلاف ما تعرف[4] صحته، والنكر: الأمر الشديد الضعف، ونكر الأمر نكارة من الإنكار خلاف الاعتراف.

والعذر: وجود ما يسقط اللوم.

والاستطعام: طلب الطعام، يقال: استطعمه فأطعمه.

والانقضاض[5]: السقوط بسرعة، يقال: انقضت الدار إذا سقطت وتهدمت، ومنه انقضاض الكواكب سقوطها، قال ذو الرمة:

فانقض كالكوكب الدري منصلتا[6]



الإعراب

«إمراً» نصب لأنه نعت[7] «شيئاً» وهو نصب[8] بـ«جئت».

(١) أصله: لوصله، ز.
(٢) لا: ـ، ز.
(٣) تنكر صحته: نكر صحة، ل، م؛ ينكر صحة، ز.
(٤) تعرف: تعلم، ز، ل، م.
(٥) والانقضاض: الأنقاض، ب، و.
(٦) البيت للنابغة الذبياني في معلقته وتمامه:
يهوي ويخلط تقريباً بإحضار
أنظر ديوان النابغة الذبياني.
(٧) نعت: ـ، ز.
(٨) نصب: نعت، ز، ل، م.

۞ المعنى

«فَانْطَلَقَا» قيل: ذهبا يسيران[1] يطلبان سفينة يركبانها، وقيل: مشيا على ساحل البحر «حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ» قيل: لما ركبا في السفينة، قال أهل السفينة: هم لصوص، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص لكني أرى وجوه الأنبياء، وروي أنهم عرفوا الخضر فحملوه بغير بذل حتى لجوا[2] البحر «خَرَقَهَا» أي[3]: كسرها وثقبها حتى دخلها الماء، قيل: أخذ فأساً فخرق لوحاً منها فحشاها موسى شرفة وكان خرقاً يخشى[4] منه الغرق، وقيل: لما خرقها خرج منها القوم، وقيل: كسر لوحين وشدهما[5] بقواري، حكاه الأصم، وليس بشيء، لو سد الغرق[6] لما عاتبه موسى، وإنما ضاق صدر موسى حين خاف الغرق «قَالَ» موسى «أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا» قال لما رأى موسى ذلك هاله وأقلقه ونسي شرطه إذ خاف الهلاك عليهم فقال ما قال، وقيل: تعجب من ذلك مع صلاح الخضر من مكانه من النبوة إذ[7] يخرق سفينة في لج البحر، فقال ما قال، وقيل: أهل السفينة لم ينكروا عليه لأنهم علموا نبوته، وقيل: يجوز أن يكون أنكروا إلا أنه مسكوت عنه «لتغرق أهلها» أي[8]: لتهلكهم بالغرق «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً» قيل: منكراً، عن قتادة، ومجاهد. وقيل: داهية عظيمة، عن أبي عبيدة. وقيل: عجباً، عن القتيبي. «قَالَ» العالم «أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» يعني نفسك لا تطاوعك على الصبر إذا رأيت عجباً[9] فتبتدي بالجواب، فتذكر[10] موسى ما بدر[11] من الشرط فـ«قَالَ» معتذراً مستقيلاً «لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا

---

(١) يسيران: يسيراً، ز
(٢) لجوا: نجوا. بدون نقاط، م؛ نجو، ز.
(٣) أي: ـ، ز، ل، م.
(٤) يخشى: يخاف، ب، ز، و.
(٥) وشدهما: وشدها، ب، ز، و.
(٦) وقيل لما خرقها. . . سد الغرق: ـ، ل.
(٧) إذ: أن، ب، و.
(٨) أي: ـ، ز، ل، م.
(٩) عن القتيبي. . . عجباً: ـ، ل.
(١٠) فتذكر: فيذكر، ز، ل، م.
(١١) بدر: نبذت، ب، و.

نَسِيتُ» قيل[١]: بما[٢] غفلت من النسيان الذي هو ضد الذكر، وعن أبي بن[٣] كعب: لم ينس ولكنه من معاريض الكلام، وقيل: بما[٤] تركت من عهدك، عن ابن عباس. «**وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً**» قيل: لا تعجلني، وقيل: لا تغشني من أمري عسرا، ومعناه لا تغير[٥] أمري وصحبتي إياك، وقيل: ساهلني ولا ترهقني من أمري[٦] عسرا، «**فَانْطَلَقَا**» سارا «**حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً**» قيل: مر الخضر بغلمان يلعبون، فأخذ غلاماً ظريفاً[٧] وضيء الوجه فذبحه بالسكين، عن سعيد بن جبير. وقيل: كان غلاماً لم يبلغ الحلم، عن ابن عباس. وقيل: كان غلاماً يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه[٨]، عن الضحاك. وقيل: كان فتى يقطع[٩] الطريق ويلجأ[١٠] إلى أبويه فيحلفان له فأخذه الخضر، عن الكلبي. وقيل: كان شاباً بالغاً، عن الأصم. وسمي غلاماً لقرب عهده به «**فَقَتَلَهُ**» قيل: ذبحه بالسكين، وقيل: صرعه ثم نزع رأسه من جسده، وقيل: ضربه برجله فقتله، وقيل: ضرب رأسه بالجدار فقتله «**قَالَ**» موسى «**أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً**» طاهرة من الذنوب لأنها كانت صغيرة لم تكلف، وقيل: برية من استحقاق القتل، يعني قتلت نفساً لا تستحق القتل، وإنما قال ذلك لأنه صار قلبه كالمغلوب عليه حين[١١] رأى[١٢] قتله فقال ذلك، «**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً**» قيل: منكراً، وقيل: أنكر من السفينة، عن الأصم. وقيل: المنكر أشد من الإمر، عن قتادة. فـ«**قَالَ**» العالم «**أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**» أي: نفسك لا تطاوعك، وليس هذا بتوبيخ[١٣] وذم

(١) قيل: ـ، ب، و.
(٢) بما: ـ، ز.
(٣) بن: ـ، ز.
(٤) بما: إنما، ل، م.
(٥) لا تغير: لا تصير، ز، ل.
(٦) ولا ترهقني من أمري: ولا تلحق بي، ب، و؛ ولا تلحقني، ز.
(٧) ظريفاً: ـ، ل، م.
(٨) أبواه: أبويه، ز.
(٩) يقطع: قطع، ز، ل، م.
(١٠) ويلجأ: يلجأ، ز، ل، م.
(١١) حين: حتى، ز، ل، م.
(١٢) رأى: ـ، ز، ل، م.
(١٣) بتوبيخ: توبيخ، ب، ز، ل.

وإنما هو[1] تحقيق ما كان قال له[2] أولاً[3] من جهته عن السؤال فـ«**قَالَ**» موسى عند ذلك «**إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا**» أي: عن شيء تفعله بعد هذا[4] «**فَلا تُصَاحِبْنِي**» وفارقني، قيل: قال له قطعاً لعذره، وقيل: استحياء، وروي مرفوعاً، «**قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً**» أي: أنت معذور في فراقي وقطع صحبتي «**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ**» قيل: أنطاكية، عن ابن عباس. وقيل: أيلة، عن محمد بن كعب، قال الأصم: وليس هذا بشيء «**اسْتَطْعَمَا**[5] **أَهْلَهَا**» أي: سألا الطعام، ويباح في سائر الشرائع الاستطعام للجائع، وربما يجب إذا خاف الضرر[6] «**فأبوا**» امتنعوا «**أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا**» قيل: استطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم[7] فلم يضيفوهما، وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال في قوله: «**فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا**» قال: «كانوا أهل قرية لئام». «**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً**» قيل: كان بناه رجل صالح، وكان على ظهر الطريق يمر من[8] تحته الناس، وقيل: كان طوله في السماء مائة ذراع، عن وهب. وقيل: مائتي ذارع، وطوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع «**يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ**» أي: كاد وقارب أن يسقط لأنه مال من أسفله، والجدار لا إرادة له، ولكن[9] هذا من فصيح الكلام ومجازه، قال الشاعر:

يريد الرمح صدر أبي براء ... ويرغب عن دماء بني عقيل

ونظير ذلك:

شكا إليّ جملي طول السرى ... صبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى[10]

(١) هو: ـ ، ز، ل، م.
(٢) له: ـ ، ل، م.
(٣) أولاً: أولى، ز، ل، م.
(٤) أي عن شيء تفعله بعد هذا: ـ ، ز.
(٥) استطعما: فاستطعما، ز.
(٦) الضرر: الضر، ز.
(٧) واستضافاهم: واستضيافهم، ز.
(٨) من: ـ ، ب، و.
(٩) ولكن: ـ ، ل، م.
(١٠) صبر جميل فكلانا مبتلي: ـ ، ب، و؛ والبيت بن حرملة، لسان العرب، شكا.

يعني ظهر من حاله ما يدل على الشكوى ولو[1] كان يمكنه الشكوى لاشتكى.

«**فَأَقَامَهُ**» قيل: رفع الجدار بيده فاستقام، عن سعيد بن جبير. وقيل: أقامه بمنكبه[2] حتى قام ولم يهدمه، وقيل: هدمه ثم قعد يبنيه، عن ابن عباس. فـ«**قَالَ**» موسى وكان غضب على أهل القرية من حلم صاحبه ولم يمنعه ذلك من الإحسان إليهم بتسوية الجدار «**لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**» أي: جُعلاً وأجرة تكون لنا قوة على سفرنا، وقيل: قراً وضيافة.

الأحكام

في الذي فعله العالم من[3] الأمور الثلاثة وجوه من الأدلة:

منها: حسن دفع الضرر العظيم باليسير بل وجوبه لأنه دفع بالخرق اليسير ضرراً عظيماً منه وهو الغصب[4].

ومنها: أنه كما يجب في نفسه[5] يجب في غيره؛ لأنه دفع الضرر عن المساكين[6] وكان عالماً بما جهلوا فلزمه دفع الضرر عنهم.

ومنها: ابتداؤه بهذا العلم يدل على نبوته.

ومنها: أنه علم من أهل السفينة أنهم لا يغرقون وإلا كان لا يفعل ذلك لأن غرقهم أعظم من غصبها.

فأما قتل الغلام فأحد ما يستدل[7] به شيوخنا في باب اللطف لأنه تعالى بين أنه

---

(١) ولو: أولو، ب، و.

(٢) بمنكبه: بمنكبيه، ب، و.

(٣) من: في، ز.

(٤) منها: حسن... الغضب: منها حسن دفع الضرر العظيم بالسيل بل وجوه لأنه دفع بالخرق اليسير ضرراً عظيماً منه وهو الغصب إنه كما يجب في نفسه قد يجب في غيره لأنه دفع بالخرق اليسير ضرراً أعظم وهو الغصب، ز.

(٥) نفسه: نفعه، ل.

(٦) المساكين: المسكين، ز، ل، م.

(٧) فأحد ما يستدل: فأحدها استدل، ز، ل، م.

قتله خوفاً على أبويه أن يرهقهما طغياناً وكفراً، يعني لو عاش[1] لكفرا بسببه، فوجب في الحكمة قتله.

وتدل على أن فعل العبد حادث من جهته؛ إذ لو كان خلقاً لله تعالى لكان لا يختلف حاله عاش الغلام أو مات.

وتدل على جواز الاستطعام وجواز أخذ الأجرة كما في شريعتنا.

وتدل على أن كل من رأى من أمر الله تعالى شيئاً يقطع أنه حكمة وإن لم يعلم تفصيله.

قوله تعالى:

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ
سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ
فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ
رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ
تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو: «**يبدلهما**» بفتح الباء[2] وتشديد الدال، وكذلك في (المتحرم): ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا﴾ [**التحريم: ٥**]، وفي (القلم): ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا﴾ [**القلم: ٣٢**] مشددة الدال في جميع القرآن، وقرأ الباقون ساكنة الياء خفيفة الدال[3]، وهما لغتان أبدَل يبدِل[4]، وبدّل يبدِّل[5].

(١) عاش: عاشا، ل، م.
(٢) الباء: الياء، ز.
(٣) في جميع القرآن... خفيفة الدال: ـ، ب.
(٤) يبدل: ـ، ز، ل، م.
(٥) يبدل: ـ، ز، ل، م.

وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب وأحد الروايات عن أبي عمرو: «**رحما**[1]» **بضم الحاء، الباقون بسكونها**.

قراءة العامة: «**فراق بيني وبينك**» على الإضافة من غير تنوين، وقرأ الأخفش وابن[2] حميد: «**فراقٌ**» بالتنوين.

اللغة

الاستطاعة والقدرة[3] والقوة نظائر، استطاع واسطاع[4] بمعنى، وأصله استطاع، أدغمت التاء في الطاء فصار اسطاع.

والسفينة: مركب مهيأ في الماء، وجمعه: سفاين وسفن.

والوراء: نقيض القدام، نظيره: خلف، ويستعمل وراء بمعنى أمام، ومنه: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ [**الجاثية**: ١٠]، قال الشاعر:

فأصبح لا يدري وإن كان حازماً[5] أقدامه خير له أم وراؤه[6]

أي: خلفه.

وقال آخر:

أيرجو بنو[7] مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة وراءنا[8]

أي: أمامنا.

والرحم والرحم[9]: القربة، يقال: رحمته ورحمه[10] ورحما.

---

(١) رحما: ورحما، ز، ل، م.
(٢) الأخفش وابن: الأخف بن، ز، ل، م.
(٣) والقدرة: والقوة، ل، م.
(٤) استطاع واسطاع: اسطاع واستطاع، ب، و.
(٥) حازماً: خارجاً، ز.
(٦) البيت ينسب لطرفة بن العبد، أنظر ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري، دمشق، ١٩٧٥.
(٧) بنو: بني، ز، ل.
(٨) البيت ينسب لسوار بن المضرب السعدي، أنظر عبد القار البغدادي خزانة الأدب، ٢/ ٤٦١.
(٩) والرحم: الرحم، ز، م.
(١٠) ورحمه: رحمه، ب، و.

۞ الإعراب

«رحمة[١]» نصب على المصدر أي: رحمه رحمةً.

۞ المعنى

ثم[٢] حكى تعالى ما بيّن العالم لموسى من وجه المصلحة فيما فعل، فقال سبحانه: «قَالَ» العالم لموسى «هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ» قيل: هذا الوقت فراق بيني وبينك[٣]، عن الأصم، وأبي علي. وقيل: هذا الذي قلته فراق بيني وبينك، وقيل: لما خرج من الشريطة ثلاث دفعات وكان قال في الثالثة: لا تصاحبني إن سألتك عن شيء فأخذه[٤] بقوله وأعلمه أنه مفارقه، عن أبي مسلم. «سَأُنَبِّئُكَ» أي[٥]: سأخبرك «بِتَأْوِيلِ» بعاقبة ما[٦] يؤول إليه «مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً» أي: ما[٧] لم تطاوع نفسك في الصبر عليه «أَمَّا السَّفِينَةُ» فإنما كسرتها لأنها كانت «لِمَسَاكِينَ» أي: فقراء، وقيل: لمجاوع ضعفاء الحال، قال كعب: كانت لعشرة إخوة، خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر، وقيل: كانت في أيديهم[٨] إجارة.

ومتى قيل: لم خص المساكين بالذكر؟

قلنا: لضعف حالهم وحاجتهم، وقيل: لأنه[٩] ربما لا يكون لطفاً لغني[١٠].

«فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ» قيل: أمامهم، عن قتادة. وقيل: خلفهم،

---

(١) رحمة: رحماً، ب، و.
(٢) ثم: ـ، ز.
(٣) قيل هذا الوقت فراق بيني وبينك: ـ، ز، ل، م.
(٤) فأخذه: فأخذ، ز، ل.
(٥) أي: ـ، ب، و.
(٦) بعاقبة ما: عاقبته ما، ب؛ بعاقبته ما، ز؛ عاقبة ما، و.
(٧) ما: ـ، ز، ل، م.
(٨) أيديهم: يدهم، ب، و.
(٩) لأنه: أنه، ز.
(١٠) لغني: لمعنى، ز، ل، م.

كان طريقهم في رجوعهم عليه ولم يعلموا به، عن الزجاج[(١)] «**يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**» أي: كل سفينة صالحة غير معيبة، فحذف لدلالة الكلام عليه، وروي عن ابن عباس أنه قرأ: (**كل سفينة صالحة**) وهو[(٢)] محمول على أنه فسره، فعيبها لئلا يتعرض عليها ذلك الملك، وقيل: اسم الملك جنيدا، وقيل: جندل، وقيل: هوذا، «**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ**» قيل: هو من قول الخضر، وقيل: هو من قول الله تعالى، حكاه الأصم. «**فَخَشِينَا**» قيل: علمنا، وقيل: كرهنا، عن قطرب، يقول: فرقت بينهما خشية أن يفتتنا أي: كراهية ذلك، وقيل: خفنا «**أَنْ يُرْهِقَهُمَا**» قيل: يهلكهما، وقيل: يغشيهما، وقيل: يكلفهما، عن الكلبي[(٣)]. وقيل: يكرههما على الكفر[(٤)]، وقيل[(٥)]: يحملهما على أن يدخلا في[(٦)] دينه، عن سعيد بن جبير. «**طُغْيَاناً**» مجاوزة للحد في العصيان «**وَكُفْراً**» وذلك مفسدة في الدين «**فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا**» ولداً «**خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً**» صلاحاً وإسلاماً، قيل: رزق جارية فولدت الجارية سبعين نبياً، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام[(٧)]، وقيل: تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً فهدى الله على يديه[(٨)] أمة، عن الأصم، والكلبي. وقيل: أبدله بغلام مسلم، وكان المقتول كافراً، عن ابن جريج[(٩)]. وكان أُبَي يقرأ: (**وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين**) وهذا يحمل على أنه فسره به، قال قتادة: فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فقضاء الله للمؤمن فيما يكره خير[(١٠)] له من قضائه فيما يحب «**وَأَقْرَبَ رُحْماً**» قيل: أبر بوالديه وأرحم من المقتول، عن قتادة،

---

(١) قيل أمامهم. . . عن الزجاج: ـ ، ز، ل، م.
(٢) وهو: وهذا، ل، م.
(٣) وقيل يكلفهما عن الكلبي: +، ب، ز، و.
(٤) يكرههما على الكفر: ـ ، ب، ز، و.
(٥) وقيل: وقيل لا، ز.
(٦) في: +، ب، و.
(٧) عليهما السلام: ـ، ز.
(٨) يديه: يده، ز.
(٩) الزجاج. والصواب ما أثبتناه من (ب، ز، و)، ومن تفسير البغوي ٣/ ٥٤.
(١٠) خير: خيراً، ز.

وأبي مسلم. وقيل: أوصل للرحم، وقيل: أقرب، أن[1] يرحما به[2]، عن الفراء. وقيل: وأقرب رحمة، عن أبي علي. واختلفوا، فقيل: هو من الرحم، وقيل: هو[3] من الرحمة «**وَأَمَّا الْجِدَارُ**» إنما أقمته لأنه كان لغلامين يتيمين[4] في المدينة، قيل: اسمهما أصرم وصريم[5]، فحفظ الكنز لصغرهما وضعفهما وصلاح أبيهما «**وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا**» قيل: كانت[6] صحف علم مدفونة[7]، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد[8]. قال ابن عباس: ما كان[9] ذلك الكنز إلا علماً، وقيل: كان لوحاً[10] من ذهب مكتوب فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، و[11]عجب لمن يؤمن[12] بالرزق كيف يتعب، عجب[13] لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجباً[14] لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ[15]، عن ابن عباس، والحسن، وجعفر بن محمد، وروي[16] ذلك[17] مرفوعاً. وقيل: كان الكنز مالاً، عن

(١) أن: أي، ز، ل، م.
(٢) يرحما به: يرحماً، ز.
(٣) هو: +، ب، و.
(٤) يتيمين: +، ب، و.
(٥) وصريم: وصيرم، ل، م.
(٦) كانت: كان، ز.
(٧) مدفونة: مدقوفة، ب، و.
(٨) ومجاهد: ـ، ب.
(٩) ما كان: +، ب، ز.
(١٠) لوحا: لوح، ب.
(١١) بسم الله. . . يحزن و: ـ، ب.
(١٢) يؤمن: يوقن، ب.
(١٣) عجبه: وعجباً، ز.
(١٤) عجباً: وعجباً، ز؛ وعجب، ل.
(١٥) صلى الله عليه وآله: ـ، ب.
(١٦) وروي: وروا، ل.
(١٧) ذلك: ـ، ب.

قتادة، وأبي علي، وعكرمة[١]، وأنكر الأصم أن يكون علماً. وقيل: كان مالاً، وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ وآله[٢] وسلم[٣] «أنه كان ذهباً وفضة».

«**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً**» قيل: اسمه كاشح[٤] وهو أبوهما، وقيل: كان الأب الصالح السابع من آبائهما.

ومتى قيل: ما فائدة ذكر الصلاح، ولو كان غير صالح حسن الحفظ؟

قلنا: قيل: كان كنزاً من حلال أدي حق الله فيه، فلم يكن لأحد فيه حق، فحفظ[٥] لهذا، وقيل: ذكره ترغيباً ولطفاً في الصلاح، وقيل: ليعلم[٦] أن صلاح الآباء قد يكون سبباً لحفظ الأبناء.

«**فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا**» قوتهما، قيل: ثماني عشرة سنة، وقيل[٧] غير ذلك، والأصح أنه حال اجتماع القوة والعقل فيتمكن من[٨] التصرف ويعلم[٩] كيفيته، وهو قول أبي مسلم. «**وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا**[١٠]» **أي: يخرجا كنزهما** «**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**» أي: كان ذلك نعمة منه عليهما «**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**» أي[١١]: من رأيي وتلقاء نفسي ولكن بأمر الله تعالى «**ذَلِكَ**» الذي قلته[١٢]» «**تأويل**» تفسير[١٣] «**مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**» أي صبراً[١٤]، لم تطاوع نفسك على الصبر عليه.

---

(١) عكرمة: عركمة، ل.
(٢) وآله: +، ب، ز.
(٣) وسلم: +، ب.
(٤) كاشح: كاسح، ز؛ كما ورد كذلك في تفسير البغوي ٣/ ٥٥.
(٥) قلنا قيل... فحفظ: ـ، ز.
(٦) ليعلم: فيعلم، ز، ل، م.
(٧) وقيل: قيل، م.
(٨) من: عن، ل.
(٩) يعلم: ـ، ل.
(١٠) كنزها: ـ، ب، و.
(١١) أي: +، ب.
(١٢) قلته: قبلته، ل.
(١٣) تفسير: ـ، ب.
(١٤) أي صبراً: صَبْراً. أي: صبراً، ز، ل، م.

۞ الأحكام

يدل قتل الغلام على وجوب اللطف على ما بينا.

ومتى قيل: إن حصل لنا العلم كما حصل لذلك العالم أكان[١] يحسن منا القتل؟

قلنا: يجوز إلا أن ذلك[٢] العلم لا يحصل إلا من الأنبياء. وقيل: إنما حسن[٣] ذلك في شريعته بالوحي ولا يجب أن تتفق الشرائع.

ومتى قيل: ما وجه حسن قتله؟

قلنا: كونه لطفاً وكون بقائه مفسدة.

ومتى قيل: أيستوي[٤] في ذلك قتله وإماتته؟

قلنا: هو على وجوه، قد يكون الموت لطفاً دون القتل فيجب الموت، وقد يكون القتل لطفاً فيجب القتل، وقد يستويان فيخير.

ومتى قيل: كيف يحسن قتل الغير لنفع حتى يحسن[٥] قتل صبي لمنفعة بالغ[٦]؟

قلنا: يصلح به لمكلف[٧] فيعوضه[٨] ويدخله الجنة[٩] فيحصل اللطف والعوض، ويحصل الغرضان.

ومتى قيل: فما وجه المفسدة فيه؟

قلنا: بقاؤه لا خلقته.

---

(١) أكان: كان، ز، ل، م.
(٢) ذلك: يكون، ب.
(٣) حسن: يحسن، ز، ل، م
(٤) أيستوي: استوى، ب، ز.
(٥) يحسن: حسن، ز، ل، م.
(٦) بالغ: +، ب، ز.
(٧) لمكلف: المكلف، ب، ز.
(٨) فيعوضه: ويعوضه، ب.
(٩) الجنة: +، ب.

وتدل على أن المحبة[1] الشديدة قد تصرف عن الهدى لأن أبويه لفرط محبتهما كانا يتبعانه لو بقي.

ومتى قيل: فهب[2] أن قتله كان لطفاً فإبدال[3] الآخر ما هو[4]؟

قلنا: هو[5] يحتمل كونه لطفاً، ويحتمل أن يكون[6] تفضلاً.

ومتى قيل: لم لا يجب إماتة من المعلوم أنه لو بقي لارتد كما تجب إماتة[7] من المعلوم أن غيره عند بقائه يرتد؟

قلنا: لأن بقاءه في الأول تمكين وفي[8] الثاني مفسدة.

وتدل على أن ما علم من ذلك دليل على نبوته على ما ذكرناه[9]، وكذلك[10] قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾.

وتدل على أنه يجب على العالم بيان المتشابه[11] كما فعله هو.

وتدل على أن الكفر فعل العبد وليس بخلق لله[12] تعالى[13] لأنه أمر[14] بقتله لأن بقاءه مفسدة مؤدية إلى الكفر وكيف يخلق الكفر نفسه، ولأن الكفر لو كان خلقه لما اختلف الحال ببقاء الولد[15] وقتله، وكان[16] لا يحسن قتله.

---

(١) المحبة: المحنة.، ب، ز.
(٢) فهب: وهب، ب.
(٣) فإبدال: فإنزال، ز، ل، م.
(٤) ما هو: ـ ؛ هو، ل.
(٥) هو: ـ ، ب، ز، ل.
(٦) ويحتمل أن يكون: كونه، ب، و.
(٧) إماتة: الإماتة، ز، ل، م.
(٨) في: +، ب.
(٩) ما ذكرناه: ما ذكرنا، ب، ز، ل.
(١٠) وكذلك: +، ب.
(١١) المتشابه: التشابه، ب.
(١٢) لله: الله، ب، ز، ل.
(١٣) تعالى: +، ز.
(١٤) لأنه أمر: لأنه لو أمر، ز، ل، م.
(١٥) الولد: الولاء، ز، ل.
(١٦) وكان: ولكان، ل.

وتدل قصة الكنز[1] على الترغيب في الصلاح لما أثر في حال الإعقاب أيضاً.

وتدل على جواز جمع المال وتخليفه للورثة كما فعله ذلك الصالح، ومن الناس من يقول إن[2] الخضر حي، وهذا فاسد لأنه نبي ولا نبي بعد نبينا محمد[3] ﷺ، لأنه لو كان حياً لعلم مكانه، وكان يعرف حتى يعظم ولأنه لو كان حياً باقياً لكان يبقى لفائدة.

وروي أنه لما فارقه موسى قاله له: (كن نفاعاً ولا تكن ضراراً، وكن هشاشاً ولا تكن غضباناً، وانزع عن اللجاجة[4] ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تُعيِّر أمراً بخطيئته[5]، وابكِ على خطيئتك يابن عمران، يا موسى، تعلم ما تعلّمت[6] لتعمل به لا لتحدث به فيكون عليك وباله ولغيرك نوره، واجعل التقوى لباسك، والذكر والعلم كلامك..) في كلام كثير.

قوله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «فاتّبع سببا» «ثم اتبع

(١) الكنز: الكفر، ب.
(٢) إن: +، ب، ز.
(٣) محمد: +، ز.
(٤) اللجاجة: الخلعة، ب، و؛ الحاجة، ز، ل، م.
(٥) بخطيئته: بخطيئة، ل.
(٦) تعلمت: علمت، ز، ل، م.

سببا»[١] موصولاً بالألف[٢] مشددة التاء أي: سلك وسار متبعاً علماً يتسبب به، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: «**فأتبع**»[٣] «**ثم أتبع**[٤]» بقطع الألف وسكون التاء مخففة[٥] أي: لحق سبباً، تبعت[٦] فلاناً تلوته، وأتبعته لحقته، وقيل: اتبعته بالتخفيف، أي: في أثره، وبالتشديد أي: سار بعده[٧] وإن لم يكن في أثره، قال أبو مسلم: الإتباع إفعال بكسر الهمزة وتخفيف الفاء[٨]، والاتباع الذي هو الافتعال والتاء مشددة لأنها تاءان أدغمت إحداهما في الأخرى والمراد به[٩] الطلب والسلوك فهو[١٠] [١١] في هذا الموضع السلوك[١٢].

وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «**في عين حامية**» بالألف من غير همز، أي: حارة، وهي قراءة ابن مسعود وأبي عمرو وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن، وروي مرفوعاً.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب: «**عين حمئة**» بغير ألف مهموزة[١٣] أي: ذات حمية وهي الطينة السوداء، وهي قراءة ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير.

۞ اللغة

القرن: قرن الشاة وغيرها، وقرون الشعر والذوائب، ومنه قول أبي سفيان: ولا

---

(١) ثم اتبع سبباً: ـ ، ب، و.
(٢) موصولاً بالألف: موصولة الألف، ب.
(٣) فأتبع: وأتبع، ز.
(٤) ثم أتبع: وأتبع، ب.
(٥) مخففة: ـ ، ل.
(٦) تبعت: سمعت، ز.
(٧) بعده: بمعاه، ب.
(٨) الفاء: الهاء، ب.
(٩) به: ـ ، ز.
(١٠) فهو: هو، ز.
(١١) الافتعال... فهو: ـ ، ب.
(١٢) السلوك: المسلوك، ز.
(١٣) مهموزة: مهموز، ب، و.

الروم[١] ذات القرون، قال الأصمعي: أراد قرون شعورهم لأنهم كانوا يطولونه، قال المرقش:

وأهـــلـــي بـــالـــشـــام ذات الـــقـــرون[٢]

وسمي ذا[٣] القرنين قيل: كان في رأسه شبه قرنين[٤]، وقيل: كان له ضفيرتان، وقيل: لأنه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب، وقيل: لأنه دعا قومه إلى عبادة الله فضربوه على قرنه الأيمن، ثم أحياه الله فضربوه[٥] على قرنه الأيسر فأحياه الله، عن أبي علي. ومنه قول علي (عليه السلام) حين ذكر قصة ذي القرنين فقال: (وفيكم مثله)، يعني نفسه[٦]؛ لأنه ضرب رأسه مرتين، إحداهما[٧] يوم الخندق والثانية ضربه ابن ملجم لعنه الله فقتله، وقيل: لأنه رأى في المنام كأنه آخذ بقرني الشمس فكان تأويله أنه طاف المشرق[٨] والمغرب، وقيل: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت الشرف من قبل أبيه وأمه، وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان[٩] من الناس وهو[١٠] حي، وقيل: لأنه كان إذا حارب حارب[١١] بيده وركابه[١٢]، وقيل: لأنه[١٣] دخل النور والظلمة.

والتلاوة: القراءة، والذكر: حضور المعنى للنفس، وقد يكون بالقلب وهو التفكر، وقد يكون باللسان.

---

(١) ولا الروم: ولااليرم، ز؛ لا ألتزم، ل، م. وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي م٤/ج١٦/ ١٩٨: ولاالروم ذات القروم.
(٢) البيت قائله المرقش صدره: لات هنا وليتني طرف الزج، أنظر لسان العرب، «قرن».
(٣) ذا: ذوا، ب؛ ذو، و.
(٤) قرنين: قرون، ز.
(٥) فضربوه: ثم ضربوه، ب، و.
(٦) يعني نفسه: ـ، ب، و.
(٧) إحداهما: إحدايهما، ب، و.
(٨) المشرق: بالمشرق، ب، ل، م، و.
(٩) قرنان: قرنين، ب؛ قرناً، ل، م، و.
(١٠) وهو: وهي، ز.
(١١) حارب: ـ، ب، و.
(١٢) وركابه: وركبانه، ز، ل، م.
(١٣) لأنه: أنه، ز.

والسبب: ما يتوصل[١] به إلى شيء يبعد عنه، ومنه قيل للحبل سبب، لأنه يستقى به الماء، والطريق إلى شيء سبب لأنه يتوصل به إليه، وجمع السبب: أسباب.

والحمئة: الطين السوداء، حمئت[٢] البئر[٣] تحمأ إذا صار فيها الحمأة، وحمأت[٤] البئر أخرجت منها الحمأة، وأحمأتها ألقيت فيها الحماة.

النكر بفتح النون: الدهاء[٥]، وبضمها: المنكر، كأنه ينكره العقل والطبع.

الإعراب

«ياذا القرنين» نداء مضاف، ذكره الفراء في قوله: «إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ» وفتحت[٦] في قوله: «أما السفينة» لأن في الأول لا يستغنى عن التي[٧] بعدها، ألا ترى أنك إذا قلت: ياذا القرنين أما أن تتخذ لم تجز، وفي الثانية تم الكلام عند قوله: «كانت لمساكين» فلذلك فتحت.

النزول

قيل: سألت اليهود رسول الله صلى الله [عليه وآله] عن قصة ذي القرنين، وقيل: قالوا للمشركين: اسألوه[٨] عن ذلك، فأنزل الله تعالى الآيات، عن الأصم.

المعنى

ثم بين تعالى قصة ذي القرنين، فقال سبحانه: «وَيَسْأَلُونَكَ» يا محمد، قيل: اليهود، وقيل: المشركون «عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ» عن خبره وقصته لا عن شخصه[٩] لأنه

(١) ما يتوصل: ما وصل، ز، ل، م.
(٢) حمئت: حمية، ز، ل، م.
(٣) البئر: الشيء، ب، و.
(٤) وحمأت: وحمأة، م.
(٥) الدهاء: إليها، ز.
(٦) وفتحت: وفتحت وفتحت، ز.
(٧) التي: الشيء، ز، ل، م.
(٨) اسألوه: سلوه، ب.
(٩) ويسألونك يا محمد... عن شخصه: ـ، ب، و.

كان معروفاً عند العرب والعجم، واختلفوا، فقيل: كان نبياً ودلوا عليه بقوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، وقيل: كان عبداً صالحا ولم يكن نبياً، والذي عليه شيوخنا رحمهم الله أنه لا بد أن يكون هو نبياً أو يكون[1] معه نبي لأنه ظهر هناك ما لا يجوز ظهوره إلا على نبي فاحتمل أنه فعل ذلك بأمر النبي، ومنهم من قال: إنه عدول عن الظاهر والظاهر أنه كان نبياً، وعن علي (عليه السلام) أنه كان عبداً صالحاً نصر الله فنصره وناصح فنصحه[2]، وقيل: كان ملكاً عادلاً، عن مجاهد، ملك الأرض أربعة[3]: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان وذو[4] القرنين، والكافران: نمرود[5]، وبخت نصر، وليس بشيء لأنهما لم يملكا إلا بعض الأرض «قُلْ» يا محمد: «سَأَتْلُو» سأقرأ «عَلَيْكُمْ مِنْهُ[6]» من ذي القرنين «ذِكْراً» أي: خبراً تعرفون به صحة نبوة محمد ﷺ[7].

ومتى قيل: لِمَ لم يقص أخبار ذي القرنين؟

قلنا: لا يمتنع أن يكون المذكور في كتبهم هذا القدر فخبر بذلك القدر ليكون أقوى في الدلالة، ولا يمتنع أن يكون في[8] الصلاح تعريفهم[9] هذا القدر دون الزيادة[10].

«إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ» أي: ملكناه[11] وأوطأنا له الأرض «وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً» قيل: أعطيناه علماً يتسبب به على[12] ما يريد، عن ابن عباس، وقتادة،

---

(١) يكون: ـ ، ب، و.
(٢) فنصحه: فنصح، ز، ل، م.
(٣) أربعة: ـ ، ز، ل، م.
(٤) وذو: وذوا، ب.
(٥) نمرود: نمروذ، ز، ل، م.
(٦) منه: ـ ، ل.
(٧) صلى الله عليه وآله وسلم: ـ ، ز، ل، م، و.
(٨) في: ـ ، ز، ل، م.
(٩) تعريفهم: في تعريفهم، ز، ل، م، و.
(١٠) دون الزيادة: ـ ، ز، ل، م.
(١١) ملكناه: مكناه، ز.
(١٢) على: إلى، ب، و؛ أعلى، ز.

والضحاك، وابن زيد، وابن جريج. وقيل: من كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد ومحاربة الأعداء، عن أبي علي. وقيل: الإعداد[١] في الحروب[٢]، وقيل: حيلة الأمور، وقيل: بلاغاً إلى حيث أراد[٣]، عن الحسن. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض كما سخرنا لسليمان الريح «فَأَتْبَعَ» بالتشديد سلك وسار، وبالتخفيف[٤] لحق «سَبَباً» طريقاً بين المشرق[٥] والمغرب، عن مجاهد، والضحاك، وابن زيد. يعني طريقاً طاف به البلاد وفتح المدائن وحارب الأعداء، وقيل: طريقاً إلى ما أريد منه، وقيل: حمل الخشب على الجمال فإذا بلغ البحر اتخذ السفن وأدخلها الحمأة[٦]، حكاه الأصم «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ» يعني: موضع غروبها، وقد سمي المغرب وإن بعد في موضع الغروب «وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ» يعني: وجد الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة[٧]؛ لأن[٨] القراءتين كالآيتين فيحمل عليها الكلام، واختلفوا فقيل: معناه وجدها كأنها تغيب في عين حمئة وإن كانت تغيب وراءها، عن أبي علي، وأبي مسلم، والقاضي. لأن الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل في عين الماء، ولأنه[٩] قال: «وَوَجَدَ[١٠] عِنْدَهَا قَوْماً» ولا يمكن المقام[١١] عند غروب الشمس لعظم حرها ولكن لما كان ذلك الموضع غاية ما أحاط به[١٢] نظر ذي القرنين ولم يجد[١٣] وراءه

(١) الإعداد: الإعداده، ز، ل، م.
(٢) الحروب: الحرب، ز.
(٣) أراد: أراكم، ب.
(٤) وبالتخفيف: بالتخفيف، ز.
(٥) المشرق: المشرق والمشرق، م.
(٦) الحمأة: الجمال، ب؛ الحمال، و.
(٧) حمأة: حمية، ز، ل، م.
(٨) لأن: ولأن، ب، و.
(٩) ولأنه: دلالة، ز، ل، م.
(١٠) ووجد: وجد، ب، ز، ل، م، و.
(١١) المقام: الهيام. بدون نقاط، ز، ل، م.
(١٢) به: ـ ، ز، ل، م.
(١٣) يجد: يتخذ، ز.

شيئاً يُرى قاله كأنها[١] تغرب في عين حمئة[٢] كمن يتراءى[٣] له أنها تغرب خلف جبل وشجر ونحوها فيقول غربت خلف جبل كذا، ولأن الشمس أكبر من الأرض بكثير فكيف تتسع عين لها، وأنكر هذا القول أبو بكر[٤] أحمد بن علي وقال: بل هي في عين حمئة في الحقيقة على ظاهر القرآن، وعليه أكثر المفسرين. وعن كعب: أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين، ويحتمل أن[٥] يكون الفلك يدور في[٦] تلك العين أو يكون الفلك عبارة عن مجرى الشمس فلا يلزم ما قال أبو علي. «**وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً**» أي: ناساً «**قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً**» قيل: إما أن تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك «**وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً**» قيل: تعفو وتصفح، وقيل: تأمرهم وتعلمهم الهدى والرشاد، وقيل: خيرهم بين عقابهم وبين[٧] العفو عنهم، وقيل: أراد إما أن تعذب من أصر أو تتخذ حسناً فيمن آمن فـ«**قَالَ**» ذو القرنين «**أَمَّا مَنْ ظَلَمَ**» قيل: من[٨] كفر ولم يتب، عن الأصم. وقيل: عصى وظلم نفسه بالكبيرة «**فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ**» نقتله «**عَذَاباً نُكْراً**» أي[٩]: منكراً غير معهود وهو أشد من القتل.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أنه ملك جميع الأرض من جهته تعالى، ومثل ذلك لا يتأتى إلا للأنبياء.

ويدل قوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ أنه أوحي إليه، ومن قال قيل له على لسان غيره عدول عن الظاهر.

---

(١) كأنها: كأنه، ز، م؛ قال هو كأنها، ل.
(٢) حمئة: ــ، ب، و.
(٣) يتراءى: يترايا، ب، ز، م، و.
(٤) أبو بكر: ــ ل، م.
(٥) وعليه أكثر المفسرين. . . . ويحتمل أن: ــ، ز، ل، م.
(٦) في: على، ل، م.
(٧) بين: ــ، ز، ل، م.
(٨) من: ــ، ب، و.
(٩) أي: ــ، ز، ل، م.

ويدل قوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أن العين بالصفتين إذ لا مانع منه.

ويدل قوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ على أن التكليف كان في ذلك الزمان التخيير في القتل والعفو في الكفار.

وتدل على أن عذاب الدنيا لا يسقط عذاب الآخرة.

وتدل على أنه طاف في الأرض للجهاد، ولذلك شدد[1] في الدين.

قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠)﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب: «جَزَاءً الْحُسْنَى» بالنصب والتنوين، والباقون بالرفع والإضافة، والحسنى[2] على هذه القراءة يحتمل أن تكون الطاعة و(جزاء) رفع لأنه خبر الابتداء و(الحسنى) جر[3] لأنه مضاف إليه كأنه يقول: جزاء الطاعة، إن حملناه[4] على الجنة، وأضيف الجزاء إليها ولدار الآخرة، وعلى[5] القراءة الأخرى[6]: الحسنى الجنة، وتقديره: فله الحسنى جزاء[7] نصب على المصدر.

(١) شدد: شد، ز.
(٢) والحسنى: فالحسنى، و.
(٣) جر: خبر، ز، ل، م.
(٤) حملناه: حملنا، ز، ل، م.
(٥) وعلى: على، ز، ل، م.
(٦) القراءة الأخرى: القراءة على القراءة الأخرى، ل.
(٧) جزاء: خيراً، ب، و.

۞ اللغة

الصلاح: استقامة الفعل[١] على ما تدعو إليه الحكمة، وصلاح العبد طاعته[٢] لله، ويقال للمباح صلاح تشبيهاً لأنه مأذون فيه.

الخبر[٣]: العلم، والخبير[٤]: العالم.

ومطلع[٥] بالفتح وبالكسر والكسر أكثر، وإذا كسرت فأنت تريد المكان الذي تطلع فيه، وإذا فتحت فأنت تريد الفعل، والفتح في القياس أجود؛ ولأن[٦] كل ما كان على فعل يفعل وإن كان[٧] المكان فيه يفتح، كقولهم: دخل يدخل، ثم يقول: مدخلنا، ولم يقل: مدخلنا بالكسر[٨].

۞ الإعراب[٩]

معنى قوله: «**كذلك**» للتشبيه، واختلفوا، فقيل: تم الكلام عند قوله: «**كذلك**» ثم ابتدأ فقال: «**وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً**»، وقيل: كذلك أتبع سبباً إلى مطلع الشمس كما أتبع إلى مغرب[١٠] الشمس، وقيل: كما وجد قوماً عند المغرب وحكم فيهم كذلك عند مطلع الشمس فحكم[١١] فيهم بحكم أولئك، وقيل: كذلك[١٢] جعل الله أمرهم، عن الأصم. وقيل: كذلك[١٣] علمناهم، عن أبي علي.

---

(١) الفعل: العمل، ب، و.
(٢) طاعته: طاعة، ز، ل، م.
(٣) الخبر: والخبر.
(٤) والخبير: والخبر، ز.
(٥) ومطلع: فقطع، ز.
(٦) لأن: ولأن، ز، ل، م.
(٧) كان: ـ ، ز، ل، م.
(٨) بالكسر: ـ ، ز، ل، م.
(٩) الإعراب: ـ ، ب، و.
(١٠) مغرب: المغرب، ز.
(١١) فحكم: يحكم، ز، ل، م.
(١٢) كذلك: ـ ، ز، ل، م.
(١٣) كذلك: لذلك، ز.

«خُبْراً» نصب على المصدر.

المعنى

ثم بيّن تعالى ما وعد المؤمن[(١)] فقال: «وَسَنَقُولُ[(٢)] لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً» قيل: عدة جميلة من الله له، وقيل: نأمره من طاعته بما تيسر[(٣)] عليه، وقيل: نبين له القول، ونكرر عليه الأمر، وقيل: «يسرا» معروفاً، عن مجاهد.

ثم بيّن تعالى سيره إلى المشرق فقال سبحانه: «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً[(٤)]» أي: سلك طريقاً، وقيل: سلك طريقاً للجهاد «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ» قيل: بلغ إلى موضع أي: قرب من مطلع الشمس فأراد بلوغه مطلع الشمس بلوغ مطرح[(٥)] شعاع الشمس في أول ما تبدو مما[(٦)] ليس يراه أحد من الناس «وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً» قيل: لم يكن بها شجر[(٧)] ولا جبل[(٨)] ولا بناء؛ لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء[(٩)]، فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والأسراب، وإذا[(١٠)] غربت تصرفوا في أمورهم، عن الحسن، وقتادة، وابن جريج. «كَذَلِكَ» قد[(١١)] بينا معناه «وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً» قيل: علمنا ما لنا عند ذي القرنين من الطاعة في حاضره وغائبه[(١٢)]، وقوله: «بما لديه» إشارة إلى حسن الثناء عليه والرضى عنه

(١) المؤمن: المؤمنين، ب، ز، و.
(٢) وسنقول: سنقول، ب، ز، ل، م، و.
(٣) تيسر: ينشد، ز، ل، م.
(٤) سبباً: سبباً سبباً، ز.
(٥) مطرح: مطلع، ب، و.
(٦) مما: فيما، ز، ل.
(٧) شجر: شجرة، ز، ل، م.
(٨) ولا جبل: لاجل، ل، م.
(٩) يثبت عليها بناء: ينبت عليها نبات، ب، ز، ل، م. و، وما أثبتناه من تفسير مجمع البيان للطبرسي: ٦/ ٣٤١. والتبيان في تفسير القرآن للطوسي: ٧/ ٨٦.
(١٠) وإذا: فإذا، ب، و.
(١١) قد: ـ، ب، ز، و.
(١٢) وغائبه: وعاتية، ب، ز، و.

لامتثاله لأمر الله تعالى، ويدل[١] (علمنا) بما[٢] فعله في أهل الشرق من حكم الله كما فعله في أهل الغرب، وقيل: اختبره فوجده مطيعاً في جميع ما دعا[٣] إليه، وقيل: علمنا بما عنده من الجيوش والملك والآلات «خبراً» قيل: علماً، وقيل: هذا جواب قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، عن الأصم. «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً» أي: سلك طريقاً.

الأحكام

الآية تدل على أنه بلغ موضعاً[٤] لا حد وراءه إلى مطلع الشمس.

ويدل قوله: «**كذلك**» أنه حكم فيهم بحكم الإسلام على ما تقدم.

وتدل على[٥] أنه ملك المشرق.

قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**السدين**» بضم السين و«**سدا**» بفتح السين حيث كان، وقرأ حفص عن عاصم بالفتح فيهما كل القرآن[٦]، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب بالضم[٧] فيها كل القرآن، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو هاهنا: «**بين**

---

(١) ويدل: وقيل، ب، و.
(٢) بما: ما، ب، و.
(٣) ما دعا: ما دعاه، ب، و.
(٤) موضعاً: مبلغاً، ب، و. فوق: مبلغاً. لفظة: موضعاً نسخة.
(٥) على: ـ، ب، و.
(٦) القرآن: القراءة، ز، ل.
(٧) بالضم: الضم، ب.

السدين» و«**سدا**» بفتح السين وفي (يس[١] بضم السين، قال الكسائي: وهما لغتان، وقيل: ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بفتح السين، وما كان من صنع[٢] الله فهو السُّد بضم السين، وجمعه: سدد، عن عكرمة، وأبي عبيدة، وابن الأنباري.

وقرأ حمزة والكسائي والأعمش ويحيى بن وثاب: «**يفقهون**» بضم الياء وكسر القاف على معنى يفهمون غيرهم، وقرأ الباقون بفتح الياء والقاف أي: يفهمون ويعلمون.

وقرأ عاصم: «**يأجوج ومأجوج**» بالهمز، وهو قراءة الأعرج، وقرأ الباقون بغير همز وهما لغتان.

قرأ حمزة والكسائي: «**خراجا**» بالألف، وقرأ الباقون «**خرجا**» فالخراج[٣] اسم لما يخرج[٤] من الفرائض والأموال، والخرج: المصدر، وقال[٥] الأزهري: [الخراج يقع على الضريبة ويقع على مال الفيء، ويقع على الجزية وعلى الغلة][٦] ثم قيل: الخرج الجعل، والخراج الأجرة[٧] [وقيل الخراج ما يؤخذ من الأرض. والخرج ما يؤخذ عن الرقاب، قاله أبو عمرو. وقيل: الخراج ما يؤخذ كل سنة، والخرج ما يؤخذ دفعة، عن ثعلب][٨]، وقيل: الخراج الغلة، والخرج الأجرة[٩]، عن علي بن عيسى.

قرأ ابن كثير: «**ما مكنني**» بنونين على الإظهار، والباقون[١٠] بنون واحدة مشددة على الإدغام.

اللغة

البلوغ: المصير إلى المنتهى، ومنه البلاغة لأنه يصير إلى منتهى البغية[١١].

---

(١) يس: ليس، ز.
(٢) صنع: صنيع، ب.
(٣) فالخراج: فالإخراج، ز، ل، م.
(٤) يخرج: خرج، ز.
(٥) وقال: قال، ب، و.
(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١١/٥٣.
(٧) الأجرة: الأجر، ب، ز، ل، م، و.
(٨) انظر مجمع البيان للطبرسي، ٦/٣٤٦.
(٩) الأجرة: الأجر، ب، ز، ل، م.
(١٠) والباقون: والباقي، ب.
(١١) البغية: البعد، ز، ل، م.

والسد: دفع ما يبقى به الخرق سده يسده سداً، وهو ساد، والشيء مسدود، وانسدّ انسداداً، ومنه السّداد الصواب لأنه انسدّت عنه طرق الخطأ، والسد: الحاجز بين السدين[1] فهو اسم ومصدر، وانسد انسداداً، وسده الله، والسداد داء[2] في الأنف يمنع النسم[3]، والسدة[4]: الباب.

والفقه: فهم المعنى، وقد صار في العرف اسماً لعلم[5] الأحكام.

والردم: ردمك[6] الباب أو الثلمة، ردم موضع كذا يردمه ردماً، والرَّدم بفتح الراء المصدر[7]، وبكسرها[8] الاسم، والردم: السد، والثوب المردوم الخلق المرقع، وقوله[9]:

هل غادر الشعراء من متردم[10]

أي: كلا[11] يلصق بعضه ببعض، ومنه: ردم ثوبه ترديماً: أكثر الرقاع فيه.

ويأجوج ومأجوج: قيل: اسمان[12] موضعان، وقيل: مأخوذ[13] من أجيج النار ضوءها وشررها، شبهوا بها[14] في الكثرة والشدة، وقيل: لو كان منه لكان[15] ينصرف، ولا ينصرف يأجوج ومأجوج، قال رؤبة:

---

(١) السدين: الشيئين، ب، و.
(٢) داء: ـ، ز، ل، م.
(٣) النسم: النسيم، ز.
(٤) والسدة: السدة، ز، ل، م.
(٥) لعلم: العلم، ل، م.
(٦) ردمك: ردومك، ز.
(٧) المصدر: الصدر، ز.
(٨) ويكسرها: وبفتح وبكسرها، ز، ل، م.
(٩) وقوله: ـ، ل، م.
(١٠) البيت قائله عنترة بن شداد في مطلع معلقته وتمامه:
أم هل عرفت الدار بعد توهم
أنظر ديوان عنترة بن شداد.
(١١) كلا: كلام، ب، ل، و.
(١٢) اسمان: اسما، ز، ل، م.
(١٣) مأخوذ: مأجوج، ز.
(١٤) شبهوا بها: شهواتها، ز.
(١٥) لكان: لكن، ب، ز، ل، م، و.

لـو أن يـاجـوج ومـاجـوج مـعـا وعـاد عـادوا[١] واسـتـجـاشـوا[٢] تـبـعـا

فلم يهمز ولم يصرف.

الإعراب

موضع «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» نصب بـ (أن) وخبره: «مُفْسِدُونَ».

«رَدْماً» نصب بـ(جعل).

المعنى

ثم بيّن تعالى حاله بعد مسيره عن المشرق، فقال سبحانه: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ» وصل «بَيْنَ السَّدَّيْنِ» قيل: هما جبلان، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك وجعل الردم بينهما، وقال الكسائي: هما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما[٣] حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم، وقيل: هي بجانب الشمال، وقيل: السد ما بين أرمينية[٤] وأذربيجان[٥]، عن ابن عباس. وقيل: أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم لأنه لو كان هناك سداً لم[٦] يكن لطلبه أولئك السد[٧] معنى، والسد الموضع المسدود لا المنفتح «وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً» أي: خصوا بلغة كادوا[٨] لا يفقهون قولاً[٩] على[١٠] القراءتين.

ومتى قيل: كيف قال: (لا يفقهون) ثم قال: «قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ»؟

---

(١) في تفسير التبيان ٧/ ٩١: عاد.

(٢) واستجاشوا: واستحيا سيراً، ب، ز، ل، م، و. وما أثبتناه من تفسير التبيان للطوسي ٧/ ٩١.

(٣) بينهما: بينهم، ز، ل، م.

(٤) أرمينية: أزمنة، ز.

(٥) وأذربيجان: وأذبيجان، ب، و.

(٦) لم: ـ، ل، م.

(٧) السد: المسد، ل، م.

(٨) يفقهون قولاً أي خصوا بلغة كادوا: ـ، ز، ل، م.

(٩) قولاً: ـ، و.

(١٠) قولاً على: ـ، ب.

قلنا: قال[١] «لا يَكَادُونَ» وكاد يفعل، معناه قرب وكان[٢] قريباً ألا[٣] يفهم، وقيل: لا يفقهون خيراً وشراً وهدى وضلالاً، وقيل: كلم عنهم غيره مترجماً.

«قَالُوا» يعني الذين حضروا السدين «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» قيل: هم ولد يافث بن نوح، عن وهب، ومقاتل. وقيل: هم قوم من الترك، عن الضحاك. وقيل: احتلم آدم فاختلطت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج، فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم، عن كعب. وليس بشيء، وقيل: إنهم يوصفون بصغر الأجسام وقصر القامة، وقيل: بل[٤] يوصفون بعظم الأجسام[٥]، وقيل: منهم[٦] من طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول، لهم مخالب[٧] في الأظفار، وأضراس كأضراس السباع، عن علي (عليه السلام)، وعن النبي ﷺ: «كل واحد منهم . . .[٨] إنه[٩] لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى[١٠] ألف رجل[١١] من صلبه كلهم يحمل السلاح، وهم ثلاثة أصناف: مقدّمهم[١٢] بالشام، وساقيهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة الطبرية»، «مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ» قيل: كانوا يأكلون الناس والدواب، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع[١٣] فلا يدعون شيئاً أخضراً إلا أكلوه، ولا يابساً إلا

---

(١) قال: ـ، ز.
(٢) وكان: فكان، ب، ز، و.
(٣) ألا: لا، ب، ل.
(٤) بل: ـ، ل.
(٥) وقصر القامة . . . الأجسام: ـ، ب.
(٦) منهم: ـ، ل، م.
(٧) مخالب: مخاليب، ل، م.
(٨) بياض في (ز، ل، م).
وقد ورد الحديث عن حذيفة في مجمع البيان في تفسير القرآن م٤/ج١٦/٢٠٧: «يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم . . .» إلخ.
(٩) إنه: ـ، ب، و.
(١٠) إلى: ـ، ل، م.
(١١) رجل: ذكر، ب، ز، و.
(١٢) مقدمهم: مقدمتهم، ب، و.
(١٣) قيل كانوا يأكلون . . . الربيع، ـ، ب.

احتملوه، عن الكلبي. وقيل: معناه مفسدون عند خروجهم، وكانوا يفسدون بالغارة والقتل فلذلك سألوه[1] بالسد، وهو الوجه «**فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً**» أي: جعلاً نخرجه من أموالنا لك «**عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً**» موثقاً لا يقدرون على الخروج منه للفساد، وإنما سألوه ذلك لما علموا أنه نبي وأن المعجز يحصل على يديه، فـ«**قَالَ**» ذو القرنين «**مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**» أي: ما مكن الله لي[2] من الأموال والآلات خير[3]، قيل: ما مكني فيه[4] الله من الآلات و[5] الأموال خير مما عرضتم، وقيل: الثواب الذي وعدني الله على تحمل المشاق خير من الأجرة العاجلة «**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**» قيل: بآلة العمل، وكذلك زبر الحديد والصفر، وقيل: برجال يعينوني بأنفسهم في عمل السد «**أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً**»، عن أبي علي. وقيل: الردم أشد الحجاب، عن ابن عباس[6]. وقيل: السد المتراكب بعضه على بعض.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنهم سألوه السد للمنع من الفساد.

وتدل على أن يأجوج ومأجوج أمة من الأمم، وفيه مسائل:

أولها: هل هم من بني آدم، واتفق المفسرون والعلماء أنهم من بني[7] آدم، ورووا أنهم من ولد يافث بن نوح، وذكر أبو علي أنهم من جنس الترك والصين غير أنهم اعتزلوا في ذلك الموضع لكثرة فسادهم، ولأنه لا يتمكن الناس من محاربتهم[8].

---

(١) سألوه: ـ، ل، م.
(٢) لي: ـ، ل.
(٣) خير: حتى، ل، م.
(٤) فيه: ـ، ب، و.
(٥) الآلات و: ـ، ب، ز، م، و.
(٦) عباس: عيال، ز.
(٧) بني: ولد، و.
(٨) محاربتهم: يجازيهم، ز.

وثانيها: هل هم مكلفون أم لا[١]؟ فقد يحتمل حالهم الوجهين، وقوله: «**مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ**» لا يدل على التكليف لأن البهائم توصف بذلك.

وثالثها: إن كانوا مكلفين هل بلغتهم الدعوة أم لا؟ وكلاهما يحتمل حتى لو قيل لم تبلغهم؛ إذ لا طريق لوصول ذلك إليهم لم يبعد ولو[٢] قيل: الذين[٣] يتناوبون الباب سمعوا خبر النبي ﷺ[٤] لم[٥] يبعد، والله أعلم.

ورابعها: أين هم؟ فقيل: وراء الصين، وقيل: من جانب أرمينية، وقيل: وراء الجزر[٦] والترك.

وخامسها: متى يخرجون؟ وليس في القرآن ما يدل عليه، وأجمعت الأمة ووردت الآثار أنهم إنما يخرجون عند قرب الساعة، فيأكلون ما في الأرض ويهلكهم الله، وقيل: لا يدخلون مكة والمدينة[٧] وبيت المقدس.

وتدل على أن ما يجري مجرى الأمر بالمعروف وإزالة المنكرات لا تؤخذ عليه الأجرة.

وتدل على أنه يجوز للنبي والإمام أن يستعين بغيره.

وتدل على نعمته[٨] بذلك السداد[٩] لأنه[١٠] يؤمن خروجهم وفسادهم في الأرض.

وتدل على أن الفساد فعلهم لذلك بالغ في السد[١١] وذمهم على الفساد.

---

(١) لا: ـ، ل، م.
(٢) لم يبعد ولو: لم يتعذر لو، ز، ل، م.
(٣) الذين: ـ ز، ل، م.
(٤) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، ب، و، ل.
(٥) لم: ولم، ز.
(٦) الجزر: الجون، وكتب فوقها الجزر، ب، و؛ الحور، م.
(٧) والمدينة: المدينة، ز.
(٨) نعمته: نعمه، ل، م.
(٩) السداد: السد، ب.
(١٠) لأنه: لأن، ب، و.
(١١) السد: السداد، ز، ل، م.

قوله تعالى:
﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

❁ القراءة

قرأ حمزة وعاصم[1] في رواية أبي بكر: «**اتوني**» بوصل الألف من غير مد، وقرأ الباقون بقطع الألف ومدها في الحرفين.

في«**الصدفين**» ثلاث قراءات:

الأول: بضم الصاد والدال، ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب.

الثاني[2]: بفتحها، أبو جعفر، ونافع، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي.

الثالث: بضم الصاد وسكون الدال، عاصم في رواية أبي بكر، وكلها لغات صحيحة.

قرأ حمزة: «**فما اسطاعوا**[3]» مشددة الطاء، والباقون خفيفة الطاء، وهو رواية خلاد عن سليمان عن حمزة، قال علي بن عيسى: والتشديد غير جائز عن أهل العلم بالعربية للجمعبين ساكنين.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «**دكاء**» بالمد والهمز، والباقون: «**دكاً**» بالتنوين.

❁ اللغة

الإيتاء: الإعطاء، وهو نقل الشيء إلى آخر، أمرهم بنقل الحديد إليه.

والزبرة: الجملة من الحديد[4] والشعر ونحوهما وأصله: الاجتماع، ومنه: الزبور، وزبرت الكتاب: كتبته [و] جمعت حروفه، وزُبر: جمع زبرة.

(١) حمزة وعاصم: عاصم وحمزة، ل.
(٢) الثاني: والثاني، ب.
(٣) اسطاعوا: استطاعوا، ز.
(٤) من الحديد: ـ، ز.

والصدفان: جبلان، كل واحد منهما معزول[١] عن الآخر، كأنه قد صدف عنه، يقال: صدف عن الشيء إذا أعرض عنه، وامرأة صدوف تصدف عن زوجها، والصدف من الجبل جانبه.

ويقال: أفرغت الماء صببته، وافترغته صببته على نفسك.

والقطر: النحاس، وأصل[٢] القطر كلّ ما أذيب يقطر كما يقطر الماء، [والقطر قطر الماء][٣]، وبعير قاطر لا يزال بوله يقطر.

وفي (استطاع[٤] ثلاث لغات: اسطاع، واستطاع، [واستاع][٥]، وأصل الباب هو الاستطاعة من الطوع، يقال: تطاوع[٦] لهذا الأمر حتى يستطيعه، وتطوّع: تكلف استطاعته [و] في (العين)[٧]: هو طوعه: إذا انقاد له، فإذا مضى لأمره[٨] فقد أطاعه، وإذا وافقه فقد طاوعه.

فأما استطاع يستطيع فهو الأصل، ثم حذف التاء للتخفيف فصار اسطاع.

فأما استاع يستيع بحذف الطاء استثقلوا اجتماعهما، والمخرج واحد، واسطاع أطاع[٩] يطيع، جعلوا السين عوضاً عن ذهاب حركة العين، قال أبو مسلم: وهما[١٠] لغتان، والغالب إثبات التاء وبحذفها[١١] أيضاً.

والدَّك: المصدر، دككت التراب على[١٢] الميت أدكه دكاً إذا أهلته، ودك الرجل إذا دكّه المرض، وناقة دكاء بالمد: لا سنام لها، قال الأزهري: دككته دققته[١٣].

---

(١) معزول: معدول، ب، ل، م، و.
(٢) وأصل: وأصله، ز، ل، م.
(٣) والقطر قطر الماء: ـ، ب.
(٤) استطاع: الاستطاع، ز.
(٥) واستاع: ـ، ز.
(٦) تطاوع: اتطاوع، ب؛ تطوع، ز.
(٧) العين: الغي، ب، ل، و.
(٨) لأمره: أمره، ز.
(٩) أطاع: طاع، ب؛ فهي طا، و.
(١٠) قال أبو مسلم وهما: قال أبو مسلم قال أبو مسلم هما، ز.
(١١) وبحذفها: وحذفها، ب، ز، و.
(١٢) على: ـ، ز.
(١٣) دققته: دفعته، ب، ز، و. رفعته، ل. وما أثبتناه من: تفسير القرطبي ١١/ ٦١.

۞ الإعراب

الهاء في قوله: «يظهروه»، «وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً[1]» يعود إلى الردم لأنه أقرب إليه، قيل: هذا القول، وقيل: هذا السد.

۞ المعنى

ثم بين تعالى كيف بناء السد، فقال سبحانه وتعالى: «آتُونِي[2]» أعطوني «زُبَرَ الْحَدِيدِ» قيل: قطع الحديد، عن ابن عباس، ومجاهد. وقيل: فلق الحديد، عن قتادة. وفي الكلام حذف دل عليه ما بقي وهو أنهم أتوه بذلك[3] فبناه «حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ» جانبي الجبل مما[4] جعل بينهما من زبر الحديد، وقيل: كان يضع الحطب على الحديد والحديد على الحطب، والصدفان، قيل: جبلان، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وإبراهيم. «قَالَ انْفُخُوا» وفيه حذف أي: أرسل عليها النار ثم قال انفخوا، قيل: معناه انفخوا النار[5] على الزبر «حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً» أي: كالنار، عن الأصم. «قَالَ آتُونِي» أعطوني «أُفْرِغْ عَلَيْهِ» أصب، أي: على الحديد «قِطْراً» القطر النحاس، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة. وأراد أن يلزق[6] بعضه ببعض، وقيل: القطر الحديد المذاب، عن أبي عبيدة. وقيل: الرصاص، وقيل: الصفر. «فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ» أي[7]: يعلوه «وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً» في أسفله، عن قتادة. وقيل: السد طريقة سوداء وطريقة حمراء صار النحاس مكان الحطب، فـ«قَالَ» ذو القرنين «هَذَا» السد «رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي» أي: نعمة منه لأني بقوته وإرادته فعلته، وقيل: أراد بالرحمة كفاية شر أولئك[8]، عن الأصم. «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي» قيل:

(١) نقباً: ـ، ز، ل، م.
(٢) آتوني: ـ، ز.
(٣) بذلك: بدكه، ز، م.
(٤) مما: ما، ز.
(٥) النار: ـ، ب، و.
(٦) يلزق: يلف، ب؛ يلق، و.
(٧) أي: أن، م.
(٨) أولئك: هؤلاء، ز.

أشراط الساعة، عن أبي علي. وقيل: وعد خروجهم عن السد، عن[1] أبي مسلم. «جَعَلَهُ دَكَّاءَ» قيل: مستوياً بالأرض، ويصير السد مندك[2] دكاً[3] ملصقاً بالأرض، عن القتيبي. وقيل: مدقوقاً[4]، وقيل: إنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال، عن ابن مسعود في حديث يرفعه. «وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً» لا خلف فيه، ويقال: ارتفاع السد مقدار مائتي ذراع وعرضه نحو[5] خمسين ذراعاً.

ومتى قيل: كيف أشكل[6] موضع[7] يأجوج ومأجوج؟

قلنا: لأنهم في طرف[8] من الأرض ولا طريق إليها، فلا يبعد أن يشكل.

وقيل: على السد باب مقفل وبقربه حصن فيه قوم يحركون الحلقة كل جمعة ليعلم أن هناك حفظة.

وقيل: السد من حديد شبه[9] مصمت.

۞ الأحكام

تدل الآية على نبوته؛ لأن جميع ما فعله يجري مجرى المعجز[10].

وتدل على عظم نعم الله تعالى في السد المانع لهم من الخروج.

ويدل قوله: «فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ» على عظم السد، فجمع بين هايتن

---

(١) عن: من، ز.
(٢) مندك: مدك، ز.
(٣) دكا: مدكوكاً، ب، و.
(٤) مدقوقاً: مدكوكاً، ب، و.
(٥) نحو: ـ، ل، م.
(٦) أشكل: اشتكل، ز.
(٧) موضع: مكان، ب.
(٨) طرف: طرق، ز.
(٩) شبه: ـ، ز، ل، م.
(١٠) المعجز: العجز، ب، ل.

الكلمتين جميع المعاني المقصودة بالسورة[١] لأنه لا يتهيأ لهم علوه ولا نقبه[٢]، عن أبي علي.

وتدل على أنهم يخرجون، ومتى يكون، وكيف يكون وردت به الأخبار، والصحيح أنه من أشراط الساعة، وهو قول أبي علي، ولذلك قال: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾.

وتدل أن عند ذلك يصير السد تراباً.

قوله تعالى:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)﴾

اللغة

الترك: التخلية، والتريكة: بيضة النعام، كأنها تركت بالعراء، وكل بيضة بالعراء تريكة، ومنه: التريكة[٣]، وجمعها: الترائك روضة يغفلها[٤] الناس[٥] فلا يرعونها، فتراك[٦] بمعنى اترك، وتركة الميت يريد به المتروك، والترك ضد الأخذ، والترك لا يجوز على الله تعالى وإنما يجوز على القادر بقدرة، ثم اختلفوا، فقيل[٧]: يخلو من الأخذ والترك، عن أبي هاشم. وقيل: لا يخلو، عن أبي علي.

والموج: اضطراب الماء لما[٨] يتراكب بعضه بعضاً، وأصله الاضطراب، ومنه:

(١) بالسورة: بالسور، ب، و.
(٢) ولا نقبه: ـ، ل، م.
(٣) بيضة النعام... التريكة: ـ، ز.
(٤) يغفلها: لفعلها، ز، ل، م.
(٥) الناس: النا، ز.
(٦) فتراك: فترا، و.
(٧) فقيل: فقيل فقيل، م.
(٨) لما: ـ، ز.

ماج القوم يموجون، وقيل: الموج الاختلاط ودخول بعض الشيء في بعض، عن أبي مسلم.

والنفخ: إخراج الريح من الجوف بالاعتماد، ينفخ[١] نفخاً.

والصور[٢]: جمع صورة، والصور في الحديث شبه قرن ينفخ فيه، والصوَر: الميل بفتح الواو، وصرت الشيء أصوره وأصرته إذا أملته.

والغطاء: ما تغطيت به، وغطيت الشيء تغطية، وكل شيء غشى شيئاً فقد غطاه، وغطى الليل يغطو إذا غشي[٣].

۞ الإعراب

«**جميعاً**» نصب على المصدر وكذلك «**عرضنا**».

«**الذين**» في محل الخبر بدل من (الكافرين).

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى تصديقاً لقول ذي القرنين لما قال: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾، فقال سبحانه: «**وَتَرَكْنَا**» وهو[٤] ابتداء كلام[٥] الله تعالى، وقد تم كلام ذي القرنين قبله، ومعنى[٦] تركنا: خلينا[٧] «**بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ**[٨]» قيل: المراد يأجوج ومأجوج، وقيل: أراد الخلق «**يومئذ**» قيل: عند قرب الساعة وخروج يأجوج ومأجوج، «**يَمُوجُ**» بعضهم «**فِي بَعْضٍ**» أي: مضطربون حيارى[٩]، فحالهم كحال الماء الذي يضطرب بأمواجه،

---

(١) ينفخ: نفخ، ز.
(٢) والصور: الصور، ب، و.
(٣) غشي: غطى، ز، ل، م.
(٤) وهو: هو، ز.
(٥) كلام: لكلام، ز.
(٦) ومعنى: ومعناه، ز، ل، م.
(٧) خلينا: خطينا، ز.
(٨) بعضهم يومئذ: بعضهم يومئذ في بعض، ز.
(٩) حيارى: ـ ، ز، ل، م.

وقيل: إذا جاء الوعد ماجوا على الباب كما يموج الماء واشتدوا، قيل: عند بناء السد ماجوا في أمورهم، عن الأصم. «**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**» قيل: قرن ينفخ فيه، عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري كلهم يرفعونه، وقيل: ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، وقال الحسن: الصور جمع صورة، فيحيون بأن[1] ينفخ في الصور الأرواح، وكذلك قال أبو عبيدة. «**فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً**» أي: جمعنا الخلق للجزاء والحساب يوم القيامة، جمعاً في صعيد[2] واحد «**وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ**» ليروا أهوالها وعذابها، والالتهاب العظيم، والأصوات الهائلة، وضروب العذاب، قال أبو مسلم: رؤية جهنم بعض عذابهم.

ثم وصف الكافرين فقال سبحانه: «**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي**» قيل: كانت أعينهم في غشاء[3] عن ذكري وأدلتي، وقيل: الذكر القرآن، وقيل: الإيمان، وقيل: الأدلة، يعني: عميت أبصارهم عن الأدلة وأسماعهم عن سماع الحق، وأضاف الذكر إلى العين مبالغة[4] في الوصف بالبعض كما يقال: فلان لا يقدر أن يكتحل[5] برؤية فلان «**وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً**» أي[6]: يثقل عليهم استماع[7] كتاب[8] الله تعالى والإيمان به وهو أيضاً مبالغة في الوصف، لأنهم لما تناهوا في النفور عن استماع القرآن وصفوا بأنهم كالأصم لا يسمعون، كقولهم: فلان لا يستطيع أن ينظر إليّ أو يسمع كلامي، عن الأصم، وأبي علي.

(١) بأن: با، م.
(٢) صعيد: صعيداً، ل، م.
(٣) غشاء: غطاء، ب، و.
(٤) مبالغة: بمبالغة، ب، و.
(٥) لا يقدر أن يكتحل: لا يقدر يكتحل أن يكتحل، م.
(٦) أي: أن، ز، ل، م.
(٧) استماع: الاستماع، ز، ل، م.
(٨) كتاب: كلام، ب.

۞ الأحكام

تدل الآية على خروج يأجوج ومأجوج، والنفخ في الصور، وكل ذلك من أشراط[1] الساعة.

وتدل على إثبات المعاد وأنه يجمع[2] بين الخلق ليثيب المثاب ويعاقب المعاقب، وفي الخبر بذلك لطفاً[3] للمكلف.

وتدل على أن الكفار[4] يرون جهنم قبل دخولها ليتعجلوا العذاب والخسران[5] خصوصاً إذا رأوا الجنة للمؤمنين، وكذلك يراه المؤمن فيزداد سروراً، واستدل بعضهم بقوله: «**لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً**» أن الاستطاعة مع الفعل وذلك بعيد؛ لأن السمع ليس[6] بمقدور للعباد[7] أصلاً حتى تثبت فيه قدرة أو تنفى، فلا وجه للآية إلا ما حملناها عليه[8].

قوله تعالى:

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

---

(١) أشراط: شرائط، ز.
(٢) يجمع: جمع، ز، ل، م.
(٣) لطفاً: لطف، ب، ز، و.
(٤) الكفار: الملائكة، ل.
(٥) الغم والحسرات: العذاب والخسران، ز، ل، م.
(٦) ليس: ـ، ز، ل، م.
(٧) للعباد: المعاد، ل، م.
(٨) عليه: ـ، ز، ل، م.

۞ القراءة

قرأ أبو بكر ولم يرفعه إلى عاصم، ويزيد عن يعقوب: «**أفحسب الذين كفروا**» برفع الباء[1] وسكون السين[2] وهي من الأحرف التي خالف فيها أبو بكر عاصماً، وذكر أنه أدخلها من قراءة أمير المؤمنين في قراءة عاصم حتى استخلص قراءته، وقرأ الباقون بكسر السين وفتح الباء. أما[3] الأول فيحتمل[4] أن يراد به المصدر، يقال: حسبت الشيء أحسبه حسباناً وحساباً[5] وحسباً[6]، ويحتمل أن يكون المراد بالحسب الكفاية، يقال: حسبك، أي: كافيك، وعلى هذه القراءة (الذين)[7] في موضع خبر كقولك: أفحسب[8] [9] زيد أي: كفاه. وعلى قراءة العامة: هو فعل ماضٍ (**الذين**)[10] رفع لأنهم الفاعلون.

۞ اللغة

النزل[11]: ما يتهيأ[12] للنزيل[13]، والنزيل: الضعيف، قال الشاعر:

نـزيـل[14] الـقـوم أعـظـمـهـم حـقـوقـاً وحـــق الله فـــي حـــق الـــنـــزيـــل[15]

(١) الباء: الفاء، ز.
(٢) السين: ـ ، ز، ل، م.
(٣) أما: وأما، ب، و.
(٤) فيحتمل: فيحمل، ز، ل، م.
(٥) وحساباً: وحساناً، ب، و.
(٦) وحسباً: ـ ، ز.
(٧) الذين: الذي، ب، ز، ل، م، و.
(٨) أفحسب: أيحسب، ل.
(٩) حسبك أي. . . أفحسب: ـ ، ز.
(١٠) الذين: الذي، م.
(١١) النزل: النزول، م.
(١٢) ما يتهيأ: ما يهيأ، ب، و.
(١٣) للنزيل: للتنزيل، ل.
(١٤) نزيل: يريد، ز، ل، م.
(١٥) النزيل: التنزيل، ل، البيت أنظر لسان العرب، «نزل».

وطعام ذو نزل ونَزَل بفتح النون والزاي أيضاً، أي: ذو[1] فضل.

والحسبان والظن من النظائر.

واللقاء: قرب الشيء من الشيء من غير فصل، والملاقاة والملاصقة نظائر في اللغة.

والهزو والسخرية من النظائر.

الإعراب

يقال: أين جواب «**أفحسب**»؟

قلنا: محذوف، تقديره: أفحسبوا ذلك ولم يعلموا أن الله يعذبهم عليه، وقيل: في الكلام حذف، أي: أفحسبوا أن يتخذوا عبادي أولياء من دوني[2] أن ذلك ينفعهم.

(**الأخسرين أعمالا**) نصب على التمييز.

النزول

قيل: نزل قوله: (**الأخسرين أعمالا**[3]) في الرهبان والقسيسين[4] الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع، عن[5] علي.

وقيل: في اليهود والنصارى، عن سعد[6] بن أبي وقاص، وابن عباس.

وقيل: نزل[7] في أهل حروراء، عن أبي علي[8]. وأنكر الأصم ذلك أشد الإنكار[9]، واستدل بقوله: «**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**[10]» بآيات ربهم أنه لم يرد كفروا مطلقاً وأهل حروراء مسلمين.

---

(١) ذو: ذووا، ز.

(٢) من دوني: ـ، ب، و.

(٣) أعمالاً: ـ، ز، ل، م.

(٤) والقسيسين: والقسلسين، م.

(٥) عن: عن أبي، ب.

(٦) سعد: سعيد، ب، ز، و.

(٧) نزل: نزلت، ل.

(٨) علي: أبي علي. وكتب فوقها: علي ظ، م؛ أبي علي، ز، ل.

(٩) الإنكار: إنكار، ب، و.

(١٠) بآيات ربهم... مطلقاً: +، ب.

قلنا: إن صح ذلك عن علي (عليه السلام) فلا بد من قبوله على أنه يحتمل قوله: «**كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**» لم يرد[1] كفراً[2] مطلقاً، بل أراد جحود بعض آيات ربه، هذا هو طريقة البغاة.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى صفة القيامة، فقال سبحانه: «**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا**» أي: ظنوا، قيل: إنه توبيخ بلفظ الاستفهام، أي: كيف ظنوا ذلك «**أَنْ**[3] **يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ**» قيل: أراد عيسى والملائكة يتخذونهم أولياء ينصرونهم، كلا بل هم أعداؤهم يتبرؤون منهم، وقيل: هم الشياطين يوالونهم ويطيعونهم، عن ابن عباس. وقيل: هم الأصنام، سماها عباداً كقوله: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [**الأعراف: ١٩٤**]، عن مقاتل. «**مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ**» أي: وليا يَلي نصرتهم ويكفون[4] أمورهم[5] «**إِنَّا أَعْتَدْنَا**» هيأنا «**جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً**» قيل: مأوى ومنزلاً، عن الزجاج وغيره. وقيل: طعاماً «**قُلْ**» يا محمد «**هَلْ نُنَبِّئُكُمْ**[6]» أخبركم «**بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**» يعني أنهم توهموا[7] أن عبادتهم لغيره تنفعهم وهم أخسر الناس صفقة[8] «**بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**» أكثر خسراناً على تحملهم لأنهم أتعبوا[9] أنفسهم في أعمالهم ظناً أنهم على شيء، ثم كان عاقبتهم النار، فلا أحد أخسر منهم «**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**[10]» يعني: بطل[11] عملهم[12] فلم يخلصوا منها إلا على الهلاك، وقوله: «**سعيهم**» يحتمل وجهين:

---

(١) يرد: يذكر، ز، ل، م.
(٢) كفرا: كفروا، ب، ل، م، و.
(٣) أن، ـ ز، ل، م، أي، ب، و.
(٤) ويكفون: ويلفون، ز.
(٥) أمورهم: أمرهم، ب، ز، و.
(٦) تنبئكم: أنبئكم، ب، ز، ل، م، و.
(٧) توهموا: توهمون، ز، ل، م.
(٨) صفقة: صفة، ز.
(٩) أتعبوا: اتبعوا، ز، ل، م.
(١٠) الدنيا: ـ ز، ل، م.
(١١) بطل: ظل، ل، م.
(١٢) عملهم: أعمالهم، ز.

أحدهما: سعيهم في الكفر وإبطال الدين، فلم يحصل مرادهم وبطل سعيهم.

والثاني: سعيهم فيما ظنوه[1] طاعة كانت أو[2] معصية، ذكرهما الأصم.

ويحتمل وجهاً آخر وهو: سعيهم في الطاعات، فبطل بسبب[3] كفرهم.

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ أي: يظنون أنهم أحسنوا العمل، ولا شر[4] أعظم من أن يتصور الإنسان أنه محق وهو في الحقيقة مبطل، وهذه صفة المبتدعة والمقلدة الذين اتبعوا أئمة الضلال، فيحسبون أنهم على شيء وعاقبتهم الهلاك.

ثم بيّن تعالى أمرهم[5]، فقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ أي: جحدوا الحجة وبيناته[6] وجزائه، والمراد بلقائه لقاء جزائه[7]، وإنما حسن ذلك لتفخيم شأن الجزاء ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ قيل: بطل جزاء أعمالهم ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ يعني: لا قيمة لهم عند الله ولا كرامة بل يستخف بهم ويعاقب، كما يقال: لا أقيم[8] لفلان وزناً أي: لا أتلقاه بالتعظيم، وقيل: لا نقيم لأعمالهم وزناً لأنها تبطل، عن أبي سعيد الخدري. وقيل: توزن[9] الأشخاص ولا يكون له وزن، روي مرفوعاً.

ومتى قيل: كيف يصح مع عظيم جثثهم أن لا يكون لهم وزن؟

قيل: الثقل اعتمادات لازمة، فإذا بطلت[10] بقيت ولا ثقل لها، ويحتمل أن لا يكون لهم وزناً ينفعهم.

---

(١) ظنوه: طلبوه، ز، ل، م.
(٢) أو: ـ ، ب، و.
(٣) بسبب: سبب، ز.
(٤) ولا شر: ولا شيء، ب، و.
(٥) أمرهم: من هم، ب، و.
(٦) وبيناته: وثوابه، ز، ل، م.
(٧) والمراد بلقائه لقاء جزائه: ـ ، ب، و.
(٨) لا أقيم: لا يقيم، ز.
(٩) توزن: توزر، ب، و.
(١٠) بطلت: بطل، ز، ل، م.

«ذَلِكَ» يعني ما فعل بهم «جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي» أدلتي «وَرُسُلِي هُزُواً» سخرية.

۞ الأحكام

يدل قوله: «أفحسب» على بطلان قول أصحاب المعارف لأنهم وصفوا بالحساب[1].

ويدل قوله: «هل ننبئكم»[2] على وجوب[3] التشدد في طلب الحق ليعلمه فلا يضل سعيه.

وتدل أنه قد يكون عاصياً بفعل لا يعلم أنه معصية.

ويدل قوله: «فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» على تحابط الأعمال.

ويدل قوله: «ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ» أن العقاب[4] جزاء على الأعمال.

ويدل جميع ما في الآية أن الكفر فعل العبد ليصح الجزاء والوعيد.

قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا
يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ
كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «ينفد» بالياء لتقدم الفعل على الجمع، الباقون بالتاء لتأنيث الكلمات.

قراءة العامة: «بمثله مدداً» وعن أبي: «مداداً».

---

(١) يدل قوله... بالحساب: ـ، ل، م.
(٢) ننبئكم: أنبئكم، ب، ز، ل، م، و.
(٣) وجوب: طلب، ز، ل، م.
(٤) العقاب: للعقاب، ب، و.

۞ اللغة

البغية: الطلب[١].

والحول: التحول[٢]، وهو الانتقال من مكان إلى مكان، وقد يكون الانتقال من حال إلى حالٍ ولا[٣] يكون تحولاً[٤].

والبحر واحد، وجمعه: أبحر وبحار وبحور.

ونفد الشيء فني، ينفد نفاداً ونفداً، وأنفد القوم فني زادهم، وخصم منافد وهو الذي[٥] يحتج حتى تنفد حجته.

والكلمة: الواحدة من[٦] الكلام، وجمعها: كلمات، وتسمى القصيدة كلمة[٧].

والمداد: ما يكتب به، والمدد المصدر وهو[٨] مجيء شيء بعد شيء.

۞ الإعراب[٩]

«**بدلاً**[١٠]» نصب على خبر كان.

و«**خالدين**» نصب على الحال أي في حال الخلود.

«**يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ**» أي: فإنما[١١] إلهكم.

---

(١) الطلب: الطلبة، ب، و.
(٢) التحول: التحويل، ز، ل، م.
(٣) ولا: فلا، ب، ل، م، و.
(٤) فلا. وما أثبتناه من (ز).
(٥) الذي: أن، ب، و.
(٦) من: فرد، ب، و.
(٧) كلمة: ـ ل، م.
(٨) وهو: وهي، ز، ل، م.
(٩) أختلفت النسخ في تقديم قسم الإعراب وتأخير في تفسير هذه الآيات وتم وصفه حسب أسلوب المؤلف.
(١٠) بدلاً: نزلا، ب، ز، و.
(١١) فإنما: بإنما، ب، و؛ فإنا، ز.

النزول

قيل: قال اليهود: تزعم يا محمد أنّا قد أوتينا الحكمة[1] وفي كتابك: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ثم يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فكيف يكون هذا؟ فنزل[2] قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ ، عن ابن عباس.

ونزل قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ في جندب بن زهير، كان يصلي ويصوم لقالة الناس ولا يريد وجه الله، فنزلت الآية فيه.

وقيل: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: أحب الجهاد وأحب أن ترى مكاني، فأنزل الله تعالى: ﴿فَمَن[3] كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾[4].

المعنى

ولما تقدم ذكر الوعيد[5] عقبه بذكر الوعد[6] على عادته تعالى في الجمع بين الوعد والوعيد، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» الطاعات «**كَانَتْ لَهُمْ**» قيل: معناه يكون لهم، وقيل: كان لهم في حكم الله وعلمه «**جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ**» الجنة البستان التي فيها الأشجار، والفردوس قيل: أعلى الجنة وأحسنها، ومنها: «تتفجر أنهار الجنة وفوقها العرش» في خبر مرفوع، وقيل: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها، عن قتادة. وقيل: هو البستان الذي فيه الأعناب، عن كعب. وقيل: الجنة البستان الذي يجمع محاسن كل بستان، عن الزجاج. وقيل: الجنة الملتفة بالأشجار، عن الضحاك. قيل: الفردوس[7] الذي تنبت ضروباً من النبات وتجمع

(١) أنا قد أوتينا الحكمة: أنك أوتيت الحكم، ب، ز، ل، م، و. وما أثبتناه من: تفسير السراج المنير: ١/ ٢٣١٥.

(٢) فنزل: نزل، ل، م، أنزل، ز.

(٣) فمن: من، ز، ل.

(٤) كان يرجوا لقاء ربه: ـ ، ز.

(٥) الوعيد: الوعد، ز.

(٦) الوعد: الوعيد، ز.

(٧) الفردوس: ـ ، ز، ل، م.

الزهر والثمر، وجمعه: فرادس[1] «نُزُلاً» قيل: منزلاً، وقيل: قرى، عن أبي مسلم. وقيل: دار[2] نزول «خَالِدِينَ فِيهَا» دائمين «لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً» تحويلاً إلى مكان آخر، قيل: إن كل أحد من أهل الجنة يقول: ليس أحد أعطي مثل ما أعطيت، عن أنس. «قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً» البحر اسم لجنس[3] البحار، «مداداً» قيل: هو مداد القلم، عن مجاهد. «لِكَلِمَاتِ رَبِّي» قيل: لكلامه وما في مقدوره من ذلك، وقيل: المراد الحكم والأمثال، وقيل: أفعاله[4] ما خلق ويخلق كما خلق[5] في عيسى وكلمته[6]، وقيل: علمه، وليس بالوجه لأن كل ذلك عدول عن الظاهر، وقيل: أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب وأوعد لأهل العقاب، عن أبي مسلم. «لَنَفِدَ الْبَحْرُ» أي[7]: ماء البحر «قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي» قيل: مقدوراته وحكمه وعجائبه، وقيل: فوائد كلامه «وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً» أي: بمثل البحر مدداً أي: عوناً وزيادة «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ» قيل: علمه[8] التواضع لربه وأنه متفرد بالعبودية ومنعم عليه بالوحي، ومما علمه «يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» لا شريك له في الإلهية «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا» قيل[9]: يأمل، عن الأصم، وأبي علي. وقيل: يخاف، وأنكر الأصم الرجاء بمعنى الخوف «لِقَاءَ رَبِّهِ» قيل: لقاء جزائه وما وعد الله المؤمنين على التوحيد والتمسك بالشريعة، وقيل: من[10] كان يخاف الله أن يراه على معصية[11]، والرجاء يتضمن معنى[12] الخوف والأمل، قال الشاعر[13]:

(١) فرادس: فراديس، ب، و.
(٢) دار: ذات، ب، و.
(٣) لجنس: لا بجنس، ل، م.
(٤) أفعاله: أفعالهم، ب؛ أمثاله، ز.
(٥) خلق: يخلق، ل، م.
(٦) وكلمته: وكلماته، ل.
(٧) أي: ـ ، ل، م.
(٨) علمني: ـ ، ز، و، ل، و.
(٩) قيل: ـ ، ل، م.
(١٠) من: فمن، ب، و.
(١١) معصية: معصيته، ب، ز، و.
(١٢) معنى: معنيين، ز.
(١٣) الشاعر: ـ ، ب، و.

فلا كل[1] ما ترجو من الخير كائن ... ولا كل ما ترجو من الشر واقع

«**فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً**» قيل: خالصاً، وقيل: العمل الصالح ما وافق الشرع وأمر الله «**وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**» قيل: لا يرائي بعبادته لله، عن سعيد بن جبير. وقيل: لا يعبد[2] معه، عن الحسن. وقيل: «الرياء الشرك الأصغر»، في خبر مرفوع.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: لما تقدم الأمر والنهي والوعد والوعيد بين أن مقدوراته لا تتناهى، وأنه قادر على ما يشاء، ويفعل بحسب المصلحة ويأمر بحسبها، فيجب على المكلف أن يمتثل أمره ولا يتعداه، ويثق بوعده ووعيده.

وقيل: لما أخبر بما تقدم من الأخبار بيّن أنها من وحي، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ[3] ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية أن الجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح خلاف قول المرجية.

وتدل على خلود الجنة خلاف قول جهم.

ويدل قوله: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي[4]﴾ «الآية على حدوث كلامه لكونه أشياء لا تتناهى، وتكون مدداً[5] له[6].

ويدل قوله: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**» أن الرسول تبين من غيره بالوحي والمعجز، فيبطل قول من يقول بجواز نبي لا وحي ولا معجز معه.

---

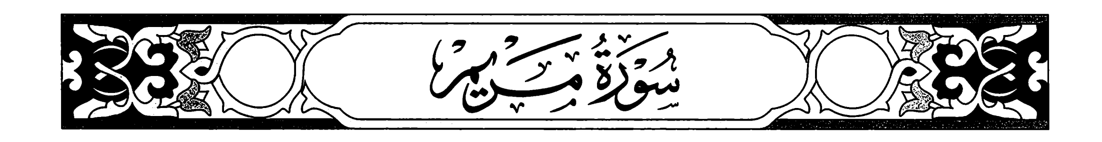
(١) كل: يك، ز.
(٢) لا يعبد: لا يعتقد، ز، ل، م.
(٣) وعملوا: ـ ، ز.
(٤) ربي: +، ز.
(٥) مدداً: مدد، ب، و.
(٦) له: ـ ، ل، م.

ويدل قوله: «**قُل. . . أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ**» أن أول ما يدعو إليه الرسول التوحيد والشرائع[١].

وتدل على وجوب الإخلاص.

وتدل على[٢] أن العمل الصالح فعل[٣] العبد ليس بخلق الله تعالى.

(١) والشرائع: ثم الشرائع، ب، و.
(٢) على: ـ، ب، ز، و.
(٣) فعل: عمل، ب.



سورة (مريم) عليها السلام[1] ثمان وتسعون آية.

قيل: كلها مكية، عن ابن عباس، وقتادة، والأصم وقال[2]: أجمعوا أنها مكية.

وروى أَبَيٍّ بن كعب عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق الأنبياء وكذب».

ولما ختم السورة المتقدمة بذكر التوحيد والدعاء إليه افتتح هذه السورة بذكر الأنبياء الذين كانوا على تلك الطريقة حثاً على الاقتداء بهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾

---

(١) عليه السلام: ـ ،ز، ل، م.

(٢) وقال: قال، ز، ل، م.

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وكسر الياء، وقرأ[1] ابن كثير وعاصم وأبو جعفر ونافع ويعقوب بفتحها، وقرأ الكسائي بكسرهما، وروي نحوه عن أبي عمرو.

واختلفوا في الدال عند الذال في قوله: ﴿ص[2] ذكر رحمة ربك﴾، فمنهم من يظهره وهو مذهب نافع وعاصم وابن كثير ويعقوب، ومنهم من أدغم وهو مذهب أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي، وقرأ أبو جعفر بقطع الحروف.

وقرأ أبو عمرو والكسائي[3]، ويحيى بن وثاب: «**يرثْني ويرثْ**» بجزم الثاء على جواب الدعاء، والباقون بالرفع على صفة المولى، وقيل: على الحال والصفة أي: ولياً وارثاً، وقرأ ابن عباس ويحيى بن يعمر[4] «يرثُني ويرثُ» بضم الثاء يعني يرث النبوة، وقد بينا الاختلاف في «**زكريا**» في (آل عمران) و«**زكريا**» بالنصب قراءة القراء، وعن بعضهم بالرفع على أن الفعل له.

قراءة العامة: «**خِفْتُ**» بكسر الخاء من الخوف، وعن عثمان ويحيى بن يعمر: «**خَفَتِ**»[5] بفتح الخاء والفاء مشددة وكسر التاء بمعنى ذهب الموالي.

۞ اللغة

العبد: المملوك من جنس ما يعقل، وجمعه: أَعْبُدٌ وعِبادٌ وعَبِيدٌ.

والنداء: الدعاء[6] بطريقة: يا فلان.

والوهن: الضعف، وهو نقصان القوة، وَهَنَ يَهِنُ وَهَنًا إذا ضعف[7].

---

(١) وقرأ: وقال، ب، و.
(٢) ص: صاد، ب، ز، ل، م.
(٣) والكسائي: والكسائي ويحيى بن يعمر، ب، و.
(٤) ويحيى بن يعمر: ويحيى بن نعمان، ز، ل، م.
(٥) عثمان ويحيى بن يعمر خفت: ـ ، م؛ ابن نعمان، ز، ل.
(٦) والنداء الدعاء: الدعاء النداء، و.
(٧) إذا ضعف: ـ ، ز.

والاشتعال: انتشار شعاع النار، ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ من أحسن الاستعارة؛ لأنه[1] ينتشر فيه الشيب كما ينتشر شعاع النار.

والدعاء: طلب الفعل من المدعو ومقابِلَةُ: الإجابة، كما يقابِلُ الأمرَ الطاعةُ، دعا يدعو دعاءً.

والمولى[2]: أصله الولي، وسمي ابن العم مولى؛ لأنه يليه في النسب بعد الصلب، والمولى: ابن العم، والمولى: الناصر والمعين والمعتق.

والعاقر: التي لا تلد، امرأة عاقر ورجل عاقر لا يولد له، والعقر في البدن الجرح، ومنه أخذ العاقر؛ لأنه نقص أصل الخلقة، وعقرتُ الفرس بالسيف ضربت قوائمه، وعَقَرْت بي[3]: أطلت حبسي، كأنك عقرت ناقتي فلا أقدر على المسير.

والميراث: تركة الميت، وَرِثَ يَرِثُ إرثاً وميراثاً، وتوارثوا توارثاً، وَوَرَّثْتُهُ توريثاً، وأَوْرَثَهُ[4] علماً ومالاً.

والآل[5]: خاصة الرجل الذي يؤول[6] أمُرهم إليه لقرابةٍ[7] كآل الرجل، وللعصبة[8] كآل فرعون، وللموافقة[9] في الدين كآل النبي ﷺ.

(زكريا) فيه ثلاث لغات: زكرياء بالمد، وزكريا مقصور، وزَكَرِيٌّ[10].

۞ الإعراب

«ذِكْرُ» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف تقديره: مثل هذا ذكر، وقيل: فيما يتلى

(١) لأنه: لا، ل.
(٢) والمولى: الموالي، ل.
(٣) وعقرت بي: عقرت بي، ز، و؛ عقرت لي، ل.
(٤) وأورثه: وأورثته، ب، ز، و.
(٥) والآل: والأول، ز، ل، م.
(٦) يؤول: يولى، ل.
(٧) لقرابة: لرابه، و.
(٨) وللعصبة: المبالغة، ز؛ كلمة غير واضحة، ل.
(٩) وللموافقة: والموافقة، ز، ل، م.
(١٠) وزكري: زكري، ب؛ وزكريا، ز.

عليكم ذِكْرُ، وقيل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ خبر تقديره: سورة كهيعص [فيها] ذكر، وقيل: «**ذكر**»[1] ابتداء وتقديره: ذكر ربك رحمة منه.

﴿عَبْدَهُۥ﴾ نصب بـ«**رحمة**».

و ﴿زَكَرِيَّآ﴾ في موضع نصب؛ لأنه بدل من ﴿عَبْدَهُۥ﴾.

﴿نِدَآءً﴾ نصب لأنه مفعول .﴿خَفِيًّا﴾ نعت له.

وفي نصب: «**شَيْباً**» وجهان:

أولهما[2]: المصدر، كأنه قال: شاب شيباً.

الثاني: التمييز.

«**شقيا**[3]» خبر (كان)، وكذلك «**عاقراً**».

المعنى

«**كهيعص**» قيل: اسم للسورة، عن الحسن، وأبي علي، والأصم. وقيل: إشارة إلى أن القرآن مؤلف من هذه الحروف، فإذا عجزتم عن مثلها وأنتم تتكلمون بمثل هذه الحروف فاعلموا أنها[4] معجز، عن أبي مسلم. وقيل: اسم من أسماء الله تعالى، عن ابن عباس. وعن علي قال: (يا كهيعص)، قال الأصم: أجمعت الأمة أنه ليس من أسمائه، فإما ألاّ[5] يصح عن علي، أو يحمل[6] على أنه قال: يا رب كهيعص، والصحيح عن ابن عباس أن كل حرف منها مفتاح[7] اسم من أسمائه، ويروى[8] ذلك

(١) وقيل ذكر: ـ ب، ز، ل، م.
(٢) أولهما: أقلهما، ب.
(٣) شقيا: وشقيا، ب، و.
(٤) أنها: أنه، ب، و.
(٥) فإما ألاّ: فإما، ل.
(٦) أو يحمل: أو تحمل، ز.
(٧) مفتاح: ـ ، ز، ل، م.
(٨) ويروى: ويروا، ب.

عن جماعة من المفسرين، فالكاف[1] من: كافٍ، وكريم[2]، وكبير، والهاء من: هاد، والياء من: رحيم، وحكيم[3]، والعين من: عليم، وعظيم[4]، والصاد من: صادق، وقيل: كاف[5]: كلفهم[6]، وهاء: هداهم، وياء: يده فوق أيديهم يجازيهم، وعين: عالم بأفعالهم، وصاد: صادق في وعده ووعيده فيهم، عن الكلبي. وقد بينا ما قيل فيه أن الأَوْلى في ذلك هذه الثلاثة الأقوال[7] التي ذكرناها.

﴿**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾ قيل: معناه ذكر ربك عبده زكريا رحمة منه[8] عليه، وإنما قدم (رحمة) لأن الذِّكْر سبب الرحمة، وقدم ذكر السبب على المسبب، وقيل: ذكر لمحمد وأمته أخبار زكريا ليعلموا شأنه رحمة منه عليهم، والرحمة[9] النعمة، وقيل: زكريا نفسه رحمة من الله على المؤمنين من حيث دعاهم واقتدوا به ﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ**﴾ أي: دعاه في محرابه ﴿**نِدَاءً خَفِيًّا**﴾ سراً، عن ابن جريج. قيل: أخفاه[10] عن قومه ليكون أبعد من الرياء وأفضل، فيكون أقرب إلى الإجابة، وقيل: أخفاه لأنه شيخ كبير يسأل الولد؛ لئلا ينسب إلى الخَرَفِ وقلة العقل، وقيل: أخفاه ليكون أبلغ في التضرع.

ثم بيّن دعاءه فقال سبحانه: ﴿**قَالَ**﴾ يعني زكريا يا[11] ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي**﴾ أي: ضعف ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ أي[12]: عَمَّهُ الشَّيْبُ، عن أبي مسلم. وفي ذلك

---

(١) فالكاف: قال كاف، ب.

(٢) وكريم: وكريم. وقبلها كلمة غير واضحة لعلها: بين، ب، ل.

(٣) وحكيم: حكيم، ز.

(٤) عليم وعظيم: من عظيم وعليم، ب، و.

(٥) كاف: كان، ز.

(٦) كاف كلفهم: كاف من كفاهم، ب.

(٧) الأقوال: ـ ، ب، و.

(٨) منه: ـ ، ب.

(٩) والرحمة: والرحمة والرحمة، و.

(١٠) أخفاه: أخفى، ب، و.

(١١) يا: ـ ، ب.

(١٢) أي: قيل، ب، و.

قرب الموت؛ تلألأ الشيب في رأسي لكثرته، عن ابن الأنباري. وقيل: وصف حاله خضوعاً وتذللاً لا تعريفاً «وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا» قيل: عودتني إجابة دعائي فيما مضى وما خيبتني، فأجبني إذْ دعوتك، ويقال لمن حُرِمَ شيئاً: شَقِيَ[١] به، وقيل: لا يشقى العبد بدعائه إذا كان صلاحه في الإجابة أجيب، وإن كان صلاحه في غيره ضمن له خيراً مما دعا به[٢]، إما معجلاً وإما مؤجلاً، فلا يخيب الله أحداً أبداً «وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ[٣]» أي: خشيت على الدين أن[٤] يبدلوه ويغيروه[٥]، وقيل: أن يرث علمي من لا يكون من نسلي، وقيل: أخاف على الدين؛ إذ ليس لي عقب يقوم بحفظه[٦]، وقيل: أخاف ألاّ يقوموا بنصرة الدين معي كما قاموا بنصرة الدنيا «الْمَوَالِيَ» قيل: الكلالة، عن ابن عباس. وقيل: العصبة، عن مجاهد، وأبي صالح، والسدي. وقيل: بنو العم، وخاف[٧] على الدين منهم؛ لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل، عن أبي علي. وقيل: الورثة، عن الكلبي. وقيل: أراد شيعته ومحبيه، من الموالاة[٨]، خاف ألا يقوموا به بعده «مِنْ[٩] وَرَائِي» خلفي «وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا» لا تلد «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ» أي: أعطني من عندك «وَلِيًّا» أي: ولداً يكون لي ناصراً على القيام بحفظ الدين في حياتي «يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» العلم والنبوة والدين، عن أبي صالح. وقيل: يرثني ويرثهم النبوة والعلم[١٠]، عن الحسن، ومجاهد، والسدي. واختلفوا، فقيل: يعقوب هذا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقيل: هو أخو[١١] زكريا، عن الكلبي،

(١) لمن حرم شيئاً شقي: لمن حرم شقي ليشقى، م.
(٢) مما دعا به: ـ ، ب، ل، م، و.
(٣) الموالي: ـ ، ب، ز، ل، م.
(٤) أن: ـ ، ز، ل، م.
(٥) يبدلوه ويغيروه: يبدلوه أو يغيروه، ب؛ يبدلونه ويفترونه، م.
(٦) أخاف على الدين إذ ليس لي عقب يقوم بحفظه: مكرر في (ل).
(٧) وخاف: أخاف، ز.
(٨) الموالاة: الموادة، ل؛ المولاة، م.
(٩) من: ومن، ب.
(١٠) والدين عن أبي صالح وقيل يرثني يرثهم النبوة والعلم: ـ ، ب.
(١١) أخو: أخ، ب، ز، و.

والأول الوجه. وإنما ذهب إلى ذلك لأن[1] يحيى[2] يرث[3] جميع آل يعقوب، وإذا حملناه على العلم والنبوة صح المعنى، ولا يصح حمله على ميراث المال؛ لقوله ﷺ وسلم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»، وقد ورد الكتاب بتوريث العلم فقد قال[4] تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ[5] ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا[6]﴾ [فاطر: ٣٢] والمراد[7] علم الكتاب والإرث: أن يقوم مقامه في ذلك، كما روي: «العلماء ورثة الأنبياء[8]»، ولأن اهتمام زكريا لأجل الدين ولا يجوز أن يكون لأجل الدنيا، ولأنه إذا جعل الله تعالى ماله لبني عمه لا يجوز أن يتأسف عليه، وكان من[9] همته إحياء الدين؛ لأن[10] وراثة المال لا تتعلق بكونه مرضياً، فسؤاله الرضى لذلك[11] يدل على ما قلنا. «وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» قيل: الْطُفْ له[12] حتى يصير مرضياً صالحاً، وقيل: اجعله نبياً كما جعلت أباه نبياً، عن أبي صالح.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ على حدث الذكر من حيث بيّن أنها من هذه الحروف.

ويدل قوله: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ أن أفضل الدعاء ما هذا حاله، وروي: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي»، ولأنه أبعد عن الرياء.

---

(١) لأن: أن، ز، ل.
(٢) يحيى: يحق، ز.
(٣) ذلك لأن يحيى يرث: ذلك أظنه أن يحيى لا يرث، ب، و.
(٤) فقد قال: فقال، و.
(٥) الذين: ـ ، ز، ل.
(٦) من عبادنا: ـ ، ب، و.
(٧) والمراد: المراد، ب.
(٨) الأنبياء: ـ ، ل.
(٩) من: ـ ، م.
(١٠) لأن: ولأن، ل، م.
(١١) لذلك: ـ، ب.
(١٢) له: لي، ز، ل، و.

ويدل ما قال على[1] أن المستحب في مقدمة الدعاء ذكر نعمه، والتضرع، والخضوع.

ويدل قوله ﴿وَلَمْ أَكُنْ﴾ على إظهار عادات فضله على عباده[2].

ويدل قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ أن رفع الحاجة قد[3] يكون[4] لخوف فساد الدين.

وتدل على جواز ولادة الكبيرة[5] العاقر خلاف قول الطبائعية؛ وذلك أن الولد خَلْقُ الله تعالى، والمرأة[6] محل الولد فلا يختلف بالكبيرة، إلا أنه أجرى العادة بأن الكبيرة لا تلد، وفي[7] زمن الأنبياء نقض العادة معجزة لهم يجوز[8].

وتدل على أنه سأل الولد اهتماماً للدين لا للمال؛ لأنه الأليق بطريقته[9]، ولأنه لا يرث آل يعقوب.

وتدل على جواز سؤال الولد[10].

وتدل على أن الفساد فِعْلُ العبد؛ إذ لو كان خلقاً لله تعالى لكان الخوف منه لا من مواليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[11].

ومتى قيل: لِمَ كان النبي لا يورث بخلاف غيره؟

قلنا: الله تعالى أعلم بالمصالح، وهو وضع الميراث لما رأى من المصلحة،

---

(١) على: ـ، ب، ز، ل، م.
(٢) عباده: عباد، ز.
(٣) قد: ـ، ب، ل، م.
(٤) يكون: تكون، ب، ل، م.
(٥) الكبيرة: الكبير، ز، ل.
(٦) والمرأة: والمرة، م.
(٧) الكبيرة لا تلد وفي: الكبير لا يلد في، ب.
(٨) يجوز: ـ، ل، م.
(٩) بطريقته: بطريقة، ز.
(١٠) اهتماماً للدين... سؤال الولد: ـ، ل.
(١١) علواً كبيراً: ـ، ب، ز، و.

فيرث ابن الأخ دون ابنته[١]، ويرث العم دون العمة، وَوَرَّث[٢] الابن ضعف[٣] ما ورث الابنة، وجعل لكل واحد سهما.

وقيل: لتكون[٤] أموالهم في[٥] مواريثهم وثوابه لهم.

وقيل: لئلا تنقطع أعمالهم بموتهم.

قوله تعالى:

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**عِتِيًّا**»، و«**صِلِيًّا**» و«**جِثِيًّا**»، و«**بُكِيًّا**» بكسرالعين والصاد والجيم[٦] والباء، وقرأ حَفْص عن عاصم: «**بُكيا**» بضم الباء، والباقي[٧] بالكسر، وقرأ الباقون جميعاً[٨] بالضم، وهما لغتان.

قراءة[٩] حمزة والكسائي: «**خلقناك**» بالنون للتفخيم، والباقون بالتاء.

---

(١) ابنته: ابنيه، م.
(٢) وورث: ويرث، ز.
(٣) ضعف: ضعيف، ل، م.
(٤) لتكون: ليكون، ز.
(٥) في: ـ، ز.
(٦) والجيم: والحرم، و.
(٧) والباقي: والثاني، ز، ل، م.
(٨) جميعاً: جميعهم، ب، و.
(٩) قراءة: قرأ، ل.

اللغة

البشارة: الإخبار بما يظهر سروره[1] في بَشَرَة الوجه، يُبَشِّرُهُ بشارة وتبشيراً[2].

والغلام: الإنسان الذكر في ابتداء شهوته للجماع، ومنه: احتلم إذا اشتدت[3] شهوته للجماع، ثم يستعمل في التلميذ، فيقال: غلام يغلب.

والعَتي والعشي[4] بمعنى، عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا وعُتِيًّا[5] فهو عات. وعَشا يَعْشُو عَشْوًا فهو عاشٍ، والعاشي هو الذي غيره طول الزمان إلى حال البؤس، وليل عاتٍ طويل، وقيل: شديد الظلمة.

والمحراب: أشرف[6] الأمكنة، وأصله: مجالس الملوك والأشراف الذي يحارب دونه ذباً عنه.

والإيحاء: إلقاء المعنى إلى النفس في خفية بسرعة، وأصله: السرعة، ومنه: الوَحاءُ[7] أي: الإسراع.

الإعراب

«يا زكريا» رفع لأنه نداء مفرد، وفي الكلام حذف أي: فاستجاب له وناداه يا زكريا.

«سميا» نصب بـ**(لم[8] نجعل)**. و**«عتيا»** نصب على التمييز. و**(لم يك)** أصله: لم يكن حذف النون علامة للجزم.

«عاقراً» خبر (كان)، وقال: **«عاقراً»** ولم يقل (عاقرة)؛ لأن ما كان على فاعل من

---

(١) سروره: شوره، م؛ شور، ز.
(٢) وتبشيراً: وتبشير، ل، م.
(٣) اشتدت: اشتد، ل.
(٤) والعتي والعشي: والعشي والعتي: ز.
(٥) وعتياً: وعتا، ب، ـ ، ز، م، و.
(٦) أشرف: أسر من، ل، م.
(٧) الوحاء: ـ ، ز، ل، م.
(٨) لم: فلم، ل.

صفة المؤنث[١] ما لم يكن للمذكر فإنه لا تدخل فيه الهاء نحو: امرأة عاقر وحائض.

وذكر الخليل[٢] أن هذه صفات مذكر وصف بها المؤنث كما وصفوا المذكر بالمؤنث حتى قالوا: رجل نُكَحَةٌ[٣]، ورَبْعَةٌ، وغلام يَفَعَةٌ، وعَتِيٌّ فُعُولٌ[٤] لأن فاعلاً يجمع على فعول فَعَاتٍ[٥] وعُتُوٌّ نحو قاعد وقعود إلا أن هذا من بنات الواو وأصله عُتُوٌّ قلبت الواو ياء، وهكذا يفعل بهذا الباب، يقال: جاث وجثي، ومن كسر أوله فلانكسار ما بعده، ومن ضمه فعلى الأصل.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى أنه أجاب دعاء زكريا، فقال سبحانه: «**يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ**» أي: نخبرك بخبر[٦] «**بغلام**» وَلَدٍ ذكر «**اسْمُهُ يَحْيَى**[٧]» يعني سماه يحيى، قيل: بشره بالولد، وأنه يحيا ولا يموت صغيراً، وقيل[٨]: سماه يحيى ليدل على أن الدين يحيا به؛ لأنه سأله لأجل الدين، وقيل: لأنه حيي به رحم أمه[٩]، وقيل: لأنه لم يذنب قط والله تعالى سمى المطيع حياً والعاصي ميتاً فقال ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [**الأنعام**: ١٢٢]، وقال: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [**الأنفال**: ٢٤]،وقيل: سماه يحيى[١٠] لأنه يُقْتَلُ شهيداً والشهيد عند الله حي لقوله: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [**آل عمران**: ١٦٩]، «**لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**» قيل: لم يُسَمَّ قبله أحد قبل خلقه، وإنما سمي بعد الولادة، وقيل: لم نجعل له سمياً أي: نظيراً، وقيل: لم تلد العواقر مثله ولداً، عن

---

(١) المؤنث: الميت، ل.
(٢) الخليل: الخيل، ز، ل، م.
(٣) نكحة: نعجة، ز، ل، م.
(٤) فعول: ـ ، ل، م.
(٥) فعات: فعاتي، ب، و.
(٦) أي نخبرك بخبر: ـ ، ل.
(٧) ذكر اسمه يحيى: ـ ، ل.
(٨) ولد ذكر اسمه يحيى. . . وقيل: ـ ، ز.
(٩) حيي به رحم أمه: حيي به رحمة الله، ب، ز، ل، م.
(١٠) يحيى: حياً، ز، ل، م.

ابن عباس. وقيل: لم نجعل له من قبل مثلاً، عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء. يعني أنه لم يعص ولم يَهُمَّ، وقيل: لم نسم أحدًا من الأنبياء قبله[1] يحيى، وقيل: لم يسم قبله باسمه، عن قتادة، والسدي، وابن جريج، وابن زيد، والكلبي، ورواية[2] عكرمة عن ابن عباس[3]، فالله أكرمه وسماه خير اسم[4]، وقيل: لم يكن له[5] ميل في أمر النساء؛ لأنه[6] كان سيداً وحصوراً، وليس بالوجه.

ومتى قيل: لم بشرها؟ في[7]: قوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ؟ وهل كان قبله من هو أفضل منه؟

قلنا: نقطع أنه كان بعده من هو أفضل منه[8] وهو محمد ﷺ، وقيل: لم يرد تعالى جميع الفضائل وإنما أراد بفضله[9] في بعضه؛ لأنه[10] قبله من الأنبياء من هو مثله وأفضل منه، وإذا حمل على أنه خصه بهذا الاسم فلا سؤال.

«**قَالَ**[11] **رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ**» أي: كيف يكون لي ولد، قيل: هذا تعجب[12] وليس بإنكار، وقيل: استحقار لتلك الحالة [على جهة الاستخبار] أم بتغير الأحوال ببقائهما شائبين، قاله الحسن، والأصم. وقيل: قال ذلك تعظيماً لهبة الله وعظمته[13]، قيل: أراد أن يبين أن رباً يفعل مثل هذا فهو كثير الإحسان، وقيل: قاله سروراً كمن يبشر بشيء يسره فيقول: كيف يكون هذا، «**وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ**» وفي

---

(١) أحداً من الأنبياء قبله: أحد قبله من الأنبياء، ب.
(٢) ورواية: ورواه، ب، و.
(٣) ابن عباس: عبد الله بن عباس، ب، و.
(٤) اسم: اسمه، ز، ل، م.
(٥) له: ـ، ز، ل، م.
(٦) لأنه: ولأنه، ب، و.
(٧) في: قيل في، ب، ز، و.
(٨) قلنا نقطع أنه كان بعده من هو أفضل منه: ـ، ب.
(٩) بفضله: تفضله، ل.
(١٠) بفضله في بعضه لأنه: تفضيله في بعضها لأنه، ب، و.
(١١) قال: قال يا، ز.
(١٢) هذا تعجب: هو تعجيب، ب، ز، و.
(١٣) وعظمته: وعطيته، ز، ل، م.

مواضع أخر: ﴿بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠]؛ لأن ما بلغك فقد بلغته، يعني كبرت وشبت «عِتِيًّا» قيل: خرجت بكبر سني عن[١] حد من يولد له، عن أبي مسلم. وقيل: عمراً طويلاً وقد صرت من الدم يبساً، قيل: كان له بضع وتسعون[٢] سنة، عن قتادة[٣] «قَالَ» يحتمل أن تكون الملائكة قالت ذلك لزكريا، ويحتمل أنه تعالى قال ذلك، والأول أظهر.

ومتى قيل: كيف قالوا: «قَالَ رَبُّكَ»؟

قلنا: يحتمل أنهم لما سمعوا البشارة تعجبوا من وَلَدٍ[٤] من شيخين، فقال الله[٥] تعالى: «هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ»، فقالت الملائكة ذلك، أي[٦] يا زكريا «كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ» قيل: كذا ينشئ[٧]، وقيل: على الحالة التي أنتما عليها قال الله ذلك «هُوَ[٨] عَلَيَّ هَيِّنٌ» أي: سهل «وَقَدْ خَلَقْتُكَ» يا زكريا «مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا» قيل: لم تك شيئاً مذكوراً، حيا كما أنت الآن. وقيل[٩]: كنت معدوماً لا تعبد ربك، فكأنك[١٠] لم تك شيئاً، وقيل: لم تكن شيئاً[١١] موجوداً فأوجدتك «قَالَ» زكريا يا «رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً» أي: علامة[١٢] للحمل، قيل: أراد أن يعلم وقت الحمل[١٣] ليتعجل السرور بالولد وبإجابة دعائه «قَالَ آيَتُكَ» علامتك «أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا» قيل: لا يمكنك أن تكلم الناس وأنت سوي سليم، فـ(سويا) من صفة زكريا، عن أكثر المفسرين. وقيل: من

---

(١) عن: من، ل، م.
(٢) وتسعون: وستون، ز، ل، م.
(٣) عن قتادة: ـ، ل، م.
(٤) ولد: الولد، ب، و.
(٥) الله: ـ، ب، و.
(٦) أي: أن، ب، و.
(٧) ينشئ: كلمة غير واضحة، م.
(٨) هو: ـ، ب، و.
(٩) وقيل: وقد، ز.
(١٠) فكأنك: وكأنك، ب، و.
(١١) شيئاً: ـ، ز، ل، م.
(١٢) علامة: آية، ز.
(١٣) وقت الحمل: ـ، ب.

صفة الليالي أي: ثلاث ليال متتابعات، عن ابن عباس. وقيل: من غير خرس، عن قتادة، والسدي، وابن زيد. وقيل: كان لا يمكنه أن[1] يكلم[2] الناس ويتكلم[3] بالقراءة والتسبيح.

ومتى قيل: كيف يصح ذلك والحروف متماثلة؟

قلنا: يجوز أن يُمنعَ[4] عن أحدهما ولا يُمنعَ[5] من[6] الآخر.

«**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ**» وكان قومه يتوقعون خروجه، فخرج قبل الصلاة، وقيل: كان أخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا إجابة دعائه فسروا به «**مِنَ الْمِحْرَابِ**» موضع صلاته، عن ابن زيد. «**فَأَوْحَى**[7] **إِلَيْهِمْ**» قيل: أشار إليهم بيده، وقيل: بالكتاب، وقيل: كتب على الأرض، وقيل: برمز مخصوص «**أَنْ**[8] **سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**» قيل: أراد الدوام، أي: الزموا ذكره، وقيل: أراد هذين الوقتين، عن الأصم، وأبي[9] علي. وهو الغداة[10] والعشي، وقيل: كان هذا الوحي بإذن الله تعالى؛ لأن الأنبياء لا يعلمون المصالح فلا يأمرون[11] إلا بأمر الله تعالى.

۞ الأحكام

تدل[12] الآيات[13] على معجزات عظيمة لزكريا:

---

(١) أن: أن لا، ز، ل.
(٢) يكلم: تكلم، ز.
(٣) ويتكلم: وتكلم، ب، و؛ تكلم، ز.
(٤) يمنع: يمتنع، ز، ل، م.
(٥) يمنع: يمتنع، ز، ل، م.
(٦) من: عن، ز، ل.
(٧) فأوحى: فأوحى الله، ز.
(٨) أن: أي، ز، ل.
(٩) وأبي: أبو، ل.
(١٠) الغداة: الغداوة، ز، ل.
(١١) يأمرون: يؤمرون، ز، ل، م.
(١٢) تدل: ـ ، ز.
(١٣) الآيات: الآية، ز.

منها: كلام الملائكة.

ومنها: الولد بعد الكِبَرِ.

ومنها: اعتقال لسانه بالكلام دون التسبيح.

ومنها: إجابة دعائه[1].

ومتى قيل: إن دعاءه بإذن الله فما معنى البشارة؟ ولو[2] كان بغير إذن فلماذا أقدم؟

قلنا: قيل: هذا أمر يخصه، فيجوز أن يسأل بغير إذن، ويحتمل أنه أذن له فيه ولم يعلم وقته وبشر به.

ويدل قوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أنه يجوز أن يسمى الشخص باسم من غير تقدم من[3] مواضعة.

وتدل على أن المعدوم معلوم لذلك أخبر عن يحيى وهو معدوم.

ويدل قوله: «**وقد خلقتك**» على أنه قادر على خلق الولد وإن كان[4] الأبوان كبيرين؛ لأنه لا تأثير لهما في ذلك؛ فالله[5] تعالى لما قدر على خلقه قدر على خلق يحيى.

وتدل على صحة القياس والحجاج في الدين.

ويدل قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أنه[6] يجوز من الأنبياء سؤال الآيات تقوية لقلوبهم.

ويدل قوله: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أن الصلاة في هذين الوقتين من شرائعهم.

---

(١) ومنها إجابة دعائه: ـ ، ز، ل، م.
(٢) ولو: وأن، ب، و.
(٣) من: ـ ، ب، و.
(٤) كان: ـ ، ب، و.
(٥) فالله: والله، ب، و.
(٦) أنه: ـ ، ب، و.

قوله تعالى:
﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

اللغة

الحَنَانُ: الرحمة، ومنه: وحنانيك أي رحمة بعد رحمة، قال الشاعر:

أبا[1] مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضنا[2] حنانيك بعضُ الشر أهونُ من بعضِ[3]

وقال الحطيئة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه[4]:

تَحَنَّنْ عليّ هداك المليك فإن لكل مقامٍ مقالا[5]

يقال: حَنَنْتُ عليه أَحِنُّ حنانا وحنيناً، والحَنَّةُ امرأة الرجل.

والجبار: المتكبر، يقال: رجل جبار[6] لا يرى لأحد عليه حقاً، وفيه جَبْرِيَّةٌ وَجَبْرُوَّةٌ[7]، والجَبَّارُ[8] من النخل ما فات اليد، فرس[9] جبار[10] ونخل جبار[11].

(١) أبا: أنا، ب.
(٢) بعضنا: بعضاً، ب، و.
(٣) البيت قائله الحطيئة، أنظر ديوان الحطيئة.
(٤) رضي الله عنه: ـ، ب، ز، ل، و.
(٥) البيت ينسب لطرفة بن العبد، أنظر ديوان طرفة بن العبد برواية الأعلم الشنتمري والأبيات تنسب كذلك للحكم بن عبدل الأسدي في آمالي القالي.
(٦) جبار: متكبر، ل، م.
(٧) وجبروة: وجبورية، ب، ز، ل، م، و. انظر: اللسان: ٤/ ١١٣.
(٨) والجبار: فالجبار، ز، ل، م.
(٩) فرس: قمرين، ز، ل، م.
(١٠) جبار: ـ، ل، م.
(١١) جبار: جباره، ز.

۞ الإعراب

(حنانا) قيل: نصب لأنه معطوف على الحكم، وتقديره: آتيناه حناناً، وقيل: آتيناه الكتاب تحنناً منا[١].

«وزكاة» عطف على **(حناناً)**.

«تقياً» خبر (كان) أي: كان يحيى كان تقياً[٢]، وكذلك قوله: **«جباراً عصياً»**.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى حديث يحيى، فقال سبحانه: **«يَا يَحْيَى»** وفيه حذف، أي: قلنا ليحيى لما خُلق وعَقَلَ، واختلفوا، قيل: قال[٣] هذا لما بلغ أشده، وقيل: أكمل عقله في صباه وصغر سنه، وبخلقه[٤] وجعله نبياً أوحى إليه: **«يا يحيى»** قال أبو علي: وهذا من عجيب الاختصار الذي لا[٥] يوجد في كلام الناس. **«خُذِ الْكِتَابَ»** قيل: التوراة **«بِقُوَّةٍ»** قيل[٦]: بِجِدٍّ واجتهاد ومواظبة في العمل به، وقيل: بجد [و] نية صادقة، وقيل: بما قواك الله عليه وأيدك به، ومعناه: وأنت قادر على أخذه، قوي على العمل به، وقيل: معناه بجد وصحة عزيمة على القيام بما فيه[٧] **«وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»** قيل: الحكمة والعلم[٨] في حال صباه، وقيل: النبوة، وعن معمر أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب نلعب، قال: ما للعب خلقنا[٩]، فأنزل الله تعالى: **«وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»**، **«وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا»** قيل: رحمة من عندنا، عن ابن عباس، وقتادة، والحسن. وقيل: رحمة منا لا يقدر على إعطائها غيرنا، عن الضحاك. وقيل: تعطفاً، عن

---

(١) منا: ـ، ز، ل، م.

(٢) أي كان يحيى تقياً: أي يحيى كان يحيى تقياً، ل؛ أي يحيى كان تقياً، م.

(٣) قال: ـ، ز، ل، م.

(٤) وبخلقه: وخلقه، ب، و.

(٥) لا: ـ، ز، ل، م.

(٦) بقوة قيل: قيل بقوة قيل، ل؛ قيل أي، ز.

(٧) وأنت قادر على... القيام بما فيه: ـ، ب، ز، ل، م، و. وما أثبتناه من تفسير مجمع البيان، للطبرسي: ٦/ ٣٦٤، ليستقيم الكلام به.

(٨) به وقيل بجد... الحكمة والعلم: ـ، ل.

(٩) خلقنا: خلقت، ب، ز، و.

مجاهد. وقيل: محبة، عن عكرمة. والحنان: المحبّب[١]، وأصله: الشفقة والرقة، ومنه[٢]: حنين الناقة صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها، وقيل: تحنناً على العباد ورقة قلب عليهم؛ ليدعوهم إلى طاعة الله، عن أبي علي. «وَزَكَاةً» قيل: عملاً صالحاً زكياً، عن قتادة، والضحاك، وابن جريج. وقيل: زكاة[٣] لمن[٤] قبل منه حتى يكونوا أزكياء، عن الحسن. وقيل: زكيناه[٥] بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود الإنسان، وقيل: هو طاعة الله والإخلاص، عن ابن عباس. وقيل: صدقة تصدق الله بها على أبويه، عن الكلبي بركة ونماء[٦]، وقيل: جعلناه طاهراً من الذنوب بالألطاف «وَكَانَ[٧] تَقِيًّا» أي: مخلصاً مطيعاً[٨] متجنباً للمعاصي.

ومتى قيل: لِمَ أضاف (زكاة) إلى نفسه وهو يصير زكياً مطيعاً[٩] بفعله[١٠]؟

قلنا: لأنه يحصل ذلك[١١] بألطافه وهدايته خصوصاً في تلك الحالة من الصغر، وقيل: لأنه[١٢] لما أتاه الهدي قبله يحيى.

«وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ» قيل: باراً، وقيل: ذو بر وهو اللطف بهما والطاعة لهما، وطلب رضاهما[١٣] «وَلَمْ يَكُ جَبَّارًا» قيل: متكبراً يتطاول على الخلق من غير استحقاق، وقيل: الجبار القتال بغير حق «عَصِيًّا» أي: لم يكن عاصياً لربه، ثم[١٤] بشره بأنه مُسَلِّمٌ على يحيى فقال: «وَسَلَامٌ عَلَيْهِ» قيل: سلامة له في الدنيا من المعاصي وفي

---

(١) المحبب: المحب، ز، ل، م.
(٢) ومنه: ومن، ب، و.
(٣) قيل عملاً صالحاً... وقيل زكاة: ـ، ز، ل، م.
(٤) لمن: بمن، ب، و.
(٥) وكان: ـ، ز، ل، م.
(٦) ونماء: تزكية، ز.
(٧) وكان: ـ، ز، ل، م.
(٨) مطيعاً: مطيعاً مطيعاً، ل.
(٩) متجنباً للمعاصي... مطيعاً: ـ، ب.
(١٠) بفعله: ـ، ز.
(١١) ذلك: كذلك، ب، و.
(١٢) لأنه: أنه، ل.
(١٣) رضاهما: رأيهما، ز.
(١٤) ثم: بل، ز، ل، م.

الآخرة من العذاب، وقيل: سلام الله عليه[١]، وقيل: تسلم عليه الملائكة، وقيل: أمر هذه[٢] الأمة بالسلام عليه «**يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**» قيل: السلام يوم الولادة تَفَضُّلٌ، وعند الموت والبعث ثواب، وقيل: سلامه له يوم ولد من صوت[٣] الشيطان ولطمه، وقيل: إن بكاء الصبي من ذلك، وقيل: سلامه له من بلاء الدنيا وعذاب القبر وأهوال الحشر وعذاب النار، وإنما قال: «**حَيًّا**[٤]» تأكيداً لقوله: «**يوم**[٥] **يبعث**» وقيل: أراد أنه يبعث مع الشهداء؛ لأنهم وصفوا بأنهم[٦] أحياء.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه أعطى يحيى النبوة وهو صبي.

وتدل على[٧] أن القدرة قبل الفعل؛ لذلك قال: «**بقوة**»؛ فيبطل قول المجبرة في الاستطاعة.

ويدل قوله: «**خذ**[٨]» أن الأخذ فِعْلُهُ، فيبطل قولهم في المخلوق، ولأنه لو كان خلقه لما كان[٩] صح الأمر به، ولما احتاج إلى قوة.

وتدل على عظم[١٠] حق الأبوين.

وتدل على حسن التواضع وقبح التكبر.

ويدل قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ[١١] عَلَيۡهِ﴾ على فضل يحيى وأنه استمر أمره[١٢] من لدن ولد إلى أن مات.

---

(١) عليه: وعليك، ز.
(٢) هذه: بهذه، ز.
(٣) صوت: ـ، ب، و.
(٤) حياً: جباراً، ز، ل، م.
(٥) يوم: ـ، ز، ل، م.
(٦) بأنهم: أنهم، ز، ل، م.
(٧) على: ـ، ب، و.
(٨) خذ: ـ، ب، و.
(٩) كان: ـ، ب، و.
(١٠) عظم: عظيم، ب، و.
(١١) وسلام: سلام، ب، ز، ل، م، و.
(١٢) استمر أمره: استمراره، ز، ل، م.

ومتى قيل: هل يدل على أنه أفضل من عيسى؟

قلنا: لا لأن السلام لا فرق بين أن يقول الله تعالى السلام عليك وبين أن يأمر نبيه بأن يقول ذلك، وذلك يبطل قول من يقول: إنهما التقيا ففضله عيسى على نفسه لأجل أنه سلم الله عليه، وما[1] روي أن كل واحدٍ منهما قال لصاحبه: (أنت خير مني) إما ألا[2] يصح[3]؛ لأن أحدهما كذب لا محالة، إلا أن يحمل على أنهما أخبرا على ظنهما فيصح على البُعْدِ، فأما من قال في قوله[4]: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ﴾: لطم الشيطان غير صحيح؛ لأن الشيطان لا[5] يقدر على غير الوسوسة على ما قال تعالى.

قال الأصم: كان عيسى رسولاً إلى يحيى كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ **[آل عمران: ٣٩]** يعني عيسى، وكانا جميعاً في زمن واحد، وكان يحيى أكبر من عيسى بثلاث سنين، وهذا لا يدل على ما قال؛ لأن تصديقه بنبوته لا يوجب كونه نبياً إليه، كما أن نبينا ﷺ صَدّقَ الأنبياء، ونحن نعلم أنهما كانا نبيين، وكيف كانا؟ الله أعلم بذلك[6].

قوله تعالى:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) ما: ـ، ل، م.
(٢) ألا: ـ، ز.
(٣) ألا يصح: ـ، ل.
(٤) في قوله: ـ، ل، م.
(٥) لا: ليس: ب، ز، و.
(٦) بذلك: ـ، ز، ل، م.

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو ونافع ويعقوب: «لِيَهَبَ» بالياء[1] بغير ألف، يعني ليهب الله لك، قال الفراء[2]: في قوله: «لأهب» أقوال:

أولها: على الحكاية بتقدير: قال[3] [ربك][4] لأهب لك[5].

وثانيها: قال الحسن: لأهب بأمر الله غلاماً؛ أي: صار بالبشارة كأنه وهب لها، كقولهم: جئتك بالولاية.

وثالثها: نفخ جبريل فيها، والله تعالى خلق الولد من تلك النفخة فأضيف إلى السبب.

ومتى قيل: لم لا يجوز أن يضاف إلى جبريل؟

قلنا: لأن خلق الأجسام ليس بمقدور لأحد سوى الله تعالى، فلا[6] بد من تأويل، والأول الوجه.

۞ اللغة

النبذ: هو[7] الطرح والإلقاء، والانتباذ افتعال منه ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وانتبذت، يقال: جلس نَبْذَةً من الناس، ونُبْذَةً بفتح النون وضمها أي: ناحية، وهذا إذا جلس قريباً منك[8]، حتى لو نبذت إليه شيئاً وصل إليه، ونبذت الشيء[9] رميت، ومنه النبيذ؛ لأنه يطرح في الإناء ويصب عليه الماء حتى يُدرك،

---

(١) بالياء: ـ ز، ل، م.
(٢) الفراء: القراء، و.
(٣) قال: وقال، ل.
(٤) زيادة من تفسير التبيان ٧/ ١١٣.
(٥) لك: ـ، ز.
(٦) فلا: ولا، ل، م.
(٧) هو: ـ، ز، ل، م.
(٨) منك: منه، ل، م.
(٩) الشيء: ـ، ز، ل، م.

وأصله منبوذ فصرف إلى فعيل، ومنه قيل للقيط منبوذ؛ لأنه رمي به، ومنه النهي عن المنابذة في البيع وهو أن يقول: إذا نبذت[1] إليك الثوب أو الحصاة فقد وجب البيع، والانتباذ اتخاذ الشيء بإلقاء غيره عنه.

والشرقي[2]: الموضع الذي في جهة الشرق، والشرق: موضع الشروق، شَرَقَتِ الشمس: طلعت، وأشرقت: أضاءت وصَفَتْ.

والبِغاء: الفجور، بغت المرأة تَبْغِي[3] بِغَاءً[4] بكسر[5] الباء، والمرأة بَغِيٌّ وهُنَّ[6] البغايا، والبَغْيُ بفتح الباء: الظلم، والبغي: الحسد، وأصل الباب: الطلب، والبُغَاءُ بضم الباء: الطلب، ومنه: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وبَغَيْتُ الشيء: طلبته، أَبْغِيهِ، وأبغيتك الشيء: طلبته لك، وأَبْغَيْتُكَ: أعنتك على طلبه.

الإعراب

«**بغيا**» نصب لأنه خبر (كان) وحذف الهاء لأنه مصروف عن وجهه؛ لأنها كانت في الأصل باغية، فلما صرف عن وجهه لم يؤنث كما لا يؤنث قتيل وجريح. وقيل: قال: «**بغيا**» لنظم رؤوس الآي، قال الأخفش: فَعِيلٌ للمؤنث يكون بغير هاء.

المعنى

ثم عطف قصة مريم وعيسى على قصة زكريا ويحيى عليهم السلام، فقال سبحانه: «**وَاذْكُرْ**» يا محمد «**فِي الْكِتَابِ**» يعني كتابك وهو القرآن، وقيل: «**في**» بمعنى من و«**الكتاب**» التوراة، يعني اذكر هذه القصة[7] من كتابهم، فيكون ذلك[8] معجزة

(١) إذا نبذت: إذ انتبذت، ز.
(٢) والشرقي: والشيء في، ز، ل، م.
(٣) تبغي: تبغ، ز، ل، م، و.
(٤) بغاء: بغياً، ز.
(٥) بكسر: بكسر بكسر، و.
(٦) وهن: وهو، ز.
(٧) القصة: الصفة، ب، و.
(٨) ذلك: ـ ، ب، و.

حيث أخبر عن كتبهم من غير قراءة ولا سماع «**مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ**» قيل: انفردت، عن قتادة. وقيل: تَنَحَّتْ، عن الكلبي. وقيل: اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة لئلا تشتغل بكلام الناس، عن أبي علي. وقيل: تباعدت عن قومها حتى لم يروها، عن الأصم، وأبي مسلم(١). وقيل: اعتزلت وجلست ناحية «**مِنْ أَهْلِهَا**» من قومها، قيل: كانت في المسجد ما دامت طاهراً، فإذا حاضت(٢) تحولت إلى بيت(٣) خالتها وهي دار زكريا، فإذا طهرت واغتسلت عادت إلى المسجد، عن عكرمة. وقيل(٤): حاضت فخرجت، وقيل: أرادت أن تغتسل، وقيل: تمشطت، وقيل: فبينما هي تغتسل مرة(٥) إذ تمثل لها جبريل «**مَكَانًا شَرْقِيًّا**» يعني مشرقة، وهو موضع في الدار يلي المشرق، وجلست(٦) فيها لأنها كانت في الشتاء، قال الحسن: اتخذت النصارى المشرق قِبْلَةً؛ لأن مريم انتبذت مكاناً شرقياً «**فَاتَّخَذَتْ**» ضربت «**مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا**» أي: حجاباً(٧) بينهم وبينها للستر، قيل: من الجدران، عن السدي. وقيل: ستراً، عن ابن عباس. وقيل: جعلت الجبل بينها وبينهم، عن مقاتل(٨). وقيل: اتخذت الستر للغسل، وقيل: للعبادة، عن أبي علي. «**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا**» قيل: جبريل، عن أكثر المفسرين. فرأت جبريل على صورة شاب أمرد، حسن الوجه، سوي الخلق، وسمي روحاً لأنه روحاني، وقيل: خلق من الريح، وقيل: لأن الدين يحيا به، وقيل: الروح(٩) الذي منها خلق الله(١٠) المسيح(١١) وصوره إنساناً، عن أبي مسلم. والأول الوجه لإجماع

---

(١) وأبي مسلم: وأبي علي مسلم، و.
(٢) حاضت: ضت، ز.
(٣) بيت: ـ، ز، ل، م.
(٤) وقيل: قيل، ز،ل، م.
(٥) مرة: كره، ز.
(٦) وجلست: جلست، ب، و.
(٧) أي حجاباً: ـ، ز، ل، م.
(٨) عن مقاتل: ـ، ل، م.
(٩) الروح: ـ، ز، ل، م.
(١٠) منها خلق الله: خلق الله منها، ب، و.
(١١) المسيح: ـ، ل.

المفسرين ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أي: تصور[١] لها آدمياً سوياً لم ينقص منه شيء[٢]، فلما رأته مريم وراء الستر استعاذت بالله منه حيث[٣] لم يكن لها موضع دفاع، و﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ﴾ أي: أعتصم[٤] ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾ خص اسم الرحمن لما يتضمن من الرحمة ﴿مِنْكَ﴾ أي: من شَرِّكَ ﴿إِنْ كُنتَ تَقِيًّا﴾ قيل: إن[٥] كنت مؤمناً مطيعاً واتعظت[٦] فاخرج فإني[٧] أستعيذ بالله منك فإن كنت تقياً فاتعظ واخرج، قال علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه): عَلِمَتْ أن التقى ينهاه عن المعصية، وقيل: بمعنى[٨] (ما)، أي[٩]: ما[١٠] كنت تقياً حيث استحللت النظر إليّ[١١] وخلوت بي، وقيل: المراد به[١٢] الأمر أي: اتق الله، والأول الوجه؛ لأنه الظاهر من الكلام، فلما علم جبريل خوفها ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ[١٣]﴾ بيناً[١٤] اختلاف القراءتين على ما ذكرنا[١٥] ﴿غُلَاماً زَكِيًّا[١٦]﴾ قيل: طاهراً من الأدناس والمعاصي، وقيل: صالحاً تقياً، فلما علمت صدقه بمعجزة ظهرت لها[١٧] ﴿قالت﴾ أي: يا رب[١٨] ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ[١٩]﴾ وأرادت

(١) تصور: صور، ز.
(٢) شيء: شيئاً، ز، ل، م.
(٣) حيث: بحيث، ل.
(٤) أي اعتصم ـ ، ل، م، أعتصم، ز.
(٥) إن: لو، ب، و.
(٦) واتعظت: ـ ، ب، و.
(٧) فاخرج فإني: فاخرج إني، ب، و.
(٨) بمعنى: فما معنى، ب، و.
(٩) ما أي: ـ ، ب، و.
(١٠) ما: إن يتقي، ب، و.
(١١) إلي: ـ ، ب، و.
(١٢) به: ـ ، ز، و، ل.
(١٣) لأهب لك: ليهب لك غلاماً، ب، و.
(١٤) بيناً: نبياً. وكتب فوقها: زكيا، ب، و.
(١٥) على ما ذكرنا: ـ ، ب، و.
(١٦) غلاماً زكياً: ـ ، ز، ل، م.
(١٧) لها: ـ ، ز.
(١٨) أي يا رب: رب يا رب، ز، م.
(١٩) أنى يكون لي غلام: ـ ، ز، م.

الدعاء لله تعالى[١]، عن أكثر المفسرين[٢]، وقيل: أرادت يا سيد خطاباً لجبريل، حكاه الأصم، وليس بشيء «أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ» أي: كيف يكون[٣] لي ولد، وإن[٤] المعتاد أن الولد يحدث عند الوطء «وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» قط بالزوجية ولا كنت بغياً فاجرة.

الأحكام

تدل الآيات على معجزات عظيمة:

منها: رؤية الملك بصورة[٥] البشر.

ومنها: بشارة الملك إياها.

ومنها: أنها ولدت من غير وطء[٦].

ومنها: أنها حملت وولدت في يوم واحد عند الأكثر، ثم تساقط[٧] الرطب من جذع يابس، وظهر النهر الجاري على ما يأتي من[٨] بعد، على[٩] أن جميع[١٠] ذلك معجزة لنبي، وثبت بالكتاب[١١] والإجماع أن المرأة لا تكون نبية، وثبت أن المعجز لا يجوز إظهاره على غير النبي، فعند ذلك اختلف مشايخنا، فقال أبو علي والبصرية: إنها معجزات زكريا، وكان نبياً متكفلاً بأمرها، وقال أبو القاسم: بل هي معجزة لعيسى إرهاصاً لأمره، وتأسيساً لنبوته. والصحيح الأول.

---

(١) تعالى: ـ، ب، و.
(٢) وقيل صالحاً... أكثر المفسرين: ـ، ل.
(٣) يكون: ـ، ز، ل، م.
(٤) وإن: ـ، ز، ل، م.
(٥) بصورة: بشورة، ز، ل، م.
(٦) وطء: ولي، ز.
(٧) تساقط: تساقطت، ل.
(٨) من: ـ، ب، و.
(٩) على: ـ، ب، و.
(١٠) جميع: الجميع، ز.
(١١) بالكتاب: الكتاب، ل.

ويدل قوله: «أنى يكون» على تعجب[١] منها، وليس بتعجب[٢] من قدرة الله، ولكن لما نقض به العادة، وقيل: بل[٣] تعجب[٤] لنعمة الله[٥] عليها.

قوله تعالى:
﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

القراءة

قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة وحفص عن عاصم: «نَسْيًا» بفتح النون والباقون بكسرها، وهما لغتان مثل: الوَتْرِ والوِتْرِ، وهو الشيء المنسي.

وقرأ الحسن وشيبة ونافع ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «مِنْ تحتها» بكسر الميم قيل: هو جبريل ناداها من سفل الجبل، وقرأ الباقون بفتح الميم.

وقيل: هو عيسى لما خرج من بطن أمه من تحتها، وكلا القراءتين تحتمل جبريل وعيسى عليهما السلام.

«تُسَاقِطْ عليك[٦]» فيه أربع قراءات[٧]:

أولها: قراءة البراء بن عازب ويعقوب وأبي[٨] حاتم وحماد عن[٩] عاصم،

(١) تعجب: تعجيب، ب، و.
(٢) بتعجب: بتعجيب، ب، و.
(٣) بل: ـ، ل.
(٤) تعجب: تعجيب، ب، ز، و.
(٥) الله: ـ، ب، و.
(٦) عليك: ـ، ز، ل، م.
(٧) أربع قراءات: أربع لغات، ل، م.
(٨) وأبي: وابن، ب، و.
(٩) عن: وعن، ل، م.

ونصير عن الكسائي: «يَسَّاقَطْ» بالياء وتشديد السين، أراد الجذع وهو مذكر[١].

وثانيها: قراءة الأعمش وحمزة وأبو عبيدة[٢] بالتاء وفتحها وفتح القاف وتخفيف السين.

وثالثها: قرأ حفص عن عاصم بضم التاء[٣] وتخفيف السين وكسر القاف (تُسَاقِط).

ورابعها: قراءة الباقين بفتح التاء[٤] والقاف وتشديد السين على الإدغام؛ لأن أصله تتساقط فأدغم، والتخفيف على حذف إحدى التاءين، ومن قرأ تاء يعني[٥] تأنيث النخلة.

اللغة

الهَيِّنُ: السهل، وهو التأتي من غير كلفة ومشقة، ونقيضه: الصعب، وأصله الواو، ومنه: الهون السكينة والوقار، والهاو[٦] الذي يدق به عربي[٧] صحيح، كأنه فاعول من الهون، ولا يقال: هاوُن؛ لأنه ليس في كلامهم فاعُلٌ، قال ابن الأعرابي: العرب تمدح بالهَيْنِ واللَّيْنِ مخففة، وتذم بالهَيِّنِ اللَّيِّنِ مشددة، وقال غيره: هما شيء واحد والأصل التثقيل يخفف، قال الشاعر:

هَيْنُون لَيْنُون أيسارٌ[٨] ذوو[٩] شرف[١٠]

والمقضي: المفصول من[١١] الأمور[١٢] أي: المحكوم حتماً أنه يكون، وأصله القضاء، وهو فصل الأمر على إحكام.

---

(١) مذكر: يذكر، ب، و.
(٢) وأبو عبيدة: وأبو عبيد، ب، و.
(٣) التاء: الياء، ز، ل.
(٤) وتخفيف السين... بفتح التاء: ـ، ز، ل، م.
(٥) يعني: تعلى، ز، كما فعلى، ل، م.
(٦) جاء في هامش (ب) ما لفظه: والهاون بفتح الواو الذي يدق فيه معرب، ولو كانت مضموم الواو لكان له وزان في العربية، وأما بفتحها فلا نظير له في كلامهم فتأمل.
(٧) به عربي: فيه غربي، ب، و.
(٨) هينون لينون أيسار: هيون ليون أيشار، ز.
(٩) ذوو: ذو، ز.
(١٠) البيت قائله عبيد بن العدندس الكلابي وتمامه:

سواس مكرمة أبناء أيسار

أنظر الكامل، المبرد، ١/ ٦٨.
(١١) من: بين، ز، م.
(١٢) الأمور: الأمر، ز.

والحمل[(١)]: رفع الشيء من مكانه[(٢)]، ثم الحَمْل بالفتح لما كان متصلاً نحو ما يكون في بطن أو على رأس شجرة، وبالكسر لما اتصل ذلك[(٣)] الحمل على الظهر[(٤)] واليد، ويقال: امرأة حامل وحاملة، فمن قال: حاملة، بناه على ما[(٥)] حملت، ومن قال: حامل، جعله نعتاً للمؤنث كقوله: حائض وطالق.

والقَصِيّ: البعيد، والقاصي خلاف الداني، يقال: قصا يَقْصُو قُصُوًّا: إذا تباعد، وأقصيته إقصاءً: أبعدته.

جاء مجيئًا[(٦)]: لازم يتعدى[(٧)] بالألف والباء، يقال: جاء به وأجاءه، كما يقال: ذهب به وأذهبه[(٨)].

والسَّرِيُّ: النهر، سمي بذلك لأن الماء يسري به أي يجري، وأصله من سرى يسري، وسرى وأسرى[(٩)]: سار ليلاً، والسَّرِيُّ: الرفيع الشأن العالي الأمر، يقال: فلان من سروات قومه أي: أشرافهم[(١٠)]، وفي حديث آخر: «اليوم[(١١)] تُسَرَّوْنَ» أي: يقتل[(١٢)] سَرِيُّكُمْ فقتل[(١٣)] حمزة، يقال: تُشُرِّفَ القوم أصيب شريفهم[(١٤)]، وكرموا قتل[(١٥)] كريمهم[(١٦)]، واسْتِيدَ القوم: قُتِلَ سيدهم.

---

(١) والحمل: الحمل، ز.
(٢) رفع الشيء من مكانه: رفع الشيء من مكانه رفع الشيء من مكانه، ل.
(٣) ذلك: بكل، ز، ل، م.
(٤) على الظهر: بالظهر، ب، و، ز.
(٥) ما: ـ، ل، م.
(٦) مجيئاً: محيء، ز، ل، م.
(٧) يتعدى: لم يعدى، ب، م، و.
(٨) وأذهبه: وأذهبته، ل.
(٩) وأسرى: فأسرع، ز.
(١٠) أشرافهم: أسراهم، ز، ل، م.
(١١) اليوم: القوم، ب.
(١٢) يقتل: يقتلوا، ل.
(١٣) سريكم فقتل: سراتهم فقيل، ز.
(١٤) شريفهم: سريفهم، ز، ل، م، و.
(١٥) قتل: قيل، ب، ز.
(١٦) كريمهم: كريم، ز، ل، م.

وهززت الشجرة: حركتها فاهتزت تحركت، واهتز النبات وهزته الريح، وهز الحادي الإبل بِحُدَائِهِ فاهتزت، والهزاهز[1]: الفتن يهتز فيها الناس، وسيف هزهاز، واهتز الكواكب فهو هاز، والهُزَهِزُ: الرجل الخفيف الظريف، وأصل الباب: الحركة.

والسقوط[2]: الوقوع، يقال: سقط سقوطاً، والسَّقَط[3] من المتاع لأنه يسقط، والسَّقَطُ[4] أيضاً: الخطأ من القول، يقال: سقطة وسقط[5] في القول يحوز مثله ذو مال، والسقط[6]: الولد أسقط قبل تمامه، والساقط: اللئيم في حسبه؛ لأنه يسقط عن أصل، تَسَّاقط: تتساقط فأدغم فصار تساقط.

والجَنِيُّ: المأخوذ من الثمرة الرطبة، تمر جني، وجنيت التمرة[7] واجتنيتها، واجتناه[8] اجتناء إذا اقتطعه[9]، قال الشاعر[10]:

هــذا جَـنَـاَي وخِـيَـارُهُ فـيـه ... إذ كُـلُّ جَـانٍ[11] يَـدُهُ إلـى فِـيـهِ[12]

۞ الإعراب

الـبـاء فـي قـولـه: «بـجـذع» قـيـل: زائـدة مـؤكـدة، كـقـولـه: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقيل: للتبعيض.

وفي نصب «رطباً» قولان:

(١) فاهتزت والهزاهز: واهتزت والهزهز، ز، ل، م.
(٢) والسقوط: السقوط، ب، و.
(٣) والسقط: والسّقيط، ز، ل، م.
(٤) والسقط: والسقيط، ز، ل، م.
(٥) وسقط: سقاط، ب، ز.
(٦) والسقط: والسقيط، ز.
(٧) وجنيت التمرة: وأجنيت التمر، ل.
(٨) واجتنيتها واجتناه: وأجنيتها وأجناه، ز.
(٩) اقتطعه: اقتطفه، ب.
(١٠) الشاعر: الشاعرعر، ز، ل، م.
(١١) جان: جاني، ب، و.
(١٢) البيت أنشده عمرو بن عدي، أنظر القاموس «جني».

قيل: مفعول به بتقدير: هزي رطباً تساقط عليك، عن ابن عباس.

وقيل: على التمييز والعامل فيه: «**تساقط**»؛ لأن السقوط[١] من صفة التمر فلما أضيف إلى الشجرة خرج الرطب مميزاً ليعلم أن التساقط[٢] منه[٣].

«**وَقَرِّي عَيْنًا**» نصب (عيناً)[٤] قيل: للتمييز، وقيل: مفعول (رحمة) أي: لنجعله[٥] رحمة. «**مقضيا**» خبر كان[٦].

المعنى

ثم بيّن تعالى حملها بعيسى وولادتها، فقال سبحانه: «**قَالَ**» يعني جبريل لمريم[٧] «**كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ**» يعني كما[٨] قلت يا مريم كذلك قال ربك، وقيل: تقديره: هكذا قال ربك، وقيل: تعجبت[٩] الملائكة من ذلك، فقال تعالى: «**هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ**» فقال جبريل لمريم: كذلك قال الله للملائكة: إنه يهب لك ولداً من غير ذَكَرٍ، «**هُوَ**» يعني: خَلْق الولد من غير أب[١٠] **عَلَيَّ هَيِّنٌ**» أي: سهل[١١] «**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ**» أي: حجة للناس تدلهم على التوحيد وقدرته على خلق الولد من غير سبب، عن الأصم. وقيل: معجزة ليعلم صدق[١٢] زكريا وعيسى «**وَرَحْمَةً مِنَّا**» أي: نعمة؛ لأن يدعوهم إلى

---

(١) السقوط: المسقوط، ز.
(٢) التساقط: الساقط، ز، ل، م.
(٣) منه: فيه، ز، ل، م.
(٤) نصب عينا: ـ ، ز.
(٥) لنجعله: ولنجعله، ب، و.
(٦) خبر كان: ـ ، ز، ل، م.
(٧) لمريم: ـ ، ب، و.
(٨) كما: ما، ز.
(٩) تعجبت: تعجب، ز، ل، م.
(١٠) هو: +، ب، و.
(١١) سهل: ـ ، ز، ل، م.
(١٢) صدق: أصدق، ل.

ما[(١)] إذا[(٢)] قبلوا[(٣)] نالتهم رحمة فهو رحمة، وقيل: رحمة[(٤)] لمن تبعه في دينه «**وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**» أي: محكوماً بكونه[(٥)] فهو كائن لا محالة، وقيل: كان أمراً قضاه الله وسطره في اللوح المحفوظ، وقيل: «**أمراً مقضياً**» أي: مفروغاً منه، وأنه خلق المسيح في[(٦)] بطن أمه، عن أبي مسلم. «**فَحَمَلَتْهُ**[(٧)]» أي: حملت مريم بعيسى، قيل: إن جبريل نفخ في جيب قميصها، وقيل: في فيها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت في الحال، وقيل: نفخ من بعيد نفخاً[(٨)] فوصل[(٩)] الريح إليها فحملت «**فَانتَبَذَتْ**[(١٠)] **بِهِ**» أي: انفردت به، وقيل: تنحت «**مَكَانًا قَصِيًّا**» أي: بعيداً من قومها، قيل: لما أحست بالولادة انفردت عن الناس من[(١١)] أهلها، فكتمت[(١٢)] أمرها خوفاً[(١٣)] أن يرموها بسوء، وقيل: أخبرت أخاها هارون وكان زاهداً، فقال لها تفر من قومها[(١٤)]، فتوجها إلى الشام حتى بلغا جذع النخلة، فجاءت إليها لتتفيأ بظلها فأخذها[(١٥)] الطلق، واختلفوا في مدة حملها، قيل: ثمانية أشهر وكان ذلك آية؛ إذ لم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة، قال ابن عباس: ما هو إلا أن حملت فوضعت ولم يكن بين الحمل والانتباذ إلا ساعة؛

---

(١) ما: ـ، ب، و.
(٢) ما إذا: ماذا، ز.
(٣) قبلوا: فبلع. بغير نقاط، ل، م؛ أفبلع، ز.
(٤) وقيل رحمة: ـ، ز، ل، م.
(٥) بكونه: كونه، ل.
(٦) في: من، ز.
(٧) فحملته: فحملت، ب، و.
(٨) نفخاً: ـ، ب، و.
(٩) فوصل: فوصلت، ب.
(١٠) فانتبذت: وانتبذت، ب، و.
(١١) من: ومن، ب، و.
(١٢) فكتمت: وكتمت، ب، و.
(١٣) خوفا: ـ ز، ل، م.
(١٤) قومها: قومنا، ب، و.
(١٥) فأخذها: ـ، ز، ل، م.

لأنه تعالى لم[1] يذكر بينهما فصلا[2]، يوضحه قوله: «فانتبذت». «**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ**» والفاء للتعقيب، وعن مقاتل: حملت به في ساعة، وصُوِّرَ في ساعة، ووضعته[3] في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت[4] عشر سنين، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى، «**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ**» أي: ألجأها، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي. «**المخاض**» الطلق، وقيل: الحمل «**إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ**» قيل: كان جذع نخلة[5] يابسة في الصحراء ولم يكن لها سعف، وقيل: كان في الشتاء ولم يكن للنخلة[6] رأس فجعله الله آية، والألف واللام دخلا[7] للعهد لا للجنس، وكانت نخلة معروفة معهودة، وقيل: أنبت الله جذعاً فتعلقت به كما تتعلق[8] المرأة بالمرأة عند وجع الولادة، وقيل: ولدت بناحية بيت المقدس، فلما ولدت «**قَالَتْ**» مريم «**يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**» متروكاً، عن ابن عباس. وقيل: نسياً لا يذكر ولا يعرف، عن قتادة. وقيل: حيضة ملقاة، عن عكرمة، والضحاك، ومجاهد. وقيل: هو السقط، عن الربيع. وقيل: كالشيء الهالك، عن مقاتل. وقيل: يعني: لم[9] أخلق، عن عطاء. وقيل: هو ما نُسِيَ من شيء حقير، وقيل: هي ما تلقيه المرأة من خِوَفِ[10] اعتلالها.

ومتى قيل: لم تمنت الموت وهو مكروه؟

قلنا: أما التمني[11] فقيل[12]: لخوف[13] الفضيحة وطعن[14] الناس، وقيل:

(١) لم: بياض في (ز).
(٢) فصلاً: فصل، ز، ل، م.
(٣) ووضعته: ووضعت، ز، ل، م.
(٤) بنت: ثلث. ولعله يريد: (ثلاث)، ل، م.
(٥) نخلة: النخلة، ب.
(٦) للنخلة: في النخلة، ز، ل، م.
(٧) دخلا: ـ، ب، و.
(٨) تتعلق: تعلق، ل، م.
(٩) لم: ولم، ب، ،ز، ل، م، و.
(١٠) خوف: خرق، ب.
(١١) التمني: المتمني، ز، ل، م.
(١٢) فقيل: ،ـ ،ب، و، ل.
(١٣) لخوف: فلخوف، ب، ل، و.
(١٤) وطعن: وظن، ز.

لما أصابها من شدة الطلق، عن الأصم. وقيل: خافت أن يعصي الناس بسببها، وقيل: خافت الذل الذي يلحقها فتمنت الموت.

وأما تمني الموت فلا يكره إذا كان عن[1] بصيرة كما تمنت هي، وكما روي عن علي (عليه السلام)، وقيل: إنها قالت ذلك على وجه الضجر، وقيل: تمنت ألا تكون مشهورة في قومها بتلك الشهرة، ولم تعرف بما عرفت وكانت معروفة بالصلاح، وكثر[2] الخوض في حديثها، وقيل: قالت استحياء من الناس، عن السدي.

«**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا**» قيل: ناداها[3] جبريل، عن ابن عباس، والسدي، والضحاك، وقتادة. وقيل: عيسى، عن مجاهد، ووهب[4]، وسعيد بن جبير، وابن زيد، وأبي علي، والأصم. «**أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**» قيل: نهراً، عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير. وقيل: جَدْوَلاً، عن البراء بن عازب، والأصم. وقيل: النهر الصغير، عن إبراهيم، والضحاك، وقتادة. يعني جعل لك نهراً تشربين منه وتتطهرين من النفاس والولادة، وقيل: السَّرِيُّ عيسى، عن الحسن، وابن زيد، وأبي علي. قال الحسن: كان والله عبداً سرياً أي رفيعاً شريفاً. ومعنى قوله: «**تحتك**» قيل: جعل[5] النهر يجري[6] تحت أمرها وتمسكه بأمرها، ونظيره قوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [**الزخرف: ٥١**] أي: تحت أمري، وقيل: «**تحتك**» أي: أسفل منك يجري[7] الماء، وإذا حمل على عيسى فالمعنى ظاهر، وقيل: ضرب جبريل برجله فظهر ماء عذب، وقيل: بل عيسى ضرب برجله فظهر عين ماء تجري «**وَهُزِّي إِلَيْكِ**» أي جري إليك «**بِجِذْعِ**[8] **النَّخْلَةِ**» يقال: الجذع النخلة[9] نفسها، وقيل:

(١) عن: غير، ز.
(٢) وكثر: فكثر، ب، و.
(٣) من تحتها قيل ناداها: ـ، ل.
(٤) ووهب: ـ، ب، و.
(٥) جعل: ـ، ل، م.
(٦) يجري: ـ، ب، و.
(٧) تحت أمرها... منك يجري: ـ، ل.
(٨) بجذع: جذع، ب، ز، ل، م، و.
(٩) يقال الجذع النخلة: ـ، ز، ل، م.

الجذع الغصن أيضاً «تُسَاقِطْ عَلَيْكِ» أي: تسقط عليك[١] «رُطَبًا جَنِيًّا» أي: تمراً طرياً يجنى من تحت[٢] الشجرة.

الأحكام

تدل الآيات أنه تعالى جعل أمر عيسى آية للناس ولطفاً لهم.

ومتى قيل: أليس قد صارت شبهة حتى[٣] اعتقد بعض النصارى أنه ابن الله ولدته مريم على ما تدعي النصارى، واعتقدت اليهود فيها وفيه[٤] ما اعتقدت؟

قلنا: من تفكر ونظر فيه علم توحيد الله تعالى[٥] وقدرته ونبوة[٦] عيسى وأنه عبد الله ورسوله، فأما هؤلاء فهم أدخلوا على أنفسهم الشبه، واعتقدوا الاعتقادات الفاسدة؛ لأن من[٧] يعرف الله تعالى بصفاته يعلم أنه يقدر على خلق الولد من غير أب، ويعلم أن كل جسم[٨] محدث، فعند ذلك يعلم أن عيسى مخلوق لله تعالى.

وتدل على جواز تمني الموت[٩] عند الشدة، وروي عن جماعة من السلف منهم سفيان ذلك.

ويدل قوله: «فناداها» على معجزة مضمومة إلى سائر[١٠] ما ذكرنا.

وتدل على أنها لما اهتزت[١١] النخلة أثمرت؛ إذ لو كان[١٢] عليها ثمرة لما احتاجت إلى الهز[١٣]، ومن هاهنا صارت التمرة سُنَّةً للنفساء، قال الربيع بن خثيم: ما

---

(١) تسقط عليك: ـ، ب، و.
(٢) تحت: ـ، ب، ل، م، و.
(٣) حتى: حق، ز.
(٤) وفيه: وقيل، ل.
(٥) تعالى: ـ، ب، و.
(٦) ونبوة: ونبوته، ز.
(٧) لأن من: لامن، ب، و.
(٨) جسم: ـ، ز.
(٩) تمني الموت: التمني للموت، ل.
(١٠) سائر: ـ، ل، م.
(١١) اهتزت: هزت، ب، و.
(١٢) كان: كانت، ب، ز، و.
(١٣) الهز: المهز، ب، و.

للنفساء[١] خير من الرطب، ولا للمريض خير[٢] من العسل.

وعن عائشة: «أن من السنة أن يمضغ التمر ويدلك به فم المولود»، «وكان رسول الله ﷺ يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة».

قوله تعالى:

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾

اللغة

قَرِرْتُ به عيناً بكسر الراء أقر قريراً، وهي لغة قريش وأهل نجد، يقولون: قَرَرْتُ بفتح الراء[٣]، أَقِرُّ به[٤] عيناً بكسر القاف قراراً، كما يقال: قَرَرْتُ بالمكان بالفتح، والأصل: القُر بضم القاف، وهو البَرْدُ، قال[٥] [ابن السكيت القرور الماء البارد يغسل به يقال اقتررت به وهو البرود ومرّ يومنا [من] القر[٦] وقَرَّ يومناً[٧] يقر، وقد قال قوم: للسرور دمعة باردة، وللغم [دمعة] حارة، فلذلك[٨] يقال: أقر الله عينك[٩]: أعطاه حتى تقر[١٠]، عينه فلا[١١] يطمح إلى من هو فوقه، وهو من القرار وهو السكون أي:

(١) للنفساء: للنساء، ب، و.
(٢) خير: ـ، ب.
(٣) أقر قريراً... بفتح الراء: ـ، ز.
(٤) به: ـ، ز، ل، م.
(٥) قال: ويوم، ب، و.
(٦) القر: يقر، ب، ز، ل، م.
(٧) يومنا: يوماً، ل، م؛ يوامنا، ز.
(٨) فلذلك: فكذلك، ز.
(٩) عينك: أعينك، ل.
(١٠) تقر: تقر أقر، ل، م؛ أقر، ز.
(١١) فلا: ولا، ز، ل، م.

ليسكن سكون سرور برؤية ما يحب، وقيل[1]: أقر الله عينك أي: أنامها، وهو من قر يقر إذا سكن.

والنَّذْرُ: عقد إيجاب، نَذَرَ نذراً فهو ناذر.

والفَرْيُ: القطع للإصلاح، فريت الشيء أَفْرِيهِ فرياً، قال ابن السكيت: فَرِيَ إذا تَحَيَّرَ[2]، وأفريته إذا أفسدته، وفلان يفري بالفرى إذا كان يأتي بالعجب، لقد كنت تفري به الفَرِيَّا.

قال الفراء: الفَرَى[3]: العجب، والفِرْية: الكذب.

قال أبو مسلم: الفري مأخوذ من فري الأديم قطعته[4] قطع إصلاح[5] ثم يستعار في الكذب فيقولون[6]: افترى على الله كذباً، والكذب هو الباطل.

والمهد: ما وطي للصبي من السرير.

الإعراب

(كان) في قوله: «**كان في المهد**» زائدة مؤكدة، قال الشاعر:

فكيف إذا مررت بدار قوم[7] ... وجيران لنا كانوا كراما[8]

وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [**آل عمران**: ١١٠] أي: أنتم خير أمة أخرجت.

ونصب «**صبيا**» على الحال، «**فريا**» مفعول.

---

(١) أقر الله عينك... ويحب وقيل: ـ، ب.

(٢) تحير: حور، ل، م.

(٣) الفرى: القراء، ب.

(٤) قطعته: قطعت، ز، ل، م.

(٥) إصلاح: صلاح، ب، و.

(٦) فيقولون: فيقول، ب، و.

(٧) فكيف إذا مررت بدار قوم: فكيف إذا رأيت ديار قومي، ب، و.

(٨) كراماً: كرام، ز؛ البيت قائله الفرزدق، أنظر الديوان ٢/ ٢٩٠؛ لسان العرب، «كون».

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما جرى بينها[١] وبين قومها بعد الولادة، فقال[٢] سبحانه: «فَكُلِي» أي: قال من ناداها من تحتها[٣]: كُلي يا مريم من هذا الرطب «وَاشْرَبِي[٤]» من هذا الماء «وَقَرِّي عَيْنًا» أبشري بهذا الولد وطيبي نفساً «فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي[٥]» قيل: في الكلام حذف، وهو من يسألك عن حالك فقولي «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» قيل: صمتاً، عن ابن عباس، وأنس. وقيل: صوماً عن الطعام والشراب والكلام أي: إمساكاً، عن قتادة، والضحاك.

ويقال: ما وجه أمرها بالصمت؟

قلنا: قيل: ليكفيها الكلام، ولفظ بما يبرئ[٦] ساحتها، عن ابن مسعود، وابن زيد، ووهب. ويقال: كان من صام في ذلك الزمان لا[٧] يكلم الناس، فأذن لها في هذا القدر، وقيل: أمر أن تقول[٨] إشارة، وقيل: أمرها أن تقولها قطعاً، ثم تمسك عن الكلام بعده «فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا» قيل: كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس[٩] «فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ» قيل: جاءت بالولد إلى غار، فمكث[١٠] أربعين ليلة حتى طهرت من النفاس، ثم أتت به[١١] قومها، عن ابن عباس. وقيل: نهضت من عند الجذع فأتت به قومها قريرة العين سارة، فلما رأوها نسبوها إلى الفجور و«قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا» أي[١٢]: عظيماً من الأمر، عن مجاهد، وقتادة، والسدي.

(١) بينها: بينهما، ز.
(٢) فقال: فقال فقال، ز.
(٣) تحتها: ـ ، ز.
(٤) واشربي: واشربي واشربي، ز.
(٥) فقولي: قولي، ز.
(٦) ولفظ بما يبرئ: وبلفظ ما بين، ز، ل، م.
(٧) لا: فلا، ز، ل، م.
(٨) أمر أن تقول: من أن لقول، ز، ل، م.
(٩) الإنس: الناس، ب.
(١٠) فمكثت: فمكث، ب، ز، ل، م، و.
(١١) به: ـ ، ب، و.
(١٢) أي: قيل، ب، و.

وقيل: عجباً، وقيل: بأمر باطل من ولد[1] من غير نكاح صحيح، وقيل: بأمر قبيح منكر من الافتراء، ومنه الكذب، عن أبي علي.

«**يَا أُخْتَ هَارُونَ**» قيل: رجل صالح في بني إسرائيل ينسب إليه من عرف بالصلاح، عن قتادة، وكعب، وابن زيد، والمغيرة بن شعبة يرفعه. وقيل: كان لها أخ يسمى هارون، يقال[2]: إنه أمثل بني إسرائيل، فعيرت به، عن الأصم. وقيل: هو هارون أخو موسى عليهما السلام فنسبت[3] إليه؛ لأنها من ولده[4] كما يقال: يا أخا بني فلان، عن السدي. وقيل: كان رجلاً فاسقاً معلناً بالفسق[5] فنسبت إليه[6]، وعلى هذا الأخت بمعنى الشبه لا النسبة[7] «**مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**» يعني أباها عمران، وكان صالحاً، و[8]أمها حنة وما كانت بغية أي: زانية، فعيروها بأبويها[9]، وقيل: لم يكن في قومها رجل سوء وامرأة سوء «**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ**» أي: مريم إلى عيسى بأن كلموه، وكان في جمع[10] بني إسرائيل، فـ«**قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**» قيل: كان المهد حجر أمه، عن قتادة. وقيل: هو المهد بعينه، وقيل: كيف نكلم صبياً من شأنه أن[11] يجعل في المهد، وقيل: غضبوا وقالوا: لسخريتها[12] بنا أشد علينا[13] من زناها، فلما تكلم قالوا: إن هذا لأمر[14] عظيم،

---

(١) من ولد: يولد، ز، ل، م.
(٢) يقال: فقال، ب، ل، م، و.
(٣) فنسبت: نسبت، ب، و.
(٤) ولده: ولد، ب، و.
(٥) بالفسق: بالفسوق، ب.
(٦) إليه: ـ ، ل، م.
(٧) لا النسبة: ـ ، ز، ل، م.
(٨) صالحاً و: ـ ، ل، م؛ صالحاً، ز.
(٩) بأبويها: بأبيها وأمها، ل.
(١٠) جمع: جميع، ب، ل، م، و.
(١١) أن: أي، ل.
(١٢) لسخريتها: لسخرتها، ز.
(١٣) علينا: ـ ، ز.
(١٤) لأمر: الأمر، ز، ل، م.

عن السدي. وقيل: أخذوا الحجارة ليرموها، فلما تكلم تركوها، عن عمرو بن ميمون، بن ميمون[(١)] «قَالَ» قيل[(٢)]: عيسى قال، وقيل: إن زكريا أتاها عند مناظرة اليهود إياها فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عيسى عند ذلك وهو ابن أربعين يوماً، عن وهب. وقيل: هو يوم ولد، عن ابن عباس، ومقاتل، وأكثر المفسرين، وهو الظاهر، «إِنِّي[(٣)]» «عَبْدُ اللَّهِ» أقر بالعبودية تكذيباً للنصارى، ثم ادعى النبوة فقال: «آتَانِيَ الْكِتَابَ» رداً على اليهود، واختلفوا في معنى «آتَانِيَ الْكِتَابَ» قيل: سيؤتيني[(٤)]، وقيل: آتاني في الحال أي أعطاني، والكتاب قيل: التوراة، أي: علمني التوراة[(٥)]، وألهمني في بطن أمي، وقيل: الإنجيل، وأمرني بإبلاغه «وَجَعَلَنِي نَبِيًّا» أي: رسولاً رفيع الشأن، وقيل: أكمل عقله وأرسله إلى عباده، وآتاه الكتاب، عن الحسن، وأبي علي، ولذلك أعطاه[(٦)] المعجزة، وقيل: لا؛ بل كان ذلك إرهاصاً لنبوته، عن أبي بكر أحمد بن علي، وأبي[(٧)] القاسم البلخي.

۞ الأحكام

تدل الآية أنها أقرت بالنذر، وأنها نذرت الصوم، فجعل بعضهم ذلك علامة لسلامتها، وبعضهم مخلصاً من مقالة من اتهمها.

وتدل على أن التعبد بالصوم كان في شريعتهم.

وتدل على أن النذر يلزم.

وتدل على معجزة لعيسى، وأنه كان رسولاً على ما قاله أبو علي، وبعضهم جعله إرهاصاً، وبعضهم معجزة لزكريا، ولا مانع مما حملنا الآية عليه، واختلفوا فقيل: إنه

---

(١) عمرو بن ميمون: عمر وابن ميمون، ز، ل، م
(٢) قيل: ـ ، ز، ل، م.
(٣) إني: أي هو، ل، م.
(٤) سيؤتيني: سيؤتي، ز.
(٥) أي علمني التوراة: ـ ، ز، ل، م.
(٦) أعطاه: ـ ، ز.
(٧) وأبي: وأبو، ز.

تكلم ثم لم يتكلم [بعد ذلك] إلى أن بلغ الحد الذي يتكلم فيه الصبيان، وقيل: بل استمر الكلام في جميع أحواله، وهو الصحيح؛ لأنا إذا قلنا: إنه نبي[١] فلا بد من استمرار نبوته وكلامه.

ومتى قيل: كيف يكون[٢] نبياً[٣] مع صغر سنه، ونقصان جثته، أوليس[٤] فيه تنفير؟

قلنا: إنما تكون بعثة الصبي[٥] تنفيراً إذا كان في نقصان العقل عن[٦] الحد المعتاد للصبيان، وأما[٧] إذا كان[٨] كمل[٩] عقله في الحال أعطاه المعجز[١٠]، وآتاه الرسالة والكتاب، فهذا أقرب إلى القبول وأظهر في المعجز، وصغر سنه لا يمنع من ذلك.

ومتى قيل: كيف يصير عاقلاً؟

قلنا: العقل علوم ضرورية، فإذا خلقها الله تعالى صار كامل العقل.

ومتى قيل: كيف[١١] كان نبياً وهو يقول: جعلني نبيا[١٢]، وهو عبارة عن الماضي؟

قلنا: يحتمل الماضي، ويحتمل الحال، وكلاهما جائز إلا أن الظاهر أنه أوحى إليه قبل أن كلمهم وأعطاه المعجز[١٣].

(١) نبي: نهي، ب.
(٢) يكون ـ ، ز، ل.
(٣) نبياً: ينبغي، ل.
(٤) أوليس: وليس، ب.
(٥) الصبي: الصغير، ب، و.
(٦) عن: على، ب، و.
(٧) وأما: فأما، ب، و.
(٨) كان: ـ ، ز، ل، م.
(٩) كمل: أكمل، ب، و.
(١٠) المعجز: المعجزة، ب، و.
(١١) كيف: ـ ، ب، ل، م، و.
(١٢) نبيا: ـ ، ب، و.
(١٣) المعجز: المعونة، ب، و.

قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب: «قَوْلَ الحق» بنصب اللام، والباقون[١] بالرفع على قول الحق.

اللغة

البركة[٢]: نماء الخير. والتبرك[٣]: طلب[٤] البركة، وأصل الباب: الثبوت من التبرك: ثبوت الطير على الماء.

والصلاة في اللغة: الدعاء، وفي الشرع: عبادة مخصوصة تشتمل على أفعال وأركان[٥]، افتتاحها التكبير وتحليلها التسليم.

الإعراب

في رفع ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ قولان:

أحدهما: ذاك الذي قدمنا[٦] من صفته[٧] قول الحق.

(١) والباقون: الباقون، ل، م.
(٢) البركة: التزكية، ب، و.
(٣) والتبرك: والتبر، ز.
(٤) طلب: لطلب، ل، م.
(٥) وأركان: وأذكار، ب، و؛ وإذا كان، ز.
(٦) قدمنا: يلزمناه، ب، و؛ قدموا، ل.
(٧) صفته: صفة، ز، ل، م.

وثانيها: أن يكون تابعاً لعيسى كأنه قيل: ذلك عيسى وكلمته[1] كلمة الحق.
«وبراً» عطف على قوله: ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾.
و ﴿مُبَارَكًا﴾ كأنه قال: وجعلني براً[2] بوالدتي.

المعنى

ثم بيّن تعالى[3] تمام كلام عيسى عليه السلام فقال سبحانه: **«وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ[4]»** قيل: معلماً للخير، عن مجاهد[5]. وقيل: نَفَّاعاً، وقيل: مباركاً على من تبع ديني، وقيل: ثابتاً على دين الله تعالى[6] وطاعته، عن أبي علي. **«وَأَوْصَانِي[7]»** أمرني **«بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ»** يعني: إقامة الصلاة وأداء الزكاة، وقيل: أراد بالزكاة التطهر من[8] الذنوب، وحكى الأصم عن بعضهم أن كل ما ذكر[9] من الزكاة في المكي فهو الخير كله، وما كان في المدني فهو في المال **«مَا دُمْتُ حَيًّا»** يعني: ما بقيت حياً مكلفاً **«وَبَرًّا بِوَالِدَتِي»** باراً بها، وأضافه إليه تعالى؛ لأنه بأمره ولطفه صار كذلك، ولأن من آداب الدين إضافة المحاسن إليه بحسب ما[10] أمر[11] به، وهدى إليه، وأعان على فعله[12]، ولطف فيه، ورغَّبَ بإيجاب الحمد والثواب **«وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا»** أي: بلطفه تواضعت حتى لم أكن من الجبارين[13] الأشقياء، وقيل: لم ينزلني منزلة الجبارين الأشقياء في العقاب واللعن والذم، عن أبي علي.

---

(١) وكلمته: وكلمه، م؛ وكلمه وكلمه، ز.
(٢) براً: ـ ، ب.
(٣) تعالى: ـ ، ل، م.
(٤) كنت: ـ ، ل، م.
(٥) مجاهد: مقاتل، ز.
(٦) تعالى: ـ ، ز، ل، م.
(٧) وأوصاني: ووصاني، ز.
(٨) من: عن، م.
(٩) ذكر: يكون، ل.
(١٠) ما: ـ ، ز، ل، م.
(١١) أمر: أمره، ز، ل، م.
(١٢) فعله: فضله، ل.
(١٣) الجبارين: الجبابرة، ب، و.

«**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ**» قيل: سلام الله عليه، وقيل: أمره أن يسلم على نفسه، وقيل: السلامة له في هذه الأحوال، عن أبي علي، وهو الوجه. وقيل: السلام: الله أي[١]: هو مطلع على هذه الأحوال «**يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ**[٢]» في المحشر «**حياً**»[٣] للجزاء «**ذلك**»[٤] ما تقدم من القصة والصفة، قصة «**عيسى ابن مريم قَوْلَ**[٥] **الحقِّ**» أي: هو قول الحق «**الذي فِيهِ يَمْتَرُونَ**»، يعني اليهود والنصارى، ويزعم اليهود أنه ساحر كذاب، وتزعم النصارى أنه ابن الله وثالث[٦] ثلاثة، وقيل: هو شك النصارى واختلافهم، فبعضهم قالوا: هو الله، وبعضهم: هو ابن الله[٧] وروحه، وفرقة: ثالث ثلاثة، ثم كذبهم الله تعالى فقال: «**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ**» أي: هو منزه عن[٨] أن يكون من صفته[٩] اتخاذ الأولاد، وقيل: اللام منقول و[١٠] «**مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ**[١١] **إِذَا قَضَى أَمْرًا**» أي: حكم بأمر أنه يكون «**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**» قيل[١٢]: هو مثل أنه تعالى[١٣] يفعل ما يشاء من غير امتناع، وهو الوجه، وقيل: إنه يحدث[١٤] (كُنْ) ليعلم أنه يفعل فعلاً.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أنه كان رسولاً من ذلك الوقت، وأنه كان يتكلم ولم يتغير حاله، وكذلك قوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ يدل عليه.

---

(١) أي: أي أي، م.
(٢) ويوم أبعث: ويوم أبعث حيا، ز، ل، م.
(٣) حيا: حتى، ز.
(٤) ذلك: على، ز، ل، م.
(٥) قول: تؤول إلى، ز، ل، م.
(٦) وثالث: وقالت، ل، م.
(٧) وثالث ثلاثة... ابن الله: ـ، ز.
(٨) عن: ـ، ب، ز.
(٩) يكون من صفته: يكون بصفته، ز، ل، م.
(١٠) و: أو، ز.
(١١) سبحانه: ـ، ب، و.
(١٢) قيل: وقيل، ب، و.
(١٣) تعالى: ـ، ب، و.
(١٤) يحدث: يحذف، ز.

وتدل على أن الصلاة والزكاة من شريعته.

وتدل على حسن التواضع وقبح التكبر.

وتدل على حق الوالدة.

وتدل على وقوع الافتراء[١] في أمر عيسى وأن الحق ما نطق به[٢] الكتاب وما عليه المسلمون.

ويدل قوله: «**سبحانه**» على أنه منزه عن صفات النقص، وهو كل صفة تخص الأجسام والأعراض، وكذلك منزه عن الظلم والقبائح.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على أنه لا يجوز اتخاذ الولد؛ لأنه يقتضي الجنس خلاف الخَلَّةِ[٣].

قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٣٦ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٨ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٩ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ٤٠﴾

القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر: «**إن الله ربي وربكم**» بكسر (**إن**)، والباقون بفتحها[٤].

أما الكسر ففيه وجهان:

---

(١) الافتراء: الامتراء، ز.
(٢) به: ـ، ز، ل، م.
(٣) الخلة: الحد، ز، ل، م.
(٤) بفتحها: بكسرها، ل.

الأول: على الاستئناف، وتقديره[1]: قال عيسى: إن الله ربي وربكم، ويحتمل أن يكون ابتداء كلام الله تعالى وأمر[2] من الله تعالى لرسوله أن يقول ذلك.

والثاني: أن يكون عطفاً على قوله: «**إني عبد الله**» فإنه قال[3]: إني عبد ربي وإن[4] الله ربي وربكم.

أما الفتح ففيه أربعة أوجه:

الأول: وقضى أن الله ربي وربكم، عن أبي عمرو بن العلاء[5].

الثاني: وأوصاني أن الله ربي وربكم.

الثالث: ذلك عيسى ابن مريم وذلك أن الله ربي وربكم.

الرابع: ولأن الله ربي وربكم[6].

اللغة

الأحزاب: جمع حزب، وهو الجمع المنقطع في ذاته عن[7] غيره، حزب القوم صاوروا أحزاباً، وحَزَّبَ عليه الأحزاب أي جَمَّعَ، ومنه: الأحزاب؛ لأنهم اجتمعوا من كل جهة.

والإنذار: الإعلام بموضع المخافة.

الإعراب

«**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ**» جزم لأنه أمر ومعناه التعجب، أي: ما أسمعهم وأبصرهم، أي: حلوا في هذا محل من يتعجب منه، وهو تهديد[8].

(١) وتقديره: تقديره، ب، ز، و.
(٢) وأمر: أوامر، ب، و.
(٣) فإنه قال: كأنه قيل، ب، ز، و.
(٤) ربي وإن: ـ، ز، ل، م.
(٥) أبي عمرو بن العلاء: أبي عمرو وابن العلاء، ز، ل، م.
(٦) الثالث ذلك... ربي وربكم: ـ، ز.
(٧) عن: من، ب، و.
(٨) تهديد: تهديدهم، ز، ل، م.

المعنى

ثم بيّن تعالى وعيد مَنْ خالف الحق[١] في أمر[٢] عيسى عليه السلام فقال سبحانه: «**وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**» أي: هو[٣] وحده خالقي وخالقكم، يحتمل ثلاثة أوجه: أن يكون كلام عيسى، أو كلام الله تعالى ابتداء، أو أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ذلك على ما بينا «**فَاعْبُدُوهُ**» يعني إذا كان هو الخالق وحده فوجب أن يُعْبَدَ[٤] وحده «**هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**» أي: طريق واضح بَيِّنٌ[٥]، قيل: طريق إلى التوحيد، «**مستقيم**» قيل: إلى الجنة، وقيل: هذا دين مستقيم «**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ**» الجماعة منهم «**مِنْ بَيْنِهِمْ**» قيل: هم النصارى افترقوا في عيسى فرقاً ثلاثا[٦]: اليعقوبية، والنسطورية، والملكية[٧]، وقيل: اليهود والنصارى من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى، عن قتادة، ومجاهد، وأبي علي. وقيل: هم جميع الكفار تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتظاهروا عليه مع تفرقهم ومخالفة بعضهم بعضاً، عن الأصم. «**من بينهم**» (مِنْ) للتبعيض لأن منهم من ثبت[٨] على الحق «**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**» قيل: الويل كلمة وعيد، وقيل: العذاب «**مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ**» يعني من مجمع يوم أي: ويل لهم من الفضيحة[٩] على رؤوس الجميع يومئذ، وقيل: المشهد المشهود[١٠] «**يَوْمٍ عَظِيمٍ**» يوم القيامة، سمي عظيماً لعظم أهواله «**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ**» قيل: ما أسمعهم وأبصرهم به[١١] يوم القيامة، ولكن لا ينفعهم، عن الحسن، وقتادة؛ لأنهم يسمعون[١٢] ما يصدع قلوبهم، ويرون ما يهلكهم

---

(١) الحق: ـ، ب.
(٢) أمر: حديث، ب، ز، و.
(٣) هو: ـ، ل، م.
(٤) يعبد: يعبدوه، ز.
(٥) بين: فمن، ل.
(٦) ثلاثاً: ثلاثة، ز، ل، م.
(٧) والملكية: المليكية، ب.
(٨) ثبت: يثبت، ز، ل، م.
(٩) من الفضيحة: ـ، ل.
(١٠) المشهود: الشهود، ب، و.
(١١) به: ـ، ب، و.
(١٢) يسمعون: سيسمعون، و.

مما أعد الله لهم، وإن كانوا اليوم في جهل ظاهر ونفور عن الحق، كأنهم صم عمي، وقيل: أسمعهم ما[١] أنزلنا عليك من وعيدهم، وأبصرهم بالوصف لهم؛ ذلك حتى يصيروا كأنهم يبصرون، عن أبي علي. وقيل: أسمعهم وأبصرهم بهؤلاء الأنبياء كي يؤمنوا، وقيل: يسمعون[٢] ذلك اليوم ويبصرون ما لا يسمعون اليوم وإن كان لا ينفعهم، قال أبو مسلم: وتلخيصه[٣]: هم بصراء سامعون يوم يأتوننا لكنهم اليوم في ضلال وغفلة، ولا يؤمنون، فأنذرهم يوم القيامة بالآخرة[٤] «**يَوْمَ يَأْتُونَنَا**» أي: يأتوا القيامة بحيث لا يملك أحد حكماً غير الله «**لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ**» في الدنيا «**فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**» أي[٥]: بيّن[٦] ظاهر.

«**وَأَنذِرْهُمْ**» خَوِّفْهُمْ «**يَوْمَ الْحَسْرَةِ**» أي: يوم القيامة، وسميت يوم الحسرة لكثرة الحسرات والتأسف على ما فرط، وقيل: إنما يتحسر من يستحق العقاب، وأما المؤمنون فالبتة لا يتحسرون؛ لأن ذلك غم[٧]، وقيل: يتحسر المحسن هل ازداد في إحسانه وليس بشيء «**إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ**» فلا[٨] فلا يرجع إليها، عن أبي مسلم. وقيل: فصل الأمر وقوع من القضاء وانقطعت الآمال، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وقيل: قضي الأمر ببيان الحجج في الدين والدنيا، وإزاحة العلل، وقيل: قضي الأمر بإقامة القيامة[٩]، والجمع للحساب والجزاء، وهم في غفلة من ذلك، وقيل[١٠]: قضي الأمر بإخباره[١١] بالعذاب النازل بهم، ولما كان خبره لا خلف[١٢]

---

(١) ما: بما، ل، م.
(٢) يسمعون: يستمعون، ب، و.
(٣) وتلخيصه: وتلخصه، ز.
(٤) بالآخرة: إلى آخره، ب، و؛ الآخرة، ز.
(٥) أي: ـ، ز، ل، م.
(٦) بين: ـ، ل.
(٧) غم: علم، ل، م.
(٨) إذ قضي الأمر فلا: قيل: ما يقضي الأمر الله فلا، ز، ل، م.
(٩) بإقامة القيامة: بالإقامة، ل.
(١٠) قضي الأمر بإقامة... من ذلك وقيل: ـ، ب، و.
(١١) بإخباره: بأخبار، ز، م.
(١٢) لاخلف: يختلف، ز، م؛ لما يخلف، ل.

فيه صار كالواقع، يقال: قضي، عن أبي علي. وقيل: قضي الأمر بذبح كبش الموت والنداء بالخلود لأهل الدارين، عن مقاتل[١] «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» يعني في الدنيا عن ذلك «وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ» لا يصدقون بذلك «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا» لما ذكر غفلتهم عن الآخرة بسبب[٢] اشتغالهم بالدنيا وحرصهم عليها أخبر أنهم لا يدومون فيها تزهيداً فيها وترغيباً في الآخرة قال: «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا[٣]» يعني نُمِيتُهُمْ فلا يبقى مَلِكٌ يتصرف ويبقى الله سبحانه، فيرث الأرض ومن عليها، والمراد بالإرث[٤] زوال ملك أهلها «وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ» يعني يبعثون يوم القيامة فيرجعون إلى حكمه[٥] وجزائه على أعمالهم.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن الحق[٦] في عيسى ما كان[٧] يقوله: إنه عبد الله ورسوله، وأنه الدين المستقيم، وأن[٨] سائر حاله كحال[٩] سائر[١٠] الرسل، خلاف ما يقوله اليهود والنصارى.

وتدل أن منهم من يقول في عيسى[١١] بما[١٢] نقوله نحن[١٣]؛ لذلك قال: «من بينهم».

---

(١) عن مقاتل: ـ، ز.
(٢) بسبب: لسبب، ب، و.
(٣) ومن عليها: ـ، ز، ل، م.
(٤) بالإرث: بالأرض، ز، ل، م.
(٥) حكمه: حكمته، ز، ل، م.
(٦) الحق: ـ، ل، م.
(٧) كان: ـ، ز، ل، م.
(٨) وأن: ـ، ز.
(٩) كحال: كمال، ز، ل، م.
(١٠) سائر: ـ، ز، ل، م.
(١١) في عيسى: ـ، ز، ل، م.
(١٢) بما: ما، ب، ز، و.
(١٣) نحن: ـ، ل.

وتدل على عظيم الحسرات[١] يوم القيامة وعظم التأسف، ولا محنة أعظم من ذلك؛ لأنه لا شيء يحترز منه العقلاء إلا وهو جامع في الجحيم: من عذاب مؤلم، ثم دوامها[٢]، ثم خلوصها من شائب يخففها، ثم مقارنة الاستخفاف، ثم الإياس من النجاة ببيع أو شفاعة أو تفاد مع ما فاتهم من عظيم[٣] الثواب، فأي حسرة أعظم من هذا، إذا صور العاقل ذلك في نفسه لا يعمل إلا بذلك.

وتدل على أن الوعد والوعيد كائن لا محالة؛ لذلك قال: «**قضي**» ولا تعلق للمشبهة[٤] بقوله: «**إلينا يرجعون**»؛ لأن المعنى إلى حكمه، وقد[٥] دل الدليل على أنه لا يجوز عليه المكان.

ويدل قوله: «**فاعبدوه**» أن[٦] العبادة فعل العبد، وقوله: «**فاختلف**» أن الاختلاف فعلهم، وقوله: «**فويل للذين كفروا من مشهد**[٧]» أن الكفر فعلهم، وكذلك[٨] قوله: «**في ضلال**» أن الضلال فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

ومن أدل الدليل حسرتهم؛ إذ لو[٩] كان أفعالهم خَلْقاً لله تعالى[١٠] على أي شيء يتحسرون[١١] ولا فعل لهم؟! تعالى الله عن ذلك.

(١) الحسرات: الخسران، ز.
(٢) دوامها: داومها، و.
(٣) عظيم: عذاب، ل.
(٤) للمشبهة: للمشبه، ز.
(٥) وقد: إذ قد، ب، و.
(٦) أن: وأن، ب.
(٧) من مشهد: ـ ، ز، ل، م.
(٨) وكذلك: ولذلك، ب، و.
(٩) لو: ـ ، ز.
(١٠) تعالى: ـ ، ل، م.
(١١) يتحسرون: يتحسروا، ب، و.

قوله تعالى:
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وأبو جعفر بفتح التاء في جميع القرآن، والباقون بكسر التاء، وإنما دخلت التاء[١] في «**يا أبت**[٢]» للمبالغة[٣] في تحقيق الإضافة، كما دخلت في علّامة ونسّابة للمبالغة في الصفة، وكسرت التاء طلباً لياء[٤] الإضافة، والوقف بالتاء لهذه العلة، وأجاز الزجاج الوقف بالهاء، وقيل: التاء عوض من ياء[٥] الإضافة، وأما فتح التاء[٦] فعلى تقدير[٧]: يا أبتاه.

اللغة

الصّديق: فِعِّيلٌ من الصدق، وهو الذي يكون عادته الصدق، والغالب على كلامه الصدق؛ لأن هذا الثناء ينبئ عن ذلك، يقال: رجل خِمِّيرٌ وسِكِّيرٌ وشِرِّيبٌ للمولع بهذه الأفعال، عن أبي مسلم. وقيل: هو كثير التصديق بالحق[٨] حتى يصير علماً به.

والعصي[٩] والعاصي بمعنى، كالعليم والعالم.

(١) التاء: الياء، ز.
(٢) يا أبت: يا أبة، ز، ل، م.
(٣) للمبالغة: للمبالغة كما دخلت، ل، م.
(٤) لياء: لتاء، ز.
(٥) ياء: ـ، ز.
(٦) التاء: الياء، ب، و.
(٧) تقدير: تقديره، ز، ل، م.
(٨) بالحق: ـ، ز.
(٩) والعصي: والمعصى، ز.

۞ الإعراب

الواو في قوله: «واذكر» واو[١] عطف جملة على جملة كأنه قيل: في الكتاب قصة زكريا، فلما انتهت قال كما ذكرت ذلك آخر قصة مريم اذكر قصة إبراهيم.

وكسر «إنه» للاستئناف[٢] «كان صِدِّيقاً» معنى[٣] (كان) معنى[٤] الحال، وقيل: بمعنى صار، وقيل: كان من ابتداء حاله إلى انتهائه صديقاً، وفي حديث إبليس: «كان من وقت[٥] إبائه السجود إلى هذا الوقت عصيا».

«تكون» نصب معطوف على قوله: «أن يمسك»، أي[٦]: أخاف أن يمسك، وأخاف أن تكون.

۞ المعنى

ثم ذكر قصة إبراهيم، فقال سبحانه: «وَاذْكُرْ» يا محمد «فِي الْكِتَابِ» في القرآن «إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا[٧]» قيل: كثير التصديق في أمور الدين، عن أبي علي. وقيل: كثير الصدق فيما يخبر عن الله حتى لا يكذب، عن أبي مسلم. وقيل: الصديق من أسماء الدين يسمى[٨] به من عظمت رتبته[٩]، عن الأصم. «نَبِيًّا» قيل: رفيع الشأن بالرسالة، وقيل: رسولاً «إِذْ قَالَ لأَبِيهِ» آزر وكان[١٠] كافراً «يَا أَبَتِ لِمَ[١١] تَعْبُدُ[١٢]»

---

(١) واذكروا و: يا زكريا، ز، م.
(٢) للاستئناف: لأسباب، ز؛ للأصنام، ل؛ للأسباب، م.
(٣) معنى: يعني، ل.
(٤) معنى: بمعنى، ب، و.
(٥) وقت: ـ، ز، ل، م.
(٦) أي: إني، ز.
(٧) صديقاً: صديقاً نبياً، ب.
(٨) يسمى: وسمي، ب.
(٩) رتبته: ربوبيته، ز.
(١٠) وكان: كان، ل، م.
(١١) لم: لا، ز، ل، م.
(١٢) تعبد: تعبد ما لا يسمع، ب، و.

قيل: أراد العبادة وهو ظاهر[١] الكلام، وقيل: أراد الدعاء[٢]، وقيل: أراد الخضوع، وقيل: أراد الطاعة «**بِمَا لاَ يَسْمَعُ ولاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً**» أي لا يكفيك[٣] شيئاً فلا ينفعك ولا يضرك، وقيل: أراد[٤] الأصنام، عن أكثر المفسرين. وقيل: أراد كل معبود عبده قومه من الشمس والقمر والنجوم والأصنام وغير ذلك[٥]، عن الأصم. وبَيَّنَ[٦] الكلامُ أن العبادة يستحقها المنعم بأصول النعم[٧] وهو[٨] الإله القادر العالم الحي القديم، ولما استحال من هذه الأوثان ذلك استحالت[٩] العبادة لها[١٠] «**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**» قيل: علمت من علوم الدين ما لم تعلم، وقيل: من العلم بالقيامة وأحوالها، ومن وعد الله ووعيده، وأن من عبد غير الله يعذب، وقيل: من العلم، أي: من أسباب العلم، من الأدلة والوحي والنبوة[١١] ما لم يأتك «**فَاتَّبِعْنِي**» في الدين «**أَهْدِكَ**[١٢]» أدلك وأرشدك «**صِرَاطًا سَوِيًّا**» أي: طريقاً مستوياً في الدين وهو طريق الحق، وقيل: طريق الجنة، وقيل: طريقاً تنجيك من النار «**يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**» قيل: لا تطعه[١٣] فيما يدعوك إليه فتكون بمنزلة من عبده، ولا شبهة أنهم لم يعبدوا الشيطان ولم يُصَلُّوا له ولكن من أطاع شيئاً فَقَدْ عَبَدَهُ، ويحتمل أن يكون[١٤] المراد بالشيطان رؤساؤهم، والأول الوجه، وقيل: عبدوا الأصنام بدعاء الشيطان فكأنهم عبدوا الشيطان «**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**» أي: عاصياً «**يَا أَبَتِ**

---

(١) ظاهر: ظاهرة، ز.
(٢) وقيل أراد الدعاء: ـ، ز، ل، م.
(٣) لا يكفيك: لا يكفيه، ز، ل، م.
(٤) أراد: آزر، ز.
(٥) وغير ذلك: وعشيرة، ل، م.
(٦) عن الأصم وبين: وغيره وبنا.
(٧) بأصول النعم: ـ، ب، و.
(٨) وهو: هو، ز، ل، م.
(٩) استحالت: استحالة، ز.
(١٠) لها: ـ، ز،ل، م.
(١١) والنبوة: بالنبوة، ز، ل، م.
(١٢) أهدك: أهدك صراطاً، ل، م.
(١٣) لا تطعه: لا تطيعه، ز.
(١٤) يكون: ـ، ز، ل، م.

إِنِّي أَخَافُ» قيل: هو[١] من الخوف، وقيل: معناه أعلم، وإنما قاله شفقة عليه، فعلم معنى العلم لما علم استمراره على الكفر قال ذلك، وعلى معنى الخوف لم يقطع ولم يعلم؛ بل جوز كلا الأمرين[٢]: أن يستمر على الكفر فيستحق[٣] العقاب أو يتوب فلا يستحق، فما دام مكلفاً فكلا[٤] الأمرين فيه جائز ولذلك كان يدعوه إلى الإيمان «أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا» قيل: قريناً في النار، وقيل: ولياً، أي: لاحقاً[٥] بالشيطان[٦] في اللعن والخذلان، واللاحق يسمى التالي، والذي يتلو الشيء والذي[٧] يليه سواء في المعنى، عن أبي مسلم. وقيل: يكون أمرك[٨] موكولاً إلى الشيطان حتى يلي أمرك، عن أبي علي. وقيل: يلي نصرتك الشيطان فلا ينفعك، وإنما قال: (تكون للشيطان وليا) ولم يقل وليك الشيطان؛ لأنه أبلغ في الفضيحة، وإنما[٩] أراد الزجر عن موالاة الشيطان لا تحقيق النصرة، يعني إذا لم يكن لك إلا نصره فأنت مخذول ولا ناصر لك.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن عادة الأنبياء البداية[١٠] بالدعاء إلى التوحيد والعدل، ثم بيان الشرائع، وأنه[١١] الأهم، وأنه كذلك يجب على كل واعظ ومبين.

ويدل قوله: ﴿جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ ,﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ على أن الواجب اتباع الأدلة دون التقليد؛ لأنه بيّن أن سبب وجوب اتباعه ما جاءه من الأدلة.

---

(١) هو: ـ، ل، م.
(٢) كلا الأمرين: الأمر بين، ز.
(٣) فيستحق: يستحق، ز، ل، م.
(٤) فكلا: فكل، ز، ل، م.
(٥) لاحقاً: ـ، ل، م.
(٦) بالشيطان: للشيطان، ز.
(٧) والذي: الذي، ز، ل، م.
(٨) أمرك: بأمرك، ز، ل.
(٩) وإنما: وانا، ب، و.
(١٠) البداية: الهداية، ز، ل، م.
(١١) وأنه: ولأنه، ز.

وتدل على فساد التقليد.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنه نص أنه جاءه من العلم ما لم يأته.

وتدل على أن من خُصَّ بالعلم يجب عليه الدعاء وبيان الدين.

وتدل على وجوب قطع موالاة العصاة من الجن والإنس.

وتدل على أن أهل[1] النار لا ناصر لهم؛ لأن مَنْ ناصره الشيطان فلا ناصر له.

وتدل على[2] أن أبا إبراهيم كان كافراً، وقد ذكر في آي القرآن، فلا معنى لصرفه عن ظاهره وحقيقته إلى المجاز.

وتدل على أن العبادة والاتباع فِعْلُ العبد، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

اللغة

الرغبة في الشيء نقيض الرغبة عنه، فالرغبة فيه أن يريد[3] اجتلابه؛ لما فيه من النفع، والرغبة عنه أن يريد الانصراف؛ لما فيه من المضرة، والرغبة[4]: العطاء الكثير؛ لأنه يرغب فيه، والجمع[5]: رغائب، قال:

---

(١) أهل: ـ، ز.

(٢) على: ـ، ز.

(٣) يريد: تريد، ب.

(٤) والرغبة: والمرغبة، ز.

(٥) والجمع: الجمع، ز.

ومصدره الحَفَاءُ[1] وهو[2] الذي لا خف له ولا نعل[3] في قدمه، وكل شيء استؤصل فقد احتفى.

والعزل: التنحي عن الأمر، وهو من هذا الأمر بمعزل، واعتزلت البيت[4] وتعزلته[5] تنحيته، قال الشاعر[6]:

يـا بـيـت عـاتـكـة الـتـي أَتـعَـزَّلُ   حَـذَرَ[7] الـعِـدَا وبـك الـفـؤاد مـوكَّـلُ

ومنه: ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ [هود: ٤٢]، والعُزُلُ والأعزل[8] الذي ليس معه سلاح، وجمعه: أعزال، كحبيب[9] وأحباب.

رأيتُ الفتية الأعزالَ مثل الأيْنُقِ الرُّعْلِ[10]

والرَّعْلُ[11]: ما يقطع من أذان الشاة ويترك معلقاً لا يبين، وناقة رعلاء[12].

والعلى: العالي، فَعِيلٌ بمعنى فاعل إلا أن في فعيل مبالغة كعليم وعالم، وسميع وسامع.

۞ الإعراب

الألف في «أراغب» استفهام والمراد الإنكار.

---

(١) الحفاء: الحفاف، ز، ل، م.
(٢) وهو: ـ، ز؛ وهو.
(٣) نعل: يعمل، ز، ل، م.
(٤) البيت: المبيت، ز.
(٥) وتعزلته: تعزلته، ب.
(٦) الشاعر: ـ، ب، و.
(٧) حذر: حور، ب، و؛ والبيت قائله الأحوص.
(٨) والاعزل: ـ، و.
(٩) كحبيب: كحب، ز، ل، م.
(١٠) الرعل: الوعل، ز، ب؛ الوغل، ل، م، و. والصواب ما أثبتناه من لسان العرب ١١/٢٨٦، وتاج العروس١/ ٧١١١.
(١١) والرعل والوعل، ب، ز، ل، م، و.
(١٢) رعلاء: وعلاء، ز، ل، م.

وإلـى الـذي يُعـطِي الـرغـائـبَ فـأرْغَـبِ

يقال: رَغِبَ[١] رَغَباً ورَغْباً ورغبة، ورَغْبىَ مثل شكوى.

والانتهاء: الامتناع من الفعل المنهي عنه، نهاه عن الأمر فانتهى، وأصله النهاية، فالذي زجر عن الخروج عن[٢] النهاية المذكورة[٣] [٤]، والتناهي بلوغ نهاية الحد[٥].

الرجم: الرمي بالحجارة، والرجم: الشتم، وأصله من الرِّجام، والرُّجَم هو الحجارة. والرُّجْمَةُ قيل: القبر، وقيل: الحجارة تجعل على القبر لِيُسَنَّمَ[٦].

ملياً[٧]: حيناً ومدة، يقال: أقام ملاوة من دهر، أي: حيناً، والليل والنهار: الملوان، والمَلْوَةُ[٨] والمدة والزمان نظائر، ومنه: أملي له في الغي، أي: أطيل[٩] أيامه فيها.

والحَفِيُّ: المستقصي[١٠] في السؤال، وأصل الباب: الاستقصاء، والمبالغة في الشيء، ومنه: تَحَفَّيْتُ به بالغت في إكرامه، وحَفَوْتُهُ[١١] من[١٢] كل خير: بالغت في[١٣] منعه[١٤]، أَحْفُوهُ[١٥] حَفْواً، وحفيت إليه في الوصية: بالغت، وأحفيت شاربي: بالغت في أخذه حتى استأصلته، وأحفيت في السؤال: بالغت، والحافي اسم

(١) رغب: رغبت، ز، ل.
(٢) عن: ـ، ز، ل، م.
(٣) المذكورة: عن المذكور، م.
(٤) النهاية المذكورة: النهاية عن النهاية المذكور، ل.
(٥) الحد: ـ، ل، م.
(٦) ليسنم: المستلم، ل، م؛ لمستلم، ز.
(٧) مليا: ـ، ل، م.
(٨) والملوة: والملاوة، ب، و.
(٩) أطيل: ـ، ل، م.
(١٠) المستقصي: والمستقصي، ز.
(١١) وحفوته: وحفوفه، ل، م؛ وحقوقه، ز.
(١٢) من: في، ز، ل، م.
(١٣) في: ـ، ز؛ هو، ل، م.
(١٤) منعه: ومنعه، ل، م.
(١٥) أحفوه: وأحفوه، ب.

«**ملياً**» نصب على الظرف.

و«**حفيا**» خبر (كان).

و«**عليا**» نعت للسان[1].

«**وما يعبدون**» محله نصب عطفاً[2] على الكناية في قوله: «**وأعتزلكم**» كأنه قيل: أعتزلكم[3] وأعتزل معبودكم.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى حديث إبراهيم عليه السلام في دعوته إلى دينه، فقال تعالى: «**قَالَ**» يعني: أبا إبراهيم وهو آزر مجيباً[4] له حين دعاه إلى الإيمان «**أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي**» يعني أتزهد في عبادة آلهتي التي هي الأصنام «**يَا إِبْرَاهِيمُ**» وقيل: تأنف من[5] عبادتي، عن الأصم. «**لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ**» أي: إن لم[6] تمتنع عن هذا وترجع عن مقالتك[7] وعيب آلهتنا «**لَأَرْجُمَنَّكَ**» قيل: لأرمينك بالذم والعيب، عن السدي، وابن جريج، والضحاك. وقيل: لأرجمنك بالحجارة، عن الحسن، وأبي علي. وقيل: أظهر أمرك للناس وأرجمنك ليرجموك ويقتلوك، عن الأصم. وقيل[8]: لأبعدنك، وقيل: لأقتلنك بالحجارة، وكان أول دم أريق دم هابيل قتله قابيل بالحجارة، وقيل: لأشتمنّك[9]، عن مقاتل، والكلبي. وقيل: لأضربنك، عن

---

(١) للسان: اللسان، ز، ل، م.
(٢) نصب عطفاً: عطف، ز.
(٣) كأنه قيل أعتزلكم: ـ ، ز.
(٤) مجيباً: تعجيباً، ز، ل، م.
(٥) من: عن، ب، و.
(٦) إن لم: لأن لم، ز.
(٧) مقالتك: مقاتلك، ز.
(٨) وقيل: ـ ، ز، ل، م.
(٩) لأشتمنّك: لأقتلنك، ز، ل، م.

ابن عباس. فإبراهيم[(١)] دعاه[(٢)] دعاء العلماء حيث وعظه وبَيَّنَ له[(٣)] الأدلة وتلطف في الدعاء، وهو أجاب جواب الجهال حين[(٤)] قابل الحجة بالتهديد «**وَاهْجُرْنِي**» فارقني «**مَلِيًّا**» قيل: دهراً طويلاً، عن الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والسدي. من قولهم: المَلْوَة: الزمان الطويل، وقيل: ملياً: سوياً سليماً من عقوبتي، عن ابن عباس، وقتادة، وعطاء، والضحاك من قولهم[(٥)]: فلان ملي بهذا الأمر، إذا[(٦)] كان كاملاً فيه، فلما سمع إبراهيم من أبيه هذا الجواب الموحش «**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ**» قيل: هو توديع على ألطف[(٧)] الوجوه[(٨)]، وهو سلام متاركة ومباعدة منه، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: أمان لك مني بما أردت من اعتزالي فإني أفعله، وقيل: أراد إقامة سُنَّةِ الدين، وقيل: أراد به سلامة الدنيا، وهذا يجوز أن يُدْعَى به الكافر، وقيل: معناه سَلِمْتَ مني لا أصيبك بمكروه ولا أكافئك، عن الأصم. «**سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي**» قيل: وعده أن يستغفر له على مقتضى العقل حتى[(٩)] منعه الشرع، وقيل: كان وعده أن يؤمن فاستغفر له بشرط أن يصدق وعده، وقيل: سأستغفر لك على ما يصح ويجوز من ترككم عبادة الأوثان وإخلاصكم لله تعالى، عن أبي علي[(١٠)]، وقيل: سأستغفر لك ربي ألا يعذبك في الدنيا، عن الأصم[(١١)] «**إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**» قيل: لطيفاً رحيماً، عن ابن عباس، ومقاتل. وقيل: باراً، وقيل: عَوَّدَنِي الإجابة، عن مجاهد.

(١) فإبراهيم: قال إبراهيم، ب.
(٢) دعا: دعاه.
(٣) له: ـ، ب، و.
(٤) حين: عن، ز.
(٥) من قولهم: لقولهم، ز.
(٦) إذا: إذ، ز.
(٧) على ألطف: عن اللطف، ز.
(٨) الوجوه: ـ، ز.
(٩) حتى: حين، ب.
(١٠) وقيل سأستغفر لك... عن أبي علي: ـ، ز، ل، م.
(١١) عن الأصم: ـ، ز، ل، م.

ثم بيّن أنه يختار الدين على مساعدة الأب، والهجرة على الوطن، فقال: «**وَأَعْتَزِلُكُمْ**» أي: أتنحى عنكم «**وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» قيل: تدعونه إلهاً وهي الأوثان، وقيل: تدعون تعبدون «**وَأَدْعُو رَبِّي**» أي: أعبده وأدعوه[١] إلهاً «**عَسَى**» هو[٢] هنا واجب ومعناه: لا أكون «**بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**» كما شقيتم بدعاء الأصنام، وذكر (عسى) على وجه الخضوع «**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ**» أي: فارقهم، قيل: فارقهم إلى الأرض المقدسة، عن مقاتل. «**وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» من الأصنام وغيرها «**وَهَبْنَا**[٣] **لَهُ**» أعطينا له[٤] «**إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**» ابناً وابن ابن «**وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيًّا**» يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلهم رسلاً وأنبياء يقتدى بهم في الدين «**وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا**» قيل: المال والولد، وقيل: النبوة والكتاب[٥]، وقيل: الرحمة النعمة فوهبهم نعمة الدين والدنيا «**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**» رفيعاً، قيل: ثناءً[٦] حسناً، عن ابن عباس، وذكر أن كل أهل[٧] دين يثنون عليهم[٨] ويوالونهم، والعرب تقول: جاءني لسانه أي: مدحه، قال الشاعر:

إنـي أتـتـنـي لـسـان لا أسَرُّ بـهـا[٩] ... من علو لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ[١٠]

وقيل: اللسان الصدق وما[١١] آتاهم[١٢] من وحيه وأمرهم بتبليغه إلى عباده، عن

---

(١) وأدعوه: وأدعيه، ز.
(٢) هو: ـ، ز، ل، م.
(٣) وهبنا: ووهبنا، ز.
(٤) أعطينا له: أعطيناه، ز.
(٥) والكتاب: ـ، ل، م.
(٦) ثناءً: شيئاً، ب، و.
(٧) أن كل أهل: أن أهل كل، ب، و.
(٨) عليهم: ـ، ز، ل، م.
(٩) بها: به، ب، ز، ل، م، و. وما أثبتناه من مجمع البيان في تفسير القرآن ٤/١٦/٤١.
(١٠) سخر: سجر، ز، ل، م. والبيت ينسب إلى أعشى باهلة، أنظر لسان العرب، «لسن» والبيت ينسب كذلك للدعجاء بنت وهب أنظر الكامل للمبرد.
(١١) وما: ما، ب، و، ل.
(١٢) آتاهم: آتيهم، ل.

أبي علي. ويقال: رجل صدق أي: محمود، يقال[١]: طابت أخبارهم[٢] وحمدت مآثرهم، وقيل: ما يتلى في التشهد: «كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم»، وقيل: اللسان الصدق: ذِكْرُهُمْ[٣] في الكتب، فشبه الكتب المخْبِرَةَ[٤] عنهم باللسان والصدق يعني كتب الله الصادقة الغالبة[٥] تخبر عنهم، عن الأصم.

۞ الأحكام

تدل آيات جوابه لإبراهيم على عجزه عن جواب الحجة، وهكذا طريقة كل مبطل يعدل عن الحجة إلى التهديد وسوء[٦] القول[٧].

ويدل قوله: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ على أن اسم الاعتزال لا يرد إلا في الاعتزال عن الشر، ولهذا لهج[٨] أصحابنا بهذا اللقب.

ويدل قوله[٩]: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ﴾ على جواز الاستغفار للكافر إما عقلاً أو بشرط الإيمان على ما بينا.

وتدل على أنه لما هاجر رفعه الله، وهكذا عادة الله في عباده.

وتدل على أنه أنعم عليهم بنعم الدارين، وأعطاه النبوة والوحي والثناء الحسن، وجعل النبوة في نسله.

---

(١) يقال: يعني، ز.
(٢) أخبارهم: آثارهم، ب، و.
(٣) ذكرهم: ذكرهم ذكرهم، و.
(٤) المخبرة: المخبر، ز، ل، م.
(٥) الغالبة: الغالية، ب؛ العالية، ز، و.
(٦) وسوء: ويسوء، ب، ل.
(٧) القول: القبول، ل، م.
(٨) لهج: يتحجج، ب، و.
(٩) قوله: ـ، ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «**مُخْلَصاً**» بفتح اللام، يعني أخلصه الله تعالى للنبوة، والباقون بكسر اللام يعني أخلص العبادة لله.

اللغة

النداء: رفع الصوت بطريقة: يا فلان، ناداه نداء، قال الله[1] تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: ١١]، وقال في موضع آخر: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن[2] جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾.

النَّجِيُّ: المختص بإدراك كلام من[3] يكلمه، ناجاه يناجيه مناجاة فهو مُناجٍ له، وأصله: النجوة: الارتفاع من الأرض، ومنه: النجاة: ارتفاع[4] من الهلكة، والنجاء: السرعة؛ لأنه ارتفاع في السير، والمناجاة ارتفاع الحديث إلى المُحَدَّثِ، والنَّجِيُّ[5] والمناجي[6] كالجليس والمجالس.

الإعراب

«**نجيا**» نصب على الحال، أي: شرفناه في حال كلامنا له.

---

(١) الله: ـ، ب، و.
(٢) وناديناه من: ـ، ب، و؛ وفي (ل): فناداه من جانب الطور.
(٣) من: ـ، ل.
(٤) ارتفاع: الارتفاع، ب، و.
(٥) والنجي: والنجاة، ل.
(٦) في مجمع البيان في تفسير القرآن م٤/ج١٦/ ٤١: والنجي بمعنى المناجي.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى حديث موسى وإسماعيل، فقال سبحانه: «وَاذْكُرْ» يا محمد «فِي الْكِتَابِ» في القرآن «مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا» قيل: أخلص العبادة لله، وقيل: كان موحداً مسلماً، عن مقاتل. وبفتح اللام كان مختاراً للرسالة، وقيل: اختاره بأن كلمه ووهبه الجاه وسائر ما أعطاه «وَكَانَ رَسُولاً» إلى فرعون وقومه «نَبِيًّا» رفيع الشأن والقدر «وَنَادَيْنَاهُ» أي: دعوناه «مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ» يعني كان النداء من جانب اليمين من الطور، وقيل: اليمين من موسى، والطور قيل[١]: بالشام «وَقَرَّبْنَاهُ» في المنزلة، محله محل من قربه مولاه من مجلس كرامته «نَجِيًّا» كليماً، قيل: معناه رفعنا رتبته بكلامنا له، وقيل: قرب من اللوح المحفوظ حتى كتب له في[٢] الألواح، وقيل: قربناه من الموضع الذي شرفه به[٣] ليستمع كلامه منه، وقيل: قرب من أعلى الحجب حتى سمع صرير القلم، عن ابن عباس، ومجاهد. ولا يجوز حمله على قرب المكان من الله تعالى؛ لأنه يتعالى عن ذلك «وَوَهَبْنَا لَهُ» أعطيناه «مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ» أي: من نعمتنا عليه أعناه بأخيه «هَارُونَ» وجعلناه «نَبِيًّا» معه، قيل: لأنه[٤] لما أرسله دعا أن يشد ظهره به ويجعله وزيره وشريكه في أمره، فأجابه رحمة منه «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ» هو أكبر ولد إبراهيم، وأمه هاجر، وحكى الأصم عن بعضهم أنه النبي الذي أخبرهم عن طالوت وكان في بني إسرائيل بعد موسى ﷺ[٥] وذريته، وذكر أن الإجماع على[٦] خلافه «إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ» أي[٧]: لا يخلف وعده، وقيل: وعد رجلاً أن يقيم ولا يبرح حتى يرجع إليه فأقام ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع، عن مقاتل. وقيل: أقام حولاً[٨]، عن الكلبي. وقيل: كان صادق الوعد فيما بينه وبين ربه «وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا» رفيع القدر، وقيل: جمع بينهما

(١) قيل: ـ ، ز، ل، م.
(٢) في: ـ ، ب، ز، و.
(٣) به: ـ ، ز، ل، م.
(٤) لأنه: أنه، ز.
(٥) صلى الله عليه وآله وسلم: ـ ، ز، ل، م.
(٦) على: ـ ، ب، ل، م، و.
(٧) أي: ـ ، ز، ل، م.
(٨) وقيل أقام حولا: وقيل أقام وقيل حولا، ل، م.

تأكيداً، وقيل: لزيادة الفائدة في النبوة من الرفعة، وقيل: معنى رسولاً أنه أرسله، ومعنى نبياً أنه أعلمه وأخبره، عن أبي مسلم. «**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ**» قيل: أمته، عن الحسن. وقيل: قومه وعِتْرَته[1] «**بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ**» قيل[2]: كان يأمر بهما، وقيل: كان يأمر أهله بصلاة الليل وصدقة النهار، وقيل: الزكاة ما يزكيهم بها ويقربهم إلى الله تعالى، عن الأصم. «**وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**» قيل: صالحاً زكياً رضي الله عنه، فحصل له عنده[3] المنزلة العظيمة، وقيل: رضي الله[4] عمله.

الأحكام

تدل على عظم منزلة موسى وهارون وإسماعيل، وأنهم كانوا أنبياء.

وتدل على جواز نَبِيَّيْنِ في زمان واحد.

وتدل على أنه كلم موسى، وأنه سمع كلامه من جانب الطور، ولا يصح ذلك إلا بأن يحل في ذلك المحل، وذلك[5] يدل على حدثه.

وتدل على أن الصلاة والزكاة من معظم أمور الشرائع، وأنه كان في شريعة إسماعيل التعبد بهما.

قوله تعالى:
﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾

---

(١) وعترته: وعشيرته، ز.
(٢) قيل: وقيل، ل.
(٣) عنده: ـ، ز.
(٤) الله: ـ، ب، و.
(٥) وذلك: وبذلك، ز، ل.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «بِكيًا» بكسر الباء، والباقون بضمها، وقد بيناه.

و«يُدْخَلُون» بضم الياء على ما لم يسم فاعله وفتحها على إسناد الدخول إليهم وقد بيناه.

قراءة العامة[١] «الصلاة» بمعنى الجنس، وعن الحسن: «الصلوات» على الجمع.

اللغة

العلي: العظيم العلو، والعلي: العظيم[٢] فيما يقدر على الأمور[٣]، ومنه يوصف الله تعالى بأن علي.

والبكاء المعروف[٤] يقصر ويمد، وقيل: إذا دمعت العين[٥] فهو مقصور، فإذا[٦] كان ثم[٧] نشيج وصياح فهو ممدود، وبُكِيٌّ قيل: جمع باكٍ على فُعُولٍ، ويجوز أن يكون مصدراً بكى يبكي بكاءً وبكيا، قال أبو مسلم: بكي جمع باكٍ، وباك بناء فاعل، وفاعل يجمع على فاعلين وفُعُول وفُعَّال، فما[٨] جاء على فعول نحو: خاشع وخشوع، وحاضر وحضور، وشاهد وشهود، والأصل في بُكيّ: بُكُويٌ[٩]، وكذلك في جُثِيّ جُثُويٌ[١٠]، واستثقلوا الواو مع الياء فقلبوها ياء[١١] وأدغموها فصار بكياً، وأصله: بُكُويٌ.

---

(١) العامة: للعامة، و.
(٢) العظيم: والعظيم، ز، ل، م.
(٣) الأمور: المقدور، ل.
(٤) المعروف: معروف، ب، و.
(٥) العين: ـ، ل.
(٦) فإذا: وإذا، ب، و.
(٧) ثم: ـ، ل.
(٨) فما: مما، ز، ل، م.
(٩) بكوي: بكو، ب، و.
(١٠) جثوي: حبواً، ب، و.
(١١) ياء: هاء، ز، ل، م.

الخَلَفُ بفتح اللام في الصالح[١]، وبسكونها في الخلف السوء[٢]، ويجوز استعمال كل واحد منهما[٣] مكان الآخر، عن الفراء، والزجاج.

والعدن: الإقامة، عَدَنَ بالمكان أقام به.

والمأتي: مفعول من الإتيان، يقال: أتيت[٤] مكان كذا[٥]، وأنا آت، والمكان مأتي، وأصله: مَأْتُويٌ، استثقلت[٦] الواو مع الياء[٧] فقلبت ياء وأدغمت فصار مأتياً.

۞ الإعراب

«سُجَّدًا[٨]» نصب على الحال، وقيل: على التفسير.

ويقال: الاستثناء من ماذا[٩]؟

قلنا: من قوله: «غيا»، كأنه قيل: من آمن لا يلقون غيا، فهو استثناء من الأول، وفي حكم المبتدأ، عن الحسن.

وقيل: بل استثناء منقطع بتقدير: لكن من تاب.

وقيل: هو[١٠] استثناء من الخلف، عن أبي علي.

«جنات» في محل النصب بتقدير: يدخلون جنات عدن.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا» في مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه. وقيل: هو عام.

(١) الصالح: المصالح، ب.
(٢) السوء: العلو، ل.
(٣) منهما: ـ، ب، و.
(٤) أتيت: ماتيت، ل.
(٥) كذا: فلان، ب.
(٦) استثقلت: استثقل، ز.
(٧) الياء: التاء، ب، ل، م، و.
(٨) سجدا: مأتيا، ل.
(٩) الاستثناء من ماذا: للاستثناء بماذا، ب، و.
(١٠) هو: ـ، ز، ل، م.

المعنى

ثم ذكر قصة إدريس، فقال سبحانه: «وَاذْكُرْ» يا محمد «فِي الْكِتَابِ» أي: في[1] القرآن «إِدْرِيسَ» هو جد أبي نوح، عن ابن عباس. وقيل: سمي إدريس إدريس[2] لكثرة درسه في الكتب[3]، وقيل: اسمه أخنوخ، وليس بشيء؛ لأنه تعالى سماه إدريس، فلا معنى لترك الظاهر بخبر لا يدرى صحته، وقيل: كان خياطاً وأول من خاط الثياب، وأول من خط القلم[4]، وقيل: علمه[5] الله تعالى النجوم والحساب والهيئات[6]، وهذا يجوز أن يكون معجزة له «إِنَّهُ» يعني: إدريس «كَانَ[7] صِدِّيقًا» قيل: كثير التصديق[8] بالحق، وقيل: كان كثير الصدق[9] حتى لا يكذب كالسكيت والشِّرِّيبِ لِمَنْ عادته[10] ذلك «نَبِيًّا» أي رسولاً رفيع المنزلة «وَرَفَعْنَاهُ[11] مَكَانًا عَلِيًّا» عالياً، قيل: إلى الجنة، عن الأصم. وقيل: إلى السماء السادسة، عن ابن عباس، والضحاك. وقيل: إلى السماء الرابعة، عن أنس في حديث مرفوع، وعن كعب، ومجاهد، وأبي سعيد الخدري. وقيل: هو حي لم يمت، وقيل: رفعه الله إلى السماء ثم قبض روحه، وقيل: أراد الرفعة في المنزلة يعني رفعنا محله، كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] ولم يرد رفعة المكان، عن الحسن، والأصم، وأبي علي، وأبي مسلم.

وقيل: هل يصح ما روي أنه يرفع له كل يوم عمل صالح فأحبته الملائكة وكانوا

(١) في: ـ، ز.
(٢) إدريس: ـ، ز، ل، م.
(٣) في الكتب: للكتب، ز.
(٤) القلم: العلم، ز، ل، م.
(٥) علمه: علم، ز، ل، م.
(٦) والهيئات: والضباب، ل.
(٧) كان: إنه كان، ز.
(٨) التصديق: الصدق، ل.
(٩) وقيل كان كثير الصدق: ـ، ز، ل، م.
(١٠) عادته: دعائه، ز، ل.
(١١) ورفعناه: ومعناه، ب، و.

يزورونه[١]، فاقترح على ملك الموت أن يميته، فأماته ثم أحياه الله، وأن يدخله النار ليراها، وأن يدخله الجنة ليراها، ففعل، فلما دخل الجنة لم يخرج منها، فصاحه[٢] ملك[٣] الموت ليخرجه، فتعلق بشجرة وأبى الخروج، فبعث إليه ملكاً يقضي بينهما، فأبى[٤] الخروج، وقال[٥]: قد قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقت، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، وقد وردتها، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجْر: ٤٨] فلا أخرج، في قصة طويلة رووها في هذا الباب.

قلنا: كل ذلك حشو لا يجوز على الأنبياء والملائكة، واقتراحات لا يجوز على الله تعالى[٦] فعلها، وغيره لا يقدر عليه.

ولما فَضَّلَ الله[٧] النبيين ووصف كل واحد منهم[٨] بصفة[٩] تخصه[١٠] في المدح والثناء، وأنهم من آباء طاهرة، كما أنهم في أنفسهم، فقال سبحانه: «**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**[١١]» قيل[١٢]: بالنبوة، وقيل: بالثواب وسائر نعم الدين والدنيا «**مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**» ومن ذرية من كان مع نوح في السفينة محمولاً «**وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ**» يعني يعقوب.

ومتى قيل: لم فرق نسبهم وكلهم لآدم؟

(١) يزورونه: يرونه، ز، ل، م.
(٢) هكذا في جميع النسخ المتوفرة لدينا.
(٣) ملك: الملك، ب، و.
(٤) فأبى: وأبى، ز، ل.
(٥) وقال: ـ ، ز، ل، م.
(٦) تعالى: ـ ، ب، و.
(٧) الله: ذكر، ب، و.
(٨) منهم: ـ ، ل، م.
(٩) بصفة: ـ ، ز.
(١٠) تخصه: جمعهم تخصه، ب، ز، و.
(١١) عليهم: عليهم من النبيين، ل.
(١٢) قيل: فقيل، ز.

قلنا: للبيان[1] عن[2] مراتبهم في شرف النسب، فكان لإدريس القرب من آدم وهو جد نوح، وكان إبراهيم من ذرية نوح ممن[3] حملنا مع نوح؛ لأنه من ولد سام بن نوح، وكان إسماعيل وإسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم، ويحيى وزكريا وعيسى من ذرية إسرائيل؛ لأن مريم من ذريته[4].

ثم ابتدأ الكلام[5] «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا» قيل: تم الكلام عند قوله: «إسرائيل» ثم ابتدأ الكلام: «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا[6]» تقديره: أولئك الذين تقدم ذكرهم أنعم الله عليهم، وممن هدينا من الأمم قوم[7] اجتبيناهم، وحذف لدلالة الكلام عليه، عن أبي مسلم. وقيل: بل المراد الأنبياء الذين تقدم ذكرهم، يعني: هم[8] ممن هدينا «واجتبينا» أي: اخترناهم للرسالة[9] وخصصناهم بها، قيل: اخترناهم من بين الخلق[10]، وهديناهم إلى الحق[11] فاهتدوا.

ثم بيّن صفتهم، فقال تعالى[12]: «إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ» يعني تقرأ عليهم، قيل: دينه، عن الحسن. وقيل: كتبه المضمنة بحجته[13]، عن الأصم. وقيل: آيات الوعيد، وقيل: القرآن[14]، عن ابن عباس. وقيل: ما أعد الله للكفار من النقمات

(١) للبيان: البيان، ز، ل، م.
(٢) عن: من، ز.
(٣) ممن: من، ز، ل، م.
(٤) لأن مريم من ذريته: ـ، ب.
(٥) ثم ابتدأ الكلام: ـ، ز، ل، م، و.
(٦) واجتبينا: ـ، ب، ز، و.
(٧) قوم: يوم، ز، ل، م.
(٨) هم: ـ، ل، م.
(٩) للرسالة: للرئاسة، ب، و.
(١٠) الخلق: الحق، ز.
(١١) الحق: الخلق، ل.
(١٢) تعالى: +، ز، ل، م.
(١٣) بحجته: لحجته، ز؛ بحجحه، ل؛ ومطموس في (م).
(١٤) القرآن: ألفاً ووضع عليها علامة +، ب، و؛ الفوا، ز؛ ألف، ل، م. والصواب ما أثبتناه من البيان في تفسير القرآن للطبرسي م٤/ج١٦/٤٨.

في الدنيا، وقيل: كل آية من أمر أو نهي أو وعد أو وعيد «**خَرُّوا سُجَّدًا**» يعني وقعوا في السجود لله تعالى «**وَبُكِيًّا**[1]» أي: باكين؛ لأن آيات الله تورث المؤمنين الرقة والبكاء، فبيّن أنهم مع جلالتهم[2] يبكون عند ذكر آيات الله[3] والوعد والوعيد، وهؤلاء العصاة ساهون لاهون مع إحاطة السيئات[4] بهم «**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ**» يعني قوم سوء بعد النبيين المذكورين، قيل: هم اليهود ومن تبعهم؛ لأنهم من ولد إسرائيل، وقيل: هم[5] في هذه الأمة، عن مجاهد، وقتادة. وقال مجاهد: وهذا عند اقتراب الساعة وذهاب[6] صالحي أمة محمد ﷺ «**أَضَاعُوا الصَّلَاةَ**» قيل: تركوها، عن محمد بن كعب القرظي. وقيل: أخروها عن وقتها، عن ابن مسعود، وإبراهيم، والقاسم بن مخيمرة[7]، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك. «**وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ**» قيل: المعاصي، وقيل: استحلوا نكاح الأخت من الأب، عن مقاتل. وقيل: استحلوا شرب الخمر وغيره، عن الكلبي. وعن وهب: «**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِم خَلْفٌ**» شرابون[8] للقهوات لعابون بالكعبات[9]، ركابون للشهوات، متبعون للذات[10]، تاركون للجمعات، مضيعون للصلوات «**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**» قيل: عذاباً، وقيل: شراً وخيبة، عن ابن عباس، وابن زيد: ومنه قول الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ الناس أَمْرَهُ ... ومَنْ يَغْوِ لا يعدمْ عَلَى الغَيِّ لائما

أي: من يخب، وقيل: هلاكاً[11]، عن أبي مسلم. وقيل: غياً وادٍ في جهنم،

---

(١) وبكيا: بكيا، ب، و.
(٢) جلالتهم: جلالهم، ز، ل، م.
(٣) آيات الله: الآيات، ز.
(٤) السيئات: النسيان، ب.
(٥) هم: ـ، ز.
(٦) وذهاب: وذهب، ز، ل، م.
(٧) مخيمرة: محره، ز، ل، م. انظر: تفسير القرطبي ١١/ ١١٢.
(٨) شرابون: شاربون، ز، ب، و.
(٩) بالكعبات: بالكعاب، ب، و؛ بالكعبات. وما أثبتناه من (ز).
(١٠) للذات: اللذات، ز.
(١١) هلاكاً: وهلاكاً، ب، و.

عن ابن عباس، وابن مسعود، وعطاء، وكعب. وقيل: خسراناً، وقيل: آثاماً ومعاصي، عن الأصم.

ثم بين حال المقلع من ذلك، فقال س بحانه: «**إِلاَّ مَنْ تَابَ**» أي: ندم على ما سلف «**وَآمَنَ**» في مستقبل عمره «**وَعَمِلَ صَالِحًا**» ما أمره الله تعالى من الطاعات «**فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا**» أي: لا ينقصون حقهم ولا[1] ينقص مثاب حقاً، ولا يعاقب معاقب بما[2] لا[3] يستحقه.

ثم وصف الجنة فقال سبحانه: «**جَنَّاتِ عَدْنٍ**» أي[4]: جنات إقامة، لا تزول الجنة ولا سكانها «**الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ**» المؤمنين «**بِالْغَيْبِ**» يعني غائبة عنهم لم يروها «**إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ**[5]» قيل: الوعد يعني[6] الموعود، والموعود يأتي لا محالة، «**مأتياً**» آتياً مفعول أقيم مقام الفاعل، وقيل: «**مأتيا**» مفعولاً، ويجوز في مثل هذا آتياً ومأتيا كما يقول: آتيت عليًّا خمسين سنة، وأتت عليّا خمسون سنة.

الأحكام

تدل الآية على رفعة إدريس، وقد بينا[7] ما قيل فيه، والأقرب أنه أراد رفعة المنزلة؛ لأنه أدخل في باب التعظيم وإن كان الثاني أقرب إلى الروايات[8]، وقال[9] بعض الفقهاء: إن قوله: «**خروا سجداً**» يدل على وجوب سجدة القرآن؛ لأنه ثبت أن عند التلاوة لا يلزم سجود إلا سجود التلاوة.

---

(١) ولا: فلا، ب، و.
(٢) بما: ما، ب، ز، م.
(٣) من هنا بداية السقط في و.
(٤) أي: ـ ب، ل، م.
(٥) وعده: وعده مأتيا، ز، ل، م.
(٦) يعني: ـ، ب.
(٧) وقد بينا: وقدمنا، ب.
(٨) الروايات: الروات، ل، م.
(٩) وقال: فقال، ز، ل، م.

وذكر علي بن موسى القمي أنها تدل على وجوب السجدة على المستمع كما تلزم على[1] القارئ.

وذكر القاضي أنها لا تدل على وجوب السجدة؛ لأن هذا الوصف شامل لكل آيات الله، ولأنه قرن[2] السجود بالبكاء، دل أنه حكى طريقة الأنبياء في الخضوع ليقتدى بهم.

وتدل على عظيم حال الصلاة لذلك خصها بالذكر.

وتدل على أن التوبة تزيل العقاب.

وتدل على أن مجرد التوبة لا يكفي ما لم ينضم إليه العمل الصالح خلاف قول المرجئة.

وتدل على أن الإيمان والصلاة وخلافه فِعْلُ العبد خلاف قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ على أنه لا يعاقب أحداً بغير ذنب ولا يمنع أحداً ثواب عمل؛ لأن كل واحد من ذلك كالآخر في أنه يكون ظلماً، وقد اختلفوا فيه على قولين:

منهم من حمله على أنه يوفر الله عليهم جزاء لكل[3] أعمالهم، وزعم في التائب أن أعماله في حال فسقه لا تسقط بل يعود ثوابها، وهو مذهب أبي القاسم.

ومنهم من قال: إنه يوفر عليه المستحق، ويزعم أن التائب لا[4] يعود عليه ثواب طاعاته في حال الفسق وأنها يستحق ثواب التوبة والأعمال بعده، وهو قول أبي علي، فأما أبو هاشم فعلى القولين يصح[5] مذهبه؛ لأنه عنده لا يبطل شيء من ذلك، فإما[6] أن يثاب[7] عليه أو ينقص من عقابه؛ لأنه لا يقول بالإحباط وإنما يقول بالموازنة، ووافق أبا علي في[8] أن ثوابه لا يعود.

(١) على: ـ، ز، ل، م.
(٢) ولأنه قرن: ولأنه فرق بين، ل، م.
(٣) لكل: ـ، ز، ل، م.
(٤) ثوابها وهو... التائب لا: ـ، ب.
(٥) يصح: يقبح، ز، ل، م.
(٦) فإما: وإما، ز، ل، م.
(٧) يثاب: يتاب، ل، م.
(٨) في: ـ، ل، م.

وقد اختلف مشايخنا فيه على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يعود الثواب إذا تاب، ويعود العقاب إذا عاد بعد[1] التوبة، وهو مذهب بشر وجماعة.

ومنهم من قال: لا يعود في الوجهين، وهو قول أبي[2] علي وأبي هاشم وأصحابهما.

ومنهم من يقول: يعود الثواب ولا يعود العقاب، عن أبي القاسم.

ويدل قوله: ﴿وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ أن وعده ووعيده لا يجوز فيه الخلف[3].

قوله تعالى:

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾

القراءة

قرأ يعقوب في بعض الروايات عنه: «نورث» بفتح [الواو وتشديد] الراء[4] من أورث يورث [وقرأ الباقون بالتخفيف].

اللغة

اللغو: الهَذَرُ من الكلام، وقيل: هو الذي لا معنى له يستفاد منه، واللغو واللَّغَا[5] بمعنى، قال الشاعر:

(١) بعد: وبعد، ز، ل، م.

(٢) قول أبي: ـ ، ز، ل، م.

(٣) عن أبي القاسم... فيه الخلف: ـ ، ل، م.

(٤) في مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي م٤/ج١٦/ ٥٠: قرأ رويس عن يعقوب: (نورّث) بالتشديد والباقون (نورث).

(٥) واللغا: الغي، ز.

عــن الــلَّـغـا وَرَفَـثِ الـتـكـلـم[1]

واصطبر: افتعل من الصبر، وسواء قولك اصْبِرْ واصْطَبِرْ في المعنى.

۞ الإعراب

«إِلاَّ سَلاَمًا» استثناء من غير جنس، وهو بمعنى لكن، قال الشاعر:

وقـفـتُ فـيـهـا أُصَـيْـلاَنـاً أُسَـائـلـهـا   عَـيَّـتْ جـوابـاً[2] ومـا بـالـربـع مـن أحـد

إلا ألأوارِيَّ[3] [لاياً ما أبينها. . . . . والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد]

نصب[4] «بُكْرَةً وَعَشِيًّا» على الظرف أي: في البكرة والعشي.

«تَقِيًّا»[5] نصب؛ لأنه خبر (كان)، وقيل: نورثها[6] الأتقياء.

۞ النزول

قيل: استبطأ النبي ﷺ جبريل عليه السلام، فقال: «ما منعك[7] أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فأتاه هذا الجواب: «وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ][8]»، **عن ابن عباس، ومجاهد، وإبراهيم**.

وقيل: إن العاص بن وائل السهمي لم يعط أجرة أجير استعمله فقال: لو كان الأمر كما يزعم محمد فنحن أولى بالجنة ونعيمها، فحينئذ أوفوه[9] أجره، فنزل: «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا».

---

(١) البيت للعجاج صدره:

ورُبَّ أســراب حــجــيــج كُــظَّــمِ

أنظر القاموس «رفث»، لسان «رفث».

(٢) ساقط في ب.

(٣) في (ز، و، م): إلاواري. وما أثبتناه من (ب، ل).

(٤) نصب: ـ ، ب.

(٥) تقيا: مطموس في (م)، وتقيا، ز، ل.

(٦) نورثها: يتورها، ز؛ يتورثها، ل، م.

(٧) في تفسير التبيان ٧/ ١٣٩: ما يمنعك.

(٨) إلاّ بأمر ربك: ـ ، ب.

(٩) أوفره: أوفوه، ز، ل، م.

وقيل: احتبس[١] جبريل عن النبي عليهما السلام[٢] لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فشق عليه، فلما أتاه استبطأه، فنزلت الآية، عن عكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي.

واختلف كم احتبس، قيل: أربعون يوماً عن عكرمة، وقيل: اثنتا عشرة ليلة، عن مجاهد. وقيل: خمس[٣] عشرة، وقد بينا أن هذا لا يجوز لما له من التنفير، فأما تأخير النزول فيجوز من غير سبب، فأما إذا سئل النبي ﷺ وآله[٤] عن شيء وقال سأخبركم غداً ثم تأخر الوحي فهذا لا يجوز.

۞ المعنى

ثم وصف تعالى حالة أهل الجنة فقال: **«لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا»** قيل: قولاً يجب أن يَلْغَى مثل الخنا والفجر[٥] والفحش والأباطيل، وقيل: يمينا[٦] كاذبة، عن مقاتل. وقيل[٧]: مأثماً **«إِلاَّ سَلاَمًا»** لكن يسمعون سلاماً، قيل: قولاً يسلمون منه، وقيل: قولاً سالماً من هذه المعاتب، وقيل: يسلم بعضهم على بعض ويسلم الله تعالى والملائكة عليهم **«وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ»** عطاؤهم **«فِيهَا»** في الجنة **«بُكْرَةً وَعَشِيًّا»** يعني على مقدار طرفي النهار، وقيل: الغرض بهذا إدرار الرزق عليهم أي[٨]: في أي وقت شاءوا، وقيل: يجوز أن يجعل الله فيهم علامة يعرفون بها مقادير[٩] اليوم في الآخرة كما يعرفون في الدنيا بالشمس.

«تِلْكَ الْجَنَّةُ» ما وصفها[١٠] **«الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا»** قيل: لكل مكلف موضع

---

(١) احتبس: حبس، ز، ل، م.
(٢) عليهما السلام: صلى الله عليهما، ل.
(٣) خمس: خمسة، ز.
(٤) وآله: ـ ز، ل، م.
(٥) والفجر: ـ ، ز، ل.
(٦) يمينا: كهناً، ز، ل، م.
(٧) وقيل: ـ ، ز.
(٨) أي: ـ ، ب.
(٩) مقادير: مقدار، ب.
(١٠) وصفها: وصفة، ب، ما صفها، ز.

من[1] الجنة فإذا عصى دفع إلى غيره فلذلك سماه إرثاً، وقيل: يملكون بعد أن لم[2] يملكوها تشبيهاً بالميراث، عن أبي علي. «**مَنْ كَانَ تَقِيًّا**»قيل: معناه أن الجنة للتقي من عبادنا، فالعباد[3] اسم للجنس، وقيل: العباد هاهنا المؤمنون لإضافته إياهم إلى نفسه «**تقياً**» يتقي المعاصي والكبائر، وقيل: يتقي الشرك، والأول الوجه.

«**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ**» قيل: هو إخبار عن الملائكة بأنهم لا ينزلون إلا بأمر الله، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وعكرمة. وقيل: إخبار عن أهل الجنة أنهم يقولون ذلك عند دخولها، يعني ما ننزل هذه الجنة إلا بأمر الله، عن أبي مسلم. «**لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا**» قيل: الدنيا والآخرة[4]، ما بين أيدينا: الدنيا، وما خلفنا: الآخرة «**وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ**» النفختين، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والربيع، وأبي العالية. وقيل: ما بين أيدينا أمور الآخرة، وما خلفنا أمور الدنيا، وما بين ذلك ما[5] بين[6] النفختين وما[7] بينهما أربعون سنة، عن مقاتل. وقيل: ابتداء خلقنا ومنتهى آجالنا ومدة حياتنا، وقيل: ما بين أيدينا من الثواب والعقاب، وما خلفنا ما مضى من أعمالنا في الدنيا، وما بين ذلك ما يكون منا إلى يوم القيامة، وقيل: ما بين أيدينا: الأرض عند نزولنا، وما خلفنا: السموات إذا نزلنا منها، وما بين ذلك بين السماء والأرض، يعني كل ذلك له، والتدبير في نزولنا إليه، وقيل: هو المدبر لنا في الأوقات[8] الماضية والمستقبلة والذاهبة «**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**» يعني لا يجوز عليه النسيان، وقيل: «**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**» لأحد فلا يبعثه يوم القيامة، عن أبي مسلم. واختلفوا فقيل: قوله: «**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**»[9] هو حكاية قول الملائكة، وقيل[10]:

---

(١) من: في، ز.
(٢) لم: ـ ، ب.
(٣) فالعباد: والعباد، ز.
(٤) الدنيا والآخرة: ـ ، ل.
(٥) ما: ـ ، ز، ل، م.
(٦) بين: ـ ، ز.
(٧) ما: ـ، ب.
(٨) الأوقات: الأقوات، ز، ل، م.
(٩) لأحد فلا يبعثه. . . ربك نسيا: ـ ، ز، ل، م.
(١٠) وقيل: وقول، ز.

أهل الجنة[١]، عن أكثر المفسرين، وقيل: بل تم الكلام قبله ثم ابتدأ الله تعالى الخبر بذلك عن نفسه، عن أبي مسلم. واختلفوا في قول: «**ربك**» فقيل: خطاب للنبي، وقيل: له وللمؤمنين كأنه يا أيها السامع.

ثم وصف تعالى فقال: «**رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**[٢]» أي: خالقهما ومدبرهما «**وَمَا بَيْنَهُمَا**» من الخلائق والأشياء «**فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**» أي: اصبر على أداء عباداته «**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**» قيل[٣]: مثلاً وشبيهاً[٤]، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن جريج، وسعيد بن جبير. وقيل: لا يستحق أحد أن يسمى إلهاً إلا هو، عن الكلبي. وقيل: هل[٥] تعلم أحداً يدبر الأفلاك، ويسكن السماوات، ويخلق الأرض والسماء، وينبت النبات، ويحيي الأموات[٦] غيره.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن أهل الجنة يأتيهم الرزق على ما كانوا يعتادونه، وفي ذلك ترغيب في الثواب بأمور معقولة، وهكذا عادته تعالى في الوعد والوعيد، وتدل[٧] على وجوب عبادته لمكان نعمه[٨] لذلك ذكره عقيب خلق السماوات والأرض وما بينهما.

وتدل على أن العبادة فعلهم من وجهين:

أحدهما: أمره بها.

وثانيها: قوله: «**واصطبر**» ولو كان خلقاً له لما احتاج إلى ذلك؛ فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) وقيل أهل الجنة: أو قول، ب.
(٢) والأرض: والأرب، م.
(٣) قيل: ـ ، ل، م.
(٤) وشبيهاً: وسميا، ز، ل، م.
(٥) هل: هو، ب، ز.
(٦) الأموات: الأحياء، ب، ز، م. وكتب فوقها في (م): الأموات ظ.
(٧) وتدل: وقيل، ز، ل، م.
(٨) نعمه: نعمته، ز.

ويدل قوله: «**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**» أي[1]: لا شبيه له؛ فيبطل قول المشبهة والمجسمة ومن يثبت الجهة والمكان.

قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

۞ القراءة

قرأ نافع وعاصم وابن عامر[2] ويعقوب: «**أولا يذْكُر الإنسان**» ساكنة الذال خفيفة الكاف مضمومة من ذَكَرَ يَذْكُرُ، أراد أَوَلاَ يعلم.

وقرأ الباقون: «**يذَّكَّر**» بفتح الذال والكاف مشددتين، أي: يتذكر ويتفكر، وأصله يتذكر وأدغمت التاء في الذال.

والخلاف في «**جثيا**» قد بَيَّنَّاهُ: بعضهم[3] بضم الجيم وبعضهم بكسرها.

۞ اللغة

الجُثِيُّ: جمع جاث[4]، والجاثي البارك على ركبتيه، وأصله جُثُويّ؛ لأنه من الجثو، يقال[5]: جثا يجثو، واستثقلوا[6] الواو مع الياء[7] فقلبوها ياء وأدغموها في الياء فصار (جثيا).

---

(١) أي: ـ، ب.
(٢) وابن عامر: وابن عباس، ز، ل، م.
(٣) بعضهم: ـ، ل.
(٤) جاث: جثاث، ز، ل، م.
(٥) يقال: يقا، م.
(٦) واستثقلوا: واستثقل، ب.
(٧) الياء: الثاء، ب.

والشيعة: الجماعة المتعاونون على أمر من الأمور، تشايع القوم: تعاونوا.

والصَّلْيُ: مصدر، صَلَى يَصْلِي صَلْياً وهو اللزوم، ويقال: صلى يصلى صلياً مثل لقى يلقى لُقِيًّا، وصَلَى يصلي صُلِياً[١] مثل مضى يمضي مُضِيًّا.

والعتو أخذ من عتا يعتو عُتُوًّا فهو عات أي: تعدى أمر الله واستكبر، والعتي أصل العتو، والعِتِيّ والجِثِيّ إذا كانا مصدرين فهما من العتو والجثو، استثقلوا وقوع الواو فيه طرفاً للكلمة[٢] لما يلزمها من الإعراب والتنوين، وهي في الأصل ثقيلة فقلبوها[٣] إلى ما هو أخف وهو الياء[٤]، وقد جاء على الأصل في قوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].

الإعراب

يقال: لِمَ رفع[٥] أيهم»؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

أولها: على الحكاية بتقدير[٦]: فيقال أيهم أشد[٧] فليخرج[٨]، على مذهب الخليل.

وثانيها: أنه مبني، ومعناه الذي هو أشد على الرحمن عتيا، إلا[٩] أنه بني لما حذف منه (هو) واطرد الحذف به[١٠] وصار[١١] كبعض الاسم، وهذا مذهب سيبويه.

---

(١) وهو اللزوم... يصلى صليا: ـ، ب.
(٢) للكلمة: الملائكة، ز.
(٣) فقلبوها: قلبوها، ز.
(٤) الياء: الثاء، ب.
(٥) لم رفع: بم ارتفع، ب، لم ارتفع، ز.
(٦) قلنا فيه ثلاثة أوجه اولها على الحكاية بتقدير: ـ، ب.
(٧) جاء في هامش (ب) ما لفظه: هنا سقط حرف أو حرفان تقديره والله أعلم: قلت بإضمار فليجيء.
(٨) فليخرج: فلتجيء، ب.
(٩) إلا: إلى، ب.
(١٠) به: ـ، ل.
(١١) وصار: فصار، ل.

وثالثها: أن «لننزعن» معلقة[١] كتعلق (قد علمت أنهم في الدار)، وهذا مذهب يونس.

وقيل: «أيهم» ابتداء[٢] و«أشد» خبره، عن الأخفش، وأجاز سيبويه النصب على معنى (الذي)، وذكر أنها قراءة هارون.

و(ما) في قوله: «أَئِذَا مَا مِتُّ» صلة. و(لم يك[٣]) أصله: لم يكن حذف النون للجزم.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «وَيَقُولُ الإِنسَانُ. . .» الآية في أبي بن[٤] خلف الجمحي، فإنه أخذ عظماً بالياً وفته بيده، ثم قال هذا القول، فرد الله ذلك عليه وأنزل الآية.

وقيل: نزلت في مشركي قريش والعرب كانوا ينكرون البعث ويقولون: لا يقدر الله على ذلك، فنزلت الآية، عن الأصم.

وقيل: نزلت في أبي جهل قال هذا القول تعجباً من قول النبي ﷺ: «إنهم مبعوثون[٥] بعد الموت».

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والبعث حكى قول منكري البعث ورد عليهم بأوضح بيان وأجلى برهان، فقال سبحانه: «وَيَقُولُ الإِنسَانُ» قيل: أبي بن خلف، وقيل: أبو جهل، وقيل: سائر من أنكر البعث «أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا» هذا استفهام والمراد به[٦] الإنكار أو الشك أو الاستهزاء[٧] وأي[٨] ذلك فهو كفر، والمعنى: أئذا مت أخرج من القبر والتراب حياً وأبعث للجزاء.

---

(١) معلقة: معتلقة، ل، م.
(٢) ابتداء: ـ ، ب.
(٣) يك: يكن، ل.
(٤) بن: ـ ، ز.
(٥) مبعوثون: يبعثون، ب، ز.
(٦) به: ـ ، ز، ل، م.
(٧) أو الشك أو الاستهزاء: والشك والاستهزاء، ز.
(٨) وأي: أو أي، ز، ل، م.

وألزمهم تعالى الحجة وبين المَحَجَّةَ[١] فقال سبحانه: «أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ» حال ابتدائه «أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا» موجوداً، أي: مذكوراً.

ومتى قيل: كيف تدل النشأة الأولى على الثانية، أو ليس[٢] الواحد منا يقدر على أفعاله كالحركات[٣] والسكنات والأصوات وغيرها ولا يقدر على الإعادة؟

فجوابنا: فيه وجوه:

أحدها: أن من خلق الأجسام والحياة فيها فكل[٤] واحد منهما مما يبقى فيقدر على إيجادها بعد الإعادة.

وثانيها: أن الابتداء صعب، فإذا قدر عليه فأولى أن يقدر على الإعادة[٥].

وثالثها: أنه دل خلق[٦] الأجسام أنه قادر لذاته؛ إذ القادر بقدرة[٧] لا يقدر على الأجسام فإذا كان[٨] قادراً لذاته والشيء مما يصح وجوده في وقتين جاز أن يعيد، وأما الواحد منا فيقدر بقدرة ولا يصح منه فعل الأجسام ولا إعادة شيء من أفعاله، وقيل: إن أفعالنا كلها لا تبقى فلا يصح عليها الإعادة.

ومتى قيل: كيف قال: «وَلَمْ يَكُ شَيْئًا» وعندكم المعدوم شيء؟

فجوابنا: أن المراد لم يكن شيئاً مذكوراً [كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[٩] [الإنسان: ١] أي: موجوداً، يدل عليه أنه خرج مخرج الامتنان[١٠]، وأي نعمة في أن يقع[١١] عليه اسم شيء؟ إنما المنة في إيجاده حياً لنفعه.

---

(١) وبين المحجة: ـ ، ز، ل، م.
(٢) أو ليس: وأليس، ز.
(٣) كالحركات: الحركات، ب.
(٤) فكل: وكل، ز.
(٥) وثانيها أن. . . على الإعادة: ـ ، ب، ل، م.
(٦) دل خلق: كل يخلق، ب.
(٧) إذ القادر بقدرة: إذ القادر بقدرة لا بقدرة، ل، م.
(٨) كان: ـ ، ز، م؛ هو، ل.
(٩) ساقط في (ز).
(١٠) الامتنان: الإنسان، ل، م.
(١١) يقع: يقطع، ل، م.

ثم[1] حقق أمر الإعادة فقال سبحانه: «فَوَرَبِّكَ» يا محمد أو أيها السامع «لَنَحْشُرَنَّهُمْ» أي[2] لنجمعنهم يعني يجمع الخلق في المعاد للجزاء، وقيل: يجمع[3] المشركين المنكرين للبعث «وَالشَّيَاطِينَ» يعني قرناءهم الذين أضلوهم، فيقرن[4] كل شيطان بكافر منكر للبعث بسلسلة[5] زيادة في عذابه، وقيل: يحشرون من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين، وقيل: أراد صناديد قريش، والأول الوجه لعموم[6] اللفظ «ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ» يعني الخلق والشياطين «حَوْلَ جَهَنَّمَ» يعني عرصات القيامة، وقيل: في جهنم «جِثِيًّا» قيل: جاثية على الركب، عن الحسن، والضحاك. كأنه أشار إلى عجزهم وتضرعهم وذلهم، وقيل: جماعات جماعات، عن ابن عباس. كأنه قيل: جثوة يعني زمراً، وقيل: جميعاً، عن مقاتل. وهو على هذين[7] القولين جمع جُثْوَة «ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ» أي: يأمر الله من[8] ينزع من بينهم «مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ» أي من كل أمة وطائفة[9] وأهل دين «أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا» أي: عتواً، قيل: فجوراً وكذباً[10]، عن مجاهد. وقيل: علوا[11]، عن مقاتل. وقيل: علواً في الكفر وكبراً[12]، وقيل: قائدهم ورأسهم في الشيء، عن الكلبي. وقيل: نبدأ بالأكثر[13] حزباً فالأكثر[14]، عن الأحوص، ومجاهد. «ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ» أي: ونحن أعلم؛ لأنه

---

(١) ثم: من، ز.
(٢) أي: أو، ز، ل، م.
(٣) يجمع: ـ، ل.
(٤) فيقرن: فيقرون، ز.
(٥) بسلسلة: ـ، ل؛ سلسلة، ز.
(٦) لعموم: بعموم، ز، ل، م.
(٧) هذين: هذا، ل.
(٨) من: أي، ب.
(٩) وطائفه: بطائفة، ل.
(١٠) وكذباً: أو كذباً، ب.
(١١) علوا: عدواً، ز، ل، م.
(١٢) وكبرا: وكفرا، ز، ل، م؛ وأي كفرا، ب. وما أثبتناه من: البحر المديد: ٣/ ٤٧٩.
(١٣) بالأكثر: بالأكبر، ز.
(١٤) فالأكثر: فالأكبر، ز.

لا يحدث لله علم؛ إذ هو عالم لذاته لم يزل ولا يزال[1] «**بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا**» أي: نعلم بأولاهم بشدة[2] العذاب وأحقهم بعظم العقاب.

۞ الأحكام[3]

يدل قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ على صحة الحجاج.

وتدل على صحة الإعادة؛ لأنه إذا قدر[4] على خلقهم ابتداء كذلك قدر على الإعادة[5] ثانياً[6]، وهذا القدر على اختصاره مما يدل على صحة أمور، وبها يحتج العلماء في صحة الإعادة.

ومتى قيل[7]: كم شرط يشترط حتى تصح[8] الإعادة؟

قلنا: له[9] ثلاثة شروط، واختلفوا فيها، فقيل: أن يكون فعل القادر لذاته، وأن يكون مما يبقى، وأن يكون من غير جنس مقدور العباد[10]، عن أبي علي. وقيل: الثالث ألاّ يكون متولداً عن سببٍ لا يبقى، عن أبي هاشم. وقيل: الثالث ألا[11] يكون متولداً أصلاً، عن القاضي.

ويقال: ما الذي يجب أن يعاد من المكلف؟

قلنا: اختلفوا، قيل: جميع الإنسان، عن أبي القاسم. وقيل: الأجزاء التي يصير بها زيد زيداً، عن أبي عبد الله.

---

(١) ولا يزال: والإنزال، ز.
(٢) بشدة: لشدة، ب، ز، ل، م.
(٣) لا يستحقه ثم وصف الجنة فقال سبحانه: «جنات عدن»... الأحكام: ـ، و.
(٤) إذا قدر: قادر، ب، و.
(٥) قدر على الإعادة: ـ، ز، ل، م.
(٦) ثانياً: ـ، ب، و.
(٧) ومتى قيل: ويقال، ب، ز، و.
(٨) تصح: يصح، ب، ز، ل، م.
(٩) له: ـ، ز، ل، م.
(١٠) العباد: العبادة، ز، ل، م.
(١١) ألا: ـ، ز.

ويدل قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ على أنه يحشر الخلق، وكان يجوز ألا يحشرهم عقلاً؛ لأن العقاب[1] حق لله تعالى، وكان له ألا يستوفيه[2] غير أن السمع ورد بحشر الجميع، وإنما الواجب إعادة من له ثواب مستحق أو عوض لم يوفر عليه في الدنيا.

ويدل قوله: ﴿أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا[3]﴾ على أنه يعاقب كل أحد على قدر ذنبه[4].

قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا
(٧٤) قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ
وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (٧٥)﴾

القراءة

قرأ الكسائي ويعقوب: «نُنْجِي» مخففة من أنجى ينجي، وهما لغتان.

---

(١) العقاب: العذاب، ب، و.

(٢) يستوفيه: يستحق فيه، ز، ل، م.

(٣) عتياً: ـ، ل، م.

(٤) في (ب، و): تم الجزء الثامن من التفسير والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ويتلوه الجزء التاسع «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» في شهر رمضان المعظم سنة١١٧٨وزاد في و بعد الآية السابقة ما لفظه: وكان ذلك عشية الأحد لليلة أو لليلتين إن بقيتا في شهر جمادى الأول من شهور سنة خمس وثمانين وستمائة سنة، غفر الله لكاتبه ولوالديه ولمالكه ولوالديه ولمن صلح من آبائهم وأمهاتهم، ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، بحقه العظيم، ورسوله الكريم صلى الله عليه وعلى آله أجمعين.

وقرأ ابن كثير: «**خير مُقاما**» بضم الميم أي[1] إقامة، وقرأ[2] الباقون بفتح الميم أي: منزلاً.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «**وَرِيًّا**» بغير همز مشددة الياء، وقرأ[3] الباقون وورش عن نافع مهموزة مخففة الياء[4]، وقيل: هما بمعنى وهو الوجه، عن ابن عباس. وقيل: المنظر، وقيل: معنى[5] المهموز: المنظر البهي[6] الحسن، وبغير الهمز: الاستعتاب[7] في النعمة[8] مأخوذ من ريّ الماء إذا استوعب شربه، ويجوز في العربية ثلاثة أوجه: (رِئْياً) بالهمز قبل الياء، وريئا[9] بياء قبل الهمزة على قولهم: راءَني ورائي يريه رأي العين، و(رِيًّا) بترك الهمزة[10]، عن الزجاج. وروي في الشواذ: (**وزيا**) بالزاي معجمة أي: حسن هيئتهم[11].

❁ اللغة

الورود: قيل: الوصول إلى المكان، وقيل: الدنو من الشيء، عن أبي مسلم. وأصله: ورود الماء، ثم يستعمل في كل ما قدم[12] إليه، وهو خلاف الصدور، واختلفوا في الورود، فقيل[13]: هو الوصول إليه[14] من غير دخول فيه، واستدلوا

(١) أي: ـ، ب.
(٢) قرأ: ـ، ز، ل، م، ي.
(٣) قرأ: ـ، ب، ي.
(٤) الياء: ـ، ز، ل، م.
(٥) معنى: ـ، ز، ل، م.
(٦) البهي: والبهي، ز، ل، م.
(٧) الإستعتاب: الاستعياب، ب، ي.
(٨) في النعمة: ـ، ل.
(٩) وريئا: ورءيا، ب، ي.
(١٠) الهمزة: الهمز، ب، ي.
(١١) هيئتهم: زهيتهم، ب، ي.
(١٢) قدم: تقدم، ز.
(١٣) فقيل: قيل، ز.
(١٤) إليه: ـ، ز، ل، م.

عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف: ١٩]، فبين أن الورود ليس هو[١] الدخول، وتقول العرب: أَنْ تَرِدَ الماء بماءٍ[٢] أَكْيَسُ[٣]، وقال:

فلما وردن الماء زرقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ[٤]

وروي نحو ذلك عن ابن مسعود، والحسن.

وقيل: الورود الدخول، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، وقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩]، ويقال: وَرَدْتُ بلد كذا كذا[٥]، والمراد[٦]: دخلته، وروي ذلك عن ابن عباس، وجابر. والوجه فيه أنه مستعمل في الوجهين حقيقة، أو حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر، ثم إنهما حقيقة[٧] على الخلاف الذي بينا.

والحتم: القطع بالأمر، وقيل: إحكام[٨] الأمر، والحتم: القضاء.

والنَّدِيُّ: المجلس[٩] الذي قد اجتمع فيه أهله، ومثله النادي، ومنه: دار الندوة وهي[١٠] دار قصي بمكة، وكانوا يجتمعون فيها للتشاور تيمناً به[١١]، ويقال: نَدَوْتُ القوم أَنْدُوهُمْ نَدْواً إذا جمعتهم في مجلس، وهو في ندي قومه وناديهم، وأصله مجلس أهل الندى والكرم، قال الشاعر:

---

(١) هو: هذا، ز، ل، م.
(٢) بماءٍ: بها، ز، ل، م.
(٣) أكيس: الحسن، ز، ل، م.
(٤) المتخيّم: المحيم، ل، م؛ البيت قائله زهير بن أبي سلمى في معلقته.
(٥) كذا: ـ، ب، ي.
(٦) والمراد: ويراد، ب، ي.
(٧) حقيقة: صفة، ز؛ أو حقيقة في... إنها حقيقة: ـ، م، ي.
(٨) إحكام: الإحكام، ل، م.
(٩) المجلس: ـ، ل، م.
(١٠) وهي: وهو، ب، ز، ل، م، ي.
(١١) به: بها، ز، ل، م.

ودُعيتُ في أُولي[1] النَّدَى ولم يُنْظَرْ إليّ بأعينٍ خُزْرِ[2]

والأثاث: المتاع من الفرش والثياب التي تزين[3] وغيرها، واحدها: أثاثة، كحمام وحمامة، عن الأصم[4]، وقال الفراء: لا واحد له، يجمع[5] آثَّة وأُثُث[6].

والرِّئْيُ: ما يراه الرجل من ظاهر أحوال القوم، وبناؤه من الفعل فِعْل، نحو: ضِرْس ووِقْر[7] وحمل وهو اسم المرئي، وأصله من الرؤية وكذلك الأسماء[8] المأخوذة من الأفعال للمفعولين والمفعول بهم يأتي على بناء فِعْلٍ كقولهم: ذِبْح: الشيء المذبوح، وطحن: المطحون ونظائره تكثر.

والجُثِيُّ: جمع جاث[9]، وقد بينا ذلك.

الإعراب

«**جثيا**» قيل: نصب على المصدر، وقيل: على الحال.

«**حتماً مقضيا**» نصب؛ لأنه خبر (كان) تقديره: كان الورد حتماً.

«**نديا**» نصب على التمييز.

«**إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ**» قيل: نصب على التفسير؛ لأنه دخل تحت قوله: «**يوعدون**» ثم فسر، وقيل: نصب لوقوع الرؤية عليه، تقديره: رأوا العذاب، وقيل: تقديره: إما أن يكون ذلك الوعد العذاب أو يكون ذلك الوعد الساعة.

---

(١) أولي: أهل، ب.
(٢) خزر: حرم، ب، ي؛ حرب، ل، م. انظر" لسان العرب، «خزر»، القاموس «خزر» الصحاح «خزر».
(٣) والثياب التي تزين: ـ ، ب، ي.
(٤) الأصم: الأحمر، م.
(٥) يجمع: ويجمع، ب، ي.
(٦) وأثث: ـ ، ل.
(٧) ووقر: وقرقر، م.
(٨) الأسماء: أسماء، ب، ي.
(٩) جاث: جثاث، ز، ل، و.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ. . .» الآية في النضر بن الحارث وذويه من قريش نافروا فقراء المسلمين.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى أحوالهم يوم الحشر، فقال تعالى: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا» [قيل: تقديره: ما منكم إلا من هو[1] واردها[2]، ومثل هذا يجوز، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا[3] لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ[4]﴾ [النساء: ١٥٩] أي: إلا من يؤمن، قال الشاعر:

لكم مَسْجِدا الله[5] المَزُورانِ والحَصَى   لكم قِبْصُه من بين أَثْرَى وأَقْتَرَا[6]

أي: مِنْ بَيْنِ [مَنْ] أَثْرَى وأَقْتَر.

وقيل: أراد المشركين، عن عكرمة، والأصم، والقاضي. وقيل: هو عام «إِلاَّ وَارِدُهَا» اختلفوا في هذا الورود على أقوال:

أحدها: أن المراد به[7] الدخول، أي: ما مِنْ أحد إلا وهو داخلها، ودلوا عليه بقوله: «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا»، ثم اختلف هؤلاء فقيل: إنه خطاب للكفار خاصة، «ثم ننجي» ابتداء وليس بعطف كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: ١٧]، وتقديره: ننجيهم فلا[8] ندخلهم النار، وقيل: بل[9] خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى بر ولا فاجر إلا يدخلها، فتكون[10] برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين.

---

(١) من هو: ـ، ل، م.
(٢) قيل تقديره ما منكم إلا من هو واردها: ـ، ل.
(٣) إلا: ـ، ل، م.
(٤) به: ـ، ل، م.
(٥) مسجدا الله: مسجد الله، ز، ل، م.
(٦) البيت للكميت بن زيد، لسان العرب «سجد»، «قتر».
(٧) به: ـ، ز، ل، م.
(٨) فلا: ولا، ل، م.
(٩) بل: ـ، ل، م.
(١٠) فتكون: فيكون، ز.

ومتى قيل: فما فائدة ذلك؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: زيادة سرور المؤمنين[1].

وثانيها: زيادة غم الكافرين حين رأوا نجاة المؤمنين.

ومنها: التحذير، كما حكي[2] عن الحسن أنه قال لرجل يضحك: هل علمت أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل علمت أنك خارج منها؟ قال: لا، قال: ففيم هذا الضحك[3]؟! وكان الحسن لم يُرَ ضاحكاً قط حتى مات.

وسئل جابر بن عبد الله عن الورود فأهوى بأصبعيه[4] إلى أذنيه[5] وقال: صُمَّتَا إن لم أكن[6] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود الدخول، لا[7] يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، ثم تكون على المؤمن[8] برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، ثم ننجي الذين اتقوا».

وثانيها: أن الورود الوصول إليها والإشراف عليها لا الدخول فيها، كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، وقيل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ولأن الهاء كناية عما تقدم، وإنما تقدم ذكر دخول جهنم فيردون ذلك الموضع، وهو قول ابن مسعود، والحسن، وقتادة. وعن حفصة أن رسول الله ﷺ وآله وسلم[9] قال: «إني لأرجو ألا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية» فقالت: أليس الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ ؟ فقال

---

(١) وعذاباً لازماً... سرور المؤمنين: ـ، ز، ب، ي.
(٢) حكي: يحكى، ب، ي.
(٣) هذا الضحك: تضحك، ل.
(٤) بأصبعيه: بأصبعه، ل.
(٥) أذنيه: أذنه، ز.
(٦) أكن: تكن، ز.
(٧) لا: ولا، ز.
(٨) المؤمن: المؤمنين، ل.
(٩) وآله وسلم: +، ب.

ﷺ: «ألم تسمعيه[1] يقول: «**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا**». ثم اختلفوا، فقيل: المراد المرور بها فيرونها، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: يمرون على ظهر النار ليروا ما أعد الله لأهلها فيعظم سرورهم.

وثالثها: أن المراد ما منكم من أحد إلا وهو[2] على حالة يستحق أن يرد النار بمعاصيه وإنما ينجو الناجي بالتقوى، عن أبي هاشم.

«**كَانَ عَلَى رَبِّكَ**» (على) كلمة وجوب أي: كان واجباً على الله ذلك، يعني الجزاء لإيفاء الثواب وانتصاف المظلوم من الظالم، وقيل: ورود النار واجب للوعد[3] به «**حَتْمًا**» أي: واقعاً كائناً لا محالة «**مَقْضِيًّا**» أي: قضى بأن يكون «**ثُمَّ نُنَجِّي**» نُخَلِّصُ «**الَّذِينَ اتَّقَوْا**» قيل: اتقوا الشرك، وقيل: الكبائر كلها «**وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ**» قيل: أراد المشركين، وقيل: أراد كل ظالم وعاصٍ «**فِيهَا**» في جهنم «**جِثِيًّا**» قيل: جاثٍ على الركب[4]، وقيل: جميعاً «**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ**» يعني مَنْ تقدم ذكرهم من الكفار «**آيَاتُنَا**» يعني قرئ عليهم القرآن والحجج الدالة على البعث والوعد به «**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ**» يعني فريق الكفار وفريق المؤمنين[5] «**خَيْرٌ مَقَامًا**» أي: مجلساً وموضع إقامة «**وَأَحْسَنُ نَدِيًّا**» أي: مجلساً، وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يتفكروا في العاقبة ورأوا أن من كان ذا حاله[6] في الدنيا فالآخرة له أيضاً، ولا حجة في ذلك، وإنما الكافر يعذب والمؤمن يثاب.

ثم بيّن تعالى أن مالهم وما أتوا من أسباب الدنيا لا يغني عنهم[7] شيئاً، فقال سبحانه: «**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ**» أي: جماعة، قيل[8]: من هؤلاء الكافرين «**هُمْ**

---

(١) تسمعيه: تسمعه، ل.

(٢) وهو: هو، ز.

(٣) للوعد: للواعد، ل، م، و.

(٤) الركب: الراكب، ز.

(٥) المؤمنين: المؤمن، ب، ز، ي.

(٦) ذا حاله: داخل، ز.

(٧) عنهم: ففيهم، ل.

(٨) قيل: ـ، ب، ي.

﴿أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ أي: أمتعة وزينة الدنيا **﴿وَرِئْيًا﴾** قيل: هيئة، عن ابن عباس. وقيل[1]: منظراً حسناً، عن الأصم، وأبي علي. يعني كما لم يغن عنهم مالهم عند إهلاكهم كذلك لا يغني عن[2] هؤلاء **﴿قُلْ﴾** يا محمد **﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾** عن الدين **﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾** يعني: وإن استحقوا العقوبة بكفرهم[3] وإزالة نعمه[4] بترك شكرهم[5]، فإن عادة الله الإفضال عليهم[6] بالإمهال إبلاغاً للحجة، فيمد في عمره، ويمهله، وقيل: يمده بأن[7] يخليه وسوء اختياره، عن أبي مسلم. وقيل: قوله: **«فليمدد»** صيغته صيغة الأمر والمراد التهديد؛ أي: فَلْيَعِشْ[8] طويلاً فإنه قد مد في عمره ليتوب ويرجع، وذلك لا ينجيه من عذابه إن لم يتب، فإنه أُتِيَ من قبل نفسه في ذلك **﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾** من العذاب **﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾** قيل: إما عذاب الاستئصال[9] في الدنيا، عن الأصم. وقيل: عذاب وقت الإياس[10]، وقيل: عذاب القبر، وقيل: عذاب السيف، **﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾** يعني القيامة وعذاب النار **﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾** حين يرون العذاب **﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾** هؤلاء الكفار أم المؤمنون الذين يدخلون الجنة، وهو جواب لقولهم: ﴿أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾، **﴿وَأَضْعَفُ جُندًا[11]﴾** أي: أقل[12] ناصر ينصره وأضعف أصحاباً.

---

(١) قيل: ـ، ب، ي.
(٢) عن: ـ، ب.
(٣) بكفرهم: بكفره، ب، ي.
(٤) نعمه: نعمته، ب.
(٥) شكرهم: شكره، ب، ي.
(٦) عليهم: ـ، ل، م.
(٧) بأن: ـ، ب، ي.
(٨) فليعش: فليعين، ز، ل، م.
(٩) عذاب الاستئصال: العذاب على الاستئصال، ل، م؛ العذاب الاستئصال، ز.
(١٠) الإياس: الناس، ز، ل، م.
(١١) وأضعف جنداً: ـ، ل.
(١٢) أقل: أول، ل، م.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنهم يردون[١] جهنم، وقد بينا ما قيل فيه، وأن الحسن وقتادة قالا: هو القرب منه، واختاره[٢] أبو علي، ورووا عن ابن مسعود وقالوا: الخطاب لجميع المكلفين، وأن جابراً وابن عباس وجماعة قالوا: هو[٣] الدخول، وأن بعضهم قال: هو خاص في المشركين، عن عكرمة، واختاره القاضي. ومنهم من قال: هو خطاب للجميع غير أن المؤمن يدخلها من غير تألم على ما بينا وروينا عن ابن عباس، وأجمعت الأمة أن الكفار يدخلونها ولا محيص عنها بل يعذبون دائماً، وعلم ذلك من دين رسول الله[٤] ﷺ ضرورة، ونطق القرآن[٥] به، ولذلك قال مشايخنا: إن المخالف فيه يكفر، وإنما الخلاف في فساق أهل القبلة، فأما الوعيد به فقالوا: الفاسق يدخلها دائماً، وقالت المرجئة: ينقطع عقابه ويخرج، ومن الناس من يزعم أن كل من آمن لا[٦] يدخلها وإن ارتكب الكبائر قطعاً، ولا يعد هؤلاء في[٧] المرجئة.

ويدل قوله: ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ أنه يجوز أن يجب عليه أشياء من طريق الحكمة بخلاف ما يقوله المجبرة.

وتدل على أن النجاة تتعلق بالتقوى خلاف قول المرجئة.

وتدل على أن المال والرئاسة في الدنيا لا يغني عنه شيئاً يوم القيامة، كمن أهلكهم[٨] الله تعالى من الأمم.

وتدل على أن من عاين العذاب يندم فلا ينفعه الندامة ولا ينجيه أحد ولا[٩] ينصره ناصر.

---

(١) يردون: يرون، ل.
(٢) وآختاره: فاختاره، ز، ل، ي.
(٣) هو: ـ، ز.
(٤) رسول الله: الرسول، ب، ي.
(٥) ونطق القرآن: ونطق الكتاب القرآن، ز.
(٦) لا: ـ، ز، ل، م.
(٧) في: ـ، ز، ل، م.
(٨) أهلكهم: أهلكه، ب، ز، ي.
(٩) ولا: الا، ل.

وتدل على أن التقوى والظلم فِعْلُ العبد، ولذلك علق[1] الجزاء به، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:
﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: (وَوُلْداً) بضم الواو وسكون اللام في هذه السورة في أربعة مواضع، وفي (الزخرف): ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ [**الزخرف**: ٨١]، وفي (نوح): ﴿مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ [**نوح**: ٢١]، وهو ستة مواضع، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في سورة (نوح)[2] بضم الواو وسكون اللام[3]، وفي سائر القرآن بفتح الواو واللام، وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم وابن عامر بفتح الواو واللام في جميع القرآن، وفيه قولان:

الأول: أنهما بمعنى واحد كالعَدَم والعُدم، والْحَزن والحُزن، قال الشاعر:

فَلَيْتَ فلاناً كان[4] في بطن[5] أمه ... وليت فلاناً كان ولد حمار[6]

وقال رؤبة:

الحمد لله العزيز فَرْدَا ... لم يتخذ من وُلْد شيء وَلَدَا[7]

(١) علق: خلق، ل.
(٢) ساقط في (ز).
(٣) اللام: الواو، ل.
(٤) كان: في، ب، ي؛ مات، ظ، وفي هامش النسخة (ي).
(٥) بطن: نطق، ز.
(٦) لسان العرب، «ولد».
(٧) البيت قائله رؤبة بن العجاج، أنظر الديوان.

الثاني: أن قيساً[1] تجعل الوَلَدَ جمعاً، والوُلْدَ واحداً كقولهم: أَسَد وَأُسْد، وَوَثن وَوُثْن.

۞ اللغة

الولد: ولد الرجل، وأصله[2] من الولادة، يقال: ولد ولادة ووِلاَداً، وتوالد الشيء عن الشيء، واللِّدَةُ نقصانه الواو؛ لأن أصله وِلْدة[3] وفي حديث شيوخ[4]: أن رجلاً اشترى جارية وشرط أنها مولودة فوجدها تليدة، قال القتيبي: التليدة التي ولدت ببلاد العجم فحملت[5] ونشأت ببلاد العرب، والمولودة التي ولدت ببلاد[6] الإسلام، قال ابن شميل[7]: التليد والموَلَّد واحدٌ وهما اللذان[8] ولدا عندك، وقيل: سمي ولداً لأنه يوثق تربية الأولاد، والموَلَّد كل كلام محدث[9] لمن يكن في القديم فاستحدث.

ويقال: طلع عليّ فلان: هجم عَلَيَّ، وأطلعتك على الأمر إطلاعاً، والطلاع ما طلعت عليه الشمس كأنها هجمت عليه، ومنه الحديث: «لو أن طلاع الأرض ذهباً»، والطَّلْعَةُ: الرؤية لأنه مطلع عليه، والمُطَّلَعُ[10]: المأتي يقال: أين مُطَّلَعُ هذا الأمر أي مَأْتَاهُ، وطلعت على القوم رأيتهم، وطلعت[11] عنهم غبت عنهم.

---

(١) أن قيساً: أن قد بينا، ز، ل، م.
(٢) وأصله: فأصله، ب، ي.
(٣) واللدة نقصانه الواو لأن أصله ولدة: واللدة بقضائه الهاء ولأن أصله ولد، ب، ز، ل، م، ي. ما أثبتناه من: معجم مقايس اللغة: ٦/ ١٤٣.
(٤) شيوخ: نوح، ل.
(٥) فحملت: وحملت، ز.
(٦) ببلاد: في، ي.
(٧) ابن شميل: ابن سهيل، ز، ل، م.
(٨) اللذان: الدان، ي.
(٩) محدث: يحدث، ز.
(١٠) المطلع: ـ ، ل، م.
(١١) رأيتهم وطلعت: أتيتهم فطلعت، ب، ي.

والمَدُّ(١): المصدر(٢) مَدَّ الشيء يَمُدُّهُ مداً فهو ماد، والشيء(٣) مديد، وقيل: المد في الشر والإمداد في الخير.

الإعراب

«أطلع» فتحت ألفه؛ لأن ألفه(٤) ألف استفهام، وذهبت(٥) الألف للوصل.

النزول

قيل: نزل قوله: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا» في العاص بن وائل السهمي، عن ابن عباس، ومجاهد، وخباب.

وقيل: إن خباباً كان(٦) يعمل للعاص، وكان حسن الطِّلْبَةِ، وكان يؤخر حقه، فلما أسلم جاءه وطالبه، وذكر أنه لا يفارقه حتى يوفيه حقه، قال: يا(٧) خباب(٨) ما كنت هكذا، قال: إني(٩) كنت على دينكم والآن قد(١٠) أسلمت، فقال: أليس عندكم في الجنة ذهب وفضة وحرير؟ قال: بلى، قال: فأخرني حتى أقضيك في الجنة استهزاءً، فنزلت الآية: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا»، عن مقاتل(١١) والكلبي، وأنكر القصة الأصم.

وعن(١٢) خباب: حتى(١٣) كان لي عليه دانق فأتيته أطلبه، فقال: حتى تكفر

(١) المد: ـ، ل، م.
(٢) المصدر: مصدر، ب، ي.
(٣) والشيء: فالشيء، ز، ل، م.
(٤) فتحت ألفه لأنه ألفه: فتحة لأنه، ز، ل، م.
(٥) وذهبت: وذهب، ز، ي.
(٦) إن خبابا كان: إن كان خباباً، ز، ل، م.
(٧) يا: ـ، ز.
(٨) خباب: خبات، ي.
(٩) إني: لأني، ب، ي.
(١٠) قد: ـ، ب، ي.
(١١) مقاتل: ـ، ز، ل، م.
(١٢) وعن: عن، ز، ل، م.
(١٣) حتى: ـ، ب، ي.

بمحمد، قلت: لا أكفر بمحمد[١] حتى أموت ثم أبعث، فقال: إذا بعثنا حينئذ[٢] أوفيك، فنزلت الآية.

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، عن الحسن.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل: «**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى**» بما قبله؟

قلنا: لما تقدم وعيد الكفار عقبه بما وعد المؤمنين وما يزيدهم من النعم، عن أبي مسلم.

وقيل: لما رد عليهم قولهم أنهم خير مقاماً، بيّن حالهم وحال المؤمنين.

وقيل: إنه يتصل بقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ كأنه قيل: إذا يتلى القرآن فالذين[٣] كفروا كذا ويزيد المؤمن[٤] من ذلك هدى، عن الأصم.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى[٥] حال المؤمنين، فقال سبحانه: «**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى**» قيل: يزيد المؤمنين الذين اهتدوا إلى الحق الألطاف[٦] التي يُكثرون عندها من[٧] الطاعات، وقيل: يزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ، وقيل: الذين اهتدوا بالإيمان هدى بالشرائع، وقيل: يزيدهم الثواب، عن أبي مسلم، وأنكر القاضي ذلك؛ لأنه قرنه بالزيادة على الاهتداء فلا يليق إلا بالدنيا.

ثم بيّن ما عليه المهتدي، فقال سبحانه: «**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**» قيل: جميع

---

(١) بمحمد: محمد، ز.
(٢) حينئذ: لحينئذ، ب، ي.
(٣) فالذين: والذين، ب، ي.
(٤) المؤمن: والمؤمنين، ز.
(٥) تعالى: ـ ، ز، ل، م.
(٦) الألطاف: إلى الألطاف، ل.
(٧) من: ـ ، ز، ل، م.

الطاعات، وقيل: كلمة الإخلاص، وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد «**خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ**» قيل: باقية بأن تنفع أهلها في الدنيا والآخرة خلاف ما نَفْعُهُ مقصور على الدنيا، وقيل: خير مما يدعيه الكفار من زينة الدنيا «**ثَوَابًا**» قيل: جزاءً، وقيل: مرجعاً وعاقبة «**وَخَيْرٌ مَرَدًّا**» قيل: مرجعاً وعاقبة، وخير نعيماً مَرَدُّ الباقيات الصالحات على صاحبها لأنه ذاهب إليها بفعله له فيرده عليه، وقيل: خير مرداً من مقام الكفار، وقيل: خير من أعمال الكفار «**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا**» بأدلتنا من القرآن وغيره، وقيل: هو العاص بن وائل السهمي[1]، عن ابن عباس، ومجاهد. وقيل: الوليد بن المغيرة، عن الحسن. وقيل: هو عام في كل من لحقته[2] هذه الصفة[3]، عن أبي مسلم. «**وَقَالَ**[4] **لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً**[5]» أي: سأعطى مالاً **وَوَلَدًا**، «**أَطَّلَعَ الْغَيْبَ**» قيل: أَنَظَرَ في اللوح المحفوظ؟! عن ابن عباس. وقيل: أَعَلِمَ الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟! عن مجاهد. وقيل: أصار[6] إلى الآخرة وعلم أنه من السعداء؟! «**أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**» قيل: إسلاماً وتوحيداً، عن الأصم[7] وقيل: عملاً[8] صالحاً قدمه، عن قتادة. وقيل: عهد إليه أن[9] يدخله الجنة، عن الكلبي. وقيل: أم قال[10] لا إله إلا الله، وقيل: وعده موعداً[11] مؤكداً أنه يعطيه المال والولد، فأجابه الله سبحانه بوجهين: أحدهما: أنهم قالوا ما لم يعلموا، والثاني: أنهم

---

(١) السهمي: ـ، ب، ي.
(٢) لحقته: لحقه، ز، ل، م.
(٣) الصفة: القصة، ل.
(٤) وقال: وقيل، ل، م.
(٥) وولدا: ـ، ل، م.
(٦) أصار: صار، ظ، ل.
(٧) عن الأصم ـ، ل.
(٨) وقيل عملاً: وقيل: عملاً وقيل: عملاً، ز.
(٩) أن: أنه، ب، ي.
(١٠) قال: نوى، ز، ل، م.
(١١) موعداً: وعداً، ب، ز، ي.

اعتقدوا ما جهلوا وهو اعتقاد[١] نيل[٢] الثواب مع الكفر والعصيان «**كَلَّا**» ردع وزجر، أي لا يكون الأمر كما زعموا، يعني الطمع في الثواب[٣] مع سوء العمل والكفر ولا يكون[٤] أبداً «**سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ**» سنحفظ ما يقول لنجازيه يوم القيامة، وقيل: نأمر الملائكة، وقيل: نأمر الملائكة بكتابة ذلك، وقيل: سنحفظ ذلك لنريه فيعلم أنه كان كاذباً «**وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا**» أي: نزيده عذاباً فوق العذاب، وقيل: نتبع[٥] بعضه في إثر بعض فهو عبارة عن الدوام «**وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ**» يعني المال والولد بعدما أهلكناه وأبطلنا عليه[٦] ما يملكه، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد. وقيل: يموت ويبقى كفره، فشبه[٧] كفره[٨] الباقي بعده بالمال المتروك، عن الأصم. «**وَيَأْتِينَا فَرْدًا**» أي: في الآخرة ليس معه شيء من المال والولد[٩]، وهذا يدل على أن المراد بقوله[١٠] «**وَنَرِثُهُ**» المال والولد.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ[١١]﴾ الآية أن[١٢] في حمله الهدى ما يختص به المهتدي فلذلك حملناه على الإلطاف[١٣].

---

(١) اعتقاد: اعتقادات، ل، م.
(٢) نيل: ـ، ل، م.
(٣) في الثواب: والثواب، ز.
(٤) الأمر كما زعموا... ولا يكون: ـ، ب، ي.
(٥) نتبع: نتبعه، ز، ل، م.
(٦) عليه: على، ز.
(٧) فشبه: ـ، ب.
(٨) كفره: ـ، ب، ز، ل، م.
(٩) من المال والولد: من ماله وولده، ب، ي.
(١٠) بقوله: هو قوله، ز.
(١١) الله: ـ، ز، ل، م.
(١٢) أن: ـ، ز، ل، م.
(١٣) الإلطاف: الإطلاق، ز، ل، م.

ويدل قوله: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ[1]﴾ على وجوب التمسك بهذه العبادات[2] التي توجب الثواب الدائم، ولذلك[3] سماها باقيات؛ لأن ثوابها يبقى[4] أبداً.

ويدل قوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ على قبح الخبر عما لا يعلمه ويخبر به.

وتدل على أن جميع الأعمال مكتوبة محفوظة.

ويدل قوله: «وَيَأۡتِينَا فَرۡدًا» بأن[5] من يستحق العذاب لا ناصر له ولا شيء ينفعه.

وتدل على أن ذلك القول فِعْلُهُ لذلك وَبَّخَهُ به[6] وأَوْعَدَهُ[7] عليه.

قوله تعالى:

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدًا ﴿٨٦﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**نحشر**»، «**ونسوق**» بالنون، وعن بعضهم: (**يُحْشَرُ**) بالياء، (**ويُساقُ**)[8] بالياء والرفع على ما لم يسم فاعله. و(**المتقون**)[9] بالواو، وكذلك: «**المجرمون**[10]».

---

(١) الصالحات: ـ، ب، ز، م، ي.
(٢) العبادات: العادات، ز.
(٣) ولذلك: وكذلك، ز، ل، م.
(٤) يبقى: ـ، ز،ل، م.
(٥) بأن: أن، ب، ي.
(٦) وبخه به: يجزيه، ز، نحوبه، ل، م.
(٧) وأوعده: وأوعد، ب، ز، ل، م.
(٨) ويساق: ويسوق، ز، ل، م.
(٩) والمتقون: المتقون، ب، ي.
(١٠) المجرمون: المجرمين، ز، ل، م.

۞ اللغة

العِزُّ: الامتناع من الضيم، عز يعز فهو عزيز أي: ممتنع[(١)] من أن يُنَالَ بسوء، والعزيز في صفة الله تعالى يرجع إلى كونه قادراً لا يمتنع عليه شيء ولا ينال بمكروه[(٢)]، ولا يمانع في شيء.

والضد: ما ضاد الشيء، كالسواد والبياض، وحده ما امتنع[(٣)] وجود أحدهما لأجل وجود الآخر، والأشياء على ثلاثة أضرب: مختلفان، ومثلان، ومتضادان، والله تعالى مخالف لجميع الأشياء، وليس بِمِثْلٍ لشيء ولا ضد.

أزّت القدر: إذا غلت، ومنه الحديث: «ولِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كأزيز المِرْجَلِ من البكاء[(٤)]» يقال: أزه بكذا[(٥)] أي أغراه به، وأَزَزْتُ[(٦)] الشيء إلى الشيء ضممته إليه، وأزعجه أزه يؤزه أزاً[(٧)] إذا هزه[(٨)] بالإزعاج إلى أمر.

والوفد: الركبان في قدومهم[(٩)]، وَوُحِّدَ[(١٠)] لأنه مصدر، وقد يجمع [على] وفود، يقال: وَفَدْتُ أَفِدُ وَفْداً، وأنا وافِدٌ، وقيل: وفد جمع وافد كراكب وركب، وصاحب وصحب، وأوفد على الشيء أشرف عليه.

والسَّوْقُ: الحث على المسير[(١١)]؛ لأنه[(١٢)] يساق[(١٣)] بها البيع والشراء شيء[(١٤)] بعد شيء.

---

(١) ممتنع: يمتنع، ل.
(٢) بمكروه: المكروه، ل.
(٣) امتنع: متنع، ز.
(٤) من البكاء: ـ ، ز، ل، م.
(٥) أزه بكذا: أزه على كذا، ب، ي؛ أزه كذا، ز، أيزه كذا، ل.
(٦) وأززت: وأوزدت، ز؛ وأزوت، ب، ي. وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٤/ج١٦/ ٧٢: وأززت.
(٧) أزه يؤزه أزاً: ـ ، ز، م؛ أزه أزاً، ل.
(٨) هزه: هجره، ل، م.
(٩) قدومهم: قدودهم، ز، ل، م.
(١٠) ووحد: ووحده، ب، ز، ي.
(١١) المسير: ـ ، ل، م؛ السير، ز.
(١٢) لأنه: لأنها، ز، ل، م.
(١٣) يساق: ـ ، ل، م.
(١٤) شيء: ـ ، ز.

والوِرْدُ[(١)]: خلاف الصدر، يقال: ورد[(٢)] ورداً[(٣)] إذا ورد الماء.

ويقال: لِمَ قال: «يكونون[(٤)]» فجمع[(٥)] ثم قال: «عزا» فوحد؟

قلنا: لأنه مصدر؛ لا يثنى ولا يجمع كقولهم: خَصْمٌ وعَدْلٌ، وكذلك وَحَّدَ قوله: «ضداً».

المعنى

ثم بيّن تعالى أن ما اتخذوه من الآلهة لا يغني عنهم شيئاً، فقال سبحانه: «**وَاتَّخَذُوا**» يعني مشركي العرب «**مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً**» يعني الأصنام «**لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا**» قيل: ليصيروا بهم إلى العز، وقيل: الاعتزاز بأكابرهم واللواذ[(٦)] إليهم، وقيل: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة، عن أبي علي. وقيل: لتمنعهم الآلهة ما يكرهونه، عن الأصم. «**كَلَّا**» أي: لا يكون ما ظنوا؛ بل صاروا[(٧)] به إلى الذل وعذاب الله، وقيل: ينطقهم الله يوم القيامة فيتبرؤون منهم «**سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ**» قيل: إن هؤلاء المشركين سيجحدون أن يكونوا عبدوها عندما يرون سوء عاقبتهم، ويقولون[(٨)] ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [**الأنعام: ٢٣**]، وقيل: سيجحدون عبادتهم[(٩)] أي: يقرون بأن ذلك ليس بشيء، وقيل: سَيَكْفُرُ[(١٠)] ما[(١١)] اتخذوه آلهة بعبادة[(١٢)] المشركين لها كقوله: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [**القصص: ٦٣**]، عن أبي علي، وهو الأوجه، وما ذكره

(١) والورد: والورود، ب، ي.
(٢) ورد: أورد، ز.
(٣) وردا: وروداً، ب، ي.
(٤) يكونون: يكون، ل، م.
(٥) مجمع: ـ، ل، م.
(٦) واللواذ: اللواذ، ب، ي.
(٧) صاروا: ساروا، ب، ي.
(٨) ويقولون: ويقول، ل، م.
(٩) عبادتهم: عبادهم عبادتهم، ب، ي.
(١٠) سيكفر: سيكفرون، ز، ل، م.
(١١) ما: ما يعني ما، ب، ي.
(١٢) بعبادة: بعباد، ل، م.

الأصم لا يصح؛ لأن الكذب لا يجوز على أهل الآخرة، وقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] عند أنفسنا وفي اعتقادنا، وقيل: هذا في الملائكة عبدها قوم فذكروا ذلك، وقيل: بل في عبادة الأصنام ينطقهم ليتبرؤوا[١] منهم، وقيل: بل رؤساؤهم الذين يتبعونهم في الدنيا يتبرأون منهم يوم القيامة «**وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا**» قيل: أعداء، وقيل: أعواناً في خصومتهم وتكذيبهم، عن مجاهد. وقيل: قرناء في النار يلعنونهم ويتبرأون منهم، عن قتادة. «**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ**» قيل: أراد خلينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا[٢] إليهم ودعوهم إلى الضلال، قال أبو علي: وهو مجاز، وقيل[٣]: توسع، كما يقال لمن خلى[٤] بين الكلب وبين غيره أرسل كلبه عليه، وقيل: سَلَّطْنَاهُ[٥] عليهم وأغويناهم به[٦]، وليس بشيء؛ لأنه لو كان كذلك لكان الكافر[٧] بقبوله من الشيطان[٨] مطيعاً له، كما أن المؤمن بقبوله من الرسول مطيع له «**تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**[٩]» قيل: تزعجهم[١٠] إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، عن ابن عباس. وقيل: تغريهم، عن سعيد بن جبير. وقيل: تأمرهم بالمعاصي، عن الضحاك. وقيل: تهزهم وتَجُرُّهم ومعناه الحث والبعث على الكفر، عن أبي مسلم. «**فَلَا**[١١] **تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا**» قيل: لا تعجل في إهلاكهم لتستريح منهم فإن لهم أمداً مضروباً والله تعالى يعد أيامهم عداً حتى إذا كملت أخذهم، وقيل: يعد عليهم الأيام والليالي والشهور والسنين، عن الكلبي. وقيل: يعد عليهم الأنفاس.

---

(١) ليتبرؤوا: فيتبروا، ب، ي.
(٢) وسوسوا: وسوس، ز، ل، م.
(٣) قيل: ـ، ب، ي.
(٤) خلى: خلف، ز، ل، م.
(٥) سلطناه: سلطانهم، ب، ي.
(٦) وأغويناهم به: وأغريناهم به، ب، ز، ي.
(٧) لكان الكافر: والكافر، ز، ل، م.
(٨) الشيطان: الشياطين، ز، ل، م.
(٩) أزاً: إذا، ز، ل، م.
(١٠) تزعجهم: تعجزهم، ز، ل، م.
(١١) فلا: ـ، ل، م. وما أثبتناه من (ب، ز، ي).

ثم بيّن تعالى حالهم بعد البعث، فقال سبحانه: «**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ**» أي: يوم القيامة نجمع المتقين الذين اتقوا الكبائر، وقيل: الموحدين الذين اتقوا الشرك «**إِلَى الرَّحْمَنِ**» أي[1]: حيث لا[2] يملك سواه إلى حكمه وقضائه، وقيل: ثوابه وجنته «**وَفْدًا**[3]» قيل[4]: جماعات، وقيل: ركباناً، وقيل: يؤتون بنوق لم يُرَ مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا[5] أبواب الجنة، عن ابن عباس. وقيل: يمرون[6] ويسعون، عن الربيع. «**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ**» قيل[7]: المكذبين، وقيل: المذنبين «**إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**» قيل: عطاشاً مشاة على أرجلهم كالإبل العطاش، وقيل: عطاشاً، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة. وقيل: الوِرْدُ[8] النصيب يعني هم نصيب جهنم من الفريقين، والمؤمنون لهم الجنة، عن أبي مسلم[9].

۞ الأحكام

تدل الآية أن كل معبود دون الله عدو عابده[10] يوم القيامة، فيدخل فيه عبادة الأصنام ومن يتبع الرؤساء والأكابر.

وتدل على[11] أنها تجيء الأوثان حتى تتكلم[12] بالبراءة من[13] عابدها.

(١) أي: إلى، ب، ي.
(٢) لا: ـ، ز، ل، م.
(٣) وفدا: ـ، ز.
(٤) قيل: وقيل، ز.
(٥) يضربوا: يضربون، ب، ي.
(٦) يمرون: يكرون، ز، م؛ يكونون، ب، ي.
(٧) قيل: ـ، ز، ل، م.
(٨) الورد: ـ، ز، ل، م.
(٩) عن أبي مسلم: عن ابن عباس، ز.
(١٠) عابده: عابد، ز.
(١١) على ـ، ب، ي.
(١٢) تتكلم: تكلم، ز.
(١٣) من: عن، ب، ز، ل، م، ي.

وتدل على أنه خلى بين الكافر والشياطين ولم يمنع بألطافه كما منعهم من المؤمنين(1)، وإنما ذلك لما(2) في(3) المعلوم أنه لا لطف له.

ومتى قيل: هذه(4) التخلية كأنها منع من الإيمان؟

قلنا: لا؛ لأنهم مع التخلية يتمكنون من الإيمان، وقيل: بل(5) هو عقوبة على كفرهم، وكذلك قوله(6) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾(7) **[الأنعام: ١٢٩]**، وليس ذلك بمنع لهم عن الإيمان.

وتدل على(8) أن لكل أحد(9) وقتاً لا يتقدم ولا يتأخر، وقد قاله ابن السماك إذا(10) كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد، ومن قريب تنفد(11).

وتدل على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين(12).

وتدل على أن المؤمن يحشر على غاية الإكرام، والكافر على غاية الإهانة، وفي الخبر عنه لطف للمكلفين.

---

(1) المؤمنين: المؤمن، ب، ي.
(2) لما: ـ، ب؛ لمن، ز، ل، م.
(3) في: بياض في (ز، ل، م).
(4) هذه: فهذه، ب، ي.
(5) بل: ـ، ز، ل، م.
(6) قوله: ـ، ب.
(7) وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً: +، ي.
(8) على: ـ، ب، ز، م، ي.
(9) أحد: واحد، ز.
(10) إذا: إذ، م.
(11) تنفذ: تتعدد، ز، ل، م.
(12) ووعيد الكافرين: ووالكافرين، ز.

قوله تعالى:

﴿لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا
(٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ
وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا
(٩٢) إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**وُلْداً**» بضم الواو وسكون اللام، والباقون بفتحها، وقد بينا أن منهم من قال: إنهما[١] لغتان، كالعَرب والعُرب، والعَجم والعُجم[٢]، ومنهم من قال: الوُلْدُ الجمع، والوَلد واحد.

قراءة العامة: «**إدّا**» بكسر الألف، وقرأ السلمي بفتحها، وفيه ثلاث لغات: فتح الهمزة، وكسرها، وآداً[٣] مثل عاد.

وقرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص عن عاصم: «**تكاد**» بالتاء «**يتفطرن**» بالياء[٤] والطاء مفتوحة مشددة، وقرأ (حم عسق) مثله. وقرأ نافع والكسائي: «**يكاد**» بالياء «**تتفطرن**» بالتاء والطاء مشددة. وقرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: «**تكاد**» بالتاء «**يَنْفَطِرْن**» بالنون[٥] وكسر الطاء، وفي (عسق) مثله. وقرأ[٦] ابن[٧] عامر وحمزة:

(١) إنهما: هما، ب، ي.
(٢) والعجم: ـ ، ب، ي.
(٣) وآدا: واادا، ب، ي؛ فادا، ل.
(٤) يتفطرن بالياء: تتفطرن بالتاء، ب، ل، ي.
(٥) وأبو بكر عن عاصم. . . بالنون: ـ ، ل، م.
(٦) وكسرا الطاء وفي عسق مثله وقرأ: ـ ، ب، ل، م، ي.
(٧) ابن: وابن، ل، م.

«**ينفطرن**» بالنون مثل أبي عمرو، وفي (حم عسق) مثله، وقرأ[(١)] بالتاء مثل أبي جعفر وابن كثير، فمن قرأ «**تكاد**[(٢)]» بالتاء لتأنيث السماوات، ومن قرأ بالياء فلتقدم[(٣)] الفعل على الجمع، وقيل: بالتاء[(٤)] لإضمار[(٥)] جميع السماوات، وبالياء لإضمار[(٦)] جماعة السماوات، فأما «**ينفطرن**[(٧)]» بالنون من[(٨)] الانفطار، وهو الانشقاق.

۞ اللغة

أصل الفطر الشق، يقال: فطر ناب البعير إذا انشق، ومنه: أخذ الفاطر، وأما بالتاء[(٩)] فمن التفطر، والمعنى واحد.

الإِدُّ: الأمر العظيم، يقال: جئت شيئاً إدًّا وإدَّةً، وجمع الإدة[(١٠)]: إِدَدٌ، قال الشاعر:

قــد لَـقِــيَ الأعــداء مِـنِّــي نُـكْـرَا ... داهـــيـــةً دَهْـــيَـــاء إِدًّا إِمْـــراً[(١١)]

والخرور: السقوط[(١٢)]، وخر: سقط.

والهد: التهدم[(١٣)] لشدة صوت، هددت الشيء هدّاً.

---

(١) مثله وقرأ: تكاد بالتاء ينفطرن، ب، ز، ي.
(٢) تكاد: يكاد، ي.
(٣) فلتقدم: فلتقديم، ب، ي.
(٤) بالتاء: بالياء، ز.
(٥) لإضمار: الإضمارو ز، ل، م.
(٦) وبالياء لإضمار: والياء الإضمار، ل، م؛ وبالياء الإضمار؛ ز.
(٧) ينفطرن: يتفطرن، ب، ي.
(٨) من: ـ، ز، ل، م.
(٩) بالتاء: بالياء، ب، ي؛ التاء، ل.
(١٠) الإدة: الإداة، ز، ل، م.
(١١) إدًّا إمراً: إدا صرا، ز، ل، م.
(١٢) السقوط: بالسقوط، ز.
(١٣) والهد التهدم: واهد الهَدْم، ب، ي.

الإعراب[1]

يقال: ما موضع (مَنْ) التي بعد (إلا)؟

قلنا: نصب على الاستثناء المنقطع؛ لأن[2] المؤمنين[3] ليسوا من المجرمين، وقد نصب على حذف اللام بمعنى[4] لا يملكون الشفاعة إلا من[5] اتخذ، وقيل: موضعه رفع، أي: لا يملك أحد الشفاعة ولا هؤلاء.

«**شيئا إدًّا**» نصب لوقوع الفعل عليه وهو قوله: «**جئتم**» وقيل: بنزع الخافض أي: بشيء إدا أن دعوا أي[6] لأن دعوا.

«**إلا آتي الرحمن**» أضيفت[7] إلى اسم الرحمن. «**عبدا**» نصب على الحال.

«**وكلهم آتيه**» رفع إلا أنه من[8] بنات التاء نحو قوله: رأيته وقاضيته[9]، والعرب تقول: كلهم[10] قائم وقائمون، فمن قال: قائم فعلى لفظ[11] **كل واحد**[12]، ومن قال: فاعلون فعلى المعنى؛ لأن (كل) معناه الجمع.

المعنى

ثم آيسهم ما رجوا من شفاعتهم لعظيم ما أتوه، فقال سبحانه: «**لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ**» إلا من استثناه، وتلك الشفاعة على وجهين:

---

(١) الإعراب: الإعراب الإعراب، ل.
(٢) يقال ما موضع. . . لأن: ـ ، ز، ل، م.
(٣) المؤمنين: ـ ، ل.
(٤) بمعنى: يعني، ب، ي.
(٥) من: لمن، ز، ل، م.
(٦) أن دعوا أي: أن وعزا معناه، ز، ل، م.
(٧) أضيفت: أضفت، ز، ل، م، ي.
(٨) من: ـ ، ز.
(٩) وقاضيته: قاضيه، ز، ل، م.
(١٠) كلهم: ـ ، ز، ل، م.
(١١) لفظ: ـ ، ز.
(١٢) فعلى لفظ كل واحد: فعلى لفظ لكل لفظ كل واحد، ل.

أحدهما: أن يشفع للغير.

والثاني: استدعاء الشفاعة من غيره لنفسه، فبين أن هؤلاء الكفار لهوانهم لا تتقدم[١] شفاعة غيرهم لهم ولا شفاعتهم لغيرهم «**إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ**» يعني لا يملك الشفاعة إلا هؤلاء، وقيل: لا يشفع لهؤلاء[٢] «**إِلاَّ**[٣] **مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**» قيل: ضمان الثواب دائماً للمؤمنين وهو وعده، عن أبي علي. وقيل: العهد اعتقاد التوحيد والإخلاص، عن[٤] مقاتل. وقيل: أن يشهد أن[٥] لا إله إلا الله، عن ابن عباس. وقيل: من عمل[٦] بطاعة الله[٧]، عن قتادة. وقيل[٨] [٩]: عملا صالحاً، عن ابن جريج. «**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا**» يعني اليهود والنصارى ومشركي العرب جعلوا لله ولداً «**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا**» قيل: منكراً عظيماً، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد[١٠]. وقيل: فظيعاً، عن الضحاك. «**تَكَادُ**» كلمة وضعت[١١] للقرب دون الوقوع «**السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ**» يتشققن من قولهم، وهذا مجاز وتوسع، ومعناه: ولو تنفطر[١٢] السماء والأرض لشيء عظيم لَكُنّ ينفطرن من هذا لعظم ما قالوا[١٣]، وقيل: تكاد القيامة يوم[١٤] تنشق السماء[١٥] والأرض لعظيم ما قالوا[١٦]، لكن لها أمد لا يقيمها إلا عند ذلك «**وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ**» أي:

(١) لا تتقدم: لا ينفد لهم، ب، ي.
(٢) إلا من اتخذ... لا يشفع لهؤلاء: ـ، ز، ل، م.
(٣) إلاّ: ـ، ب، ي.
(٤) عن: وعن، ز.
(٥) أن: ـ، ب، ي.
(٦) عمل: يحصل، ز، ل.
(٧) من عمل بطاعة الله: وقيل من عمل بطاعة الله، عن ابن عباس. وقيل: من عمل بطاعة الله، عن قتادة، ب، ي.
(٨) وقيل: ـ، ز، م.
(٩) عن قتادة وقيل: ـ، ل.
(١٠) وابن زيد: ويزيد، ز.
(١١) وضعت: ـ، ب، ي.
(١٢) تنفطر: يتفطر، ب، ي.
(١٣) ما قالوا: وقالوا، ل.
(١٤) يوم: ـ، ز، ل، م.
(١٥) السماء: ـ، ز، ل، م؛ للسماء، ي.
(١٦) ما قالوا: قولهم، ب، ز، ي.

تقع «هَدًّا» قيل: كسراً، عن ابن عباس. وقيل: قطعاً، عن مقاتل. وقيل: هدماً، عن عطاء. وقيل: سقوطاً، عن أبي عبيدة. «أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا» يعني أن هذه الأشياء لو كانت إنما تكون لأجل ادعائهم أن للرحمن ولداً يعني إذ[١] وصفوه بذلك، وقيل: سموا له ولداً، وإنما عظم ذلك لأن إثبات الولد يقتضي حدوثه وخروجه من صفة[٢] الإلهية، ثم نفى ذلك عن نفسه[٣] غاية النفي[٤] فقال سبحانه: «وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا» أي: ليس من صفة[٥] الرحمن اتخاذ الولد، ثم دل عليه بما بَيَّنَ أن الولد من صفات المحدثين والله قديم مالك جميع الأشياء فكيف يليق به[٦] الولد، فقال سبحانه: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» يعني الخلق من الجن والإنس والملائكة «إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا» أي: يأتون ويقرون بالملك[٧] على أنفسهم وكلهم[٨] عبيده وخلقهم ورباهم[٩] ويجري عليهم حكمه «لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا» أي: أحصى[١٠] أيامهم[١١] وأنفاسهم وأعمالهم فلا يخفى عليه شيء من ذلك «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» بعمله ليس معه شيء من الدنيا، وقيل: ليس معه عون ولا[١٢] ناصر ولا[١٣] ولد ولا جماعة يدفعون عنه[١٤]، عن أبي علي. وإنما خص يوم القيامة لأن كل أحد يدعي في الدنيا المال والولد والرئاسة والربوبية، ويقر الجميع في القيامة بالعبودية لله تعالى.

---

(١) يعني إذ: أي، ب، ي؛ بمعنى إذ، ل.
(٢) صفة: صفات، ب، ي.
(٣) عن نفسه: ـ، ز، ل، م.
(٤) غاية النفي: ـ، ل، م.
(٥) صفة: صفات، ل.
(٦) به: ـ، ل، م.
(٧) بالملك: ـ، ز، ل، م.
(٨) وكلهم: فكلهم، ب، ز، ي.
(٩) وخلقهم ورباهم: وخالقهم وربهم، ز، ل.
(١٠) أحصى: أحصاهم، ز، ل.
(١١) أيامهم: إياهم، ز، ل، م.
(١٢) لا: ـ، ز، ل، م.
(١٣) لا: ـ، ز، ل، م.
(١٤) عنه: ـ، ز، ل، م.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن المجرمين لا شفيع لهم، وأن الشفاعة للمؤمنين؛ لأنهم اتخذوا عند الله عهداً.

ومتى قيل: هل[1] يدل قوله: «**عند الرحمن**» أنه في كل[2] مكان؟

فجوابنا: لا؛ إذ[3] المراد به معه.

وتدل على عظم القول بجواز الولد على الله تعالى.

ويدل قوله: «**وما ينبغي**» على صحة الحجاج في الدين، وتدل أن[4] ذلك القول فِعْلُهُم وكيف يقول: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ من قولهم وهو الخالق لذلك والمريد له.

وتدل على أن[5] العبودية والبنوة لا يجتمعان، فدل أنه إذا ملك ابنه[6] عتق عليه.

ومتى قيل: كيف يدل قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ على نفي الولد؟ [قلنا]: لأنه يدل أنه ليس بجسم والولد من خصائص الأجسام.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾

---

(١) هل: هذا، ز، م، وكتب فوقها في هامش (م): هل؛ هلا، ل.
(٢) كل: ـ ، ب، ي.
(٣) لا إذ: ـ لاذا، ل.
(٤) أن: ـ ، ز، ل، م.
(٥) أن: ـ ، ز، ل، م.
(٦) ابنه: أبيه، ب، ل، ي.

اللغة

اللَّدَدُ: شدة الخصومة، وفي التنزيل: ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] أي: أشد الخصام خصومة، وألَدّ ولَدٌّ نحو أَصَمَّ وصَمّ.

والرِّكْز: الصوت الخفي، وأصل الركز: الحس، ومنه: الركاز؛ لأنه[١] يحس به مَنْ تقدم بالكشف عنه، وقال ذو الرمة:

وقد تَوَجَّسَ[٢] رِكْزاً مِنْ سنابكها ... أَوْ[٣] كان صَاحِبَ أَرْضٍ أَوْ بِهِ المُومُ[٤]

والأرض: الرِّعْدَة، والمُومَ: البرسام، وأحسست الشيء إحساساً[٥]، والاسم الحس وأصله[٦]: الإدراك بالحاسة.

الإعراب

(من)[٧] في[٨] قوله: «**من أحد**» قيل: صلة[٩] أي: هل تحس أحدا، وقيل: للتبعيض.

«**لدا**[١٠]» نعت «**قوما**[١١]».

النزول

قيل: نزلت الآية في علي بن أبي طالب، فما من مؤمن إلا ولعلي في قلبه محبة[١٢]، عن ابن عباس.

---

(١) لأنه: لا، ز، ل، م.
(٢) توجس: توحش، ب، ي.
(٣) أو: إذا، ز، ل، م. إذ، ب، ي. وما أثبتناه من مجمع البيان في تفسير القرآن: م٤/ج١٦/٧٦.
(٤) الموم: البرسام.
(٥) إحساساً: ـ ، ل، م.
(٦) وأصله: أصله، ز، ل، م.
(٧) من: ـ ب، ي.
(٨) في: ـ ، ل.
(٩) صلة: أصله، ز.
(١٠) لدا: إدا، ب، ز، ل، م، ي.
(١١) قوما: قوم، ل، م.
(١٢) إلا ولعلي في قلبه محبة: إلا وفي قلبه لعلي محبة، ز، ل، م.

وقيل: بل[1] هو عام في جميع المؤمنين.

۞ المعنى

ثم ذكر الوعد بعد[2] تقدم الوعيد، فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» صدَّقوا «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» قيل: في الدنيا، عن ابن عباس، ومجاهد، والأصم. وقيل: في الآخرة، عن أبي علي. وقيل: يحب بعضهم بعضاً وفيه أعظم السرور، وقيل: غيرهم أيضاً يحبهم فترى الفاسق يحب المؤمنين، ونظيره: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩] وإنما أضافه إلى نفسه؛ لأنه يحصل في القلوب بلطفه أو لأنه أمر به، وقيل: يحببه[3] إلى خلقه، فتحبه الملائكة في السماء والإنس والجن في الأرض، وقيل: يحب لهم ما يحبونه ويتمنونه، وسواء قولك: أجعل لك ما تحب، أو أجعل[4] لك ودك ومحبتك، والود بمعنى المَوَدَّة[5]، عن أبي مسلم. وقيل: محبة[6] الله هي محبة[7] لهم ليحبوه كما أحبهم، ومحبته إياهم إرادة الخير لهم، وذلك يكون بالاستحقاق على الإيمان والأعمال الصالحة.

ولما تقدم الوعد والوعيد بَيَّنَ الغرض، فقال سبحانه: «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ» أي: أنزلناه بلسانك وهي لغة العرب لتيسير معرفته، فلو كان بلسان[8] آخر ما عرفوه، عن أبي مسلم. وقيل: يسرنا قراءته ولولا تيسيره لمنع بما فيه من الوعد والوعيد وألهته[9] عن قراءته[10]، وقيل: يسرنا[11] القرآن بلسانه، وعلمه[12] إياه، ومكنه من

(١) بل: ـ، ز.
(٢) بعد: قبل، ز، ل، م.
(٣) يحببه: محبة، ز، ل، م.
(٤) أو أجعل: وأجعل، ب، ي.
(٥) والود بمعنى المودة: والولد يعني المولود، ز، ل، م.
(٦) محبة: يحبه، ب، ي.
(٧) محبة: محبته، ب، ي.
(٨) بلسان: بلسانك، ز، ل، م.
(٩) وألهته: واللهيت، ز، ل، م.
(١٠) قراءته: ثوابه، ز، ل، م.
(١١) يسرنا: يسرناه، ل.
(١٢) وعلمه: وعمله، ز.

قراءته، عن أبي علي. «**لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ**» لتخبرهم بما يسرهم مما أعد الله لهم «**وَتُنذِرَ بِهِ**[1]» أي: تخوف بالقرآن[2] «**قَوْمًا لُدًّا**» قيل: ذو جدل بالباطل، عن قتادة، والضحاك. كأنه لا ينقاد للحق، وقيل: شداداً في الخصومة، عن ابن عباس. وقيل: صماً، عن الحسن، والربيع. وقيل: الألَدُّ الظالم الذي لا يستقيم، عن مجاهد.

ثم بيّن تعالى ما يقع[3] به التخويف، فقال سبحانه: «**وَكَمْ أَهْلَكْنَا**» فيه تسلية للنبي ﷺ وعلى آله، أي: لا يهمنك[4] أمرهم فإن وباله يرجع عليهم كما أهلك من كان قبلهم، وقيل: أهلكنا عذبنا، وقيل: استأصلهم، قيل: هؤلاء الكافرين «**مِنْ**[5] **قَرْنٍ**» من أمة «**هَلْ تُحِسُّ**» قيل: ترى، وقيل: تجد «**مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**» أي[6]: صوتاً، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقال ابن زيد: الركز الحس، وقيل: إنهم يُنْسَوْنَ فلا يُذْكرون، أي[7]: لا يبقى لهم على لسان أحد ذكر ولا صوت.

۞ الأحكام

تدل الآية أنه يجعل في قلوب أهل الجنة وداً، ويزيل العداوة والبغضاء، وحَمْلُهُ على هذا أولى لعموم الآية ولهذا لا يغتم الوالد لحلول[8] العذاب بولده.

وتدل أنه أنزل القرآن بلغة العرب فليس فيه سواه.

وتدل على أن الغرض الإنذار والتذكير[9].

وتدل أن الوعد للمتقين وذلك يحقق قولنا في الوعيد[10]؛ إذ لو كان الفاسق من أهل البشارة لما اختص ذلك بالمتقين[11].

---

(١) به: ـ، ز، ل، م.
(٢) بالقرآن: ـ، م.
(٣) ما يقع: ما يجب، ز.
(٤) لا يهمنك: لا يهمك، ب، ي.
(٥) من: ـ، ز، ل، م.
(٦) أي: ـ، ز، ل، م.
(٧) أي: من، ب، ي.
(٨) لحلول: بحلول، ب، ز، ي.
(٩) والتذكير: والتبشير، ب، ي.
(١٠) الوعيد: الوعد، ل، م.
(١١) وذلك يحقق قولنا... بالمتقين: ـ، ز.

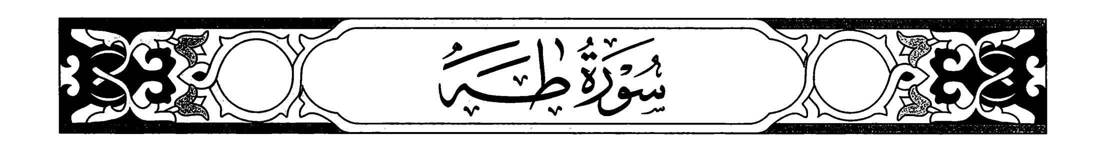
وتدل على التحذير من المعاصي بما نزل بالأمم.

وتدل على أنه لا ينبغي أن نغتر بأحوال الدنيا وزينتها اعتباراً بأولئك؟ حيث لم يبق لهم ذِكْرٌ.

وتدل على أن الإيمان والعمل الصالح[1] فِعْلُهُمْ، وأن الجدل في الدين فِعْلُهُمْ، لذلك استحقوا الوعد والوعيد[2].

(١) الصالح: ـ، ل، م.

(٢) وأن الجدل في الدين... والوعيد: ـ، ب.



سورة (طه)[١]، قال ابن عباس: إنها مكية، وهي من[٢] أوائل ما نزل من القرآن.

وهي مائة وخمس وثلاثون آية في الكوفي، وهو عدد[٣] أمير المؤمنين، وأربع في[٤] المدني، وآيتان في البصري.

وعن الحسن عن النبي ﷺ: «لا يقرأ أهل الجنة إلا (يس) و(طه)».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله[٥] تعالى قرأ (طه) و(يس)، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأُمَّةٍ ينزل عليها، وطوبى لألسن تتكلم[٦] بهذا، وطوبى لجوف[٧] يحمل[٨] هذا».

وقيل: اتصل قوله: ﴿طه مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ الآية بقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

لما ختم السورة بنزول القرآن عليه وأنه يسره[٩] بلسانه ليبشر به[١٠] المتقين وينذر به الكافرين؛ افتتح سورة (طه) بأنه أنزله سعادة لا شقاوة.

---

(١) طه: ـ، ب، ل، م، ي.
(٢) من: في، ز.
(٣) عدد: عد، م.
(٤) في: في عدد، ب، ز، ي.
(٥) إن الله: أنه، ب، ي.
(٦) تتكلم: تكلم، ب، ل، م، ي.
(٧) وطوبى لجوف: الجوف، ز.
(٨) يحمل: فحمل، ز.
(٩) يسره: بشره، ز.
(١٠) به: ـ، ل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا
مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ
ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

القراءة

في (طه) أربع قراءات:

أولها: قرأ نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر ويعقوب بفتح الطاء والهاء، وابن[1] كثير وعاصم أشد فتحاً وتفخيماً.

وثانيها: قرأ أبو جعفر وأحد الروايتين عن نافع[2] بين الفتح والكسر فيها، معناه لا تفتح فتحاً شديداً.

وثالثها: قرأ أبو عمرو: (طَهِ) بفتح الطاء وكسر الهاء كسراً لطيفاً من غير إفراط.

ورابعها: قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وعياش عن أبي عمرو بإمالة الطاء والهاء، وكلها لغات صحيحة.

وفي (طَهَ) أربع: فتح الحرفين على التفخيم وإمالتهما[3]، وتفخيم الأول وإمالة الثاني.

و(طَهْ) بسكون الهاء، وفيه وجهان:

(١) وابن: ـ، ز.
(٢) عن نافع: ـ، ل، م.
(٣) وإمالتهما: وإمالتها، ب، ل، م، ي.

أحدهما: أن تكون الهاء بدلاً من همزة طأ[1]، كقولهم في أرقت هرقت.

والآخر: أن تكون على ترك الهمز[2] فتقول: طَهْ يا رجل، وتدخل الهاء للوقف[3].

۞ اللغة

الشقاوة: نقيض السعادة[4]، شَقِيَ يَشْقَى شَقَاوة، وشَقَاءً[5]، والشَّقَاوَةُ: استمرار ما يشق على النفس.

والتذكرة: التعريض لذكر[6] البيان[7]، ذَكَّرَهُ تذكيراً وتذكرة.

والتنزيل: مصدر نَزَّلَهُ تنزيلاً، ونزل وأنزل بمعنى[8] نحو قوله: ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ﴾ [**التحريم**: ٣].

والعُلَى جمع العلياء، نحو: كبير وكبرى، وصغير وصغرى، ومعناه: الرفيع.

والثَّرى: التراب الندي[9].

والجهر: رفع الصوت، جَهَرَ جَهْراً، والصوت مجهور، ونقيضه: المهموس.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع «**طه**» من الإعراب؟

قلنا: رفع لأنه خبر ابتداء محذوف كأنه قيل: هذا[10] طه، وعلى قول من

---

(١) طأ: ط، ز.
(٢) الهمز: الهمزة، ز.
(٣) للوقف: للوقت، ل، م.
(٤) السعادة: العداوة، ب، ي.
(٥) وشقاء: شقاء، ز، ل، م.
(٦) لذكر: للذكر، ز، ل، م.
(٧) البيان: الشأن، ي.
(٨) بمعنى: المعنى، ل، م.
(٩) الثدي: والندى، ز، ل، م.
(١٠) هذا: هذه، ب، ي.

يقول: إن كل حرف مأخوذ من اسم، فلا موضع له من الإعراب؛ لأنه يدل[1] على جُمْلَةٍ.

﴿تَذۡكِرَةً﴾ نصب بـ (أنزلنا)[2]، وقيل: لمحذوف[3] تقديره: أنزلناه تذكرة.

ومتى قيل: ما معنى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةً﴾؟

فجوابنا: فيه وجوه:

قيل: هو استثناء منقطع بمعنى لكن تذكرةً.

وقيل: فيه حذف وتقديره: ما أنزلناه[4] لتشقى، ما أنزلناه إلا[5] تذكرة، فيكون (ما أنزلنا)[6] مكرراً.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى.

[وقيل]: لا؛ لأن تنزيلاً [نصب] على المصدر أي: أنزلناه تنزيلاً.

وقيل: نصب على تقدير: لمن يخشى[7] لا لِأَنْ[8] يَشْقَى.

وقيل: هو بدل من قوله: ﴿تَذۡكِرَةً﴾.

ويقال: لِمَ قال: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ بعد ذكر الأسماء ولم يقل الأحاسن[9]؟

قلنا: لأن الأسماء مؤنثة تقع عليها هذه كما تقع على الجماعة[10]، كأنه اسم

(١) يدل: ـ ، ز، ل، م.
(٢) بأنزلنا: بما أنزلناه، ب، ي؛ أنزلناه، ز، ل، م.
(٣) بمحذوف: لمحذوف، ز، ل، ي.
(٤) أنزلناه: أنزلنا، ز، ل، م.
(٥) إلاّ: إلى، م.
(٦) أنزلنا: أنزلناه، ب، ي.
(٧) لا لأن تنزيلا. . . لمن يشقى: ـ ، ب، ي.
(٨) لا لأن: لا لأن من، ز.
(٩) الأحاسن: الأجناس، ل.
(١٠) على الجماعة: للجماعة، ز.

واحد للجمع[1]، ومثله: ﴿مَآرِبُ[2] أُخْرَىٰ﴾[طه: ١٨]، فوصف جميع المؤنث بصفة الواحد.

۞ النزول

قيل: كان[3] رسول الله ﷺ يصلي حتى ورمت قدماه، فقيل: أليس قد غفر لك؟! فقال: «أفلا أكون عبداً شكورا»، عن المغيرة بن شعبة.

وقيل: كان أصحاب[4] رسول الله ﷺ[5] يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل؛ ثم نسخ ذلك بالفرض، وأنزل الله تعالى هذه الآية، عن مجاهد.

وقيل: لما نزل الوحي بمكة اجتهد النبي ﷺ في العبادة، وجعل يصلي الليل كله حتى نزلت هذه الآية، فأمر الله[6] تعالى أن يخفف عن نفسه ويصلي وينام، عن الكلبي.

وقيل: كان يصلي ويقف على إحدى رجليه[7]، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: قال المشركون ـ أبو جهل بن هشام وغيره ـ لما رأوا شدة عبادته له[8]: إنه يشقى[9]. فنزلت الآية، عن مقاتل.

۞ المعنى

«طه» قيل: اسم للسورة ومفتاح لها، عن الحسن، وأبي علي. وقيل: إشارة إلى

---

(١) للجمع: للجميع، ب.
(٢) مآرب: تارة، ز، ل، م.
(٣) كان: قال وكتب فوقها: كان ظ، م.
(٤) أصحاب: +، (ي) ظ.
(٥) صلى الله عليه آله وسلم: صلى عليه وأصحابه، ز.
(٦) الله: ـ، ز، ل.
(٧) رجليه: رجله، م.
(٨) له: ـ ز، ل، م.
(٩) يشقى: شقى، ل، م.

أن[1] القرآن مؤلف[2] من هذه الحروف التي بها يتكلمون، فإذا عجزتم عن مثله[3] فاعلموا أنه كلام الله تعالى ومعجزة لنبيه، عن أبي مسلم. وقيل: إشارة إلى[4] أن القرآن محدث من حيث أُلِّفَ، ومن حيث رُكِّبَ من هذه الحروف، عن أبي بكر الزبيري. وقيل: قالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن، فذكر هذه الحروف[5] ولم يكن لهم بها عهد ليسمعوا[6] ما بعده، عن قطرب. وقيل: اختصار من كلام يعلمه النبي ﷺ، قيل: معناه بالسريانية[7]: يا رجل، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن، ومجاهد، والأصم. قال الحسن: هو جواب المشركين[8] لما قالوا: إنه شقى، فقال الله[9] تعالى: [(طه) أي][10]: يا رجل «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى»، وقولهم بالسريانية[11] يعني اتفقت فيه اللغات، أو عَرَّبَتْهُ العرب، قال الكلبي: هو يا رجل[12] بلغة عك، قال شاعرهم:

إن السَّفَاهة[13] طَهْ مِن خليقتكم ... لا قدَّسَ اللهُ أَخْلاق الملاعين[14]

وقيل[15]: معناه طأ الأرض بقدميك، يريد به في التهجد، عن مقاتل. وقيل: «كان يقف في صلاة الليل على[16] إحدى رجليه حتى ورمت»، فنهي عنه.

---

(١) أن: ـ، ز.
(٢) مؤلف: مركب، ب، ز، ي.
(٣) عن مثله: ـ، ل.
(٤) إلى: ـ، ز، م.
(٥) عن أبي بكر الزبيري... الحروف: ـ، ز.
(٦) ليسمعوا: يسمعوا، ز.
(٧) بالسريانية: انالسريانية، ز، ل، م.
(٨) المشركين: ـ، ب، ي.
(٩) الله: ـ، ز، ل، م.
(١٠) انظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي: ٧/ ٤.
(١١) بالسريانية: بالسر، ز، ل، م.
(١٢) هو يا رجل: هو يا رجل هو، ب، ي.
(١٣) السفاهة: الشفاعة، ز، ل، م.
(١٤) الملاعين: للملاعين، ز، البيت أنشده قطرب ليزيد بن مهلهل.
(١٥) وقيل: قيل، ب، ز، ل، م، ي.
(١٦) على: عن، ز.

فأما من قال: إنه نزل على معنى، فاختلفوا، قيل: أَقْسَم الله بِطَوْلِهِ وهدايته[١]، عن محمد بن كعب. وجواب القسم[٢] «مَا أَنْزَلْنَا»، وقيل: افتتاح اسمه طاهر وهادٍ، عن سعيد بن جبير. وقيل: معناه: يا طائعاً في الشفاعة للأمة، ويا هادي الأمة إلى الملة، وقيل: يا طاهراً من الذنوب ويا هادياً للخلق إلى علام الغيوب، وإنما ذكرنا[٣] هذه الأقاويل وإن كان فيها ما يصح وما لا يصح ليدل على بطلان قول من يقول: إنه شيء لا يعرف معناه، وقد تكلم هؤلاء السلف في معناه ولم يقل أحد منهم دعوا ذلك فإنه سَرٌّ.

«مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ» يا محمد «الْقُرْآنَ لِتَشْقَى» قيل[٤]: لتتعب، لتصير به شقياً في الدنيا، وقيل: ما أنزلناه لتشقى[٥] به في الآخرة؛ بل لتسعد[٦] به، إذا بلغته وعملت بما فيه.

وذكر أبو مسلم في قوله: ﴿لِتَشْقَىٰٓ[٧]﴾ وجهين[٨]:

أحدهما: أنك لا تؤخذ بفعل قومك ولا تلام وإنما عليك البلاغ، ونحو ذلك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٤].

الثاني[٩]: لا تحزن عليهم ولا تعذب نفسك، فإنما أنزلنا[١٠] القرآن تذكرة، فمن آمن فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره، نظيره[١١] «فلعلك باخع نفسك على أثرهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا» الآية [الكهف: ٦].

---

(١) وهدايته: هداية، ب، ز، ل، م، ي. وما أثبتناه من تفسير البغوي ٣/ ١١٢.
(٢) القسم: القاسم، ز.
(٣) ذكرنا: ذكر، ل، م.
(٤) قيل: وقيل، ب، ل، م، ي.
(٥) لتشقى: تشقى، ز، ل، م.
(٦) لتسعد: تسعد، ز، ل، م.
(٧) لتشقى: تشقى، ز، ل.
(٨) وجهين: ـ ، ل.
(٩) الثاني: والثاني، ب، ي.
(١٠) أنزلنا: ـ ، ز، ل، م.
(١١) نظيره: ونظيره، ب، ز، ي.

«**إِلاَّ تَذْكِرَةً**» لكن عظة لهم ودلالة على الحق «**لِمَنْ يَخْشَى**» العقاب «**تَنزِيلاً**» أي: أنزله تنزيلاً «**مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ**» بدأ بالأرض ليستقيم[١] رؤوس الآي «**وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا**» الرفيعة[٢] العالية، نبه بذلك[٣] على عظم حال[٤] خالقها، ثم أكد ذلك بقوله: «**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**» قيل: استوى[٥] لُطْفُهُ[٦] وتدبيره، عن الحسن. فذكر نفسه تفخيماً، كأنه قيل[٧] كما نفذ[٨] حكمه[٩] وتدبيره[١٠] في السموات والأرض كذلك في العرش، وقيل: استوى[١١] على العرش أي[١٢]: قادر على خلقه وإفنائه، قيل: العرش[١٣] [١٤] الملك، والاستواء: الاقتدار، يعني هو[١٥] مالك لملكه[١٦]، يقال: عرشه أي: ملكه، وقيل: ثم استوى على ما[١٧] خلق السموات والأرض، عن أبي مسلم. وقيل: العرش السقف؛ لأنه سقف الأرض، كأنه قال هو على هذا العالم الذي هو السماء والأرض، عن أبي مسلم. وقيل: استوى على العرش أي: لم يخلق فوق العرش شيئاً كقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[١٨] [**المؤمنون: ٢٨**] أي:

---

(١) ليستقيم: تستقيم، ز.
(٢) الرفيعة: الرحمن سعة، ز، ل، م.
(٣) بذلك: ـ، ز، ل، م.
(٤) حال: ـ، ز، ل، م.
(٥) قيل استوى: ـ، ز، م.
(٦) لطفه: لفظه، ز، م.
(٧) قيل: ـ، ز، م.
(٨) نفذ: تقدم، ز، م.
(٩) حكمه: حكمه أظنه حكمته. وكتب فوقه: هكذا في النسخة، م.
(١٠) وتدبيره: ـ، ز.
(١١) استوى: استولى، ب، ي.
(١٢) أي: أي أي، م.
(١٣) وقيل استوى على. . . العرش: ـ، ز.
(١٤) استوى قيل استوى. . . العرش: ـ، ل.
(١٥) هو: ـ، ز، ل، م.
(١٦) لملكه: الملائكة، ز.
(١٧) ما: بناء، ب، ي.
(١٨) على الفلك: +، ب، ي.

متى تممت أشغالك، ولا يحمل على[1] الاستقرار؛ لأنه من صفات الأجسام، ولأن الآية تمدح، والجلوس على العرش ليس[2] تمدح «**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**[3] **وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**» ما في صحن[4] الأرض من الكنوز والأموات[5]، وقيل: من النون[6] والحوت، وقيل: التراب تحت الأرض، والوجه أنه مالك وخالق لجميع الأشياء «**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ**» أي[7]: تعلن، وقيل: فيه حذف[8] أي: إن تجهر أولا تجهر، فاقتصر[9] على أحد الطرفين لدلالة الكلام على الآخر «**فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**» يعني وما هو أخفى من السر، وقيل: أخفى بمعنى الخفي[10] وليس بالوجه لأنه عدول عن معنى أَفْعَل[11] مع صحة معناه، وذلك شاذ، ولأنه إذا كان بمعنى أخفى كان أبلغ، وقيل: أخفى ما ليس بكائن، وقيل: السر: العزم، وأخفى: الهم[12] والضمائر، وقيل: السر: ما تحدث به نفسك، وأخفى منه: ما تريد به أن يحدث به[13] في ثاني الحال، وقيل: السر ما يحدث[14] به العدل غيره في خفية، وأخفى: ما أضمر في نفسه ولم يتحدث به، عن ابن عباس، والحسن. وقيل: السر ما أضمره العبد، وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد، عن قتادة، وسعيد بن

---

(١) على: ــ، ز، ل، م.
(٢) ليس: فليس، ز، ل، م.
(٣) وما في الأرض، ــ، ل.
(٤) صحن: صحراء، ب، ي.
(٥) والأموات: الأموال، ب، ز، ي.
(٦) من النون: من الثور، ب، ي.
(٧) أي: ــ، ز، ل، م.
(٨) حذف: خلاف، ل.
(٩) فاقتصر: واقتصر، ب، ي.
(١٠) الخفي: أيخفى، ز؛ أخفى، ب، ل، ي. وما أثبتناه من تفسير القرآن ــ للطوسي: ٧/ ١٥٩.
(١١) أفعل: افعل افعل، ز.
(١٢) الهم: لهم، ز.
(١٣) به: ــ، ز، ل، م.
(١٤) يحدث: حدث، ب، ي.

جبير، وابن زيد. وقيل: السر العمل الذي يستره[1] عن الناس، وأخفى: الوسوسة، عن مجاهد. وقيل: يعلم أسرار الخلق، وأخفى سره فلا يعلمة أحد، عن زيد[2] بن أسلم. فنبه بذلك على أنه عالم بالأشياء كلها زجراً لهم عن عصيانه.

ثم بيّن تعالى[3] أن عالم السر والجهر هو واحد وهو الله تعالى، فقال سبحانه: **«اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»** يعني كل اسم حسن[4] يدل على معنى حسن؛ لأن اللقب[5] لا يجوز عليه تعالى[6]، وكل[7] اسم لا بد أن يكون مفيداً لمعنى.

الأحكام

تدل الآية على أن القرآن محدث ليصح عليه الإنزال.

وتدل[8] على أنه غير الله؛ لأن المنزَّلَ غير المنزِّلِ.

وتدل على أن من تمسك بالقرآن لا يشقى أبداً، ومن حمله على مشقة الدنيا، منهم من قال[9]: إنه نسخ به قيام الليل، وأما الحسن وأبو علي فحملاه على مشقة الآخرة فهو على عمومه.

ويدل قوله: **«تذكرة»** على وجوب التفكر[10] فيه، وإنما خص من خشي لأنهم المنتفعون وإلا فهو تذكرة للجميع[11].

---

(١) يستره: ستره، ب، ز، ي.
(٢) زيد: ابن زيد، ز.
(٣) تعالى: ـ ، ب، ز، ي.
(٤) حسن: ـ ، ز، ل، م.
(٥) جاء في هامش (ي): أي العلم بالمتقدمين يطلقون عليه اللقب خلاف المشبهين عند المتأخرين، فاللقب عندهم ما أشعر بمدح أو ذم كما هو معروف ولو لم يحمل على هذا لما استقام الكلام أصلاً، فإنه يريد أن أسماء الله كلها تفيد مدحاً، وهو الصحيح، وعليه كلام أئمة العترة عليهم السلام، والله ولي التوفيق، كاتبها المفتقر إلى الله مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي.
(٦) تعالى: ـ ، ب، ي.
(٧) وكل: وقيل، ب، ل، ي.
(٨) وتدل: ـ ، ز.
(٩) قال: قام، ب.
(١٠) التفكر: التذكر، ب، ي.
(١١) للجميع: لجميع، ز؛ الجميع، ل.

ويدل قوله: ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ على أشياء:

منها: أن الاسم غير المسمى.

ومنها: أنه لا يجوز عليه اللقب.

ومنها: أن أسماءه تفيد معاني كلها ترجع إلى صفة[1] مدح.

وأسماؤه على ضربين:

أحدهما: تفيد صفة مدح في ذاته، كقولنا: عالم، قادر، حي، سميع، بصير، غني، قديم، ملك[2] ونحوه.

وثانيها: تفيد فعلاً[3] حسناً، كقوله[4]: خالق ورازق ومنعم.

ومنها: ما[5] تدل على أنه لا يفعل القبيح؛ لأنه لو فعل ذلك لاشتق له منها الأسماء[6] ولا يكون حسناً[7] ولو فعل الظلم لسمي بأنه ظالم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولا تعلق للمشبهة[8] بالآية في إثبات الجهة والمكان؛ لأن الاستواء إذا احتمل معاني[9] فليس لهم أن يحملوه على المكان، وكذلك العرش يحتمل معاني، ولأن[10] الجهة من خصائص الجوهر[11]؛ لأن المصحح لها التحيز.

---

(١) صفة: صفته، ز.
(٢) ملك: مالك، ب، ي.
(٣) فعلاً: معنى، ب، ي.
(٤) كقوله: كقولنا، ز.
(٥) ما: ـ، ز.
(٦) الأسماء: الأسماء الحسنى، ز.
(٧) كقوله خالق... يكون حسنا: ـ، ل، م.
(٨) للمشبهة: الشبهة، ز؛ بالمشبهة، ل.
(٩) معاني: ـ، ز، ل، م.
(١٠) ولأن: وإن، ز.
(١١) الجوهر: الجواهر، ب، ز، ي.

ومتى[١] قيل: فما معنى الآية؟

فجوابنا: قد بينا ما قاله مشايخنا فيه وإن كان الأصح ما ذهب إليه أبو علي أن[٢] المراد به الاقتدار، فأما ما تذهب إليه[٣] الكلابية أنه فعل يسمى[٤] الاستواء وهو به مستو[٥] أو صفة[٦] تسمى الاستواء على ما قاله بعضهم فغير معقول، والكلام في فساد المذهب وصحته فرع على كونه معقولاً.

قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة: «**لأهله امكثوا**» بضم الهاء[٧]، نقل[٨] حركة الهمزة إلى الهاء، والباقون بكسرها لالتقاء الساكنين.

قرأ أبو جعفر[٩] وابن كثير وأبو عمرو: «**يا موسى أني أنا ربك**» بفتح الألف في

(١) ومتى: فمتى، ز.
(٢) أن: ـ، ز، ل، م.
(٣) إليه: ـ، ز.
(٤) يسمى: يستحق، ل.
(٥) مستو: مشتق، ز.
(٦) أو صفة: وصفته، ب، ي.
(٧) الهاء: الهمزة. وكتب فوقها لفظة: (الهاء) ظ، ي.
(٨) نقل: يقال، ز، م، وكتب فوقها في (م): نقل ظ.
(٩) أبو جعفر: أبو جعفر ونافع، ل، م.

«أني[1]» على تقدير بأني، والباقون بكسرها على الاستئناف[2]، تقديره: فقال إني، فأما الياء ففتحها أبو جعفر[3] ونافع وابن كثير وأبو عمرو، والباقون بسكون الياء[4].

وفي«طوى» ثلاث قراءات:

الأولى: بضم الطاء غير منون، أبو جعفر وابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب.

الثاني[5]: بضم الطاء والتنوين، ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

الثالث: بكسر الطاء غير مُجْرَاةٍ، روي ذلك عن أبي عمرو، وذكر أنه أرض، أما ترك الإجراء[6] لأنه اسم البقعة أو هو[7] معدول من طاوٍ[8]، ومن نَوَّنَهُ فلتذكيره وتخفيفهم[9]، ومنهم[10] من قرأ بالتفخيم، ومنهم من قرأ[11] بالإمالة[12] لأجل الياء.

قرأ حمزة «أَنَّا» بالتشديد. (اخترناك) بالنون والألف على التفخيم، وقرأ الباقون[13] بالتخفيف. «اخترتك» بالتاء على واحد.

قراءة العامة: «أُخفيها» بضم الألف[14]، وعن سعيد بن جبير والحسن: «أَخفيها» بفتح الألف أي: أُظْهِرُها.

---

(١) في أني: ـ ، ل.
(٢) الاستئناف: الاستثناء، ز.
(٣) أبو جعفر: أبوعمرو، ي.
(٤) بسكون الياء: بكسر الطاء، ز.
(٥) الثاني: الظاني، ز.
(٦) الإجراء: الأجرة، ز.
(٧) أوهو: وهو، ز، ل، م.
(٨) من طاوٍ: والطاوي، ز.
(٩) وتخفيفهم: وتخويفهم. وكتب فوقها: وتخفيهم خ، م؛ وتخفيهم، في هامش ل؛ تخوفهم، ز.
(١٠) منهم: منه، ز، ل، م.
(١١) قرأ: أتا، ب، ي.
(١٢) بالإمالة: ـ ، ب، ل، م، ي.
(١٣) ساقط في (ب، ي).
(١٤) أخفيها بضم الألف: اخترناك بالنون والألف، ب، ي.

۞ اللغة

الإيناس: وجدان[1] الشيء الذي يؤنس به.
والقبس: الشعلة، وهو نار في طرف عود أو قصبة[2].
والخَلْعُ[3]: نزع الملبوس بخلع ثوبه، وخلع نعله.
والوادي: سفح الجبل، ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء: وادٍ، وأصله: عظم الأمر، ومنه: الدية؛ لأنها عطية في أمر عظيم وهو القتل.
والرَّدَى: الهلاك، رَدَى يَرْدَى رَدَى إذا[4] هلك[5].

۞ الإعراب

«طوى» قيل[6]: جر لأنه بدل من (الوادي)، وقيل: نصب على المصدر.
وقوله: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ نصب؛ لأنه جواب الأمر بالفاء لقوله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ لأنها أمر[7].

۞ المعنى

ثم بيّن أنه أنزل عليه الكتاب لسعادته كما أنزل على موسى، وإنما قال قومه[8] نحو ما قال قوم[9] موسى تسلية له وأمر بالصبر، فقال سبحانه: «**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**» أي[10]: هل بلغك خبره يا محمد، وهو استفهام والمراد الإثبات، كأنه قيل: قد أتاك، وقد كان[11] أتاه[12] خبره، وقيل: لم يكن أتاه خبره[13] ثم أخبره، عن

---

(١) وجدان: وحدة، ل.
(٢) أو قصبة: وقصبة، ز.
(٣) والخلع: الخلع، ز.
(٤) ردى إذا: ـ، ز، ل، م.
(٥) هلك: أهلك، ز، ل، م.
(٦) قيل: ـ، ز، ل، م.
(٧) أمر: الأنهار، ز.
(٨) قومه: لقومه، ل، م، ي.
(٩) قوم: ـ، ل، م.
(١٠) أي: ـ، ل.
(١١) كان: ـ، ل، م.
(١٢) أتاه: أتاك، ل، م.
(١٣) خبره: بخبره، ب، ي.

الكلبي. «إِذْ رَأَى نَارًا» بالليل، قيل: ليلة[1] الجمعة، عن الكلبي. وقيل: استأذن موسى شعيباً في الرجوع إلى والدته[2] فأذن له، فخرج بأهله وولده، فولد له[3] ابن في طريقه في ليلة شاتية مثلجة[4]، وأضل[5] الطريق، وتفرق ماشيته، وقدح[6] النار فلم تُوَرِّهِ[7]، فأبصر ناراً من بعيد[8] عن[9] يسار الطريق، عن وهب. «فَقَالَ لأَهْلِهِ» امرأته «امْكُثُوا» أقيموا مكانكم هذا، وهي بنت شعيب كان تزوجها بمدين، عن أبي مسلم. «إِنِّي آنَسْتُ نَارًا» أبصرت ناراً[10] «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ» أي: شعلة من النار تصطلون بها «أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» قيل[11]: أحداً[12] يدلني على الطريق الذي أضللته، وقيل: معناه[13] أو[14] «أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» أي[15]: طريقاً «فَلَمَّا أَتَاهَا» أي: أتى النار، قيل: رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها تستوقد فيها نار بيضاء وسمع تسبيح الملائكة، ورأى نوراً عظيماً، ولم تكن الخضرة تطفي النار ولا النار تحرق[16] الخضرة، وقيل: كان نوراً ولم يكن ناراً، وقيل: النار والنور واحد ولذلك قال تعالى: ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، ثم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]، وقيل: لما رأى ذلك تحير وتعجب وعلم أنه معجز ناقض للعادة[17]، وأنه لأمر

(١) ليلة: لليلة، ز.
(٢) والدته: والديه، ب.
(٣) له: ـ، ز.
(٤) مثلجة: مثجلة، ز، ل.
(٥) وأضل: وأضله، ز، ل، م.
(٦) وقدح: فقدح، ب، ز، ي.
(٧) توره: تؤثر، ز.
(٨) بعيد: بعد، ز.
(٩) عن: على، ب، ي.
(١٠) أبصرت ناراً: ـ، ب، ي.
(١١) قيل: وقيل، ب، ل، ي.
(١٢) أحداً: ـ، ز، ل، م.
(١٣) وقيل معناه: ـ ل، م.
(١٤) أو: ـ، ب، ز، ي.
(١٥) أي: ـ، ب.
(١٦) تحرق: تطفي، ز.
(١٧) للعادة: للعبادة، ز.

عظيم، فألقيت[1] عليه السكينة[2] نودي، فقال سبحانه: «**نُودِي**» أي: ناداه الله تعالى، وقال[3] تعالى[4]: «**يَامُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ**» قيل: كرر الكناية لتأكيد الدلالة وإزالة الشبهة وتحقيق المعرفة، وقيل: لما كلمه الله تعالى فقال: من يكلمني[5]؟ فقال الله: إني أنا ربك، عن أبي علي.

ومتى قيل: كيف أسمعه كلامه؟

قلنا: الكلام فعل المتكلم، فخلق الله النداء في الشجرة وأسمعه موسى وكان هو المتكلم به كما أن[6] الواحد منا يحل كلامه في لسانه وفي الهوى وفي الصدى ويكون هو المتكلم به، يوضحه قوله تعالى في موضع آخر: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [**القصص**: ٣٠] دل أنه سمع من الشجرة وأنه كلام الله تعالى فلا يحتمل إلا ما ذكرنا.

«**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**» انزعهما، قيل: أمره بخلع نعليه ليباشر[7] بقدمه الأرض فتصيبه بركة الوادي المقدس، عن الحسن، وابن جريج، ومجاهد، وسعيد بن جبير. وقيل: كانت من جلد حمار ميت، عن كعب، وعكرمة.

ومتى قيل: أليس ذلك يكره؟

فجوابنا: يحتمل أنه لم يكن مكروهاً في شرعهم[8]، ويحتمل أنه كان مدبوغاً، ويحتمل أنه كان لبسها ضرورة، وهذا إن صح الخبر، وقيل: لأن الحَفَى من علامة التواضع[9]؛ ولذلك كان بعض السلف يطوف حافياً، فلما أراد أن يكلمه أمره بذلك التواضع، عن الأصم. وقيل: كان موسى يلبس النعل اتقاء من الأنجاس وخوفاً من

(١) فألقيت: فلقت، ز.
(٢) السكينة: السفيه، ز.
(٣) وقال: ـ، ل.
(٤) تعالى: ـ، ب، ي.
(٥) يكلمني: كلمني، ل.
(٦) أن: ـ، ز، ل، م.
(٧) ليباشر: ليباس، ل، م.
(٨) شرعهم: شريعتهم، ب، ي.
(٩) التواضع: للتواضع، ب، ي.

الحشرات[1]، فأمنه في ذلك وأمره[2] بخلعه وأعلمه بطهارته[3]، فأمنه ما[4] كان يحذر، عن أبي مسلم[5]. وقيل: لأن[6] من بلغ المقصد خلع نعله، فأمره بالخلع عبارة عن الوقوف مكانه، فلما أمر بذلك ألقاهما موسى عليه السلام.

«**إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ**» قيل: المبارك، عن ابن عباس، ومجاهد. قال الأصم: بورك بسعة الرزق والخصب، وقيل: المطهر[7]، عن أبي علي. «**طُوًى**» قيل: اسم الوادي، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، وأبي علي. وقيل: طوى بالبركة مرتين، عن الحسن. فيكون مصدراً من قوله: طويته طوى، «**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ**» اصطفيتك للرسالة «**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**» لما بشره بالنبوة أمره باستماع الوحي، ثم ابتدأ بالتوحيد فقال سبحانه[8] «**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا**» أمره بأن يبلغ ذلك قومه «**فَاعْبُدْنِي**» دون غيري «**وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي**» قيل: لذكري فيها بالتسبيح[9] والتعظيم، عن الحسن، ومجاهد. وقيل: لأن أذكرك بالمدح والثناء، وقيل: لتذكرني فيها، وقيل: إذا تركتها[10] ثم ذكرتها[11] فأقمها[12]، عن مقاتل. وقيل: فَصَلِّ لي ولا تصلِّ لغيري كما يفعله المشركون، عن أبي مسلم. وهو مردود على «**استمع**»[13] أي: استمع لما يوحى ولذكري[14]، وليس بالوجه؛ لأن الكلام يستقيم من غير تقديم وتأخير «**إِنَّ السَّاعَةَ**

(١) الحشرات: الحرشات، وكتب فوقها: الحشرات، ي.
(٢) وأمره: وأمر، ل، م.
(٣) بطهارته: طهارته، ب، ز، ي.
(٤) فأمنه ما: وأمنه مما، ب، ز، ي.
(٥) أبي مسلم: أبي علي، ز.
(٦) لأن: ـ، ل.
(٧) المطهر: المطر، ز.
(٨) سبحانه: ـ، ب، ل، م، ي.
(٩) بالتسبيح: للتسبيح، ز؛ التسبيح، ل، م.
(١٠) تركتها: تركها، ب، ي.
(١١) ذكرتها: تذكرها، ب، ي.
(١٢) فأقمها: فأقمتها، ب، ز، ل، م، ي.
(١٣) استمع: ـ، ز، ل، م.
(١٤) ولذكري: واذكرني، ل.

آتِيَةٌ» يعني القيامة قائمة لا محالة فأذكرك إذا صليت وأجازيك فاحذرها «**أَكَادُ أُخْفِيهَا**» و(أكاد): صلة[1]، وقيل: أكاد: أريد كقوله: ﴿**كِدْنَا لِيُوسُفَ**﴾ [**يوسف: ٧٦**] أي: أردنا، عن أبي مسلم. وقيل: «**أُخْفِيهَا**» بضم الألف أي: أظهرها ولم أظهرها[2]، والأول الوجه، وهو حقيقة الكلام، وقيل: إذا[3] كان[4] بفتح الألف فهو الإظهار، وإذا كان بضمها فهو الإسرار، يقال: أخفيت الشيء: أظهرته[5]، وأخفيته: سترته، وقول من قال: «**أخفيها**» بمعنى يخفى عليه، ليس بشيء لأنه عالم لذاته، وقيل: أظهر شرائطها.

ومتى قيل[6]: فلم أَخْفَى وقتها؟

فجوابنا: ليكونوا على حذر من[7] هجومها؛ إذ لو بين وقتها لكان إغراء بالمعصية ففيه لطف لنا.

ثم بين الغرض بالقيامة، فقال سبحانه: «**لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**[8]» بما تعمل[9] من خير أو شر[10]، ولينتصف[11] من الظالم للمظلوم «**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا**» أي: لا يصدفنك عن الساعة من لا يؤمن بالساعة، عن أبي مسلم. فرجع الضميران على شيئين تقدم ذكرهما[12]، وقيل: لا يمنعك عن الإيمان بالساعة من لا يؤمن بالساعة، وقيل: عن تعود ما أمرت به من الرسالة، وقيل: عن الطاعة، وقيل: عن هذه الخصال «**مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا**» قيل: بالصلاة، وقيل: بالساعة، وقيل: بالرسالة «**وَاتَّبَعَ**

(١) صلة: أصله، ز، ل، م.
(٢) أظهرها: أظهر، ب، ي.
(٣) إذا: أراد، ز.
(٤) كان: كاد، ز.
(٥) أظهرته: وأظهرته، ز، ل، م.
(٦) قيل: ـ ، م.
(٧) حذر من: ـ ، ل، م.
(٨) بما تسعى: ـ ، ز، ل، م.
(٩) تعمل: عملت، ز.
(١٠) أو شر: وشر، ز، ل، م.
(١١) ولينتصف: ولينصف، ز، م.
(١٢) شيئين تقدم ذكرهما: شيء تقدم ذكرها، ز، ل، م.

﴿هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ أي: تهلك، فنبه أنه[1] لا محاباة عنده، وأن موسى لو صد عن ذلك لهلك.

❁ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى كلم موسى، وأن كلامه محدث، وأنه حل[2] الشجرة، ولأنها حروف منظومة، ولأنه يستحيل أن ينادي موسى بخلع نعله وليس ثم موسى ولا نعل[3].

وتدل[4] على أن موسى صار نبياً في تلك البقعة، وإنما علم موسى أنه كلامه تعالى لما رأى من المعجزات في النار وفي الكلام في الشجرة وغير ذلك.

وتدل على أن الواجب البداية بالدعاء الى التوحيد.

وتدل على[5] أنه كان متعبداً بالصلاة.

وذكر علي بن موسى القمي أن الآية تدل على وجوب الصلاة عند التذكير، وإذا نسي لم[6] تجب ما لم يَذْكُرْ، وروي مثل ذلك في خبر مرفوع، وهو في شريعتنا كذلك.

وتدل على أن وقت الساعة لا يعلمه غيره تعالى لطفاً لعباده.

وتدل على أن أحداً لا يعذب بسعي غيره، فيبطل قول المجبرة في الجزاء وأطفال المشركين.

ويدل قوله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ أن الصد فعل العبد، وأنه لا يخلق أفعال العباد؛ إذ لو كان مخلوقاً له لكان الصد من جهته، وكذلك[7] قوله: ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ، كل ذلك يدل على صحة قولنا في المخلوق.

---

(١) أنه: ـ ، ز، ل، م.
(٢) حل: من، ل.
(٣) ولا نعل: ولا فعل، ز، ل.
(٤) وتدل: تدل، ز.
(٥) على: ـ ، ب، ي.
(٦) لم: ـ ، لا، ز.
(٧) وكذلك: ولذلك، ي.

قوله تعالى:
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ
غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ
تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ (٢١) وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ
جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى (٢٣) ٱذْهَبْ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤)﴾

القراءة

القراءة الظاهرة: «وأَهُشّ» بالشين، وعن عكرمة بالسين؛ لكنه ليس بالمعروف. وسئل النضر بن شميل[١] عنه فقال: العرب[٢] تعاقب بين الشين والسين، وقال بعضهم: هو من قولهم زجراً للغنم: هش هش.

اللغة[٣]

اليمين: الجارحة المعروفة، وهو الأصل، ثم يستعمل في القوة، وهو في القسم.

والتَّوَكُّؤُ[٤] والاتكاء واحد، مثل التَّوَقِّي والاتقاء، وبناء توكأت: تَفَعَّلْتُ، وبناء اتَّكَأْتُ: افتعلت وهما بمعنى.

والهش: ضرب ورق الشجر ليتساقط، عن قطرب[٥]، هش يهش هشاً، قال الراجز:

أَهُشُّ بالعصا على أغنامي   مِنْ نَاعِمِ الأراك والبَشَامِ

والمآرب: الحوائج، والأصل[٦]: الإِرْبُ، يقال: ما في هذا إرب، والمآرب في

(١) النضر بن شميل: ساعته، ز، ل، م.
(٢) العرب: للعرب، ب، ي.
(٣) اللغة: ـ، ز، ل، م.
(٤) والتَّوكُّؤ: والتركه، ل.
(٥) عن قطرب: ـ، ز، ل، م.
(٦) والأصل: وأصل، ز، ل، م.

وَاحِدِهِ ثلاث لغات: مأربة بضم الراء وفتحها وكسرها، عن علي بن عيسى[١].

والإعادة: رد[٢] الشيء ثانية على[٣] ما كان عليه أولاً.

والسيرة والطريقة من النظائر، والسيرة: مرور الشيء في جهة، سار يسير سيرة حسنة.

والضم: الجمع بين الشيئين.

والجنوح[٤]: الميل، ومنه جناح الطائر؛ لأنه يميل به في طيرانه حيث شاء.

والطغيان: مجاوزة الحد في العصيان، طغى طغياناً، ونظيره: البغي، ومنه: قوم طغاة بغاة.

۞ الإعراب

انتصب «**سيرتها**[٥]» قيل: بوقوع[٦] الفعل عليها وهو قوله: «**سَنُعِيدُهَا**»[٧]، وقيل: بنزع الخافض تقديره: إلى سيرتها.

وفي نصب: «**آية**» وجهان: أحدهما: الحال، والآخر: على[٨] أن نعطيك آية أخرى، فحذف لِمَا في الكلام من الدلالة عليه.

«**الكبرى**» محله نصب بقوله: «**لِنُرِيَكَ من آياتنا الكبرى**» آيات تخرج أي: يدك.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما أعطى موسى من المعجزات وما أمره بالتبليغ، فقال سبحانه[٩] «**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى**[١٠]» قيل: بيمينك[١١] صلة (تلك)، كما أوصل التي

---

(١) علي بن عيسى: ابن عباس، ز، ل، م.

(٢) رد: بدء، ل، م.

(٣) على: إلى، ب، ز، ي.

(٤) والجنوح: والجلوح، ب.

(٥) سيرتها: ـ، ز.

(٦) بوقوع: وقوع، ز، ل، م.

(٧) سنعيدها: سنعيدها سيرتها، ل م، سنعيدها سيرتها الأولى، ز.

(٨) على: ـ، ز، ل، م.

(٩) سبحانه: تعالى، ل.

(١٠) يا موسى: ـ، ب، ي.

(١١) بيمينك: يمينك، ب، ي.

والذي، وقيل: لما كلمه ورأى[١] تلك العجائب تحير حتى كان لا يعرف اليمين من الشمال[٢] فقال: «بيمينك» ليعرف[٣] أن اليمين ما فيه العصا[٤].

ومتى قيل: (ما تلك بيمينك) أي سؤال هو؟

فجوابنا: إنه ليس هو استفهاما، وإنما هو تقرير[٥]؛ ليحضر ذهنه، ويعلم أنه لا يسأله إلا لأمر عظيم.

وقيل: لما تحير خاطبه بخطاب يجري بين الآدميين ليسكن قلبه.

وقيل: ليقع[٦] المعجز بها بعد التثبت وإزالة الشبهة[٧].

وقيل: أراد أن يسأله عن منافع العصا، فلما بَيَّنَ بعضه[٨] أخبر[٩] أن فيه منافع أخر ككونه معجزة له، ومنه البحر والحَجَر وغيرهما.

وقيل: إنما سأله عن منافع العصا فلذلك أجاب بالمنافع كقوله[١٠]: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣] أي: عن قصته.

«قَالَ» موسى «هِيَ عَصَايَ» وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان، وقيل: كانت[١١] من آس الجنة أخرجها آدم عليه السلام[١٢] وتوارثوها[١٣] إلى أن بلغت[١٤] شعيباً فدفعها إلى موسى «أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا» أعتمد عليها[١٥] إذا مشيت أو أعييت[١٦] «وَأَهُشُّ بِهَا

---

(١) ورأى: رأى، ز، ل، م.
(٢) الشمال: اليسار، ب، ي.
(٣) ليعرف: لعرف، ز.
(٤) العصا: العصاة، ب، ز، ي.
(٥) تقرير: تقدير، ز.
(٦) ليقع: النفع، ز.
(٧) الشبهة: الشبه، ب، ي.
(٨) بعضه: بعضه أن، ز.
(٩) أخبر: خبر، ز.
(١٠) كقوله: كقولك، ب، ي.
(١١) كانت: كان، ب، ي.
(١٢) عليه السلام: عليه، ل، م.
(١٣) وتوارثوها: وتوارثها، ز، ل، م.
(١٤) بلغت: بلغها، ب، ي.
(١٥) أعتمد عليها: ـ، ب، ي.
(١٦) أظنه إذا هششت وأعييت يعني تعبت: +، ز، ل، م.

«عَلَى غَنَمِي» أخبط بها ورق الأشجار لترعاه غنمي «وَلِيَ فِيهَا» في العصا[١] «مَآرِبُ أُخْرَى» ولم يقل أخر لرؤوس الآي، قال ابن عباس: كان يحمل عليها زاده، ويركزها فيخرج الماء، ويضرب الأرض فيخرج ما يأكل، وكان يقي بها غنمه من السباع[٢]، وإذا ظهر عدو حاربته[٣]، وإذا أراد الاستقاء من البئر[٤] طالت وصارت شعبتاها[٥] كالدلو، وكان يظهر عليها الشمعة، وكانت تحدثه وتؤنسه، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فيتحرك غصن تلك الشجرة وثمرتها «قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى» تمشي بسرعة، وقيل: صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس، وجعلت تتورم حتى صارت ثعباناً وهو أكبر من[٦] كل الحيات، عن ابن عباس. وقيل: بين لحييها أربعون ذراعاً، عن فرقد السبخي[٧]» «قال» الله تعالى «خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ[٨]» يعني لم يكن قَلْبُهَا حية للعقاب[٩]، وإنما كانت معجزة لنبوتك، فخذها آمناً مطمئناً[١٠] ولا تخف أمرها، وقيل: أمره أن يدخل يده في[١١] فمها فأدخلها[١٢] فصارت بين الشعبتين اللتين كانتا في العصا وصارت الحية عصا كما كانت[١٣] «سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى[١٤]» أي: طريقتها الأولى، أي: نجعلها عصا كما كانت[١٥]، وقيل: هيئتها الأولى[١٦] «وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ» قيل: اجمعها إلى جيبك، قال الكلبي: إلى

(١) في العصا: ـ، ز، ل، م.
(٢) كان يحمل عليها... من السباع: ـ، ب، ي.
(٣) حاربته: حارتبه، ز، ل، م.
(٤) البئر: بئر، ب، ي.
(٥) شعبتاها: شغبتاها، ب، ي.
(٦) من: ما، ب، ي.
(٧) السبخي: السميحي، م.
(٨) ولا تخف: ـ، ب، ي.
(٩) للعقاب: العقار، ل؛ العقاب، م.
(١٠) يعني لم يكن... مطمئناً: ـ، ز.
(١١) في: ـ، ز.
(١٢) فأدخلها: فأدخل، ب، ز، م، ي.
(١٣) كما كانت: ـ، ب، ي.
(١٤) سنعيدها سيرتها الأولى: ـ، ل.
(١٥) أي طريقها... كما كانت: ـ، ز، ل، م.
(١٦) وقيل هيئتها الأولى: ـ، ب، ز، ل، م، ي.

أسفلك من الإبط، وقيل: إلى عضدك، عن مجاهد. وقيل: أدخلها في جيبك، وقيل: الجناحان[1] الناحيتان، عن أبي عبيدة. «تَخْرُجْ بَيْضَاءَ» قيل: لها شعاع كشعاع الشمس يغشي[2] البصر «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» قيل: من غير برص، عن ابن عباس، ومجاهد[3]، وقتادة، والحسن، والسدي، والضحاك. «آيَةً أُخْرَى» معجزة أخرى[4] لك «لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا» الآية «الْكُبْرَى» قيل: المعجزة العظيمة، وقيل من[5]: اليد البيضاء، وقيل: قلب العصا حية الآية الكبرى، وقيل: هلاك فرعون وقومه.

ولما حَمَّلَهُ الرسالة وأراه المعجزة أمره بالتبليغ، فقال: «اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ» فادعه إلى ديني فـ«إِنَّهُ طَغَى» أي: تجبر وتكبر في كفره.

۞ الأحكام

يدل قوله[6] على أن في القرآن مجازاً؛ لأن[7] ظاهره استفهام، ويتعالى الله عن ذلك.

وتدل على[8] أن الحكيم[9] يجوز أن ينبه على أمر يريده تأكيداً؛ لذلك قدر[10] كونه عصا لما أراد قلبها[11] حية.

وتدل على أن للمجيب أن يجيب جملة وتفصيلاً؛ لأنه ذكر بعض منافع العصا مفصلاً ثم أجمله.

وتدل على معجزات في العصا:

منها: قلبها حية.

ومنها: قلبها بعد ذلك عصا.

---

(١) الجناحان: الجنان، ز.
(٢) يغشي: يعني، ز.
(٣) ومجاهد: ومجاهد ومجاهد، ل.
(٤) معجزة أخرى: ـ، ز، ل، م.
(٥) من: ـ، ل، م.
(٦) يدل قوله: تدل الآية قوله، ب، ي.
(٧) لأن: لا، ز، ل، م.
(٨) على: ـ، ب، ل.
(٩) الحكيم: الحكم، ب، ي.
(١٠) قدر: قرر، ب، ي.
(١١) قلبها: قلنا، ز.

ومنها: أخذها من غير إضرار.

ومتى قيل: كيف يجوز أن يقلبها حية دلالةً على نبوته وهو لا يعرف ذلك؟

قلنا: الواجب إظهار معجز من غير تعيين، والأقرب أنه عرف نبوته[١] قبل ذلك لما كلمه، وعرف[٢] المعجزات[٣] في الشجرة، ثم أعطاه العصا واليد دلالة لقومه[٤]، وقيل: أظهر ذلك لطفاً له، وقيل: لتزول[٥] عن قلبه الهيبة عند قلبها بمشهد فرعون.

ومتى قيل: لماذا خاف موسى؟

قلنا: لما صارت حية خافها حتى أَمَّنَهُ الله تعالى ولم يستمر خوفه.

وتدل على[٦] أن الطغيان فِعْلُ[٧] فرعون لذلك أضافه إليه وذمه عليه[٨]، ولأنه لو كان[٩] خلقاً لله تعالى لم يكن لإرسال موسى عليه السلام فائدة[١٠].

قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

القراءة

قرأ الحسن وابن عامر: «**أَشْدُدْ**[١١] **به أزري**» بفتح الألف وقطعه و«**أُشْرِكْهُ في أمري**[١٢]» بضم الألف على الجزاء والحكاية عن موسى أي: أَفْعَلُ ذلك، وقرأ الباقون: «**اشْدُدْ**» بوصل الألف و«**أَشْرِكْهُ**» بفتح الألف على الدعاء.

---

(١) نبوته: ـ، ل، م.
(٢) وعرف: وظهرت، ز، ل، م.
(٣) المعجزات: المعجز، ز.
(٤) لقومه: لقوله، ب، ي.
(٥) لتزول: النزول، ز.
(٦) على: ـ، ز، ل، م.
(٧) فعل: ـ، م.
(٨) عليه: إليه، ل.
(٩) لو كان كان: ـ، ل، م.
(١٠) فائدة: ـ، ل.
(١١) أشدد: لتشد. بدون نقاط. وكتب فوقها: اشدد. ظ، ل، م.
(١٢) في أمري: ـ، ب، ل، م، ي.

وفتح الياء[1] من[2] «أخِي» ابن كثير وأبو عمرو، وأسقطها الآخرون في الوصل إلا ابن عامر، فإنه يسكنها[3]؛ لأنه يقطع الألف بعدها، ولا خلاف في إثباتها في الوقف، فالحذف للتخفيف.

۞ اللغة

أصل الشرح في الصدر، وشرحت الأمر: بينته وأوضحته، وشرحت صدره أي: وسعته، ومنه: شرح المعنى بسط القول فيه.

والتيسير تسهيل الأمر، يَسَّرَهُ ييسره[4] تيسيراً وهو ميسر، ونقيضه: التعسير، ومنه: اليسر.

والحَلُّ: نفي العقد بالفرق[5]، حَلَّهُ يَحُلُّهُ حلاً، وهو حالٌّ، والشيء محلول، نقيضه[6] العقد.

والعقدة: جملة[7] مجتمعة يصعب جعلها[8] متفككة، عَقَدَ يَعْقِدُ عَقْداً وعقدة، وهو[9] عاقد، والشيء معقود.

والوزير: الظهير، ومنه: ﴿لَا وَزَرَ[10]﴾ [القيامة: ١١]، وأصل الباب: الثقل، كأنه تحمل الثقل[11] عن نفسه، ومنه: الأَزْرُ الظهر آزرني على أمري أي: كان لي ظهيراً[12]، ومنه المئزر والإزار؛ لأنه يشد على الظهر. والشد والربط من النظائر، شده فهو[13] شادٌّ والشيء مشدود.

---

(١) الياء: الألف، ل، م.
(٢) من: ـ، ل، م.
(٣) يسكنها: سكنها، م.
(٤) ييسره: ـ، ب، ي.
(٥) بالفرق: بالعرف، ز، ل، م.
(٦) والشيء محلول نقيضه: والشيء نقيضه، ز، ل، م.
(٧) جملة: ـ، ز، ل، م.
(٨) جعلها: جعلتها، ل، م.
(٩) وهو: ـ، ز.
(١٠) لا وزر: الأوز، ز؛ الأوزر، ل، م.
(١١) الثقل: ـ، ز.
(١٢) ظهيراً: ظهراً، ل، م.
(١٣) فهو: وهو، ب، ي.

الإعراب

في نصب «**هارون**» أقوال:
قيل: إنه مفعول (اجعل) الأول، و(وزيرا) المفعول[١] الثاني على[٢] جهة الخبر.
الثاني أن يكون (هارون) تابعاً لقوله: «**وزيراً**» بدلاً أو[٣] للبيان.

المعنى

ثم بيّن تعالى ما سأل موسى فيما[٤] يزيده على الأداء، فقال سبحانه: «**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**» قيل: سأله خمسة أشياء يستعين بها[٥] على الدعاء إلى الله:

أولها: شرح الصدر يعني وسع لي صدري حتى لا أضجر ولا أخاف ولا أغتم.

وثانيها: «**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**» أي: سهل عليّ أداء ما كلفتني من أداء الرسالة والدخول على الطاغي ودعائه إلى الحق.

وثالثها: «**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي**» لأن[٦] الأداء يتعلق باللسان، وكان في لسانه عقدة. وفيه سببان: أحدهما: الخلل في الأداء، والثاني: التنفير عنه[٧]، فسأل رفع ذلك عن لسانه.

ومتى قيل: ما كان سبب تلك العقدة في لسانه؟

قلنا: كانت خِلْقَةً في لسانه فرفعها معجزة له، وقيل: جمرة طرحها في فيه؛ لأنه أخذ لحية فرعون ونتفها، فَهَمَّ بقتله، فقالت آسية: إنه صبي لا يعقل، وعلامته أنه يقرب منه الجمرة والتمرة فيأخذ الجمرة، فقربا، فأخذ الجمرة فجعلها في فيه، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي. وقيل: إن جبريل حول يده من التمرة إلى الجمرة «**يَفْقَهُوا**» يعلموا[٨] «**قَوْلِي**» دعائي إياهم إليك وأدائي الرسالة، وقيل: إنه حل أكثر[٩]

---

(١) المفعول: والمفعول، ز، ل، م.
(٢) على: في، ز، ل؛ نفى، م.
(٣) أو: و، ز، ل، م.
(٤) فيما: مما، ب، ز، ي.
(٥) بها: ـ، ل، م.
(٦) لأن: ـ، ز.
(٧) عنه: ـ، ز، ل، م.
(٨) يعملوا: ـ، ب، ي.
(٩) أكثر: الكبر، ز.

ما كان في لسانه إلا بقية منه بدليل قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، عن أبي مسلم. وقيل: استجاب دعاءه فحل العقدة[١] عن لسانه، عن الحسن. وهو الوجه لقوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] يعني لا يأتي ببيان وحجة، وقيل: إنما قالوا ذلك تمويهاً ليصرفوا الوجوه عنه[٢].

ورابعها: «**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي**» أي: ظهيراً ومعيناً.

وخامسها: بيّن من هو فقال: «**هَارُونَ**» سأل أن يجعله وزيراً وكان أخوه[٣] لأبيه[٤] وأمه وكان[٥] بمصر، وشرك الله تعالى بينهما في النبوة.

ويقال: إذا كان يجب على الله تعالى[٦] أن يعطي أنبياءه ما يكون أقرب للقبول ويكون لطفاً فما معنى السؤال؟

قلنا: يحتمل أنه كان بعيداً، ويحتمل[٧] أن يكون لطفاً عند السؤال ولولا السؤال لم يكن كذلك، ويحتمل أن يكون تعظيماً[٨] لأمر موسى بإعطائه[٩] عند سؤاله، ولا شك أنه كان[١٠] سأل ذلك بإذن.

«**كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا**[١١]» قيل: ننزهك عما لا يليق بك «**وَنَذْكُرَكَ**» بأن نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمتك[١٢]، وقيل: نسبحك: نصلي لك ونذكرك فيها كثيراً «**إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا**» أي: عالماً بأحوالنا، وقيل: كنت بنا[١٣] بصيراً بأن الاستعانة بهذه الأشياء لأجل طاعتك، وقيل: بصيراً بحاجتي في النبوة إلى هذه الأشياء[١٤]، وقيل: بضعفنا عند الانفراد.

---

(١) العقدة: العقد، ز.
(٢) عنه: عنها، ل، م.
(٣) أخوه: أخاه، ب، ي.
(٤) لأبيه: لأمه، ل.
(٥) وكان: ـ ، ز، ل، م.
(٦) تعالى: ـ ، ز، ل، م.
(٧) ويحتمل: ويحمل، ز.
(٨) تعظيماً: عظيماً، ز، ل، م.
(٩) بإعطائه: ما أعطاه، ز، ل، م.
(١٠) كان: ـ ، ب، ل، م، ي.
(١١) ونذكرك كثيرًا: ـ ، ب، ي.
(١٢) نعمتك: نعمك، ب، ي.
(١٣) بنا: ـ ، ب، ي.
(١٤) لأجل طاعتك. . . هذه الأشياء: ـ ، ز، ل، م.

۞ الأحكام

تدل الآية أن كل مأمور بشيء يحسن أن يسأل ما يستعين به على أدائه.

وتدل على أن لكل واحد مما سأل تأثيراً في أداء الرسالة؛ لأنه يتم وينادي بقوة جنان وبيان[1] لسان وموافقة أعوان.

وتدل على[2] أن أفعال العباد فعلهم وأن الاستطاعة قبل الفعل، والعبد مخير[3]؛ لأنه ﷺ طلب[4] من الله تعالى إزاحة العلة بالألطاف، ولو كان الأمر كما تزعمه المجبرة لكان الواجب أن[5] يقول: اخلق فيّ الأداء، وأعطني قدرة[6] الأداء، واخلق في فرعون قدرة القبول، واخلق[7] فيه القبول[8]، وإزالة الختم[9] عن قلبه، ولا[10] تخلق فيه الكفر، ولا[11] القدرة الموجبة للكفر، وأَقْدِرْهُ[12] على الإيمان؛ لأن هذه الأشياء تؤثر[13] لا ما سأل عندهم.

وتدل على أن صحبة المؤمن لطف في العبادة لذلك طلب موسى صحبة أخيه[14].

وتدل على أن الواجب الانقطاع إلى الله تعالى والاستعانة به في جميع الأمور.

تكملة سورة طه في الجزء السابع.

---

(١) وبيان: وثبات، ز، ل، م.
(٢) على: ـ، ب، ي.
(٣) مخير: مخيراً، ز.
(٤) طلب: طالب، ب.
(٥) أن: ـ، ز، ل، م.
(٦) قدرة: قوة، ز، ل، م.
(٧) واخلق: وخلق، ل.
(٨) واخلق فيه القبول: ـ، ز.
(٩) الختم: الجسم، ل، م.
(١٠) ولا: لا، ل، م.
(١١) ولا: ـ، ز.
(١٢) وأقدره: واقدر، ل، م.
(١٣) تؤثر: ـ، ز، ل، م.
(١٤) وتدل على أن صحبة... صحبة أخيه: ـ، ز، ل، م.

الفهرس